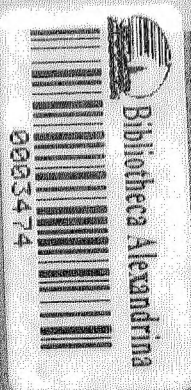


المجلس الأعلى للثقافة

السروائع مع الأدب العربي

الجزء الأول
العصر الجاهلي

إشراف ومراجعة: يوسف خليل



المجلس الأعلى للثقافة
لجنة الدراسات الأدبية

الروائع من الأدب العربي

الجزء الأول

العصر الجاهلي

إشراف ومراجعة
الدكتور يوسف خليل



الهيئة العربية العامة للكتابات

١٩٨٣

اشترك في إعداد هذه المجموعة من «الروائع» :

الأستاذ سعد درويش

الدكتور سيد حنفي حسنين

» طه وادى

» عبد الله التطاوى

» محمد حمدى إبراهيم

» محمد مصطفى هدارة

» نبيل راغب

» يوسف خليف

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

* * *

مقدمة

هذه المجموعة من النصوص المختارة من الأدب الجاهلي هي المجموعة الأولى من سلسلة « الروائع من الأدب العربي » التي يَسْرِبُ لُحْنُهَا الدِّرَاسَاتُ الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة أن تقدمها إلى المجتمع الأدبي في الوطن العربي الكبير ، لإسهامها منها في إضاءة مشعل جديد إلى جانب المشاعل الكثيرة التي تضيء أرجاء هذا الوطن الخالد الذي تضرب جذوره الحضارية في الأرض الطيبة التي نعتز جميعا بالانتماء إليها منذ آلاف السنين .

وسلسلة « الروائع » هي أول المشاعل التي تأمل اللجنة أن تُضيئها على طريق النور في مجتمعنا الأدبي . وهي سلسلة وضعت اللجنة في خطتها — منذ تشكيلها الجديد في أكتوبر سنة ١٩٨٠ — أن تصدر في عشرة أجزاء تغطي أدبنا العربي شعرا ونثرا على امتداد رحلته الطويلة التي امتدت أكثر من خمسة عشر قرنا من الزمان، منذ أن بدأ هذا الأدب نبثا صحراويا فوق رمال الجزيرة العربية في العصر الجاهلي إلى أن انتشرت حدائقه وجناته في كل أرجاء وطننا العربي في العصر الحديث .

ومع قافلة الأدب العربي التي خرجت من أعماق الجزيرة بعد أن أشرقت أرضها بنور ربها حاملة معها المشاعل العربية إلى آفاق الأرض، ومضت تواصل

رحلتها على امتداد هذه القرون المتطاولة ، رأت اللجنة أن تسير هذه القافلة على امتداد رحلتها التاريخية الطويلة ، فوضعت في خُطتها أن يكون الجزء الأول للعصر الجاهلي ، والثاني للعصر الإسلامي ، والثالث للعصر الأموي ، والرابع للأدب العربي في الأندلس والمغرب وصقلية ، والخامس والسادس للعصر العباسي ، والسابع للأدب العربي في العصور الوسطى ، والثامن والتاسع للأدب في العصر الحديث ، وأن يُخصَّص الجزء العاشر لمجموعة الفهارس المختلفة لهذه الموسوعة الفهخمة التي تتوقع اللجنة أن تبلغ أكثر من خمسة آلاف صفحة .

ورسمت اللجنة خطة عملها على أساس أن تقدّم لكل مجموعة من هذه السلسلة بدراسة شاملة تغطّي جوانب العصر الذي تقف عنده ، وترسم صورة دقيقة لحركة الأدب فيه ، شعره وثره ، وترصد اتجاهاته ومذاهبه ومدارسه الفنية ، وأعلام الأدباء الذين حرّكوا حياته الأدبية ووجّهوها ، والعوامل المختلفة التي تقف وراء هذه الحركة ، ومظاهر التطور والتجديد فيها ، ثم تبدأ بعد ذلك بمجموعات النصوص المختارة مشروحة ومُعلّقة عليها ، مع تراجم لأصحابها تُعرّف بهم ، وعرض لكل نص من خلال التعريف به وبمناسبتة التي قيل فيها . ورأت اللجنة ألاّ تطيل في هذه التراجم أو في التحليل الفني للنصوص ، على أملٍ تُمثّل على الله أن تحقّقه في إصدار موسوعة أخرى لأعلام الأدب العربي على امتداد عصوره وبيئاته تقدّم فيها دراسات موسّعة لهؤلاء الأعلام ودورهم في الحياة الأدبية ، وإصدار سلسلة من الدراسات النقدية لنصوص مختارة من الأدب العربي تقف منها موقف التحليل والنقد والتقييم .

* * *

ونحن نعرف أن فكرة الاختبارات من الأدب العربي قديمة منذ عصر التدوين في القرن الثاني الهجري ، عندما اختار حماد الراوية المعلقات ، واختار المفضل المفضليات ، واختار الأصمعي الأصمعيات ، واختار أبو زيد القرشي الجهرة . ثم

تواصلت الخطل على الطريق ، فظهرت الحماسات المتعددة لأبي تمام والبحتري والخالدين وابن الشجري والبصري وغيرهم . حتى إذا ما وصلنا إلى العصر الحديث اشتعلت من جديد حماسة جارية في اتجاهات أخرى من الاختيارات ، فظهرت في مطالعة مختارات البارودي ، ثم تكاثرت الاختيارات في كل وطن من الأرض العربية . وهي كلها — قديمها وحديثها — جهود نذكرها ونقدّرها لأصحابها ، ونعترّ بها تعبيراً عن ذلك الاعتزاز الذي يملأ نفس كل عربي بتاريخه وحضارته .

كان هذا كله أمّاناً ونحن نفكر في اختياراتنا الجديدة . ولسنا ندّعي أنها جاءت جديدة في كل جوانبها ، أو أننا أتينا « بما لم تستطع الأوائل » ، فذلك دعوى تبدو ظالمة لكل من شاركوا في هذه الجهود الرائعة على امتداد القرون الطويلة ، ولكننا أيضاً لا نريد أن نظلم أنفسنا ، فاختياراتنا الجديدة في بعض جوانبها . فإلى جانب الاختلاف الذي لا بد منه بين النصوص التي اخترناها والنصوص التي اخترناها ، نتيجة طبيعية لاختلاف الذوق الشخصي من ناحية ، وللنشاط الخصب الذي يشهده عصرنا الحديث في تحقيق نصوص التراث وتوثيقها من ناحية أخرى ، مما أتاح لنا فرصة الرجوع إلى أحدث ماتم تحقيقه وتوثيقه من مصادر هذا التراث ونصوصه ، تختلف اختياراتنا في أمرين آخرين : الأول تلك المداخل التي تقدّم بها لكل مجموعة منها ، والتي نتبع فيها حركة الأدب في كل عصر ، لرصد اتجاهاته ومذاهبه ومدارسه ، والكشف عن عناصر الأصالة والتجديد فيه . والأمر الآخر ذلك التصنيف الجديد للتراث الأدبي في كل عصر ، وهو تصنيف لا يربط بين حركة الأدب وحركة التاريخ السياسي ، وإنما يقوم على أساس التطور الفني له الذي نستطيع من ورائه أن نتمثل حركة هذا الأدب في كل عصر ، ثم بعد ذلك حركته على امتداد عصوره المتعاقبة . وفي هذه المجموعة

«الأولى» نقدم محاولة جديدة في تصنيف الشعر الجاهلي على أساس النظرية الجديدة التي نسجلها في مدخل هذه المجموعة الأولى من «الروائع» .

* * *

هذه محاولة حاولناها تضافرت عليها جهود الزملاء من أعضاء لجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة ، عكفوا عليها جادين مخلصين متمثلين الهدف الذي وضعناه نُصَّبَ أعيننا ونحن ندرس هذا المشروع ، ونحدد خطوات العمل فيه ، وفي أعماق كل منهم جذوة تتوقد من نار حماسة لا تنطفئ لتحقيق الأمل الكبير الذي عاشت اللجنة عليه الليالي ذوات العدد ، وما زالت تعيش عليه لإنجاز الأجزاء التسعة الباقية التي ستشكل حين تكتمل أكبر وأدق مجموعة من مجموعات الاختيارات عرفها تاريخنا الأدبي ، وفي غير مبالغة على امتداد عصوره أيضا .

وراء جهود هؤلاء الزملاء ، يقف جهد زميلة كريمة لم تأنس وسعا في تهيئة كل ظروف العمل للجنة ، ولم تفض بوقت ولا جهد في سبيل إنجاح عملها ، وهي السيدة عائشة أحمد عبد الرحمن سكرتيرة اللجنة التي نعثر بها ، ونقدم لها الشكر صادقا على جهودها المخلصة الصادقة .

* * *

والله نسأل أن يمدنا بعونه لتحقيق هذا الأمل الكبير ، وأن يسدد خطانا على طريق هذا العمل الضخم ، حتى نستكمل إضاءة المشاعل الجديدة التي نتمنى إضاءتها في جنبات مجتمعنا الثقافي ، وأن يجنبنا الزلل ، ويأعد بيننا وبين فتنة القول وفتنة العمل ، وآلا يجعلنا ممن ينطبق عليهم قول المتنبي العظيم :

وَأَتَعَبُ خَلَقَ اللَّهُ مَنْ زَادَ هَمُّهُ وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَبِيهِ النَّفْسُ وَجَدَهُ

* * *

يوسف خليف

مقرر اللجنة

القاهرة في

٢١ من سبتمبر ١٩٨٢

مدخل إلى الروائع
الحياة الأدبية في العصر الجاهلي
للدكتور يوسف غلب

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

ليس من اليسير أن نحدد بداية العصر الجاهلي الأدبي بصورة يقينية ، فليس بين أيدينا وثائق تاريخية أو أدبية تحدد هذه البداية الغامضة . وقد ذهب الجاحظ إلى تحديد هذه البداية بقرن ونصف قرن ، أو — على أبعد تقدير — بقرنين قبل ظهور الإسلام : « أما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله ، وسهل الطريق إليه ، امرؤ القيس بن حجر ومهلل بن ربيعة . » فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمئتي عام . ولكن الجاحظ — في الحقيقة — لم يحدد أولية الشعر العربي ، وإنما حدد أولية القصيدة العربية . وهو تحديد جعله يرجع بهذه الأولوية إلى امرئ القيس والمهلل اللذين يمثلان بداية ظهور القصيدة العربية ، ولكنهما لا يمثلان بداية ظهور الشعر العربي . وذلك لأن النصوص التي وصلت إلينا من هذه المرحلة من تاريخ الشعر العربي تمثل بناءً مكتملاً للقصيدة العربية ، وصورة ناضجة من الناحية الفنية نضجا يلفت النظر إلى أنه ليس من اليسير أن تكون هذه البداية الناضجة المكتملة هي البداية الأولى للشعر العربي ، وإنما لابد أن تكون قد سبقتها محاولات وتجارب قام بها رواد أوائل وطلائع مبكرة من شعراء ضلت في الطريق إلينا أسماءهم ، أو — على الأقل —

أسماء كثير منهم ، كما ضلت محاولاتهم وتجاربهم أو — على الأقل — كثير منها .
أما ما يرويه الرواة عما قبل هذا التاريخ من نصوص وروايات فلا يعدو أن يكون
مجموعة من الروايات والنصوص يحيط بها الشك والالتام ، وإن كنا نستطيع من
خلالها أن نمثل صورة — وإن تكن غير واضحة تماما — لما نستطيع أن نطلق عليه
« عصر ما قبل التاريخ الأدبي » .

والباحثون مختلفون حول طبيعة هذه التجارب والمحاولات المبكرة اختلافا
نستطيع أن نقين من ورائه نظريتين أساسيتين تحاولان تصوّر الخطوة الأولى التي
بدأ بها الشعر حركته على طريقه الفنى الطويل : نظرية قديمة ذهب إليها النقاد
العرب القدماء منذ عصر التدوين ، ونظرية حديثة يذهب إليها بعض المستشرقين ،
ويتابعهم فيها بعض الباحثين المعاصرين من العرب .

أما النظرية القديمة فتذهب إلى أن الشعر العربي بدأ رحلته في صورة
مقطوعات قصيرة أو أبيات قليلة العدد ، يرتجلها الشاعر في مناسبات طارئة
ليعبر بها عن انطباعات سريعة مؤقتة ، ثم أخذ الشعراء يطيلون في مقطوعاتهم ،
ويزيدون من عدد أبياتها ، حتى تكاملت لهم القصيدة في صورتها المعروفة على
يد المهلهل أيام حرب البسوس . وهى نظرية سجلها ابن سلام في مقدمة كتابه
« طبقات فحول الشعراء » ، وتابعه فيها ابن قنينة في مقدمة « الشعر والشعراء » .
وفى المصادر العربية القديمة إشارات إلى هذه المرحلة المبكرة حين يتحدثون عن
« قديم الشعر الصحيح » أو عن « أوائل الشعراء » .

وأما النظرية الحديثة فتذهب إلى أن الرجز كان الصورة الأولى التي بدأ بها
الشعر العربي رحلته . ويؤيد ذلك أن هذا الوزن الشعرى هو الصورة الموسيقية
الشعبية التي كانت تتردد على ألسنة الشعب العربي القديم في كل مجالات الحياة

اليومية، وأن التراث الشعبي الذي لاحصر له يرجع إلى عصر ما قبل التاريخ الأدبي المعروف ، عصر ظهور القصيدة . وهي نظرية يطمئن إليها بروكلمان اطمئنانا شديدا ، وفي رأيه أن الرجز ظهر متطورا من السجع الذي يؤكد أنه أقدم القوالب الفنية التي عرفها العرب منذ أقدم عصورهم . وربما كانت هذه النظرية — على الرغم من أن بعض الباحثين لا يطمئنون إليها ويرون أنها مجرد فرض — هي التي نستطيع أن نرى فيها أساسا صالحا لحل المشكلة ، ونقتض منها قاعدة سليمة لتصور الموقف والاقتراب من الحقيقة الضائعة . وذلك لأن النظرية القديمة لا تقدم حلا للمشكلة ، وإنما تظل المشكلة معها قائمة ، ويظل السؤال واردا : كيف كانت البداية التي مهدت لهذه المرحلة ، وحققت لشعرائها هذا المستوى الفني الذي يتجلى في المقطوعة ؟ وكيف استقامت لهم هذه الصورة الدقيقة من اصطناع الوزن والقافية ؟ أو — بعبارة أخرى — كيف توصلوا إلى فكرة البيت ؟

بدأ الشعر العربي رجزا متطورا — في أغلب الظن — من السجع ، وساعدت سهولة هذا البحر ، وقرب متناوله من الشعراء ، وطواعيته لتشكيلات موسيقية متعددة ، على اتساع مجالاته في المجتمع الجاهلي القديم . ثم أخذت تتولد منه أوزان أخرى ، هي — في أغلب الظن — أوزان البحور الصافية أحادية التفعيلة . وعلى هذه الأوزان أجرى الرواد تجاربهم الأولى التي انتهت بظهور فكرة « البيت » التي مهدت بدورها لظهور المقطوعة وظهور أوزان أخرى . ثم ظهرت بعد ذلك — خضوعا لسنة التطور الطبيعية — القصيدة الطويلة عند المهلهل ومعاصريه من شعراء خرب البسوس .

ومع ذلك فإننا لآنملك أن نقول : هذه هي الحقيقة التاريخية التي لاشك فيها ، وإنما كل ما نملكه هو أن نقول : لعلها الحقيقة . وذلك لأن الحقيقة التاريخية لا تثبت إلا نصوص يقينية أو وثائق ثابتة ، أما الفروض والاحتمالات فلا تكفى — بل لا تصلح — لإثباتها . وقديما قال عمر بن شبة تلميذ محمد بن سلام « للشعر والشعراء أول لا يوقف عليه » ، وحديثا قال بروكلمان « لا تستطيع رواية مأثورة أن تقدم لنا خبرا صحيحا عن أولية الشعر » .

وعلى أساس هذا الفرض نستطيع أن نتصور أن الشعر العربي مر في بداية رحلته بثلاث مراحل : مرحلة الرجز التي تمثل عصر ما قبل التاريخ الأدبي ، ثم مرحلة المقطوعة التي تمثل بداية عصر التاريخ الأدبي على الرغم من كثرة ما يحيط بنصوصها من شك واتهام ، ثم مرحلة القصيدة التي تمثل البداية الثابتة اليقينية لعصر التاريخ الأدبي الصحيح حيث تكاملت الصورة الأولى للشعر العربي ، واستقامت له موسيقاه العروضية ونظام القافية فيه ، واستقرت له أصوله وتقاليدته الفنية . وهي المرحلة التي ذهب الجاحظ إلى أنها هي البداية ، ورجع بها إلى قرن ونصف قرن أو — على أبعد تقدير — إلى قرنين قبل ظهور الإسلام . وهو تاريخ يعود بنا إلى حدث ضخم شهدته الجزيرة العربية في هذه المرحلة من تاريخها القديم ، وكان له أثره البعيد في حياتها الاجتماعية والأدبية ، وهو حرب البسوس التي دارت رحاها في أواخر القرن الخامس الميلادي وأوائل السادس بين قبيلتي بكر وتغلب ، والتي استمرت — فيما يقول الرواة — أربعين سنة . فهذه الحرب هي التي أظهرت تلك الطليعة المبدعة من الشعراء المعاصرين لها الذين تطورت المقطوعة على أيديهم إلى قصيدة طويلة ، من أمثال المهلهل والحارث بن عباد والفنند الزماني وجليلة البكرية وغيرهم من الرواد الأوائل الذين يتردد ذكركم في أخبار

هذه الحرب ، والذين تلقى عنهم شعراء الجليل التالى لهم : امرؤ القيس وعبيد وطرفة وأمثالهم النماذج الفنية التى خلفوها لهم فراحوا يطوروها حتى استوت لهم القصيدة العربية فى صورتها الناضجة المكتملة التقاليد التى نراها فى القرن الأخير الذى سبق ظهور الإسلام .

وساعد على اكتمال هذه الصورة ونضجها ظهور لغة أدبية توحدت فيها لهجات القبائل المحلية ، واختفت منها الفروق اللغوية التى تعددت بسببها هذه اللهجات ، وكانت بهذا صالحة لتكون لغة فنية للشعراء من شتى القبائل يصطنعونها فى شعرهم متساهلين بها على لهجاتهم المحلية . وكان هذا بدوره إيذاناً بظهور « الفصحى » ، وإرهاصاً لغويا لنزول القرآن الكريم بها .

(٢)

ويختلف المستشرقون حول هذه اللغة الأدبية الموحدة اختلافاً بعيد المدى . وفى محاولة للوصول إلى حقيقتها يطوف نولدكه وجويدى ونالينو وهارتمان وفولرز وبروكلمان وبلاشير خلف القبائل العربية من أقصى الجزيرة إلى أقصاها بحثاً عن هذه اللغة : إلى أى قبيلة تنتمى أو إلى أى مجموعة من القبائل ؟ وهو تطواف انتهى بهم إلى تيه تحقيق تشابهت فيه معالم الطريق فتاهت خطاهم فوقه ، وتاهت وراءهم خطى من تابعهم من الباحثين العرب .

وفى ظنى أن اللغويين العرب القدماء كانوا أقرب إلى الحقيقة من هؤلاء المستشرقين ، وكانوا أدق تمثلاً لها ، فقد اتفق هؤلاء اللغويون على أن هذه اللغة هى لغة قريش التى نزل بها القرآن الكريم ، وعلموا لذلك بأنها « أنصح اللغات العربية وأصرحها لبعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتها » .

ومع ذلك ففي ظني أن هذه النظرية العربية القديمة — على دقتها وقربها من الحقيقة — في حاجة إلى شيء من التعديل حتى تكون أدق تعبيراً عن الواقع اللغوي الذي تمثله نصوص الشعر الجاهلي في هذه المرحلة من تاريخ العربية ، وأهم من ذلك الذي تمثله لغة القرآن الكريم . فليست هذه العربية الفصحى — في رأيي — هي لغة قريش خالصة من أي تأثير لهجي آخر ، ولكنها لغة قريش بعد أن استوعبت بعض الظواهر اللغوية من لهجات القبائل الأخرى . وأخضعتها لعملية تنقية لغوية ضخمة ذابت فيها الفروق اللهجية الموجودة في لهجات هذه القبائل ، وخضعت جميعها لمقاييس الفصاحة القرشية التي كانت المثل الأعلى للفصاحة العربية في هذا العصر . وهو ما يشير إليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم حين يتحدث عن فصاحته ويفتخر بأنها ميراث من قريش « أنا أفصح العرب بيّذ أني من قريش » . وقد نجد تأييداً لهذا التعديل في النظرية القديمة فيما يقرره العلماء من أن في القرآن خمسين لغة من لغات القبائل العربية .

ولم تكن هذه العملية اللغوية الضخمة إلا نتيجة طبيعية لمجموعة من الظروف الدينية والسياسية والاقتصادية أتاحت لمكة الفرصة لتقوم بدورها البطولي في تاريخ الجزيرة العربية مما هباً للفتها أن تصبح هي هذه اللغة الأدبية الموحدة .

كانت مكة — منذ أن رفع إبراهيمُ القواعد من البيت وإسماعيلُ — المركز الديني الأول في الجزيرة العربية ، سواء في عصر الحنيفية التي دعا إليها النبيان الكريمان أو في عصر الوثنية منذ أن حمل إليها عمرو بن لُحَي كاهن خزاعة الأصنام لينصبها في الكعبة ومن حولها . وعلى امتداد هذا التاريخ الطويل ظلت مكة مهوى أفئدة العرب من شتى أرجاء الجزيرة ، وظلت مركز الإشعاع الديني عند كل القبائل العربية الشمالية والجنوبية على السواء . وزاد من ارتفاع هذه المكانة

ما كان من عجز أبرهة قائد الجيش الحبشي عن دخولها في عام الفيل فيما بين سنتي ٥٧٠ ، ٥٧١ في أيام عبد المطلب ، وارتداده دونها مع فلول جيشه بعد أن تعرضت حملته لظروف قاسية بددت جيشه وجعلته - كما يقول القرآن الكريم - « كعصف مأكول » . ومنذ هذا التاريخ أثبت البيت الحرام أن له ربا يحميه ، فارتفع شأن مكة ، وزادت قداستها في نفوس العرب الذين اتخذوا من هذه الغزوة معلما في تاريخهم يؤرخون به ، وأصبحت هي المدينة الأولى في جزيرتهم التي تتركز في أيديها مقاليد الدين والسياسة ، والرمز الخالد لحرية الجزيرة واستقلالها وقدرتها على الوقوف في وجه الغزاة الطامعين فيها .

ونتيجة لوقوع مكة - جغرافيا - في منتصف الطريق التجاري بين الشام واليمن ، وفي نهاية الطريق التجاري القادم من الحيرة ، مما أتاح لها وضعها اقتصاديا متميزا تحولت معه إلى المدينة التجارية الأولى في الجزيرة كلها ، ونتيجة لظهور طبقة من كبار التجار من أصحاب الملايين فيها يتحكمون في اقتصاد الجزيرة كلها ، ويمسكون في أيديهم بأزمة الحياة الاقتصادية فيها ، قامت حول مكة مجموعة من الأسواق تلتقي عندها القوافل التجارية ، ويتجمع فيها تجار الجزيرة من شتى القبائل ، وبخاصة في مواسم الحج حيث تغد القبائل من شتى الأرجاء لأداء الشعائر الدينية لأصنامها المنصوبة في الكعبة أو حولها . وفي هذه الأسواق كانت تتم عملية تبادل لغوى ضخمة ، وبخاصة في سوق عكاظ التي كانت تعول في مواسم الحج إلى مهرجان أدبي كبير يشبه مهرجانات الإغريق في أعياد آلهتهم ، يتبارى فيه شعراء القبائل وخطبائها ، ويجلس فيه حكام من كبار الشعراء ليحكموا بين المتبارين ويقوموا بإنتاجهم الأدبي ، مما أتاح الفرصة وهيا الظروف للتقريب بين لهجات القبائل وظهور هذه اللغة الأدبية الموحدة .

وزاد من تعلق العرب بمكة ، وارتباطهم الروحي بها ، ما كانوا يرونه من تغافل المسيحية واليهودية في بعض المناطق من جزيرتهم . وهو تغافل كانت القبائل العربية تنظر إليه في شيء من الريبة لأنه يأتي من قبيل عناصر أجنبية غريبة عنهم ، فارتبطت هاتان الديانتان في أذهانهم بأفكار سياسية ، وكأنما استشعروا وراءهما محاولات للتغافل السياسي ، ومدّ النفوذ الأجنبي الذي كان يحيط بهم من الشرق حيث النفوذ الفارسي في الحيرة ، ومن الشمال حيث النفوذ البيزنطي في الشام ، ومن الجنوب حيث النفوذ الحبشي في اليمن . ومن هنا كان فزعهم إلى المنطقة الغربية التي ظلت بمنأى عن هذا النفوذ الأجنبي ، حيث مكة حامية الوثنية التي كانوا ينظرون إليها على أنها دياتهم المحمية التي تفتحت عليها حيونهم كما تفتحت عليها من قبل عيون بائهم وأجدادهم الأولين .

وهكذا أتيج لمكة منذ أواخر القرن الخامس أسباب متعددة أتاح لها أن تحتل مكان الصدارة في المجتمع الجاهلي ؛ وهيأت للغتها أن تصبح اللغة الأدبية الموحدة التي فرضت نفسها على المجتمع الأدبي في الشمال ، ومدت نفوذها إلى مجتمع الجنوب ، فاتخذها الشعراء من شتى القبائل وفي مختلف أرجاء الجزيرة لغة لشعرهم متسامين بها على لهجاتهم المحلية التي ظلوا يتكلمون بها في حياتهم العامة في قبائلهم ، وكأنما عرفت الجزيرة العربية في هذه المرحلة من تاريخها ظاهرة « ازدواج لغوي » ، فالشعراء يتكلمون في مجتمعاتهم القبلية ولهجاتهم المحلية ، ولكنهم يصطبغون في المجتمع الأدبي لغة أخرى ، هي هذه اللغة الأدبية الموحدة ، أو هذه العربية الفصحى التي كان ظهورها إرهادا لنزول القرآن الكريم بها . ولعل في ذلك ما يجعل نظرية الانتقال في الشعر الجاهلي التي بالغ فيها بعض الباحثين اعتمادا على أنه لا يمثل لهجات القبائل تتراجع إلى وضعها الصحيح .

فالشعر الجاهلي — وبخاصة عند الشعراء الكبار الذين استقطبوا من حولهم الحياة الأدبية — لم تظهر فيه لهجات القبائل لأنه نظم في هذه اللغة الأدبية الموحدة التي اختفت منها هذه اللهجات .

(٣)

ظهر الشعر العربي أول ما ظهر في صورته الناضجة المكتملة في القرن الخامس الميلادي في عصر البسوس عند تلك الطلائع المبدعة من شعراء هذه الحرب . ومضت القصيدة العربية بعد ذلك في تطورها الفنى ، وشهد القرنان الخامس والسادس حركة تطور وازدهار ضخمة نهض بها كبار الشعراء الذين ظهوروا في فترة ما بين هذه الحرب وحرب داحس والغبراء من أمثال امرئ القيس وعلقمة وعبيد وطرفة والمرقشين الأكبر والأصغر الذين عملوا على إرساء البناء الفنى الثابت للقصيدة العربية ، وتأصيل قواعدها وتقاليدها ومقوماتها الفنية ، وأخذت هذه القصيدة على أيديهم صورتها التقليدية التي استقرت عليها على امتداد العصر الكلاسيكي في تاريخ الشعر العربي ، فهم الذين أعطوها شكلها الفنى كما أعطوها مضمونها الموضوعى : فهي تبدأ عادة بمقدمة أكثر ما تكون طلبية ، يصف فيها الشاعر الأطلال وصاحبة الأطلال ، ويستعيد ذكرياته فيها ، ويصور مشاعر الحب والوفاء التي يحملها لها في قلبه ، ويسجل أحزانه ولوعته التي خلفتها له بعد رحيلها ، ويرسم صورا صادقة لوحشة هذه الأطلال بعد أن كانت عاصرة بأهلها . ثم يخرج من ذلك إلى وصف رحلته أو رحلة صاحبه في أعماق الصحراء لتسليه همومه أو لانتقال صاحبه إلى منطقة جديدة تتوافر فيها فرص الحياة ، متخذاً من وصف الناقة جسراً يعبر عليه من شاطئ الحب إلى شاطئ الصحراء ، ثم يقف أمام

الصحراء الفسيحة المترامية إلى ما لانهاية يرسم صورا أخاذة لمناظرها الطبيعية ومياهها الآجنة وحيوانها الشارد في أفاقها البعيدة وما يدور من صراع بينه وبين الصيادين الخارجين في طلبه من أجل العيش والحياة وإطعام الصغار الجائعين الذين خلفهم وراءه مع أنهم ينتظرون عودته بما يرد عنهم جوعهم ، أو من أجل اللهو والمتعة والتسلية وإطعام الرفاق الخارجين لترجية أوقات الفراغ في الصيد والطرود . حتى إذا ما قضى حقوق الصحراء مضى إلى موضوع قصيدته الأساسى فوفاء حقه من القول ، وبه يتختم قصيدته ، وفي بعض الأحيان يسترسل في طائفة من الحكم يسجل فيها خلاصة تجاربه في الحياة ، ويتختم بها قصيدته .

هذه هي الصورة العامة التي رسم خطوطها العريضة شعراء هذه المرحلة الكبار والتي استقرت عليها القصيدة العربية على امتداد فترة طويلة من حياتها ، وبخاصة القصائد الطوال التي يفرغ الشاعر لها ويوفر لها جهده الفنى حتى يحقق لها المقومات والتقاليد الأصيلة التي اصطلح عليها الشعراء في هذا العصر . وبطبيعة الحال لم تكن هذه الصورة منهجا ملتما عند كل الشعراء ، فقد اختلفت مواقفهم منها من حيث التزامها أو التحال منها أو التغيير فيها تبعا لاختلاف شخصياتهم ومواهبهم وموضوعات قصائدهم . كما اختلفت أيضا صور المقدمات التي اصطلح هؤلاء الشعراء على أن تبدأ القصيدة العربية بها ، فإلى جانب مقدمات الأطلال ظهرت مقدمات غزلية يصف فيها الشاعر صاحبتة ، ويتغنى بجمالها ، ويصور حبه لها وشوقه إليها وحنينه إلى الذكريات السعيدة التي عاشها معها . وظهرت مقدمات الظعن التي يصف الشاعر فيها رحلة صاحبتة في انتقالها مع أهلها إلى موطنهم الجديد ، وما تركته وراءها من أحزان وأشواق للعاشق الذي يرقب القافلة الراحلة من خلال دموعه وحسراته . وظهرت مقدمات تتحدث عن الشيب وتتحسر

على الشباب الضائع . وظهرت مقدمات تصف زيارة طيف الحبيبة لصاحبها في أحلامه لتعيده إلى ماضيه البعيد ، وتجدد ذكرياته التي طوتها أيام الفراق . وظهرت مقدمات يتغنى فيها الشاعر بفروسيته ومروءته ومغامراته في الحياة ليقدمها قرايين حب ووفاء لصاحبه التي يعيش لها ويعمل من أجل سعادتها . وظهرت أيضا مقدمات تصف الخمر ومجالسها وساقياتها الجميلات .

(٤)

نشأ الشعر الجاهلي ونما وازدهر في ظل حياة قبلية قائمة على أساس « عقد اجتماعي » ينظم العلاقات بين أفراد القبيلة الذين كان عليهم أن يلتزموا به التزاما دقيقا . وقد عرف هذا العقد في تاريخ المجتمع العربي القديم بالعصبية التي كان تعني التضامن التام بين الفرد والجماعة في الحقوق والواجبات ، انطلاقا من إيمان القبيلة بوحدة الدم التي تجمع بين أفرادها جميعا ، فلم تكن القبيلة التي كانت وحدة المجتمع الجاهلي سوى أسرة كبيرة تضم أجيالا متعاقبة تنتهي جميعها إلى أب واحد منه تفرعت بطونها وعشاؤها ، ويجرى في عروقها دم مشترك توارثته أجيالها عن هذا الأب الذي يرجع إليه أصل القبيلة . وفي ظل هذه العصبية تعارفت القبائل على مجموعة من التقاليد تشكل « دستورا » عرفيا ينظم العلاقات بين أفرادها ، أساسه هذا « العقد الاجتماعي » الذي يفرض على كل فرد أن يكون مسئولاً عن قبيلته ، كما يفرض على القبيلة أن تكون مسئولة عن كل فرد من أفرادها . فأنشأ القبيلة جميعا متضامنون تضامنا اجتماعيا أمام كل مشكلة تعترض أحدهم ، يعصبونها برأس سيدهم ، ويتركون له حرية التصرف فيها في نطاق هذا الدستور القبلي بما يحفظ وحدتها الاجتماعية . وهو تضامن عبر عنه المثل

العربي القديم « في الجريرة تشترك العشيرة » ، كما عبر عنه قولهم « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » ، وصوره في صورة واضحة محددة الشاعر دُرَيْد بن الصَّمَّة في بيته المشهور :

وهل أنا إلا من غَيْرِيَّة ، إن غَوَتْ غَوَيْتُ ، وإن تَرَشَّدَ غَيْرِيَّةُ أُرْشِدِ

ولم يكن الشعراء إلا أفراداً من هذا المجتمع القبلي الذي يؤمن بهذا العقد ، عليهم أن يلتزموا به ، وأن يمارسوا حياتهم وفقاً لتقاليده وأعرافه ، شأنهم في ذلك شأن سائر أفراد مجتمعاتهم ، ولكن عليهم — فوق ذلك — أن يقفوا عليه فهم ، وأن يكونوا دائماً « مجندين تحت السلاح » في خدمته ، يؤدون « ضريبة الدفاع » عن القبيلة إشادة بأجادها ، وإذاعة لمفانحها ، ودفاعاً عن كرامتها وشرفها ، وذوداً عن حماها وحرمتها ، ثم حطاً من شأن أهدائها ، وهجاء لهم ينشر مخازيهم في المحافل وبين القبائل . وكان من نتيجة ذلك أن قام بين الشاعر وقبيلته « عقد فني » يفرض عليه ألا يتحدث عن نفسه في شعره إلا بقدر محدود وفي نطاق ضيق ، ليفرغ لقبيلته ، يتحدث باسمها ، ويجعل من شعره سجلاً لحياتها ، ومن لسانه لساناً لها ، يعبر عن آمالها وآلامها ، ويسجل الخطوط العامة لسياستها ، ويعلن على الملأ أهدافها وغاياتها . وفي مقابل ذلك تمنحه القبيلة لقب « شاعرها » . فتتحمس لشعره ، وتتعصب له ، وتحرص على حفظه وروايته وإذاعته في كل مقام . ومن هنا كانت منزلة الشاعر في قبيلته منزلة رفيعة لا تقل عن منزلة الفارس فيها ، فسكلاهما « جندي عامل » في جيشها ، يشارك في الهجوم والدفاع في ساحات القتال ، « ومجنّد تحت السلاح » في أوقات السلام ، وقديماً قال شاعرهم : « وجرّح اللسان بكروح اليد » . ولذلك كان من أرفع ألقاب التمجيد ، وأسمى أوسمة الشرف ، التي تمنحها القبيلة لأحد أبنائها أن تجلّع عليه لقب « شاعر »

فارس» ، لأنه بهذا يكون قد جمع أهم مهمتين تحتاج إليهما القبيلة من أبنائها . وكانت النتيجة الفنية لهذا « العقد الفنى » أن ظهرت تلك الطائفة من الشعراء الذين أطلق عليهم « شعراء القبائل » ، والذين كانوا يشكلون الغالبية المطلقة من شعراء العصر الجاهلي . وقد طبع هؤلاء الشعراء شعر هذا العصر بطابع قبليٍّ مميّزه من الشعر العربى فى سائر عصوره ومختلف بيئاته بعد ذلك ، اختفت منه النزعة الذاتية لتحل محلها النزعة الجماعية ، وذابت منه الشخصية الفردية لتظهر بدلا منها الشخصية القبلية . وظهر ضمير الجماعة « نحن » مكان ضمير الفرد « أنا » ، وأصبحت الألوان التى يرسم بها الشاعر لوحاته الفنية مشتقة من حياة قبيلته لا من حياته الشخصية ، وصارت « صناديق أصباغه » مستعارة من قبيلته وليست صادرة عن نفسه ، وأصبحت « ريشته » التى يلون بها لوحاته ملكا للقبيلة كلها وليست ملكا له وحده . ولعل هذا هو الذى كان يجعل القبيلة — إذا نبغ فيها شاعر — تعيش عيدا من أعيادها أو عرسا من أعراسها ، فتمد الولائم ، وتقدم الأطعمة ، وتقام حفلات الغناء والرقص والموسيقى ، وتجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، ويتبادل أفراد القبيلة التهنئة ، وتفد عليهم وفود القبائل تهنئهم وتشاركهم فرحتهم . وقديما قال النقاد العرب إن القبيلة لم تكن تغمها الفرحة إلا فى ثلاث مناسبات : إذا ولد فيها غلام ، أو نُجِجت فيها فرس ، أو نبغ فيها شاعر . وذلك لأن الثلاثة يمثلون « الثالوث المقدس » الذى تقوم عليه حياتها : بطلها المشتجر ، وفارسها المنشود ، ووسيلة إعلامها .

عاش « شاعر القبيلة » فى ظلال قبيلته ، يدور فى فلكها ، ويسير فى ركابها ، ويشد فنه إلى عجلتها ، ويربطه بأحداثها : يدافع عنها ويمجسها للقتال إذا ما دعا داعى الحرب ، ويسجل انتصاراتها إذا انتصرت ، ويهون عليها الهزيمة ويهينها

لمعركة النار إذا انهزمت ، ويرثى قتلها ، ويمجد أبطالها ، ويهجو أعداءها ، ويعيرهم الهزيمة إذا هزموا ، ويهددهم ويتوعددهم إذا انتصروا . وهو حين يفتخر يفتخر بها ، وحين يهجو يهجو أعداءها ، وحين يمدح يمدح سادتها أو سادة القبائل التي وقفت معها وانتصرت لها ، وهو — في أثناء ذلك — ينسى نفسه ولا يفكر في أن يصدر عنها ، فكل همه أن تكون قبيلته أمامه دائما يصدر عنها ، ويستق معانيه منها ، حتى عندما تقتضيه مجالات القول أن يفرغ لنفسه في شعره ، فإنه يظل دائما دائرا في فلك القبيلة ، لا يكاد يفرد قصيدة خالصة لتصوير عاطفة من عواطفه الشخصية ، أو نزعة من نزعاته الفردية ، ولكنه يذكر ذلك — إذا ذكره — في أثناء حديثه عن قبيلته ، فهو يتغزل في مستهل قصائده القبلية ، ويذكر لهوه بالمرأة وشربه الخمر ومقامرته في أثناء نغره بشجاعته وفروسيته ومروءته التي يضعها كلها في خدمة قبيلته . وهو يصف ناقته أو فرسه أو ما يراه في رحلاته من حيوان الصحراء أو من مشاهداتها الطبيعية في أثناء الحديث عن قبيلته ، وهو إذا ذكر رأيا له في الحياة أو الموت ، أو سجل حكمة أو تجربة استخلصها من مجارب حياته ، ذكر ذلك عرضا أو في نهاية قصيدته بعد أن يفرغ من الوفاء بحقوق القبيلة عليه . ولعل هذا هو الذي جعل النقاد العرب يقولون بحق إن الشعر « ديوان العرب » ، لأنه — في الحقيقة — يتجلى تأوينهم للسياسي والاجتماعي ، ولذلك يعد مصدرا تاريخيا كبير الأهمية اعتمد عليه المؤرخون العرب في جمع مادتهم التاريخية .

ولعل أشهر مثل لهذه النزعة القبلية معلقة عمرو بن كلثوم شاعر تغلب ، فهو يستهلها بمقدمة ذاتية يختلط فيها الغزل بحديث الخمر ، ولكنه سرعان ما يدير وجهه عن صاحبته ونمراها ليتحدث عن قومه حديثا ينسى فيه نفسه نسيانا تاما ، حتى ليخفى

من أبياتها التي تقترب من المأساة ضمير المتكلم المفرد ، فلا يظهر إلا في شطر واحد من أحد أبياتها ، ليسيطر عليها كلها ضمير الجماعة . وهو في حديثه عن قبيلته يبالغ في تمجيدها مبالغته شديدة تصل به أحيانا إلى حد الإحالة ، حين يجعل الدنيا ومن عليها ملكا لهم ، ويجعل الجبابرة العتاة يخرون سجدا لرضيعهم إذا بلغ الفطام ، ويجعل البر والبحر يضيقان برجالهم وسفنهم . ولعل ذلك هو الذي جعل قبيلته تفتن بها فتنة شديدة دفعت شاعرا من خصومها إلى السخرية منها :

أَلْهَىٰ بَنِي تَغْلِبٍ عَنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

(٥)

ولكن هذا الصوت القبلي — على ارتفاعه وضججه ودويّه — لم يكن الصوت الوحيد الذي علا في الساحة الفنية ، ولم يكن « العقد الفنى » ملزما — على إطلاقه — لكل الشعراء على طول الطريق الذى سلكوه في حياتهم الفنية ، وإنما كان هناك « صوت ذاتى » يتردد من حين إلى حين في زحمة هذه الالتزامات القبلية ، يعزفه حتى شعراء القبائل أحيانا على قيثارتهم الخاصة بهم ، يعبرون به عن جوانب حياتهم الخاصة التى لا تشاركهم فيها قبائلهم ، ويتغنون فيه بمشاعرهم وعواطفهم الذاتية التى تنطوى عليها نفوسهم بعيدا عن دنيا القبيلة ، وما تفرضه عليهم من التزامات ، وما تلزمهم به من واجبات ، وما تقضى عليهم من أن يكونوا « وسائل إعلام » لها . وكأنما آمنت هذه الطائفة من « الشعراء الذاتيين » بأن « الفن للفن » لا لخدمة مجتمع القبيلة ، وأن شعراءهم ملك لهم لا تشاركهم فيه قبائلهم ، وأن ريشتهم التى يرسمون بها لوحاتهم خاصة بهم وحدهم ، وليست شركة بينهم وبين القبيلة ، وأن العقد الاجتماعى بينهم وبين قبائلهم يجب

ألا يتعدى حدوده الاجتماعية والسياسية، أما الدائرة الفنية فإنها حى لهم، وليست حى مستباحا للجميع، أو — على الأقل — من حق الشاعر — حتى لو كان شاعرا قريبا — أن يفرغ لنفسه من حين إلى حين ليعبر عن الجانب الذاتى فى حياته .

ولعل أشهر الأمثلة لهذا « الصوت الذاتى » معلقة امرئ القيس ومعلقة طرفة، فكلتا المعلقين تعبير صادق عن الشخصية الفردية بعيدا عن ذلك « العقد الفنى » وما يفرضه من التزامات على شعراء القبائل .

وتمثل معلقة امرئ القيس شخصية شاب أرمستقراطى مترف تتحصر متعته فى الحياة فى شيئين: الحب والصيد . والحب عنده يدفعه إلى المرأة العشيقة أكثر مما يدفعه إلى محبوبة يخلص لها ، بل — فى الحقيقة — يدفعه إلى المرأة العاشقة التى تعشقه وتسعى إليه ، فأكبر همه فى الحياة أن يكون معشوقا بل مدلا من المرأة تستجيب له ولا تستعصى عليه ، وتهنف باسمه الذى يحلو لها أن تردده فى كل مناسبة تعبيرا عما يملأ نفسها من إعجاب وفننة وشغف به . وأما الصيد فيدفعه إلى الإعجاب بجواده وسيلة هذه المتعة، وإلى الفننة بالطبيعة التى يمارس هوايته هذه فى أحضانها . وهو فى معلقته مقبل على الحياة إقبال المحب لها المطمئن إليها، وهو يبدو من خلالها متفائلا شديد التفاؤل ، فلا قلق ولا شكوك ولا تساؤم ولا يأس من الحياة ولا هموم تنغص عليه إحساسه بها ، وأقصى ما يشغله فيها ويدفعه إلى الشكوى منها أن تصد عنه إحدى صاحباته أو تزمع هجره ، ولكن هذه الشكوى سرعان ما تختفى خلف حشد من الذكريات الممتعة السعيدة ، فان صدت واحدة أو أزمعت هجره أخرى فهناك كثيرات غيرهما فى « قائمة الانتظار » .

وأما معلقة طرفة فإنها تعكس شخصية أخرى مختلفة ، شخصية شاب قلق في حياته ، متشائم منها ، شاك فيها وفي المصير الذي ينتظره بعدها ، يدفعه قلقه وتشاؤمه وشككه لا إلى رفض الحياة والزهد فيها ، ولكن إلى التمسك بها والإقبال عليها ، ليستمتع بكل ما يستطيع أن يستمتع به قبل أن يدركه المصير المحتوم الذي لا يعلم عما وراءه شيئا . إن الحياة تقرأى له فرصه لإثبات ذاته وتحقيق وجوده ، ولكنها فرصة قصيرة محدودة يقف الموت على أبوابها قدرا مقدورا لا يستطيع أحد دفعه ، وإذن فالذي يجعله يترك هذه الفرصة تفلت من بين يديه ، وهو لا يعلم شيئا يقينيا عما ينتظره بعدها ؟ إنه لا يرى إلا حقيقة واحدة ، الموت الذي يأتي على غير انتظار ، وعلى غير موعد ، خبط عشواء لا يفرق بين من يستمتع بحياته ومن لا يستمتع بها ، والكل في النهاية سواء . وفي أعماق هذا القلق وهذا الإحساس بالضياع كان أشد ما يحرص عليه في حياته ثلاث متع لا يبالي بعدها متى يدركه هذا المصير ، ولا إلى أين ينتهي به : الخمر والفتوة والمرأة . وهو — إلى جانب ذلك — معتد بفرديته إلى أبعد حد ، ضيق الصدر بقيلته ، يشكو فقره وعجزه عن مساواتهم في الغنى ، ولكنه — مع ذلك — يملك كنزا لا يفنى من الفتوة والنجدة والمروءة .

ولم يكن هذا الصوت الذاتي وقفا على هؤلاء الشعراء الذين آمنوا بفرديتهم فحسب ، وإنما كان يظهر أيضا عند شعراء القبائل . وأكثر ما يظهر عندهم في مقدمات قصائدهم القبلية على اختلاف صور هذه المقدمات . ففي المقدمات المختلفة التي عرفها الشعر الجاهلي يتردد هذا الصوت الذاتي معلنا عن شخصية صاحبه ، معبرا عن عواطفه ومشاعره وانفعالاته الشخصية ، مسجلا جوانب حياته الخاصة وموقفه منها ، وكأنما كان الشاعر يجسد في هذه المقدمات فرصة

يستطيع أن يفرغ فيها لنفسه متخففا من زحمة الالتزامات القبلية وتبعاتها الثقيلة . ولعل في هذا ما يفسر حرص الشعراء الجاهليين على هذه المقدمات ، حتى أصبحت تقليدا ثابتا في القصيدة الجاهلية ، ولحنا مميزا للقصيدة العربية القديمة على امتداد عصورها الكلاسيكية ، فلم تكن هذه المقدمات — في حقيقة أمرها — إلا الفرصة المتاحة للشاعر الجاهلي ليفرغ فيها لذاته قبل أن تجرفه التزامات « المعقد الفني » في تيارات القبلية الصاخبة .

ويظهر هذا الصوت الذاتي أيضا في وصف الرحلة وما يتصل بها من وصف الناقة والصحراء والصيد . وهو قسم في القصيدة الجاهلية يبدو شديد الارتباط بهذه المقدمات ، وكأنه الامتداد الطبيعي لها . ففي هذه الرحلة يجد الشاعر نفسه بعيدا عن القبيلة والتزاماتها ، فينطلق بعيدا عن عالمها الضيق المحدود ليعيش حياته الخاصة التي يمارس فيها هوايته ومتعه في الصيد واللهو والفروسية التي كان قتيان العرب يشغلون بها أوقات فراغهم في حياتهم المتشابهة الرتيبة في الفترات القصيرة التي ترفوف فيها رايات السلام على قبائلهم من بين غبار الأيام الدامية الذي لم يكن ينقشع حتى يثور من جديد ، أو ينطلق بعيدا في أرجاء الصحراء المترامية لينفض فوق رمالها همومه وأحزانه ، وينسى في فضائها اللامتناهى مشكلات حياته بما يراه من مناظرها الطبيعية ، وما يشهده من صراع حول الحياة بين حيوانها الوحشي الشارد في أعماقها والصيادين الفقراء الذين احترقوا الصيد من أجل توفير حاجات الحياة ومطالب العيش لهم ولأولادهم الجياع الذين خلقوهم وراءهم ينتظرون عودتهم .

ولكن الحقيقة أن هذا الصوت الذاتي لم يظهر في الشعر الجاهلي في أقوى صوره إلا عند طائفتين من الشعراء : الشعراء المتيمنين والشعراء الصعاليك ،

وعند الطائفة الثانية ارتفع هذا الصوت إلى أعلى درجاته وأشدّها قوة وإعلانا عن نفسه .

والمتبحرون طائفة من الشعراء العشاق يمشلون هاتجا عفيفا في حبه يدور في إطار يتشابه إلى حد بعيد بالإطار العام الذي دار فيه العذريون الأمويون . وقد أطلق الرواة عليهم هذا الوصف تمييزا لهم من سائر الشعراء العشاق الذين يمثلون اتجاهات أخرى في الشعر العربي ، وربطوا بين كل متيم منهم ومحبوبة له عرف بها ، وأخلص لها ، وعاش حياته راها في محرابها ، موحدا بحبها لا يشرك به حبا آخر : المرقش الأكبر وأسماء ، والمرقش الأصغر وفاطمة ، والنخيل وميلاء ، وعبد الله بن العجلان وهند ، ومالك بن الحنظل وحنظل ، وقيس بن الحداية ونعم ، وعبد الله بن علقمة وحبيشة ، وعمرو بن كعب وعقيلة ، ثم أبعدهم صيتا وأشهرهم ذكرا عنرة وعيلة .

والصورة العامة لهذا الحب توشك أن تكون هي نفسها الصورة العامة للحب العذري ، لا تكاد تختلف بين عاشقين وعاشقين إلا في التفاصيل : شاب يحب فتاة ، أكثر ما تكون ابنة عم له ، وأحيانا تكون من غير قبيلته ، ثم يطلب يدها من أهلها فتقف عقبة من العقبات في طريقه ، وقد يتحقق أمله فيتزوجها ثم تجد عقبات تفرق بينهما ، فيعيش بقية حياته وقد سيطر عليه خيال محبوبته سيطرة لا يملك معها خلاصا أو فكاكا ، واستبد به وهم لا يقف على أرض من الواقع ، وأمل لا أمل في تحقيقه ، وحنين جارف يملأ قلبه أرجاء قلبه ، وأحزان طاحنة تنوء بها نفسه . ووسط هذا الخضم المتلاطم من أمواج الأمل واليأس يحيا العاشق وكأنه ضائع في هذه الحياة ، أو كأنه في حلم عميق مسيطر على مشاعره لا يريد أن يصحو منه ، وفيا لحبه الضائع ، متشبثا بحبوبته التي أثبت الحياة أن تحقق أمله

فيها . ثم تكون النهاية مأساة حزينة في أكثر الأحيان ، نرى العاشق فيها مشردا في الصحراء وقد اضطربت أعصابه واختلط عقله ، أو معتلا مدنفاً أضناه الوجد وأسقمه الحنين . وفي بعض الأحيان تكون النهاية تجلدا من العاشق للصدمة التي تلقاها ، وتماسكا لنفسه بعد ضياع الأمل من بين يديه ، وذكريات بعيدة تعيش في أعماقه حيننا وحزنا ولوعة ودموعا وحسرات ، وأيضا وفاء وإخلاصا للماضي الذي ولّى إلى غير عودة ، حتى يسدل الأجل المكتوب ستار الختام على المأساة الحزينة الباكية .

في شعر هؤلاء المتييمين يرتفع الصوت الذاتي إلى درجة عالية . وعلى قلة ما وصل إلينا من شعرهم فإنه يعرض — في صدق وأمانة — أبعاد المأساة التي عاشها أصحابه ، وما تنطوى عليه من صراع بين الواقع والمثالي ، أو بين الوهم والحقيقة ، ذلك الصراع الحاد العنيف الذي يقف فيه كل عاشق منهم في دوامة من الحيرة والضياع عاجزا أمام سهام الحب التي تنال عليه من كل جانب وهو لا يملك لها دفعا ولا ردا إلا ما يتفجر على لسانه من شكوى حزينة ، واستسلام يائس ، وذكريات تعيش في أعماقه نابضة بالحياة ، وحنين إليها يملأ عليه أقطار نفسه بالحسرة والأمل ، ويملاء جنبات صدره بالزفرات الحارة التي يتنفسها دموعا وعبرات . وقد استطاع هؤلاء المتييمون أن يسجلوا في شعرهم صورة معبرة عن كل ما تموج به نفوسهم من مشاعر وعواطف وانفعالات في عالمهم الخاص بهم الذي صنعوه لأنفسهم بعيدا عن أرض الواقع التي تمارس عليها قبائلهم حياتها ، والتي كانت تشد إليها شعراءها بخيوط متينة أحكم فتالها ذلك العقد الفنى القائم بينها وبينهم . ومن هنا اختفى من شعرهم ذلك الصوت القبلي ، واختفت معه صورة القبيلة ، ليظهر فيه صوتهم الذاتي ، وتظهر معه صورتهم الخاصة . ونتيجة لذلك اختفى من كثير من قصائدهم

ذلك التعدد الموضوعي الذي كان سمة مميزة للقصيدة الجاهلية، وبدت طائفة منها كأنما خلصت للحب ولا شيء غير الحب .

على أن أقوى درجة ارتفع إليها هذا الصوت الذاتي إنما ظهرت عند الشعراء الصعاليك . والصعاليك جماعات من فقراء القبائل الأشداء ضاقت بهم سبل العيش في ظلال قبائلهم لاختلال الأوضاع الاقتصادية فيها ، فتمردوا عليها ، وكفروا بها ، ورفضوا تنفيذ العقد الاجتماعي بينهم وبينها ، وانطلقوا إلى الصحراء يشقون طريقهم في الحياة بقوتهم ، ينهبون ويسلبون ، ويقطعون الطرق على القوافل التجارية التي تسيل بها شعاب الصحراء ، ويغيرون على الأغنياء المترفين وخاصة البخلاء منهم ، ولا يتورعون عن قتل من يعترض طريقهم ، ثم يوزعون ما يغنمون به بينهم وبين المستضعفين من الفقراء الذين يعجزون عن مشاركتهم حركتهم المتمردة ، لا من أبناء قبائلهم وحدها ، ولكن من شتى القبائل ، خارجين بذلك على قانون « العصبية القبلية » الذي يفرض عليهم العمل من أجل قبائلهم وحدها .

وانضمت إلى هؤلاء الفقراء المتمردين جماعات من خلعاء القبائل وشذاذها الذين خلعتهم قبائلهم وطردتهم من حماها ، ورفعتم عنهم حمايتها ، وبسببت منهم « الجفسية القبلية » ، وفسخت العقد الاجتماعي بينها وبينهم ، فأصبحت غير مسئولة عنهم ولا سائلة أيضا ، لا تعترف بانتمائهم إليها ، ولا تنصّر لهم ، ولا تتحمل تبعات تصرفاتهم الفردية ، لأنهم شذوا على إجماعها ، ومثلوا انفصالية فردية في مجتمعها المتضامن في حقوقه وواجباته . ومع الفقراء المتمردين انطلقوا في أرجاء الصحراء « خارجين على القانون » ، هاربين من وجه العدالة ، في محاولة عنيفة لفرض أنفسهم وإثبات وجودهم في مجتمع رفضهم وتحسّل عنهم وقطع بما بينه وبينهم .

وإلى هؤلاء وهؤلاء انضمت جماعات أخرى من العبيد السود ومن المهجناء الذين يرجعون إلى آباء من العرب وأمهات من الإماء، أو — كما كان مجتمعهم يطلق عليهم — «الأغربة» الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم. وهى جماعات كانت تمثل طبقة مضطهدة من طبقات المجتمع الجاهل تعيش على هامشه حياة ذليلة مهينة سلبت كل حقوقها، وفرضت عليها أكثر مما تطبق من واجبات، تعاني من عنصرية متعالية متعصبة للجنس الأبيض الذى يجرى الدم العربى فى عروقه خالصا من كلا طرفيه: الآباء والأمهات، تعصبا أهدرت معه كل حقوق الإنسان وما تحرص عليه من قيم إنسانية وعدالة اجتماعية، فانطلقوا إلى الصحراء فرارا بإنسانيتهم التى أهدرتها الأرستقراطية العربية، ليجدوا فى آفاقها المثالية التى لا تحدها حدود، ولا تقيدتها قيود، مجالا رحبا حرا يحزرون فيه أنفسهم من العبودية التى فرضت عليهم، ويحطمون من فوق رقابهم ومن حول أيديهم وأرجلهم نيران الرق وأغلاله وقيوده، ويحاولون أن يحققوا وجودهم الضائع، ويمارسوا حقهم فى حياة حرة كريمة، وأيضا ليأخذوا بثأرهم من المجتمع الذى أنكر عليهم هذا الحق الطبقى، وكأنها حركة مبكرة لتحرير العبيد.

انطلقت هذه الجماعات المتمردة من الفقراء والخارجين على القانون و«الفهود السود» إلى الصحراء التى لا ترد لاجئا إليها ولا محتما بها، وقد جمع بينهم الفقر والتشرد والتمرد على النظام القبلى العنصرى، والكفر بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التى تسيطر على مجتمعاتهم القبلية، ورأوا ما يلاقيه إخوانهم مستضعفون فى الأرض من ذل وضيء وهوان، فآلوا على أنفسهم أن يثأروا لهم — كما يثأرون لأنفسهم — من مجتمع الذى ظلمهم وتنكر لهم ولم يعترف بحقوقهم، فانثشروا فى أرجاء الصحراء كما تنتشر الذئاب الجائعة ينشرون جوا من

الفرع بين القبائل ، ويثون الرعب في نفوس مترفها ، في محاولة لإيجاد لون من التوازن الاقتصادي ، وصورة من العدالة الاجتماعية ، في مجتمع اختلت موازينه الاقتصادية ، واضطربت مفاهيمه الاجتماعية ، غير مباليين في سبيل ذلك بوسائل تحقيقها : أكانت مشروعة أم غير مشروعة ، فالحق للقوة ، والغاية تبرر الوسيلة . وهي محاولة تحولت عند طائفة منهم كالشَّنْقَرَى وتأبط شرا إلى حركة فوضوية تتحكم فيها نزعة رافضة للمجتمع ، وتوجهها شهوة عارمة للثأر والانتقام ، كما تحولت عند طائفة أخرى على رأسهم عمرو بن الورد أبو الصعاليك — كما كانوا يطلقون عليه — إلى فكرة اشتراكية — من ناحية — تشرك الفقراء في مال الأغنياء ، وتجعل لهم فيه حقا مفروضا يفتصبونه إن لم يؤد إليهم ، كما تحولت — من ناحية أخرى — إلى نزعة إنسانية تحاول تحرير العبيد من اضطهاد العنصرية القبلية التي سلبتهم كل حقوقهم ، وجردهم من كل ما يحفظ عليهم إنسانيتهم .

من هؤلاء الصعاليك ظهر جماعة من الشعراء تحلوا من العقد الفني الذي كان شعراء القبائل ملتزمين به ، فاختنى من شعرهم الإحساس بالشخصية القبلية ، فلم يعد تعبيرا عنها ، وإنما أصبح تعبيرا عن شخصياتهم الفردية المبالغة في فرديتها ، المتطرفة في الإحساس بها ، وصحيفة لسوابقهم ، وسجلا لحياتهم المتمردة ، وإعلانا لمبادئهم الاجتماعية والاقتصادية ، ولسانا معبرا عن حياة مجتمعاتهم الفوضوية الذي صنعوه لأنفسهم بكل ما ينطوى عليه من خير وشر ، وما يدور فيه من صراع رهيب بين الطبقات ، وكفاح مرير في سبيل الحياة ، وما يتردد فيه من دعوة للتخلص من العنصرية والطبقية ، وإعادة للتوازن والعدالة والإنسانية .

ولم من بين هؤلاء الشعراء عمرو بن الورد الداعية الأكبر لمذهبهم ، واللسان الناطق بأرائهم الاجتماعية والاقتصادية ، والمعبر أروع تعبير عن نزعتهم الإنسانية .

والشَّنْفَرَى شيطانهم الرّجيم ، وأقوى من صَبْر عن حياتهم المتمردة العنيفة ، وأدق من صور معركة الشَّار والانتقام المشتعلة بينهم وبين مجتمعهم ، وتأبط شرا الأسطورة الرهيبة التي عاشت في أعماق الصحراء لغزا غامضا كغموضها ، وسرا مجهولا بين أسرارها ، رقيق الوحش الشارد في آفاقها البعيدة ، وصاحب الجن والغيلان الهائمة في دياجيرها المظلمة ، المعرّبة في لياليها الموحشة . والسُّلَيْك ابن السُّلَكة عدّاهم المشهور ، صاحب الغارات البعيدة ، وواحد من فرسان أربعة معدودين كان أبطال الجاهلية وفرسانها وحماة طعائنها يحشون لقاءهم . وحاجز الأزدى « ثعلب الصحراء » السريع العدو ، الكثير الفرار ، الواسع الحيلة ، المراوغ البعيد الدهاء . وغيرهم كثيرون كعمرو بن بَرّاقة ، وقيس ابن الحِدَادِيَّة ، وأبي الطَّمَحَان القَيْنِي ، ومُرّة بن خُلَيْف ، وطائفة غير قليلة من شعراء هَذِيل التي أتاحت لها بيئتها الجبلية الوعرة ، وموقعها الجغرافي على مقربة من مكة قلب الاقتصاد الجاهلي النابض بالمال والثراء ، وعلى مشارف طريق القوافل الأساسى بين الشام واليمن حيث تسيل الشعاب بالقوافل التجارية النشطة في رحلتى الشتاء والصيف ، فيسيل لها لعاب الفقراء الأشداء من أبناء جبالها الوعرة العاتية ، وفرة من الصعاليك من أمثال الأعمى وصخر الغيّ وعمرو ذى الكلب وأبي خراش ، وغيرهم كثير .

وشعر الصعاليك صورة طريفة وفريدة في الشعر الجاهلي ، يختلف عنه اختلافا كبيرا مرجعه الأسامى إلى أنه صورة صادقة لحياة أصحابه ، وتعبير ذاتي عن شخصياتهم ، وانعكاس دقيق لفرديتهم المتطرفة . وهو — ببساطة — يقوم على أساس من عدم الاعتراف بالمقد الفنى القائم بين القبيلة وشعرائها ، فكما تحلل أصحابه في حياتهم من التقاليد الاجتماعية التي كان يخضع لها مجتمعهم ، تحلّوا

كذلك في شعرهم من التقاليد الفنية التي كان الشعر الجاهلي يخضع لها ، تحلوا فيه من الشخصية القبلية ، وأحلوا محلها شخصياتهم الفردية ، وأصبح ضمير الفرد « أنا » أداة للتعبير فيه بدلا من ضمير الجماعة « نحن » الذي كان أداة التعبير عند شعراء القبائل ، وإذا ظهر هذا الضمير عندهم فإنه لا يعبر عن مجتمع القبيلة ، وإنما يعبر عن جماعتهم . وتخلصوا أيضا من اضطراب القصيدة بين موضوعات شتى ، وأقاموا قصائدهم على أساس وحدة موضوعية دقيقة . كما تخلصوا من المقدمات الطويلة ، واستبدلوا بها مقدمات فروسية محورها « حواء الخالدة » ، ولكنها ليست حواء المحبوبة المتدلة التي نعرفها عند سائر الشعراء ، وإنما هي حواء المحبة الحريصة على فارصها ، التي تدعوه إلى الحرص على حياته إن لم يكن من أجل نفسه هو فن أجلها هي . وظهر الأسلوب القصصي وسيلة أساسية للتعبير ، ومقوما أساسيا من مقومات البناء الفني لقصائدهم ، ولعلمهم بهذا من أوائل الشعراء الذين أصلوا للقصصة الشعرية في الأدب العربي ، ولفقوا أنظار الشعراء إليها .

(٦)

كانت القبيلة وحدة الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي ، وكانت القبائل تعيش في هذا العصر حياة بدوية غير مستقرة ، أسامها الحركة الدائبة المستمرة يبحث عن موارد الماء ومنايب الكلاء ، أو — بعبارة أخرى — يبحث عن فرص العيش والحياة . ومن هنا كانت الحركة هي القاعدة التي تقوم عليها حياة القبائل البدوية المنتشرة على امتداد الجزيرة العربية المترامية الأطراف . وعلى أساس هذه القاعدة المتحركة أصبحت فكرة « المدينة » أمرا خارجا عن نطاق العقلية

البدوية ، فاختلفت هذه الفكرة من تصور البدوى ، وحلت محلها فكرة « الحِمْيَ » الذى كان يمثل ما نطلق عليه الآن « الحدود الدولية » التى تحدد لكل قبيلة أرضها ومنازلها ، أو « الوطن » الذى تنزل به ، وتعيش فيه وتنقل على مدار السنة بين أرجائه ، وتتولى أمر حمايته والحفاظ عليه والدفاع عنه . وفيما عدا تلك القرى القليلة المنتثرة حول عيون الماء أو على امتداد السواحل التى تطوق أرض الجزيرة ، وهى قرى استقرت بها الحياة ، وعاشت فيها القبائل حياة على حظ غير قليل من الاستقرار ، سيطرت فكرة « الحِمْيَ » على المجتمع البدوى كله ، وأصبح لكل قبيلة أول لكل تجمع قبل حى خاص بها تمارس حياتها داخل نطاقه متنقلة فى أرجائه الفسيحة المترامية الأطراف ، فى حركة مستمرة على مدار فصول السنة ، خاضعة فى ذلك للظروف الطبيعية المختلفة ، مرتبطة بها ارتباطا مباشرا ، فإذا أجذبت الأرض وحل الجفاف رحلت ، وإذا أخضبت الأرض ونزل المطر استقرت . ومن هنا انحصرت وسائل العيش فى مجتمع البادية فى الرعى والصيد والغزو ، وشئ يسير من التجارة ، والقيام ببعض ما تحتاج إليه القوافل التجارية من أعمال كالحراسة والدلالة وحماية الطريق ، واختلفت منه وسائل العيش الأخرى التى لا تظهر إلا فى المجتمعات المستقرة كالزراعة والصناعة والتجارة فى شكلها الاقتصادى المنظم الدقيق .

وأشهر القرى العربية التى استقرت فيها الحياة مدن الحجاز الثلاث المشهورة : مكة ويثرب والطائف ، وأشهرها مكة التى أطلقوا عليها بحق « أم القري » ، والتى استمدت شهرتها من وجود الكعبة بها ، ومن وقوعها فى منتصف الطريق التجارى الأساسى بين اليمن والشام ، وأيضا من ظهور بئر زمزم الدافقة بالماء الصالح للشرب بها ، والتى لولاها لمأدبت الحياة فى هذه المنطقة المفقرة المجردة التى

تحيط بها جبال الخجاز الوعرة العسيرة من كل جانب ، ولظلت — كما كانت قبلها — واديا غير ذى زرع ، كما وصفها أبو الأنبياء إبراهيم قبل أن تتفجر مياهها العذبة تحت أقدام هاجر وإسماعيل . وقد عمل هذا كله على أن تصبح مكة وطن العرب الروحي ، ومركز الوثنية التي كانت القبائل العربية تدين بها ، وأيضا مركز الحياة الاقتصادية الذي شهد أكبر نشاط تجارى عرفته الجزيرة العربية ، وأكبر تجمع لأرباب المال ورؤوس الأموال عرفه العصر الجاهلي . وبهذا توافرت لمكة مقومات « المدينة » ، وقامت بها شبه حكومة نظامية تمثلت في مجلس « الملأ » الذى كان ينعقد كلما دعت الحاجة في « دار الندوة » القريبة من الكعبة ، والذى كان يمثل السلطة الحاكمة فيها التى تتولى إدارة شؤونها الدينية والاقتصادية والاجتماعية . وهو وضع متميز لم تشهده مدينة أخرى في الجزيرة العربية ، جعل المستشرق « لامنس » يراها « جمهورية تجارية » تشبه في نظامها السياسى وحياتها الاقتصادية مدينة « البندقية » القديمة في إيطاليا . ومع ذلك هاش العرب في هذه المدن الثلاث وفي القرى العربية الأخرى المتناثرة في أرجاء الجزيرة وعلى امتداد سواحلها حياة قبلية لا تختلف عن حياة القبائل البدوية الضاربة في أعماقها إلا في استقرارها .

وإلى جانب هذه المدن والقرى قامت على أطراف الجزيرة العربية إمارتان تمثلان نظاما سياسيا متقدما ، وحياة اجتماعية على قدر كبير من الحضارة : إمارة المناذرة التى قامت على الحدود الشمالية الشرقية للجزيرة في الحيرة خاضعة للنفوذ الفارسي ، وإمارة الغساسنة التى قامت على الحدود الشمالية الغربية في الشام خاضعة للنفوذ البيزنطى . وغير هاتين الإمارتين قامت إمارة ثالثة في شرق نجد ، وهى إمارة كندة التى كان حُجْر أبو امرئ القيس الشاعر آخر ملوكها .

والطريف أن ملوك هذه الإمارات الثلاث كانوا من اليمنيين الذين هاجروا إلى الشمال في أعقاب انهيار الحضارة اليمنية حاملين معهم أفكارا متقدمة عن « الدولة » و « الملكية » و « نظام الحكم » مما عاشوا في ظلاله. قرونا طويلة عبر تاريخ اليمن القديم .

والظاهرة الفنية التي تلفت النظر أن الشعر العربي ظهر وازدهر بين القبائل البدوية ، وبخاصة تلك القبائل التي كانت تنزل في إقليم نجد ، فقد شهد هذا الإقليم أولية هذا الشعر كما شهد تطوره وازدهاره. أما القرى العربية التي استقرت فيها الحياة فلم تشهد إلا نشاطا فنيا محدودا مثلثه قلة من الشعراء ظهوروا فيها من أمثال أمية بن أبي الصلت شاعر الطوائف الكبير ، وبعض شعراء من الأوس والخزرج واليهود في يثرب ، بل إن مكة — وهي أشهر مدينة في الجزيرة العربية كلها — لم تشهد طوال العصر الجاهلي نشاطا أدبيا يلفت النظر ، فقد كانت مشغولة بسدانة الكعبة ورعاية وفود الحجيج الذين يقدون إليها في مواسم الحج ، وحماية الوثنية الجاهلية التي كانت مركزها الأسامي في العصر الجاهلي ، كما كانت غارقة إلى أذنيها في النشاط التجاري الذي كانت تمثل أهم مراكزه وأسواقه في هذا العصر . أما الإمارات فقد شهدت حقا حركات أدبية نشطة ، ولكنها كانت — في أكثر جوانبها — حركات وافدة ، إذ أتاحت لها ظروفها السياسية والحضارية أن تصبح مراكز جذب نشطة لشعراء البادية ، على نحو ما نعرف عن « البلاط الحيرى » الذى كان يروج بشعراء البادية الوافدين عليه من أمثال النابغة الذبياني وحسان بن ثابت ، لانسئفى من ذلك إلا إمارة كندة التي كانت بحكم موقعها الجغرافى في إقليم نجد مركزا من مراكز النشاط الشعرى في هذا العصر ، وفيها لمع امرؤ القيس أبو الشعر الجاهلى دون منازع ، ولمع معه عبيد

ابن الأبرص شاعر بني أسد ، وداعية الثورة ضد آخر ملوكها نجحر ، ولمع معهما شعراء آخرون . ومع ذلك لا نستطيع أن نغفل أولئك الشعراء المتنازين الذين ظهوروا في هذه الإمارات ، ووجهوا الحياة الفنية فيها وجهة تختلف في بعض جوانبها اختلافا جوهريا عن الحياة الفنية في البادية ، من أمثال مدى بن زيد العبَّادى والمُنخَّل الشكرى .

ولعل هذا التوزيع الجغرافي لمراكز النشاط الأدبي في العصر الجاهلي بين البادية والحاضرة هو الذى لفت نظر ابن سلام ليفرد في كتابه « طبقات فحول الشعراء » قسميا مستقلا لشعراء القرى في مقابل شعراء البادية الفحول الذين صنعوا الحياة الفنية في هذا العصر ، وشكلوها وفق مقاييسهم وأصولهم الفنية ، ورسوموا لشعراء عصرهم الآخرين النماذج الفنية التى راحوا يحتذونها ويصوغون شعرهم على مثالها .

ومعنى هذا أن الشعر الجاهلي شعر بدوى قبلى ، نشأ في أحضان البادية في حِمَى القبائل الضاربة فيها نباتا صحراويا أصيلا غرسته هذه القبائل في رمالها ، وعكفت عليه الطلائع المبدعة من أبنائها ترعاه ، وتمد له من أسباب الحياة ما أتاح لها طاقاتها ومواهبها الفنية ، ثم تلقته أيدي القمم الشاعرة من شعرائها تحقق له هذه النهضة الرائعة التى يلاحظها كل من يتتبع حركته الخصبية التى لم تتوقف على امتداد هذا العصر .

(٧)

اكتملت القصيدة العربية في القرن الخامس في عصر البسوس ، حيث عكف عليها جيل الرواد الأوائل الذين خرجوا بها من عصر ما قبل التاريخ الأدبي

إلى مرحلة البداية الثابتة اليقينية ، وانتقلوا بها من عصر المقطوعة إلى عصر القصيدة . ثم راحت بعد ذلك تأخذ طريقها نحو تطور طبيعي ، شأنها في ذلك شأن أى فن من الفنون ، وظهر جيل من الشعراء فرض نفسه على المجتمع الأدبي في الفترة التي تحصر بين نهاية حرب البسوس وبداية حرب داحس والغبراء ، واستطاع أن يشكل الحياة الأدبية في هذه الفترة وفق مقاييسه الفنية . وهو جيل نستطيع أن نطلق عليه « جيل ما بين الحريين » ويمثله امرؤ القيس وعبيد ابن الأبرص وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد والمرقشان الأكبر والأصغر وطائفة من المعاصرين لهم الذين يشكلون مدرسة فنية متميزة نستطيع أن نطلق عليها « مدرسة الطبع » . وهي مدرسة تمثل مذهباً فنياً يقوم على أساس من العفوية والتلقائية ، يمارس الشاعر من خلالها عمله الفني في غير تكلف أو تصنع ، ويعبر عن نفسه تعبيراً مباشراً لا أثر فيه لمكابدة أو معاناة ، ويسجل انطباعاته كما شعر بها في سهولة طبيعية كما يتدفق النبع بالماء . وهو تدفق وصفه القدماء — وهم يرصدون حركته الفنية — بالارتجال . ولكن المسألة — في حقيقتها — ليست ارتجالاً بقدر ما هي تلقائية وعفوية في غير محاولة لمعاودة النظر في العمل الفني أو مراجعة له من أجل تنقيحه وتجويده وتهذيبه وإضفاء اللسات الفنية الأخيرة عليه .

ونتيجة لذلك ظهرت في شعر هذه المدرسة رواسب من مرحلة الأولية المبكرة التي مر بها الشعر الجاهلي قبل أن يتم نضجه وتكتمل له صورته الثابتة ، ففي بعض نماذجها الفنية نرى صوراً من الاضطراب في إقامة الوزن العروضي وإحكام القافية ، بل إن بعض هذه النماذج تبدو كأنها خرجت تماماً على موسيقاها العروضية ، وفقدت قيمها الموسيقية وضوابطها الصوتية ، وكأنما فقد الشاعر

سيطرته عليها وقدرته على التحكم فيها ، على نحو ما نرى في قصيدة عبيد بن الأبرص التي يضعها بعض الرواة بين المعلقات العشر :

أَفْقَرَ من أَهله مَلْحُوبٌ فَالْقُطَيْبَاتِ فَالدُّنُوبُ

وهي آتراءى — في وضعها الدقيق — وثيقة تاريخية بالغة الأهمية تسجل ما كان عليه الشعر العربي في هذه المرحلة المبكرة من تاريخه الفني الطويل ، وكانت قطعة أثرية نادرة وصلت إلينا من أعماق التاريخ محتفظة بغيار الزمن الذي تطاول عليها .

وترجع أهمية هذه المدرسة — في الحقيقة — إلى الدور البالغ الأهمية الذي قام به شعراؤها في إعطاء القصيدة الكلاسيكية شكلها النهائي ، فقد استطاع هؤلاء الشعراء أن يؤصلوا لهذه القصيدة تقاليدها الفنية ، وأن يحددوا لمن جاء بعدهم الخط الثابت الذي يتحركون فيه ، وأن يعطوها بهذا صورتها التقليدية التي استقرت عليها زمنا طويلا من تاريخها على امتداد عصورها الكلاسيكية القديمة .

في أثناء هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الشعر الجاهلي ، وفي الوقت الذي كانت مدرسة الطبع تواصل فيه دورها الفني الرائد في تأصيل تقاليد القصيدة ، بدأت بواكير مدرسة فنية جديدة تظهر على مسرح الحياة الأدبية ، وهي مدرسة تستطيع أن نطلق عليها « مدرسة الصنعة » ، وقديما كان الأصمعي يصف شعراءها بأنهم « عبيد الشعر » ، لما كانوا يتكلفونه من جهد وعناء ومكابدة في صناعة شعرهم ، وما كانوا يشقون به من معاودة النظر فيه لتجويده وتحجيره وإخضاعه لمقاييس صنعتهم الدقيقة . والرأى الشائع بين الباحثين أنها بدأت بشاعر تميم الكبير أوس بن حجر ، وهو رأى أول من قال به الدكتور طه حسين في كتابه

« في الشعر الجاهلي » ، ولكن الحقيقة التي تؤكد الروايات العربية القديمة هي أنها بدأت من قبل ذلك بالطَّفيل الغنويّ شاعر قيس الكبير الذي كان أوس راوية له ، وكانوا يلقبونه « المُحَبَّر » لما لاحظوه على شعره من ضروب التنميق والتجويد والتجوير . ومن بعدهما ظهر راويتهما العبقريّ زهير بن أبي سلمى الذي يمثل بحق القمة الفنية التي وصلت إليها هذه المدرسة ، والتي يقف مع زهير فوقها النابغة الذبيانيّ وعنترة . ووراء هؤلاء شعراء آخرون مثلوا هذا المذهب الفنيّ الجديد الذي بشرت به هذه المدرسة . والظاهرة التي تلفت النظر أن هذا المذهب بلغ ذروة نضجه الفنيّ في أثناء الحرب الكبرى الثانية التي شهدتها الجزيرة العربية في أواخر العصر الجاهليّ ، حرب داحس والغبراء ، وكأنما أراد التاريخ الأدبيّ للجزيرة أن يشهد عصر البسوس ظهور مدرسة الطبع ، وأن يشهد عصر داحس والغبراء ازدهار مدرسة الصنعة ، حتى لنستطيع القول إن هاتين الحربين تمثلان نقطتي تحول ضخمتين في تاريخ القصيدة الجاهلية ، أو علامتين مضيئتين على طريق الشعر العربيّ مع بداية تحرّكه في العصر الجاهليّ .

على أيدي شعراء هذه المدرسة تحول العمل الفنيّ إلى صنعة فنية يوفر لها الشاعر كل جهده وطاقته ، ويبذل في سبيل تجويدها كثيرا من الجهد والعناء ، ويخضعها لمقاييس دقيقة حتى يحقق لها كل مقومات مذهبها ، ثم يعود إليها فيعيد النظر فيها ليذهبها ويقومها ويحذف ما لا يرضى ذوقه ، وما لا يستقيم مع مذهبها ، غير مبالي بما ينفقه من وقت في هذه الصنعة الدقيقة التي يمكن عليها في أناة شديدة وعناية بالغة . ولعل هذا هو الذي جعل زهيراً يسمى كبار قصائده « الحَوَلِيَّات » . وهي تسمية خيلت لبعض الرواة أنه كان ينفق في صناعة كل قصيدة منها حولا كاملا ، أو — كما يقول الجاحظ — « حَوَلًا كَرِيْتًا » .

ولكن المسألة لم تكن مسألة فترة زمنية محددة ، وإنما هي مسألة تفرغ للعمل الفني ومعاودة النظر فيه زمنا طويلا ، أو مسألة عمل جاد متصل في صناعة القصيدة حتى تتحقق لها مقومات المذهب الجديد مهما طال الزمن بالشاعر في هذا العمل .

ومع تقدم العصر الجاهلي نحو نهايته كانت تقاليد القصيدة الجاهلية التي أصلها لها المبدعون من شعراء المدرستين قد استقرت واتضحت معالمها ، فظهر جيل من الشعراء استوعبوا تقاليد المذهبين عن وعي دقيق وخبرة واسعة بالمقومات الفنية التي أقام شعراؤهما نماذجهم الفنية على أساسها ، واستطاعوا أن يقدموا صورة جديدة للقصيدة الجاهلية تقوم على المزج البارع بين المذهبين والقدرة الفائقة على تقليد نماذجهما الفنية ، بما أتاح لهما فرصة للتقارب الشديد الذي بشر بظهور مدرسة ثالثة نستطيع أن نطلق عليها « مدرسة التقليد » . وهي مدرسة يمثلها أقوى تمثيل الشعراء الكبار الذين ظهر عليهم الإسلام وهم في قمة نضجهم الفني ، سواء منهم من آمن به ومن لم يؤمن : الأعشى وليد وحسان والخنساء وعبد بن الطبيب ومثمم بن نويرة وسويد بن أبي كاهل اليشكري والمخبل السعدي وأمثالهم من شواخ هذه المرحلة الأخيرة من العصر الجاهلي ، وهي المرحلة التي نستطيع أن نطلق عليها « عصر ذي قار » ، فقد كانت هذه الحرب آخر الحروب التي شهدها العصر الجاهلي ، وفيها سجل العرب — لأول مرة في تاريخهم — أول نصر لهم على الفرس ، وبعدها طلعت شمس الإسلام ، وأشرقَت الجزيرة العربية بنور ربها .

(٨)

الشعر الجاهلي شعر غنائى كله ، يغنى فيه الشاعر عواطفه ومشاعره وانفعالاته ، ولم يعرف العرب في هذا العصر لا الشعر القصصى ولا الشعر المسرحي

ولا الشعر التعليمي مما عرفه الشعر اليوناني القديم . وقد وقفت أسباب كثيرة تتصل بطبيعة الحياة السياسية والاجتماعية والدينية والعقلية وراء ذلك ، فحددت مجال الشعر العربي القديم في هذه الدائرة الغنائية ، فجاء كله في قصائد غنائية تطول أو تقصر ، ولكنها لا تتجاوز مائة بيت إلا قليلا ، وهو أقصى عدد وصلت إليه القصيدة في العصر الجاهلي . ومن هنا دار هذا الشعر حول الموضوعات التي يصور فيها الشاعر ما يدور في نفسه من عواطف ومشاعر وانفعالات ، ويسجل انطباعاته الشخصية أمام الأحداث التي تمر به في حياته . وبهذا تحددت مجالات هذا الشعر في الغزل والفخر والمدح والهجاء والثناء والوصف والحكم ، وهي موضوعات تعكس الموقف الشخصي للشاعر من الحياة والمجتمع ، وتصدر صدورا مباشرا عن تجاربه الشخصية المحدودة ، دون محاولة منه للتحويل بها نحو التجريد المطلق أو النظرية الفلسفية . ولم يخرج على هذا الاتجاه العام إلا الشعراء الصعاليك الذين اتخذوا من شعرهم مجالا لتسجيل آرائهم الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية ، وهي آراء تحولت عند عروة بن الورد داعيتهم المذهبي إلى ما يشبه أن يكون نظرية مجردة . وأيضا خرج على هذا الاتجاه العام بعض الشعراء الدينيين الذين سجلوا في شعرهم معتقداتهم الدينية وتأملاتهم في أمرار الكون ومخلوقاته ، وخاصة أمية بن أبي الصلت شاعر الطوائف الكبير الذي دار شعره كله في هذا الجو الديني الذي استمد معلوماته عنه مما قرأه في الكتاب المقدس ، وما استمع إليه من الرهبان والأخبار .

ولعل أهم ما يلاحظ على هذا الشعر من الناحية المعنوية أنه يدور حول معاني وأفكار واضحة بسيطة لا تكلف فيها ولا مغالاة ، ولا إغراق في الخيال ، أو مبالغة تخرج بها عن الواقع الذي تعبر عنه ، ولا تعمق في أغوار النفس الإنسانية .

وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن أصبحت الواقعية والحسية من أهم السمات التي تميز الشعر الجاهلي ، فالشاعر يستمد مادته المعنوية ومادته التصويرية على السواء من الواقع الحسي الذي يعيش فيه ، وعن العالم المادي الذي يتعامل معه . وقد دفعتهم حياتهم التي تقوم على الحركة الدائبة في أرجاء الصحراء ، والتنقل المستمر خلف مواقع الغيث ومناكب الكلاء ، إلى لون من الحركة الفنية ظهر في قصائدهم في صورة انتقال من موضوع إلى موضوع دون وقوف عند موضوع واحد وكأنما انعكست حياتهم الاجتماعية على حياتهم الفنية ، مما أفقد القصيدة الجاهلية الوحدة الموضوعية التي تترابط معها أجزاء القصيدة وتتماك في وحدة محكمة . وهي ظاهرة جعلت بعض المستشرقين يرى في القصيدة العربية القديمة كومة من الموضوعات والأفكار ، يتجمع بعضها إلى جانب بعضها الآخر في غير نظام أو ترابط .

وفي ظل هذه الحركة الفنية أيضا ظهرت في الشعر الجاهلي نزعة قصصية ، يعرض الشاعر موضوعه عن طريقها من خلال سرد قصصى تتابع فيه الأحداث ، وقد يتردد فيه حوار بين الشخصيات ، ولكن في بساطة ويسر وفي غير تعقيد أو مبالغة . وأكثر ما كانت تظهر هذه النزعة في قصص الصيد والمغامرات الغرامية ومغامرات الصعاليك . ولكن هذا كله لم يخرج بالشعر الجاهلي عن دائرته الغنائية ، ولم يمتد بالقصيدة الجاهلية المحدودة لتشكل ملحمة قصصية طويلة على نحو ما نرى في الملاحم اليونانية القديمة .

ولغة الشعر الجاهلي هي تلك اللغة الأدبية الموحدة التي فرضت نفسها على المجتمع الأدبي في هذا العصر ، وهي لهجة قريش بعد أن استوعبت لهجات القبائل

الأخرى ، وأذابت ما بينها من اختلافات لهجية ، وهى نفسها العربية الفصحى التى نزل بها القرآن الكريم فى أواخر العصر الجاهلى . ولكنها تختلف عن لغة القرآن بغرابة ألفاظها وبدائيتها وخشونتها . وهى ظواهر تعكس طبيعة المجتمع البدوى الذى ظهر فيه هذا الشعر ، وتمثل خصائص لغته قبل أن يهذبها القرآن ويصفيها ويخلصها منها فى أكبر عملية « تنقية لغوية » شهدتها اللغة العربية على امتداد حياتها الطويلة عبر أكثر من خمسة عشر قرناً من الزمان .

ومن الطبيعى أن هذه اللغة التى نُظِمَ فيها الشعر الجاهلى ، والتى تبدو غريبة علينا اليوم لبُعْد ما بينها وبيننا زمنياً ، ولاختلاف ما بينها وبيننا من حيث البيئة الطبيعية والحياة الاجتماعية والمستوى الحضارى ، كانت مألوفة لدى أصحابها الأصلاء ، وأبنائها الذين كانوا يتكلمونها فطرةً وسليقةً . ولذلك كانت هذه الظواهر فى لغة الشعر الجاهلى أشد ظهوراً عند شعراء البادية ، فى حين خفت حدتها عند شعراء المدن والقرى العربية التى كانت على حظ غير قليل من الحضارة والاستقرار ، بينما كادت تختفى عند شعراء الإمارات العربيتين اللتين قامتتا على حدود الدولتين الفارسية والرومانية : إمارة المناذرة وإمارة الغساسنة ، واللّتين أخذتا بحظ كبير من التقدم الحضارى الأجنبى ، والاستقرار السيامى نتيجة لنظام الحكم الأجنبى الذى كان قائماً فيها ، فامتازت لغتهم بالسهولة واللين والركة التى تعكس طبيعة حياتهم المتحضرة المترفة ، ودخلت فيها طائفة من الألفاظ الفارسية والرومانية ، وطائفة أخرى من الألفاظ المسيحية وبخاصة عند شعراء إمارة الغساسنة التى كانت المسيحية ديارتها الرسمية . وهى ظواهر نستطيع أن نتبينها بوضوح إذا وازنّا بين شاعر من شعراء البادية كأوس بن حجر أو زهير بن أبى سلمى ، وشاعر كعدي بن زيد أو المنخل اليشكرى من المقيمين بإمارة الحيرة ،

بل شاعر من الوافدين عليها كالتابغة الذبياني ، أو من الوافدين على إمارة الغساسنة كحسان بن ثابت .

وصندوق الأصباغ الجاهلي صندوق بسيط يستمد مواده الأولية من واقع البيئة الطبيعية ومظاهر الحياة فيها . وهو — من أجل ذلك — يختلف بين شعراء البادية وشعراء الحاضرة ، فعند شعراء البادية نرى الصحراء وجبالها وكثبانها ورمالها ومرابها وآبارها ومياهها الآجنة وحيوانها وطيورها وزواحفها ، وعند شعراء الحاضرة نرى البحار والأنهار والسفن والملاحين والمزارعين والصنّاع ، وإن لم يمنع هذا من تداخل المواد الأولية بين البيئتين ، وتسرب بعضها من إحداهما إلى الأخرى ، نتيجة طبيعية لما كان بينهما من صلات متبادلة بسبب الجوار ، وما يترتب عليه من علاقات حيوية ومصالح مشتركة .

والتشكيل الأساسي للصورة في الشعر الجاهلي عند شعراء مدرسة الطبع هو التشكيل التشبيهي ، فقد اعتمد شعراء هذه المدرسة في رسم صورهم على التشبيه اعتماداً أساسياً ، واتخذوا منه اللون البارز في لوحاتهم الفنية ينشرونه فيها على مساحات واسعة ، حتى لتراءى بعض قصائدهم صفوفا متلاحقة من التشبيهات ، على نحو ما نرى عند امرئ القيس الذي يعدّه النقاد القدماء أحسن شعراء الجاهلية تشبيهاً ، والذي استطاع أن يبرز قيمة هذا اللون الفني في رسم الصورة ، وأن يوجه الشعراء الذين جاءوا بعده إلى أهميته ، وأن يكون بهذا رائد التشبيه في الشعر العربي .

ومع تطور العمل الفني إلى عمل صناعي عند شعراء مدرسة الصنعة ، ظهر التشكيل الاستعاري ليصبح اللون الأساسي الذي يعتمدون عليه في رسم صورهم . وكما احتل التشبيه في لوحات مدرسة الطبع تلك المساحات الواسعة ،

احتلت الاستعارة مساحات مثلها في لوحات مدرسة الصنعة ، على نحو ما نرى عند زهير الذي يمثل القمة الشاخنة التي وصلت إليها هذه المدرسة ، ففي قصائده تتراحم الاستعارات تراحما يدل على أنه كان يتعمدها تعمداً ، ويقصد إليها قصداً ، لأنه حريص على أن يحقق لقنه كل مقومات المذهب الذي اصطنعته مدرسته في صنعتها الفنية ، وأن يجعل من قصائده معرضاً لما بلغته هذه المدرسة من التزام بتقاليدها الفنية وأصولها . وبحق يعد زهير أهم شاعر جاهلي عُنى بالصورة الاستعارية ، وارتفع بصناعتها إلى أعلى قمة عرفها الشعراء الجاهلي ، وعدّ بهذا رائداً عبقرياً من روادها الأوائل .

ومع التشكيل الاستعاري يظهر أيضاً عند شعراء هذه المدرسة التشكيل التمثيلي ، وعلى مساحات واسعة أيضاً من لوحاتهم يتراءى هذا اللون الفني اللون الأساسي في رسمها ، والقاعدة الأولى التي تقوم عليها العملية الفنية فيها . وقد أتاح لهم هذا التشكيل — كما أتاح لهم التشكيل الاستعاري ، بل ربما أكثر مما أتاح — فرصة ذهبية لتحقيق مقومات مذهبهم الفني في شعرهم ، وبخاصة الحرص على التفاصيل ، والاهتمام بالجزئيات ، والعناية بوضع اللسات الأخيرة عليها ، على نحو ما نرى عند النابغة الذبياني في لوحته الرائعة التي رسمها لفيضان الفرات من خلال مدحه للنعمان وتشبيه كرمه به ، وأيضاً عند عنترة في لوحته الخلابية التي رسمها لروضة غطرة من رياض الصحراء من خلال وصفه لصاحبته الجميلة المعطرة .

ومع ظهور مدرسة التقليد في أواخر العصر الجاهلي ، في عصر ذي قار ، وتقدم الجيل الثالث من شعراء هذا العصر إلى مسرح الحياة الأدبية ، تتداخل هذه التشكيلات الثلاثة الأساسية ، وتتداخل معها تشكيلات أخرى ثانوية ، وتترج مقومات المدارس الثلاث وتقاليدها الفنية ، وتترج أصباغ صناديقها المختلفة ،

في عملية فنية بارعة يرتفع معها التقليد والمحاكاة إلى درجة عالية من البراعة والمهارة والحدق والإحكام ، على نحو ما نرى في لوحات ليبد الرائعة التي رسمها في معلقته لحيوان الصحراء الوحشي وما يدور بينه وبين الصيادين المتربصين به من صراع من أجل الحياة . وهي لوحات نستطيع أن نرجع بكثير من ألوانها وتشكيلاتها إلى شعراء سابقين من المدرستين اتخذ من شعرهم نماذج ومثلاً يحتذيها ويقسدها ويحاكيها في براعة تامة ، وقدرة فائقة ، وخبرة دقيقة بمقومات الفن والصناعة عندهم .

وعلى امتداد الطريق الفني الطويل بمراحله الثلاث كانت تتساقط على استحياء ألوان بسيطة من البديع تساقطاً عنفوا في غير عمد أو تكلف أو مبالغة ، وبخاصة الطباق والجناس . وهي ألوان لم تتحول إلى أن تكون تشكيلات أساسية في الصورة الفنية ، أو أن تشكل ألواناً بارزة في رسمها .

(٩)

وأشهر قصائد الشعر الجاهلي هي تلك المجموعة التي عُرفت « بالمعلقات » . وهي أقدم مجموعة من مجموعات هذا الشعر وصلت إلينا من عصر التدوين في القرن الثاني الهجري ، قام باختيارها وجمعها راوية الكوفة المشهور حماد الراوية (ت ١٥٦ هـ أو ١٦٤) .

ويختلف العلماء حول تفسير هذه التسمية وتعليلها ، ولهم في ذلك محاولات متعددة ، أشهرها محاولتان ، تذهب إحداهما إلى أن السبب في هذه التسمية أنها كانت مكتوبة منذ العصر الجاهلي بماء الذهب في صحف من الكتان المصري كان يصنعها أقباط مصر أو — على حد عبارتهم — « في قَبَاطِيْ مُدْرِجَة » ، وأنها

كانت معلقة بأسرار الكعبة تقديراً لقيمتها الفنية واعتزازاً من العرب بها . وتذهب الأخرى إلى أنها سميت بهذا الاسم لأنها كانت معلقة في خزان ملك من ملوك العرب لم تحدد الروايات اسمه ، ولعله النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، اختارها من بين قصائد الشعر الجاهلي التي كانت تلقى في سوق عكاظ ، وأمر بتعليقها في خزائنه إعجاباً بها وحرصاً عليها من الضياع .

وفي أغلب الظن أن كلتا الروايتين غير صحيحة ، وأن هذه التسمية ليست جاهلية ، وإنما هي تسمية متأخرة لم تعرف إلا في عصر التدوين ، وأن الذي أطلقها على هذه المجموعة المختارة هو الذي قام باختيارها وجمعها وتدوينها ، وهو حماد الراوية ، تشبهاً لها بالقلائد والعقود التي تعلّقها المرأة على جيدها للزينة ، ولذلك سماها أيضاً « السُّمُوط » ، وهي مرادف لغوى لكلمة « المعلقات » ، وكأنما كان حماد يشير بهذين الاسمين إلى أنها أجود ما في الشعر الجاهلي ، وأنها القلائد النفيسة والعقود الثينة في جيد هذا الشعر .

وعدد المعلقات في المجموعة التي رواها حماد سبع معلقات :

(١) معلقة امرئ القيس (٨٢ بيتاً) :

فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٢) ومعلقة طرفة بن العبد (١٠٦ بيت) :

لحولة أطلال ببرقة تهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهير اليد

(٣) ومعلقة زهير بن أبي سلمى (٥٩ بيتاً) :

امن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالتشم

(٤) ومعلقة ليبيد (٨٩ بيتا) :

عَقَت الديار مَحَامِلَهَا فُقَامُهَا بِمَسْنَى تَأْبَدُ غَوْلُهَا فِرْجَامُهَا

(٥) ومعلقة عنتره (٨٠ بيتا) :

هل غادر الشعراء من مُتَرَدِّمٍ أم هل عرفت الدار بعد توهم

(٦) ومعلقة عمرو بن كلثوم (٩٦ بيتا) :

أَلَا هُبِّي بِصَحْبِكَ فَاصْبِحِينَا وَلَا تُبْقِي نَحْمُورَ الْأَنْدَرِينَا

(٧) ومعلقة الحارث بن حلزة (٨٥ بيتا) :

أَذْنَقْنَا بَيْنَهَا أُمَمَاءُ رُبَّ نَارٍ يُمَلِّ مِنْهُ الشَّوَاءُ

ثم أضيفت إليهما بعد ذلك عند بعض الرواة ثلاث قصائد أخرى ، فاكتتمت بهذا عشرة ، وهي — على حسب رواية التبريزي لها في شرحه عليها — :

(٨) معلقة الأعشى (٦٣ بيتا) :

وَدَّعْ هَرِيرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مَرَّحَلُ وَهَلْ تَطْبِقُ وَدَاعَا أَيُّهَا الرَّجُلُ

(٩) ومعلقة النابغة الذبياني (٥٠ بيتا) :

يَادَارُ مَيْسَةَ بِالْعِلْيَاءِ فَالْسِّنْدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالَفُ الْأَيْدِ

(١٠) ومعلقة عبيد بن الأبرص (٤٨ بيتا) :

أَفْقَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ فَالْقَطِيبَاتُ فَمَا لَذْنُوبُ

وبين الرواة اختلاف حول طائفة منها ، فهي في رواية المفضل الضبي سبع معلقات ، ولكنه يُسَقِّطُ منها معلقتي الحارث وعنتره ، ويثبت مكانهما معلقتي الأعشى والنابغة السابقين ، ولكن أبا زيد القرشي في « جمهرة أشعار العرب » يضع بدلا منهما قصيدتين أخرتين لهما ، فيضع للأعشى لاميته :

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما تردّ سؤالي
ويضع للناطقة رأيتته :

عوجوا خفيوا لنعيم دمنة الدار ماذا تحيون من نُؤي وأحجار

وبعض الرواة يسقط معلقة عبيد ولا يعترف بها بين المعلقات ، على نحو ما فعل
أبو زيد القرشي في « الجمهرة » وأبو جعفر بن النحاس في شرحه على المعلقات ،
وهي تسع عنده . وهناك أيضا اختلاف آخر بين الرواة في عدد أبياتها وترتيبها ،
وفي رواية ألفاظها ، وهو اختلاف مألوف في نصوص الشعر الجاهلي كلها ،
وهو أيضا طبيعي نظرا لوصولها إلى عصر التدوين عن طريق الرواية الشفوية على
السنة أكثر من وار . والعدد الذي أخذنا به هنا هو ما أخذه التبريزي
في شرحه عليها .

والأمر الذي لا شك فيه أن هذه المعلقات من أجود نصوص الشعر الجاهلي ،
ومن أطول قصائده . وهي — إلى جانب ذلك — لمجموعة من أكبر شعرائه من
قبائل مختلفة ، ومن مراحل زمنية مختلفة ، وأيضا من مذاهب فنية مختلفة ،
فهى بهذا تغطي مساحة واسعة من الجزيرة العربية ، وتستعرض مراحل العصر
الجاهلي الأدبي من بدايته حتى نهايته ، من امرئ القيس وعبيد وهما من أقدم
شعراء هذا العصر ، إلى الأعشى وهو من آخر شعرائه ، إلى ليبيد الذي امتد به
الأجل حتى أدرك الإسلام . وهي أيضا تمثل مدارس الشعر الجاهلي الثلاث :
مدرسة الطبع التي يمثلها امرئ القيس وعبيد وطرفة وعمرو بن كلثوم والحارث
ابن حلزة ، ومدرسة الصنعة التي يمثلها زهير والناطقة وعنترة ، ومدرسة التقليد التي
يمثلها الأعشى وليبيد ، فهى — من هذه الناحية — تعرض صورة واضحة دقيقة
للتطور الفني الذي مر به الشعر على امتداد العصر الجاهلي .

والى جانب « المعلقات » تقف مجموعة أخرى من مجموعات الشعر الجاهلي لا تقل عنها أهمية ، وهى « المفضليات » . وهى مجموعة من القصائد الطويلة والمقطوعات القصيرة اختارها راوية الكوفة المشهور المفضل الضبي (ت حوالى ١٧٠ هـ) . ويختلف عدد قصائدها ومقطوعاتها وترتيبها بين رواياتها المختلفة التى أخذها عن المفضل تلاميذه ، وأخذها عنهم رواتها . ويذكر ابن النديم فى « الفهرست » أن أصح رواياتها رواية ابن الأعرابي تلميذ المفضل الأول ، وهى عنده مائة وثمان وعشرون قصيدة ومقطوعة . وكانت البداية ثمانين قصيدة ومقطوعة اختارها المفضل بأمر من الخليفة العباسى المنصور لتكون موضوعا لدراسة ابنه المهدى ، ثم أضاف إليها بعد ذلك القصائد الثمانى والأربعين التى اكتمل بها عددها المعروف . وهى تضم مختارات من الشعر الجاهلي والشعر الإسلامى لسبعة وستين شاعرا ، منهم سبعة وأربعون جاهليا ، والعشرون الآخرون إسلاميون .

وتأتى أهمية المفضليات من أنها تروى القصائد والمقطوعات كاملة دون تصرف فيها أو انتخاب منها ، فهى — من هذه الناحية — تتيح للباحثين فرصة الاتصال بالنص الجاهلي كاملا . وهى — من ناحية أخرى — تقدم نصا جاهليا موثقا بعيدا عن شبهات الوضع واتهامات الانتحال ، يقدمه راوية ثقة غير متهم من رواة الشعر الجاهلي الكبار . ثم هى — بعد ذلك — تعرض علينا بصورة دقيقة للحياة الجاهلية بكل جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، من ناحية ، وصورة أخرى لحركة الشعر الجاهلي بين مجموعة كبيرة من شعراء القبائل والشعراء الذاتيين ، من ناحية ثانية ، كما تقدم لنا — من ناحية ثالثة — مادة لغوية طيبة تضع أيدينا على المعجم اللغوى للشعر الجاهلي ، ومن بينها مجموعة من الألفاظ اللغوية

على قدر كبير من الأهمية ، لأنها مما أهمله اللغويون ولم يشبتوه في معاجمهم ، ولعله سقط من بين أيديهم سهوا ، أو لعله لم يصل إلى أيديهم وهم يقومون بعملهم الضخم في جمع اللغة وحصر موادها ومفرداتها .

وإلى جانب هاتين المجموعتين تقف مجموعة ثالثة ، وهي « الأصمعيات » التي جمعها راوية البصرة الكبير الأصمعي (ت ٢١٥ ، أو ٢١٦ أو ٢١٧) . ويبلغ عدد قصائدها ومقطوعاتها اثنتين وتسعين لواحد وسبعين شاعرا جاهليا وإسلاميا ، منهم نحو أربعين جاهليا ، والباقيون إسلاميون . وهي تعد امتدادا للفضليات ، وإنكنا تختلف عنها اختلافا أساسيا ، فبعض قصائدها لم ترو كاملة ، وإنما اكتفى الأصمعي بمختارات منها . ومن هنا تبدو أقل أهمية من الفضليات . وربما يرجع السبب إلى أن المفضل — بحكم ريادته — سبق إلى اختيار أجمل ما في الشعر الجاهلي ، فلم يترك للأصمعي فرصة واسعة للاختيار .

وراء هذه المجموعات مجموعات أخرى من الاختيارات ، بكلمة أبي زيد القرشي والحماسات المختلفة التي تشكل قائمة كبيرة من مختارات الشعر العربي القديم ، ومجموعات أخرى من دواوين الشعراء ودواوين القبائل ، وأشهر ما وصل إلينا منها «ديوان هذيل» الذي قام بصنعبته وشرحه الراوية البصري أبو سعيد السكري رواية عن الأصمعي . وإنكنا مما يؤسف له أن كثيرا من هذه الدواوين — دواوين الشعراء ودواوين القبائل — ضاع مع رحلة القرون الطويلة تحت ظروف مختلفة فلم يصل إلينا ... خسارة كبيرة يحاول الباحثون والمحققون المحدثون تعويضها بما يقومون به من نشر ما لا يزال مخطوطا في خزائن دور الكتب ، وجمع ما تناثر من نصوصها في المصادر الأدبية والتاريخية .

(١٠)

إلى جانب هذا النشاط الشعري المواجه بالحياة الذي شهدته الجزيرة العربية في هذا العصر ، كان هناك نشاط نثرى أيضا لا يقل حيوية عن هذا النشاط ، ولكن النماذج الفنية التي وصلت إلينا منه أقل ، نتيجة أساسية لصعوبة احتفاظ الذاكرة بالنصوص النثرية بسبب افتقادها ضوابط الوزن والقافية التي تعين على الاحتفاظ بالنصوص الشعرية . وهذه هي المشكلة التي دفعت طائفة من الباحثين إلى إنكار ما وصل إلينا من النثر الجاهلي جملة وتفصيلا ، وجعلت شبهات الوضع والانتحال تحيط به من كل ناحية . ولكن ليس معنى هذا أن المجتمع الجاهلي الأدبي لم يعرف النثر الفني ، وليس معناه أيضا أن يكون النثر الجاهلي كله قد طوته رمال الصحراء وأخفت معالمه إلى الأبد . فقد اكتسبت الذاكرة العربية التي اعتمد عليها العرب اعتمادا أساسيا في حفظ تراثهم الأدبي على امتداد عصر الرواية الشفوية قدرة غير عادية على الاحتفاظ بما يستقر فيها من معلومات ، مما أتاح للرواة أن يحتفظوا بنصوص من هذا التراث ، إن لم تكن صورة طبق الأصل منه فإنها — بدون إثارة مفتعلة لقضية الانتحال — صورة قريبة منه ، نستطيع من خلالها أن نحدد اتجاهاته الموضوعية وخصائصه الفنية . ومن الحق أن فرصة الاحتفاظ بالتراث الشعري أوسع ، ولكن هذا لا يعني — بأي حال من الأحوال — ضياع كل التراث النثرى جملة وتفصيلا ، وإنما يعني فقط ضياع أكثره ، واحتفاظ القليل الذي وصل إلينا منه بما يتيح لنا أن نرسم الخطوط العريضة له التي تحدد مجالاته واتجاهاته وطبيعته الفنية . وإلا فقيم ألف الجاحظ كتابه الضخم « البيان والتبيين » الذي يحاول أن يرصد فيه حركة النثر في العصر الجاهلي ، ويثبت أن العرب الجاهليين كما تفوقوا في الشعر تفوقوا في النثر أيضا ؟

والحقيقة التي لا يختلف عليها الباحثون اليوم أن العرب الجاهلين كانوا يعرفون الكتابة ، وبخاصة في مجتمعات المدن التي كانت على حظ غير قليل من الحضارة والاستقرار ، لحاجتها إليها في حياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فبين أيدينا نصوص ووثائق وروايات ثابتة تؤكد هذه الحقيقة . ولكن الأمر الذي يتفق عليه أكثر الباحثين أن هذه المجتمعات لم تستخدم الكتابة في أى مجال أدبي ، ولم تعتمد عليها في تسجيل نشاطها الأدبي ، وإنما كانت تستخدمها في المجالات الحيوية التي أشرنا إليها ، تسجل بها العقود والديون والصفقات التجارية ، وتدوّن بها العقود والمواثيق والأحلاف ، وتعتمد عليها في المكاتبات الاجتماعية بين طبقات المجتمع المختلفة ، وفي الرسائل التي كانت تتبادلها مع ملوك الإمارات والدول المجاورة لها في اتصالاتها السياسية والاقتصادية المتعددة ، ونحو ذلك من المجالات المختلفة التي تتصل بقاعدة الحياة العامة التي تقوم عليها هذه المجتمعات . وفي القرآن الكريم دعوة إلى الوفاء بالعقود ، وأمر صريح بكتابة الديون ، وحديث عن إيلاف قريش الذي عقدته بينها وبين القبائل التي تمر بها قوافلها التجارية في رحلتى الشتاء والصيف بين اليمن والشام . وفي الحديث النبوي تردد الدعوة إلى توثيق المعاملات بين أفراد المجتمع بكتابتها وتسجيلها . وفي الشعر الجاهلي إشارات كثيرة إلى العقود والمواثيق التي كانت القبائل تعتمد على تسجيلها في صحف عرفت عندهم بالمهّارق . وفي الروايات والأخبار أحاديث كثيرة عن المكاتبات التي كانت تتم بين طبقة السادة وطبقة العبيد ، وسيلة من وسائل عتقهم وتحريرهم . ولكن لا توجد — حقيقةً — أى إشارة في أى من هذه المصادر إلى أن العرب الجاهلين استخدموا الكتابة في المجال الأدبي ، لا في مجال الخلق والإبداع ، ولا في مجال التدوين والتسجيل .

ومعنى هذا أن النثر الجاهلي كان كله نثراً شفويّاً ، ولا نستطيع أن ندعى — بأي حال من الأحوال — أن المجتمع الجاهلي عرف أى صورة من صور النثر الأدبي المكتوب . حتى الرسائل التي تتردد الإشارة إليها في المصادر ، وتروى قصص منها على ألسنة الرواة ، كانت كلها رسائل سياسية أو اجتماعية ، تبادلها سادة القبائل فيما بينهم أو بينهم وبين ملوك الإمارات التي تحيط بهم أو تجاورهم على مناطق الحدود .

* * *

في ضوء النصوص التي وصلت إلينا ، والتي تحدد المجالات الأساسية للنثر الجاهلي ، نستطيع أن نلاحظ أن أول هذه المجالات وأهمها وأوسعها انتشاراً في المجتمع الجاهلي الخطابة . فقد كان لكل قبيلة خطبائها الرمييون المتحدثون باسمها في المحافل والأندية أمام الملوك والأمراء وسادة القبائل في وفادتها عليهم ، وكان هؤلاء الخطباء يمثلون الألسنة الناطقة باسم قبائلهم إلى جانب الشعراء ، بل إن بعض الرواة القدماء لاحظوا أن الخطابة في أواخر العصر الجاهلي تفوقت على الشعر ، واحتلت مكانة أرفع من مكانته ، وأصبح الخطباء أعظم قدراً في مجتمعات قبائلهم من الشعراء . وهي ملاحظة نقلها الجاحظ في « البيان والتبيين » عن رواية البصرة الكبير أبي عمرو بن العلاء : « كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجاتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم ، ويفخّم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم ، ويهاجم شاعرٌ غيرهم فيراقب شاعرهم . فلبس أكثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر مكسبة ، ورحلوا إلى السوق ، وتمرعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر » . وتحفظ المصادر الأدبية والتاريخية بصور رائعة لهذا

الدور الكبير الذي كان يقوم به خطباء القبائل في مجالات الوفادة فيما ترويه من
خطب أشرف القبائل في وفودهم على كسرى وغيره من ملوك العرب وأمرائهم .
وفي السيرة النبوية صورة معبرة عن هذا الدور فيما ترويه من خطب وفود القبائل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة يعلنون إسلام قبائلهم . وفي كل وفد
خطيب أو خطباء يقومون بين يدي الرسول فيلقون خطبهم ، حتى إذا ما فرغوا
منها وقف خطيب الرسول أو خطباؤه يردون عليهم .

وراء خطباء القبائل أو هؤلاء « المتحدثين الرسميين » باسم قبائلهم خطباء
لا حصر لهم يخطبون في المناسبات العامة والخاصة : في الدعوة إلى الحرب
أو في الدعوة إلى السلام ، وفي حفلات الخطبة والزواج ، وفي مآتم العزاء ومجالات
الزنا ، وفي الأسواق وبخاصة سوق عكاظ حيث كانت تتاح الفرصة لكل
خطيب أن يقول ما يشاء ، وأن يعلن رأيه في أي أمر كما يشاء . وتحفظ السيرة
النبوية بخطبة أبي طالب في خطبته للسيدة خديجة للنبي عليه السلام ، كما تحفظ
المصادر الأدبية بخطبة قُصَّ بن ساعدة المشهورة التي ألقاها في سوق عكاظ ، وسميها
النبي عليه السلام وتحدث بها . وقد وقف الجاحظ طويلا في « البيان والتبيين »
أمام هؤلاء الخطباء ، ومضى يستعرضهم في شتى القبائل ، ويروي كثيرا من
خطبهم ، ويسجل تقاليد الخطابة العربية وأصولها وطقوسها ، حتى ليخيل للمرء
أن الجزيرة العربية في العصر الجاهلي كانت تموج في كل مكان بنشاط خطابي
لا حدود له ، وكأنما تحول كل عربي فيها إلى خطيب ، أو كأنما كان كل عربي
فيها خطيبا . وفي كثير من نصوص الشعر الجاهلي مدحٌ لسادة القبائل بالبرامة
في الخطابة والقدرة على البيان في مجالات القول المختلفة .

ومن بين هؤلاء الخطباء الذين يصعب حصرهم تلمع أسماء طائفة تتفق المصادر الأدبية على أنهم من أخطب خطباء هذا العصر، من أمثال عمرو ابن كلثوم خطيب تغلب وشاعرها، وهانيء بن قيسمة الشيباني خطيب يوم ذي قار، وقيس بن خازجة الغطفاني خطيب داحس والغبراء الذي ظل يخطب فيها يوما كاملا حتى أدركه الليل، وحاجب بن زُرارة خطيب تميم، وعمرو ابن الأهتم المنقري الذي يذكر الجاحظ أنه لم يكن في بادية العرب في زمانه من هو أخطب منه، والذي قال النبي عليه السلام تعليقا على خطبة له: «إن من البيان لسحرا»، وقيس بن عاصم المنقري الذي قال عنه النبي «هذا سيد أهل الوبر»، والذي رأى عبدة بن الطبيب الشاعر في وفاته «بنيان قوم تهديما»، وعتبة ابن ربيعة خطيب قريش يوم بدر، ومهيل بن عمرو خطيب مكة الذي انتدبته قريش لمفاوضة النبي في الحديبية.

* * *

وإلى جانب الخطابة تقف «المنافرات» . وهي صورة من صور الخطابة تشبه المناظرات، حيث يقف سيدان يتفاخران، كل منهما بفضائله ومآثره وأجاده، وبنسبه وحسبه ومنزلته في قومه، أمام حاكم من أشراف العرب أو من كهانهم، يحتكان إليه ليفصل بينهما . وكانت هذه المنافرات أكثر ما تكون حين يتنازعان على رئاسة القبيلة، وكأنها صورة مبكرة لما نراه الآن من مناظرات بين المتنافسين على الرئاسة في النظام الجمهوري . وكانت القبائل تحتفل بهذه المنافرات احتفالا كبيرا، تحدد له موعدا، وتعلن عنه منذ وقت مبكر، وتدعو إلى شهوده سادة القبائل الأخرى، وتقيم من أجله الولائم وتحر الذبائح، وتقدم الأطعمة، وتخصص للحكم نصيبا من الإبل يتفق عليه المتنافران، يدفعه إليه

المغلوب منهما ، ويهنون من أجل الوفاء به رهنا من أبنائهم عند سيد منهم كانوا يسمونه « الضَّمين » . وأحيانا كان المتنافران هما اللذين يتوجهان إلى حكم يرتضيانه ليتنافرا أمامه في حضور سادة القبائل وأشرفها ، وأحيانا كانا يترددان على أكثر من حكم إذا لم يقيلا حكم واحدٍ منهما ، أو إذا رفض أحد الحكم الحكم بينهما تخرجا من حساسية الموقف ، أو حرصا على وحدة القبيلة من أن يفرق بينها الحكم لواحدٍ منهما ، أو يوقع بين أحيائها فتنة أو شرا .

وتحتفظ المصادر الأدبية بطائفة من هذه المناقرات ، وما كان يحيط بها من ضروب الاستعداد لها ، وما كان يدور فيها من مراسم وتقاليد ، وما كان يصاحبها من تحرك وتخطيط لنصرة أحد المتنافرين على الآخر ، أو تهدئة الموقف بينهما ، وامتصاص روح الفتنة منه بالتسوية بينهما ، أو بتأجيل المناقرة إلى موعد آخر يتيح الفرصة لتسوية الموقف ، على نحو ما نرى في المناقرة المشهورة بين طلحة بن عمار بن الطفيل حول رئاسة بني عامر ، بعد أن بلغ سيدها عامر بن مالك السن التي يعجز عندها عن سياسة القبيلة ، ويحسن به أن يتنازل فيها عن الرئاسة . وهي مناقرة شغلت الناس أياما طويلة ، وتردد المتنافران من أجلها على أكثر من حكم ، حتى انتهى إلى سيد فزارة هيرم بن سنان السيامي الحكيم الذي استطاع أن يضع حدا لحرب داحس والغبراء بعد أن فرقت بين عبس وذبيان دهرًا طويلا ، واستطاع هيرم أن يترع فتيسل الفتنة بين أحياء عامر ، وأن يمتص روح التحدى من أعماق السبيدين المتنافرين ، فسوى بينهما ولم يفضل أحدهما على الآخر : « فيجلب بذلك مداوة ، ويوقع بين الحين شرا » — على حد عبارة الرواة القدماء الذين رووا هذه المناقرة .

وواضح أن هذا كله يدل على ازدهار الخطابة في العصر الجاهلي ، وأنها سجلت نهضة قوية لا يمكن أن نسقطها من حسابنا تحت ضغط شبهات الوضع والاتصال . وفي ظل هذا الازدهار وهذه النهضة استقرت للخطابة الجاهلية مجموعة من التقاليد تمارف عليها خطباء هذا العصر ، واستقرت لها مجموعة من الخصائص الفنية تمثل مذهباً فنياً كان الخطباء يحرضون عليه ويلتزمون به في خطاباتهم . فكان الخطباء يخطبون في المحافل العامة على رواحلهم أو على مرتفع من الأرض ، وكانوا يُلَوْنُون العائم على رؤوسهم ، ويمسكون في أثناء خطاباتهم بالعصى والمخاضير والقضبان والقنا والقسي ، وهي مما أخذته الشعوبية على العرب مما اضطر الجاحظ إلى الدفاع عنه في أول كتابه « البيان والتبيين » ، حيث عقد كتاباً عن العصا ، وعد حملها في أثناء الخطابة مزية خاصة بالعرب دون غيرهم من الأمم .

ويفتأوت أسلوب الخطابة الجاهلية بين الأسلوب المرسل والأسلوب المسجوع ، وإن يكن السجع السمة الغالبة عليها ، والطابع العام لها . ويلاحظ الجاحظ ملاحظة دقيقة بارعة حين يذكر أن أكثر ما كانوا يستخدمون السجع في المنافرات ، وأما الأسلوب المرسل فأكثر ما كانوا يستخدمونه في خطابة المحافل والمناسبات العامة ، كما يسجل أن عنايتهم بخطاباتهم ، والحرص على تجويدها وتقويمها وتنقيحها وتصفيها ، لم تكن أقل من عنايتهم بشعرهم ، وبخاصة في طوال خطبهم كما كان الأمر في طوال قصائدهم ، وأن هذه الخطب الطوال كانت تمر قبل ارتجالها بمرحلة تفكير فيها وإدارة لها في الصدور . ولعل هذا هو الذي جعل شعراءهم يشبهون خطبهم بالوشى والديباج والشباب المنقوشة المصورة .

وإلى جانب الخطابة والمنافرات عرف المجتمع الجاهلي صورة أخرى من صور هذا النشاط الثرى الواسع النطاق ، وهى « سجع الكهان » . والكهان طائفة من المتنبيين بالغيب ، كان أكثرهم من سَدَنَةِ بيوت الأصنام والأوثان ، عرفهم المجتمع الجاهلي كما عرف المجتمع الفرعونى فى مصر القديمة كهنة المعابد الدينية . وكان لكل منهم تابع من الجن أو « رَئِي » يصعد فى السماء ، وليسترق السمع إلى ما تحطه أقدام الملائكة من مصائر البشر ، ثم يعود إلى صاحبه فيوحى إليه بما تساقط إلى سمعه ، وعلى أساس منه يبنى الكهان نبوءاته عن الغيب المجهول الذى يسأل عنه من يقصده من البشر الباحثين عن حلول لما يعترض حياتهم من مشكلات غامضة لا تملك عقولهم وسيلة لحلها ، أو لما يُقَدِّمون عليه من أعمال خطيرة لا يعرفون نتائجها . وفى سورة الجن حديث طويل عن رجال من الإنس كانوا يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ، وأنهم كانوا يقعدون من السماء مقاعد للسمع ليسرقوا أخبارها من الملائكة ، وأنهم بعد بعثة النبي حيل بينهم وبينها ، إذ وجدوها ملئت حرما شديدا وشهبا ، فمن يستمع الآن منهم يجد له شهابا رصدا يحرقه قبل أن يصل إلى أبواب السماء . وهو حديث يتردد أيضا فى سورة الصافات .

وكان هؤلاء الكهان يعيشون حياة كهنوتية غامضة ، تكتنفها أسرار مجهولة تحولت فى أذهان الناس إلى أساطير خيالية ، جعلت العرب يعتقدون فيهم قدرات خارقة يعجز عنها البشر ، ويحيطونهم بهالات من التقديس يشوبه كثير من الرهبة والخوف والحذر . وتتردد فى المصادر الأدبية والتاريخية أسماء كثير منهم ، من أمثال سواد بن قارب والمأمور الحارثي وخنافر الحميري وعزرى مسلمة . وربما كان أشهرهم ذكرا ، وأبعدهم صيتا ، وأشدهم غموضا وأسطورية شق الذى

يصفونه بأنه كان نصف إنسان ، له عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة ،
وسطح الذي يصفونه بأن جسمه لم تكن به عظمة واحدة إلا جمجمته ، وأن
وجهه كان في صدره ، ولم يكن له عنق . ومع هؤلاء الكهان كانت هناك
كاهنات من أشهرهن الشعثاء والزرقاء والكاهنة السعدية وكاهنة ذى الخُلصة
والغَيْطَلَة القرشية وزَبْرَاء كاهنة بنى رِثَام .

كان العرب يلجئون إلى هؤلاء الكهنة والكاهنات يستشيرونهم فيما يعرض
لهم من مشكلات لا يجدون لها حلاً ، أو فيما يعترمون القيام به مما لا يعرفون
نتائجه ، لعلهم يجدون عندهم النصيح أو التوجيه ، وكانوا يقدمون لهم نبوءاتهم
في أسلوب متميز خاص بهم ، له خصائصه التي ينفرد بها من بين أساليب النثر والشعر
التي عرفها المجتمع الجاهلي . وهو أسلوب يعد انعكاساً لحياتهم الكهنوتية
الغامضة التي تغلفها أجواء أسطورية تموج بها أسرار مجهولة مبهمه كأنها وسوسات
الشياطين الذين يوحون إليهم نبوءاتهم . أسلوب غريب يحيط به جنو غامض
مبهم تحوم حوله أسرار الغيب المجهول ، يعتمد أساساً على الرمز الذي يحقق له
هذا الغموض وهذه الكهنوتية ، ويتخذ من السجع القصير الفواصل وسيلة
للتعبير عما يحوم حوله من أسرار ، ويصطنع لغة مغمضة في الإغراب كأنها لغة
الشياطين ، ليزيد من هذا الغموض ، ويحسم من هذه الأسرار ، ويبالغ من هذا
الرمز ، وليترك الباب بعد ذلك مفتوحاً لشتى الاحتمالات والتأويلات . ويستعين
على تأكيد هذا كله بأقسام غريبة غير مألوفة عند العرب بمظاهر الطبيعة المختلفة :
الأرض وما فيها من جبال وأشجار وبحار ومياه وحيوان ونبات وطيور ، والسماء
وما فيها من كواكب ونجوم وبروج وشمس وقمر ، وما يتحرك بين السماء والأرض

من رياح وأنواء ، وسحاب وأمطار ، ونور وظلام ، وليل وصباح ، وشروق وغروب . وهو أسلوب استقرت معالمه وسماته المميزة له في نفوس العرب الجاهليين ، حتى خُيِّل لهم — وهم يستمعون إلى آيات القرآن الأولى التي نزلت في بداية المرحلة المكية — أنها أقوال كاهن من كهانهم ، فاتهموا النبي — من بين ما اتهموه به — بأنه كاهن أو ساحر . وقد وصف النبي عليه السلام رجلاً من هذيل اصطنع هذا الأسلوب في خصومة بين امرأتين من قومه بأنه « من إخوان الكهان » ، وأنكر عليه أن يسجع كسجع الجاهلية . وهذا كله يزيد من تأكيد الصورة الأسلوبية التي وصل إلينا فيها سجع الكهان ، ويرد على من يطلقون الحكم بوضعه واتجاهه إلى حد إنكاره كله .

* * *

وراء هذه الألوان الثلاثة من النثر الجاهلي كانت هناك مجموعات من الوصايا والحكم ، وحشود لا حصر لها من الأمثال ، جرت على ألسنة طوائف من المعمرين والحكماء الذين عرفهم هذا العصر ، واحتفظت بأسمائهم ونصوصهم مصادره المختلفة ، أمثال أكتهم بن صيفي التيمي ، وعامر بن الظرب العدواني ، وذو الإصبع العدواني ، وطائفة أخرى من النساء من أمثال صخر بنت لقمان ، وهند بنت الحُص ، وبجعة بنت حابس ، وأميمة بنت الحارث .

وتدور هذه الوصايا والحكم والأمثال حول تجارب هؤلاء الحكماء والمعمرين في الحياة ، وما انتهوا إليه من آراء في مجال العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين الناس . وهي — من أجل ذلك — تمتاز بالتركيز البالغ والإيجاز الشديد اللذين يحققان لها ما تهدف إليه من تقديم خلاصة التجربة في عبارة مختصرة ، تنفذ إلى سامعها من أقرب طريق ، في غير عوج أو دوران ، لتستقر في أعمقها واضحة

محددة خالصة من التفصيل والجزئيات ، يمجدها كلما طلبها كما استقرت فيها كأنما نُقِشت فيها نقشا . ولعل هذا هو الذي أتاح لكثير منها أن يصل إلينا كما نطق به أصحابه دون تغيير أو تحريف ، ولعلها بهذا تصبح أصح نصوص من النثر الجاهلي وصلت إلينا وأوثقها وأشدّها قربا إلى أصولها الأولى .

ومن أجل ذلك نرى في طائفة منها خروجا على النظام اللغوي ، وشذوذا على القياس النحوي ، كأنما كانت هذه آثارا لاحتفاظها برواسب من لهجات القبائل المحلية التي لم يحرص على تسجيلها علماء اللغة والنحو ، أو نتيجة لتحويلها على ألسنة الشعب العربي في شتى مجالات حياته إلى تراث شعبي لا يخضع لمقاييس التراث الرسمي الفصيح . ولعل في ذلك ما يفسر أن أكثر هذه الحكم والأمثال تُنسب إلى مجهولين لا نعرف عنهم شيئا ، بل حتى لا نعرف أسماءهم .

* * *

يوسف خليف

القسم الأول

كتاب الشعر

عصر البسوس

المُهَلِّل

في أواخر القرن الخامس الميلادي اشتعلت ومال الجزيرة العربية نيران حرب عاتية استمرت — فيما يذكر الرواة — أربعين سنة ، وهي حرب البسوس التي دارت رحاها بين قبيلتي بكر وتغلب بعد مصرع كليب سيد ربيعة التغلبي على يد جَسَّاس البكري الذي غضب لإهانة لحقت خالته البسوس حين رمى كليب ناقة لها بسهم أصابها فقتلها ، فثارت نائرة جساس وانطلق إليه فقتله . وخرج المهلهل أخوه يطالب بثأره ، وكانت هذه هي الشرارة التي أشعلت نيران هذه الحرب الضارية .

والمهلهل بطل هذه الحرب هو عدي بن ربيعة ، يرجع نسبه إلى قبيلة تغلب ، وأكثر الرواة على أنه لُقِّبَ بالمهلهل لأنه أول من هلهل القصيدة العربية ، أى أطالها وخرج بها من مرحلة المقطوعة ، وهي المرحلة التي سبقت حرب البسوس . نشأ المهلهل في قبيلته كما ينشأ فتيان قومه وكان أبوه سيد ربيعة وقائدها في معارك التحرير ضد القبائل اليمنية التي غزت أرضها واحتلتها . وكان أخوه كليب سيدها بعد أبيه ، وقائدها في هذه المعارك حتى تم لها النصر فيها وطرد اليمنيين الغزاة . وشارك المهلهل في معارك التحرير تحت قيادة أبيه وأخيه ، حتى إذا ما استقرت الأمور ، وتولى كليب زعامة مُضَرَ ، انصرف المهلهل إلى حياة لاهية فارغة ، واتجه إلى متعه وملذاته : الخمر والمرأة والميسر والصيد .

ثم كانت نقطة التحول الضخمة في حياته حين بلغه مصرع أخيه ، فخلف وراءه دنيا للهوالتي كان غارقا فيها حتى أذنيه ، ونقض يديه منها ، وحمل على كتفيه تبعه الثار لأخيه ، وأقسم ألا يقرب النساء ، ولا يشرب الخمر ، ولا يشم الطيب حتى يثار له . وخاض المهلهل سلسلة من الوقائع الرهيبة ضد قبيلة بكر قتلة أخيه ومن تحالف معها من القبائل ، وتعددت انتصاراته . ثم بدأ ميزان الحرب يتحول حين دخل الحارث بن عباد سيد قبائل بكر كلها الحرب بعد أن كان قد اعترلها منذ بدايتها ، فقد توالى انتصارات بكر بقيادته ، وبدأت تُدرُ الهزيمة تلوح لتغلب في الأفق . وكأنما أدرك المهلهل أن أيام النصر قد ولت إلى غير رجعة ، فقرر أن يغادر ميدان الصراع ، ويرتحل بعيدا بأهله ، لعل ذلك يساعده على انطفاء نار الحرب وعودة الحياة إلى طبيعتها .

وتضطرب الحياة بعد ذلك بالمهلهل ، وتشهده صحراء نجد مرة مع قومه في طريقهم إلى العراق فرارا من البكرين الذين ظلوا يتعقبونهم من مكان إلى مكان ، وتشهده مرة أخرى مع أهله وحدهم فارين إلى اليمن بعد أن خلف قبيلته في طريقها نحو العراق ، ثم تشهده للمرة الأخيرة وهو يغادر اليمن بعد أن ضاقت به الحياة هناك ليعود إلى قومه بالعراق . ولكن القدر يأبى عليه أن تتم رحلته ، فيقع في أسر البكرين ، ولكن أخوالا له يتدخلون ليأخذوه عندهم . ويسلمه البكريون لهم إجلالا لسنه واحتراما لشيوخوته ، ويقضى المهلهل ما بقي له من أيام حياته عند أخواله .

ثم تكون نهاية المسألة ، فيودع البطل الحياة في ظروف يختلف الرواة حولها . فمن قائل إنه مات ، ومن قائل إنه قتل ، ولكن النهاية — على الحالين — واحدة . إنه المعصير المحتوم الذي لا مفتر منه أدركه بعيدا عن قومه ،

غريباً عن ديارهم . ويختلف الباحثون في محاولاتهم تحديد سنة وفاته بين سنوات ٥٠٠ ، ٥٣٠ للميلاد . وهي محاولات لا نملك معها ترجيحاً لأى سنة منها . وإنما كل ما نملكه أن نقول إنه توفى في أوائل القرن السادس الميلادى .

والمهلهل أهم شاعر ظهر في حرب البسوس ، وألمع شعراء عصره ، وهو الرائد الأول للشعر العربى الذى كان ظهوره البداية الحقيقية للشعر الجاهلى ، فهو — بإجماع الرواة — أول من أطل القصيد العريضة بعد أن كان الشعر قبله أبياتاً مفردة أو مقطوعات قصيرة ، وعلى يديه انتقل هذا الشعر من عصر المقطوعة إلى عصر القصيدة .

ويدور شعره الذى وصل إلينا حول حرب البسوس ، ويعد — بحق — وثيقة تاريخية لهذه الحرب ، وسجلاً كاملاً لأحداثها منذ أن لقي كليب مصرعه فاشعل نيرانها إلى أن انسحب هو من ميدان الصراع فانطفأت هذه النيران . واستطيع أن نقسمه إلى مجموعتين أساسيتين : مجموعة تدور حول مصرع كليب وراثته والتفجع عليه ، وتهديد قبيلة بكر التى لقي مصرعه على يد أحد أبنائها ، ومجموعة تدور حول تصوير الحرب ، وتسجيل أحداثها ، وما أظهره هو في ساحاتها من بطولات ، وما أحرزته قبيلته من انتصارات ، وما ألحقته بأعدائها من هزائم . وهو في كلتا المجموعتين ينجح إلى شئ غير قليل من المبالغة والتحويل وتضخيم المواقف ، مما يعد انعكاساً نفسياً للغرور الذى كان يملأ نفسه ، والزهو الذى كان يداخلها ، كما يعد انعكاساً آخر لهول الفاجعة التى أودت بأخيه الذى ضرب به العرب المثل في العزة ، وعمق إحساسه بها .

* * *

يوسف خليف

(١)

بُكَائِيَّة

* * *

تدور هذه القصيدة حول محور أساسي يدور حوله أكثر شعر المهملات ، وهو بكاء كليب الذي يتراءى أمام الشاعر بطلا أسطوريا ، فقدت الدنيا لمصرفه كل بهجتها ، بل كل قيمتها ، ومادت الأرض بمن عليها وما عليها حين بلغها نعيه . وإنه ليتمنى لو وقعت السماء على الأرض ، وانشقت الأرض فابتلعت كل شيء فوقها ، تعبيرا عن فجيعته فيه ، وتخفيفا من نار الانتقام التي تنأجج في أعماقه . وهو بكاء ينتهي بالشاعر إلى تعداد مآثر البطل الذي جمع كل صفات البطولة ، وتحققت فيه صورة مثالية لها . وهو — لذلك — يرفض كل صلح بينه وبين قتلة أخيه ، ويتوعدهم بأن الحرب بينه وبينهم مستمرة لن تتوقف ما دام الفلك الدوار مستمرا في حركته الأبدية التي لا تتوقف .

* * *

- ١ كليب ، لا خير في الدنيا ومن فيها إذ أنت خلّيتها فيمن يخليها
- ٢ كليب ، أي فتي عن ومكرمة تحت السقائف إذ يعلوك سافيا

(١) يبدأ الشاعر قصيدته بموضوعها مباشرة ، وهو هذا يرعى التقليد الفني الذي سار عليه الشعراء من بعده من أن قصائد الرثاء لا تبدأ بالمقدمات التقليدية التي تبدأ بها الموضوعات الأخرى .

(٢) السقائف : حجارة القبر . والسافي : التراب .

- ٣ نعى النعاة كليياً لى فقلت لهم : مالت بنا الأرض أوزالت رواسيها
 ٤ أخصت منازلُ بالسلان قد درست تبكى كلياً ولم تفزع أقاصيها
 ٥ الحزم والعزم كانا من صليعته ما كل آلائه ياقوم أحصيا
 ٦ القائد الخيل تردى في أعنتها زها إذا الخيل لحت في تعاديا
 ٧ من خيل تغلب ما تلقى أستمها إلا وقد خضبتها من أماديا
 ٨ تكون أولها في حين كرتها وأنت بالكر يوم الكر حاميا
 ٩ حتى تكسر شزراً في نحورهم زرق الأسته إذ تروى صواديا
 ١٠ أمست وقد أوحشت جرداً ببلقة للوحش منها مقييل في مراعيها

(٣) الرواسى : الجبال .

(٤) السلان : موضع في ديار تظ . درست : غفت وتغيرت . وقوله « لم تفزع أقاصيها » يريد به أنها لم تخرج النار . يستحث تغلب على الخروج لمركة النار .

(٥) الصنعة : الإحسان . والآلاء : النعم .

(٦) تردى : ترجم الأرض بحوافرها ، كناية من الشدة والعنف . والزهو : الكبر والتهو والفخر . ولبت : تبادت . والتعاضد : التسابق في العدو . يقول إنه قائم الخيل التي تجاذب أعنتها وهي ترجم الأرض بحوافرها في تيه وخيلاء لتسبق الخيل التي تسابقها في العدو .

(٧) « ما تلقى أستمها » كناية من انتهاء القتال ومودة الفرسان من المعركة . يقول إن هذه الخيل من خيل تغلب المشهورة التي لا تضع أسلحتها بعد القتال إلا وقد خضبها فرسانها من دماء الأعداء .

(٨) الخطاب في البيت لكليب . يقول إنه يكون دائماً في طليعة المهاجمين ، وإنه يتخذ من الهجوم نقطة لحماية فرسانه .

(٩) تكسر أى تنكسر ، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً . والشزروها الطعن . وتروى : تشرب حتى تطفئ ظمأها ، والصوادى : العفاس . يقول إن هذه الأسته الزرق المجلوة تنكسر في نحور الأعداء وتروى ظمأها من دماهم .

(١٠) البلعة : الأرض الخالية من مظاهر الحياة ، يريد ساحة المعركة بعد انتهاء القتال . والمقبل : مكان القبولة وهي فترة الراحة في وقت الظهيرة . يصف ساحة القتال بعد انتهاء المعركة بأنها أمست موحشة مقفرة خالية إلا من الوحش التي اتخذت منها مقبلاً لها .

- ١١ يَنْقَرْنَ عَنْ أُمَّ هَامَاتِ الرِّجَالِ بِهَا والحرب يَقْتَرِمِ الْأَقْرَانُ صَالِيَهَا
١٢ يَهْزُ هِزُونَ مِنَ الْخَطِئِ مُدْجَجَةً كُتِّتَا أَنَا يَدِيهَا ، زُرْقَا عَوَالِيهَا
١٣ تَرَى الرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا ، فَنُورِدُهَا بِيَضًا ، وَنُصْدِرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا
١٤ لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ وَانْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَاِنْجَابَتْ بَيْنَ فِيهَا
١٥ لَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِنَّا مَنْ يَصَالِحُكُمْ مَا لَاحَتْ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى مَجَارِيهَا

* * *

- (١١) الضمير في « ينقرن » يعود على الوحش . والحامة : الرأس ، وأم الحامة : وسطها .
والأقران : الأبطال . وصاليها : من يصلي نازها . يصف ساحة القتال بعد انتهاء المعركة وقد تجملت
فيها الوحش تنقر رؤوس القتلى وتنش أشلاءهم بعد أن اقترب الأبطال بعضهم بعضا .
(١٢) يهزون : يهزون . والخطي : الرماح ، نسبة إلى مدينة الخط بإقليم البحرين ، وكانت
مشهورة بصناعتها . والمدججة : الحكمة الصنع . والكت : الحجر . والأنابيب : أهواد الرماح .
والعوالي : أسننها . يصف أنابيب الرماح بالحجارة لكثرة استعمالها وتعرضها للشمس ، ويصف
أسننها بالزرقاء كناية من حدتها وصلتها ولعانها .
(١٣) نوردها : أي نفضيها للقتال ، من ورد الإبل وهو خروجهما للماء . ونصلوها : أي
نعود بها ، من الصدر وهو عودة الإبل من الماء . يريد أنهم يخرجون بها للقتال وهي بيض نقية ،
ويرجعون بها بعده وقد خضبتها دماء الأعداء بلونها الأحمر .
(١٤) انجابت : انقطعت وانخرقت . يمتنى : في غمرات حزنه وغيفه — أن تقع السماء على
الأرض ، وأن تلتصق الأرض فتبتلع من عليها ، فتكون نهاية الكون ونهاية كل شيء . فيه .
(١٥) يملأها صريحة لئني بكرتلة أخيه أنه لا صلاح بينه وبينهم مدى الحياة ، وإنما هي الحرب
مادام الكون مستمرا في حركته الأبدية .

* * *

يوسف خليف

(٢)

الذاهية

* * *

تدور هذه القصيدة التي ستمتها العرب « الذاهية » حول ثلاثة محاور :

المحور الأول : التنديد بالجريمة المروعة التي ارتكبها جساس حين قتل رجلا لا كسائر الرجال ، فجنى على قومه جناية لا يعرف أحد مداها ، ولا يملك أحد تقدير عواقبها الوخيمة .

والمحور الثاني : تسجيل أهم عمل قام به كليب لقومه ، وهو انتزاع النصر لهم من بين أنياب اليمنيين حين قاد جموعهم في يوم نحرّاز ، فأجل الغزاة المحتلين عن أرضهم ، وطردهم من ديارهم التي اغتصبوها ، وهو نصر اعترف به قومه له ، وقدروا دوره فيه ، فنصبوه ملكا عليهم .

والمحور الثالث : تهديد بني بكر قتلة كليب بمعركة ضارية يخوضها فتيان تغلب الأشداء وفرسانها المفاويز حتى يدركوا نار مسيدهم ، وإلا فلأنهم لا يستحقون الحياة .

حول هذه المحاور الثلاثة تدور هذه القصيدة التي تبلغ أكثر من ثلاثين بيتا ، والتي تمكس تصميما صارما على معركة النار التي يتوعدهم بها الشاعر . وهو تصميم جعل صوت البكاء والمويل والانفعالات الصارخة المشبوبة التي رأيناها في « البكائية » السابقة يبدو خافئا إلى درجة كبيرة ، فاخفت منها آهات التفجع وولولات الأمل ، لتخلي مكانها لصرخات النار وصيحات الانتقام التي تمكس

أصداؤها تفعيلات البحر السريع « مستفعلن مستفعلن فاعلن » التي تتوالى عنيفة قوية كأنها دقات طبول الحرب تبعث العزم والتصميم في نفوس الخارجين إلى مساحاتها، كما تمكسها تلك القافية المقيدة التي يتوقف الصوت عندها فلا يترك مجالا لتلك المد المتراخي الذي تمثله القوافي المطلقة ، وهي قافية اختار الشاعر رويًا لها حرف القاف الشديد الجهر العميق المخرج ، وكأن كل وقفة عنده دوى دقة من دقات هذه الطبول .

* * *

- ١ جارت بنو بكر ولم يعدلوا والمرء قد يعرف قصده الطريق
- ٢ حلت ركاب البغي في وائل في رهط جساس يقال الوسوق
- ٣ يا أيها الجاني على قومه جناية ليس لها بالمطيق
- ٤ جناية لم يدرك ماكنها جان ، ولم يصحح لها بالخليق
- ٥ كقاذف يوما بأجرامه في هوة ليس لها من طريق

(١) قصد الطريق : الطريق المستقيمة التي تفضى في غير هوج أو انحراف . يقول إن بنو بكر جاروا علينا ، ولم يسلكوا سبيل العدل معنا ، وقد كان في وسعهم أن يسرفوا طريق الصواب فيعجبوا طريق الخطأ والضلال .

(٢) وائل : أصل قبيلة بكر وتطلب الذي يجمع بينهما . والوسوق : الأحمال توضع على ظهور الإبل يقول إن مطايا البنى والظلم المحملة بأحمالها الثقيلة نزلت في قبيلة وائل في رهط جساس .

(٣) الخطاب في البيت لجساس . وقوله « ليس لها بالمطيق » أي أنه ليس قادرا على تحمل نتائجها .

(٤) قوله « لم يصحح لها بالخليق » تكرر المعنى السابق ، يعنى أنها جناية أكبر منه ،

وهو أصغر من أن يتحملها . ومن هو إلى جانب كليب ؟ !

(٥) الأجرام : جمع جرم وهو الجسد . يقول إن جساسا بارتكابه هذه الجريمة كان كفى يرى

بنفسه في هوة سبيطة طريقها مسدود ، فلا سبيل للنجاة منها ، ولا من هلاكه فيها .

- ٦ مَنْ شَاءَ وَلَّى النَّفْسَ فِي مَهْمِهِ ضَعْفِكَ ، وَلَكِنْ مِنْ لَهُ بِالْمُضِيقِ
٧ إِنْ رَكُوبَ الْبَحْرِ مَا لَمْ يَكُنْ ذَا مَصْدَرٍ مِنْ تَهْلُكَاتِ الْغَرِيقِ
٨ لَيْسَ امْرُؤٌ لَمْ يَعُدْ فِي بَغِيهِ صِدَائَةً تَخْرِيقَ رِيحِ خَرِيقِ
٩ كَمَنْ تَعَدَّى بَغِيَّهُ قَوْمَهُ طَارَ إِلَى رَبِّ اللَّوَاءِ الْخَفُوقِ
١٠ إِلَى رَئِيسِ النَّاسِ ، وَالْمُرْتَجَى لِعَقْدَةِ الشَّدِّ وَرَتَقِ الْفُتُوقِ
١١ مَنْ عَرَفَتْ يَوْمَ خَزَازٍ لَهُ عَلِيًّا مَعَدَّ عِنْدَ أَخِيذِ الْحَقُوقِ
١٢ إِذَا أَقْبَلَتْ خَيْرٌ فِي جَمْعِهَا وَمَذْجٌ كَالْعَارِضِ الْمُسْتَحِقِّ

(٦) المهمة : الصحراء ، والضنك : الضيقة التي لا أمل في النجاة منها . يقول إن الإنسان يستطيع إن شاء أن يزوج نفسه في المواقف الضيقة ، ولكن من له بالنجاة منها ؟

(٧) المصدر : الخروج . يقول إن ركوب البحر يعد خطرا على حياة راكبه ، وسببا من أسباب خرقه ، ما لم يعرف منذ البداية كيف يخرج منه .

(٨) لم يعد في بغيه : أي لم يتجاوز بغيه . والريح الخريق : الباردة الشديدة المهبوب . وتخريقتها هبوبها .

(٩) الخفوق : الخفاق . والشاعر في البيتين يوازن بين من لم يتعد بغيه موضعه كمصفة الريح تهب ثم تتبدد في الآفاق ، ومن يتسع نطاق بغيه كما فعل جساس حين قتل سيد العرب وقائدهم وواقع لوائهم في عتات السماء .

(١٠) « المرتجى لعقدة الشد ورتق الفتوق » يعني الذي يرتجيه الناس لإحكام الأمور وضبطها وإصلاح الفساد والخلل ، وإزالة أسباب الخلاف والشقاق ، أو — على حد تعبيرنا الحديث — « للضبط والربط » .

(١١) يوم خزاز : يوم بين اليمن ومعد ، انتصرت فيه معد بقيادة كليب فبايعوه ملكا عليهم .

(١٢) حير ومذبح : من القبائل اليمنية التي خاضت الحرب يوم خزاز . والعارض : السحاب يعترض في الأفق لاتساعه وانتشاره . والمستحقيق : المحيط بهم من كل جانب . يصف جموع اليمنيين بالكثرة والانتشار .

- ١٣ وَبَجَعَ مَمْدَانٌ لَهُ بَلْبِيَّةٌ وَرَايَةً تَهْوِي هُوًى الْأَنُوقِ
١٤ تَلْعَ لَمَحَ الطَّيْرِ رَايَاتُهُ عَلَى أَوَاذِي بَلَجٍ بِحَرِّ عَمِيقِ
١٥ فَاحْتَلَّ أَوَزَارُهُمْ أَزْرَهُ بِرَأْيِ مَحْمُودٍ عَلَيْهِمْ شَفِيقِ
١٦ وَقَدْ عَلِمَتْهُمْ لِلْقَاهِبَةِ ذَاتُ هَبَاجٍ كَلْهَبِ الْحَرِيقِ
١٧ فَانْفَرَجَتْ عَنْ وَجْهِهِ مُسْفِرَا مِنْبِلَجَا مِثْلَ انْبِلَاجِ الشَّرِيقِ
١٨ فَقُلِدَ الْأَمْرَ بَنُو هَاجِرٍ مِنْهُمْ رَيْسَا كَالْحَسَامِ الْبَرِيقِ
١٩ مُضْطَلِمَا بِالْأَمْرِ يَسْمُو لَهُ فِي يَوْمٍ لَا يَنْسَاخُ حَلَقُ بَرِيقِ
٢٠ فَذَلِكَ لَا يُوفِي بِهِ غَيْرُهُ وَلَيْسَ يُنْقَى مِثْلُهُ فِي فَرِيقِ

* * *

- (١٣) ممدان : قبيلة يمنية أيضا . والحبيبة : والجلبة . والأنوق : العقاب أو النسور . وتهوى : تنقض ، والهووى : مصدره .
(١٤) الأواذي : الأمواج ، جمع آذى . يشبه رايات الجيش وهي تتحقق فوقه بتحقيق طيور البحر فوق أمواجه الكثيفة المظلمة . وهي من الصور النادرة في الشعر الجاهلي .
(١٥) الأوزار : الأثقال . والأزور : القوة ، ومن معانيها الظاهر ، وهو المراد هنا . يقول إنه احتمل أوزارهم على ظهري ، وحل مشكلاتهم برأى سيد محمود بينهم ، شديد العطف عليهم .
(١٦) القاه : اللقاء وهو هنا الحرب . والهبوة : الغبار . يقول إن غبار المعركة كان يتصاعد فأناف فوق المقاتلين كأنه لطيف النار .
(١٧) مسفرا : مضيقا مشرقا ، من أسفر الصبح إذا أضاء ، وكذلك انبلج . يقول إن المعركة انفرجت عن وجهه ، وإشارة النصر تأتلق فوق وجهه كإشارة الصباح بعد الليل .
(١٨) بنو هاجر : هم العرب أبناء اسماعيل من هاجر المصرية . والحسام البريق : السيف الذي يبرق لشدة لماعته وصفله . يقول إن العرب نصبوا كليباً بعد هذا النصر رئيساً عليهم .
(١٩) قوله « في يوم لا ينساخ حلق بريق » يريد به يوم الحرب حين تجف حلوق المقاتلين لشدة القتال وأحواله . وفي القرآن الكريم « وإذا زأغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر » (الأزواج ١٠) .
(٢٠) لا يوفى به غيره : أي لا يعده له غيره . والفريق : الطائفة الكبيرة من الناس . يريد أنه لا يوجد مثيل له في أي قبيلة من قبائل العرب سواء اليمنية أو العدنانية .

- ٢١ قل لبني ذهل يردونه أو يصيروا للصيلم الخنفقيق
 ٢٢ فقد ترووا من دم تحريم وانتكوا حرمة من عقوق
 ٢٣ واستسعروا من حربنا ماتما أثابهم نيران حرب عقوق
 ٢٤ لا يرقا الدهر لها عاتيك إلا على أنفاس تجللا تفوق
 ٢٥ إن امرأ ضرجتم ثوبه بعاتيك من دمه كالخلوق
 ٢٦ سيد سادات إذا ضمهم معظم أمر يوم يؤس وضيق
 ٢٧ لم يك كالسيد في قومه بل ملك دين له بالحقوق

(٢١) ذهل بن شيان : قبيلة جساس قاتل كليب . والصيلم : الداهية . الخنفقيق : السرية . جدا . يتوعدهم بحرب خاطفة إن لم يردوا كليباً للحياة .

(٢٢) الدم المحرم : الذي له حرمة . يقول إنهم ارتووا من دم له حرمة ، وانتكوا هذه الحرمة . بمقوقهم وتكرهم لحقوق القرابة .

(٢٣) استسعروا : استوقدوا . وأثابهم : جازاهم . والحرب العقوق : التي تجحد حقوق القرابة وصلات الرحم . يقول إنهم بحرهم لنا كانوا كمن يقيمون ماتما لهم ، وليس هذا المأثم إلا جزاء وفاقاً على ما أشملوه من نيران هذه الحرب التي قطعت وشائج القرى بيننا وبينهم .

(٢٤) يرقا : يجف . والماتك : الخالص من الألوان ، يريد الدم . والنجلاد : الواسعة ، يريد الطعنة . وتفوق : يجمع الدم فيها . يقول إن هذه الحرب لا تحيف دماؤها مدى الدهر إلا بمقدار ما يجمع في مواضع الطعنات .

(٢٥) الخلق : الطيب . وتكلمة المعنى في البيت التالي .

(٢٦) معظم الأمر : أى أشده . يقول إن هذا القتل الكريم الذي ضرجتم ثيابه بدمائه الطاهرة التي تفوح كالسك سيد سادات يلجأون إليه كلما ألم بهم أمر عظيم في الأيام الصعبة الضيقة ، أيام المحن والشدائد .

(٢٧) دين له بالحقوق : أى له عليكم حقوق تدبنون له بها . يقول إن هذا الذي قتلتموه لم يكن مجرد سيد في قومه ، ولكنه كان ملكاً على العرب له عليهم حقوق الملك .

- ٢٨ تنفـرج الظلماء عن وجهـه كالليل ولـى عن صـديـع أنـيق
 ٢٩ إن نحن لم نـشأ به فاشـكـدوا شـفاركم منـا لـحـز الحـلـوق
 ٣٠ ذبـحاً كذـبـج الشاة لا تـشـق ذابـحـها إلا يشـخـب العـروـق
 ٣١ أصـبح ما بين بنـي وائل منقـطـع الحـيل بـعيد الصـديـق
 ٣٢ غـداً نـساقـي — فاعلموا — بـيلنا رماحنا من قايـي كالـرحـيق
 ٣٣ بـكل مـغـوار الضـحى فاعلمك شمـزدل من فـوق طـريف عـتيـق

- (٢٨) الصديق : الصبح ، من الصبح وهو الشق ، كأنما انشقت السماء عن النور عند مطلعها .
 (٢٩) الشفار : جمع شفرة وهي السكين . وشحذا : سنها وأحدها . والحز : القطع والتذيق .
 يقول إن لم نأثر لكليب فإننا لا نمنح الحياة ، وإذن فلتعدوا شفاركم الحادة المسنونة لقطع حلوقنا .
 والبيت يعكس ثقة المهلهل المطلقة في قدرته على الأخذ بثأر أخيه .
 (٣٠) شخب العروق : تفجرها بالدم عند قطعها . يقول إن لم نأثر لكليب فقدموا لذبحنا كما
 تلذج الشاة الضعيفة المغلوبة على أمرها التي لا تملك ما تشق به ذابحها إلا بتفجر الدم من عروقها .
 والبيت استمرار في تصوير هذه الثقة .
 (٣١) بنو وائل هم بكر وتغلب اللذان اشتعلت بينهما الحرب . يقول إن ما بيننا وبينكم — ونحن
 أبناء قبيلة واحدة — قد قطعنا أسبابه ، وتباعدت الصداقة التي كانت تقرب بيننا .
 (٣٢) نساقى : تبادل الشراب ، فيسقى كل منا الآخر . والقاني : الشديد الحرارة ، يريد الدم .
 والرحيق : الخمر . يقول سوف نلتق في معارك رهبة تبادل فيها انتخاب الدماء الحارة القانية التي
 تصبغ رماحنا بلون الخمر .
 (٣٣) الشمزدل : الفتى الرائع الجميل . والطرف : الجواد الكريم . والعتيق : الأصل .
 ونسب الفرسان للضحى لأنه وقت الغارات عند العرب . والشاهر هنا يتوعد أعداءه بفرسان قومه
 الأشداء فوق جيادهم الكريمة الأصيلة .

٣٤ ليس أخوكم تاركاً وثره وليس عن تطليكم بالمفريق

* * *

(٣٤) الوتر: الثأر . والمفريق : الذى يطلب الراحة بين عمليين ، من الإفاقة وهى الراحة تأخذها الذاقة بين الحليتين . يتوعد أعداءه بأنه لن يترك المطالبة بثأره ، ولن يهدأ عنه ، ولن يمنح إلى الراحة بين معركة ومعركة ، فإنما هى حرب متصلة لا تتوقف ، ولا تهدأ ، ولا يمتريج المقاتلون فيها .

* * *

يوسف خليف

(٣)

صور من التهديد

* * *

تدور هذه المجموعة من النصوص المختارة من قصائد المهلهل ومقطوعاته حول تهديده لقبيلة بكر ، وهو فيها يعرض صورا مختلفة منه وما ينتظرها على يديه من ألوان الانتقام التي يصل بعضها — كما هي طبيعة المهلهل في شعره — إلى درجة كبيرة من المبالغة والتهويل . وهي صور نراها تتردد كثيرا في شعره ، فهو لا يفتأ يرددها ، ولا يمل تكرارها والإلحاح عليها ، وكأنما سيطرت على تفكيره ، واستبدت بمشاعره ، واستقرت في أعماقه ، تعبيرا عن إحساسه بوقع الفجيعة المروعة التي هنزته هنا عنيقا ، وانعكاسا لما تفيض به نفسه من مشاعر الحقد والغیظ والرغبة المجنونة في الانتقام .

* * *

الصورة الأولى

- ١ لما نعى الناعى كليباً أظلمت شمس النهار فما تريد طلوعا
- ٢ قتلوا كليباً ثم قالوا : أرتعوا كذبوا لقد منعوا الجياد رتوما
- ٣ كلا ، وأنصاب لنا عادية معبودة قد قُطعت تقطيعا

(٢) أرتعوا : أى اتركوا خيلكم ترع في مراعيها . يقول لإتهم قتلوا كليباً وظنوا أن الحياة ستضى كما كانت من قبل ، وهم بهذا يخادعون أنفسهم ، لأنهم هم السبب فيا أصاب الحياة من توقف .

(٣) الأنصاب : الأوثان . والعادية : القديمة ، يريد أنها معبودة من قديم الزمان . وقوله « قطعت تقطيعا » يريد أنها شكلت تشكيلا لتكون صالحة للعبادة وتقديم القرابين إليها .

٤. حتى أُبِيدَ قَبِيلَةٌ وَقَبِيلَةٌ وَقَبِيلَةٌ وَقَبِيلَتَيْنِ جَمِيعًا
٥. وَتَذَوَّقَ حَقًّا أَلْ بَكْرِ كُلِّهَا وَنَهَّدَ مِنْهَا سَمَكَهَا الْمَرْفُوعَا
٦. حَتَّى نَرَى أَوْصَالَهُمْ وَجَمَاجِمَهُمْ مِنْهُمْ عَلَيْهِمُ الْخَائِعَاتُ وَقُوعَا
٧. وَنَرَى سِبَاعَ الطَّيْرِ تَنْقُرُ أَعْيُنَا وَتَجَرُّ أَعْضَاءَهُمْ وَضَلُّوْهَا

* * *

الصورة الثانية

١. قَتَلُوا كُلِّيًّا ثُمَّ قَالُوا : أَرْتَعُوا كَذَبُوا وَرَبَّ الْحِلِّ وَالْإِحْرَامِ
٢. حَتَّى يُبِيدَ قَبِيلَةٌ وَقَبِيلَةٌ وَيَعْصُ كُلُّ مَثْقَفٍ بِالْهَامِ
٣. حَتَّى يَعْصُ الشَّيْخُ بَعْدَ حَمِيمِهِ مِمَّا يَرَى نَدَمًا عَلَى الْإِبْهَامِ

(٥) الخنف : الموت . والسك : البناء .

(٦) الأوصال : المفاصل ، لأنها تتصل أعضاء الجسم بعضها ببعض . والخائعات : الضباع ، تنجع في سيرها ، أى تمشى كأن بها حرجا .

(٧) سباع الطير : جوارحه . يقول لن نهذا حتى تبعد جوعهم ، ونهدم بنيانهم ، ونرى الضباع فوق جثث قتلاهم تنهش أوصالهم وجماجمهم ، وجوارح الطير تنقرا عيونهم ، وتجترأ أعضاءهم وضلعهم .

* * *

(٢) الملقف : الرخ . والهام : جمع هامة وهى الرأس . يقول : لن نهذا حتى تبعد قبائلهم ، ونضع رماحنا في هاماتهم تهنئها هشا .

(٣) الحميم : القريب الذى تهتم لأمره . يقول : لن نهذا حتى نرى الشيوخ الكبار يتغلون عن ذنابهم وفوارهم ويعضون أصابعهم ندما على من لقوا مصارعهم من أقربائهم في ساحات القتال .

٤ وتقوم ربات الخدور حواسرا يمسحن عرض ذوائب الأيتام

* * *

الصورة الثالثة

١ قتلوا ربهم كليبا سفاها ثم قالوا : ما إن نخاف عيولا

٢ كذبوا والمحرام والحلل حتى تسلب الخدر بيضه المحجولا

٣ ويموت الحنين في عاطف الرحيم ، ونزوى رباحنا والخيولا

* * *

الصورة الرابعة

١ فلأوردن الخيل بطن أراكية ولأقضي بفعل ذاك ديوني

٢ ولأقتل بجاحا من بكر كم ولأبكين بها جفون عيون

٣ حتى تظل الحاملات مخافة من وقعنا يقذفن كل جنين

* * *

(٤) حواسر : أى كاشفات الوجوه . ومرض الشئ : ناحيته من أى وجه بهته . يقول :
لن نهذا حتى نترك ربات الخدور المحجبات وقد كشفن عن وجوههن حزنا على أزواجهن الذين لقوا
مصرعهم فى الحرب ، وأخذن يمسحن ذوائب صغارهن الذين قتلنا آباءهم وأدقنهم اليتم بعد أن أذقنا
أمهاتهم الترميل .

* * *

(١) يقول إنهم قتلوا سيدهم ، وكانت جريمتهم سفها منهم لم يقدروا هواقبه ، وقالوا إنما
لا نخشى من بكاكم عليه ظنا منهم أننا لن نفعل شيئا .
(٢) البيض هنا : النساء ، وتشبيه النساء بالبيض كثير فى الشعر الجاهلي ، وفى القرآن الكريم فى
وصف حور الجنة « كأنهن بيض مكنون » (الصفوات ٤٩) . والمحجول : المكنون فى الجبال .
(٣) الرحم (بالكسر) : لغة فى الرحم ، وعاطف الرحم : أى الرحم التى تعطف على جنينها .
ونزوى رباحنا والخيولا : أى شقها من دماء الأعداء .

* * *

(١) بطن أراكية : أمم راد هارت فيه بعض أيام هذه الحرب .
(٢) الجاحج : السادة الكرام ، مفردا بجاح .
(٣) الحاملات : يريد النساء الحوامل .

* * *

يوسف خليف

جَلِيلَةُ الْبَكْرِيةِ

* * *

هى جَلِيلَةُ بنتِ مُرَّةَ بنِ ذُهَلِ بنِ شيبانِ البَكْرِيةِ ، زوجةُ كَلِيبِ سيدِ ربيعةَ ، وأختُ جَسَّاسِ قاتله . وكانت شاعرةً فصِيحةً ، ولكن ما وصل إلينا من شعرها قليل . وهو أمرٌ طبيعي ، فشعرُ النساءِ قليلٌ في تاريخِ الشعرِ العربى ، وأكثره كان يجرى على ألسنتهن فى مناسبات عارضة ، ولم يعرف تاريخُ هذا الشعرِ إلا عدداً قليلاً من الشاعراتِ المحترفات . هذا إلى جانب أن جَلِيلَةَ من أقدمِ الشاعراتِ اللاتى عرفهن الشعرُ العربى ، فهى من عصرِ البُسُوسِ الذى شهدَ البدايةَ المبكرةَ للشعرِ الجاهلى ، وهى معاصرةٌ للجاهلِ الذى تنسبُ إليه أوليةُ هذا الشعرِ . وأكثرَ شعرها يدور حول بكاء زوجها ، وتصويرِ مأساتها التى عاشتها بعد مصرعه .

عاشت جَلِيلَةُ زوجةً لكَلِيبِ ، حتى إذا ما لقيَ مصرعه على يدِ أخيهَا ، لم تجد بداً — بعد فترةٍ من الترددِ والتفكيرِ — من أن ترحلَ إلى قومها . وقضت ما بقى لها من أيامِ عندِ أخيهَا جَسَّاسِ حتى قُتِلَ ، فحضت تنقلَ مع قبيلتها شيبانَ على امتدادِ ساحاتِ القتالِ ، واختلافِ ميادينهِ ، حتى ماتت . وربما كان ذلك — على ما يظن بعضُ الباحثين — حوالى سنة ٤٠ هـ ليلاد .

* * *

يوسف خليف

بين شقي الرّحى

* * *

ترسم جلييلة في هذه القصيدة صورة نفسية دقيقة لمأساتها بعد مصرع زوجها على يد أخيها . لقد قُتل كليب بسهم جساس ، ورُوعت المنطقة كلها لمصرعه ، وأسرع المهلهل من دنياه الالهية ليحمل على عاتقه عبء معركة الثأر الضارية التي بدأت تُذرها في الأفق القريب . واستعدت القبيلة للصراع الرهيب الذي ينتظرها . ووقعت جلييلة الحزينة بين شقى الرّحى تعاني صراعا نفسيا عنيفا . لقد قُتل أخوها زوجها ، واستعد أخوه لقتال قومها ، فلم تدر ما تفعل ، ولم تستطع — في غمرة الصدمة وهول الفاجعة — أن تحدد موقفها : أتبقى مع قوم زوجها وفاءً لذكراه وحفاظا على عهده ، أم تلحق بقومها نجاةً بنفسها من الموقف الصعب الذي وضعها أخوها فيه ؟ وفي مأتم كليب اجتمعت نسوة من الحى ، وطلبن إليها أن ترحل عنه ، وأظفن لها القول ، وقلن لأخت كليب : رَحِّلى جلييلة عن مأتمك ، فإن قيامها فيه شماتة ومار علينا عند العرب . وقضت جلييلة فترة من الزمن تعاني صراعا نفسيا طاحنا بين البقاء والرحيل ، ثم حسمت أمرها وقررت أن ترحل إلى قومها حتى تنجو من العاصفة العاتية التي أوشكت أن تعصف بالقبيلة . ورحلت جلييلة في حالة نفسية سيئة ، وقالت لها أخت كليب : رحلة المعتدى وفراق الشامت ، ويلٌ غداً لآل مرة ، من الكرة بعد الكرة ! فقالت جلييلة : وكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها ؟ أسعد الله جدّ أختي ، أفلا قالت : نفرة الحياء ، وخوف الاعتداء ؟ .

وعلى مشارف الحى لقيها أبوها ، فقال لها : ما وراءك يا جليلة ؟ فقالت :
تُكَلِّمُ الْعَدَدَ ، وحزن الأبد ، وفقد حليل ، وقتل أخ عن قليل ، وبين ذَيْنَ غَرْسٍ
الأحفاد ، وتفتت الأكباد . فقال لها : أَوَيْكَفَ ذَلِكَ كَرُمُ الصَّفْعِ وَإِغْلَاءُ
الدِّيَّاتِ ؟ فقالت : أُمْنِيَّةٌ مَخْدُوعٍ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ، أَبَالْبُدْنَ تَدْعُ لَكَ تَغْلِبَ دَمِ
رَبِّهَا ؟ . ثم فزعت إلى شعرها تصور فيه مأساتها الحزينة ، ومشكلتها التى لا تجد
لها حلا ، فكانت هذه الأبيات .

وهى أبيات تترأى كأنها قطعة أثرية نادرة ، يرجع تاريخها إلى أقدم عصور
الشعر العربى ، إلى المرحلة المبكرة التى شهدت أولية هذا الشعر وميلاد القصيدة
العربية . وترجع أهميتها إلى أنها من أقدم النصوص التى وصلت إلينا من الشعر
الجاهلى ، ولعلها أقدم نص نسائى لشاعرة عربية وصل إلينا . وقد استطاعت
الشاعرة أن تعكس فيه طبيعتها الأنثوية فى صدق وإخلاص ، وأن ترسم صورة
معبرة عن مشاعر زوجة فقدت زوجها فى ظروف بالغة الحساسية ، وأن تقدم
جوانب المأساة الحزينة التى تعيشها تتجاذبها انفعالات متضاربة ، ثم تلتق بها
فى النهاية بين شق الرحى .

* * *

- ١ يا ابنة الأقوام إن لميت فلا تَعَجَلِ باللوم حتى تَسْأَلِي
- ٢ فإذا أنتِ تَبَيَّسْتِ الذى يُوجِبُ اللومَ فلُومِي واعِذِي
- ٣ إن تكنِ أختُ امرئٍ لِمَتِ على جَزَعٍ منها عليه فافْعَلِي

(١) انخطاب فى البيت — فى ضوء ما ذكره الرواة عن مناسبة القصيدة — لأخت كليب :

(٢) تقول لما : إن كان جزع أخت على أخيها أمرا تلام عليه ، فلومينى على جزمى على أخى

الذى يتظلمه مصرعه فى معركة النار القادمة .

- ٤ جَلَّ عِنْدِي فِعْلُ جَسَّاسٍ فَيَا حَسْرَتِي عَمَّا انْجَلَى أَوْ يَنْجَلِ
- ٥ فِعْلُ جَسَّاسٍ عَلَى وَجْدِي بِهِ قَاطِعٌ ظَهْرِي وَمُدْنٍ أَجَلِ
- ٦ لَوْ بَعِينٍ فُقِئْتُ عَيْنِي سَوَى اخْتِيَا فَاثَقَّاتٌ لَمْ أَحْفَلِ
- ٧ تَحْمِلُ الْعَيْنُ قَذَى الْعَيْنِ كَمَا تَحْمِلُ الْأُمُّ أَدَى مَا تَقْتَلِ
- ٨ أَيَّتَمَّ الْمَجْدُ كَلِيبٌ وَحَدُّهُ وَاسْتَوَى الْعَالِي مَعَا بِالْأَسْفَلِ
- ٩ مَنَ لِحْكَمِ النَّاسِ فِي حَيْرَتِهِمْ وَقِرَى الْأَضْيَافِ يَوْمَ الْبَزْلِ
- ١٠ وَالْإِصْلَاحِ وَإِفْسَادِ مَعَا فِي صَدَى الرِّيحِ وَرَى الْمُنْصَلِ

* * *

- (٤) جل : عظم . والضهير في انجلى وينجل يعود على فعل جساس . تتحمر على النتائج التي انجلت عنها جريمة جساس ، وعلى العواقب التي ينتظر أن تنجل عنها .
- (٥) على وجدى به : أى مع وجدى به ، وعلى هنا للصاحبة بمعنى مع ، وفي القرآن الكريم « وآف المال على حبه » أى مع حبه ، وفيه أيضا « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » أى مع ظلمهم . والوجد : الحزن .
- (٦) تقول : لو فقيئت عيني غريبة لم أبال ولم أهتم . تصور بهكذا مأساتها التي وضعتها بين شقي الرعي ، فالذي قتل زوجها ليس غريبا عنها ، لأنه أخوها ، ومن هنا تأتي مشكلتها .
- (٧) قذى العين : ما يصيبها من أجسام غريبة تسقط فيها . وتفتل : تربي . تقول إنها تحمل مأساتها مرغمة عليها ، وتحملها مجبرة عليها ، لأنها وضعت في أحقادها على غير إرادة منها .
- (٨) تقول : لقد ترك كليب المجد يتيا ، وتهدم كل شئ . بعده .
- (٩) القرى : إكرام الضيف . والبزل : جمع بازل ، وهي الناقة التي بزل نابها أى ظهر ونبت ، ويكون ذلك عادة في السنة التاسعة من عمرها . ويريد بقوله « يوم البزل » يوم نحرها للضيوف . تصف كليباً بالسيادة والكرم .
- (١٠) العدى : العطش . والرى : الارتواء . والمنصل : السيف . تقول إنه قائد خبير بفنون القتال ، يضع كل شئ في موضعه ، ويعرف متى يضع الرمح الظامى ، لدماء الأعداء ، ومتى يرفع السيف بعد أن يرتوى منها .

الجزء الأول

٩١

- ١١ يا قتيلا قَوْضِ الدهرُ بهِ سَقَفَ بَيْتِي جَمِيعًا مِنْ حِلِ
١٢ هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ وَاثْنَى فِي هَذَمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ
١٣ وَرَمَانِي قَتْلُهُ مِنْ كَذِبٍ رَمِيَةِ الْمُصْنَعِي بِهِ الْمُسْتَاصِلِ

- ١٤ يَا نِسَائِي دُونَكُنَّ الْيَوْمَ قَدْ خَصَّنِي الدَّهْرُ بِرُزْءٍ مُغْضِلِ
١٥ خَصَّنِي قَتْلُ كَلْبٍ يَلْظِي مِنْ وَرَائِي ، وَلَظَى مُسْتَقْبِلِي
١٦ لَيْسَ مَنْ يَبْكِي لِيَوْمَيْنِ كَمَنْ إِنَّمَا يَبْكِي لِيَوْمٍ يَنْجَبِلِي
١٧ يَشْتَفِي الْمُدْرِكُ بِالنَّارِ ، وَفِي دَرَكِي نَارِي تُكَلُّ الْمُشْكِلِي

(١١) قَوْضِ : هدم . وتريد بقولها « بَيْتِي » بيت زوجها وبيت أخيها .

(١٢) الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ هُوَ بَيْتُ الزَّوْجِيَّةِ ، وَبَيْتُ الْأَوَّلِ هُوَ بَيْتُ أُمِّهَا .

(١٣) مَنْ كَذَبَ : مَنْ قَرَّبَ . وَالْمُصْنَعِي : الْقَاتِلُ فَسُورًا ، مَنْ أَصْحَى الصَّيْدَ إِذَا رَمَاهُ فَقَتَلَهُ فِي مَكَانِهِ ، يَقُولُ إِنَّ قَتْلَ كَلْبٍ كَانَ سَهْمًا قَاتِلًا صَوَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَرَبٍ ، فَقَتَلَهَا فِي الْحَالِ ، وَاسْتَاصِلَ كُلَّ شَيْءٍ فِي حَيَاتِهَا مِنْ جَذْوَرِهِ .

(١٤) الرُّزْءُ : الْمَصَابِ . وَالْمُغْضِلُ : الْمَشْكَلُ الَّذِي لَاحِلٌ لَهُ . وَدُونَكُنَّ : أَسْمَ فَعَلَ يُفِيدُ الْإِفْرَاءَ ، كَأَنَّهَا تَدْعُوهُنَّ إِلَى الْوَقُوفِ مَعَهَا فِي مَصَابِهَا الَّذِي لَا تَجِدُ لَهُ حَلًّا ، أَوْ إِلَى مَشَاوَكَتِهَا فِي الْوُصُولِ إِلَى حُلِّهِ .

(١٥) الْظَلَى الَّذِي خَلَفْتَهُ وَرَاءَهَا هُوَ مَا أَحْبَبَهَا مِنْ مَقْتَلِ زَوْجِهَا ، وَالظَلَى الَّذِي يَسْتَقْبِلُهَا هُوَ مَا تَحْظَرُهُ بَعْدَ قَتْلِ أَخِيهَا . وَهَذِهِ هِيَ بَدَايَةُ حَدِيثِهَا عَنْ مَشْكَلِهَا الَّتِي سَتَفْصِلُ الْقَوْلَ فِيهَا فِي الْأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ .

(١٦) الْيَوْمَانِ اللَّذَانِ يَبْكِي مِنْهُمَا هُمَا يَوْمُ مَقْتَلِ زَوْجِهَا الَّذِي مَضَى وَانْكَشَفَ أَمْرُهُ ، وَيَوْمُ مَقْتَلِ أَخِيهَا الَّذِي تَحْظَرُهُ فِي قَلْقٍ وَخَوْفٍ .

(١٧) هَذِهِ هِيَ ذُرَّةُ الْمَأْسَاءَةِ الَّتِي تَعِيشُهَا . إِنَّ مِنْ يَدْرِكِ نَارَهُ تَهْدَأُ نَفْسُهُ وَيَسْتَبْنِي مِنَ الْأَحْزَانِ الَّتِي تَمْتَصِّرُهَا ، أَمَا هِيَ فَنَى إِذَا رَأَتْهَا تَكُلُّ نَارَهَا تَكُلُّ جَدِيدَهَا ، لِأَنَّ نَارَهَا هُوَ أَخُوهَا .

١٨ ليتسه كان دمي فاحتلبوا بدلا منه دما من اخلي
١٩ لاني قاتلة مقتولة ولعل الله ان يرتاح لي

* * *

(١٨) الأكحل : عرق في النزاع ، يصفه العرب بأنه عرق الحياة ، ولذلك يسمونه نهر البدن .
تمنى — إنقاذاً لنفسها من ذلك الصراع النفسى — أن يكون الدم الذى يطالبون به لأوهم دما ،
وإذن لبذله لم يغير تردد .

(١٩) في هذا البيت — ختام القصيدة — تركب مشكلتها التى لاجل لها إلا عند الله ، فهو وحده
القادر على حلها . إنها قاتلة ومقتولة ، إن تصرف أخيا الطائش وضعها في هذا الموقف الذى لا تحسد
عليه ، إنها في نظر الناس قاتلة ، ولكنها في حقيقة الأمر مقتولة ، وإنها لتمنى أن يريحها الله من
هذا الصراع النفسى الرهيب .

* * *

يوسف خليف

امرؤ القيس

هو آخر أمراء أسرة كندة اليمنية التي كانت تحكم منطقة نجد منذ منتصف القرن الخامس الميلادي حتى حوالى منتصف القرن السادس . وأبوه حجر ابن الحارث آخر ملوك هذه الأسرة الذي أسدل مصرعه ستار الختام على حكمها لهذه المنطقة . وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب سيد قبائل ربيعة، المهليل بطل حرب البسوس .

ولد في بلاد بني أسد بنجد في أوائل القرن السادس ، ونشأ نشأة أرسقراطية في ظل أبيه الملك . وليس بين أيدينا شيء كثير عن نشأته والمرحلة الأولى من حياته ، فكل ما بين أيدينا عنها أنه قضى شبابا متهتكا يطارد النساء ، ويشرب الخمر ، ويخرج للصيد ، ويأوى إلى بطانة سوء من فتيان وقيان ، وينشد في ذلك شعرا يصور به حياته وما تنطوى عليه من خلاعة ومجون ، حتى اضطرب أبوه إلى خلعه وطرده ، فانطلق ينتقل بين أحياء العرب ومن حوله أخلاط من خلعاء القبائل وشذاذها يمارسون حياة خليعة ماجنة ، يشربون الخمر ، ويخرجون للصيد ، وتقنهم القيان . وهى نفس الحياة التي كان يحياها من قبل مع اندفاع طائش خلفها ، زاد منه بعدة عن أبيه ، وتخلصه من رقابته ، وإحساسه بالحرية المطلقة التي لا تحددها حدود ، ولا تقيدتها قيود .

في هذه المرحلة قتل أبوه في ثورة أشعلها ضده بنو أسد . ويقال إنه كان في ذلك الوقت في بلاد اليمن ، وإن نعى أبيه بلغه وهو في مجلس شراب ، فقال :

« ضيعني صغيراً، وحملني دمه كبيراً . لاصحو اليوم ، ولا سُكرَ غدا . اليوم نجر ، وغدا أمر » ، ثم أنشد :

خليلٌ لافي اليوم مصحّي لشاربٍ ولا في غدٍ إذ ذاك ما كان يشربُ
ثم آلى على نفسه ألا يهدأ ولا يعود إلى سابق سيرته حتى يأخذ بثأر أبيه . لكن هذا الخبر - في رأى بعض الباحثين - غير صحيح ، ففى شعر عبيد بن الأبرص شاعر بنى أسد ، وداعية الثورة ، الذى كان معاصراً لأحداثها وشاهد عيان لها منذ بدايتها حتى نهايتها ، ما يدل على أنه كان موجوداً مع أبيه عند مقتله ، وأنه شهد المعركة التى دارت بين كندة وبنى أسد ، وأنه فر منها بعد هزيمة كندة ، يقول عبيد :

وركضك لولاه لقيت الذى لقوا فذاك الذى أنجأك مما هاناكما
وأيا ما كانت الحقيقة فقد خرج امرؤ القيس مطالباً بثأر أبيه ، محاولاً أن يسترد الملك الذى ضاع من بين يديه . وتكثر الأخبار عن هذه المرحلة من حياته ، فيذكر الرواة أنه استنصر بطائفة من القبائل لتعينه على الأخذ بثأره ، فمنهم من أعانوه ومنهم من رفض . ويذكرون أنه استعان بصعاليك العرب وشذاذ القبائل فى هذه المحاولة ، وألف منهم جيشاً من المرتزقة خرج به فى معركة النار ، ويذكرون أنه سجل بعض الانتصارات على بنى أسد حتى اضطروهم إلى الفرار أمامه ، ولكنه جدّ فى طلبهم طمعاً فى القضاء عليهم ، فبدأت بعض القبائل التى نصرته تنفض من حوله . ويذكرون أن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة استغل هذه الظروف ، فخذ فى طلبه ، بسبب مداوة قديمة كانت بينه وبين الحارث بن عسروجه . وجّه امرؤ القيس فى الحرب ، وأرسل المنذر بالجيش من خلفه ، ولجأ امرؤ القيس إلى بعض القبائل واستجار بهم ، ولم يكف المنذر عن مطاردته ،

حتى انتهى به المطاف إلى السؤال بتياء فلجأ إليه ، وطلب إليه أن يكتب إلى الحارث بن جبلة ملك الغساسنة بالشام ليوصله إلى قيصر الروم « جستنيان » بالقسطنطينية . واستودع امرؤ القيس أهله وأمواله وسلاحه عند السؤال ، وشد رحاله إلى قيصر الذي أكرمه وأمدّه بجيش كثيف . وأخذ امرؤ القيس طريق العودة إلى وطنه ، ولكن رجلا من بني أسد ، اسمه الطماح ، وشى به عند قيصر ، واتهمه بأنه كان على علاقة بابنته ، فغضب قيصر وبعث إليه بحلة مسمومة منسوجة بالذهب ، فلما لبسها أسرع فيه السم ، وتساقط جلده ، ومات . ومن هنا جاء لقبه « ذوالقروح » . وفي سفح جبل بمدينة أنقرة يقال له عيسيب كان مثواه الأخير .

ولكن يبدو أن طائفة من هذه التفاصيل فيها شيء من الكذب والتلفيق والانتحال ، فصدرها الأسامي راوية منهم مشكوك فيه هو ابن الكلبي . ومع ذلك فمن الممكن أن يكون لها أصل ثابت ، فمن المؤكد أن امرؤ القيس حاول التآمر لأبيه ، وأنه خرج في سبيل هذا التآمر ، ولكنه لم يوفق في ذلك . ثم لم يلبث أن مات . ويظن الدكتور شوقي ضيف في كتابه « العصر الجاهلي » أن قصة زيارته لقيصر وما أحاط بها من أخبار وتفصيلات غير صحيحة ، كما يظن الدكتور طه حسين في كتابه « في الأدب الجاهلي » — في مبالغة غير مقبولة — أن كل ما رواه الرواة من أخباره لا أساس له من الصحة . وفي ظني أن رحلة قيصر صحيحة ، ففي شعر امرؤ القيس الثابت الصحيح الذي يرويه الأصمعي الراوية الثقة ما يؤكدها ، على نحو ما نرى في قصيدته الرائية :

سما لك شوقٌ بعد ما كان أفصراً وحلّت سليمى بطن قوّ فعرعراً

ففيها حديث صريح عن هذه الرحلة . ولكن — في أغلب الظن — أن امرأ القيس توفي وهو في طريقه إلى قيصر ، فليس في القصيدة ما يشير إلى أنه وصل إليه . وعلى هذا فكل التفاصيل التي يذكرها الرواة بعد ذلك غير صحيحة . وليس في أحاديث الرواة عنه ما يحدد تاريخ وفاته ، وإن يكن من المحتمل أنها كانت فيما بين سنتي ٥٣٠ ، ٥٤٠ للميلاد .

وامرؤ القيس — بدون منازع — أشهر شعراء العصر الجاهلي ، وهو — عند الباحثين — أبو الشعر الجاهلي . ومن اليسير أن نلاحظ أن شعره ينقسم إلى قسمين : قسم نظمته قبل مقتل أبيه ، وقسم نظمته بعد مقتله . ومن اليسير أيضا أن نلاحظ أن القسم الأول يدور حول تصوير شبابه وما انطوى عليه من مغامرات غرامية ، ومن خروج للصيد ، ومن كل تلك المتع التي كان غارقا فيها إلى أذنيه . وليس من شك من أن معلقته المشهورة من نتاج هذه المرحلة . وأما القسم الثاني فيدور حول تصوير المرحلة المضطربة من حياته ، ووصف محاولاته اليائسة للأخذ بشأره ، وهو يفيض بالشكوى من الظروف التي أحاطت به ، والآمال التي يراها تتساقط من بين يديه ، والضياع الذي أخذ يحس أنه يعيش فيه . وفي هذا القسم مجموعة من المقطوعات القصيرة نظمها في مدح سادة القبائل الذين استنجد بهم ونصروه . وفيه أيضا قصائد طويلة يتذكر فيها شبابه البعيد ، ويستعيد ذكريات ماضيه السعيد الذي ذهب إلى غير رجعة . ولا شك أن قصيدته المشهورة :

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يَعمَنُ من كان في العُصُر الخالي

من نتاج هذه المرحلة، فمع أنها صورة توشك أن تكون طبق الأصل من المعلقة، فإن فيها ما يشير إلى أنها نظمت في هذه المرحلة الثانية، وأنها تصوير لذكريات شبابه التي عادت تلح عليه وتحمله على أجنحتها السحرية إلى عالم بعيد قضى فيه أجمل سنوات عمره .

* * *

يوسف خليف

(١)

من المعلقة

المقدمة الطالبة :

- ١ قفا نبيك من ذكرى حبيب ومزلي بسقط اللوى بين الدخول وخومل
- ٢ فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتا من جنوب وشمال
- ٣ ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فأنفل
- ٤ كاني غداة البين يوم تمهلوا لدى ثمرات الحي ناقف حنظل
- ٥ وقوفا بها صهي على مطيمهم يقولون : لا تهلك أمي وتجل

(١) سقط اللوى والدخول وخومل : أسماء مواضع يحدد بها مكان الطلل الذي يقف به ويطلب إلى صاحبه الوقوف معه فيه .

(٢) توضح والمقراة : موضعان يستكمل بهما تحديد مكان الطلل . ولم يعف رسمها : لم تغفر آثارها . والجنوب والشمال : ربحان تبادلان الهبوب على الطلل .

(٣) الآرام : جمع رثم وهو الثني الخالص البياض . والعرصات : المساحات . القيعان : جمع قاع . وهو مستنقع الماء . يقول إن الطلل تحول إلى مسرح للظياء بعد أن كان أهلا بأحبابه . يصور حسرتة .

(٤) البين : الفراق . وتمهلوا : رحلوا . والسمرات : أشجار شوكية من أشجار البادية ، جمع سمرة . والحنظل : ثمرة صلبة تضم رحيقا حارا تدمع العينان منه . وناقف الحنظل : الذي يكسر ثمرته ليستخرج رحيقها . يتذكر موقفه يوم الوداع .

(٥) وقوفا : حال آر مفعول مطلق . وعلى : أى من أجل . يقول إن أصحابه وفقوا مطالعهم بالطلل استجابة لرغبته التي أبداه . والتجل : التمسك بالصبر . والأمى : الحزن .

- ٦ ولات شِفائي عَبْرَةَ مُهْرَاقَةٍ فهل عِنْدَ رِسمِ دَارِيسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ ؟
 ٧ كَدَأَيْكَ مِنْ أُمِّ الحَوِيرِثِ قَبْلَهَا وجَارَتِهَا أُمُّ الرِّبَابِ يَمَاسِلُ
 ٨ إِذَا قَامَتَا تَضَمُّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنفُلِ
 ٩ ففَاضَتْ دُمُوعُ العَيْنِ مِثْلَ صِبَابَةٍ عَلَى النَحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِي يَحْمَلُ
 مغامرات غرامية :

- ١٠ أَلَا رَبِّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلَا سَمِيًّا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلُجُلِ
 ١١ وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطْبِقِي فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمِّلِ
 ١٢ فَظُلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحِيمَ كُهُدَابِ الدَّمْقِيسِ الْمَفْتَلِ

* * *

- (٦) العبارة : الدمة . والمهرقة : المرافقة ، لغة يمنية . والرسم : الأثر . والدارس : الذى ذهب بعضه وبقى بعضه . والمعول : اسم مكان بمعنى موضع العويل ، أو هو مصدر بمعنى العويل .
 (٧) كدأبك : كعادتك . وأم الحويرث وأم الرباب : صاحبتان من صاحبات الكهيدات .
 وماسل : اسم موضع .
 (٨) تضمّع : فاح وانتشر . والصبا : ريح طيبة تهب من الشرق من ناحية نجد تفتى بها الشعراء العرب كثيرا فى شعرهم . وريّا القرنفل : رائحته وعطره .
 (٩) المحمل : السير الذى يحمل به السيف . وهنا تلحق مقدمة الأبطال أبدأ الشاعر بعدها أحاديث مغامراته الغرامية .
 (١٠) دارّة جلجل : اسم مكان كانت لامرئ القيس فيه مغامرة من مغامراته الغرامية الكثيرة ، وما يرويه الرواة القدماء من حديث هذا اليوم يقال إنه موضع نسيجه خيال الفرزدق الشاعر الأمدى .
 (١١) هذا يوم آخر من أيام امرئ القيس « الصالحة » — كما يسميها ، أو هى مغامرة أخرى من مغامراته الالهية . والمتحمل : الذى وزعه على إبل صاحباته بعد أن نحر لهن ناقته .
 (١٢) يرتمين بلحمها : أى يتقاذفن به . والهذاب : أطراف اللؤب التى تركت دون نسج ، مفردها هذابة . والدقمس : الحرير الأبيض . والمفتل : البيت يرسم صورة لجو المرح الذى كان يسيطر على امرئ القيس وصاحباته .

- ١٣ ويوم دخلت الحدر خدر عذرة فقالت : لك الوليات إنك مريجي
 ١٤ تقول وقد مال الغيط بنا معاً : عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل
 ١٥ فقلت لها : سيري ، وأرني زمامه ولا تبعيني من جنانك المعلن
 ١٦ أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجلى
 ١٧ وإن تك قد ساءت مني خليفة فسلني ثيابي من ثيابك تسلي
 ١٨ أعرك مني أن حبك قائلي وأنك مهما تأمرى القلب يفعل ؟
 ١٩ وما ذرفت عينك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

* * *

- (١٣) الحدر : المروج . وعذرة : إحدى صاحباته . وقوله « إنك مريجي » يريد أني أخاف .
 أن تعقر بعيري فأضطر إلى الترجل . والبيت يعكس جو الهلال الذي كانت تعطنه صاحباته .
 (١٤) الغيط : المروج . والبيت يعكس جو العبث والخلاعة الذي كانت تعيش فيه .
 امرؤ القيس وصاحباته .
 (١٥) الجنى : الثمر ، ويريد به هنا ما كان يناله من صاحبتيه من قبلات . والمعلن (بالكسر) :
 ما يتعل به من قبلات صاحبتيه ، وبالفتح : الذي تطل بالطيب مرة بعد مرة ، أي ضيق به .
 (١٦) أفاطم : نداء على الترقيم ، وفاطمة صاحبة أخرى له . أزمعت : هزمت . صرعى :
 هجري . أجلى : أحمى ، أي ليكن هجرتك جيلاً لا إماعة فيه إلى .
 (١٧) الخلقة : الخلق . سل : اخلعي . تسلي : تسقط وتفصل ، والمراد هنا خلعتي قلبي من
 حبك وأبعديه عن قلبك .

- (١٩) ذرفت : دمعت . ويريد بالسهمين مئينيا . والأعشار : المقسم عشرة أقسام جمع عشر .
 والصورة مأخوذة من تقاليد الميسر عند العرب عندما يقسمون الناقة التي يلعبون عليها عشرة أقسام ،
 ثم يديرون عليها القداح وهي السهام ليربح كل منهم نصيبه الذي يخرج له .

الجزء الأول

١٠١

- ٢٠ وببضّة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لحو بها غير معجل
٢١ تجاوزت أحراسا إليها ومعثرا على حراسا لو يسرون مقتل
٢٢ إذا ما الثريا في السماء تعرّضت تعرّض أنشاء الوشاح المفصل
٢٣ فجئت وقد نصت ليوم ثيابها لدى السرّ إلا لبسة المتفضل
٢٤ فقالت : يمين الله ، مالك حيلة وما إن أرى عنك القوابة تتجلى
٢٥ خرجت بها أمشى تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل
٢٦ فلما أجزنا ساحة الحى وانتهى بنا بطن خبت ذى قفاف عققل

(٢٠) ببضة خدر : يريد امرأة منعة بحجة . لا يرام خباؤها : لا يجروا أحد على الاقتراب من خباؤها لأنها عزيزة مكنونة . تمتعت من لحو بها : وصلت إلى خباؤها وتمتعت باللهو بها . غير معجل : غير متعجل .

(٢١) تجاوزت : تخطيت وعبرت . أحراسا : جمع حرس . يسرون : يكتنون أو يظهرون لأن الكلمة من الأضداد . والمعنى هنا أنهم يهدون بقتل ولكنهم يتكتنون ذلك خوفا من مكائى فى قوى .
(٢٢) الثريا : كواكب تظهر بعد انقضاء الليل و يعلن تعرضها عن اقتراب الفجر . وتعرضت : صارت مستعرضة قبل أفولها . الوشاح : « الشال » تطرحه المرأة على كتفها . المفصل : الذى فصل بأنواع مختلفة من الجواهر . أنشاء الوشاح : ثنأياه ونواحيه .

(٢٣) نصت : خلعت وألقت عنها . المتفضل : الذى يبق فى ثوب واحد استعدادا للثوم .
(٢٤) يمين الله : بالنصب على نزع الخافض ، وبالرفع على الابتداء ، وغيره محذوف تقديره قسمى . ما إن أرى : تؤكد للنسب . القوابة : القى . تتجلى : تنكشف .

(٢٥) المرط : إزار من الحرير . والمرحل : المنقوش بصور الرجال . هى تجر وراءها ذيل إزارها الطويل لتفى أثرها فوق الرمال حتى لا يعرف موضعها .

(٢٦) أجزنا : تجاوزنا . وانتهى : اتجه بنا ناحيته . وانتهى : المنخفض الفامض من الأرض . والقفاف : المرتفعات الخليطة ، جمع قف . والعققل : التداخل بعضه فى بعض .

- ٢٧ هَصَرْتُ بِقُودَى رَأْسِهَا فَمَا لَيْتَ عَلَى هَضِيمِ الْكَشْحِ رِيًّا الْمُخْلَلِ
 ٢٨ مَهْفَهْفَةً بِيضَاءُ غَيْرُ مُقَاضِيَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْفُولَةٌ كَالسَّجَنَجِلِ
 ٢٩ تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ ، وَتَتَّقِي بِنَازِرَةٍ مِنْ وَحِشٍ وَجَرَّةٍ مُطْفِلِ
 ٣٠ وَجِيدٍ بِكَيْدِ الرَّثْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّصَتْهُ وَلَا بِمُعْطَلِ
 ٣١ وَفَرَجٍ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٍ كَقَيْنِوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَشِّكِ
 ٣٢ غَدَائِرُهُ مُسْتَشْرِزَاتٌ إِلَى الْعُصْلَا تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مِثْقَلٍ وَمُرْسَلِ
 ٣٣ وَكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالْجَدِيدِ مُخَصَّرٍ وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمُدَّالِ

(٢٧) هصرت : جذبت . والفودان : جانباً الرأس . والكشح : الخصر . والهضم : الضامر النعيل . روياء : منقطة . مؤث ريان . والمخلخل : موضع الخلخال ، يريد ساقها . يصف خصرها بالضمور وساقها بالامتلاء .

(٢٨) مهفهفه : رشيقة . وغير مقاضية : غير مترهلة . والترائب : عظام الصدر ، والسجنجل : كلمة رومية . ولذلك اختلاف الشراح في تفسيرها ، فقالوا إنها المرأة ، وقالوا إنها سبيكة الفضة .

(٢٩) أسيل : خفيف اللحم ، صفة تلدها . والوحش هذا يريد به البقرة الوحشية وهي مشهورة عند العرب بجمال عينها . ومطفل : ذات أطفال . وجررة : اسم مكان . يشبه عينها بعين بقره وحشية تراعى صفارها في حنو وحسب ووداعة .

(٣٠) الرثم : الظبي الخالص البياض . والفاحش : المفرط الطول . ونصته : رقعته . والمعطل : الخالي من الحلي .

(٣١) الفرع : الشعر . والمتن : الظهر . والأثيث : الغزير . وقنو النخلة : علقها الذي يحمل البليح . والمتعشك : المتداخل بعضه في بعض . يصف شعرها بالطول والسواد والغزارة .

(٣٢) الغدائر : الضفائر . ومستشزرات إلى العصلا : أي مرفوعات إلى أعلى . والعقاص : شصيل الشعر الملوية . والمتنى : الشعر الذي ثنى بعضه على بعض . والمرسل : الذي تركته مبرحاً غير مضفر . يصف تصفيفة شعرها .

(٣٣) الكشح : الخصر . والجديد : الحزام المنقول . والمخصر : الرشيقي الرقيق . والسقي المدال : يريد نباتاً ماثياً ينمو في ماء ذلال له فهو دائماً غض ريان .

- ٣٤ وتَضِجِي قَتِيتُ الْمِسْكَ فَوْقُ فَرَاشِهَا نَوُومُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَقِ عَنْ تَفَضُّلِ
٣٥ وَتَعْطُو بِرَخِصٍ غَيْرِ شَتْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْجِلِ
٣٦ تَضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهُ مَنَارَةٌ تُنَمِّي رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ
٣٧ إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الْحَلِيمُ صَبَابَةً إِذَا مَا اسْبَكَّتْ بَيْنَ دَرَجٍ وَبَحْوَلِ
٣٨ كَيْسِكِ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضُ بِصُفْرَةٍ فَذَاهَا تَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحَطَّلِ

حديث مع الليل :

- ٣٩ وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مُرْخِجٌ سُدُولُهُ عَلَى بَازِوِاجِ الْهَمُومِ لِيَبْتَلِ
٤٠ فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمُطِّي بِصُلْبِيهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً يَكْلِكِلِي :

(٣٤) لم تنتق عن تفضل : يريد أنها لا تعمل في بيتها فلا تلبس النطاق لتشد به ثيابها ، وإنما تلبس أرق ثيابها . والبيت تصوير لترف صاحبه ومطقتها الأرستقراطية .

(٣٥) تعطو : تمتد يدها . والرخص : اللين ، صفة لأصابعها . والشتن : الغليظ الكر . والأساريع : ديدان تكون في الرمال بيضاء الظهور حمراء الأطراف . وظبي : امم مكان . والإسجل : شجر له أضعان ناعمة تتخذ منها المساريك .

(٣٦) المنارة : السراج . منمى راهب : مساء راهب . المتبتل : المنفرد المنقطع عن الناس . لعبادة الله ؛ والراهب لا يطفىء مراحه لكونه طول الليل في عبادة .

(٣٧) يرنو : يديم النظر . اسبكت : امتدت . الدرج : قبض المرأة الكبيرة . المحبول : قبض المرأة الصغيرة ؛ والمراد هنا أنها ليست كبيرة ولا صغيرة .

(٣٨) البكرتها : أول بيضة للنعامة . المقاناة : المخالطة . تمير الماء : الذي يروى عند ارتشائه لو حتى يكن عذبا . غير المحلل : أى الصافي الذي لم يكدوره شيء .

(٣٩) كموج البحر : أى يشبه موج البحر في كثافته وظلته . السدول : السنور . يتلى : يختبر .

(٤٠) تمطى : تمتد . الصلب : الوسط . أردف أعجازا : رجع من جديد بظهوره . ناء بكلكل : أى تها لينهض ، والكلكل : الصدر . والصورة بدوية تستمد هنا صرها من حركة الناقة عند نهوضها .

- ٤١ ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح، وما الإصباح منك بأمثل
٤٢ فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يبدل
٤٣ كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل

رحلة صيد :

- ٤٤ وقد أغتدى والطيرو في وكناتها بمنجريد قيد الأوايد هبكل
٤٥ مكر مفر مقيل مدبر معا بكمود صخر حطه السيل من عل
٤٦ كمت يزل اللبد عن حال متنيه كما زلت الصفواء بالمتنزل

(٤١) يريد أن الصبح لا يفضل الليل فكلاهما له همومه .

(٤٢) مغار الفتل : محكم الفتل ، يعني أنه قوى متين . يبدل : أهم جبل في بلاد نجد . يصف طول الليل فكان النجوم ثابتة لا تتحرك .

(٤٣) المصام : الأفلاك التي تدور فيها النجوم . الأمراس : الحبال . صم جندل : للصخر الأسم أو الحجارة العلية . والبيت استمرار في وصف الليل بالطول والتوقف .

(٤٤) أغتدى : من الغدأى الانطلاق في البكور . الوكنات : أوكار الطير . المنجريد : قصير الشعر ، يصف فرسه . قيد الأوايد : يريد أنه يلحق بالأوايد فيصير لها بمنزلة القيد ، والأوايد : الوحوش البعيدة في الصحراء . الهيكل : الضخم .

(٤٥) مكر : يصلح للكر . مفر : يصلح للفر . مقبل : حسن الإقبال . مدبر : حسن الإدبار . معا : أي يملك الصقنين معا . جلود صخر : حفرة ضخمة مائتة . حطه السيل : أي دمه السيل فانهخذ بصرة وعنف . من عل : من أعلى الجبل .

(٤٦) كمت : أحرمان للذكة . اللبد : ما يوضع تحت المروج من صوف ونحوه . حال متنه : وسط ظهره ، والحال : موضع اللبد . الصفواء : الصخرة المساء التي لا يثبت فوقها شيء . المتنزل : السيل أو المطر .

- ٤٧ على الذئب جياش كأن اهتزاه إذا جاش فيه حميه غلى مرجل
 ٤٨ مسح إذا ما السابحات على الوقى أثرن الغبار بالكديد المركل
 ٤٩ يزل الغلام الخلف عن صهواته ويلوى بأثواب العنيف المثقل
 ٥٠ درير تخذروف الوليد أمره تتابع كفيه يخييط موصل
 ٥١ له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل
 ٥٢ كأن مرآته لدى البيت قائما مذاك عروس أو صلاية حنظل
 ٥٣ كأن دماء الهاديات ينحيره عصارة حناء شيب مرجل

- (٤٧) الذئب : الضمور . جياش : يحيش في عدوه كما يحيش الماء في القدر عند غليانه . الاهتزاز : الصوت . حميه : غليه . وعلى الذئب أى على الرغم من ضوره .
 (٤٨) مسح : يصب الجرى صبا . السابحات : الخيل القواقي عدوهن سباحة . الوقى : الفتور . الكديد : الموضع الغليظ . المركل : الذى تركله أرجل الخيل .
 (٤٩) يزل : ينزلق . الخلف : الخفيف . يلوى بأثواب العنيف : أى يرمى بثيابه بعيدا عنه . المثقل : الثقل الثابت فوق ظهر جواده .
 (٥٠) درير : مستدر في عدوه كأنه يصب العدو صبا ، والمعنى أنه سريع العدو . الخلدروف : حصاة مثقوبة تقين يحجل الصبية فيها خيطا ثم يدبرونها فتكون مريضة الدوران . أمره : أحكم فتل . تتابع كفيه : متابعة الكفين للحصاة والخيط بقصد زيادة السرعة . ووصف الخيط بأنه موصل للدلالة على كثرة استعماله .
 (٥١) الأيطل : الكشح وهو ما بين آخر الضلوع إلى الفخذ ، وأيطل الظبي ضامر . وساقا النعامة قصيرتان صلبتان . الإرخاء : عدوليس بالشديد . السرحان : الذئب . التقريب : رفع اليدين معاً ثم وضعهما معاً عند الجرى . التتفل : ولد الثعلب .
 (٥٢) السراة : الظهر . والمذاك : الخجر الذى يسحق به الطيب . والصلاية : ما يسحق فيه الحنظل ونحوه . يصف ملاسة ظهر جواده .
 (٥٣) الهاديات : المتقدّمات ، وهى تمنى هنا أوائل الوحوش والفرائس . عصارة حناء : ما بق من أثرها بعد الصبغة . مرجل : مسرج ومشط .

٥٤. فَمَنْ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ هَذَارَى دَوَارٍ فِي مُسَلَاةٍ مُدَبِّلٍ
٥٥. فَأَدْبَرْنَ كَالْجَزَعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهُ بِحَبِيدٍ مُعِيمٍ فِي الْعَشِيرَةِ مُخَوِّلٍ
٥٦. فَالْحَقَهُ بِالْهَادِيَاتِ وَدُونَهُ جَوَاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزِيلِ
٥٧. فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ دِرَاكَا ، وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغَسِّلِ
٥٨. فَظَلَّ طُهَاءَ الْحَمِيمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضَجٍ صَفِيفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجِّلِ
٥٩. وَرَحْنَا يَكَادِ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسْهَلِ
٦٠. فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرَجُهُ وَبَلَامُهُ وَبَاتَ يَعْنِي قَائِمًا فَيَرُ مَرْسَلِ

* * *

- (٥٤) عن : اعتراض . مرب : قطيع من البقر . دوار : صنم من طقوس عبادته أن يدوروا حوله . ملاء : جمع ملاءة ، مدبل : له ذيل أو أهداب سود سائفة .
(٥٥) الجزع : خروفيه سواد و بياض . مع مخول : صبي كريم الأعمام والأخوال .
(٥٦) جواهرها : التي تختلف منها من القطيع . الحقه : أي أن القوس جعل صاحب يدرك القرائن . الصرة : الشدة ، وفست أيضا بأنها الصيغة أو الغبار . لم تزيل : لم تنفرك .
(٥٧) عادى : وإلى الجري بين اثنين ، والنسبة هنا البقرة الوحشية . دراكا : مداركة وملاحقة . لم ينضح بماء : لم يعرق .
(٥٨) الصفيف : الشواء الذي صف على الحجر ، والقدير : ما طبخ في القدور .
(٥٩) الطرف : النظر أو العين . يقصر دونه : بهجز عن النظر إليه . متى ما ترق العين فيه تسهل : أي متى ما نظر إلى أهله نظر إلى أسفله ، وذلك كي يتم النظر إلى جميع جسمه إعجابا به .
(٦٠) بات يعنى : ظل بحيث أراه . غير مرسل : أي غير مهمل .

* * *

محمد حمدى إبراهيم

(٢)

صورة مثالية لجواد الصيد

يصف امرؤ القيس في هذه القصيدة حصانه ورحلة صيد خلف البقر الوحشى . وكل ما تصوره هذه القصيدة قريب مما جاء في المعلقة ، بل إن هناك أبياتا تتكرر كاملة مع تغيير كلمة واحدة ، كما أن هناك معانى مشتركة كثيرة في مجالات الغزل والصيد ووصف الحصان تجعلنا نتساءل عن سر هذا التشابه : أسببه أن امرؤ القيس كان يكرر نفسه في بعض قصائده أم أن هذه القصيدة تحملها الرواة على منوال المعلقة ؟ أيا ما كان الأمر فالذى لا شك فيه أن القصيدة تصور عالم امرؤ القيس الإنسانى والصحراوى الذى يطالعنا كثيرا في شعره . والصورة التى نخرج بها دائما من شعر امرؤ القيس هى أن شعره يوحى بأنه يعانى قدرا من الاغتراب ، ولذلك نجده في شعره يتعامل فقط مع المرأة أو مع عناصر الصحراء ، فالشعر دائما مغيبون عنه . ومن هنا أرى أن شعره يمثل حالة متقدمة من الاغتراب مما أبلأه إلى حياة وجودية أقرب إلى العبت واللامبالاة . فهل كان هذا سببا لخلع أبيه له أم نتيجة ؟

وأخيرا فإن النص سواء أكان صحيحا أم متحلا يصور عالم امرؤ القيس قبل مقتل أبيه ، وهو يعبر فيه عن حياته الالهية العابثة في الحب والصيد ، وعلاقته بالحكمة بحصانه .

* * *

- ١ خليلي مُراي على أم جندب نُقَضَّ لُباناتِ الفؤادِ المعدب
- ٢ فلانكا انت تنظرائي ساعة من الدهر ينفعني لدى أم جندب
- ٣ ألم تريايني كسا جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب
- ٤ عقيقة أتراب لها ، لا دميعة ولا ذات خلق إن تأملت جانب
- ٥ ألا ليت شعري كيف حادث وصلها وكيف تراعى وحيلة المتغيّب ؟
- ٦ أدامت على ما بيننا من مودة أم صارت لقول الخشب ؟
- ٧ فإن تنأ عنها حقة لا تلاقها فإنك مما أحدثت بالمجرب
- ٨ وقالت متى يبخل عليك ويعتزل يسؤك وإن يكشف غرامك تدرّب

* * *

- ٩ تبصر خليلي هل ترى من طعائن سؤالك نقبا بين حزمي شعبي

(١) أم جندب ، زوجة الشاعر ، لبانات : جمع لابة وهي الحاجة .

(٢) تنظرائي : تنظرائي .

(٣) طارقا : آتيا بالليل . وجدت بها طيبا : أى وجدت بها طيبة الرائحة فى الليل الذى تكثره روائح الناس فيه .

(٤) عقيقة أتراب : يريد أنها أكرم وأفضل من مثيلاتها . ولا ذات خلق : أى أن خلقها فخرىج لها الدين . جانب : خليفة قصيرة .

(٥) حادث وصلها : حالة حبها أى أحوالها هل أهدأ أم قد تذهب ؟ والشعر الثانى معناه : هل حفظت عهد الحب فى غياب أم ضيعته ؟ والوصلة : الوصل .

(٦) صارت لقول الخشب : أطاحت قول المفسد المساك .

(٧) حقة : فترة ، تنأ : تبعث . أحدثت : فعلت . والمجرب : الذى مررت به بمجرية معها .

(٨) يبخل عليك أى بالوصال واللقاء . يعتزل : يأتى بالأسباب والعلل . تدرّب : تهود .

(٩) الطعائن : النساء فى المسودج . سؤالك : سالكات . النقب : للفرق فى الجبل .

الحزم : ما غلظ من الأرض . شعبي : آدم ما .

الجزء الأول

١٠٩

١٠. علون بأنطاكية فوق عَقْمَةٍ بكرمة نخيل أو بكنة يثرب
١١. فَلِلَّهِ عَيْنًا من رأى من تَفَرَّقِ أَشَتْ وَأَنَّى مِنْ فراقِ المحصب
١٢. فريقانٍ منهم جازعٌ بطنَ نخلَةٍ وآخرُ منهم قاطعٌ نجدَ كَبْكَبِ
١٣. فميناكَ غَرَبًا جدولٍ في مُفاضَةٍ كَمَرٌ الخليجِ في صَفِيحِ مُصَوَّبِ
١٤. ولَمَّا لَمْ يَفْخَرْ طَيْسَكَ كَفَاخِرِ ضَعِيفٍ، وَلَمْ يَغْلِبِكَ مِثْلُ مُغْلَبِ
١٥. ولَمَّا لَمْ تَقْطَعْ لُبَانَةً عاشِقِ بِمِثْلِ غَدْوٍ أو رَوَاجِ مُؤَوَّبِ
١٦. بأدماءَ حُرْجُوجٍ كَأَنَّ قُودَهَا على أبلقِ الكَشْحِينِ لَيْسَ بِمُغْرَبِ

- (١٠) علون بأنطاكية : أى ركن الأبل بتياب صنعت فى أنطاكية من بلاد الشام . عقمة : ضرب من التطريز . الجرمة : البلح . الجنة : الحديقة .
(١١) أشت وأننى : أكثر بعدا وفرقة . المحصب : موضع رى الجماربنى ، أى أن فراق الحبيبة مثل فراق الحاج للأماكن المقدسة .
(١٢) جازع : نازل . قاطع : طالع . كبكب : جبل . يقول تفرق الأحباب بين نازل إلى أسفل وطالع إلى أعلى .
(١٣) معنى الشطر الأول أن عيني الشاعر تسيلان بالدموع حزنا لفراق الأحباب كما تسيل دلوان نرجنا من جدول ماء فى مفاضة أى فى أرض واسعة . والشطر الثانى معناه أن الدموع تسيل مثل خليج ماء مريع الجريان بين صفيح مصوب أى حجارة منحدره .
(١٤) المحبوبة مغلوبة وعاجزة ولكنها أعجزت وغلبت الحبيب القوى .
(١٥) مؤوب : عائد . والمعنى ليس هناك ما يقطع حالة الوصل مثل السفر الذى يريح بالذهاب أو الإياب .
(١٦) أدماء : ناقة بيضاء . حرجوج : طويلة العنق . قود : رحل . أبلق : حار وحشى .
المغرب : أبيض الوجه والأشقر ، وهو عوب فى الجمر الوحشية . يشبه الناقة بجمار الوحش فى مرعته وقوته .

- ١٧ يغرد بالأبحار في كل مُدفة
١٨ أقب رباغ من حمير عماية
١٩ بمحنية قد آزر الضال نبتها
٢٠ وقد أغتدى والطير في وكناتها
٢١ بمنجرد قيد الأوابد لاحه
٢٢ على الأين جياش كان سراته
٢٣ يبارى الخنوف المستقل زماعه
تغرد مياح الندامى المطرب
يمح لعماع البقل في كل مشرب
بحر جيوش غانمين وخيب
وماء الندى يجري على كل مذنب
طراد الهوادي كل شأو مغرب
على الضمر والتعداء مريحة مرقب
ترى شخصه كأنه عود مشجب

- (١٧) يغرد : يفتى ، يصف صوت الحمار . المدفة : الغسق أو الظلمة . مياح : يترنشاطا
أرثوة . هذا الحمار لنشاطه يصبح في الليل كأنه شارب يفتى و يطرب الندماء .
(١٨) أقب : ضامر . عماية : اسم جبل في نجد يقال إن حمرة أشد عدوا من غيرها . يمح لعماع
البقل : يريد أنه إذا شرب تساقط من فيه ما أكله من العشب . يشير إلى أنه في مكان شديد الخصب .
(١٩) محنية : المكان الذي ينحن فيه الوادي وهو أخصب مكان فيه . آزر : بلغ وسأوى
في الطول . الضال : شجر . بحر جيوش : أى أن هذه المحنية في موضع ترفيه الجيوش عالة بالنعيم
أو الخيبة ، فلا ينزلها أحد خوفا منها ، ولذلك احتفظت بخصبها .
(٢٠) أغتدى : أبكر في الخروج للصيد . وكناتها : أعشاشها . مذنب : مسيل الماء . الندى :
المطر . يبدأ الشاعر وصف الرحلة مبكرا وماء المطر ينزل من كل اتجاه .
(٢١) المنجرد : حصانه القصير الشعر . قيد الأوابد : سريع ، يقيد الوحوش لأنه أسرع منها .
الهوادي : الوحوش المتقدمة .
(٢٢) الأين : التعب . جياش : سريع . سراته : ظهره . التمداء : كثرة العدو . المريحة :
الشجرة الطويلة . المرقب : كل ما أشرف من الأرض . يشبه علو الفرس وارتفاعه — على الرغم
من ضوره وكثرة عدوه — بالشجرة العظيمة في أعلى الأماكن .
(٢٣) الخنوف : صفة من صفات حمار الوحش حيث يرى برجليه المتقدمتين في السير . الزماع :
الشعر فوق الظلف ، ويجعلها مستقلة لأن ذلك أدعى إلى الإسراع . وتشبيهه بعود المشجب للدلالة على
صلابته وملابسته وضهوره .

الجزء الأول

١١١

- ٢٤ له أَيْطَلَا ظُبِي وَسَاقَا نَعَامِيَّةٍ وَصَهْوَةٍ عَيْرٍ قَائِمٍ فَوْقَ مَرَقِبٍ
 ٢٥ وَيَخْطُو عَلَى صُمٍّ صِلَابٍ كَأَنَّهَا حِجَارَةٌ غَيْلٍ وَارِسَاتٍ بَطْحَلِبٍ
 ٢٦ لَهُ كَفَلٌ كَالدَّعِصِ لِبَدِهِ النَّدَى إِلَى حَارِكٍ مِثْلَ الْقَبِيطِ الْمَذَابِ
 ٢٧ وَعَيْنٌ كَمِرَاةِ الصَّنَاعِ تَدِيرُهَا لِمَحْجَرِهَا مِنَ النَّصِيفِ الْمُنْقَبِ
 ٢٨ لَهُ أُذُنَانِ تَعْرِيفُ الْعِتَقِ فِيهِمَا كَسَامَعَتِي مَذْعُورَةٍ وَسَطَرٍ رَبْرَبٍ
 ٢٩ وَمُسْتَفْلِكُ الذَّفَرَى كَانَ عِنَانَهُ وَمِثْنَاتُهُ فِي رَأْسٍ يَجْذَعُ مُشْدَبٍ
 ٣٠ وَأَسْحَمُ رِيَانُ الْعَسِيبِ كَأَنَّهُ عِثَاكِيلُ قَنُومٍ مِنْ سُمْبِجَةٍ مُرْطَبٍ

- (٢٤) أَيْطَلَا الظبي : خاضعته . الصهوة : الظهر . العير : الجمار الوحشي . ويلاحظ أن بعض هذه الأوصاف وردت في معلقته .
- (٢٥) صم : صفة للخوافر . الغيل : الماء الجاري . وارسات : مصفريات ، والورس : صيغ أصفر . شبه حوافر الفرس بحجاجة ماء . هلاها : الطحلب فاصفرت وصلبت .
- (٢٦) كفَل : مؤخرة . الدعص : الكتيب الصغير من الرمل . القبيط : قنب الخودج . المذآب : الموسع . وإلى في البيت بمعنى مع .
- (٢٧) الصنّاع : الحاذقة في العمل . النصيف : النخار . المنقب : الذي اتخذته نقابا لها . المحجر : العين . يقول إنها تنقبت بنجارها فأدارت مرآتها إليها لتنظر فيها .
- (٢٨) العتق : مراقة الأصل . كسامعتي مذكورة : كأذني بقرة خائفة . ربرب : قطع .
- (٢٩) مستفلك : مستدير مثل الفلكة . الذفرى : عظم قاع ، خاف الأذن . مثناته : الحبل المشدود في رأسه من الناحيتين . المشذب : الذي نزع شوكة وسفقه ، يريد أنه قصير الشعر ... كان لحام الفرس في رأس جذع نخلة لطول عنقه .
- (٣٠) أسحم : ذيل أسود . الريان : الناعم المتسلى . العسيب : عظم الذئب . العثاكيل : الشارنج وهي فروع النخلة . القنو : عذق النخلة وهو مرجون البلج . سمبجة : اسم بشر ، يقول إن ذيل الفرس مثل شمارنج نخل يرتوى بماء هذه البئر .

- ٤٧ وأوتاده ما ذية وعماده
٤٨ وأطنا به أشتان خوص نجائب
٤٩ فلما دخلناه أضفنا ظهورنا
٥٠ كأن عيون الوحش حول خبائنا
٥١ نَمَشْ بأعراف الجياد أكفنا
٥٢ ورحنا كأننا من جؤاثى عيشة
٥٣ وراح كتييس الربل بنفص رأسه
٥٤ كأن دماء الهاديات بنحره
٥٥ وأنت إذا استدبرته سد فرجه
- رَدِينِيَّةٌ فِيهَا أَسِنَّةٌ قَعَصِبِ
وَصَهْوَةٌ مِنْ أَتَحْمِيٍّ مُشْرَعِبِ
إِلَى كُلِّ حَارِيٍّ جَدِيدٍ مُشْطَبِ
وَأُرْحَلُنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ
إِذَا نَحْنُ قَمْنَا عَنْ شِوَاءٍ مُضْهِبِ
نُعَالِي النَعَاجَ بَيْنَ عَذَلٍ وَمُحَقَّبِ
أَذَاةً بِهِ مِنْ صَائِكَ مُتَحَلِّبِ
عُصَارَةٌ حَنَاءٍ بِشَيْبٍ مُخْضَبِ
بِضَافٍ فَوْيَقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَصْهِبِ

* * *

- (٤٧) الماذية : الدروع . الردينية : الرماح . قعضب : امم رجل مشهور بصنع الزماح...
يذكر الشاعر أنهم بعد أن فرغوا من صيدهم أقاموا بيوتاً من أسلحتهم .
(٤٨) أطنا به أشتان خوص : أركان البيت من حبال الإبل النجبية . صهوته : أملاه .
الأتحمي : نوع من الثياب كانت تتجبه اليمن . مشرب : متنوع الأصناف .
(٤٩) حاري : مصنوع في الحيرة . المشطب : المختلط .
(٥٠) الجزع : الخرز الأسود الممزج بالبياض . يشبه عيون البقر به .
(٥١) نَمَشْ : تمسح . مضهب : غير ناضج .
(٥٢) جؤاثى : أمم قرية بالبحرين مشهورة بالتمر الجيد . نعالى النعاج بين عذل ومحقب : بعد
انتهاء الرحلة وضعوا ما تبقى من اللحم في حقائب بين معتدلة وغير معتدلة .
(٥٣) الربل : نبات . كتييس : ذكر الظباء . الصائك : العرق الثقيل ... الوصف هنا للحصان ،
والعرق دلالة على القوة والنشاط .
(٥٤) الهاديات : المتقدّمات في سرب الصيد . مخضب : ملون بالحناء .
(٥٥) ضاف : طريل . أصهب : أحمر أو أشقر ، يصف ذيل جواده بأنه أسود .

* * *

طه وادى

(٣)

مَتَّعَ مَا بَعْدَ الصَّبَا

تعكس هذه القصيدة مثاليات امرئ القيس — شابا — في حب الحياة واللهو والمجون . وما يتناه في حياته هنا قريب مما صورته في معلقته ، وما صورته طرفه في معلقته أيضا ، مما يؤكد وحدة المزاج عند الشعراء الشبان في العصر الجاهلي .

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | بَجَزَعْتُ وَلَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْبَيْنِ مَجْزَمًا | وَعَزَّيْتُ قَلْبًا بِالْكَوَاعِبِ مُوَلَّعًا |
| ٢ | وَأَصْبَحْتُ وَدَّعْتُ الصَّبَاغِيرَ أُنَى | أَرَأَيْتُ خَلَّاتٍ مِنَ الْعَيْشِ أَرْبَعًا |
| ٣ | فَمَنْ قَوْلِي لِلنَّدَامَى تَرَفَّعُوا | يُدَاجُونَ تَسَاجًا مِنَ الْخَمْرِ مُتَرَعًا |
| ٤ | وَمَنْ رَكُضُ الْخَلِيلِ تَرْجُمَ بِالْقَنَا | يُبَادِرُونَ سِرًّا أَمْنًا أَنْ يُفَسَّرَ |
| ٥ | وَمَنْ نَصُ الْعَيْسِ وَاللَّيْلِ شَامِلٌ | تَيْمُّ مُجْهُولًا مِنَ الْأَرْضِ بَلَقَمًا |
| ٦ | خَوَارِجَ مِنْ بَرِّيَّةٍ نَحْوَ قَرْيَةٍ | يُجِدُّونَ وَصَلًا أَوْ يُقَرِّبُونَ مَطْمَعًا |
| ٧ | وَمَنْ سَوَّى الْخُلُودَ قَدْ بَلَّهَا النَّدَى | تُرَاقِبُ مِنْظُومَ التَّمَائِمِ مُرْضَعًا |

(١) البين : الفراق . الكواعب : جمع كاعب وهي الفتاة الناهد .

(٢) خللات : صفات ونصال .

(٣) يداجون : يرفون ويمالجون استمدادا لفتحهم . التساج : الزق . مترعا : مليئا .

(٤) ركض : جرى . وترجم : تضرب الأرض بحوافرها . والقنا : الرماح .

(٥) نص العيس : تسييرى للإبل . تيمم : تقصد . بلقم : نراب .

(٦) سوفي : شبي ، من ساف بمعنى شم . الخلود : المرأة الحية . منظوم التمايم : كناية عن الوليد الذي يملأ الأجابة .

- ٨ يَعْزُّزُ عَلَيْهَا رِيْبَتِي وَيُسَوِّئُهَا
٩ بَعَثْتُ إِلَيْهَا وَالنَّجُومُ طَوَالِعُ
١٠ بَقَاءَتِ قَطُوفُ الْمَشْيِ هَيَابَةَ السَّرَى
١١ يُزَجِّجُنَا مَشْيَ الزَّرِيفِ وَقَدْ جَرَى
١٢ تَقُولُ وَقَدْ جَرَّدْتُنَا مِنْ ثِيَابِهَا
١٣ أَجِدُّكَ لَوْ شِئْتُ أَنَا نَا رَسُولُهُ
١٤ فَبِتْنَا نَصُدُّ الْوَحْشُ عَنَا كَأَنَّا
١٥ تَجَافَى عَنِ الْمَأْثُورِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
١٦ إِذَا أَخَذَتْهَا هِرَّةُ الرُّوعِ أَمْسَكَتْ
- بُكَاهُ فَتَنِّي الْجَيْدَ أَنْ يَتَضَوَّعَا
حِذَارًا عَلَيْهَا أَنْ تَقُومَ قُتُسَعَا
يُدَافِعُ رَكْنَاهَا كَوَاعِبَ أَرْبَعَا
صُبَابُ الْكَرَى فِي حُجَّةٍ فَتَقْطَعَا
كَمَا رُغِمَتْ مَكْحُولُ الْمَدَامِيعِ أَتْلَعَا
سَوَاكَ ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا
قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَضْرَعَا
وَأَدْنَى عَلَيْهَا السَّابِرَى الْمَضْلَعَا
بِمَنْكِبٍ مَقْدَامٍ عَلَى الْهَوْلِ أَرْوَعَا

(٨) يَضُوعُ : يشتد بكاءه بصوت مرتفع . وَأَنْ هُنَا بِمَعْنَى أَلَا .

(١٠) قَطُوفُ الْمَشْيِ : مقارنة الخلق . هَيَابَةُ : فزعة خائفة . الْكَوَاعِبُ : جمع كاعب وهي التي كعب تهندها .

(١١) الزَّرِيفُ : السكران . صُبَابُ الْكَرَى : بقية النوم .

(١٢) مَكْحُولُ الْمَدَامِيعِ : يريد به ولد اللطيفة . أَتْلَعُ : طوَّيل العنق .

(١٣) شَيْءٌ . هُنَا بِمَعْنَى أَحَدٌ . يَقُولُ : لَوْ أَحَدُ أَتَانَا رَسُولُهُ لَمَّا أَجَبْنَاهُ ، وَلَكِنَّا لَمْ نَمْلِكْ رَدَكَ .

(١٤) نَصَدَّ : أى تصرف أنفسها عنا .

(١٥) تَجَافَى : تباعد . وَالْمَأْثُورُ : السيف . وَالسَّابِرَى : نوع من الثياب .

(١٦) هِرَّةُ : رعشة . الرُّوعُ : الخوف . وَالْأَرْوَعُ : الذى يروعه بحاله .

* * *

طه وادى

(٤)

ذكرياتٌ بعيدة

تدور هذه القصيدة التي ربحنا أنها من نتاج المرحلة الثانية من حياة امرئ القيس حول تصوير ذكريات شبابه التي خلفها وراءه على أرض بنى أسد منذ أن خرج مطالباً بثأر أبيه . وهي تبدأ بمقدمة طليبة يخرج منها إلى حديث الذكريات التي مرت بين الحب والصيد ، ثم يختتمها بالإشارة إلى الهدف الطموح الذي خرج من أجله ، وهو استرداد عرش أسرته الضائع . وهي من رواية الأصمعي الثقة في أربعة وخمسين بيتاً .

* * *

- ١ أَلَا حِمٌّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وهل يَعِينُ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي ؟
- ٢ وهل يَعِينُ إِلَّا سَعِيدٌ مَخْلَدٌ قليلُ المَمُومِ مَا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ ؟
- ٣ وهل يَعِينُ مَنْ كَانَ أَحَدْتُ عَهْدِهِ ثلاثين شهرًا في ثلاثة أحوالِ ؟

(١) عم صباحا : أصلها انعم صباحا ، تحية الصباح عند العرب الجاهلين يوجهها إلى أطلال صاحبتها . ويعين : أصلها ينعم حذف نونها ثم ألحقت بها نون التوكيد الخفيفة . ويريد بالشر الثاني أنه يعيش في الماضي البعيد فكيف يشعر بالنعيم أو السعادة ؟

(٢) . يريد بالسعيد المخلد الذي اكتملت سعادته ودامت له مدى الحياة . والأوجال : المخارف .

(٣) الأحوال : الأهمام ، جمع حول . يريد كيف يشعر بالنعيم من بعد عهده به ؟

- ٤ ديارٌ لِسلمى عافياتٌ بذى خالٍ ألحَّ عليها كلُّ أنثَمٍ هَطَالٍ
٥ وتحسب سلمى لا تزال تُرى طَلًا من الوحش أو بيضاءً بميثاءٍ محلالٍ
٦ وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا بوادى الخُزأى أو على رَسٍّ أو مالٍ
٧ ليالى سلمى إذ تريكَ مُنصبًا وجيدًا بجيد الرِّثم ليس بمِعطالٍ

* * *

- ٨ ألا زعمتُ بسباسةٍ اليوم أنى كبرتُ وأن لا يُحسِنُ اللهو أمثالى
٩ كذبتُ، لقد أصبى على المرءِ عرسه وأمنعُ عرسى أن يُزَنَّ بها الخالى
١٠ ويأربُّ يوم قد هُوتُ ولسلةٍ بأنيسةٍ كأنها خَطٌّ تمثالٍ

(٤) ذو خال : اسم مكان . وعافيات : باليات . الأثَم : الأسود ، يريد السحاب .
والهطال : المنهر ، يريد المطر .

(٥) الطلا : ولد الظبية أو البقرة الوحشية . والميثاء : الأرض اللينة الندية . والمحلال : التى
ينزل بها الناس . والبيض هنا يريد به بيض النعام . ومعنى البيت أنه لا يزال يتخيل صاحبه — كما
كانت أيام شبابه — جميلة وديعة كالظبية الصغيرة ، منعة بعيدة المنال كبيضة النعام .

(٦) وادى الخُزأى ورس الأوعال : موضعان . والرس : البئر .

(٧) المنصب : الثغر المستوى المنسق الأسنان ، والرثم : الظبي الخانص البياض . والمعطال : الذى
خلا من الحلى ، يريد أن يجدها تريته الحلى .

(٨) بسباسة : اسم صاحبة له .

(٩) أصبى على المرءِ عرسه : يريد أنه يفتن على الرجل زوجته ويستميلها إليه . ويزن : يهتم .
والخالى : الذى لا زوجة له . يريد أنه قادر على أن يفتن المرأة المتزوجة ، وقادر فى الوقت نفسه على
أن يحصى زوجته من الفتنة .

(١٠) الأنيسة : المرأة التى تؤنس صاحبها . وخط تمثال : يريد تمثالاً اكتملت له خطوطه ،
وتأنق صاحبه فى إبداعه وإتقانه .

- ١١ يَضِيءُ الْفِرَاشَ وَجْهَهَا لِضَجِيعِهَا كَمَصْبَاحٍ زَيْتٍ فِي قَنَادِيلٍ ذُبَالٍ
 ١٢ كَأَنَّ عَلَى لَبَاتِهَا جَمْرَ مُصْطَلٍ أَصَابَ غَضَى جَزْلاً وَكُفٌّ بِأَجْذَالٍ
 ١٣ وَهَبَتْ لَهُ رِيحٌ بِمُخْتَلِفِ الصَّوَى صَبَاً وَشِمَالٌ فِي مَنَازِلٍ قُفَّالٍ
 ١٤ وَمِثْلِكَ بَيْضَاءُ الْعَوَارِضِ طَفْلَةٌ لَعُوبٌ تُنْسِيْنِي إِذَا قُمْتُ سِرْبَالِي
 ١٥ كَحَقِيفِ النَّقَا يَمْشِي الْوَلِيدَانِ فَوْقَهُ بِمَا احْتَسَبَا مِنْ لَيْنٍ مَسٍّ وَتَسْهَالٍ
 ١٦ لَطِيفَةٌ طَلَى الْكَشْحَ غَيْرُ مُفَاضَةٍ إِذَا انْفَلَتَتْ مَرْتَجَّةٌ غَيْرِ مِتْفَالٍ

(١١) القناديل : جمع قنديل ، وهو زجاجة المصباح . والذبال : الذين يصنعون فتائل المصابيح . يشبه وجه صاحبه الذي يضيء الفرائش بمصباح في زجاجة ركب صانع الفتائل ذباله جديدة له ، وسكب عليها الزيت ، فاشتد توججه وتألقه .

(١٢) اللبات : عظام الصدر حيث تعلق القلائد . والمصطل : الذي يستدفئ بالنار ، فهو لا يزال يقلب جمرها حتى لا تخمد . والغضى : نبات شوكة جاف ، يفضلته العرب لسارهم لأنه أشد احتفاظاً بها . والجزل : الكثير . والأجذال ، أصول الشجر . وكف بأجذال يريد أن هذا المصطل أحاط بجمره بأصول الشجر حتى تظل تمده بمزيد من الغضى كلما نفذ جمره وتحول إلى رماد .

(١٣) الصوى : المرتفعات الصغيرة . والقفال : العائدون من السفر ، ويكونون عادة أشد احتياجاً إلى النار عند نزولهم . يصف هذا الجمر بأنه أوقد فوق مرتفع من الأرض حتى يكون أشد تعرضاً لاختلاف الرياح عليه ، فتشتد ناره ، وأن الذين أوقدوه جماعة من المسافرين عادوا من سفرهم فزلوا يصطلون التماساً للراحة والدفء بعد سفر مرهق في ليالي الصحراء الباردة .

(١٤) العوارض : جمع عارضة وهي صفحة الخلد . والطفلة : الناعمة اللينة اليدين . والمربال : القميص .

(١٥) حقف النقا : كثيب الرمل المستدير . واحتسبا : اكتفيا . يشبه جسد صاحبه المثلث . اللين يكتسب من الرمال الناعمة أغرت نعومتها صبيين صغيرين على اللعب فوقه .

(١٦) الكشح : الخصر . والمفاضة : المترهلة البطن . انفلتت : تحركت . والمتفبال : الكريمة الرائحة التي تهمل عطرها ، يريد أنها رشوة الخصر ، ممتلئة الأرداف . حريصة على عطرها ، طيبة الرائحة .

١٧. إذا ما الضجيجُ ابتَرَّها مِن ثيابها تَميلُ عليه هَوْنَةً غيرَ جِبَالٍ
١٨. تَنورَتْها مِن أَذْرِعاتٍ ، وأهلها يَثِربَ ، أدنى دارِها نَظَرُ عالِي
١٩. نَظَرْتُ إليها ، والنجومُ كأنها مصابيحُ رهبانٍ تُشَبُّ لِقُقَالٍ
٢٠. سَمَوْتُ إليها بعد ما نام أهلها سُمُو حَبابِ الماءِ حالاً على حالٍ
٢١. فقالت : سبائكُ الله إنكُ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَري السَّمارَ والنَّاسَ أحوالي ؟
٢٢. فقلتُ : يمينُ الله أبرحُ قاعدا ولو قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وأوصالي !
٢٣. حلفتُ لها بالله حَلَفَةَ فَاجِرٍ لَنَأْمُوا ما إِن مِن حَدِيثٍ ولا صالِي
٢٤. فلما تنازعنا الحديثَ وأَسْمَحَتْ هَصَرْتُ بَعْضِينَ ذِي شِمَارِيجٍ مِئَالٍ

- (١٧) الهوْنَةُ : السهولة اللطيفة . والمجبال : النقبيلة الجافية . يقول إنها تميل على صاحبها في لين ولطف رقيقة خفيفة لا جافية ولا ثقيلة .
(١٨) تنورَتْها أى تخيلت فارها . وأذريات : بلد بالشام . ويريد بقوله « أدنى دارها نَظَرُ عالٍ » أنها بعيدة .
(١٩) الضمير في « إليها » يعود على صاحبته ، لاعلى النار كما توهم الشراح القدماء . ويريد بنظرت إليها أنه انتظر موعداً مناسباً لزيارتها .
(٢٠) حباب الماء : ما يعلو سطحه من فقاعات الهواء . ويريد بقوله « حالاً على حال » أى شيئاً بعد شيء ، يصور حركته الخدرة نحوها .
(٢١) سبائك الله : سيفة دعاء لا تؤدي معناها الحقيقي ، وإنما هي تعبير عن دلال المرأة ربما بثها لصاحبها .
(٢٢) أبرح قاعدا : أى لا أبرح قاعداً ، يقسم لها إنه لن يبرح مكانه ولو قطعوا رأسه وأوصاله .
(٢٣) لناؤا : يريد أن السمار والناس من حولها قد ناموا فلم يجد هناك ما تخشى منه . والصالى : الذى يصطلى بالنار . ويريد بحلقة فاجر أنه أقدم لما كاذباً .
(٢٤) تنازعنا الحديث أى تجادبنا أطرافه . وأسمحت : انقادت ولانت بعد امتناعها . هصرت : جذبت . والشماريج : فروع النخلة ، يشبه بها شهرها الغزير الذى تداخلت خصله وضفاظه بعضها فى بعض .

الجزء الأول

١٢١

- ٢٥ وصرتنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا ورُضْتُ فذلّت صعبةً أى إذلال
٢٦ فأصبحتُ معشوقاً، وأصبح بعلها عليه القَتَامُ سَيِّ الظنِّ والبالي
٢٧ يَغْطُ غَطِيطَ الْبَكَرِ شَدَّ خِنَاقَهُ لِيَقْتَلَنِي ، والمرءُ ليس بقتال
٢٨ أَيْقَتَلَنِي والمشرقيُّ مُضَاجِجِي ومسنونةٌ زُرُقٌ كَأَنِيَابِ أَغْوَالٍ ؟
٢٩ وليس بذى رخ فيطعنني به وليس بذى سيفٍ وليس بنبالٍ ؟
٣٠ أَيْقَتَلَنِي وقد شَفَقْتُ فَوَادَهَا كَمَا شَفَفَ الْمَهْنُوءَةُ الرَّجُلُ الطَّالِي ؟
٣١ وقد عَلِمْتُ سَامِي ، وَإِنْ كَانَ بَعْلَهَا بَأَنَّ الْفَتَى يَهْدِي وليس بفعل

(٢٥) يريد بقوله « رُضْتُ فذلّت صعبةً أى إذلال » أنه استطاع ترويض امتناعها فلافّت له وأطاعته . « أى إذلال » أى أنها استجابت له استجابةً كاملة .

(٢٦) القَتَامُ : الفئار . يهزأ بزوجه الذى ينأى إلى جوارها ، وهو لا يشعر بما يدور حوله بين زوجته ومعشوقها .

(٢٧) الْبَكَرُ : البعير الصغير ، يكون صعباً في أول أمره ، فيشدون حبله في خنقه لترويضه ، فيسبح له غطيط .

(٢٨) المشرقيُّ : السيف ، نسبة إلى قري بالشام يقال لها المشراف . والمسنونة . يريد بها السهام الحادة ، ويريد من وصفها بالزرق أنها صافية لامعة ، وشبهها بأنياب الغيلان ليزيد من بشاعتها .
(٢٩) النبال : الذى يستخدم النبال فى الرمي .

(٣٠) شَفَقْتُ فَوَادَهَا : بلغ حبها شفاف قلبه أى أعماه . والمهنوءة : الناقة تطلق بالقطران لملاجه ، ويذكر البدر أنها تحس لذة له حين ينقذ من مسام جلدها . يقول إن حبها نقضت إلى شفاف قلبه كما نقض القطران إلى أعماق الناقة . . صورة بدوية خالصة البداوة !

(٣١) مرة أخرى يهزأ بزوجه ويسخر منه ، ويعلن — فى ثقة بنفسه — أنها تعرف زوجها على حقيقته ، فهى لهذا — وهو أيضاً — لا يعبأ بوعيده وتهديده ، فإنما هو كلام مجرد كلام ولا شئ وراءه .

٣٢ وماذا عليه أن ذكرت أوانساً كغزلان رمل في محاريب أقيال

* * *

٣٣ ويبت مذاري يوم دجن ولبته يطفن بجاء المرافقي مكسال

٣٤ مسباط البنان والعرايين والقنا لطاف الخصور في تمام ولا كال

٣٥ نوايم يثمن الهوى سبل الردى يقن لأهل الحليم : ضلاً بتضلال !

٣٦ صرفت الهوى عن من خشية الردى ولست بمقيل الحلال ولا قالي

٣٧ كاني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

٣٨ ولم أسبأ الزق الروى ، ولم أقل خلى : كرى كرة بعد إجحاف

(٣٢) يرى العرب أن غزلان الرمل هي أجمل أنواع الغزلان لأنها تكون خالصة البياض . والمحاريب هنا : المقاصير . والأقيال : ملوك اليمن ، وكانوا يربون الغزلان في قصورهم . يصف صاحباته بأنهن جميلات مترفات يعشن في نعمة وترف .

(٣٣) يوم دجن : يريد يوماً من أيام الشتاء تغطي الغيوم سماءه . وجاء المرافق : بمنكبة الذراعين . وبيوت العذاري اصطلاح أطلقه الجاهليون على بيوت اللهب المحرم .

(٣٤) سباط البنان : فاعمات الأصابع . والعرايين : جمع عرين وهو الأنف . والقنا : يريد بها القنات . ويريد بقوله « في تمام ولا كال » أن هؤلاء العذاري تم حسنهن واكتمل جمالهن .

(٣٥) « يثمن الهوى سبل الردى » أي أنهم سبب في هلاك من يقع في حبهم . وقوله « ضلاً بتضلال » يريد أنهم سبب من أسباب الضلال الشديد أن يقع في غرامهم .

(٣٦) القل : الكره . يقول إنه صرف حبسه عنهم لا عن كره منه أرمهن ، وإنما خوفاً من حبهم وعواقبه على نفسه .

(٣٧) يتذكر في هذا البيت والبيتين التاليين منع شبابها التي عاش لها : الصيد والحب والخمر والفروسة . وهو في هذا البيت يفتخر بخروجه للصيد ، وطوه بالمرأة في أيام شبابها الذي مضى .

(٣٨) الزق : قرية الخمر . والروى : المثل . وسبأ : اشتراء . والإجحاف : الإمبراع فراراً . يفتخر في هذا البيت بشربه الخمر وفروسيته .

الجزء الأول

١٢٣

- ٣٩ ولم أشهد الخيل المغيرة بالضحي على هيكل نهد الجزيرة جَوَالِ
٤٠ سليم الشظى عبل الشوى شنيج النسا له حجابات مُشرفات على الفسا
٤١ وصم صلاب ما يقين من الوجى كأن مكان الردف منه على رال

* * *

- ٤٢ وقد أعتدى والطير في وُكُناتها لغيث من الوسمى رائده خال
٤٣ تحاماه أطراف الرماح تحاميا وجاد عليه كل أسحم هطال
٤٤ يعجزلة قد أترز الجرى لحمها كبيت كأنها هراوة منوال

(٣٩) الهيكل : الضخم ، صفة للفرس الذى يصفه فى الآيات التالية . نهد الجزيرة : خضم القوائم والحوال : الشيط السريع . يتذكر هنا فروسيته وشجاعته أيام شبابه الماضية .

(٤٠) الشظى : عظم صغير فى يد الفرس . والشوى : القوائم . والنسا : هرق يتد فى الظهر . وشنيج النسا : يصفه بالصلابة . والحجابات : رؤوس الأرواك . والفاال : هو القائل ، وهو عرق يمتد على عيين عظم الذيل ويساره . يريد أنه مشرف الكفيل ، حجاباته مشرفة لاتصالها بالكفيل .

(٤١) يريد بالصم الصلاب حوافره . وقوله « ما يقين من الوجى » أى لا يخفى المشى خشية الحفى لصلابتين . والزال : هو الرال ، وهو ولد النعامة ، وهو مشرف الكفيل ، شبه فرسه به .

(٤٢) الوسمى : أول المطر . ويريد بالغيث النبات الذى ينبته المطر . وقوله « رائده خال » أى أن هذه المنطقة الخصبة خالية من الناس إلا من هذا الرائد الذى يرتادها ، فهى لذلك محتفلة بخصبها .

(٤٣) « تحاماه أطراف الرماح » أى تحاماه يريد أنها منطقة منيعة لا يجزأ أحد على الاقتراب منها ، ولكنه مع ذلك دخلها للصيد . والأسود يريد به السحاب الحمل بالمطر . وجاد عليه أى تابع عليه مطر غزير .

(٤٤) العجزلة : الصلبة اللحم ، يريد فرسا . أترز : أيس ، يريد أنها ضامرة شديدة . والهراوة : العصا ، والمتوال : الذى يفزل الصوف على النول . والهراوة لاتخذ إلا من أصلي العود وأشدّه .

- ٤٥ دَعَرْتُ بِهَا سِرْبًا نَقِيًّا جُلُودُهُ وَأَكْرَعُهُ وَشَيْءُ الْبُرُودِ مِنَ الْخِصَالِ
 ٤٦ كَأَنَّ الصُّوَارَ إِذْ تَجَهَّدَ عَدُوَّهُ عَلَى جَمَزَى خَيْلٌ تَجُولُ بِأَجْلَالِ
 ٤٧ بِخَالِ الصُّوَارِ وَاتَّقِينَ بِقَرْهَبٍ طَوِيلِ الْقَرَا وَالرُّوقِ أَخْنَسَ ذِيَالِ
 ٤٨ فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ وَكَانَ عِدَاءُ الْوَحْشِ مِنِّي عَلَى بَالِ
 ٤٩ كَأَنِّي بَفَتْخَاءِ الْجَنَاحِينَ لِقَسْوَةِ صَيْوِدٍ مِنَ الْعِقَابِ طَاعَاتُ شِمَالِ
 ٥٠ تَخْطُفُ نِزَانَ الشَّرْبَةِ بِالضَّحَى وَقَدْ حَجَّرْتُ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ

(٤٥) : أي أبيض الجلد خالص البياض . والأكرع : القوائم . والوشى : النقش .
 والخال : ضرب من البرود اليمينية . يصف قوائم هذا السرب من البقر الوحشي بأن فيها سوادا وبياضا ،
 كمنقوش هذه الثياب اليمينية .

(٤٦) : الصوار : قطع البقر الوحشي . وتجهده عدوه : أجهده العدو . وجمزى : اسم موضع .
 والأجلال : جمع جل وهو ما يوضع على ظهر الفرس تحت السرج . يشبه قطع البقر الوحشي وقد أجهده
 العدو بخيل تجرل ، عليها هذه الأجلال البيض .

(٤٧) : القرهب : الثور المسن . والقرا : الظهر . والروق : القرن . والأخنس : القصير الأنف .
 والذيال : السايغ الذيل . يقول إن هذا السرب من البقرات الإناث راح يحتسى بهذا الثور الفحل لعله
 يدفع عنه هجمات الصيادين ومطاردتهم .

(٤٨) : العدا هو العدو . «وعادى عدا بين ثور ونعجة» أي انطلق الفرس ويواصل العدو بينهما
 حتى صادهما الواحد بعد الآخر ، والنعجة : البقرة . وقوله «على بال» أي على اهتمام مني ، يريد أنه
 كان مشغولا بهذه المطاردة .

(٤٩) : الفتخاء : البيئة الجناحين . والقوة : العقاب السريعة . والشمال : الخليفة المطلقة .
 وطاعات : أصرعت . يصف إصراعه بفرسه بهذه العقاب المدرية على الصيد . وفي رواية أخرى
 «طاعات شمالي» أي طاعات شمالي وأنا مندفع في المطاردة .

(٥٠) : الخزان : ذكورا الأرناب ، مفردا خنز . والشربة : موضع . وتخطف أي تشطف ،
 والضمير يعود على العقاب . وحجرت : اخضعت . وأورال : موضع . يقول إن ثعالب هذا الموضع
 اخضعت خوفا من هذه العقاب .

٥١ كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى

* * *

٥٢ فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاي - ولم أطلب - قليل من المال

٥٣ ولكنما أسعى لمجد مؤنل وقد يدرك المجد المؤنل أمثالى

٥٤ وما المرء مادامت حشاشة نفسه بمدرك أطراف الخطوب ولا آلى

* * *

(٥١) وكرها : يريد وكر العقاب . والحشف : النمر الجاف القديم . يشبه قلوب الطير التي صادتها العقاب وقد تناثرت في وكرها ، فالجلد منها يشبه العناب في نضارته ولونه الأحمر ، والقديم منها يشبه النمر البالى في جفافه وذبوله .

(٥٢) يصور في هذا البيت طموح المهدف الذي يسعى إليه في هذه المرحلة الثانية من حياته . إنه لا يسعى نحو هدف قريب سهل المثال ، إنه لا يطلب مجرد العيش وإلا فإن قليلا من المال يكفيه دون طلب منه أرسى وراءه .

(٥٣) المؤنل : الأصل العريق الثابت الذي له أصل قديم . يحدد هنا المهدف البعيد الذي يسعى إليه ، إنه استرداد عرش أسرته الضائع .

(٥٤) الحشاشة : البقية . والخطوب : الأمور المهمة الخطيرة . وأطرافها : نهايتها وغايتها التي تنتهي إليها . وآل : مقصر . يصور هنا الأمل الذي يعيش له بقية حياته ، وموقف القدر منه . إنه يعيش على هذا الأمل ، ويعمل له غير مقصر في سبيل تحقيقه ، ولكن القدر الذي يمترض طريقه يحطم هذا الأمل على صخرة الواقع ، ولكنه مع ذلك لا يكف عن السعى ، ولا يصل إلى حافة اليأس . إنه صراع الحياة بين أمل يعيش له ويسعى لتحقيقه ، وقدر يقف في طريقه ليسد عليه مسالك الوصول إلى هدفه الذي لا يكف عن السعى إليه . إنه صراع الإنسان مع القدر في حياة لا يعرف ما الذي تنتخبه له فيها . صراع غير متكافئ ، ولكنه مع ذلك لا يتراجع ولا يتوقف ، وكأنه يقول : لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة .

* * *

يوسف خليف

(٥)

الرحلة إلى قيصر

يصور امرؤ القيس في هذه القصيدة رحلته إلى قيصر في محاولته الأخيرة لاسترداد عرش أسرته الضائع . وهو يبدؤها بمقدمة من مقدمات الطعن ، يصف فيها رحلة صاحبه في طريقها إلى منازل القبيلة الجديدة في ديار الفساسة ببلاد الشام . ثم ينتقل إلى الحديث عن رحلته هو إلى المنطقة نفسها لينطلق منها إلى بلاد الروم ، ويصف ناقته التي حملته ، ويصور مشاعره رفيقه في هذه الرحلة ، ويتحدث عن آماله التي يعلقها عليها ، ويصف فرسه الذي يحلم بأنه سيحمله مع جيش الخلاص في رحلة العودة . ثم يسجل بعض نظراته في الحياة والأحياء ، ويختتمها بفخر سريع بفروسيته وشربه الخمر ، والقصيدة من شعره الثابت الصحيح من رواية الأصمعي الثقة ، وهي في أربعة وخمسين بيتاً اخترقا منها هذه الأبيات :

* * *

- ١ سمالك شوق بعد ما كان أقصرًا وحلّت سليحي بطن قو فعرعرًا
- ٢ كنانية بانّت وفي الصدر ودها مجاورة غسان والحيّ يعمراً

- (١) سمالك شوق : أى اشتد بك وارتفع إلى درجة عالية ، يخاطب نفسه على أحلوب التجريد .
بعد ما كان أقصرًا : أى بعد أن كان قد بدأ وتراجع . وقو وعرعر : موضعان .
- (٢) كنانية : أى أنها من بنى كنانة ، يريد صاحبه التي رحلت . وبانت : رحلت وهدت .
مجاورة غسان : لعله يريد أنها رحلت إلى أرض الفساسة في بلاد الشام ، وكأنه يريد أن يربط بين رحلتها ورحلته . وبعض الشراح يذهبون إلى أن غسان اسم ماء . ويعمر : فرع من كنانة ، ولعله يريد أنها رحلت مع قومها كنانة في رحلة من رحلات القبائل التي لا تنهدأ على مدار فصول السنة . وفي الصدر ودها : يقول إنه لا يزال على حبه لها محتفظاً به في قلبه على الرغم من بعدها عنه .

الجزء الأول

١٢٧

- ٣ بِمَعْنَى طَعْنُ الْحَيِّ لِمَا تَحْمَلُوا لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمَرَا
٤ فَشَبَّهْتُمْ فِي الْآلِ لِمَا تَكْمَشُوا حَدَائِقَ دَوِيمٍ أَوْ سَفِينًا مُقَسِّرًا
٥ أَوْ الْمُكَرَّمَاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يَامِينَ دَوَيْنَ الصَّفا اللَّائِي يَلِينُ الْمُشَقَّرَا
٦ سَوَامِقَ جَبَّارٍ أَثِيثٍ فَرَوْعُهُ وَعَالَيْنَ قِنَوَاتًا مِنَ الْبُسْرِ أَحْمَرَا
٧ حَمَتُهُ بَنُو الرِّبْدَاءِ مِنْ آلِ يَامِينَ بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى أَقَرَّ وَأَوْقَرَا
٨ وَأَرْضَى بَنَى الرِّبْدَاءِ وَاعْتَمَّ زَهْوُهُ وَأَكَامُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَهَيَّصَرَا

(٣) الظنن : المسافرين على الإبل . وقوله « بمعى » يريد أنه تبههم بنظراته يؤدهم وهم خارجون في رحلتهم البعيدة . وتحملوا : شدوا الأحمال على إبلهم ورحلوا . والأفلاج : جمع فليج وهو الماء الجارى من العين ، أو هى جداول الماء . وتيمر : موضع .

(٤) الآل : السراب . وتكشوا : أسرعوا في السير . والدوم : الشجر المعروف ، وهو يشبه النخل في طوله . والمقير : الذى طلى بالقار . يشبه قافلة الطمائن المندفعة في أعماق الصحراء — والسراب يرفها ويخففها في حركته الخدامة — بحدائق الدوم المرتفعة في الباء ، ويشبهها مرة أخرى بالسفن التى تم إمدادها للبحر ، فاندفعت فيه تتحملها أمواجه تارة وتخففها تارة أخرى .

(٥) المكرمات : النخل التى غرست في الماء ، فهو يسقيها دائما ، وهى لهذا تتو وتطول . وآل يامين : قوم من هجر على ساحل الخليج ، وهجر أكثر مناطق الجزيرة العربية تحلا ، وفى المثل العربى « تكامل التمر إلى هجر » . والصفاء والمشقر : قصران باليمامة . يشبه القافلة مرة أخرى بنخل هجر .

(٦) السوامق : المرتفعة ، صفة النخل . والجبار : الطويل القى ذات الأيدى . والأثيث : الملتف . والقنوان : عذوق النخل . والبسر : ما احزم من البلح . وقوله « عالين قنواتا » يريد أن هذه النخيل السامية تعلوها عذوق احزم فيها البلح . يستمر الشاعر في تشبيهه فيشبه الهوادج التى توشىها قطع الصوف الملونة بهذه النخيل العالية المثمرة .

(٧) بنو الربداء : هم الذين يقومون على حراسة هذا النخل ، ويقول الرواة إنهم من الحبشة ، ويقولون أيضا إنهم من البحرين . وقوله « حتى أقر وأوقرا » أى حتى استقر على حاله من النضج واكتمل له ما يحمله من بلح . والبيت استقرار في وصف هذا النخل الذى يشبه به هودج الطمائن .

(٨) اعتم : تم واكتمل . والزهو : البسر الأحمر والأصفر . والأكام : أغلفة البسر عنه . خروجه من قلب النخلة . وتهصر : تفتى وتبدل لكثرة . والبيت استمرار لصورة النخل الذى يشبه به القافلة .

- ٩ أطاقت به جيلان عند قطاعه
 ١٠ كأت دمي سقي على ظهر مرمي
 ١١ غرائثي كن وصون ونعمة
 ١٢ وريح سنا في حقة حميرية
 ١٣ وبانا وألويأ من الهنيد ذا كيا
 تردد فيه العين حتى تحيرا
 كسا مزيد الساجوم وشيا مصورا
 يحلين ياقوتا وشذرا مفقرا
 نخص بمفروك من المسك أذفرا
 ورندا ولبنى والكباء المقترا

(٩) جيلان : قوم كان كسرى يرسلهم عمالا له على هذه المنطقة ليتولوا جنى هذا النخل ، ربما جناية مفروضة على القبائل النازلة فيها ، وربما كان هذا النخل ملكا لكسرى كما يذكر بعض الرواة .
 والقطاع : جنى النخل . ومعنى الشطر الثاني أن هذا النخل يشد الناظر إليه إعجابا به فيظل بصره يتردد فيه حتى يتعب لكثرة ما يراه من ألوان الجبال فيه . والبيت جواب الشرط المذكور في البيت السابق .

(١٠) يمسود الشاعر في هذا البيت إلى وصف الطلعان المسافرات . سقف : دير بالشام .
 والساجوم : اسم نهر . والمزبد : الذي يعلو الزبد أمواجه المتلاطمة . يشبه صاحباته المسافرات بتماثيل هذا الدير ، ويشبه السراب الذي يخرقن بحاره الوهمية بهذا الزبد الذي يترأى له مرمرات ينشر فوق أمواج النهر المتلاطمة نقوشا مصورة متعددة الأشكال .

(١١) الغرائث : جمع غريزة ، وهي الصغيرة التي لم تكتسب تجربة الحياة . والكنن : الحفظ .
 والشدر : قطع الذهب . والمفقر : الذي صيغ على هيئة فقرات الظهر . يصف صاحباته بأنهن أرمقراطيات مصونات منعمات ، يتعيلن بهنود من الذهب والياقوت .

(١٢) السنا : نوع من الطيب . وحقة حميرية : يريد طبة من حلب الطيب الخاصة بملوك اليمن .
 والمفروك : المسك الذي سحق فانتشرت رائحته . والأذفر : القسوى الرائحة النفاذ العطر . يصف صاحباته بأنهن معطرات بأطيب أنواع العطور وأغلاها .

(١٣) البان والزند : أشجار طيبة الرائحة يستخدمها العرب في بخورهم . والألوي : البود الهندى الذى يستخدم فى البخور أيضا . واللبنى : نوع من الطيب يستخدم فيه أيضا . والكباء : البخور .
 والمقتر : الذى انتشر دخانه عند مباشرة النار له . والبيت استمرار فى وصف ما ينتشر من صاحباته من عطر نفاذ كأنه رائحة بخور يضم هذه الأعواد المختلفة الطيبة الرائحة .

- ١٤ غَلَقْنَ برهن من حبيب به أدعت سليمي فأمسي جيلها قد تبترا
 ١٥ وكان لها في سالف الدهر حُلَّةٌ يسارق بالطرف الخباء المسترا
 ١٦ إذا نال منها نظرة ريع قلبه كما دَعَرَتْ كأس الصبوح المخمرا
 ١٧ تَزَيَّفُ إذا قامت لوجه تمايلت تراشي الفؤاد الرخص ألا تحترا
 ١٨ أأسماء أمسى ودّها قد تغيرا صُبْدِلَ إن أبدلت بالودّ آخرا
 ١٩ تذكرت أهلى الصالحين وقد أنت على تحلى خوص الركاب وأوجرا

(١٤) غلقن برهن من حبيب : أى استوائن على قلبه ، كأنما كان قلبه رهنا عندهن فعجز عن فكها . وقوله « به أدعت سليمي » يريد أنها كانت تدعى في أيامها الماضية أنها صاحبة ، ولكنها خانت العهد وتقطعت بحال المودة بينها وبينه .

(١٥) الحلة : الخليل . يؤكد المعنى الذى أشار إليه فى البيت السابق . يقول : كنت صديقا لها فى أيامنا الماضية ، وكنت أسارق النظر إلى خباياها الذى أرمى عليه الستر ليحجبها عن عيون المتطالعين إليها .

(١٦) الصبوح : الخمر تشرب فى الصباح . والخمر : الذى أسكرته الخمر . يصف تأثيرها فى قلبه فيقول إن جالها كان يروعه كلما نال نظرة منها كما تؤثر الخمر فى شاربيها .

(١٧) التزييف : التشوان الذى ذهب الخمر بعقله . وقوله « إذا قامت لوجه » يعنى إذا قامت متوجهة لأمر من الأمور . وتراشى الفؤاد : أى تداريه ، مأخوذ من الرشوة ، كأنها ترشو قلبها حتى لا يفضحها ويكشف أمرها ، والرخص : اللين الرقيق . وألا تحترا : أى ألا تفتر وتكسل . يقول إنها إذا قامت لحاجة لها تمايلت وتثبت كأنها سكرى ، فتحاول أن تتعامل على نفسها وتتكلف القوة حتى لا تفتر وتضعف فى مشيتها . يريد أنها بطيئة الحركة ، وهى سمة من سمات الأنوثة عند العرب .

(١٨) يقول إن كان ود أسماء قد تغير ، وتذكرت للحب القديم الذى كان يجمع بينهما ، فسوف استبدل بحبها حبا آخر ، وأبدأ بعدها عهدا جديدا .

(١٩) تحلى وأوجر : موضحان بـ بلاد الشام وصلت إليهما رحلتيه وهو فى طريقه إلى قيصر . والغوص : الإبل التى غارت عيونها لشدة مالمقبت من إجهاد الرحلة .

- ٢٠ فلما بدت حوران في الآل دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا
 ٢١ تقطع أسباب اللبنة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا
 ٢٢ بسير يصيح العود منه يمنة أخو الجهد لا يلوى على من تعذرا
 ٣٣ ولم ينسني ما قد لقيت طعائنا ونحلا لها كالقريوما محذرا
 ٢٤ كآيل من الأعراض من دون يشة ودون الغمير عامدات لغضورا

* * *

- ٢٥ قدغ ذا ، وعدّ لهم عنك بحسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا

- (٢٠) حوران : مدينة بالشام . والغمير في « دونها » يعود على أسماء . ومعنى الشطر الثاني أنه نظر فلم يرمظرا يسره أو يعجبه . يصف شعوره وهو يستقبل رحلته نحو المجهول وقد باعدت البلاد بينه وبين أحبائه وأهله ، فتوارت عن هيبته كل مباحج الحياة التي خلفها وراءه في وطنه البعيد .
 (٢١) حماة وشيزر : مدينتان بالشام . واللابة : الحاجة يتمنى الإنسان تحقيها . يقول لم نكد نجازها تامين المدينتين حتى أحسست أن كل أحلاى وأمانى قد تقطع ما بيني وبينها من أسباب .
 (٢٢) العود : المسن من الإبل . ويمته : يجهد ويهقه ويضعفه . أخو الجهد : أى الذى يكلف راحته فوق طاقتها . وقوله « لا يلوى على من تعذرا » يريد أنه ماض فى طريقه لا ينتظر من تخلف من رفاقه لأى عذر من الأعداء .
 (٢٣) النمل : مفرد الأنحال وهى أهداب الثياب . والقمر : الهودج . ونحدر : أى جعل على هيئة الحسدر ، صفة للنمل أو حال من القرم . ويوما : متعلق بقوله « لم ينسني » . يقول إن أهوال الرحلة ومشقات السفر لم تنسى فى أى يوم من الأيام صاحبائى المسافرين وهوادجهن المازنية بقطع من الثياب الفاخرة تبدل أهدابها من حولها .
 (٢٤) الأثل : شجر طويل مرتفع . والأعراض : الوديان . وبشة والغمير : موضعان بالجزيرة العربية يكثر فيهما الماء والشجر . وغضور : اسم الموضع الذى تقصده القافلة . وعامدات : فاصدات يشبه القافلة وهى تمضى فى رحلتها نحو غصور بأشجار الأثل العالية التى تنمو فى وديان يشة والغمير .
 (٢٥) الحسرة : الناقة النشطة الجريئة على الأهوال . والذمول : السريمة . وصام النهار : استقر وقت الظهيرة . وهجر : انصرف ، يشير إلى اشتداد الحر فى وقت الهجرة . يبدأ الشاعر من هذا البيت وصف ناقته التى تحملها فى رحلته إلى قيصر ، وبعده خمسة أبيات رأينا أن نسقطها .

الجزء الأول

١٣١

- ٢٦ عليها قتي لم تحمِل الأرض مثله
 ٢٧ هو المُتَزَلُّ الأَلَايفِ مِنْ جَوَّ نَاعِطٍ
 ٢٨ ولوشاء كان الغزو مِنْ أَرْضِ جَمِيرٍ
 ٢٩ بكي صاحبي لما رأى الدَّرْبَ دَوْنَهُ
 ٣٠ فقلتُ له : لا تَبِكْ عَيْنُكَ ، إِنَّمَا
 ٣١ وإني زعيمٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمْلِكًا
 ٣٢ على لاجِبٍ لَا يُهْتَدَى بِنَارِهِ
 أبرِّ بمِشَاقِي وأوفى وَأَصْبِرَا
 بنى أسدَ حَزَنًا مِنَ الأَرْضِ أَوْعَرَا
 ولكنه عَمَدًا إِلَى الرُّومِ أَفْقَرَا
 وأيقن أَنَا لِأَحْقَانٍ بِقِصْرَا
 نحاولُ مُلُكًا أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذَرَا
 بِسَيْرٍ تَرى مِنْهُ الْفُرَاقُ أَزُورَا
 إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ النَّبَاطِيَّ جَرَحَرَا

(٢٦) يتحدث هنا عن نفسه . ومن هذا البيت يبدأ حديث الرحلة .

(٢٧) جو : أرض باليامة . ناعط : جبل في أرض همدان باليمن . والحزن : الأرض الغليظة الوعرة . يفتخر بأنه أنزل بنى أسد من هذا الجبل الحصين إلى منطقة وعرة خشنة فرارا أمامه وهربا منه .

(٢٨) أقفر : أى أقفر أصحابه للغزو . يقول : لو شئت لغزوتهم من أرض اليمن ، فأنا قادر على ذلك ، ولكنى تعمدت أن أتجه إلى قبصر الروم مبالغة في الثأر منهم ، أو لإعلاننا عن مكاتبي عنده .

(٢٩) يذكر الرواة أن صاحبه الذى صحبه في هذه الرحلة هو عمرو بن قتيبة الشاعر . والدرب هنا يريد به الممر الموصل إلى بلاد الروم .

(٣٠) أو هنا بمعنى حتى أو بمعنى إلا أن . يحاول هنا أن يرفع من روح صاحبه المعنوية ، ويشد من عزيمته ، ويضعه معه في أعماق التجربة التى تخرج من أجملها .

(٣١) زعيم : كفيل وضامن . والفراق : الدليل ، وهى كلمة دخيلة ولعلها رومية . والأزور الذى يميل إلى أحد جانبيه من شدة السير . يقول : أنا كفيل إن رجعت من هذه الرحلة ملكا على غوى ، واستعدت مرش أمرق الضائع ، أن أسير في طريق عودتي سيرا شديدا يجعل الدليل يميل إلى أحد جانبيه من شدته . يبعث الأمل في نفس صاحبه بأن هودتهما منتصرين إلى أرض الوطن ستكون مزينة ، وأنهما سيقطعان الطريق في غير مبالاة بأى جهد أو مشقة .

(٣٢) اللاجب : الطريق . والمنار : ما يوضع على الطريق من علامة تهتدى المسافرون فيه . يريد أنه طريق غير مسلوكة . مبالغة في تصوير جرائته على اقتحام الصحراء . والعود : المسنن من الإبل . وسافه : شمه . وجرح : رغا وضج بصوته . والنباطى : الضخم ، منسوب إلى النبط ، ويذكر الرواة أن الإبل النبطية أشد الإبل وأصبرها على السير .

- ٣٣ على كلِّ مقصوصِ الذَّنَابِ مُعاوِدَ بريدَ السَّرى بالليلِ مِن خيلِ بربرٍ
٣٤ لقد أنكرتني بعلبك وأهلها ولابنُ جريحٍ في قوَى حصٍّ أنكرا
٣٥ نَشِيمُ بروقِ المِزْنِ أين مصابه ولاشئَ يَشْفِي مِنكِ يابنةَ عَفْزرا
٣٦ مِن القاصراتِ الطُرفِ لودبِ محوّل مِن الذرِّ فوق الإنبِ منها لآثرا
٣٧ له الويلُ إن أمسى ولا أم هاشم قريبٌ، ولا البسباسةُ ابنةُ يشكرا

* * *

(٣٣) الذَّنَابِ : الذنب ، ومقصوص الذَّنَابِ : صفة للفرس ، ويذكر الرواة أن خيل البريد تكون مقصوصة الأذنان . ومعاود بريد السرى : يريد أنه قد استعمل في سير البريد مرة بعد مرة . وبربر : قبيلة ، ويذكر الرواة أن خيلها كانت أصلب الخيل وأصبرها عند العرب ، ولذلك استخدموها في البريد . من هنا يبدأ وصفه للفرس ، وبعده ثلاثة أبيات وأينا أن نسلطها .

(٣٤) بعلبك : هي المدينة المعروفة بالشام ، وكذلك حص . وابن جريح : رمز لسكان الشام من الزرم ، وجريح تعريب للامم الأجنبية « جورج » . يصف غربته في بلاد الشام التي وصل إليها في طريقه إلى بلاد الزرم .

(٣٥) شام البرق : نظر إليه ليعلم أين يقع مطره . والمزن : السحب . ومصاب المزن : مواقع سقوط مطره . رابنة عَفْزرا : إحدى صاحباته . يصور حنيته إلى حبه القديم ، ويخلع هذا الحنين على الطبيعة ، فيتمنى لو سقط المطر في ديار حبيبته ، رمزاً لما يمتناه لها من خير ، وما يحمله في قلبه من حُب لها .

(٣٦) القاصرات الطرف : المخلصات لأصحابهن اللاتي يقصرن نظرهن عليهم ، ولا تطمح أعينهن إلى غيرهم . والمحوّل : الذي بلغ ستة من عمره . والذر : النمل . والإنب : قبض رقيق لا أحكام له تلبسه المرأة . يصف رقة بشرتها ونعومة جلدها . وقد أنكر عليه بعض الشراح وصفه الذر بأنه محوّل ، وقالوا الأحسن أن يكون الصغير منه ، ولكن امرأ القيس من مدرسة الطبع التي تتنازع بالواقعية والبعد عن التكلف والمبالغة .

(٣٧) له الويل : يريد نفسه ، على أسلوب الالتفات . وأم هاشم وبسباسة صاحبتان له . يصور أحزانه لبعدهما عنه .

الجزء الأول

١٣٣

- ٣٨ أرى أم عمرو دمعها قد تحسّداً بكاءً على عمرو وما كان أضبراً
٣٩ إذا نحن سرنا نحسّ عشرة ليلة وراء الحساء من مدافع قيصرا
٤٠ إذا قلت هذا صاحب قد رضىته وقوت به العينان بدأت آخراً
٤١ كذلك جدّى، ما أصاحب صاحباً من الناس إلا خانني وتغيّراً

* * *

- (٣٨) أم عمرو هي أم عمرو بن قينة رفيقه في رحلته . يتخيل حزنها على بعد ابنها عنها ، ولذلك لم يكن أشد صبراً منها ولا أكثر تماسكاً . يشير إلى بكائه « لما رأى الدرب دونه » .
(٣٩) الحساء : جمع حسي وهو الماء بفور تحت الرمل إلى أرض صلبة قريبة من الأرض فيستقر فوقها . ومدافع قيصر : مناطق الحدود التي يدافع عنها .
(٤٠) يصف تغلب الدهر به ، وتغير الزمن عليه ، ويشكو قلة وفاء الأصدقاء له ، فكما ارتضى صديقاً له ، واطمأنت نفسه إليه ، وقوت عينه به ، تنكر له وتبدل ، وخان العهد ، وأدار ظهره للصدقة التي كانت تربطه به .
(٤١) الجلد : الحظ . إنه حظه في الحياة ، وقدره في الدنيا ، خيانة الأصدقاء ، وتغير القلوب ، وجحود الود والحب والإخلاص . إنها شكوى تعكس مرارة هذه المرحلة التي يمر بها الشاعر في حياته ، وما يلقاه فيها من أصدقائه في وقت كان أشد ما يكون فيه حاجة إليهم ، ووقوفاً منهم إلى جانبيه في أيام محنته .

* * *

يوسف خليف

(٦)

نهاية المطاف

هذه القصيدة من شعر امرئ القيس الثابت الصحيح ، فهمى من رواية الأصبمى . وهى من نتاج المرحلة الثانية من حياة الشاعر ، ولعلها من أواخر نتاج هذه المرحلة ، فحديث الموت والمصير الذى يسيطر عليها يعكس ما كان يلازم نفس الشاعر فى أواخر هذه المرحلة من اليأس المظلم ، والتشاؤم القاتم ، والتفكير الحزين فى مصير الإنسان فى الحياة ، والنهاية التى تصل إليها رحلته فيها ، والتى لا يعرف عنها شيئاً إلا أن الموت يقف على بابها ، يستقبل من تصل به رحلته إليها ، لتدفع به بعد ذلك إلى غيب مجهول . ومع ذلك فرحلة الحياة متواصلة الخطى لا تتوقف ، وكأنما تسحرنا الحياة بحاجاتها ومطالبها التى لا تنتهى ، وتلقى على أعيننا ستارا صفيقا يحجب عنا رؤية المصير المحتوم الذى ينتظر الجميع . والقصيدة قصيرة تقع فى ثلاثة عشر بيتا .

* * *

١ أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسَحِّرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ
٢ عَصَافِيرُ ذِيَابٍ وَدُودٌ وَأَجْرَاءُ مِنْ مُجْلَحَّةِ الذَّنَابِ

(١) موضعين : أى مسرعين . ونسحر بالطعام والشراب : أى نخدع ونفلس ، كأننا سحرت أعيننا فلم نعد نرى الأمور على حقيقتها . يقول إننا فى هذه الحياة مدفوعون دفعا سريعا إلى غيب مجهول لا نعرفه ، ولكنه محتوم علينا لا مفر منه ، ومع ذلك فإننا نتمضى فيها إلى حيث تمضى بنا ، غافلين عن هذا المصير المحتوم ، كأننا سحرتنا حاجتنا الحيوية عن أن نراها على حقيقتها .

(٢) الذباب : الذباب . والمجلحة : المصممة التى لا ترجع عما تريد . يصور تناقص السلوك الإنسانى فى الحياة ، فنحن ضعاف فيها أقوياء عليها ، ضعاف فيها كهذه المخلوقات الضعيفة التى يذكرها فى صدر بيته ، ولكننا أقوياء عليها كذلك الذباب الجريئة المندفعة التى يذكرها فى شطره الثانى .

الجزء الأول

١٣٥

- ٣ وكل مكارم الأخلاق صارت إليه همتي وبه اكتسابي
 ٤ فبعض اللوم ، عاذلتني ، فلاني ستكفيني التجارب وانسابي
 ٥ إلى عرق الثرى وشجعت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي
 ٦ ونفسي سوف يسلبها وجرمي فيلحقني وشيكا بالتراب
 ٧ ألم أنيض الميطي بكل حرق أمتق الطويل لمتع السراب
 ٨ وأركب في اللهام المجبر حتى أنال ما كل القحيم الرقاب

(٣) يقول انه عاش حياته متمسكا بمبادئ لم يفقد إيمانه بها . لقد عاش حياته يسعى نحو اكتساب كل ما يحرص على اكتسابه من مكارم الأخلاق .

(٤) « وانسابي » يريد انتسابه الى آباء وأجداد كلهم الآن رهن التراب ، أدركهم المصير المحتوم الذي رآهم اتبوا إليه ، أما ما بعده فغيب مجهول لا يعرف عنه شيئا .

(٥) وشجت عروقي : اشتبكت واتصلت . يقول ان عروقه متصلة بعروق التراب الذي جاء منه . ويمود إليه ، والموت في انتظاره ليسلبه حياته وهو لا يزال في مرحلة شبابه . فتشاور آثاره في نفسه ظروفه التي يعيش فيها في هذه المرحلة من حياته .

(٦) الجرم : الجسد . ورشيكا : سريعا . البيت استقرار لحديث التشاؤم الذي بدأه في البيت السابق . إنه يحس أن نهايته قريبة ، وأن الموت الذي يتربص بشبابه يتربص أيضا بنفسه وجسده ، وسينتهي به في وقت قريب الى التراب .

(٧) أنضى المطية : أهزها وأضناها لمتفه بها في رحلاته المتصلة وأسفاره البعيدة في أعماق الصحراء . والحرق : القلاعة تترامى كأن لا نهاية لها . والأمتق : الطويل ، وأمتق الطول : مبالغة في وصف طولها وامتدادها اللانهائي . يتحسر على أيامه الماضية ، أيام فتوته وجرأته على اختراق الصحراء ، حسرة آثارها في نفسه صورة الموت الماثلة أمامه .

(٨) اللهام : الجيش الكثيف الذي يخفى كل شيء وراءه كأنه قد التهمة . والمجر : الكثير العدد . والمآكل : الفنائم . والقحيم : المواقف الصعبة الشديدة ، جمع قحمة ، يريد الحروب والغارات . والرقاب : البعيدة الغايات . استمرار في تحسره على أيامه الماضية ، أيام الغارات والغنائم والانتصارات .

- ٩ وقد طَوَّفْتُ بِالْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ
 ١٠ أَبَعَدَ الْحَارِثُ الْمَلِكُ ابْنَ عَمْرٍو وَبَعْدَ الْخَيْرِ تُجَجِرُ ذِي الْقَبَابِ
 ١١ أَرْجَى مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ لَيْنَا وَلَمْ تَغْفُلْ عَنِ الصَّمِّ الْهَضَابِ ؟
 ١٢ وَأَعْلَمُ أَنِّي عَمَّا قَلِيلٍ سَأَنْشَبُ فِي شَبَابٍ ظُفَيْرٍ وَنَابِ
 ١٣ كَمَا لَأَقَى أَبِي تُجَجِرٌ وَجَدَّتِي وَلَا أَنْسَى قَتِيلًا بِالْكَلَابِ

* * *

(٩) هذه هي نهاية المطاف . لقد قضى أيامه في تطواف لا يتهى في آفاق الأرض الواسعة ، ثم كانت الغنيمة التي عاد بها لا شيء إلا العودة إلى حيث بدأ ، وإنه لا يملك إلا أن يرضى بها ، فـ الذي يستطيع أن يفعله بعد كل ما فعل ؟ إنها رحلة الضحاع ، وعودة الإنخفاق واليأس .

(١٠) الحارث بن عمرو : جده . وهجر بن الحارث أبوه . والقباب لم تكن ترفع في العصر الجاهلي إلا للولك ، وكانت عادة من الجلد تميزا لها من خيام الشعب التي تكون من الورب .

(١١) صرور الدهر : أحواله المتقلبة . الصم : الصلبة التي تبدو كأنها صبت صبا . والهضاب : الصخور الراسية الضخمة . والبيت متصل بالبيت السابق ، و بينهما ما يسمى عند العرويين بالضمين ، وهو تعلق البيتين أحدهما بالآخر . يقول : أبعد هؤلاء الملوك ذوى القباب الفاشرة الذين بادروا وأقرضوا أنظر عيشا يطيب لي أو حياة لينة مطهنة ، والدهر متقلب لا يستقر على حال ، والفناء يتربص بكل ما في الحياة حتى تلك الجبال الصلبة الراسية ؟

(١٢) سأنشب : أى سأتعلق . والشباب : الحد . يقول : كيف أطمئن إلى الحياة وأنا أعلم . اليقين أن الموت سوف ينشب في وقت قريب أظفاره الحادة وأنيابه القاطعة التي لا تستطيع الفكك منها ولا الخلاص من قبضتها ؟

(١٣) قتييل الكلاب هو عمه شرجيل بن عمرو قتل في يوم الكلاب . إنه المصير المحتوم الذي سيدركه في يوم من الأيام كما أدرك أباه وعمه وجدته من قبل .

* * *

يوسف خليف

عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ

شاعر جاهلي قديم ، كان معاصرا لمُجَرَّبِ أَبِي امْرِئِ الْقَيْسِ ، فلما خرج امرؤ القيس إلى قيصر بعد مقتل أبيه صحبه عمرو في رحلته ، وهو الذي يتحدث عنه في رائيته التي نظمها في هذه الرحلة « سما لك شوق بعد ما كان أقصرا » . ينتهي نسبه إلى قيس بن ثعلبة أحد بطون بكر بن وائل ، وكانت منازلهم باليمامة في الجنوب الشرق من نجد .

وليس بين أيدينا إلا أخبار قليلة عنه لا تكاد ترسم صورة واضحة من حياته . وتحدثنا الروايات أنه كان في شبابه شابا جميلا حسن الوجه مديد القامة ، ولعل ذلك هو الذي جعله من أهم الشعراء الذين بكوا شباههم في شعرهم ، بل يذكر بعض الرواة أنه أول من بكى الشباب في الشعر الجاهلي ، وإن كنا لا نطمئن إلى أمثال هذه الأوليات في الأعمال الفنية. وتحدثنا الروايات أيضا أن أباه مات وخلفه صبغيا فكفله عمه مَرثِدُ بن سعد ، ثم حدثت جفوة بينه وبين عمه يَرْدُ الرواة سببها إلى زوجة عمه ، ففارقه واتجه إلى الحيرة ، واتصل بملوكها ، ثم عاد إلى أرض بني أسد ، واتصل بمُجَرَّبِ أَبِي امْرِئِ الْقَيْسِ ، حتى إذا ما قُتِلَ سِجْر ، وخرج ابنه للتأرله ، وشدَّ رحاله إلى قيصر ، خرج معه . وتذكر الروايات أنه مات في هذه الرحلة ، فسمَّاه قومه « عَمْرًا الضائع » « لموته في غربة في غير أَرَبٍ ولا مَطْلَبٍ » — على حد عبارة الأغاني .

وعمره وأحد المعمرين، عُمر تسعين سنة في بعض الروايات، وأزبى على المائة في روايات أخرى . وليس من اليسير تحديد تاريخ مولده أو وفاته ، وقد حاول بعض الباحثين المحدثين ذلك، فقدّر جرونيباوم في كتابه « دراسات في الأدب العربي » أن تكون ولادته في حوالى سنة ٤٨٠ للميلاد ، وقدرها لويس شيخو في « شعراء النصرانية » بسنة ٤٦٩ ، وجعلتها الموسوعة العربية الميسرة سنة ٤٤٨ وقدرت وفاته بسنة ٥٤٠ ، وهى التى قدرها الزركلى في « الأعلام » . وهى كلها محاولات لا يصل شئ منها إلى درجة اليقين ، ولكننا نستطيع أن نقول — ونحن مطمئنون — إنه ولد حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى ، وتوفى حوالى منتصف السادس .

ويعدّه الأصمعى في كتابه « فحولة الشعراء » من الفحول ، ويضعه ابن سلام في كتابه « طبقات فحول الشعراء » على رأس الطبقة الثامنة منهم . وشعره الذى وصل إلينا قليل . وقد وصلت إلينا نسخة مخطوطة من ديوانه قام بتحقيقها وطبعها الأستاذ حسن كامل الصيرفى بالقاهرة ، والأستاذ خليل إبراهيم العطية ببغداد ، وكان قد نشرها من قبل الأستاذ لايل في لندن سنة ١٩١٩ .

* * *

يوسف خليف

(١)

يوم الرحيل ورحلة الوداع

يبدأ الشاعر هذه القصيدة التي تتألف من ثمانية وعشرين بيتاً بمقدمة يتحدث فيها عن طيف محبوبته الذي زاره في نومه ، ثم يتذكر يوم رحيلها ، وما ذرقه من دموع خلفها ، ويصف قافلة الطعائن المنطلقة في أعماق الصحراء نحو منازل القبيلة الجديدة . ويقف طويلاً أمام محبوبته يصف جمالها ، ويتغنى بحسنها ومفاتنها ، ثم ينتقل إلى الفخر بنفسه ، فيفتخر بالمجد والشجاعة والإباء والخطابة والجرأة على اقتحام الصحراء في أيام القيظ المثلجة وفي ليالي الظلام الموحشة الرهيبة .

* * *

- ١ نَأْتِكَ أَمَامَةً إِلَّا سُؤَالَ وَإِلَّا خِيَالًا يُوَافِي خِيَالًا
- ٢ يُوَافِي مَعَ اللَّيْلِ مِيعَادَهَا وَيَأْتِي مَعَ الصَّبْحِ إِلَّا زِيَالًا
- ٣ وَقَدْ رِيعَ قَلْبِي إِذْ أَعْلَنُوا وَقِيلَ : أَجَدَّ الْخَلِيطُ أَحْتِمَالًا

(١) نَأْتِكَ : بعدت عنك . والخيال الأول هو طيف صاحبه . والخيال الثاني هو الشاعر الذي حوله الحب إلى خيال .

(٢) الزيال : الفراق . كأنه يأسف على مفارقة طيفها له عندما يشرق الصباح ، وكأنه يتغنى لوظل الدهر ليلاً متصلاً لاصباح له .

(٣) الخليط : جماعة القبيلة التي أجمعت أمرها على الرحيل . والاحتمال : الرحيل . وأجد : اعترم . يقول إن قلبه روح حين أعلنوا أنهم قرروا الرحيل .

- ٤ وَحَثَّ بِهَا الْحَادِيَانِ النَّجَاءَ مع الصبح لما استناروا الجمالا
٥ بَوَازِلَ تُحْدَى بِأَحْدَاجِهَا ويُحَذِّنُ بَعْدَ نِعَالٍ نِعَالًا
٦ فَلَمَّا نَأَوَّا سَبَقَتْ عِبْرِي وَأَذْرَتْ لَهَا بَعْدَ سَجَلٍ سَجَالًا
٧ تَرَاهَا إِذَا احْتَشَّهَا الْحَادِيَا نِ بِالْحَبِيبِ يُرْقِنُ مِيرًا عِجَالًا
٨ فَبِالظَّلِّ بُدَّنَ بَعْدَ الْهَجِيرِ وَبَعْدَ الْحِجَالِ أَلْفَنَ الرَّحَالًا
٩ وَفِيهِنَّ خَوْلَةٌ زَيْنُ النِّسَاءِ زَادَتْ عَلَى النَّاسِ طُرًّا جَمَالًا
١٠ لَهَا عَيْنٌ حَوْرَاءٌ فِي رَوْضِيَّةٍ وَتَقْرُو مَعَ النَّهْيِ أَرْطَى طُؤَالًا

(٤) النجاء : الإسراع . يصف بداية الرحلة . لقد أثاروا جماهم من مباركها ، وبدأ الحاديان يحثانها على الإسراع مع إشارة الصباح قبل أن ترتفع الشمس ، ويشد الحر ، وتلتهب الرمال .
(٥) بوازل : جمع بازل ، وهي الناقة إذا استكملت سنتها الثامنة وظهرت أنيابها . والأحداج : جمع حديج وهو الهودج الخاص بالنساء . وقوله « ويحذِّن بَعْدَ نِعَالٍ نِعَالًا » يريد به أن هذه الأبل لبست في أخفافها رمال الصحراء بعد أن شدت عليها أحذيتهما قبل الرحلة .
(٦) السجل : دلو الماء . يصف انهماك دموعه الغزيرة عندما تحركت بهم القافلة ومضت بعيدا في رحلتها .

(٧) الخيت : الأرض المظلمة الواسعة . ويرقن : يسرع .
(٨) الهجير : شدة الحر في وقت المساء عند انتصاف النهار . والحجال : الأماكن المخصصة للنساء داخل الخيام . يقول إن هؤلاء المسافرات استبدلن بالظل الذي كن ينعمن فيه هجير الصحراء ، وبالحجال الناعمة المريحة رحال القافلة الثقيلة الخشنة .

(٩) خولة : صاحبة ، وهي نفسها أمامة التي تحدث عنها في مطلع القصيدة . وظاهرة تعدد الأسماء المحبوبة الواحدة ظاهرة مألوفة في الشعر القديم . وطرا : أى جميعا .
(١٠) الحوراء : صفة لظبية أو للبقرة الوحشية التي يشبه بها عيون صاحبه ، والحور : شدة بياض العين مع شدة سوادها ، وقد تغنى به الشعراء العرب كثيرا في شعرهم . وتقرؤ : تقصد وتتبع . والأرطى : شجر من أشجار الصحراء يتردد ذكره كثيرا في الشعر القديم . والطوال : الطويل المفرط الطول . يشبه عيني صاحبه بعيني ظبية أو مهة تتبع أشجار الأرطى ترعى أوراقها الخضراء .

- ١١ وَتُجْرَى السَّوَاكُ عَلَى بَارِدٍ يُخَالُ السَّيَالُ وَلَيْسَ السَّيَالُ
١٢ كَانَ الْمُدَامُ بَعِيدَ الْمَنَامِ عَلَيْهَا ، وَتَسْقِيكَ مَذْبَا زُلَالَا
١٣ كَانَتْ الذَّوَابُ فِي فَرْعِهَا جِبَالُ تَوْصَلُ فِيهَا جِبَالَا
١٤ وَوَجْهُهُ يَحَارُ لَهُ النَّاضِرُونَ يَخَالُونَهُمْ قَدْ أَهْلُوا هِلَالَا
١٥ إِلَى كَفَلٍ مِثْلَ دِعْصِ النَّقَا وَكَفَّ تَقْلُبُ بِمِضَا طِفَالَا
١٦ فَبَانَتْ وَمَانَتْ مِنْ وَدَّهَا قِبَالَا وَلَا مَا يُسَاوِي قِبَالَا
١٧ وَكَيْفَ تَبْتُتِينَ حَبْلَ الصَّفَا مِنْ مَا جِدَ لَا يَرِيدُ اعْتِرَالَا
١٨ أَرَادَ النَّوَالَ فَمُنِّيَّتِيهِ وَأَضْحَى الَّذِي قَلَّتْ فِيهِ ضَلَالَا
١٩ فَتَى يَبْتَنِي الْمَجْدَ مِثْلَ الْحَسَا مَ أَخْلَصَهُ الْقَيْنُ يَوْمَا صِقَالَا

- (١١) السَّيَالُ : شجر من فصيلة الصفصاف ناعم الأغصان يظهر عليه شوك أبيض صغير إذا نزع نرجع منه مثل اللبن ، يشبه به العرب الأسنان في صفرها وبياضها ، يقولون « نقر كشوك السَّيَالِ » .
(١٢) المَدَامُ : الخمر . يشبه رضاب نقرها حتى بعد نودها بالخمر ، ويذكر أنها تسقى صاحبها منه مَذْبَا زُلَالَا لذيق الطعم .
(١٣) الذَّوَابُ : الضفائر . والفروع : الشعر .
(١٤) أَهْلُوا هِلَالَا : أى استقبلوا الهلال . يصف وجهها بأن من ينظر إليه يحار في جماله ويخجل إليه أنه يرى فيه الهلال .
(١٥) الكَفَلُ : الأرداف . والدِعْصُ : الكشيبة . والنَقَا : الرسل . والطفال : الأصابع الرخصة الناعمة ، جمع طفل وطفلة .
(١٦) بَانَتْ : رحلت . والقَبَالُ : الشيء القليل اليسير ، وأصله من قبال النعل وهو زمام بين الإصبع الوسطى والى تليها . يقول إنها رحلت ولم ينل من حبها شيئا .
(١٧) بَتِ الْحَبْلُ : قطعه ، كناية عن هجرها له . والمُجْدُ هُنَا يريد به نفسه .
(١٨) معنى الشطر الثانى أن مامتيه به صاحبته من نوال تحول كله إلى ضلال لا يعرف وجه الهداية معه في تيه الهجر والقطعية .
(١٩) القَيْنُ : الحداد . يفخر بأنه قاطع مثل الحسام الذى أتهن القَيْنُ صقله .

- ٢٠ يقود الكأمة ليلقى الكأمة ينال ماأث أرادوا النزالا
 ٢١ ويأبى لى الضيم ماقد مضى وعند الخصام ففعلو جدالا
 ٢٢ بقول ينل له الرانضون ويفضلهم إن أرادوا فضلا
 ٢٣ وهاجرة كأوار الجحيم قطعت إذا الجندب الجون قالا
 ٢٤ ولبل تعسفت ديجوره يخاف به المدبلون الخبالا

* * *

- (٢٠) الكأمة : الأبطال . يفخر بشجاعته فى ساحات القتال وميادنه لأبطال قومه ينال بهم أبطال
 أمدانهم .
 (٢١) يفخر بإبائه الضيم ورفضه الحوان ، وبارتفاع الصوت والاستعلاء على خصومه فى مواقف
 الخصام والجدال . يريد أنه يفوق الخطايا بفصاحته .
 (٢٢) البيت استقرار لفخره بفصاحته وتفوقه على من يقف منه موقف المنافسة عن ألقوا مواقف
 الخطابة وروضوا أنفسهم عليها .
 (٢٣) الهاجرة : الصحراء فى وقت الهجير ، والأوار : الذهب . والجندب : ذكر الجراد . والجون
 هنا : الأسود . وقال : من القيلولة ، وهى نومة منتصف النهار عندما يشتهه الحر . يفخر بصبره على
 اختراق الصحراء فى ساعات الحر الملتهبة .
 (٢٤) تعسفت : مرت على غير هداية . والديجور : الظلام الحالك . والمدبلون : الذين يواصلون
 السير طول الليل . والخبال : الهلاك . يفخر بجراته على اختراق الصحراء فى الليالى الموحشة الحالكه
 الظلام .

* * *

يوسف خليليف

(٢)

يائية نادرة

مجلس شراب ، ورحلة صيد

تدور هذه القصيدة التي تبلغ اثنين وثلاثين بيتا حول محورين أساسيين :
وصف لمجلس شراب ، ووصف لمنظر صيد . وهي تبدأ بمقدمة طاليلة قصيرة ،
يخرج منها الشاعر إلى وصف مجلس الشراب ، ثم ينتقل منه على ظهر ناقته التي
يشبهها بحمار وحشي إلى وصف منظر الصيد الذي يدور بين صياد فقير وقطيع من
الأتن الوحشية يسوقها هذا الحمار ، وينتهي بنجاة القطيع وعودة الصياد مخفقا
إلى زوجته وأولاده الجياع المنتظرين عودته بطعامهم . وقافية القصيدة التي
تتخذ من حرف الياء المشددة الممدودة رويًا لها من القوافي النادرة في الشعر الجاهلي .

* * *

١ خَشِيتُ مَنَازِلًا مِنْ آلِ هَنْدٍ قِفَارًا بَدَّلْتُ بَعْدَى عَقِيًّا
٢ تَبِينُ رَمَادَهَا وَخَطَّ نَوِي وَأَشَعْتُ مَائِلًا فِيهَا نَوِيًّا

(١) حنيا : أي عافية دارة . وبدلت بعدى : تغيرت عن سابق عهدي بها .

(٢) تبين : أي تستبين ، والفاعل « أنت » يريد الشاعر نفسه . وخطَّ نوى : أي مخطوط
النوى الباقية على الرمال ، والنوى : مخطط يحفر حول الخيمة ليحميها من الماء أن يتسرب إليها ومن
هوام الصحراء أن تزحف إلى داخلها . والأشعت : الورد الذي تشد إليه حبال الخيمة . ومائلا :
قائما ، وثريا : ثابتا في موضعه . يصف أطلال صاحبه وما بقى من آثارها : الرمال والنوى والأوتاد .

٣ فكادت من معارِنها دموعي تَهْمُ الشَّانَ ثم ذَكَرْتُ حَيًّا
٤ وكان الجهلُ لو أبْكَاكَ رَسْمٌ وَلَسْتُ أَحِبُّ أَنْ أُدْعَى سَفِيًّا

* * *

٥ وَتَدْمَانِ كَرِيمَ الْجَدِّ سَمَحَ صَبَحْتُ بِسُحْرَةٍ كَأَمَّا سَيِّئًا
٦ يَحْذِرُ أَنْ تُبَاكِرَ عَاذِلَاتُ فُتِّيًّا أَنَّهُ أَضْحَى غَيَوِيًّا
٧ فَقَالَ لَنَا : أَلَا هَلْ مِنْ شِوَاءٍ ؟ بِتَعْرِيطِ ، وَمَا يَنْكِهَ عِيًّا
٨ فَأَرْسَلْتُ الْغَلَامَ وَلَمْ أُلَبِّثْ إِلَى خَيْرِ الْبَوَائِكِ تَوَهَّرِيًّا
٩ فَنَامَتْ لِلْقِيَامِ لِغَيْرِ سَوَقٍ وَاتَّبَعَهَا جُرَازًا مَشْرِيفِيًّا

(٣) الشَّانَ : مجرى الدموع إلى العين . وَتَهْمُ الشَّانَ : أى تدفع الدموع إلى الانهمار . وقوله « ثم ذكرت حيا » يريد أنه رجع إلى نفسه وتماسك من أن ينهار .

(٤) السُّفَى : الطائش الخفيف ، من السفا وهو الخفة والعائش . يقول إنه رجس من بكائه وتماسك بعد أن أوشك على الانهيار حتى لا يتم بالجهل والعائش والزق ، وهى صفات لا يرضاها لنفسه .
(٥) صَبَحْتُ : سقيته نحر الصباح . والسحرة : وقت السحر . والسبي : صفة للخمر ، وهى التى حلت من بلدة أخرى فكأنها قد سبيت . يصف نديمه على الشراب بأنه كريم الأصل سمح الخلق ، ويذكر أنه سقاء فى وقت السحر نحرًا طيبة مستوردة .

(٦) يذكر أنه اختار وقت السحر قبل أن تصحو العاذلات فيلجته على غوايته .
(٧) وما يَكْنِيه : أى لم يكتفه فى نفسه . يريد أنه هرّض بطلب شواء يستمتعان به على الشراب ، ولم يصرح به ، لاعتى منه ولكن بسبب فعل الخمر به وعقددها لسانه .
(٨) الْغَلَامُ هنا : الخادم . ولم أُلَبِّثْ : لم أؤخره . والبوائك : جمع بائك وهى النافة الفتيحة . الصغيرة السن ، والتوهري : السنام الطويل .

(٩) نَامَتْ لِلْقِيَامِ : يريد أنها نافة صميّة تنوء بسمتها عند القيام . وقوله « لغير سواق » يريد أنها لم تقم ليسوقها الغلام وإنما لينحرها . والجراز : السيف القاطع . والمشرقي : الجبد الصنع ، نسبة إلى الماشارق ، وهى قرى بالشام كانت مشهورة بصناعة السيوف فى العصر الجاهل .

١٠. فظَلْ بِنَعْمَةٍ يُسَمَّى عَلَيْهِ وِراح بها كَرِيمًا أَجْفَلِيًّا

* * *

١١. وَكُنْتُ إِذَا الْهَمُومُ تَضَيَّفَنِي قَسَرْتُ الْهَمَّ أَهْوَجَ دَوَسِيرًا
١٢. بَوَيَزَلْ عَامِيهِ مَرْدَى قِذَافٍ عَلَى التَّأْوِيبِ لَا يَشْكُو الْوَيْتَا
١٣. يُشَيِّحُ عَلَى الْفَلَاةِ فَيَعْتَلِيهَا وَأَذْرَعُ مَا صَدَعْتُ بِهِ الْمِطْيَا
١٤. كَانِي حِينَ أَزْجُرُهُ بِصَوْتِي زَبَرْتُ بِهِ مُدِلًّا أَخْذَرِيَا
١٥. تَمَهَّلَ عَانَةً قَدْ ذَبَّ عَنْهَا يَكُونُ مَهَامُهُ مِنْهَا قَصِيًّا

(١٠) يصف قيام الفلام على طعام نديمه وإكرامه والعناية به ، ويذكر أن نديمه كريم أيضا .
والأجفلى : الكريم الواسع الكرم ، نسبة إلى الجفلى والأجفلة وهى الجماعة ، وبنه قول طرفة :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فىنا يشقى

يريد أن الدهوة عامة للناس جميعا لا يستثنون منهم أحدا .

(١١) تضيفنى : نزلت ضيوفا على . وقريت الهم : قدمت له القرى وهو طعام الضيافة . والأهوج :
المتدفع فى جرة لا يالى شيئا ، صفة للجمل الذى يرحل عليه . والدوسرى : الضخم الشديد . يقول
إن الهوم إذا نزلت ضيوفا عليه قدم لها حقوق ضيافتها رحلة على هذا الجمل القوى الجسرى ، ينطلق
فيها إلى أعماق الصحراء .

(١٢) البويزل : تصغير البازل وهو الجمل المسن الذى ظهرت أنيابه . المردى : الجحيرى به .
والقذاف : القذف . ومردى قذاف : كناية عن صبره على مشقات السفر وأحوال الرحلة . يصف
جملة . والتأويب : مواصلة السير طول النهار . والوفى : الثعب .

(١٣) يشيح على الفلاة : يجدها عليها . وأذرع : أسبق . وصدعت به : يريد قطعت به الصحراء .
والمعنى أنه يسبق الإبل الأخرى التى ترافقه فى الرحلة .

(١٤) المدل : الواقع من نفسه . والأخدرى : الحمار الوحشى ، يشبه جملة به . وتشبيه الناقة
أوالجمل بالحمار الوحشى كثير فى الشعر الجاهلى ، ووجه التشبه القوة والصبر والتحمل .

(١٥) تمهل : ساقها أمامه متمهلا . والعانة : قطيع الأتنة الوحشية . ذب عنها : دافع عنها .
والمصام : المقام . والقصى : البعيد . يصف قطيع الأتنة الوحشية بأن ذكرها يسوقها متمهلا ، ويدافع
عنها ، ويخذ موقفه بعيدا عنها ، ليراقبها ويراقب القضاء من حولها ، حتى لا يفاجئها خطر من أى ناحية .

- ١٦ أَطَالَ الشَّدَّ والتَّقْرِيبَ حَتَّى ذَكَرْتُ بِهِ مُمَرًّا أَنْدَرِيَّا
١٧ بِهَا فِي رَوْضَةٍ شَهْرَى رُبَيْعٍ فَسَافَ لَهَا أَدِيمًا أَذْلِيصِيَّا
١٨ مُشِيحًا هَلْ يَرَى شَبَحًا قَرِيبًا وَيُوفِي دُونَهَا الْعَلَمَ الْعَلِيَّا
١٩ إِذَا لَاقَى بظَاهِرَةَ دَحِيقًا أَمْرًا عَلَيْهِمَا يَوْمًا قَسِيَّا
٢٠ فَلَمَّا قَلَّصَتْ عَنْهُ الْبَقَايَا وَأَعَوَزَ مِنْ مَرَاتِعِهِ اللَّوِيَّا
٢١ أَرْنُ فَصَكَّهَا صَحْبٌ دَوُولٌ يَعْْبُ عَلَى مَنَاكِبِهَا الصَّبِيَّا

(١٦) الشَّد : المدر . والتقريب : الإجماع برفع اليدين معا ووضعهما معا . والممر : الجبل الشديد القتلى ، من أمر الجبل إذا أحكم قتله . والأندرى : المنسوب إلى أندرين وهي قرية من قرى الشام ، وهي التي تحدث عنها عمرو بن كلثوم في مطلع معلقته ، يشبه به الجمار الوحشي في ضوره وإحكام خلقه وتوثيق بنيانه .

(١٧) سَاف : شم . والأديم : الجلد ، يريد به ظهر الأرض . والأدلىص : الذي ظهر نباته الجديد ، وأصله صفة للجمار إذا ثبت له شعر جديد . والضمير في « بها » يعود على قطع الأذن الوحشية . يقول إن هذا الجمار أمرع بلانائه إلى روضة خصبة أخذ يتشمم أرضها التي أخذ تباتها ينوء ، ليعطين إلى جودة مرعاها .

(١٨) مشيحا : أى أنه يدبر بصره في الفضاء المحيط به . والشحيح : الشخص . والعالم : المكان المرتفع . والعلى : العالى . ويوفى دونها : أى يصل قبالتها ، والضمير فيها يعود على الأذن .

(١٩) الظاهرة : ما ارتفع وظهر على الأرض . والدحيق : الجمار المطرود المبعد عن الأذن . والقسى : الشديد القاسى . يريد أن يوما شديدا من الصراع قد بدأ بين الذكرين لأظفر بهذه الإناث . (٢٠) البقايا : يريد بها بقايا الماء . وقلصت عنه يريد أن بقايا الماء أخذت في الجفاف . والوئى : النبات أخذ في الجفاف وإن بقيت فيه بقية من الماء . وأعوزه الوئى : أى احتاج إليه ، والضمير فيه يعود على الجمار الوحشى . يصف بداية جفاف المارعى الذى نزل به هذا القطيع تمهيدا لرحلته عنه بحثا عن مرعى جديد .

(٢١) أرن : صاح ومد صوته . وصكها : ضربها ضربا شديدا . والدزول : الشديد النشاط . والعصى هنا : طرف اللجين وهما منابت الشعر على الخدين والذقن . ويعب على مناكبها الصبيا : أى يجعل أطراف لحية على ظهورها . يقول إن هذا الجمار أخذ يسوق إنائه سوقا عنيفا ، قد صوته صائحا بوا ، وراح يضربها ضربا شديدا ، ويمزها في مناكبها بأطراف لحية .

- ٢٢ فأوردها على طمّل يمان يهل إذا رأى لهما طريا
 ٢٣ له شريانة شملت يديه وكان على تقلدها قويا
 ٢٤ وزرق قد تخلصها لقضب يشد على مناصبها النضيا
 ٢٥ تردى براءة لما بناها تبوا مقعدا منها خفيا
 ٢٦ فلما لم يرين كثير دقي وردن صواديا وردا كبا
 ٢٧ فأرسل والمقاتل معورات لما لاقت دعافا يثرى
 ٢٨ فخر النصل منقعا رثيا وطار القدح أشتاتا شظيا
 ٢٩ وعض على أنامله لحيفا ولاق يومه أسفا وغيا

(٢٢) الطمل : الفقير . رهل : يهل فرحا . يصور الصياد المتربص بها ، ويقول إنه صياد فقير من أهل اليمن ، ينتظر في لفة صيدا ممينا ، وتمتلى نفسه بالفرحة كلما رآه .
 (٢٣) الشريانة : القوس تلخذ من الشريان وهو شجر تصنع منه القسي .

(٢٤) الزرق : النصال المجلوة المصقولة . وتنخلها : تخيرها . والقضب : القداح التي تتركب فيها النصال . ومناصبها : أهاليها . والنضى : السهم . يصف في البيتين هذا الصياد وما أعده من قوس ومهام خرج بها ليضمن ظفره بالصيد الذي خرج وراءه .

(٢٥) البراة : الحفرة التي يعلها الصياد ليخفي فيها . وترداها : دخل فيها واخفى في داخلها .
 (٢٦) صواديا : عطاشا . وكيا : خفيا . يقول إن هذه الأتق حين اطمأت ولم تجد ما يخفيها مضت إلى ماء بعيد خفي في جوف الصحراء لتطفى ظمأها .

(٢٧) فأرسل : يريد أن الصياد أرسل مهمما نحو القطيع . ومعورات : مكشوفات . والدعاف : السم القاتل ، يريد السهم . واليثرى : نسبة إلى يثر ، ولعله يريد أنها من صناعة يسود يثر ، وكانوا في العصر الجاهلي يحترفون صناعة الأسلحة . ودعافا مفعول به لأرسل ، والجملة بينهما اعتراضية .

(٢٨) منقعا : ملتويا . ورثيا : نخضا بالدماء . وشظيا : منكسرا .

(٢٩) وعض على أنامله : كناية عن الندم . يريد أن الصياد أخفق في إصابة القطيع .

٣٠ وراح بِحِزَّةٍ لِهِفًا مُصَابَا يُنْبِي عِرْسَهُ أَمْرًا جَلِيَا
٣١ وَلَوْ لَطَمَتْ هُنَاكَ بِذَاتِ نَحْسٍ لَكُنَّا عِنْدَهَا حَتَّيْنِ سِيَا
٣٢ وَكَانُوا وَائِقِينَ إِذَا أَتَاهُمْ بِلَحْمٍ إِنْ صَبَّاحًا أَوْ مُسِيَا

* * *

(٣٠) الحرة : شدة العطش ، يريد بها النفيذ الذي ملا نفسه حين رأى سباهه تطيش . وعرسه . زوجته . يصور عودة الصياد خائباً إلى زوجته .

(٣١) الحتتان : المثلان . وسيا : أي سواء . وذات النخس هي الكدف . والضمير في « كانا » يعود على الأكمة وعلى خيبة زوجها . يقول إن عودته خائباً إلى زوجته كانت بمثابة لكمة على وجهها .

(٣٢) الضمير في « كانوا » يعود على أولاده . يصور ضياع أمهم في عودة أيهم بلحم الصيد الذي خرج من أجله ، والذي كانوا على ثقة من عودته به في أي وقت من الليل أو النهار .

* * *

يوسف خليل

(٣)

طعنةٌ غير طائشة

من بواكير قصائد المدح في الشعر الجاهلي هذه اللامية لعمر بن قيس ، وهو يستلها بعرض موقف غزلي طريف يتعلق في جانب منه بتجربة الشيب وآلامها ، وفي جانب آخر بمشهد الظعينة وما تتركه في نفسه من آلام الهوى وحسرة الفراق معاً .

وعلى عادة شعراء العصر راح عمرو يدعو لصاحبه ويدعو لديارها ، مسجلاً من خلال ذلك الدماء المزدوج حنينه إليها وحبها لها وإخلاصه في تجربته .

ويطيل الشاعر في عرض هذا المشهد الذاتي الذي وزعه بين حديث الغزل والشيب والظعن ، وبعدها يؤثر الإيجاز في حديث المدح ، فيركز حديثه على الملاح الكبير التي رآها مميزة ثم دوحه دون سواء ، فراه فريداً في شجاعته لا يكاد يُبارى فيها أو يُنازع ، وشغله من تلك الشجاعة في الدلالة عليها ضربته النافذة التي لا تخطيء عدوه والتي كانت دافعاً لإعجاب الشاعر حيث راح يتغنى بها في هذه اللامية .

* * *

١ هل لا يهيج شوقك الطلل أم لا يفرط شيخك القزل

٢ أم ذا قطين صاب مقتله منه وخانوه إذ احتملوا

(٢) القطين : أهل الدار . ويقطن المكان يقيم فيه ، والقطين : الحشم والإماء والأنباع .

- ٣ ورأيت ظعنهم مقفية تعلو المخارم سيرها رمل
٤ قنأ العهون على حواملها وعلى الرهاويات والكلل
٥ وكان غزلان الصريم بها تحت الخدور يظللها الظلل
٦ تامت فؤادك يوم بينهم عند التفرق طيبة عطل
٧ شئت إلى رشا تربيته ولها بذات الحاذ معتزل
٨ ظل إذا صحيت ومرتقب كيلا يكون لليلها دغل
٩ فسقى منازلها وحلتها قرد الرباب لصوته زجل
١٠ أبدى محاسنه لناظريه ذات العشاء مهلب تحضل
١١ متحلب تهوى الجنوب به فتكاد تعدله وتتجفل
١٢ وضعت لدى الأصناع ضاحية فوهى السيوب وحطت العجل

(٣) المخرم : منقطع أنف الجبل . الرمل : ضرب من سيرا الإبل وهو السير السريع .

(٤) القنأ : الحرة الشديدة . المهن : الصوف الأحمر القاني الداكن . الرهاويات : أكسية منسوبة إلى الرها لثبوتها بها .

(٥) الصريم : رمال تنقطع من معظم الرمل .

(٦) تامت : ضلكت . العطل : الخالية من الحلي ، دلالة على شدة جحالها دون حاجة إلى الحلي .

(٧) الشنف : النظر بمؤثر العين ، أو هي نظرة تثنى بالاعتراض . تربيته : تربيته وتحرص عليه . الحاذ : نبات ، وسمى به موضع بنجد .

(٨) ضحيت : برزت .

(٩) الحلة : مجتمع القوم ، أو مكان معيشتهم . الرباب : نوع من السحاب يطلق خاصة على السحاب الأبيض . القرد من السحاب : المتلبد بفضه على بعض .

(١٠) ذات العشاء : وقت العشاء . مهلب : كأن له هلباً من هيد به ، والهيدب : الذي يتدلى ويدنو مثل هذب القطيفة . الخضل : الرطب . واغضال الشجر كثرت أغصانه وأوراقه .

(١١) متحلب : يتحلب بالمطر . ينجفل : ينقلع . وجفل الطين يرفه وجفل الشيء قشره .

(١٢) الأصناع : اسم موضع . ضاحية : ظاهرة بارزة . السيوب : مجارى المياه فى الأودية . العجل : جمع عجلة وهى الزادة . والعجلة بالكسر أيضاً السقاء والدرباب .

- ١٣ فسقى امرأ القيس بن عَمْرَةَ إِنَّ (م) الأكرمين لذكهم تَبَلُّ
 ١٤ كم طعنة لك غير طائشة ما إن يكونُ لجرحها خَلَل
 ١٥ فطعنُها وضربتُ ثانيةً أخرى وتزل إن هم تزلوا
 ١٦ يهْبُ المخاضُ على غواربها زَبَدُ الفحول مَعَانُهَا بِقِلُّ
 ١٧ وعِشارها بعد المخاض وقد صافت وعم رباعها النَّفْلُ
 ١٨ وإذا المجزئ حان مشربه عند المصيف وسره التَّهْلُ
 ١٩ رشُفُ الذَّناب على جماجمها ما إن يكون لحوضها مَمْلُ

- (١٦) زبد الفحول على غواربها : أى يقرعها فيبقى زبده على غواربها . معانها : الموضع الذى ترى به . بقل : فيه بقل .
 (١٧) صاف القوم بمكان كذا : أقاموا فيه فى فصل الصيف . الرباع : جمع ربيع . وهو الموضع يرتبون فيه الربيع . النفل : الغنيمة والهبة .
 (١٨) المجزئ : الذى كان يجزأ إبله بالرطب إذا اشتد عليها الحر .
 (١٩) الذَّناب : جمع الذنوب وهى الدلو العظيمة . الصملة : بقية الماء فى الحوض . وهو الماء القليل مائة .

* * *

عبد الله البطاوى

(٤)

المصير المحتوم

تدور هذه القصيدة حول فكرة المصير المحتوم الذى ينتهى إليه كل كائن حى فى هذه الحياة : الإنسان مهما يَطْلُبْ به الأجل ، والحيوان فى البر والبحر : التماسيح المتخفية فى لجج الأنهار ، والوعول المعتصمة فى قسم الجبال ، والثيران الوحشية المتأبدة فى أعماق الصحراء .

وهى تبدأ بمقدمة غزلية يصف فيها رحلة صاحبه مع قومها إلى أرضهم الجليدة ، ثم يتحدث عن كرهه الذى أنكرته صاحبه طيله ، ويخرج من هذا الحديث إلى حديث المصير الذى تدور حوله القصيدة . والقصيدة قصيرة تقع فى ثلاثة عشر بيتاً .

* * *

- ١ إنا قلبى عن نكتم فير سالى تيمتنى وما أرادت وصالى
- ٢ هل ترى غيرها تميز مرعاً كالعذولي رانحاً من أول

(١) نكتم : اسم صاحبه ، وهو من الأسماء النادرة فى الشعر العربى . والبيت يوحى بما يعززم الشاعر لإثارته فى قصيدته من حديث الشيب والمصير . لقد تيمنته صاحبه ولكنها لا تريد وصاله . إنه حب من طرف واحد .

(٢) العذولي : سفن منسوبة إلى قرية بالبحرين اسمها عذولي . وكانت البحرين فى العصر الجاهل مركزاً لصناعة السفن ، بحكم موقعها على الخليج واحزاف أهلها الملاحة . وأوال : جزيرة من جزر البحرين . يشبه ظمآن صاحبه وهى تتخترق الصحراء بهذه السفن البحرانية وهى تشق أمواج الخليج خارجة عن هذه الجزيرة .

الجزء الأول

١٥٣

- ٣ نزلوا من سويقة الماء ظهرا ثم راحوا للنَّعِيفِ نَعِيفِ مِطَالِ
٤ ثم اَصْحَوْا على الدَّيْنَةِ لَايَا لُونِ أَنْ يَرْفَعُوا صُدُورَ الْجَمَالِ
٥ ثم كَانَ الْحِصَاءُ مِنْهُمْ مَصِيفًا ضَارِبَاتِ الْخُدُورِ تَحْتَ الْهِدَالِ
٦ فَزَعَتْ تَكْتُمُ وَقَالَتْ : عَجِيًّا أَنْ رَأَيْتِي تَغَيَّرَ الْيَوْمَ حَالِي
٧ يَا ابْنَةَ الْخَيْرِ إِنَّمَا نَحْنُ رَهْنٌ لِيُصْرِوِفَ الْأَيَّامَ بِمَدِّ اللَّيَالِي
٨ جَلَّحَ الدَّهْرُ وَاتَّحَى لِي ، وَقَدَّمَ كَانَ يُنْحِي الْقُسْوَى عَلَى أَمْثَالِي
٩ أَفْصَدْتَنِي سَهَامُهُ إِذْ رَمَتْنِي وَتَوَلَّتْ عَنْهُ ، سُلَيْمِي ، نَبَالِي

(٣) سويقة الماء : موضع باليمامة . ونعيف مطال : ماء ، والنمف : المكان المرتفع . يصف رحلة الضمائر ، ويتبع مراحل سيرهن ، ويذكر المواضع التي يجتازنها ، وسهواصل تنبئه لمن في البيت التاليين .

(٤) الدَّيْنَةُ : موضع . وقوله « لَا يَالُونِ أَنْ يَرْفَعُوا صُدُورَ الْجَمَالِ » يريد أنهم لا يقصرون في حث إبلهم على مواصلة السير . ورفع صدور الجمال كناية عن اندفاعها في السير .

(٥) الحِصَاءُ : موضع في ديار بني أسد يكثر فيه الماء . الخُدُور : جمع خدر وهو جانب الخباء المخصص للنساء يفصل بينه وبين سائر الخباء يستر . والهِدَال : ما تهدل من أغصان الشجر . يتحدث عن نهاية الرحلة ، لقد وصلت القافلة إلى هذه المنطقة لتقضي فيها الضيف ، وضربت خيامها فيها في ظلال الشجر الوردية تحت أغصانها المتهدلة .

(٦) يصف موقف صاحبتة منه بعد أن رأت تقدم السن به ، وتغير حاله بعد أن بدأ زحف للسنتين عليه .

(٧) يريد على تعجبها وإنكارها لتفسير حاله بأن الإنسان في الحياة رهن لتقلب الأيام والليالي به .
(٨) جَلَّحَ الدَّهْرُ : يريد أن الدهر رعى شبابه ونزع عنه نضارته ، وأصله من جامعت الإبل الشجر إذا رعت أعاليه وقشرته ، ومن هنا يحتمل التعمير أيضا . معنى انحصار الشعر عن جانبي الرأس . وقوله « وَاتَّحَى لِي » يريد أن الدهر اتجه إليه وقصده بعد أن كان في ماضى آياه يتجه إليه بالقوة والشباب .

(٩) أَفْصَدْتَنِي سَهَامُهُ : أي رميتني فلم تخطئ . وتولت عنه نبالي : أي أخطأته وابتعدت عنه . وصايبي : نداء لصاحبتة ، وهي نفسها تكتم التي ذكرها من قبل ، والتي يدور الحوار بينها وبينه ، يقول إن مهام الدهر أصابتني ولم تخطئ ، وأما نبالي التي أوجهها إليه فقد أخطأته ولم تصبه .

- ١٠ لا عَجِبُ فيما رأيت ، ولكن عَجَبٌ مِنْ تَقْصُرِ الآجالِ
 ١١ تُدْرِكُ التَّمَسَّحَ المُولَّعَ في النَّجَّةِ ، والعَصَمَ في رؤوسِ الجبالِ
 ١٢ والفريْدَ المُسَفَّعَ الوجهَ ذا الجُدِّةِ يختارِ آمِناتِ الرمالِ
 ١٣ وتَصْدَى لِتَصْرَعِ البطلَ الأرَّوَعَ بينَ العُلَهاءِ والسَّربالِ

* * *

- (١٠) تقصر الآجال : تأخرها . يقول لصاحبه : ليس عجيبا أن يتقدم العمر بالإنسان ويفترق من نهايته ، فهذه سنة الحياة ، ولكن العجيب أن يتأخر الأجل عما يفترض أنه موعده .
 (١١) الضمير في « تدرك » يعود على الآجال . والتمسح لفة في التمساح ، ولعلها أول مرة أو المرة الوحيدة التي ترد فيها في الشعر الجاهلي . والمولع : الذي به تعلق تخالف سائر لونه . والعصم : الوعول ، مفردا عصم ، لأنها تعصم في قمم الجبال .
 (١٢) للفريد : يريد به الثور الوحشي ، وأكثر ما يظهر في الصحراء منفردا وحده ، وهذه هي صورته التي ترد دائما في الشعر القديم . والمسفع : الذي في وجهه سفعة وهي السواد والشحوب كلون الرماد .
 (١٣) تصدى : أى تصدى ، حذفت إحدى تاءيه تخفيفا . والأروع : الشجاع الذي يرومك بشجاعته . والعُلَهاء : ثوبان يتدف فيهما وبر الإبل بلبسهما المقاتل تحت الدرع . والسربال : القميص ، يريد به هنا الدرع ، وفي القرآن الكريم أطلقت السربال على الدروع : « وسربال تقيسكم بأسمكم » (النحل ٨١) .

* * *

يوسف خليف

عبيد بن الأبرص

* * *

يرجع نسبُه إلى قبيلة سعد بن ثعلبة إحدى قبائل بني أسد التي كانت تنزل في شمالي نجد، والتي تحكمها أسرة كندة اليمنية التي ينتمى إليها امرؤ القيس الشاعر . وكان عبيد معاصرا لمُجتر أبي امرئ القيس وآخر ملوك هذه الأسرة، وكان من بين الذين اشتركوا في ثورة قبيلته عليه وقتله والقضاء على حكم أسرته ببلادهم . وقد تحول مع الأحداث التي شهدتها المنطقة في هذه المرحلة من تاريخها إلى « شاعر الثورة » الذي يسجل أحداثها ، ويتغنى بدور قبيلته فيها . ويهاجم الأسرة اليمنية الحاكمة ، ويسخر من آخر أمرائها امرئ القيس في محاولاته الضائعة للنار لأبيه ، واسترداد عرش أسرته . وفي شعره ما يدل على أنه شارك في المعركة الأخيرة التي قُتل فيها مُجتر ، وفروا منها امرؤ القيس هاربا بعد مصرع أبيه وهزيمة جيشه .

وليست بين أيدينا أخبار كثيرة عن حياة عبيد ، فالروايات العربية القديمة لا تذكر شيئا له قيمته التاريخية عن حياته ، وكثير مما تذكره يبدو عليه طابع الأساطير والأقاصيص الشعبية التي تتناقلها الشعوب دون تأكيد من صحتها أو توثيق لها . وربما كانت أصح هذه الأخبار مشاركته في ثورة قبيلته على أسرة كندة التي انتهت بمصرع آخر ملوكها ، ففي الروايات التاريخية التي تحدثت بها الإخباريون ما يؤكدها ، وكذلك في قصائده ومقطوعاته التي وثقها الباحثون .

وقد لقي عبيد مصرعه على يد المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة في « يوم يؤسه » الذي تحدثنا عنه هذه الروايات . فقد كان لهذا الملك الطاغية الذي كان وراء

إخفاق امرئ القيس في محاولاته استرداد عرش أميرته الضائع يومان في السنة معروفان بيوم البؤس ويوم النعيم ، وكان قَدْرُ أول ما يصادفه في يوم بؤسه أن يقتله ، وحظُّ أول من يلقاه في يوم نعيمه أن يحسن إليه ويجزل له العطاء . وشاء قَدْرُ عبيد أن يخرج إليه في أحد أيام بؤسه ، فكانت نهايته الحزينة وهو ينشد ناعيا نفسه :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ عَيْبِدُ فالْيَوْمَ لَا يُبْسَدَى وَلَا يُمِيدُ

وكما هو الشأن مع كل الشعراء الجاهليين ليس من اليسير تحديد سنة وفاته بالضبط ، ولكن إذا وضعنا في تقديرتنا هذه الرواية التي تتحدث عن مصرعه على يد المنذر ، فإننا نستطيع أن نقرب من الحقيقة . فقد قُتِلَ المنذر في بعض حروبه مع الحارث الغساني ملك الغساسنة — كما يحدثنا المؤرخون البيزنطيون — في سنة ٥٥٤ للميلاد . ومعنى هذا أن عبيدا لا بد أن يكون قد قُتِلَ قبل هذا التاريخ ، وإن يكن من الصعب بعد ذلك أن نحدد السنة التي قتل فيها .

وعبيد أحد الشعراء الكبار الذين عرفهم الشعر الجاهلي في المرحلة الأولى الثابتة من تاريخه ، مرحلة عصر البسوس . وقد وضعه محمد بن سلام في الطبقة الرابعة من فحول العصر الجاهلي مع طَرْفَةَ بن العبد وعلقمة بن عَبْدَةَ وعدى بن زيد وذكر أنهم أربعة فحول « موضعهم مع الأوائل وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة » . ويضعه بعض الرواة بين شعراء المعلقات ، ويجعلون قصيدته « أقفر من أهله ملحوب » إحدى المعلقات العشر ، وإن يكن ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » يجعلها من المعلقات السبع .

ويدور شعر عبيد الذي وصل إلينا حول موضوعات قبلية أكثرها نفرا بها ، وبصفة خاصة في الصراع الذي دار بينها وبين بني أسد ، والذي انتهى بمصرع

الملك . ويتردد في حديث هذا الصراع تهديد لامرئ القيس يشوبه غير قليل من السخرية منه ومن قدرته على استرداد عرش أسرته الذي ضاع إلى الأبد . كما تتردد في شعره أحاديث كثيرة عن مرحلة شبابه الذي ولى ، وماشهدته من بطولات ، وما مرَّ به فيها من تجارب ومغامرات . وأيضا يتردد فيه وصف للطبيعة الصحراوية ، وبصفة خاصة المطر . من حين إلى حين تتردد أبيات متناثرة من الحكم يسجل فيها خلاصة تجربته في حياته الطويلة .

وقد لاحظ المستشرق الإنجليزى ليال « Lyall » في مقدمته الدقيقة التي صدر بها ديوانه الذى حققه ونشره فى سنة ١٩١٣ أن معظم قصائده يبدو عليها أنه نظمها وهو متقدم فى السن ، حيث يتراءى فيها شيئا كبيرا ينظر إلى شباب يعبه أوجل مراحل حياته ، كما لاحظ أن لغة قصائده تكشف عن شخصية ذاتية بارزة ، وأنه فى كثير من قصائده يلتزم منهاجا ثابتا يتناول من خلاله موضوعات واحدة ، وأن هناك تشابها موضوعيا واضحاً بينه وبين معاصره امرئ القيس ، وأن الشعارين يستمدان من ذخيرة شعرية واحدة فى العبارات والموضوعات ، أو بعالمان موضوعاتهما معالجة واحدة . و انتهى من ذلك إلى توثيق أكثر شعره واستبعاد فكرة انتحاله .

* * *

يوسف خليل

(١)

من المعلقة تجارب الحياة

عبيد بن الأبرص من أقدم الشعراء الجاهليين وقد عاصر سُجْراً أمير كندة
ووالد امرئ القيس الشاعر الجاهلي المعروف . وينتمى عبيد إلى سعد بن ثعلبة
من قبيلة أسد الذين كانوا يسكنون في شمالي الجزيرة العربية .

وأخبار عبيد قليلة في المصادر المختلفة وكذلك أشعاره وإن وضعه معظم
العلماء في مرتبة الشعراء الفحول المقدمين . وأبرز ما في شعره الوصف وخاصة
وصف الرياح والأمطار ، وكذلك الحكمة التي يودع فيها تجارب حياته ،
والأحداث التي تعرضت لها قبيلته في عهده . ومنها مقتل حجر ونزاع القبيلة مع
إمارة الغساسنة وملكها الحارث الأعرج .

وهذه الأبيات التي اختارها من قصيدة له يَعدّها بعض العلماء الأقدمين من
المعلقات تعبر عن تجربة ذاتية عميقة في الحياة الإنسانية . ويبدوها الشاعر بلوم
نفسه على العشق والسعى وراء اللذة بعد أن شاب وعلت سنه ، وكان في أبيات
سابقة من القصيدة قد صور عشقه وسعيه وراء النساء ، وقد ازداد شوقاً بعد أن
رحلت المحبوبة عن دارها ، ولهذا يصوغ هذا الرحيل في حكمة خالدة حين

يقول في البيت الثاني : إن كانت الحبيبة قد رحلت مع أهلها ، فهم ليسوا أول من يرحلون ، وليس هنا غرابة ولا عجب في هذا الرحيل ، وإذا كانوا قد تركوا أرضهم خلاء منهم وخلاء من مظاهر الحياة فانتابها الجذب والقحط ، فهكذا حال الدنيا ، كلٌّ من بيده نعمة سوف يفقدها ، وكلٌّ من أمل في شيء سيأتيه يوم لا يتحقق فيه هذا الأمل ، وكل إنسان في يده ثروة أو امتدادها عن طريق السلب والغنيمة ، سيأتي يوم يضطره للتخلي عن ذلك لغيره حين تنتهي أيام الحياة المحدودة ويمثل الموت . وكل مغترب عن داره وأهله إن كانت ساعته لم تحن بعد سيعود ، ولكن من لا يعود أبدا هو الذي استأثر به الموت . وعلى العاقل أن يفرق بين الغث والسمين فلا يعدل بين المرأة العاقرة والولود أو بين المنتصر في ساحة القتال والمنهزم ، وإن كان حظ الإنسان ليس خاضعا لمراهبه فقد ينجح العاجز في حياته وقد يفشل الذكي الأريب ، والدهر وحده هو الذي يكسب الناس التجربة الصادقة التي تنفعهم ، أما أن يعظهم الناس ، فهذا ما لا ينفعهم لأن الإنسان بطبيعته يستكبر على الوعظ ، والعقل على أية حال لا يكتسب اكتسابا وإنما هو طبيعة مركوزة في الإنسان .

وعواطف الإنسان متغيرة ، فمن تبغضه اليوم قد تحبه غدا ، ومن تحبه اليوم قد تبغضه غدا ، وإذا كنت مقيا في أرض غير أرضك فلا بد أن تعين أهلها على أمورهم ، وتشاركهم في حياتهم ولا تنعزل عنهم بدعوى أنك غريب . وقد يكون الغريب عنك تسبا ودارا صديقا مخلصا لك مواصلا لمودتك ، بينما ينقطع عنك الغريب في النسب والموطن . وعلى العاقل ألا يتعرض لسؤال الناس فهم كثيرا ما يحرمونه ولا ينسألونه ما يشتهى ، ولكن الله وحده يعطي من يشاء ، وهو بلا شريك يعلم ما تخفى النفوس ، ويظل المرء في حياته نهب القلق لا يتأكد من

شئ تلون الحياة واضطرابها ، فلماذا يؤمل الإنسان طول العمر وفي هذا الطول
تعذيب دائم له ؟

* * *

- ١ تَصَبُّوْ وَأَنَّى لَكَ التَّصَابِي ؟ أَنَّى وَقَسِدَ رَاعَكَ الْمِشِيْبُ ؟
- ٢ إِنْ يَكْ حُؤْلَ مِنْهَا أَهْلُهَا فَلَا بَدِيَّ وَلَا عَجِيْبُ
- ٣ أَوْ يَكْ أَفْقَرَ مِنْهَا جَوْهَا وَمَادَهَا الْمُحْلُ وَالْجُدُوْبُ
- ٤ فَكُلْ ذِي نِعْمَةٍ تَخْلُوسُهَا وَكُلْ ذِي أَمَلٍ مَكْذُوْبُ
- ٥ وَكُلْ ذِي إِبِلٍ مَوْرُوْثُهَا وَكُلْ ذِي سَلَبٍ مَسْلُوْبُ
- ٦ وَكُلْ ذِي قَيْسَةٍ يُؤُوْبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُؤُوْبُ
- ٧ أَعَاقِرُ مِثْلُ ذَاتِ رَحِيْمٍ أَوْ غَائِمٌ مِثْلُ مَنْ يَنْجِيْبُ
- ٨ أَفْلَحَ بِمَا شِئْتَ فَقَدْ يَدْرَكَ بِالْضَعِيْفِ وَقَدْ يُخْذَعُ الْأَرِيْبُ

(١) تصبو : تميل وتمشق ، أنى : كيف لك بهذا ، راعك : فاجأك وآذأك .

(٢) حول منها أهلها : رحلوا عنها ، البدي : الأول ، أى ليست أول أرض تركها أهلها فلا خرابة .

(٣) جوها : وسطها ، مادها : أصابها ، المحل والحدوب : القحط .

(٤) تخلصها : أى سوف تفقدها ، مكذوب : لن يتحقق .

(٥) موروثها : أى سيرتها غيره ، وكل من سلب شيئاً سوف يصاب منه ، فالمرت يأتى هل كل شئ .

(٦) يؤوب : يرجع .

(٧) العاقرة : التى لا تلد ، ذات الرحم : والولود ، غائم : يغير فيغتم .

(٨) أفلح : عس ، الأريب : العاقل الذكى .

- ٩ لا يَعِظُ النَّاسُ مَنْ لَا يَعِظُ يَعِظُ الـ مَدْهَرٌ وَلَا يَنْفَعُ التَّلْيِبُ
 ١٠ لَا يَنْفَعُ اللَّبُّ مَنْ تَعَلَّمَ إِلَّا السَّجِيَّاتُ وَالْقُلُوبُ وَيَرْجِعَنَّ شَانِيَا حَبِيبُ
 ١١ فَقَدْ يَعُودَنَّ حَبِيبًا شَانِيَا وَلَا تَقُلْ لِمَنْ نَحْنِي غَرِيبُ
 ١٢ سَاعِدْ بِأَرْضٍ إِذَا كُنْتَ بِهَا يُقَطِّعُ ذُو السَّهْمَةِ الْقَرِيبُ
 ١٣ قَدْ يُوَصِّلُ النَّازِحُ النَّائِي وَقَدْ مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرُمُوهُ
 ١٤ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَحِبُّ وَاللَّهُ يُدْرِكُ كُلَّ خَيْرٍ
 ١٥ وَاللَّهُ لَا يَسْأَلُ لَهْ شَرِيكَ عَلَّامٌ مَا أَخْفَى الْقُلُوبُ
 ١٦ وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبِ طَوَّلُ الْحَيَاةِ لَهُ تَعْذِيبُ

(٩) التلبيب : تكلف الـ .

(١٠) السجيات : الطباع .

(١١) الشانيء : المبهض .

(١٢) إذا كنت في أرض فأعن أهلها على أمورهم .

(١٣) النازح : البعيد النسب والدار : السهمة : القرابة .

(١٤) تلقيب : ضعف .

* * *

محمد مصطفى هدارة

(٢)

إنذار إلى امرئ القيس

* * *

تدور هذه القصيدة في جو الصراع الذي اشتعلت نيرانه بين أسد وكندة بعد مصرع حُجر الملك وخروج ابنه امرئ القيس لمعركة النار . وفيها يستخر الشاعر من تهديد امرئ القيس لقومه ، وينكر عليه ما يدعيه من أنه سجل نصرا عليهم ، ويفتخر بقومه وشجاعتهم وثباتهم في الحروب وحرصهم على كرامتهم والذود عنها ، ويذكره بأيام دارت بينهم وانتصروا فيها عليهم . ثم يعود في النهاية فيسجل منزلة قومه بين القبائل العربية عامة ، وما بلغوه من مجد وشرف وبطولة . والقصيدة تدور كلها حول هذا المحور في وحدة موضوعية متماسكة ، فلا مقدمة ، ولا تمهيد في الموضوعات ، ولا خروج من موضوع إلى موضوع ، وإنما ترابط وتلاحم وتسلسل بين الأبيات حتى آخر بيت منها .

* * *

- ١ يا إذا الخَوَفْنَا بَقْتِ لِي أْبِيهِ إِذْ لَالًا وَحَيْنًا
- ٢ أَرْعَمْتَ أَنْكَ قَبْدَ قَتَلَدِ سَتَ سَرَاتِنَا كَذِبًا وَمِينَا ؟
- ٣ لَوْ مَا عَلَى حُجْرِ ابْنِ أُمِّ (م) قَطَامِ تَبْكِي لَا عَلَيْنَا

-
- (١) يخاطب امرأ القيس الذي يهددهم بمعركة النار لأبيه . والحين : الحلاك .
 - (٢) السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف . والمين : الكذب .
 - (٣) لوما : بمعنى هلا ، من أدوات التحضيض ، وبها روى البيت في رواية أخرى . وحجر ابن أم قطام هو حجر أبو امرئ القيس ، ينسبه إلى أمه استزاء به ، وهو ينادي لشأنه .

الجزء الأول

١٦٣

- ٤ إِنَّا إِذَا عَصَّ الثَّقَا فُ برأس صعدتنا لوينا
٥ نحى حقيقتنا ، وبنا . حُ القوم يسقط بين بينا
٦ هلا سالت مجموع كند . مدة لاذ تولوا : أين أين ؟
٧ أيام نضرب هامهم ببواتر حتى انحنينا
٨ وجوع غسان الملوك لك آتيتهم وقد انطويننا
٩ لحقنا أياطلهن قد عاجلنا أسفارا وأينا
١٠ ولقد صلقن هوازا بنواهل حتى ارتويننا
١١ نعليهم تحت الضباب ب المشرف إذا اعتريننا

(٤) الثقات : آلة يستعملها العرب في تنقيف رماحهم أى تسويتها . والصاعدة : قناة الرمح .
ولويننا : معناها هنا أبينا ورفضنا . والبيت تصور لعزتهم ومنعتهم ، ولأبائهم الضيم ، ورفضهم الذل .
(٥) الحقيقة هنا معناها ما يجب على الرجل أن يجنيه ويدافع عنه . ويسقط بين بين أى يسقط
وسيطا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، يريد أنه لا قيمة له .

(٦) أين أين : أى أين تولوا فرارا من المعركة التى هزموا فيها ، كرو الاستفهام للتوكيد .
(٧) الهام : جمع هامة وهى الرأس . والبواتر : السيوف الحادة . والضمبر فى « انحنين » يعود
عليها .

(٨) غسان الملوك اسم الغساسنة ، يفتخرون بانتصارات قومهم عليهم . والضمبر فى « أين » يعود
على الخيل المفهومة من السياق ، وكذلك فى « انطوين » ؛ ويريد بها أنها ضمرت .

(٩) الأياطل : جمع أياطل وهو خنزير الجسود . والأين : التعب والإعياء . وقوله « لحقنا
أياطلهن » تصور لاضمحور الخيل ، يريد أن نصورها لحقت بمقام ظهورها .

(١٠) الصلق : الصوت الشديد العالى ، يصور شدة صهيل الخيل فى المعركة . والنواهل : يريد
بها الرماح التى قتل من دماء الأعداء حتى تتروى .

(١١) فعليهم : أى نضع فوق رؤوسهم . والضباب : يريد به هنا غبار المعركة . والمشرف :
السيف ، نسبة إلى مشارف الشام ، وهى قرى بها كانت مشهورة بصناعة السيوف . واعتريننا : أى
اتسبنا إلى آبائنا فى أثناء القتال اعترازا بأصولنا العريقة .

- ١٢ نحن الألى فاجمع جُمو عَكَ ثم وجههم إلينا
 ١٣ واعلم بأن جِعادنا آلَيْن لا يقضين ديننا
 ١٤ ولقد أبجنا ما حمي ست، ولا مبيع لما حمينا
 ١٥ هذا ولو قد رت عليك رماح قومي ما انتهينا
 ١٦ حتى تنوشك نؤشة عاداتهن إذا انتوين
 ١٧ نغلي السباء بكل ما ثقيت شمول ما صحننا
 ١٨ ونهين في لذاتها عظم التلاد إذا انتشين
 ١٩ لا يبلغ الباني - ولو رفع الدعائم - ما بيننا
 ٢٠ كم من رئيس قد قتلناه ، وصيم قد أيلنا

(١٢) الألى : اسم موصول بمعنى « الذين » لم تذكر صلتها لكون مجال الفخر متسعاً لكل الاحتمالات ، بمعنى نحن الذين يدسرف الجميع من نكون . والبيت تصويري لمدى ثقمتهم بأنفسهم وبأنهم قادرون على انتزاع النصر من أعدائهم مهما تكن جودتهم التي يجمعونها لهم ويوجهونها إليهم .
 (١٣) آلَيْن : أقسم . وقوله « لا يقضين ديننا » يريد به لا يترك لأحد فرصة لقضاء ديونه وأخذ قارائه منهم .

(١٥) ما انتهينا متعلقة بالبيت الثاني والضمير فيها يعود على الرماح . وفي البيت تضمين وهو تعلق نهايته بصدر البيت الذي يليه .

(١٦) تنوشك : تتناولك باللعن . وقوله « عاداتهن » أي كماداتهن .
 (١٧) السباء : شراء الخمر . ونغلي السباء : أي ندفع في شرائها ثمننا غالباً . والعائقة : الخمر الملتقة أو العذراء التي لم يفض ختامها أحد . والشمول : الخمر الباردة أو القوية الرائحة . يفنخر كمادة الجاهليين بشرب الخمر مظهراً من مظاهر الفتوة والكرم عندهم .

(١٨) التلاد : المال الموروث . وعظم التلاد : معظمه . وانتشينا : سكرنا من نشوة الشراب .
 (١٩) الباني : يريد به هنا باني الهجد والشرف . يفنخر بأن أحداً من العرب لا يبلغ مبلغهم من الهجد والشرف .

الجزء الأول

١٦٥

- ٢١ وَلَرُبَّ مَسِيدٍ مَعَشَرٍ ضَخِيمٍ الدِّمِيعَةِ قَدْ رَمَيْنَا
 ٢٢ عِقْبَانُهُ بِظُلُلٍ عِقْدٍ سَبَانَ تَيْمَمٍ مَنْ نَوَيْنَا
 ٢٣ حَتَّى تَرَكْنَا شِلْوَهُ جَزَرَ السَّبَاعِ وَقَدْ مَضَيْنَا
 ٢٤ وَأَوَانِسٍ مِثْلِ الدَّمَى حُورِ الْعَيُونِ قَدْ اسْتَيْنَا
 ٢٥ إِنَّا لَعَمْرُكَ لَا يُضَا مُ حَلِيفُنَا أَبَدًا لَدَيْنَا

* * *

- (٢١) الدِّمِيعَةُ : الجفنة الضخمة والمائدة الكريمة ، وضخم الدِّمِيعَةُ كناية عن الكرم . والفعل « رمينا » متعلق بصدر البيت التالى . وفى البيت يظهر التضمين مرة أخرى .
- (٢٢) العقبان : جمع عقاب ، وهو الجارح المعروف . وعقبان الأولى يريد بها رايات الجيش ، جيش الأعداء . وعقبان الثانية يريد بها هذه الطيور الجارحة . وتيمم : تقصد . يشير إلى ظهور جوارح الطير فى سماء المعركة لتنفذ على أشلاء القتلى . وهى صورة تتردد كثيرا فى الشعر العربى القديم .
- (٢٣) الشلو : مفرد الأشلاء . وجزر السباع : أى فريسة للوحوش تنهش أشلاءه بعد أن لقي مصرعه ومضينا عن ساحة المعركة متصربين .
- (٢٤) الأوانس : جمع آنسة وهى التى تؤنسك بحديثها العذب . والدِّمَى : التماثيل . وحور العيون : جميلات العيون ، من الحور وهو شدة بياض العين مع شدة سوادها ، وقد نفى العرب به كثيرا . واستينينا : سبيننا وأمرنا .

* * *

يوسف خليف

(٣)

إنذارٌ إلى زوجته

* * *

المحور الأساسي الذي تدور حوله هذه القصيدة الطويلة التي تبلغ في بعض رواياتها تسعة وثلاثين بيتا هو خلاف بين الشاعر وزوجته التي تريد فراقه لكبر سنه وقلة ماله ، وهو ينكر عليها هذا التصرف الذي لا يليق بها ، ويردّه ليرثها منه إلى أقارب وسوس بها لئلا يها من يكرهون استقرار حياتهما الزوجية . ثم ينطلق من هذا الموقف الثقيل على نفسه إلى ذكريات شبابه يستعيدّها ويتغنى بها ، وكأنه يذكرها بها لعلها تراجع نفسها وتراجع عن موقفها . والقصيدة — خضوعا للتقليد الفني القديم — تبدأ بمقدمة طالية يصف فيها أطلال صاحبته التي تحولت بعد رحيلها إلى مسارح للنعام والظباء ، ثم ينتقل منها انتقالا مفاجئا إلى هذا الموضوع الطريف الذي اتخذ منه المحور الأساسي الذي تدور حوله القصيدة ، والذي تحققت معه لها وحدة موضوعية دقيقة . وهي وحدة لا نراها فقط في هذه القصيدة ، وإنما نراها في كثير من قصائد هذا الشاعر . ثم يكون ختام القصيدة أبياتا من الحكمة تتصل بموضوعها وكأنه يلخص فيها تجربته .

* * *

- ١ ليس رسمٌ على الدِّفينِ ببالٍ فليوى ذِرْوَةً بِخَنِيٍّ أَثَالِ
- ٢ فالْمَرْوَرَةِ فالصَّفِيحَةِ ، قَفْرٌ كُلُّ وَايدٍ وروضةٍ مَحْلَالِ
- ٣ دَارُحَى أَصَابَهُمْ سَالَفُ الدَّهْدِ سِرٌّ فَانْخَسَتْ دِيَارُهُمْ كَالْحَلَالِ
- ٤ مُقْفِرَاتٍ إِلَّا رَمَادًا عَفِيًّا وَبَقَايَا مِنْ دِمْنِيَةِ الْأَطْلَالِ
- ٥ وَأَوَارِيٍّ قَدْ عَفَوْنَ وَنُويَا وَرُسُومًا عَصْرَيْنَ مُنْذُ أَحْوَالِ
- ٦ بُدِّلَتْ مِنْهُمْ الدِّيَارُ نَعَامًا خَاضِبَاتٍ يُزْجِيْنَ خَيْطَ الرِّثَالِ
- ٧ وَظُبَاءَ كَأَنَّ أَبَارِيْـَ قُ الْحُسَيْنِ تَحْنُو عَلَى الْأَطْفَالِ

* * *

(١) الرمم : ما بقى من آثار الديار الدارسة . البالى : القديم المنقر . والدفين : اسم موضع ، وكذلك سائر الأسماء فى البيت .

(٢) المرورة والصفيحة : موضعان أيضا يستكمل بهما — كالتقليد الفنى فى الشعر الجاهلى — التمديد الجغرافى للأطلال التى يقف بها . والمحلال : الآلهة بأصحابها الذين يحلون بها . يقول إن كل وديان هذه المواضع ورياضها التى كانت آلهة بأصحابها تحولت قفرا وحشا .

(٣) الخلال : جمع خلة (بالكسر) ، وهى البطانة التى تبطن جفن السيف ، وهى تتأكل مع القدم وكثرة استخدام السيف . يشبه بها الأطلال .

(٤) غفيا : دارسا بالياء متغيرا ، من عفا الأثر إذا درس وبلى وتغير .

(٥) الأوارى : مرابط الدواب ، جمع آرى . والنوى : خندق يحفرونه حول الخيام لينع منها السيل . والأحوال : السنين ، جمع حول .

(٦) الخاضبات : التى اخضرت سيقانها لصبغ النبات الأخضر فى الربيع . والرثال : أفراس النعام ، جمع رأل . والخيط هنا : القطيع .

(٧) الحسين : الفضة . يشبه الظباء بأباريق الفضة ، وهى من الصور الطريفة النادرة فى الشعر الجاهلى التى تمكس حياة اجتماعية على حفظ غير قليل من الحضارة . وبهذا البيت تنتهى المقدمة الطللية مع لبيد الشاعر بعدها موضوع قصيدته الأسامى ، وهو هذا الخلاف بينه وبين زوجته .

- ٨ تلك عِزْرِي غَضَبِي تَرِيدُ زِيَالِي
٩ إِنْ يَكُنْ طِبُّكَ الْفِرَاقُ فَلَا أَحَدَ
١٠ أَوْ يَكُنْ طِبُّكَ الدَّلَالُ فَلَوْ فِي
١١ ذَاكَ إِذْ أَنْتِ كَلَمَاهَا ، وَإِذَا
١٢ قَدَعِي مَطَّ حَاجِبِيكَ ، وَعَيْشِي
١٣ زَعَمْتُ أَنِّي كَثُرْتُ ، وَأَنْتِ
١٤ وَصَحَّا بَاطِلِي ، وَأَصْبَحْتُ شَيْخَا
أَلْبَيْنِ تَرِيدُ أَمْ لِدِلَالٍ ؟
يَقُلْ أَنْ تَعْطِنِي صَدُورُ الْجَمَالِ
سَالِفِ الدَّهْرِ وَلِلْيَالِي الْخَوَالِي
تِيكَ نَشْوَانُ مُرْخِيَا أَذْيَالِي
مَعْنَا بِالرَّجَاءِ وَالتَّامَالِ
قَلَّ مَالِي ، وَضَنَّ عَنِّي الْمَوَالِي
لَا يُوَاتِي أَمْثَالَهَا أَمْثَالِي

- (٨) العرس : الزيجة . والزِيَال : الفراق . يبدأ الشاعر موضوع قصيدته الأسامي ، وهو هذا الخلاف بينه وبين زوجته . وقد حرص على التصريح في أول أبياته كأنه يبدأ قصيدة جديدة ، مما جعل بعض العلماء يذهبون إلى أن هذا البيت هو أول القصيدة (السيوطي في شرح شواهد المغني) .
- (٩) الطلَب هنا : الرغبة والإرادة . وقوله « أَنْ تَعْطِنِي صَدُورُ الْجَمَالِ » يريد به إن تميل بصدور إليك بعيدا عن بيت الزوجية ، وتنجس بها إلى حيث تريدن . يقول لما إن كانت رغبته هي الفراق لأنك سئمت الحياة معي فأنا لا أبالي بك ولا أهم بفراقك .
- (١٠) الخيال الخوالي : الخيال التي مضت . وفعل الشرط وجوابه في جملة « لو » هنا محذوفان يدل عليهما سياق الأبيات ، وتقديرهما لو كان ذلك في سالف الدهر والليالي الخوالي لكان مقبولا منك . والبيت من شواهد النعاة على حذف فعل الشرط وجوابه .
- (١١) الملهة : البقرة الوحشية ، ويتردد كثيرا في الشعر الجاهلي تشبيه المرأة الجميلة بها في بياضها وصفاء عينيها . والنشوان : السكران ، ولكن ليس من الضروري أن يكون المراد هنا نشوة الخمر ، وإنما المراد — في ظني — نشوة الشباب وخيلاؤه وزهوه ، ويؤكد ذلك قوله « مرخيا أذيالي » فهو كناية عن الخيلاء والزهو والإعجاب بالنفس .
- (١٢) مط الحاجين : كناية عن التجنب والإنكار . وهي من الصور النادرة البالغة العطفة والحسوية في الشعر القديم . والتأمال : الأمل .
- (١٣) الموالى هنا : الأصدقاء أو الأقارب ، وهذه الكلمة من الكلمات التي تحتل دلالات كثيرة مختلفة .
- (١٤) لا يواتي : أي لا يوافق ولا يلائم .

الجزء الأول

١٦٩

- ١٥ أن رَأَيْتِي تَغَيَّرَ اللَّوْنُ مِنِّي وَعَلَا الشَّيْبُ مَقَرَّقِي وَقَدَّالِي
١٦ فَارْفُضِي الْعَاذِلِينَ ، وَاقْنِي حَيَاءً لَا يَكُونُوا عَلَيْكَ حَظٌّ مِثَالِي
١٧ وَحِظُّ مِمَّا نَعِيشُ ، فَلَا تَذْهَبُ بِكَ التُّرَاهُتُ فِي الْأَهْوَالِ
- * * *
- ١٨ دَرَّ دَرَّ الشَّبَابُ وَالشَّعِيرَ الْأَسَدُ وَدِ الرَّائِكَاتِ تَحْتَ الرُّحَالِ
١٩ وَالْعَنَاجِيحُ كَالْقِدَاحِ مِنَ الشُّوْطِ حِطَّ يَتَحَلَّنُ شِكَّةُ الْأَبْطَالِ
٢٠ وَلَقَدْ أَذْعَرَ السُّرُوبَ بِطَرْفِ مِثْلِ شَاةِ الْإِرَانِ غَيْرِ مُدَالِ
٢١ غَيْرِ أَقْنَى وَلَا أَصَكَّ ، وَلَكِنْ مِرْجَمٌ ذُو كَرِيمَةٍ وَنَقَالِ

(١٥) المفروق : وسط الرأس حيث يفرق الشعر . والقسّال : الشعر في مؤنر الرأس ما بين الأذنين .

(١٦) اقْنِي حَيَاءً : أى توارى نجلا . « لَا يَكُونُوا عَلَيْكَ حَظٌّ مِثَالِي » أى لَا يَكُونُوا عَلَيْكَ سَوْءَ حَظٍّ لَشَخْصٍ مِثْلِي .

(١٧) « وَحِظُّ مِمَّا نَعِيشُ » أى أَقْنِي بِمَا نَسَمُ لَنَا مِنْ حَظٍّ فِي حَيَاتِنَا . والترهات : الأباطيل ، وأصل معناها الطرق الصغيرة الفرعية المنشعبة من الطريق الأساسى . يقول لها : لَا تَذْهَبُ بِكَ أَرْهَامُكَ الْبَاطِلَةُ فِي طَرِيقٍ مَخْفُوفٍ بِالْأَخْطَارِ وَالْأَهْوَالِ ، يَرِيدُ طَرِيقَ الْجَشْعِ وَالطَّمَعِ وَهَدْمِ الْقَنَاعَةِ بِحَظِّهَا فِي الْحَيَاةِ .

(١٨) مِنْ هُنَا يَبْدَأُ حَدِيثُ الشَّاعِرِ مِنْ ذِكْرِ يَاتِ شَبَابِهِ يَذْكُرُ بِهَا زَوْجَتَهُ الْمُتَمَرِّدَةَ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ وَفَقْرَهُ لَهَا تَرْجِعُ عَنْ الْإِنْدِفَاعِ فِي طَرِيقِ الْأَخْطَارِ وَالْأَهْوَالِ . دَرَّ دَرَّ الشَّبَابُ : دَعَاءٌ لِلشَّبَابِ بِالْخَيْرِ ، وَالذَّرُّ فِي أَصْلِهِ مَعْنَاهُ اللَّوْنُ اللَّيْلِي . وَالرَّائِكَاتُ : الْمُسْرَعَاتُ ، صَفَةُ لِلْإِبِلِ ، مِنْ وَتَكَتْ فِي سِيرِهَا إِذَا أَمْرَهَتْ .

(١٩) العناجيج : الخيل الطوال الأعناق . والقداح : السهام ، يشبه الخيل بها في ضروها . والشوْط : شجر من أشجار البادية تتخذ منه القسي والمهام . والشكَّة : السلاح وعدة الحرب .

(٢٠) المروب : جماع حرب ، يريد أرباب الحيوان الوحشى الذى يخرج لصيده . والطرف : الجواد الأصيل الذى يجمع الأصالة من كلا طرفيها : الأب والأم . والشاة هنا : الثور الوحشى . والإران : موضع في الجزيرة العربية مشهور ببقرة الوحشى . والمذال : المهان ، من أذاله بمعنى أهانه . وغير مَذَالٍ نعت لطرف ، يصف جواده بأنه يكرمه ولا يهينه .

(٢١) الأَقْنَى : المقوس الأنف ، وهو من عيوب الخيل . والأصَكُّ : المضطرب الركبتين والعرقوبين ، وهو أيضا من عيوب الخيل . والمرجم : القوى الذى يربصم الأرض بحوافره . وذو كَرِيمَةٍ : يريد أنه صبور شديد التحمل . وذو نَقَالٍ : مريع في قتل قوائمه في أثناء السير والعدو .

- ٢٢ تَسْبِقُ الْأَلْفَ بِالْمَدَجِّ ذِي الْقَوِّ نَسَ حَتَّى يَثُوبَ كَالْمُنْثَالِ
٢٣ فَهُوَ كَالْمُنْتَرَجِ الْمَرِيضِ مِنَ الشَّوِّ حِطَّ مَالَتْ بِهِ يَمِينُ الْمُغَالِي
٢٤ يَغْفِرُ الظُّبَى وَالظَّلِيمَ ، وَيُتْلَوِي بَلْبُوبُ الْمِعْزَابَةِ الْمِعْزَالِ
٢٥ وَلَقَدْ أَدْخُلَ الْجَبَاءَ عَلَى مَهْ. مَضُومَةُ الْكَشْحِ طَفَلَةٌ كَالْفَزَالِ
٢٦ فَتَعَاطَيْتُ جِيدَهَا ثُمَّ مَالَتْ مَيْلَانَ الْكَثِيبِ بَيْنَ الرَّمَالِ
٢٧ ثُمَّ قَالَتْ : فِدَى لِنَفْسِكَ نَفْسِي وَفِدَاءٌ لِمَالِ أَهْلِكَ مَالِي
٢٨ وَلَقَدْ أَقْدَمْتُ الْخَمِيسَ عَلَى الْجَرَى دَاءِ ذَاتِ الْحِرَاءِ وَالتَّنْقَالِ
٢٩ فَتَقَيَّنِي بَنَحْرَهَا ، وَأَقِيهَا بِقَضْيَبٍ مِنَ الْقَنَازِيرِ بَالِي

(٢٢) المدجج : المسلح ، صفة للفارس . والقنوس : الخوذة يضمها الفارس على رأسه في أثناء القتال . حتى يثوب كالمنثال : أى في كامل حسنه لم تغره شدة القتال . يصف جواده في أثناء القتال . وهو يتدفع بفارسه المدجج بسلاحه فيسبق خيل العدو الكثيرة العدد ، ثم يخرج من المعركة كما دخلها لم تغره شدتها .

(٢٣) المنزع : السهم ، وكذلك المريش ، يريد السهم الذي أعده للانطلاق . والمغالي : الذى يرفع يديه بالسهم إلى أعصاهما ليهدف به . وفي رواية أخرى « شمال المغالي » ، والمعنى على الرايتين واحد ، وهو وصف سرعة الجواد وشدة اندفاعه .

(٢٤) يغفر الظبي والظليم : أى يلقي بهما في التراب خوفا منه وذمرا وفزارا أمامه . واللبون : الناقة أو الشاة ذات اللبن . والمعزابة والمعزال بمعنى واحد وهو الراعى الذى يتمدد بإبله أو غنمه إلى مكان منعزل لينجو بها من خطر يهددها . ويلوى بها : أى ينفرها . والبيت استمرار في وصف جواده . بالسرعة والاندفاع ، ووصف نفسه بالفروسية .

(٢٥) المعضومة الكشح : الضامرة الخصر الرشيقة . والطفلة : الناعمة اللينة . ينقل هنا إلى الحديث عن مغامراته الغرامية التى استمتع بها في شبابه .

(٢٦) تعاطيت : تناولت . يصف طوره معها على طريقة معاشره امرئ القيس .

(٢٧) البيت استمرار في تقليد أسلوب امرئ القيس في حكاية مغامراته الغرامية .

(٢٨) أقدم : أقدم رأ تصدر . والخميس : الخيش . والجرداء : القصيرة الشعر ، صفة للفارس . والجراء : الجرى . والتنقل : سرعة نقل القوائم عند السير والعدو .

(٢٩) القنا : الرماح : جمع قناة . وغير بالي : يريد أنه لم يبل ابتعاد المهديده ، صفة للقضيب وهو الرمح .

٣٠. ولقد أَقْطَعَ السَّيَّاسَ وَالشَّهْمَ سَبَّ عَلَى الصَّيْعِرِيَّةِ الشَّمْلَالِ
٣١. عَنَتْرَيْسٍ كَأَنَّهَا ذُو وُشُومٍ أَخْرَجَتْهُ بِالْحَوِّ إِحْدَى اللَّيَالِي
٣٢. ثُمَّ أَبْرَى نَحَاضَهَا فَتَرَاهَا ضَامِرًا بَعْدَ بُدْنِهَا كَالْهَلَالِ
٣٣. ذَاكَ عَيْشُ رَضِيئَتِهِ وَتَوَلَّى كُلُّ عَيْشٍ مَصِيرَهُ لَزْوَالِ
٣٤. صَبْرُ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ مُلَمٍّ إِنِّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةٌ مُحْتَمَلِ
٣٥. لَا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ قَدْ تُكَ شَفُّ غَمَائِهَا بِغَيْرِ احْتِمَالِ
٣٦. رُبَّمَا تَجْزَعُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمِّ رِيْلُهُ فُرْجَةٌ تَكَلُّ الْعِقَالِ

(٣٠) السَّيَّاسُ : جمع سباسب وهي الصحراء المستوية البعيدة . والشَّهْمُ : جمع شهباء وهي الأرض البيضاء الجرداء لا نبات فيها ولا ماء . والصَّيْعِرِيَّةُ : الناقة النجيبة الموسومة في عنقها . والشَّمْلَالُ : السريعة (٣١) العنتريس : الناقة الصلبة . والوشوم : نقط بيض وسود ، وذو الوشوم هو الثور الوحشي . وأخرجته : أبلغته إلى الحرج وهو المكان الكثير الشجر . والجو : الأرض الغضاء . ويريد بإحدى الليالي إحدى الليالي الباردة . وفي وصف الصيد في الشعر القديم يترأى الثور الوحشي دائماً في جو بارد مطر وقد التجأ إلى شجرة يحمى بها .

(٣٢) النعاض : اللحم . وأبرى نحاضها أى أهزله وأنضيه لكثرة السفر وطول الرحلة . والبدن : السمن . وتتردد صورة الناقة في الشعر القديم بعد الرحلة وقد أهزلتها الرحلة كأنما أفنت لحمها وشحمها ولم تبق منها إلا الجلد والعظم . وتشبيهها بالهلال في ضهورها ونحوها ، وفي القرآن الكريم تشبيه القمر في الليالي الأخيرة من الشهر بالعرجون القديم في نحوه وانحنائه « والقمر قد رآه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » (يس ٢٩) .

(٣٣) في رواية أخرى « لهاب » بدلا من « لزوال » ، والهاب : الهلاك ، ومنه « هبك أمه » و « لأم المخطئ - الهبل » .

(٣٤) الملم : ما يزل بالإنسان من حوادث ونوازل . ومن هنا تبدأ الحكم التي يحتم بها الشاعر تصديقه .

(٣٥) الغناء : الأمر الشديد . بغير احتيال : أى بدون أن يحتمل لها صاحبها أو يقصد إلى حلها

(٣٦) له فرجة : أى له منفذ ومخرج من ضيقه وشدة . والعقال : الحبل يعقد لنعقل فيه الدابة وتشد به .

* * *

يوسف خليف

عَلَقَمَةُ بَن عَبَدَةَ

هو علقمة بن عبدة — بفتح الباء — بن النعمان بن ناشرة بن قيس بن ربيعة الجذوع بن مالك بن زيد مناة بن تميم . شاعر جاهلي مجيد ، يعد من صدور الجاهلية وفحولها . قال ابن سلام : له ثلاث روائع جياذ لا يفوقهن شعر . ويقصد القصيدة المختارة ، والقصيدة التي أولها :

ذَهَبَتْ مِنَ الْمَجْرَانِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكْ حَقًّا كُلُّ هَذَا التَّجَنُّبِ
والثالثة أولها :

طَعَابِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبُ بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَيْشِبُ

ولذلك أطلق عليه « علقمة الفحل » أو لأنه — كما تقول الروايات — فازع امرأ القيس الشعر — وكان صديقا له — ورضيا حكم أم جندب امرأة امرئ القيس ، فحكمت لعلقمة ، فغضب منها امرؤ القيس وطلقها تخلف عليها علقمة .

وقد تحدث في القصيدة المختارة عن ناي الحبيبة ، وبكى لفراقها ، ووصف الظعن ، ونعت صاحبه ، ثم وصف دمه وشبهه بما يفيض من الدلو العظيمة ، ونعت الناقة في استطراد جيد ، ثم عاد إلى وصف الحبيبة ، وتمنى أن تلحقه بها ناقة جعل لها وصفا مسهباً . ويفخر بحضوره مجلس الشراب ويصف الخمر والإبريق ، ويفخر بغليته الأقوان ، واشترأك في الميسر ، واختراقه المغاوز ، وصبره على ردىء الطعام والشراب ، وبسيره في الهواجر ، وبأنه يقود فرسه أمام الحى ، ثم يصف هذه الفرس والإبل التي تسقى الجياذ من ألبانها .

المِجْمِيةُ الْمُخْتَارَةُ

- | | | |
|---|--------------------------------|-------------------------------|
| ١ | هل ما علمت وما استودعت مكتوم | أم حبلها إذا نأتك اليوم مصروم |
| ٢ | أم هل كبير بكى لم يقض عبرته | إثر الأحبة يوم البين مشكوم |
| ٣ | لم أذر بالبين حتى أزمعوا ظعننا | كل الجمال قبيل الصبح مزوم |
| ٤ | رد الإماء جمال الحى فاحتملوا | فكلها بالتريديات معكوم |
| ٥ | عقلا ورقا تطل الطير تحطفه | كانه من دم الأجواف مدموم |
| ٦ | يحميان أترجة نضخ العير بها | كان تطايبها في الأنف مشموم |
| ٧ | كان فارة مسك في مقارقتها | للإسبط المتعاطى وهو مزوم |

(١) حبلها : وصلها . مصروم : مقطوع .

(٢) لم يقض عبرته : لم يشف من البكا . مشكوم : مثاب ، مكافأ .

(٣) أزمعوا : عزموا . الظعن : الارتحال . مزوم : شد بالزمام .

(٤) رددن الجمال من الرعى والارتحال ، ونخص الجمال دون النوق ، لأن الفطمان يحملن على الذكور لأنها أشد وأذل نفسا . التريديات : ثياب منسوبة إلى تريد بن حيدان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة . المحكوم ، المشلود بثوب .

(٥) العقل والرقم : ضربان من الوشى فيهما حرة جللوا بهما هواديهم ، فالطير تضربها تحسبها من حررتها لها . مدموم : مطلى .

(٦) الأترجة : فاكهة طيبة الرائحة ، شبه بها المرأة . النضخ : ما كان رشا . العير : أخلاط الطيب تجمع بالزهفران . التطايب : فعمال من الطيب . المشموم : المسك ، أى كأن ريحها لا يفارق الأنف فهو أبدا مشموم .

(٧) فارة المسك : دابة صغيرة أشبه بالخشف يؤخذ منها المسك . الإسبط : الذى يسبط يده إليها وكذلك معنى لفظ « المتعاطى » .

- ٨ فالعين منى كان غرب تحط به .
 ٩ قد عريت زمتنا حتى استطف لها
 ١٠ قد أدبر العر عنها وهى شاملها
 ١١ تسقى مذائب قد زالت عصيفتها
 ١٢ من ذكري سلمى وما ذكري الأوان بها
 ١٣ صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة
 ١٤ هل تاحقنى بأخرى الحى إذ شحطوا
 دهماء حاركها بالقتب محزوم
 كتر كفافه كير القين مذوم
 من ناصب القطران الصريف تدسيم
 حدورها من أنى الماء مطموم
 إلا السفاء ، وظن الغيب ترجيم
 كأنها رشأ فى البيت ملزوم
 جلذية كأتان الضحل ملوكوم

- (٨) الغرب : جلد ثور يخلط دلو . تحط به : تعتمد فى جذبها إياه . على أحد شقيا . دهماء : ناقة ، وإنما جعلها دهماء لأن الدهم أقوى الأبل . الحارك : ما تسمى الكتفين . القتب : الخشبة توضع على سنام البعير . يقول : كأن هوى من كثرة دمرعهما لسلانها غرب هذه حاله .
 (٩) عريت : أى من رحلها فلم تتركب فسترة من الزمن فهو أقوى لها . استطف : ارتفع . الكتر : يفتح الكاف وكسرهما : السنام . كير القين : موقد نار الحديد ، الميوم : المجمع .
 (١٠) العر : الحرب . الناصع : الخالص من كل شئ . التدسيم : الأثر . يقول : ذهب عنها الحرب وبقى أثر طلائه يشملها .
 (١١) تسقى : يعنى هذه الناقة . المذائب : مدافع الماء إلى الرياض . العصيفة : ورق الزرع . زوال عصيفتها ، تفرقها وافتتاحها من الرى . حدورها : ما يحدر منها واطمأن . الآتى : السهل . مطموم : ملو .
 (١٢) الأوان : الآن . بها : أراد لها . السفاء : الطيش والخفة فى العقل . يقول : ذكرى إياها الآن وقد فاوتت سفه منى ، وظنى بها أنها تدرم على العهد أمر لا أحقه .
 (١٣) صفر الوشاحين : موضع وشاحها نعيم لا يملأ درعها لضمور بطنها . ملء الدرع : تملأ قيصها لعظم بحيرتها وأدراكها . الخرعبة : الناحية . الرشأ : الظبي الصغير . ملزوم : مربى فى البيوت وهو أحسن له .
 (١٤) أخرى الحى : الفرقة التى هى آخرهم ، شحطوا : بعدوا . الجلذية : الشديدة القوة الصلبة . الضحل : الماء القليل . أتان الضحل : الصخرة يحرقها الميل فتبقى فى الماء . شبه الناقة بها لصلابتها لأن الصخرة إذا كانت فى الماء أملاست وصلبت . الملكوم : الغليظة .

الجزء الأول

١٧٥

- ١٥ كَانَتْ غَسَلَةً خِطْمِيٍّ يَمِشْقِرُهَا فِي الْخَدِّ مِنْهَا فِي اللَّحْيَيْنِ تَلْغِيمٌ
١٦ يَمْلُهَا تُقَطِّعُ الْمُوَامَةُ عَنْ عُرْضٍ إِذَا تَبَغَّسَ فِي ظِلْمَانِهِ الْبُومُ
١٧ تُلَاحِظُ السُّوْطَ شَرْزَاوَهُ ضَامِرَةً كَمَا تَوَجَّسَ طَاوِي الْكَشْحِ مَوْشُومٌ
١٨ كَانَهَا خَاضِبٌ زُعْرٌ قَوَادِمُهُ أَجْنَى لَهُ بِاللَّوِيِّ شَرَى وَتَنُومٌ
١٩ يَظَلُّ فِي الْحَنْظَلِ الْخُطْبَانُ يَنْقَفُهُ وَمَا اسْتَطَفَّ مِنَ التَّنُومِ تَخْدُومٌ
٢٠ فُوهُ كَشِيقِ الْعَصَا لَا يَأْتِيهِ تَبِينُهُ أَسْكُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ مَصْلُومٌ
٢١ حَتَّى تَذْكُرَ بَيْفَقَاتٍ وَهَيْجَهُ يَوْمٌ وَذَاذٍ عَلَيْهِ الرِّيحُ مَغِيومٌ

- (١٥) الغسلة : ما غسل به الرأس . الخطمي : نبات يغسل به . التلغيم : تفعليل من التلغيم .
وهو زبد تحالطه خضرة مزارعت .
(١٦) الموامة : الفسلة . عن عرض : أى يعرضها ، أى يعتسفها ويسير فيها على غير قصد .
تبغيم : صوت صوتا يخلسه .
(١٧) الشرز : النظر بمؤخر العين من حدثها . الضامرة : التى لا ترعى من شجره . توجس : تسمع .
طاوى الكشح : ضامر الخاضعين . موشوم : فى قوائمه نقط سود . يقول : تقاب آذانها إلى السوط
واثر بحر كما يتوجس هذا الثور .
(١٨) الخاضب : الظليم قد اخرج جلده وساقاه . الظليم : ذكر النعام ، وشبهه الناقة به لنعته فلان
الخليل لا تطالبه . القوادم : ريشات فى مقدم الجناح . أجنى النبات : أدرك أن يجنى . اللوى :
ما انقطع من الرمل . الشرى : شجر الحنظل والظليم يأكله . التنوم : شجر ورقه يشبه ورق الآس ينحت
ورقه فى القيقظ ويرب فى الشتاء .
(١٩) الخطبان : الحنظل فيه خطوط تضرب إلى السواد وهو أشد ما يكون حرارة . ينقفه :
يستخرج حبه . استطاف : ارتفع . مخدوم : مقطوع .
(٢٠) لاياً : بطينا . تبينه : تبينه . أى فوه لاصق ليس بمفتوح ، لاستنبيهه إلا بعد بده .
أسك : أصم ، أرصعير الأذن لاصق بالرأس . المصلوم : المقطوع الأذنين .
(٢١) يقول : هذا الظليم يرى الخطبان والتنوم ، ثم تذكر بيضه وقد هيجه المطر الخفيف فراح إلى
بيضه قبل أن يران الرواح . مغيوم : فيه غيم .

- ٢٢ فلا تَزِيدُهُ في مَشِيهِ تَفِيقُ ولا الزَّيْفُ دُونِ الشَّدِّ مَسْؤُومُ
٢٣ يكاد مَنَسَمُهُ يَحْتَمِلُ مَقْلَتَهُ كَأَنَّهُ حَاذِرٌ لِلنَّخِيسِ مَشْهُومُ
٢٤ وَضَاعَةٌ كَعِصَى الشَّرْعِ جَوْجُوهُ كَأَنَّهُ يَنْتَاهِي الرُّوضُ عُلْجُومُ
٢٥ يَأْوِي إِلَى حِسْكِ زُغَيْرٍ حَوَاصِلُهُ كَأَنَّهُ إِذَا بَرَكْنَ جَرُومُ
٢٦ فُطَافٌ طَوْفِينَ بِالْأَدْحَى يَقْفَرُهُ كَأَنَّهُ حَاذِرٌ لِلنَّخِيسِ مَشْهُومُ
٢٧ حَتَّى تَلَاقِي وَقْرُنَ الشَّمْسِ مَرْتَفَعُ أَدْحَى عَرَسِينَ فِيهِ الْبَيْضُ مَرَكُومُ
٢٨ يُوحِي إِلَيْهَا بِإِنْقَاضِ وَتَفْتَقَةِ كَمَا تَرَاطُنُ فِي أَفْدَانِهَا الرُّومُ
٢٩ مَهْمَلٌ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُوجُوهُ بِلَتْ أَطَافَتْ بِهِ نَحْرَاءُ مَهْجُومُ

(٢٢) التَّزِيدُ : السَّيْرُ السَّرِيعُ . التَّفِيقُ بِكَسْرِ الْفَاءِ : السَّرِيعُ الذَّهَابُ . الزَّيْفُ : دُونَ الشَّدِّ قَلِيلًا . مَسْؤُومٌ : مِنَ السَّامِ ، يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَسَامُ الزَّيْفُ .

(٢٣) مَنَسَمُهُ : ظَهْرُهُ . يَقُولُ : يَنْجُ رِجْلِيهِ زَجًا شَدِيدًا وَيَخْفِضُ عُنُقَهُ فَيَكَادُ مَنَسَمُهُ يَشْكُ عَيْنَهُ . الْمَشْهُومُ : الْفَرْخُ الْمَرُوحُ . وَالشُّطْرَانِ الثَّانِي هُوَ نَفْسُهُ الْمَكْرَرُ فِي الْبَيْتِ ٢٦ حَسَبَ رَوَايَةِ الْمُتَفَضِّلِيَّاتِ .

(٢٤) الْوَضْعُ : عُدُو مَرِيعٍ مِنْ عُدُو الْأَبْلِ . وَالتَّاءُ فِي « فِي وَضَاعَةٍ » لِلْبَاقَةِ كَعَلَابَةٍ وَنَسَابَةٍ . وَصَفَ بِهِ الظَّالِمَ ، الْجَوْجُوهُ : الصَّدْرُ . الشَّرْعُ : الْأَوْتَارُ ، وَاحِدُهَا شَرْعَةٌ . وَعَصِيهَا : الْبُرْطُ أَيْ عُودُ الْغَنَاءِ . شَبَّهِ صَدْرَ الظَّالِمِ بِالْبُرْطِ فِي تَقْوَمِهِ . النَّتَاهِي : جَمْعُ تَهْيِيبَةٍ . وَهِيَ الْأَمَاكِنُ الْمُطْلَعَةُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا الْمَاءُ . الْعَاجُومُ : الْبَعِيرُ الطَّوِيلُ الْمَطْلَى بِالْقَطْرَانِ .

(٢٥) الْحِسْكَ : الْفَرَاخُ . جَرُومٌ : جَمْعُ جَرَاوِمَةٍ وَهِيَ أَصُولُ الشَّجَرِ .

(٢٦) الْأَدْحَى : مَبِيبُ النِّعَامِ . يَقْفَرُهُ : يَنْظُرُ إِلَيْهِ هَلْ يَرَى بِهِ أَثَرًا .

(٢٧) تَلَاقِي : تَدَارِكُ . عَرَسِينَ : أَيْ هُوَ وَتَمَامَتُهُ .

(٢٨) يُوحِي إِلَيْهَا : يَصُورُهَا فَتَفْهَمُ عَنْهُ . الْإِنْقَاضُ الْتَصْوِيبُ . الْتَفَقَّةٌ : صَوْتُ الظَّالِمِ . الْأَفْدَانُ : الْقُصُورُ جَمْعُ فَدْنٍ .

(٢٩) الصَّلُ : الْخَفِيفُ الرَّأْسُ وَالْعُنُقُ . يَقُولُ : يَرْفَعُ جَنَاحِيهِ فِي عُدُوهِ وَيَحِطُّهُمَا فَكَأَنَّهُ بِلَتْ شَعْرَ أَرْصُوفٍ تَرْقُمُهُ امْرَأَةٌ نَحْرَاءُ غَيْرُ صَنَاعٍ فَتَرْقُمُهُ يَسْقُطُ . مَهْجُومٌ : سَاقَطٌ مَهْدُومٌ ، صِفَةُ الْبَيْتِ .

٣٠. تحفه هقلة سطاء خاضعة
٣١. بل كل قوم وإن عزوا وإن كثروا
٣٢. والحمد لا يشتري إلا له ممن
٣٣. والجود نافية للآل مهلكة
٣٤. والمال صوف قرار يلعبون به
٣٥. ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه
٣٦. والجهل ذو عرض لا يسترد له
٣٧. ومن تعرض للغربان يزجرها
٣٨. وكل حصن وإن طالت سلامته
٣٩. قد أشهد الشرب فيهم من هزيم
- تجيبه زيمار فيه ترسيم
عرفهم إنا في الشر مرجوم
ما يضمن به الأقوام معلوم
والبخل باقي لأهليه ومذموم
على نقادته وآف ومجلوم
أنى توجه ، والمحروم محروم
والحلم آونة في الناس معذوم
على سلامته لا بد مشؤوم
على دعائمه لا بد مهذوم
والقوم تصرعهم صهباء خرطوم

- (٣٠) تحفه : تحف الظلم ، الهقلة : التعمية . السطاء : الطويلة العنق . الخاضعة : التي تميل رامها للرمي . الزمار : صوت أنثى النعام ، والمراد صوت الذكر .
- (٣١) عرفهم : رئيسهم . الأثافي : الحجارة التي تنصب عليها القدر ، جعلها مثلا للرمي ، يقول : كل قوم وإن كانت لهم منعة تعييبهم نواب الدهر .
- (٣٤) القرار : غنم صفار الأجسام لطاف الآذان ، الواحدة قرارة . يلعبون به : يتداولونه ويعبثون فيه . على نقادته : على صفار أجسامه . الوافى : التام الكثير . المجلوم : المحزوز . يعنى أنه الناس مختلفون ، منهم الغنى الكثير ومنهم الفقير الذى لا مال عنده ، كالقرار على صفار أجسامه ، منه ما هو رافى الصوف ومنه ما لا صوف عليه .
- (٣٥) يقول : الذى جعل الغنم له طعمة فسيطعمه فى يوم الغنم أينما توجه ، ومن حربه فليس يناله .
- (٣٦) لا يسترد له : لا يراد ولا يطلب ، أى يمرض لك وأنت لا تريده .
- (٣٧) يقول : من يزجر الطير وإن سلم فلا بد أن يصيبه شوم .
- (٣٩) الشرب : جمع شارب . المزهر : العود . رنم : مترنم . الصهباء : ناعم من عصير عنب أبيض . الخرطوم : أول من ينزل منها صافية .

- ٤٠ كَأْسٌ عَزِيزٌ مِنَ الْأَعْنَابِ عَتَقَهَا
لبعض أحيائها حانية حوم
٤١ تشفى الصَّدَاعَ وَلَا يُؤْذِيكَ صَالِبُهَا
ولا يُخَالِطُهَا فِي الرَّأْسِ تَدْوِيمُ
٤٢ عَانِيَةٌ قَرَفَتْ لَمْ تُطْلَعْ سَنَةً
يُجْنِهَا مُدَجِّجٌ بِالطَّيْنِ مَخْتُومُ
٤٣ ظَلَّتْ تَرَقُّقُ فِي النَّاجُودِ يَصْفِقُهَا
وليدُ أَعْجَمَ بِالكَتَّانِ مَقْدُومُ
٤٤ كَأَنَّ إِبْرَيْقَهُمْ خَلَبِي عَلَى شَرْفِ
مُقَدَّمُ بِسَبَا الْكَتَّانِ مَرْثُومُ
٤٥ أَبْيَضُ أَبْرَزَهُ لِلضَّحِّ رَاقِبُهُ
مُقَلَّدُ فُضِبَ الرِّيحَانِ مَقْغُومُ
٤٦ وَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى قِرْنِي يُشِيعُنِي
مَاضٍ أَخُوثِقَةٌ بِالْخَيْرِ مَوْسُومُ
٤٧ وَقَدْ يَسَّرْتُ إِذَا مَا الْجُوعُ كَلَّفَهُ
مُعَقَّبٌ مِنْ قِسْدَاجِ النَّبْعِ مَقْرُومُ

(٤٠) العزير: الملك. لبعض أحيائها: يقول أَعْدَاها لَفْصَحْ أَوْ عِيد. حانية: قوم حمارون نسبوا إلى الحانة، الواحد حاني. الحوم بضم الحاء: الكثير.

(٤١) الصالب: وجع في الرأس يدور منه. التدويم: الدوار.

(٤٢) عانية: منسوبة إلى عانة، قرية من قرى الجزيرة. القرفف: التي تأخذ شاربها منها رعدة. لم تطلع سنة: مكثت سنة في دنيا لم ينظر إليها. يجنبا: يسترها. مدجج: مدجج بالطين. مخنوم: معمل عليه.

(٤٣) ترقوق: تذهب وتجي. الناجود الباطية العظيمة أو الراروق. يصفقها: يمزجها. وليد أعجم: بريد خادم سيد أعجمي. مقدوم: من القدام، وهو الخرقعة يشدها الغلام على فيه إذا أراد أن يسبق القوم، وهذا من زى القرم وذلك لكي لا يخرج من فيه شيء فيصل إلى القدرح.

(٤٤) شبه انتصاب الإبريق وبواضه بقلبي على مكان مرتفع. مقدم: وصف للإبريق. بسبا الكتان: أراد «بسباب الكتان» غذف باقي الكتلة. والسباب: جمع سبية وهي الشقة. المرنوم: الذي قد رثم أنه أي كسر.

(٤٥) أبرزه: أنبرجه لتصبه الريح. الضح: الشمس. راقبه: حافظه وحارسه. مقغوم: كأنه مسدود بكثرة ريح العليب. يقال فغمتني ريح طيبة إذا دخلت في أنفك فسدت خياشيمك.

(٤٦) يشيعني: يجعلني جريئاً. الماضي: الفاعل، أراد سيفه.

(٤٧) معقب: يعني قد حاق قد شد بالعقب علامة له. والمعقب العصب. النبع: شجر تتخذ منه القسي والقداح. مقروم: معروض ليكون علامة له. يقول: قد أخذت في الميسر في الوقت الذي يكلف دفع الجوع فيه القداح، ليس معول على لبن أو طعام غير الضرب بها.

- ٤٨ لو ييسرون ينجل قد يسرت بها
٤٩ وقد أصاحب فينا طعامهم
٥٠ وقد علوت قنود الرجل يسفني
٥١ حام كان أوار النار شامله
٥٢ وقد أقود أمام الحى سلهبة
٥٣ لافى شظاها ولا أرساغها عتب
٥٤ سلاءة كمصا النهدي قل لها
- وكل ما يسر الأقوام مغروم
خضر المزداد ولحم فيه تنشيم
يوم تجى به الجوزاء مسموم
دون الثياب ورأس المرء معموم
يهدى بها نسب فى الحى معلوم
ولا السنايك أغناهن تقليم
ذو فيئة من نوى قران معجوم

- (٤٨) يقول : إنما يكون الميسر بالإبل وإنما يأخذ فى الميسر كبارهم ، فلصاروا إلى أن يسروا بالخليل ليسرت بها . مغروم : إذا خرج عليه شيء فرمه .
- (٤٩) يقول : طال سفرهم فاخضر من أدهم وصار عليه شبهه بالطعوب . التنشيم : بده تغير اللحم ، وأراد بالطعام الطعام والشراب فاكثفى بأحدهما .
- (٥٠) قنود الرجل : عيدانه . يسفني : يصيبني حرق . الجوزاء : من بروج السماء . مسموم : هبت فيه ريح السموم .
- (٥١) أوار النار : لها . دون الثياب : أى يصل الحر من شدته دون الثياب والعمامة ، أى يتجاوز ذلك إلى البدن .
- (٥٢) السلهبة : الطويلة من الخيل ، يهدى بها : يقدمها . أى يقودها نسب لا ينقطع لأنها ذات عرق كريم .
- (٥٣) الشظا : عظم لاصق بالركبة . العتب : العيب . السنايك : مقادير الخوافر . يقول : هى وافية السنيك لم تأكله الأرض .
- (٥٤) السلاءة : شوكة النخل . شبه فرسه بها لإرهاق صدرها وتمايم بجرحها . النهدي : أراد شيخا من نهد قد كبر وطال عمره واملاست عصاه . غل : أدخل . ذرفية : ذورجوح . يريد أن النوى علقته الخليل ثم بعثه فهو أصاب . قران : قرية باليمامة لبني حنيفة كثيرة النخل نوى تمرها صلب . معجوم : معضوض ، يريد أنه أدخل جوف فرسه هذا النوى حتى اشتد لهما ، وأنها خلقت لها فى بطن حوافرها نسور صلاب كأنها النوى ذر الفينة .

٥٥ يَتَّبِعُ جُونًا إِذَا مَا هِيجَتْ زَيْجَلَتْ كَانَ دُقًا عَلَى الْعِلْيَاءِ مَهْزُومٌ
٥٦ إِذَا تَرَعَّمْ مِنْ حَافَاتِهَا رُبْعٌ حَنَّتْ شَغَامِيمُ فِي حَافَاتِهَا كُومٌ
٥٧ يَهْدِي بِهَا أَكْلُفُ الْخَلْدِينَ مَخْتَبِرٌ مِنَ الْحَيَّاتِ كَثِيرُ اللَّحْمِ عَيْشُومٌ

* * *

(٥٥) الجون : الإبل السود . أى تتبع هذه الفرس الإبل لتسقى من ألبانها . الزجل : ارتفاع الصوت . مهزوم : مشقوق فهو أيج للصوت . يعنى إذا هيجت الإبل للورد سمعت لها صوتا عاليا لكثرتها كأنه صوت دف مشقوق على مكان مرتفع .

(٥٦) ترعّم : حن حنينا خفيا ، أى ترعّم لأمه لترضعه . حافاتا : نواحيها . الربع : ما نتج في الربيع . الشغاميم : جمع شغوم وهى الناقة الطويلة . كوم : عظام الأسنة .

(٥٧) يهدى بها : يتقدمها . أكلف الخلدین : يعنى خلها . والكلفة : حمرة فيها سواد . المختبر بكسر الهمزة : المحزب ، وفتحها : المشهور بالجاجة . العيشوم : الضخم .

* * *

سيد حنفي

السَّمَوِيُّ بن عَادِيَاء

مَوَاطِنُ الْفَخْرِ

السَّمَوِيُّ بن عُرَيْض بن عَادِيَاء شاعر جاهلي مجيد من بني هَذَل وهم ليسوا من بني قُرَيْظَةَ ولا النَّضِير ، وهذا الاسم عبراني أصله شمويل فأعربته العرب وهو الذي يعرف الآن باسم صمويل أو صموئيل . ويضرب المثل بالسَّمَوِيُّ في الوفاء عند العرب ، فيقال (أوفى من السَّمَوِيُّ) ويرجع سببها إلى أن أمراً القيس أودعه ماله وأدراعه في سفره إلى قيصر ، بخفاء الحارث بن ظالم المصري وأسرا ابنه وكان خارج الحصن الذي يمتلكه ويشتهر به واسمه الأبلق الفرد ، وكان على رابية مشرفاً على تيماء ، وهي بلد بين الشام والنجاز ، فخيره بين قتل ابنه وخيانة أمانته بتسليمه أموال امرئ القيس وأدراعه ، فاختر الوفاء وأسلم ابنه للقتل . وفي ذلك يقول الأستاذ محمود محمد شاكر : خالف السَّمَوِيُّ خدر أهل دينه ، ووفى بعربيته . وهو في هذه الأبيات التي اخترناها له يفخر بالقيم العربية الأصيلة فيقول إن الإنسان يعظم بابتعاده عن اللؤم ، واللؤم اسم جامع لصفات الخسة ودناءة النفس . وكذلك يشرف المرء ويكتسب حمد الناس حين يستخدم علمه ويكظم غيظه ويصبر على المشقات ويعذب النفس في سبيل الحق والمجد . والأعجاذ لا تقاس بعدد أفراد كل قبيلة ، بل بعدد من فيها من الكرام وهم قلة ، فليس من سبيل إذن لتعير الشاعر بقلة عددهم ، فهم رجال يتسابقون إلى المحامد والمفاخر شبانهم وكهولهم ، وكيف يكون هؤلاء قليل العدد وهم قادرون على

حماية من يجبرونه وإبقائه عزيزا مكرما ، بينما تجد قبائل أخرى كثيرة العدد غير قادرة على حماية جيرانها فيلحق بهم الذل والعار .

ويفخر الشاعر بمجد قومه الراشح رسوخ الجبل المنيع الشاخ الذي لا تستطيع الأبصار أن تدركه لسموqe وارتفاعه كأنه النجم في السماء . ومن مفخر قومه أنهم لا يرون في قتلهم في أرض المعركة عارا يلحق بهم كما يظن أعداؤهم من قبلي عامر وسلول ، بل يجدون فيه سببا للفخر حتى إنهم يتنونه ، فتقصر أعمارهم بسبب حبهم للوت في المعارك ، بينما تطول أعمار أعدائهم لعدم استيصالهم وجبنهم وزارهم وكرهم للوت . ولا تجد بطلا من أبطالهم يموت موتا هينا على فراشه ، لأن موت الأبطال يكون في ساحة الحرب والنضال ، وهم في الوقت ذاته لا يسكتون على نأرهم ، فلا يذهب دم قتلهم هدرا وهم يختارون لأنفسهم أشرف الموت وهو القتل بالسيف في أثناء الصراع والمجالد في الحرب وليس القتل بالعصى والحجارة شأن العبيد ، أو شأن الخبثاء الذين ينالهم أعداؤهم من بعيد لنكوصهم من أرض المعركة .

ويفخر الشاعر بطيب أصولهم من حيث الآباء والأمهات ، فهم من سلالة عريقة شريفة لم تختلط بدنس في النسب ، بل هي صافية من كل شائبة تنزل بقدرهم ، صفاء ماء السحاب ، فمن أين يأتيهم إذن اللؤم بما فيه من جبن وبخل وضعف ، وهي صفات أبعد ما تكون من العربي الأصيل الشريف ؟

وقد بلغ من قوتهم واعتدادهم بأنفسهم ومعرفة الناس قدرهم أنهم أصبحوا سادة رؤساء يغيرون ما يشارون ويثبتون ما يشاءون ، لا معقب على فعلهم ، ولا راد لقولهم ، وهم سلالة كريمة شريفة بعضها من بعض ، فإذا قضى بطل منهم نجيبة مقاتلا كدأبهم خلفه بطل آخر يصدق فعله قوله فلا يتلون ولا يتغير .

وهم قوم كرماء يوقدون النار ليقبل عليهم الضيوف فينالوا من برهم وكرمهم ما يلهج ألسنتهم بالشكر ، ولم يحدث قط أن عابهم ضيف لأنهم حريصون على القَرَى يقدمون لضيوفهم كل ما يرضيهم من طعام وماوى .

ويعود الشاعر للفخر بحروب قومه واستبسالهم في القتال حتى صارت وقائعهم معالم بارزة معروفة مأثورة تشهد على شجاعتهم وقوتهم واقتدارهم على أعدائهم . وقد ظهرت آثار المعارك المتصلة في سيوفهم إذ تلمست من كثرة ما قارعوا بها الأبطال في حروبهم . وهى قد عودت إذا سُلّت ألا تغمد حتى تؤدى مهمتها وتلتصر على أعدائها . وهذه المفاخر جميعا لا ينكرها غير الجاهل الذى فى قلبه مرض . وبعان الشاعر فى ختام أبياته أن قومه هم السادة الذين يلجأ إليهم فى المهمات ويستشارون فى الملهمات .

* * *

- | | | |
|---|---|-------------------------------|
| ١ | إذا المرء لم يَدْنَسْ من اللُّؤْمِ عَرَضُهُ | فكل رداء يرتديه جميل |
| ٢ | وإن هو لم يتجمل على النفس صَبِيحَتُهَا | فليس إلى حُسْنِ الثَّناء سبيل |
| ٣ | تَعَيَّرْنَا أَنَا قَلِيلٌ حديدنا | فقلت لها إن الكرام قليل |
| ٤ | وما قل من كانت بقاياها مثَلنا | شبابٌ تسامى للعلل وكُهوْل |
| ٥ | وما ضَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وجارنا | عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل |

(١) العرض : كل ما يدافع عنه الإنسان ، واللؤم كلمة جامعة لخصال السوء .

(٢) الضيم : الظلم والحرمان ، والمقصود إهانة النفس طلبا للحق واكتسابا للجد .

(٣) العديده : العدد ، وصير : عد مارا .

(٤) شباب مصدر فى الأصل وصف به ، تسامى : أصلها تسامى فحذف احدى النامىين التخفيف والكهول : جمع كهول وهو الذى وسطه الشيب .

(٥) ما ضَرْنَا : يجوز أن يكون ما حرف نفى والمعنى لم يضرنا ، ويجوز أن تكون اسماء مستفهما به على طريق التقرير ، والمعنى أى شئ يضرنا ؟

- ٦ لنا جبلٌ يحتله من يُجيرهُ
منيعٌ يرُدُّ الطرفَ وهو كليلٌ
٧ رسا أصلهُ تحت الثرى وسما به
إلى النّجم فرعٌ لا يُنال طویلٌ
٨ وإنا لقومٌ مانرى القتل سُبّةً
إذا ما رأته عامرٌ وسلولٌ
٩ يُقربُ حبُّ الموتِ آجالنا لنا
وتكرهُه آجالهم فتطولُ
١٠ وما مات منا سيّدٌ حتفَ أنفِهِ
ولا طُلَّ منا حيث كان قتيلٌ
١١ تسيل على حدّ الظُّباتِ نفوسُنا
وليس على غير الظُّباتِ تسيلُ
١٢ صفونا فلم نكدر وأخلص سرنا
إنّا أطابت حملنا وفُؤلُ
١٣ علونا إلى خير الظُّهور وحطنا
إوقيت إلى خير البُطونِ زولُ
١٤ فنحن كجاء المزن مافي نهباينا
كهامٌ ولا فينا يعدُّ بخيلُ
١٥ وننكرُ إن شئنا على الناس قَوْلُهم
ولا ينكرون القَوْلَ حين نقولُ
١٦ إذا سيّدٌ منا خلا قام سيّدٌ
قؤولٌ لما قال الكرامُ فعولُ

(٦) جبل : عز ومجد ، يحتله : يدخل فيه ، الطرف : النظر ، كليل : عاجز ضعيف .

(٧) أصله : ينسب أساس الجبل وهو العز والمجد ، وفرعه يعني أعلاه .

(٨) السبة : ما يسب به الإنسان ، وعامرهم بنو عامر بن صعصعة ، وسلول هم بنو مرة بن

صعصعة .

(١٠) مات حتف أنفه : أى على فراشه ، وأصله حتفه بأنفه ، أى بالأنفاس التي خرجت من

أنفه عند خروج الروح ، وليس دفعة واحدة كما يحدث عند القتل . وظل دمه : أى ذهب هدوا دون
أن يثار له .

(١١) الظبات جمع ظبة وهي حد السيف .

(١٢) السر : النكاح ، والمقصود بالإناث الأمهات ، والفحول الآباء .

(١٣) يعنى بالظهور الآباء ، وبالبطون الأمهات ، والوقت الذي يشير إليه وقت الأظهار .

(١٤) المزن : السحاب ، والكهام : الكليل الحد الضعيف .

(١٦) خلا : أى مضى وانقضى أمره ، قؤول : صيغة مبالغة من قائل ، وفقول : صيغة مبالغة

من فاعل .

- ١٧ وما أُنِجِدَتْ نَارُنَا دُونَ طَارِقٍ وَلَا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ تَزِيلُ
١٨ وَأَيُّمُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا لَهَا غُرْرٌ مَعْلُومَةٌ وَجُجُولُ
١٩ وَأَسِيفُنَا فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِيقٍ بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارَعِينَ فُلُولُ
٢٠ مَعْوَدَةٌ إِلَّا تُسَلَّ نِصَالُهَا فَتُغَمَّدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَيْبِلُ
٢١ سَلَى إِنْ جَهَلَتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْكُمْ وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالِمٌ وَجْهٌ هَوَلُ
٢٢ فَإِنْ بَنَى الدِّيَانَ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ تَدُورُ رِحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُجُولُ

- (١٧) النار التي يعنينا نار الضيافة : والطارق : زائر الليل ، والتزيل : الرقيق والجليس .
(١٨) الأيام : الوقائع والحروب ، الفرر : جمع غرة وهو البياض الذي يكون في جبهة الفرس ،
والججول : بياض في مواضع الجبل من الفرس وهو القيد والخلخال .
(١٩) قراع : نزال وحرب ، الدارعين : الذين يلبسون الدروع خوفا من الطعنات ، والفلوك :
ما يكون في السيف من تلقيم بسبب كثرة الاستخدام وشدة الضرب .
(٢٠) تغمد : ترد في أغمارها ، قيبيل : قبائل .
(٢٢) القطب : الحديد في الطبقة الأسفل من الرمح يدور عليها الطبق الأعلى ، ومنه جاء القطب
يعني السيد والزعيم .

* * *

محمد مصطفى هدارة

أَبُو دُوَادِ الْإِيَادِي رَحْلَةُ صَيْدٍ

أبو دُوَادِ الْإِيَادِي اسمه جارية بن الحجاج بن خدامة وقيل حنظلة بن الشرق ، من أشهر وصافي الخيل في الجاهلية ، وكان في عصر كعب بن مامة الْإِيَادِي الذي آثر بنصيبه من الماء رفيقه النمرى فمات عطشا فضرب به المشل في الجود . وهو في هذه الأبيات التي اخترناها له يصف منزلا من منازل البادية ، قد أهل بالوحش وقد اعتزم الصيد وأعد فرسه لذلك فانتطاء غلام له في أول النهار وانطلق به فأصاب صيدا كثيرا ، وأفاض الشاعر في وصف فرسه .

* * *

- ١ ودارٍ يقول لها الرائدو نَ وَيَلَّ امَّ دار الحُذَّاقِ دارا
- ٢ فلما وضَعْنَا بها يَتَنَّا نَتَجَنَّا حُورًا وصَدَنَّا حِمارا
- ٣ وبات الظِّلِمُ مكان المِجَنِّ (م) تَسْمَعُ بِاللَّيْلِ مِنْهُ عِرَارا
- ٤ وراح علينا رِعاءُ لنا فقالوا : رأينا بهجِلَ صِوارا
- ٥ فَيَتَنَّا عُرَاءَ لَدَى مُهْرِنَا نُنَزِّعُ مِنْ شَفْتَيْهِ الصُّفَارا

(١) الحذاق : يعنى نفسه نسبة إلى قبيلة حذافة وهي فرع من إباد ، والزردون : الذين يرودون المكان لاستكشافه .

(٢) نَجينا : ولدنا ، الحوار : ولد الناقة .

(٣) الظليم : ذكر النعام ، المِجَن : الترس ، العرار : صوت ذكر النعام .

(٤) الهجل : المكان المظلم بين الجبال ، الصوار : القطيع من البقر .

(٥) عرأة : يعنى مقيمين ، الصفار : نبت له شوك .

- ٦ وَبَتْنَا نُقْرُوهُ بِاللَّجَامِ نريد به قنصاً أو غواراً
٧ فَلَمَّا أَضَاعَتْ لَنَا سُدْفَةً ولاح من الصبح خيطاً أناراً
٨ غَدَوْنَا بِهِ كِسْوَارِ الْحَسُو ك مضطجراً حالباه اضبطاماً
٩ مَرُوحًا يُجَاذِبُنَا فِي الْقِيَادِ نَحْلُ مِنَ الْقُوْدِ فِيهِ اقْوَرَاراً
١٠ ضَرُوحَ الْجَمَاتَيْنِ سَامَى التَّلِيلِ وَتَوْباً إِذَا مَا انْتَحَاهُ الْخَبَارُ
١١ فَلَمَّا عَلَا مَشْنَتِيهِ الْفَلَامُ وَسَكَنَ مِنْ آلِهِ أَنْ يُطَارَا
١٢ وَمُسِيرِجٍ كَالْأَجْدَلِ الْفَارِسِيِّ (م) فِي لَاحِ مَرِيٍّ أَجَدَّ النَّفَارَا
١٣ فَصَادَ لَنَا الْكَلُّ الْمُقْلَتِي نَحْلًا وَأُخْرَى مَهَاةَ نَوَادَا
١٤ وَعَادَى ثَلَاثًا فَخَرَّ السَّنَا نَ إِمَّا نُصَوِّلَا وَإِمَّا انْكَسَرَا
١٥ أَكَلْتُ امْرِئِي تَحْسِبِينَ امْرَأَةً وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا؟

(٦) نقروه : نجومه ، القنص : الصيد ، النوار : الغارة .

(٧) سدفة : ضوء ، وهي من الأضداد .

(٨) الملوك : المرأة الفاجرة المتهاكمة على الرجال ، مضطجراً : ضامراً ، الخالبان : عرقان من السرة إلى البطن .

(٩) مروحا : شديد المرح أى الخفة والنشاط ، القياد : الحبل الذى يقاد به ، القود : مصدر ناد ، الاقورار : تشنج الجلد .

(١٠) الضروح : الفرس الذى يضرب برجله ، الجماتان : لختان فى عرض الساق ، سامى التليل : مرتفع العنق ، انتحاه : قصده ، الخبار : اللين من الأرض .

(١١) اللختان : مثلتا الظهر عن يمين وشمال ، آله : شخصه .

(١٢) الأجدل : الصقر ، والنفار : الحرب .

(١٤) عادى ثلاثاً : والى بينها قتلاً ، النصول : خروج النصل من الرمح .

* * *

محمد مصطفى هدارة

لَقِيطُ بْنُ يَغْمُرَ الْإِيَادِيّ

هو لقيط بن يغمُر بن خارجة بن عوثبَن الإيادي ، شاعر جاهلي قديم ،
أخباره قليلة ، يشير بعضها إلى أنه كان كاتب كسرى وترجمانه سريا من
سادات قومه ، فاطلع على أسرار دولة الفرس التي عاش في بلاط ملكها ،
ويقال إنه حبس في سجن كسرى فأطلقه وأمره أن يكتب إلى قومه ليجتمعوا
فيغير عليهم فيقتلهم ، وإن كان أبو هلال العسكري عارض هذا حين ذكر أنه
كان « رهينة عند إياد لئلا يعيشوا » . ومهما كان الأمر فإن لقيطا قد حذر قومه
يوم أحس رغبة كسرى في قتال إياد ، ولما لم يأبهوا بإنذاره السريع أرسل
إليهم قصيدته العيلية التي حضهم فيها على قتال الفرس ، ودعاهم للتهيؤ للملاقاة
جيشهم اللجب ، فلما وقع كتابه بين يدي كسرى قطع لسانه وقتله ، فذهب شهيد
وفائه لقومه وحرمه عليهم .

وعدت قصيدته العيلية عند بعض القدماء من القصائد المفردات الجاهليات
التي لا يعرف في مثل معناها وجودتها وجزالة ألفاظها . وموضوعها تحريض
قومه ضد أعدائهم ، وعلى الرغم من أن كثيرا من القصائد قد قيلت في هذا
الموضوع إلا أن النقاد سجلوا إعجابا خاصا بهذه القصيدة فذهب ابن الأثير إلى أنها
من أجود ما قيل في صفة الحرب . وقد كانت إياد — قبيلة الشاعر — تنزل
سنداد وهو نهر فيما بين الحيرة والأبلة ، وكان عليه قصر تخرج إليه العرب ، وكانت
إياد أكثر نزار عددا ، وكانت ترفض دفع الإتاوة لأحد من الملوك . وبلغ من
جراتهم أنهم توجهوا إلى امرأة كسرى أنو شروان فأخذوها وأخذوا معها أموالها ،

بفهز إليهم كسرى جندا من عنده مرتين وكانت إباد تنتصر عليهم . ثم ارتحلوا حتى نزلوا الجزيرة فوجه إليهم كسرى بعد ذلك ستين ألفا في سلاحهم ، وكان لقيط بن يعمر الإبادي يتزل الحيرة فيبلغه الخبر فكتب إلى إباد وهم بالجزيرة :

سلامٌ في الصحيفة من لقيط إلى من بالجزيرة من إباد
بأن الليث كسرى قد أتاكم فلا يثقلنكم سوقُ النقاد
أتاكم منهم ستون ألفا يزجون الكتابَ كالجراد
على حنق أئنيكم فهذا أو أن هلاككم كهلاك عاد

فلما وردت الخيل كتب لقيط إلى إباد هذه القصيدة التي اخترناها يحذرهم ويحرضهم على الاستعداد للحرب ويعصف لهم الخيل .

ويبدو أن القصيدة قد أدت وظيفتها كما أرادها لها صاحبها ، فقد روي أن إبادا حين بلغها كتاب لقيط هذا استعدوا لمحاربة الجنود التي بعث بها كسرى فالتقوا ، واقتتلوا قتالا شديدا حتى رجعت الخيل من الفريقين جميعا . ثم لأنهم اختلفوا فيما بينهم وتفرقت جماعتهم فلحق طائفة بالشام وأقام الباقون بالجزيرة .

* * *

(تراجع ترجمة الشاعر وأخباره في مقدمة الديوان الذي حققه وعلق عليه وقدم له خليل إبراهيم العطية ضمن سلسلة كتب التراث سنة ١٩٧٠ العراق) .

* * *

عبد الله النطاوى

إنذار ونصح

- ١ يادار عمرة من مُحْتَلِّها الجَرِّها
- ٢ تَامَتْ فَوَادِي بذَاتِ الجَزَعِ خَرَجَةً
- ٣ جَرَّتْ لِمَا بَيْنَنَا جَبَلُ الشَّمُوسِ فَلَا
- ٤ فَمَا أَزَالُ عَلَى شَحْطٍ يُورِقُنِي
- ٥ أُنَى بَعِينِي مَا أُمْتُ حُمُولَهُمْ
- ٦ طَوْرًا أَرَاهُمْ وَطَوْرًا لَا أَيْدُهُمْ
- ٧ بَلْ أَيْهَا الرَّاكِبُ الْمُزِيحِي عَلَى عَجَلٍ

- (١) أجمع وجرء : ما استوى من الرمل ، والجربة الرملة الطيبة المنبت لا وعوة فيها .
- (٢) البيع : كنائس النصارى مقردها بيعة (بكسر الباء) . تَامَتْ فَوَادِي : ضلته وذهبت به ، والمثيم الذي ضلَّ فَوَادِهِ من شدة الهوى . الجَزَع : منقثى الوادي . الخرجة : المرأة صغيرة السن .
- (٣) الشموس : الدابة الممتعة التي لا تمكن الفارس من إمراجها أو إلحائها . يريد بها صاحبه .
- (٤) الشحط : البعد ، وأشخطه أبعد .
- (٥) أمت : قصصت واتجهت . لا ينظرون : لا يرقبن أو يحددن النظر . السلوطح : موضع بالجزيرة .
- (٦) يبينهم : يستبينهم ويستوضحهم . تواضع : تباعد وتراخى . لمعان الآل : بريق السراب .
- (٧) المزيجي : السائق . المرتاد : الذي يرتاد أرضاً جديدة لأول مرة . ينتجع الأرض : يطلب الكلاء فيها ويرعى نباتها .

الجزء الأول

١٩١

٨. أبلغ إباداً وخلّ في سراتهم
٩. بالهف نفسي إن كانت أموركم
١٠. ألا تخافون قوماً لا أبا لكم
١١. أبناء قوم تأوؤكم على حنق
١٢. أحرار فارس أبناء المملوك لهم
١٣. فهم سراع إليكم بين ملتقط
١٤. لو أن جمعهم راموا بهتته
١٥. في كل يوم يستنون الحراب لكم
١٦. نزرأ عيونهم كأن لحظهم
١٧. لا الحرث يشغلهم بل لا يرون لهم
١٨. وأتم تحرثون الأرض عن سفيه
- إني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعاً
- شقي وأحكم أمر الناس فاجتمعاً
- أمسوا إليكم كما مثال الدبا سرعاً
- لا يشعرون أضر الله أم نفعاً
- من الجموع جموع تزدعي القلعا
- شوكاً وآخر يحنى الصاب والسلا
- شم الشماريح من ثهلان لا نصدا
- لا يهجعون إذا ما غافل هجعا
- حريق نار ترى منه السنّا قطعاً
- من دون بيضتكم رياً ولا شبعاً
- في كل معتمل تبغون مزدراً

(٨) يخلل : يخلص ، ويخللهم دخل بينهم ، والشئ نقذ ، والمطرخص ولم يكن عاماً .

(١٠) الدبا : صغار الجراد .

(١١) تأوؤكم : أورا إليكم . لا يشعرون : لا يعلمون .

(١٢) تزدعي : تستخف . القلع : للصخور العظيم .

(١٣) الشوك : يقصد به السلاح الجديد . الصاب : لبن العشرو هو سم . السلع : نبتت بالجهاز

خبيث الطعم لا ترعاه الحيوانات . يحنى الصاب : يعد لكم الشر ليقتضى طبعكم .

(١٤) راموا : حارلوا . ثهلان : جبل . الشماريح : رؤوس تلتأ من الجبال .

(١٥) يستنون : يحددون . لا يهجعون : لا ينامون إذا نام الغافل .

(١٦) الأنزر : الذي ينظر بؤر عينه . السنّا : الضوء .

(١٧) الحرث : الزرع ، وهو أيضاً الكسب وجمع المال . البيضة هنا الأصل .

(١٨) عن سفيه : أى عن غفلة منكم عن أمزهم .

- ١٩ وتَلْقَحُونَ حِيَالَ الشُّوْلِ آوَنَةً
 ٢٠ وتلبسون ثياب الأمن ضاحية
 ٢١ أنتم فريمان : هذا لا يقوم له
 ٢٢ وقد أظلكم من شطر نعركم
 ٢٣ مالى أراكم نياماً فى بُلهنسية
 ٢٤ فاشفوا غلبلى برأى منكم حسن
 ٢٥ ولا تكونوا كمن بات مكتنماً
 ٢٦ صونوا جياذكم واجلوا سيوفكم
 ٢٧ اشروا تلادكم فى حِرز أنفسكم
 ٢٨ ولا بدع بعضكم بعضاً لنسائية
 ٢٩ اذكوا العيون وراء السرح واحترسوا
 وتنتجون بدار القلعة الربعا
 لا تجمعون وهذا الليث قد جمعا
 هضر الليوث وهذا هالك صيقعا
 هول له ظلم تغشاكم قطعاً
 وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا
 يضغى فؤادى له ريان قد نعا
 إذا يقال له : افرج غمة كنما
 وجددوا للقسى النبل والشرها
 وحرز نسوتكم لا تهاكوا هلعاً
 كما تركتم بأعلى ييشة النخعا
 حتى ترى الخيل من تعدائها رجعا

- (١٩) الشول : إناث الإبل التى شالت ألبانها أى جفت . حياها : ماحال منها فلم يحمل .
 (٢٠) الليث هنا يقصد به كمرى .
 (٢١) هضر الليوث : كسرها وشدة بعاشها . الصقع : الفزع وذهاب العقل من شدة الخوف .
 (٢٢) أظلكم : كأنه واقع بكم . شطر : نحو . النغر : الناحية من الأرض .
 (٢٣) البلهنسية : الرخاء والرفاهية والنعمة فى العيش والانشغال بالترف .
 (٢٤) الغليل : حرارة الجوف يجدها الإنسان مع شدة حرته وهمه .
 (٢٥) المكتنع : الذليل الخاضع . والفحة : الغم . كنع : خضع وانقبض .
 (٢٦) الشرح : الأوتار الدقاق .
 (٢٧) اشروا : يبعوا أو يطبوا عنها أنفسها وتحولوا عنها .
 (٢٨) لا بدع : لا يسلم بعضكم بعضاً لنسائية . والتائبة المصيبة . أعلى يشة : موضع بالدين .
 (٢٩) رجعا : جمع رجيع وهو الضامر الذى ضعف فقيل له رجيع سقر . السرح : إبل القوم .
 والسرح المسال السائم .

٣٠. فَإِنْ غُلِبْتُمْ عَلَىٰ ضَرْبٍ بَدَارِكُمْ
 ٣١. لَا تُلْهِكُمْ إِبِلٌ لَيْسَتْ لَكُمْ بِإِبِلٍ
 ٣٢. هِيَآتِ لَا مَالَ مِنْ زَرْعٍ وَلَا إِبِلٍ
 ٣٣. لَا تُشِيرُوا الْمَالَ لِلْأَعْدَاءِ لَهُمْ
 ٣٤. وَاللَّهِ مَا انْفَكَّتِ الْأَمْوَالُ مِنْذُ أَبَدٍ
 ٣٥. يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ مِنْ عِزٍّ أَوْلَكُمْ
 ٣٦. وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكُمْ عِزٌّ أَوْلَكُمْ
 ٣٧. فَلَا تَفْرَنْتُمْ دُنْيَا وَلَا طَمَعٌ
 ٣٨. يَا قَوْمِ بَيِّضَتَكُمْ لَا تُفَجِّنَنَّ بِهَا
 ٣٩. يَا قَوْمِ لَا تَأْمِنُوا إِنْ كُنْتُمْ ضَرًّا
 ٤٠. هُوَ الْجَلَاءُ الَّذِي يَجْتَثُّ أَصَابَكُمْ
 ٤١. قَوْمُوا قِيَامًا عَلَىٰ أَمْشَاطِ أَرْجُلِكُمْ
 ٤٢. فَقُلُّدُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ دَرْكُكُمْ
 ٤٣. لَا مُتَرَفًا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ
- فَقَدْ لَقِيتُمْ بِأَمِيرٍ حَازِمٍ قَزَعًا
 إِنْ الْعَدُوَّ يَعْظُمُ مِنْكُمْ قَرَمًا
 يُرْجَى لِفَارِكُمْ إِنْ أَنْفَكُمْ جُدْعًا
 إِنْ يَظْفَرُوا بِحَتُوكُمْ وَالتَّلَادَ مَعًا
 لِأَهْلِهَا إِنْ أُصِيبُوا مَرَّةً تَبَعًا
 إِرْتَاقِدٍ اشْفَقْتُ أَنْ يُودِيَ قَيْنَقِطْعًا
 إِنْ ضَاعَ آخِرُهُ أَوْ ذَلَّ فَاتَّضَعَا
 لَنْ تَنْعَشُوا بِزَمَاجِ ذَلِكَ الطَّعْمَا
 إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهَا الْأَزْلَمَ الْجُدْعَا
 عَلَى نِسَائِكُمْ كَيْتَرَى وَمَا جَمَعَا
 فَمَنْ رَأَى مِثْلَ ذَا رَأْيَا وَمَنْ سَمِعَا
 ثُمَّ أَفْزَعُوا قَدْ نِيَالُ الْأَمْنِ مِنْ قَزَعَا
 رَحْبَ الذَّرَاعِ بِأَمِيرِ الْحَرْبِ مُضْطَلْعَا
 وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا

(٣٣) لَا تَشْمُرُوا : لَا تَكْثُرُوا . التَّلَادُ : الْقَدِيمَةُ . وَالطَّرِيفُ الْمُسْتَحْدَثُ .

(٣٤) مَا انْفَكَّتْ : مَا زَالَتْ .

(٣٥) يُوْدِي : يَهْلِكُ .

(٣٧) تَنْعَشُوا : تَجِبُّرُوا وَتَحْيُوا نَفْسَهُ وَأَنْعَشَ جَبْرَهُ . الزَمَاجُ : التَّبَيُّؤُ لِلْحَرْبِ .

(٣٨) بَيِّضَتَكُمْ : أَيَّ أَصْلَابِكُمْ . الْأَزْلَمُ الْجُدْعُ : الدَّمَرُ لِأَنَّهُ لَا يَهْرُمُ أَبَدًا .

(٤٠) الْجَلَاءُ : الْحَشَرُ وَالطَّرْدُ . يَجْتَثُّ : يَقْطَعُ .

(٤٢) مُضْطَلْعًا : مُحْتَمِلًا . لِلَّهِ دَرْكُكُمْ : أَيَّ خَيْرِكُمْ « صِيْفَةُ دَعَائِيَّةٍ » . رَحْبُ الذَّرَاعِ : وَاسِعُهَا .

دَلَالَةٌ عَلَى مَكَانَتِهِ بَيْنَ قَوْمِهِ .

- ٤٤ مُسَهَّدُ النَّوْمِ تَعْنِيهِ تُغَوِّرُكُمْ
يُرْوَمُ مِنْهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ مُطْلَعًا
٤٥ مَا أَنْفَكَ يَحْلِبُ دَرَّ الدَّهْرِ أَشْطَرَهُ
يَكُونُ مَتَّبِعًا طَوْرًا وَمَتَّبِعًا
٤٦ وَلَيْسَ يَشْغَلُهُ مَالٌ يَثْمُرُهُ
عَنْكُمْ وَلَا وَلَدٌ يَبْنِي لَهُ الرَّفْعَا
٤٧ حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْرٍ مَرِيرَتُهُ
مُسْتَحْكَمِ السِّنِّ لَاحِقًا وَلَا ضَرَمًا
٤٨ كَمَا لَكَ بَن قَتَانٍ أَوْ كَصَاحِبِهِ
زَيْدِ الْقَنَاءِ يَوْمَ لَاقَى الْحَارِثِينَ مَعًا
٤٩ إِذْ عَابَهُ عَائِبٌ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ :
دَمْتُ بِلَجْنِكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُضْطَجِعًا
٥٠ فَسَاوَرُوهُ فَالْفَوَّهُ أَخَا عِلِيلٍ
فِي الْحَرْبِ يَحْتَبِلُ الرِّثْبَالَ وَالسُّبْعَا
٥١ عِبِلَ الذَّرَاعِ أَيُّهَاذَا مِرَابِنَةٌ
فِي الْحَرْبِ لَا عَاجِزًا نِكَسًا وَلَا وَرْعَا
٥٢ مُسْتَنْجِدًا يَتَخَذِي النَّاسَ كُلَّهُمْ
لَوْ قَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قَرْعَا
٥٣ هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالنَّذِيرُ لَكُمْ
لِمَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمَنْ سَمِعَا
٥٤ لَقَدْ بَدَّلْتُ لَكُمْ نَصِيحِي بِلا دَخِيلٍ
فَاسْتَقِظُوا إِنَّ خَيْرَ الْعِلْمِ مَا نَفَعَا

(٤٧) الشَّرْرُ : الذي لا يقتل على وجهه ، أى يقتل مقلوبا . استمرت مريرته : أى قتل قتلا شديدا .

(٤٩) دَمْتُ بِلَجْنِكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُضْطَجِعًا : أى تهبأ للأمر قبل وقوعه واستعد له .

(٥٠) أَخَا عِلِيلٍ فِي الْحَرْبِ : أى يلقى الحرب مرة بعد أخرى . يَحْتَبِلُ : يصيد . الرِّثْبَالُ : الأسد .

(٥١) عِبِلَ الذَّرَاعِ ، ظَلِظَ الذَّرَاعِ ، ذَا مِرَابِنَةٍ : ذَا مِدْفَعَةٍ . النِّكَسُ : الضَّعِيفُ مِنَ الرِّجَالِ .
الْوَرَعُ : الْجَبَانُ .

(٥٢) يَتَخَذِي النَّاسَ : يَبَارِزُهُمْ وَيُدْهِمُهُمُ لِلنَّازِلَةِ .

* * *

عبد الله التطاوى

المُرْقَش الأكبر

هو عوف بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعَة بن قيس بن ثَعْلَبَة . . . والمُرْقَش لقب
لُثَّاب به ، وهو واحد من متبغى العرب وفرسانهم ، عرفت شجاعته حين اشترك في
حروب بكر بن وائل مع بني تغلب . وكان عوف وعمرو ابنا مالك بن ضبيعة عما
المُرْقَش الأكبر من فرسان بكر ، وعمرو بن مالك هو الذي أسر مهلهلا في بعض
الغارات بين بكر وتغلب .

كان المُرْقَش يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن علي بن مالك بن ضبيعة ،
وكان له ولان أخيه المُرْقَش الأصغر موقع في بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب ،
كما كان لهما بأس وشجاعة برزا في تقدمهما في العدو وحسن أثرهما في معاركه .
من أهم أخباره التي أوردها صاحب الأغاني والمفضل الضبي عشقه ابنة
عمه أسماء ، وقد خطبها إلى أبيها ، ولكن أباهما زوجهما في بني مراد في غيبته ،
ثم أخبره أهله بموت أسماء ، وأتوا به في موضع قبر مزعوم لها ، فنظر إليه وراح
بعد ذلك يعتاده ويزوره . ثم ساعدته الظروف على معرفة خبر زواج أسماء من
المرادي فركب مطيته ورحل في طلبه . ومرض في الطريق وتركه الغُفلى رفيقه
في رحلته ، وعاد الغُفلى وزوجته فزعموا أنه مات ، ولكن حرملة تنبه أنه مازال حيا
من خلال قراءة ما كتبه المُرْقَش على الرجل ، فدعا الغُفلى وزوجته وخوفاهما بأن
يصدقه ففعلا فقتلهما ، وقد كانا وصفا له الموضع ، فركب في طلب المُرْقَش
حتى أتى الميكان ، فسأل عن خبره ، فعرف أن مرقشا كان في الكهف ولم

يزل فيه . وتنتهى الرواية إلى خروجه بعد ذلك لقتل أسماء فردّه أخواه وعذلاه وقال شعرا ، ويقال أنه مات عند أسماء ودفن في أرض مراد .

وفي قصيدته السينية التي اخترناها له يقف على أطلال صاحبتة « أسماء » ينعى الطلل وصاحبتة ، وتثير أشجانها وحشة المكان ، ثم يصور رحلته في الصحراء الموحشة ، وقد قطعها على ناقته التي أضناها السرى ، وتتعدد المشاهد بدلالاتها المخيفة على رهبة الليل ، فيظهر مشهد الإبل في الظلمة ، وموقد النار الذي خلفه حيث نزل للراحة ، وأصوات البوم التي كثر ترددها فكانت أشبه ما تكون بصوت النواقيس ، ثم يستعرض صورة من كرمه في مشهد قدر الطعام التي وضعها على النار والتف الضيوف من حولها ، وهو يقف ضاحك الوجه يؤنسهم بحديثه حتى ينضج ما بها من طعام ، ثم يصور ذئبا بألسا أقبل مهتديا بضوء ناره يلتمس القرى ، فأكرمه كما يكرم ضيفه تماما ، حتى إذا شيع عاد مسرورا كأنه مقاتل ظفر بغنيمة أعدائه . ومن هذا المشهد يعود الشاعر إلى الصحراء فيصور مشاهد الجبال وقد غطاها السراب ، فراها كأنها ضارقة في بحر ممتد فوق رمالها ، وتكاد الصحراء تذكره بناقته ، فيعود إلى وصفها ، ويمضى فيه حتى يتداخل مشهد الصحراء مع صورة الناقة في ختام القصيدة .

وتتميز القصيدة بانتشار بعض ظواهر حياة البادية الجاهلية فيها خاصة ظاهرة التطير التي تردت في أكثر من صورة ، وكذلك ظاهرة الاستطراد في حديث الناقة بما لهذا الاستطراد من دلالات فنية ونفسية على طبيعة حياة الشاعر وعلاقته بالناقة ، وقد يلتفت النظر في القصيدة أيضا انشغال صاحبها ببعض (تراجع ترجمته وأخباره في الجزء السادس من الأغاني ص ١٢٧ وما بعدها) .

الألوان البديعية التي حرص على الإفادة منها في الصورة الشعرية فظهر حسن التقسيم والتضمين والجناس وغيرها . وقد سيطر التشبيه بأطرافه الحسية المعروفة على معظم صور القصيدة شأنه في ذلك شأن شعراء عصره وأبناء بيئته .

(تراجع القصيدة في ديوان المفضليات بتحقيق الأستاذين عبد السلام هارون وأحمد شاكر) .

* * *

عبد الله التطاوى

صُورَةٌ مِنَ الصَّحَرَاءِ

* * *

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | أَمِنْ آلِ أَسْمَاءَ الطَّلُولُ الدَّوَارِسُ | يُخَطِّطُ فِيهَا الطَّيْرُ قَفْرًا بِسَابِسُ |
| ٢ | ذَكَرْتُ بِهَا أَسْمَاءَ لَوْ أَنَّ وَلِيَهَا | قَرِيبٌ وَلَكِنْ حَبَسَتْنِي الْحَوَابِسُ |
| ٣ | وَمَنْزِلُ ضَمْنِكَ لَا أُرِيدُ مَبِيتَهُ | كَأَنِّي بِهِ مِنْ شِدَّةِ الرُّوعِ آئِسُ |
| ٤ | لَتُبْصِرَ عَيْنِي إِنْ رَأَيْتُ مَكَانَهَا | وَفِي النَّفْسِ إِنْ خُلِيَ الطَّرِيقُ الْكَوَادِسُ |
| ٥ | وَجِيفٌ وَإِسْكَاسٌ وَتَقَرُّ وَهَزَّةٌ | إِلَى أَنْ تَكِلَّ الْعَيْسُ وَالْمَرْءُ حَادِسُ |
| ٦ | وَدَوِيَّةٌ فَبَرَاءَ قَدْ طَالَ عَهْدُهَا | تَهَالَكَ فِيهَا الْوَرْدُ وَالْمَرْءُ نَاعِسُ |
| ٧ | قَطَعْتُ إِلَى مَعْرُوفِهَا مُنْكَرَاتِهَا | بِعَيْبَانَةٍ تَنْسَلُّ وَاللَّيْلُ دَائِسُ |
| ٨ | تَرَكْتُ بِهَا لَيْلًا طَوِيلًا وَمُسْتَرِلًا | وَمَوْقَدَ نَارٍ لَمْ تَرْمَهُ الْقَوَابِسُ |

- (١) الأطلال أو الطلول ما بقى من آثار الديار . الرسوم : ما كان منها منخفضا .
يخطط فيها الطير : يطير فيها . البصاس : القفر المحمية . حيث لا حياة فيها .
(٢) وليها : حيث تولت وذهبت واتجهت .
(٣) الضنك : الشدة والضيق ، ويريد بالمنزل الضنك منطقة موحشة وعرة نزل بها في الصحراء .
(٤) الكوادر : ما يثير التطير مثل الفأل والمطاس وهي عادة جاهلية .
(٥) الوجيف : ضرب من السير السريع . الإسكاس : نوع من السير دون الوجيف .
النقر والهزة : ضرب من السير فوق الوجيف . حادس : يسير على غير هدى ويكتفى بمجرد الظن .
(٦) الدوية : الصحراء المقفرة . تهالك : أسرع السير . الورد : الإبل .
(٧) العيبانة : الناقة القوية الصلبة التي تحمل مشقات الطريق .
الدامس : شديد الغلبة والسواد .
(٨) لم ترمه القوابس : لم يكن فيه أحد يقتبس نارا لأنه كان وحده .
والقوابس : الذي يطالب الناس ويبحث عنها .

- ٩ وتسمع ترقاء من اليوم حولنا
١٠ فيصبح ملق رحلها حيث عرست
١١ وتصبح كالدودة ناط زمامها
١٢ وقدر ترى شمت الرجال عيالها
١٣ ضحكك إذا ما الصخب لم يحتوا له
١٤ ولما أضنا النار عند شوائنا
١٥ نبذت إليه حزة من شوائنا
١٦ فآض بها جذلان ينفض رأسه
١٧ وأعرض أعلام كان رؤوسها
- كما ضربت بعد الهدوء النواقيس
من الأرض قد دبت عليه الرواميس
إلى شعب فيها الجوارى العوائس
لها قيم مهمل الخليفة آيس
ولا هو مضى أب على الزاد عايس
عرانا عليها أطلس اللون بائس
حياء، وما خشي على من أجالس
كما آب بالنهب الكمي المحالس
رؤوس جبال في خليج تغامس

(٩) النواقيس أو النواقيس جمع ناقوس .

(١٠) ملق الرجل : مكان إلقائه . ترقاء اليوم : صياحه . الرواميس : الرياح التي تغطي الآثار وتزيل معالمها .

(١١) الدودة : الأروحة . ناط زمامها : علق زمامها .

العوائس : الجوارى اللاتي لم يتزوجن .

(١٢) شمت الرجال : كبر والسن منهم إذا ما خالط وأهمهم الشيب .

القيم : القائم على شؤونها . الأنسة : الطيبة النفس .

(١٣) الاجتواء : الكره . المضباب : الذي يمنع أصحابه الزاد من شدة بخله .

(١٤) عرانا : أتنا طالبا معروفا وقرانا .

أطلس اللون : يقصد الذئب ويصوره أخيرا قرب إلى السواد .

(١٥) الحزة : القطعة .

(١٦) آض : بمعنى عاد أو رجع . جذلان : فرح نشيط . النهب : الغنيمة .

الكمي : الشجاع . الذي يحتفظ بشجاعته ثم يظهرها في وقت القتال .

المالس : القوي الذي لا يتخلل عن مكانه في الحرب .

(١٧) أعرض : ظهر وبدأ . الأعلام : يقصد الجبال . نهى أعلام في الصحراء .

الخليج هنا السراب ، شبه بالماء . تنغمس : تنغمس . الأكل : المراب .

- ١٨ إذا عَلمَ خَلْفَتُهُ يَهْتَدِي بِهِ بدا عَلمٌ في الآلِ أَضْبَرُ طامِسُ
١٩ تَعَالَتْهَا وَلَيْسَ طِبِّي بِدَرِّهَا وكيف التماسُ الدَّرَّ والضَّرْعُ يائِسُ
٢٠ بأَمْرٍ عارٍ صَدْرُهُ من جَلَّازِهِ وسائرُهُ من العِلاقَةِ نائِسُ

(١٨) طامِس : دارِس . قد جاء عليه الاعماء .

(١٩) تعالَتْها : مرت بها مرة بعد مرة ، يريد أنه يرقى بناقته تارة وتارة بمجهودها .

العلب : الطلب . الدَر : اللبن .

(٢٠) الأَمْر : يريد السوط . العِلاقَةُ : السير الذي يعلق به السوط .

نائِس : متدل . الجَلَّاز : القتل .

* * *

عبد الله التطاوي

المرقش الأصغر

لُقِّبَ بالمرقش واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعة ، تربطه
حيلة النسب بالمرقش الأكبر فهو ابن أخيه على أرجح الروايات ، وهو أصغر
منه ولكنه كان أشعر وأطول عمرا . صار واحدا من عشاق العرب المشهورين
وفرسانهم ، عرف بعشقه فاطمة بنت المنذر ، وكانت لها وليدة يقال لها هند بنت
عجلان ، وكان لها قصر « بكازمة » وعليه حرس ، وكان الحرس يمررون الثياب
حوله كل ليلة فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان . وكان مرقش راعيا لا يفارق إبله ،
فأقام بالماء وترك إبله ظمأى ، وكان من أجمل الناس وجها وأحسنهم شعرا ،
وكان فاطمة بنت المنذر تقعد فوق القصر فتتنظر إلى الناس بخفاء المرقش وبات
عند ابنة عجلان ، فعلمت ذلك فاطمة وتعلقت به ، فاحتالت على جاريتها حتى
أوصلته إليها ، ونظم فيها بعضا من شعره .

وهو يصور في هذه القصيدة وفاءه لصاحبه وبين ما أصاب قلبه يوم الفراق
ليستكمل المشهد بعد ذلك بصورة غزلية يقف فيها عند معالم جمالها المختلفة ،
ثم يصف ما عاوده من ذكرياتها ، ويستعيد مشهد الرحيل لينطلق منه إلى وصف
الظمائين ورحلتهم ، ويتغنى بجمالهن وزيتهن ، ليعود من ذلك كله مرة ثانية إلى
صاحبه مصورا بجمالها ومبيناً مدى حبه لها ووفائه لعهدا ، ثم ليقدم بعد ذلك
مجموعة من الحكم يديرها حول فكرة الصداقة ، وبعدها حديث حول حلف عمرو
ابن جَنَاب تتأكد من خلاله فكرة الصداقة التي استعرضها من خلال رغبته في ركوب

الأهوال وما يراوده دائماً من أحلام اليقظة التي راحت تسيطر على ذهنه وتشغله
فيبدو من خلالها حالماً دائماً .

(تراجع القصيدة في المفضليات بتحقيق الأستاذين عبد السلام هارون وأحمد
شاكراً ، وتراجع ترجمة الشاعر وأخباره من الجزء السادس من الأغاني ص ١٣٦
وما بعدها) .

عبد الله التطاوي

إِلَى فَاطِمَةَ

* * *

- ١ أَلَا يَا أَسْمَى لَا صَرَمَ لِي الْيَوْمَ فَاطِمَا وَلَا أَبَدًا مَا دَامَ وَصْلُكَ دَائِمًا
- ٢ رَمَتِكَ ابْنَةُ الْبَكْرِى عَنْ قَرْعِ ضَالَةٍ وَهَنْ بَنَّا خُوصٌ يُحْلَنَ نَعَامًا
- ٣ تَرَأَيْتَ لَنَا يَوْمَ الرَّحِيلِ بَوَارِدٍ وَعَذِبِ الثَّنَائِيَا لَمْ يَكُنْ مُتْرَاكِمَا
- ٤ سَقَاهُ حَيُّ الْمُزْنِ فِي مُتَهَلِّلٍ مِنَ الشَّمْسِ رَوَاهُ رَبَابًا سَوَاحِمًا
- ٥ أَرَتَكَ بِذَاتِ الضَّالِّ مِنْهَا مَعَاصِمَا وَخَدًّا أَسِيلًا كَالْوَذِيلَةِ نَاعِمًا
- ٦ صَحَا قَلْبُهُ عَنْهَا عَلَى أَنْ ذِكْرَةَ إِذَا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ قَائِمًا
- ٧ تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ طَعَائِنٍ نَخَرَجْنَ سَرَامًا وَاقْتَعَدْنَ الْمَفَاقِمَا
- ٨ تَحْمِلَنَّ مِنْ جَوِّ الْوَرِيْعَةِ بَعْدَمَا تَعَالَى النَّهَارُ وَاجْتَرَعْنَ الصَّرَامَا

(١) الصرم : القطع والهجر . لا أبدا : صيفة ينقضي بها الصرم نهائيا .

(٢) الضال من السدر : ما لم يشرب الماء . وقرع الضالة : القوس كأنها رمته عنه .

الخص : الإبل المرهقة وقد غارت عيونها من شدة متاعب الرحلة ومشقاتها .
النعام : النعام .

(٣) الوارد من الشعر : الطويل منه . القم المتراكم : المتركب الذي ركب بعض أسنانه بعضا .

(٤) حي المزن : السحاب القريب . يقصده بالمتهلل الروض . الرباب : السحاب . السواجم التي تسكب الماء .

(٥) الوذيلة : سبيكة الفضة .

(٦) اقتعدن : ركين . المفاهيم : الإبل المعظام أو المراكب الواسعة .

(٨) تحمّلن : رحلن . الوريعة : مكان . اجتزعن : قطعن . الصرائم : قطع الرمل ومفردها صريمة .

- ٩ تَحْلَيْنَ ياقوتاً وشذراً وصيفةً
١٠ سَلَكْنَ القُرَى والجزع تُحْدِي جِهاظَهُم
١١ أَلَا حَبْدًا وَجْهَ تَرِينَا بَيَاضَهُ
١٢ وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ جَائِعًا
١٣ وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ وَالْحَرَقُ بَيْنَنَا
١٤ وَإِنِّي وَإِنْ كَلَّتْ قُلُوبِي لَرَأَيْتُ
١٥ أَفَاطِمَ إِنْ الْحَبِّ يُغْنِي عَنِ الْقَلِي
١٦ أَلَا يَا اسْلَمَى بِالْكُوكَبِ الطَّلِقِ فَاطِمَا
١٧ أَلَا يَا اسْلَمَى ثُمَّ اسْلَمَى أَنْ حَاجَتِي
١٨ أَفَاطِمَ لَوْ أَنَّ النِّسَاءَ بِلَدَّةٍ
١٩ مَتَى مَا يَشَأْ ذُو الْوَدِّ يَصِيرُ خَلِيلُهُ
وَجَزْمًا ظَفَارِيًّا وَدُرًّا تَوَائِمًا
وَوَرَكْنٍ قَوًّا وَاجْتَرَعْنَ الْمُخَارِمَا
وَمَسْدَلَاتٍ كَالْمَثَانِي فَوَاحِمَا
نَحِيصًا وَأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ طَائِعًا
مُخَافَةً أَنْ تَلْقَى أَخَا لِي صَارِمَا
بِهَا وَبِنَفْسِي، يَا فُطَيْمَ، الْمَرَامَا
وَيَحْيِي شِمَّ ذَا الْعَرِضِ الْكَرِيمِ الْمَجَاشِمَا
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَرَفُ النَّوَى مُتَلَامًا
إِلَيْكَ فَرُدِّي مِنْ نَوَالِكَ فَاطِمَا
وَأَنْتِ بِأُخْرَى لَا تَبْعَتُكَ هَائِمَا
وَيَعْبُدُ عَلَيْهِ لَا مَحَالَةَ ظَالِمَا

- (٩) تحلين : لبس الحلى . الشذر : اللؤلؤ الصغير . الجزع : الخرز . ظفار : بلد باليمن ينسب إليها الجزع .
(١٠) الجزع : متعطف الوادي . قو : موضع . وركن : عدلن عنه وتركته المخارم : طرق في الجبال أو رمل مستطيل .
(١١) المسدلات : الدواب المسترخية من الشعر . المثاني : الحبال شبه بها الشعر الطويل .
الفواجم : الشديدة السواد .
(١٢) النحيص : الذي اشتد ضموه من الجوع .
(١٣) انظر : ما اتسع من الأرض .
(١٤) الرجم : الرمي .
(١٥) القلى : البغض والكراهة . يحمله على أن يركب الصعب أو المكروه .
(١٦) الطلق : الذي لا رفيه ولا يرد يمكن أن يسبب الأذى . متلائم : متلاحم موصول .
(١٩) يعبد : يفتن .

- ٢٠ وآلى جناب حلقه فاطمة
 ٢١ كان عليه تاج آل محرق
 ٢٢ فمن يلق خيرا يحمي الناس أمره
 ٢٣ ألم تر أن المرء يحزم كفه
 ٢٤ أم من حلم أصبحت تنكت وإحما
- فنفسك ولّ اللوم إن كنت لا بما
 بأن ضرّ مولاه وأصبح ماليا
 ومن يقول لا يعلم على النى لا بما
 ويحشم من لوم الصديق المجاشما
 وقد تعزى الأحلام من كان واجما

(٢٠) آلى : حلف وأقسم .

جناب : يقصد عمرو بن جناب وقد سماه باسم أبيه .

(٢٢) يحزم : يقطع . يحشم : يتحمل .

(٢٤) ينكت في الأرض ، يخطط فيها يعود وهو إشارة إلى ما يفعله المهموم حين يشند به الفكر .

الواجم : الحزين المهموم . تعزية : تأتية .

* * *

عبد الله التطاوى

ثَعْلَبَةُ بْنُ صُعَيْرٍ

شاعر جاهلي قديم يرجع نسبه إلى قبيلة تميم ، قال عنه الأصمعي « ثعلبة أكبر من جدّ لبيد » .

كان ثعلبة فارساً من فرسان قومه المحدثين ، ميالاً للهو ومعاورة الخمر . وفي شعره نجد إيجازاً للفنّان التي يعتز بها العربي في الجاهلية من فروسية ونجدة وكرم . وجاءت هذه المفان في صياغة بارعة وصور رائعة ، حتى قيل إن ثعلبة بن صعير سبق غيره من الشعراء إلى ابتكار المعاني وإجادة التصوير .

ويبدو أنه كان شاعراً مقسلاً ، ولعل ذلك هو الذي دفع الأصمعي إلى أن يقول « لو كان قال مثل قصيدته الرائية نحسباً لكان فخلاً » .

وفي هذه القصيدة يتحدث عن صاحبه « عَمْرَةَ » ، ويشكو من أنها خانت عهده وأخلفته مواعيدها ، فراح يتسلى عن همه برحلة على ناقه راح يصفها في براعة وإجادة ، ثم انتقل إلى حديث الخمر ، فوصف مجلس شرايه مع فتية من رفاقه تفنيم القيان ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الفخر بشجاعته وقوة بأسه .

* * *

(١)

الرَّائِيَّةُ

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | هَلْ عِنْدَ عَمْرَةٍ مِنْ بَنَاتٍ مُسَافِرٍ | ذِي حَاجَةٍ مُتَرَوِّجٍ أَوْ بَازِرٍ |
| ٢ | سَمِ الْإِقَامَةَ بَعْدَ طُولِ قَوَائِهِ | وَقَضَى لُبَّانَتَهُ فَلَيْسَ بِنَاطِرٍ |
| ٣ | لِعِدَاتِ ذِي إِرْبٍ وَلَا لِمَوَاعِدِ | خُلِفَ وَلَوْ حَلَفْتَ بِاسْتِحْسَمِ مَائِرٍ |
| ٤ | وَعَدَتِكَ ثُمْتَ أَخْلَفْتَ مَوْعِدَهَا | وَلَعَلَّ مَا مَنَعَتْكَ لَيْسَ بِضَائِرٍ |
| ٥ | وَأَرَى الْغَوَانِي لَا يَدُومُ وَصَالُهَا | أَبْدًا عَلَى حُسْرِ وَلَا لِمَيَّاسِرٍ |
| ٦ | وَلَمَّا خَلَيْتُكَ لَمْ يَدُمْ لَكَ وَصْلُهُ | فَاقْطَعْ لُبَّانَتَهُ بِحَرْفِ ضَامِرٍ |
| ٧ | وَجَنَاءَ مُجَفَّرَةِ الْعُضْلُوعِ رَجِيلَةٍ | وَلَقَى الْهَوَاوِرِ ذَاتِ خَلْقٍ حَادِرٍ |
| ٨ | تُضْحِي إِذَا دَقَّ الْمَطِيُّ كَأَنَّهَا | فَدَنُ ابْنِ حَبِيبَةٍ شَادَةٍ بِالْأَجْرِ |

(١) البتات : المتاع .

(٢) التواء : البقاء . اللبانة : الحاجة . الناظر : المنتظر .

(٣) الإرب : القصد والدهاء . والبصر بالأمور . والإرب : البغل أيضا . خلف : لا يبق بالوحد . استحسب : أسود . مائر : ينصب مريعا .

(٤) الميَّاسر : النوى .

(٥) الحرف : الناقة الماضية . الضامر : يعنى للنجابة لا للهزال .

(٦) الوجناء : الصلبة المجففة : العظيمة الوسط وهو مستحب من خلقها .

الرجيلة : القوية على السير خاصة . اللقى : السريعة .

قال ولقى الهواوير لأن سير الهاجة أشد السير . الحادر : الممتلئ والبطىء .

(٨) دق المطى : ضمير لطلول السفر . تضحي : تسير ليلتها فلم يتمها السير . الفدن : القصر .

- ٩ وَكَانَ عَيْنَتَهَا وَفَضَلَ فِتَانِهَا
 ١٠ يَبْرِي لِرَأْحَةٍ يُسَاقِطُ رِيشَهَا
 ١١ فَتَذَكَّرَتْ قَعْلًا رَيْدًا بَعْدَمَا
 ١٢ طَرَفَتْ مَرَاوِدَهَا وَغَرَّدَ مَقْبَهَا
 ١٣ قَتَرَوْحًا أَصْلًا يَشِيدُ مُهْذِبٍ
 ١٤ قَبِلَتْ عَلَيْهِ مَعَ الظَّلَامِ خِيَاءَهَا
 فَتَنَانٍ مِنْ كَفَنِي ظَلِيمٍ نَافِرٍ
 مَرُّ النِّجَاءِ سِقَاطٌ لِيَبِفِ الْآبِرِ
 أَلَقْتُ ذُكَاءً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ
 بِالْآءِ وَالْحَدَجِ الرَّوَاءِ الْحَادِرِ
 ثَرَّةَ كَشُوبِوبٍ الْعِشِيِّ الْمَاطِرِ
 كَالْأَحْمَسِيَّةِ فِي النِّصْفِ الْحَاسِرِ

* * *

- ١٥ أَسْمَى مَا يُدْرِيكَ أَنَّ رَبَّ فِتْنِيَّةٍ
 ١٦ حَسَنَى الْفُكَاكَةِ لَا تُدَمُّ لِحَامُهُمْ
 بِيضُ الْوُجُوهِ ذَوِي نَدَى وَمَآثِرِ
 سَيَطِي الْأَكُفِّ فِي الْحُرُوبِ مَسَاعِرِ

- (٩) العيبة : وماء من جلد يكون فيه المتاع . الفتان : غشاء للرجل من جلد . فتنان : فستان .
 كنف الظليم : جناحه . الظليم : ذكر النعام .
 (١٠) يبري : يعارض وإذا عارضها الظليم كان أشد لعدوها . الرائحة : النعامة تروح إلى بيضها .
 النجاء : السرعة . الأبر : صلح النخلة للتقيح فإذا صعد لها رمى بالليف عنها فشبه الريش إذا سقط من.
 النعامة بهذا الليف .
 (١١) الثقل : أراد به البيض . الرئيد : المنزود . ذكاء : اسم الشمس . الكافر : الظلي .
 فهي قد تهيات للذهب .
 (١٢) المارود : المواضع التي تروى فيها . طرقت : تباعدت . العقب : ولد الناقة وأراد ولد
 النعامة . الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . الحدج : الحنظل . الحادر : الغليظ .
 (١٣) الأصل : العشى مفردا الأصل . شد مهذب : جرى سريع . ثر : شديد . الشوبوب :
 الدهنة من المطر .
 (١٤) عليه : على البيض وقد بدت عليه فشبه جناحها بالخباء . الأحسية : المرأة من الجنس
 وهم قريش نزاعة وبنو عامر وكنانة . النصف : القناع . الحاسر : التي تكشف رأسها ووجهها
 إدلالا بحسنها .
 (١٥) المآثر : مكافئ الأخلاق . الندى : السقاء .
 (١٦) النعام : جمع لحم ، لا تدم لسفاههم . المساعر : جمع مسعر وهو الذي يوقد الحرب .

- ١٧ باكرتهم يسبأ جَوْنِ ذَارِعِ
١٨ قَصَرْتُ يَوْمَهُمْ بَرْنَةَ شَارِفِ
١٩ حَتَّى تَوَلَّى يَوْمَهُمْ وَتَرَوْحُوا
٢٠ وَمُغِيرَةَ سَوْمِ الْجَرَادِ وَزَعْتَهَا
٢١ تَتَّقِي بَكْمُودِ الْقِذَافِ وَنَثَرَةَ
٢٢ وَلَرْبُ وَاحِشَةِ الْحَبِينِ غَمِيرَةَ
٢٣ قَدْ يَتُّ الْعَبْهَاءِ وَأَقْصَرُ هَمَّهَا
٢٤ وَلَرْبُ خَصْمِ جَاهِدِينَ ذَوَى شَدَا
٢٥ لُدَّ ظَارِئُهُمْ عَلَى مَا سَاءَ هُمْ
٢٦ بِمَقَالَةٍ مِنْ حَازِمِ ذِي مِرَّةٍ

(١٧) السبأ : شراء الخمر . الجون : الأسود يريد الرق . الذارع : الكثير العقيم من الماء ونحوه
لغو الطائر : صوته في الغلس .

(١٨) رنة شارف : صوت الناقة المسنة عند التحروقة شبه صوت العود رنة شارف . سماع
مدجنة : سماع قينة تنغى في يوم الدجن وهو تكاثف النغم . الجدوى ، العطية وأراد يجدوى الجازر
ما يتحفظهم به من الطعام . (١٩) تولى يومهم : انقضى نهارهم فترجوا وهم ثمال .

(٢٠) المغيرة : القوم يغيرون ، سوم الجراد : سيرا الجراد وكثافته . رزمتها : كففتها .
الشيئان : الشديد النظر ، أراد به الفرس .

(٢١) التيق : المتلى ، من الذشاط . جلود القذاذ : الصخرة تطبق حملها يديك وتنفذها . النثرة :
الدرع . ثقف : لاتعلق بها السهام . المراص : الكثير الاضطراب يمتدحها . العائر : الصلب الشديد
(٢٢) الغريرة : القابلة القطنة . المهابة : البقرة الوحشية . (٢٣) الجاشرة : تابشير الصباح .

(٢٤) تقذى : تقذف . الهز : الكلام القبيح . الشذا : الأذى .

(٢٥) لد : شديدوا الخضومة . ظأرتهم : عطفتهم . خسأت : زجرت ودفعت .

(٢٦) المرة : القوة . يدا العدو : يدعه وهولفة تميم .

* * *

سعيد حنفي

(٢)

عَتَادُ الْحَرْبِ

* * *

يدير ثعلبة قصيدته الفائية حول محور واحد أساسه الفخر الفردي بذاته ، وهو نخر تقليدى يطرح فيه صورا مختلفة من شجاعته وإن كان قد بلورها حول عرض أدوات القتال التى يعتمد عليها فى مواقفه الحربية ، وهى الأدوات التى يثق فيها ويعتمد عليها فى انتصاراته .

وتوزع القصيدة فنيا بين مستويين : أولهما تلك المقدمة النمطية التى افتتح بها حوارها من خلال مشهد الطلل ، وكيف جازت عليه عوادي الزمن ، فاتهت به إلى صورته المرئية التى انتشرت فيها كتابة العفاء والائتماء ، وهو مشهد لا يكاد يكتمل إلا من خلال حركة الرحيل التى ينتقل فيها الشاعر من جمود المقدمة ليقترب درجة من موضوعه ، لتكون واسطة الانتقال عنده ناقته السريعة التى عُرِفَتْ بقدرتها على اجتياز الصحراء وقطع طرقها المفزعة خاصة فى مواقف الإغاثة وإنقاذ الصريح . ويكاد حديث الناقة يكون مقدمة أخرى ، ولكنها مقدمة أكثر ما تكون تفاعلا مع موضوع الفخر ، أو هى — بمعنى أدق — تمهيد له ، فهى تمثل الملمح الأول من ملاح شجاعته وبطولته ، فهى أدائه فى رحيله ، يتخذها مدخلا لعرض أدواته القتالية التى يعتز بها فيصف منها السيوف والرماح كأسلحة هجومية يتقدم بها فى صفوف خصومه ، أو الدروع يرتديها سلاحا واقيا يتلقى بواسطته الضربات والطعنات فيثقيها .

ومن العتاد يتخذ الشاعر مقدمة نالئة يصل من خلالها إلى النتيجة التي أرادها
من قصيدته ، حيث انتهى إلى عرض لوحة شجاعته في الحرب العوان على حد
تصويره ، وإصراره على مواجهة الموت لإيمانه المطلق بمحتميته .

* * *

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | لَيْنَ دِمْنٍ كَانَتْ صَحَائِفُ | قِفَارٌ خَلَا مِنْهَا الْكُثِيبُ فَوَاحِفُ |
| ٢ | فَأُحْدِثَتْ مِنْهَا الْعُهُودُ كَأَمَّا | تَلَعَّبُ فِيهَا بِالسَّمَاءِ الزَّخَارِفُ |
| ٣ | أَكْبَ طَيْمًا كَاتِبٌ بِدَوَانِهِ | يَغْنِمُ يَدِيهِ بَارَةٌ وَيُخَالِفُ |
| ٤ | رَجَا صَنْعَهُ مَا كَانَ مِنْهُ مَسَاجِيَا | وَيَرْفَعُ عَيْنِيهِ عَنِ الصُّنْعِ طَارِفُ |
| ٥ | وَشَوْهَاءَ لَمْ تُوشَمْ يَدَاهَا وَلَمْ تُذَلْ | فَقَاطَتْ وَفِيهَا بِالْوَلِيدِ تَقَاذُفُ |
| ٦ | وَتَعْطِيكَ قَبْلَ السُّوْطِ مَلَأَ عَنَانُهَا | وَلِإِحْضَارِ ظُلْمِي أَخْطَاؤُهُ الْمَجَادِفُ |
| ٧ | بَلَّاتُهَا يَوْمَ الصَّرَاحِ وَبَعْضُهُمْ | يُحِبُّ بِهِ فِي الْحَى أَوْرَقُ شَارِفُ |

(١) الدمن : الآثار . الصحائف : الكتب . الكثيب : قرية بالبحرين لبنى محارب بن عبد
القيس . واحف : موضع أيضا .

(٢) العهود : الأمطار . الزخارف : الأسياغ .

(٤) مساجيا : ساكتا . الطارف : من طرف بعينه إذا حرك جفنيها .

(٥) الشواه : الحسنة الخلق أو المرتفعة وهي فرس تعلية . لم توشم يداها : يصف لقاءها وخلوها
من العيوب . قاطت : أتى عليها القبط . التقاذف : التدافع . الوليد : العبد .

(٦) ملأ عنانها : تعطيك عددا كثيرا ومر بما دون سوط يهددها ويدفعها إلى السير .

الإحضار : العدو . المجادف : ما يتجدف به الإنسان من رمي وغيره .

(٧) بلات بها : ملكتها . الصراخ : الاستغاثة . الأورق : البعير لونه كالون الرماد . شارف : هرم

كبير .

- ٨ بيضاء مثل النهى ريج وقدّه
٩ ومطرّد يرضيك عند ذواقه
١٠ وصفراء من نبج سلاح أعدّها
١١ عتاد امرئ في الحرب لا واهن القوى
١٢ به أشمّد الحرب العوان إذا بدت
١٣ قتال امرئ قد أيقن الدهر أنه
١٤ ولو كنت في غمدان يحرس بابه
١٥ إذا لا تثنى حيث كنت متيتي
١٦ أين حذرا في المهالك سادرا
- شأ بلب غيث يحفش الأكم صائف
ويمضي ولا يناد فيا يصادف
وأبيض قصال الغريسة جانف
ولا هو عما يقدر الله صارف
نواجذها واحمر منها الطوائف
من الموت لا ينجو ولا الموت جانف
أراجيل أحبوش وأسود ألف
يحب بها هاد لإثري قائف
وأية أرض ليس فيها متائف

(٨) البيضاء : الذرع . النهى : الغدير . ريج : أصابته الرمح فالغدير أمضى وأنى . الأكم : المرتفعات .

(٩) يرضيك عنه ذواقه : يعجبك وأنت تطلبه . يناد : يرجع وينبطف . والمطود : الرمح .
(١٠) الصفراء : القوس . النبع : شجرة تنفذ منه القسي والسهام . الأبيض : الضيف . اتصال :
تطاع . جانف : يبلغ الجوف .

(١١) العتاد : حدة المحارب أو أسلحته .

(١٢) العوان : القوية . الطوائف : النواحي .

(١٣) جانف : مائل .

(١٤) غمدان : حض منيع في اليمن . الأراجيل جمع أرجال رمي جمع راجل . الأحبوش :
الحبش . الأسود : الحية السوداء . الألف : الأنس بالمكان .

(١٥) يحب : يسرع . قائف : يتوقف الآثا ويرتد بها .

(١٦) السادر : اللاه الذي لا يأبه بشيء . متائف : مهالك .

* * *

عبد الله التطاوى

المسيب بن علس

* * *

هو زهير بن علس بن مالك بن عمرو بن قمامة بن زيد بن ثعلبة ... شاعر جاهلي قديم لم يدرك الإسلام ، يُعدّ واحداً من أشهر المقّنين في الجاهلية ، وهم ثلاثة : المتلمّس والمسيب بن علس وحُصَيْن بن الحُمام المُرّي .

كان الأعشى راويته وأخذ منه بعض أشعاره وأفاد منها في بعض قصائده .
والقصيدة في المدح ، وتعد واحدة من أقدم القصائد العربية في هذا الموضوع ، أنشدها المسيب في مدح القَعْقَاع بن زُرَّارة ، وكان سيدا مشهورا في قومه ، ويبدو أن شهرته بالكرم قد غلبت على بقية الصفات عنده حتى قيل له « تيار الفرات » إشارة إلى شدة إمرافه في الكرم .

وتبدأ القصيدة بحوار نسبي يصور فيه الشاعر يأسه لفراق صاحبتة ، ويسرد — كمعادة الشعراء — تجربة غزلية فاشلة يخوض من خلالها في مجموعة من الذكريات الغزلية الحسية السريعة التي سرعان ما يتجاوزها إلى تصوير ناقته متخذاً منها وسيلة للانتقال إلى موضوعه ، حيث يمهّد له بمدخل طريف يفتخر فيه بالقصيدة ، ويشير إلى إعجابه بها من خلال تصويره مكانتها بين القصائد الأخرى ، حتى إذا وقع على بيت القصيد راح يصور ممدوحه بما فيه من ملاح بارزة في دائرة الفضيلة العربية الأصيلة ، وهي فضيلة قوامها الشجاعة والجلود والوفاء والعنف في محاربة الأعداء وقتالهم ، وكأن الشاعر بهذا كان يضع القواعد والأصول الثابتة لقصيدة المدح العربية في شكلها ومحتواها ، حتى اتخذت من بعده نمطا

ثابتاً ، قد يشوبه التحول في بعض الأحيان ولكنه — غالباً — ما يكون تحولا محدودا تحكمه القدرات الخاصة لكل شاعر خاض في هذا الفن .

ولعل فلسفة اختيار هذه القصيدة تستند — إلى جانب كونها واحدة مشهورة من روائع شعر المدح العربي — إلى رؤيتها من منظور القِدم ، والإغراق في عرض مجموعة صفات أصبحت تمثل معجماً شعرياً يستمد منه الشعراء كثيراً من الصور بعد المسيب .

ومن أهم الملامح الفنية التي تسجلها القصيدة ما لجأ إليه صاحبها من اعتماد واضح على الصيغ التقريرية المباشرة وقلة التصوير ، بل بساطة الصورة حين يأتي بها على قلة الأمر الذي يمكن رده إلى محدودية خيال شعراء البيئة عموماً ، وهو ما يكتمل تصوره إذا أضفنا إليه تلك الرؤى الفكرية التي يغلب عليها طابع البساطة والسهولة والسرعة في عرض الصفات على ما فيها من إطلاق وتعميم تسنده المقارنة بين هذا الممدوح وبين غيره من البشر ، كما تزداد حاجة الشاعر إلى هذا الوضوح حين يعود في ختام القصيدة ليُجمل في البيت الأخير ما سبق أن فصله في أبيات المدح ، بل يزداد حرصه حين يلجأ إلى تحليل ما هو بصده من عرض تلك الصفات .

فشكل القصيدة نمطاً أصبح بدايةً وأصلاً للتقليدية في هذا الفن ، وقد ظل محتواها — كما هو واضح — نموذجاً يُحتذى ، ولكنه أكثر قابلية للتجديد والإضافة والابتكار بعيداً عن تلك البساطة التي تطلبت من الشاعر قلة التصوير وضرورة الاستعانة بالشرط في عرض كل صفة على حدة ، أوحى كثرة عقد المقارنات بين ممدوحه وبين غيره من الممدوحين حتى تسهل له مهمة الاستمرار في التنظيم .

عبد الله التطاوي

تِيَارُ الْفُرَاتِ

* * *

- ١ أَرْحَلْتُ مِنْ سَلَمَى بِغَيْرِ مَتَاعٍ قَبْلَ الْعَطَاسِ وَرُعْتَهَا بَوْدَاعٍ
- ٢ مِنْ غَيْرِ مَقِيلِيَةٍ وَإِنْ حَبَاهَا لَيْسَتْ بِأَرْمَامٍ وَلَا أَقْطَاعٍ
- ٣ إِذَا تَسْتَبِيكَ بِأَصْلَتِي نَاعِمٍ قَامَتْ لَتَفْتِنَهُ بِغَيْرِ قِنَاعٍ
- ٤ وَمَهَا يَرْفُ كَأَنَّهُ إِذَا ذُقْتَهُ حَانِيَّةٌ تُجْتَبِ بِمَاءِ يَرَاعٍ
- ٥ أَوْ صَوْبٌ غَادِيَةٌ أَدْرَتْهُ الصَّبَا يَنْزِيلُ أَزْهَرَ مُدَحِّجٍ بِسَيَاحٍ
- ٦ فَرَأَيْتُ أَنَّ الْحَكَمَ مَجْتَنِبُ الصَّبَا وَصَحَّوْتُ بَعْدَ تَسْوِيقِ وَرَوَاحٍ

* * *

- ٧ قُتِلَ حَاجَتَهَا إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ بِخَمِيصَةٍ مُرْجِ الْيَدَيْنِ وَسَاحٍ
- ٨ مَكَاةٌ ذَمْلِيَّةٌ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهَا حَرَجٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا هِلَوَاحٍ

- (١) المتاع : ما يحمله المسافر من زاد . العطاس : الصبح .
 (٢) المقلية : البنض . الحبل الأقطاع : يشير به إلى المجر والقطيعة .
 (٣) تستيك : تأسرك وتوقعك في حبها . الأصلى : الخلد الناعم .
 (٤) المها : البلور بما فيه من صفاء ونقاء . يرف : يتلألأ ويلمع . حانية : يقصد بها الخمر نسبة إلى عانة الفراق . الشج : المزج . اليراع : القصب .
 (٥) صوب غادية : ماء صحابة . أدرتة : استخرجت ماءه . السباح : الطين . الأزهر : الإبريق .
 (٦) الحكم : الحكمة . الصبا : الصبوة .
 (٧) تسل حاجتها : يطالب نفسه بالسوعتها والانصراف من ذكرها إذا هي أعرضت عنه أو هجرته أو نوت قطعه . الخميصة : الضامرة إشارة إلى شدة هزالها وضهور بطنها . سرح اليدين : إشارة إلى سرعتها في السير . وساح : واسعة في سيرها .
 (٨) ذملبة : مريضة . حرج : ضخمة تمتد طولها على وجه الأرض . مكاة : تقارب ركبتها حتى يصل بعضها بعضاً ، وهي من صفات النعامة استعارها للنافاة . هلواع : مستخفة تكاد تنزع من شدة نشاطها . والملع : الخلفة والسرعة في الجرى .

- ٩ وَكَأَنَّ قَنْطَرَةَ بَمَوْضِعِ كُورِهَا مَلَسَاءَ بَيْنَ غَوَامِضِ الْأَنْسَاعِ
١٠ وَإِذَا تَعَاوَرَتِ الْحَصَى أَخْفَأُهَا دَوَى نَوَادِيهِ بِظَهْرِ الْقَاعِ
١١ وَكَانَ غَارِبَهَا رِبَاوَةٌ تَحْرِمُ وَتَمُدُّ نَحْيَ جَدِيلِهَا بِشِرَاعِ
١٢ وَإِذَا أَطْفَتَ بِهَا أَطْفَتَ بِكُلِّكِلِ نَبِيضُ الْفَرَائِصِ مُجْفِرِ الْأَضْلَاعِ
١٣ مَرِحَتْ يَدَاهَا لِلتَّجَاءِ كَأَنَّهَا تَكْرُو بِكَفِّي لَاعِبٍ فِي صَاعِ
١٤ فِعْلُ السَّرِيْعَةِ بَادَرَتْ جُدَادَهَا قَبْلَ الْمَسَاءِ تَهْمٌ بِالْإِسْرَاعِ
١٥ فَلَاهِدَيْنِ مَعَ الرِّيَّاحِ قَصِيدَةٌ مَنَى مُغْلَقَةً إِلَى الْقَعْمَاعِ
١٦ تَرْدُ الْمِيَاهِ فَتَزَالُ غَرِيبَةً فِي الْقَوْمِ بَيْنَ تَمَثُّلٍ وَسَمَاعِ
١٧ وَإِذَا الْمُلُوكُ تَدَافَعَتْ أَرْكَانُهَا أَفْضَلَتْ فَوْقَ أَكْفِهِمْ يَدْرَاعِ

(٩) الكور : كور الرجل شحبه وأداته . الأنساع : سيور جلدية يشد بها الرجل .

غوضه : دخوله في جلدها . يصور ناقته ملساء الظهر .

(١٠) تعاورت : تبادلت . دوى : صوت . نوادي الحصى : ما تقدم منه .

القاع : ما استوى من الأرض . الغارب : ما بين العنق والسانم .

(١١) الربابة : ما يمتد من الأرض الغليظة . المحرق : منقطع في الجبل . الجدبل : الزمام .

نحي الجدبل : ما اتنى منه باليد . الكلكل : الصدر .

(١٢) الفرائص : الخسم في مرجع الكتف . نبضها : شدة حركتها . مجفر الأضلاع : واسع الأضلاع .

(١٣) التجاء : السرعة . تكرر : تلمب بالكرة إشارة إلى سرعتها . الصاع : منخفض من الأرض .

(١٤) الجداد : ما بقي من غيوط الثوب . استعار لثاقة صورة المرأة التي تحرك ثوباً وتريد إتمامه بسرعة إشارة إلى سرعة يديها .

(١٥) مغلقة : يستعين بها الناس فيسلكون بها ما هو غامض .

(١٦) غريبة : يشير إلى سعة انتشارها وغرائبها على كل قوم تصل إليهم ويعجزون عن نظم مثلها .

(١٧) تدافعت أركانها : اشتد تراجيحها عند المفارقة . أفضلت : زدت عليهم ، وارتفعت عنهم .

- ١٨ وإذا تهبج الرياح من صرّادها
 ١٩ أحلت بيتك بالجميع وبعضهم
 ٢٠ ولأنت أجود من خليج مفعم
 ٢١ وكأنت بلقى الخيل في حافاته
 ٢٢ ولأنت أشجع في الأعادي كلها
 ٢٣ يأتي على القوم الكثير سلاحهم
 ٢٤ أنت الوفي فما تدم وبعضهم
 ٢٥ وإذا رماه الكاشحون رماهم
 ٢٦ ولذاكم زعمت تميم أنه
- نلجا ينبخ النيب بالجمع
 متفرق ليحل بالأوزاع
 متراكم الآذني ذي دقاع
 يرمى يهت دوالي الزراع
 من مخدر ليت معيد وقاع
 فيبت منه القوم في وعواع
 توري يدمته عقاب ملّاع
 بمقابل مذروية وقطاع
 أهل الساحة والندي والباع

* * *

- (١٨) الصرّاد: رياح باردة مطرة . النيب: إناث الإبل المسنة . الجمعاع: موضع بروك البعير .
 يصور الإبل وقد عجزت مسانها عن مفارقة مباركها لشدة البرد وقسوته .
 (١٩) الأوزاع: المتفرقون .
 (٢٠) الآذني: الموج أو السيل . ذي دقاع: يدفع الماء بمضه بعضا لكثرة .
 (٢١) الدوالي: ج دالية آلة للسقي . يصور الخيل وهو يرمى بموجة دوالي الزراع .
 (٢٢) المخدر: الأسد اتخذ الأجمة خدرا له . المعيد: الذي يعيد فعل الشيء . الوقاع: ج وقعة .
 كوقعة الحرب إشارة إلى كثرة اقتراسه .
 (٢٣) الوعواع: الجلبة والصياح .
 (٢٤) ملّاع: اسم مكان ينسب إليه العقبان . يصور وفاء بعده وذمته وعفته عن الطمع في
 جاره كما يفعل غيره ممن يهدرون حق الجوار .
 (٢٥) الكاشح: المنفض . المعابل: النصال . المذروية: المهددة . القطاع: نبال هريرة نصية .
 (٢٦) الباع: يشير بها إلى شدة إصرافه في الندي أو الكرم .
- « تراجع القصيدة في ديوان المفضليات بتحقيق الأستاذين أحمد شاكر
 وعبد السلام هارون » .

* * *

عبد الله التطاوي

طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ

* * *

ينتهي نسبه إلى قبيلة قَيْس بن ثَعْلَبَة إحدى فروع قبائل بكر بن وائل الضخمة التي كانت تنزل في إقليم البحرين بالمنطقة الشرقية من الجزيرة العربية على سواحل الخليج ، وهي المنطقة التي هاجرت إليها مع أختها ثَعْلَب في أعقاب حرب البسوس .

ولد طرفة في البحرين في أسرة كريمة الأصل وافرة الثراء ، وتوفى أبوه وخلفه صغيراً في رعاية أمه « وَرْدَة » ، وعانى في صغره من ظلم أعمامه له ولها ، فقد غلبوها على حقهما في الميراث وأكلوه ظلماً . وهو ظلم تتردد أصداؤه في شعره ، تارة في شكوى صريحة منهم ، وتارة في شكوى عامة من « ظلم ذوى القربى » .
والأخبار التي بين أيدينا عن حياة طرفة قليلة ، وربما ساعد على قلة قصص عمره ، فقد قُتل وهو ابن عشرين سنة ، أو — على أبعد تقدير — وهو ابن ست وعشرين ، وهو ما تذكره أخته « الحُرْنَق » في بعض شعرها :

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعَشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا
يُخَمِّنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا لِيَابَهُ عَلَى خَيْرِ خَالٍ لَا وَلِيدًا وَلَا قَمًّا

وكان مقتل طرفة في مأساة تتردد أمثالها في الروايات العربية القديمة التي تتحدث عن العلاقة بين الشعراء الجاهليين وملوك البلاط الحيرى ، فقد كان طرفة وخاله المُتَمَسِّس الشاعر نديمين للملك عمرو بن هند وأخيه قَابُوس الذي كان يرشحه للملك من بعده . ولأسباب تختلف الروايات حولها تطاول طرفة عليهما فهجاهما في

بعض شعره ، فكتب عمرو بن هند إلى عامله على البحرين كتابين يأمره فيهما بقتل الشاعرين ، وسلمهما لهما بعد أن أوهمهما أنه يأمره فيهما بجائزتين لهما . وشك المتأخر في كتاب الملك ، فدفع به إلى من قرأه له ، فلم يعرف ما فيه فذف به في نهر الحيرة وفرّ ناجيا بحياته إلى ملك الغاسنة بالشام . وأما طرفه فقد رفض نصيحة خاله بفص كتابه لمعرفة ما فيه ، ومضى في طريقه إلى عامل البحرين الذي نفذ فيه أمر الملك فقتله .

وليس من اليسير — كما هو الشأن مع كل الشعراء الجاهليين — أن نحدد تاريخ مقتله ، ولكن إذا كان حكم الملك عمرو بن هند قد انتهى في سنة ٥٦٨ أو ٥٦٩ ليلاد ، فإن مقتل طرفه لابد أن يكون قبل هذا التاريخ ، ولكن يظل من العسير بعد ذلك أن نحدد السنة التي قُتل فيها تحديدا قاطعا ، وإن يكن بعض الباحثين المحدثين يرجحون سنة ٥٦٤ تاريخا لمقتله . فإذا أخذنا بما ذكرته أخته من أنه عاش ستا وعشرين سنة فإن مولده يكون حوالي سنة ٥٣٨ .

وشعر طرفه كأخباره قليل أيضا ، فالصحيح الثابت منه قليل . وأشهر قصائده من هذا الثابت الصحيح معلقته « لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ يَبْرُقَةُ نَهْمِدٍ » ثم رائيته « اصْحَوْتَ الْيَوْمَ أُمَّ شَأَقَتِكَ هِرَّ » .

وطرفة — على قصر حياته وقلة شعره — من كبار شعراء العصر الجاهلي ، ويضعه ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول هذا العصر مع علقمة بن عبدة وعبيد ابن الأبرص وعدى بن زيد ، ويقول إن موضعهم مع الأوائل لولا قلة شعرهم بأيدي الرواة .

ويتراءى طرفه في شعره شابا ثائرا متمردا على الحياة ، شديد الإحساس بالمصير المحتوم الذي حدده القدر للإنسان فيها ، وكأنه يرفض الاستسلام لما وله ، فلا يجد

أمامه إلا الاستمتاع بها إلى آخر قطرة فيها قبل أن يدركه هذا المصير . وفي غير قليل من شعره يتراءى كأنَّ يئسه وبينها سباقا يريد أن يصل إلى غايته قبل أن يحول المصير يئسه وبينها .

وأسلوب طرفه أسلوب بدوى في لغته وصوره . وفي بعض قصائده ترتفع هذه البداوة إلى أقصى درجاتها ، وكأنما لم تؤثر فيه حياته في المنطقة الشرقية القريبة من مراكز الحضارة المتقدمة في عصره ، وإن كنا — مع ذلك — لا نفتقد بعض الصور الحضارية في شعره التي تسربت إليه من اتصاله بهذه المراكز الحضارية وما يراه فيها من مظاهر حياة لا يراها في مجتمعه البدوى . ولكن الحقيقة التي تكشف عنها هذه الصور تؤكد أن اتصال طرفه بهذه المراكز كان اتصال الشاب البدوى الذي لم تنفذ هذه الحضارة إلى أعماقه ، فظل — على الرغم من كل شيء — بدويا في لغته وصوره وأسلوبه .

* * *

يوسف خليف

(١)

من المعلقة

* * *

تُعَدُّ معلقة طرفة أطول المعلقات العشر ، فهي تبلغ — في رواية التبريزي —
 لها — مائة ونحسة من الأبيات . وهي تبدأ بمقدمة طَلَّيَّة يقف فيها الشاعر
 بأطلال صاحبه « خَوْلَة » ، ويطلب إلى أصحابه — كما طلب امرؤ القيس من
 قبل — أن يقفوا مطيِّهم بها . ثم ينتقل إلى الحديث عن رحلة الطعان ، فيصف
 القافلة المسافرة ، ويصف جمال صاحبه ، ثم يمضي إلى وصف ناقته ، فيطيل
 فيه إطالة ملحوظة تشغل من المعلقة ثلاثة وثلاثين بيتا ، وكأنما شغلته ناقته عن
 كل شيء ، ويقف أمامها وقفة المثال البارع يسوَّى لها تمثالا رائع الجمال ، بالغ
 الدقة ، غنياً بالتفاصيل الدقيقة والجزئيات الصغيرة ، يحرص فيه على أن يوقِّ كل
 جزء منه حقَّه ، وكأنه يريد أن يقدم تمثالا نابضا بالحياة « للناقة المثال » التي
 نستحق أن يقف أمامها وقفة العاشق المفتون ، يتغنى بها هذا الغناء الطويل ،
 ويعزف لها هذه المعزوفة الضخمة المتنوعة الأنغام والألحان . ثم يمضي الشاعر
 بعد ذلك في حديث ذاتي يتغنى فيه بفتوته وجرأته وكرمه وظهره وجمره ونسائه ،
 وإنفاقه كل شيء في سبيل لذته ، حتى انتهى به الأمر إلى تخلِّي قبيلته عنه وخلعها
 له . ثم ينتقل إلى تسجيل فلسفته في الحياة والموت ، فالحياة فانية ، والمصير
 محتوم ، والموت قدر مقدور ، والنهاية للجميع واحدة . وإذن فقيم إضاعة

الإنسان لحياته دون اغتنام كل فرصة لإثبات وجوده فيها ؟ وفيما تبديد أيام عمره المعدودة دون اقتناص كل لحظة فيها للاستمتاع بكل ما تتيحه له من متع من قبل أن يضع الغيب المجهول نهايتها المحتومة التي لا يعرف ما وراءها ؟ ثم ينتقل بعد ذلك إلى الشكوى من ظلم أقاربه له ، ويشكو من موقف ابن عم له قطع ما بينهما من جبال القربى وأواصرها . ثم يعود مرة أخرى — قبل أن يصل إلى نهاية القصيدة — إلى الفخر بنفسه ، والتغنى بشجاعته وجرأته وكرمه ونجدته ومروءته . ثم تأتي النهاية طائفة قليلة من الحكم تدور حول المحور الأساسي الذي دارت حوله القصيدة : الحياة والموت والمصير والغيب المجهول .

وتأتي أهمية معلقة طرفة من أنها قصيدة ذاتية خالصة ، قرع فيها لنفسه دون أن تزعم حقوق القبيلة عليه ، واستطاع أن يرسم فيها صورة معبرة عن نفسه وشخصيته ، صادقة بكل الصدق في نقل مشاعره ، صريحة كل الصراحة في رصد ما يدور في أعماقه من قلق وشك وحيرة . ولا تكاد تعدلها في هذا الموقف من بين المعلقات الأخرى إلا معلقة امرئ القيس ، ولكن إذا كانت معلقة امرئ القيس تعكس شخصية الشاب السعيد المتفائل المحظوظ المدلل الذي لا يشغله في حياته سوى صاحباته وأصحابه : صاحبات حبه ولهو ، وأصحاب صيده وقنصه ، فإن معلقة طرفة تعكس شخصية أخرى مختلفة تماما عن هذه الشخصية . إنها تعكس شخصية شاب قلق في حياته ، متشائم منها ، شاك فيها ، يدفعه قلقه وتشاؤمه وشكه إلى الإقبال على الحياة ليستمتع بها من قبل أن يدركه مصيره المحتوم الذي لا يدري ما وراءه إلا أنه غيب مجهول محجب ، وربما لم يكن وراءه شيء ، وربما كان الموت هو النهاية التي يتساوى عندها الجميع : من أسرفوا على أنفسهم في الحياة ،

وَمَنْ ضَمَّنُوا بِهَا عَلَيْهَا ، فَكَلَا الْفَرِيقَيْنِ فِي حَفْرَتَيْنِ مُتَشَابِهَتَيْنِ « عَلَيْهِمَا صَفَاخٌ صُمِّمٌ
مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَبٍ » .

* * *

- ١ لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بُبْرِقَةٍ تَهْمِدُ تُلُوحُ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
- ٢ وَفَوْقًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مِطْيَهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكِ أُمِّي وَتَجَلَّدِ
- ٣ كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُودَ خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدٍ
- ٤ عَدُولِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِينَ يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِي

(١) خولة : اسم صاحبه التي يقف بأطلالها . وبقرة تهمد : اسم مكان ، والبرقة كل رابية
يختلط فيها رمل وطين أو حجارة وطين . يشبه الأطلال آثار الودم التي مازالت باقية في ظاهر اليد ،
واختار ظاهر اليد للدلالة على أن هذه الآثار ظاهرة للعين يراها كل من يمر بالأطلال .

(٢) التجلد : التماسك والصبر عند الشدائد . والبيت تكرار لبيت امرئ القيس في مقدمة معلقته
لم يغير فيه سوى القافية :

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون : لا تهلك أُمِّي وَتَجَلَّدِ

(٣) الحدودج : جمع حدج (بكسر الحاء) وهو الحدودج . والمالكية : هي صاحبة خولة .
والخلايا : السفن الكبيرة ، جمع خلية . والنواصف : المناطق الرحبة الواسعة في الوديان . ودد :
اسم مكان . يشبه هودج الظمان وهي تمضي في رحاب هذه المنطقة بالسفن الضخمة وهي تمضي في
أرجاء البحر الفسيحة .

(٤) عدولية : منسوبة إلى عدول ، وهي مدينة على سواحل البحرين مشهورة بصناعة السفن .
وابن يامين : ملاح من أهل هجر ، وهي مدينة على سواحل البحرين أيضا ، ويدوأ أنه كان ملاحا
مشهورا في هذه المنطقة . يجور : يعيل بها ويشترى عن الطريق الصحيح . والبيت وصف للسفن التي
أشار إليها في البيت السابق ، والتي يشبه بها قافلة الظمان . والبيتان يمسكان تأثر الشاعر ببيئة البحر التي
كانت قبيلة تنزل بها .

- ٥ يَسْقُ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْرُومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ الثَّرَبَ الْمُفَالِ بِالْيَدِ
٦ وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ مَظَاهِرُ سِمَطَى لَوْلَى وَزَبْرَجِدِ
٧ خَذُولُ تُرَاعِي رَبَّابًا بِخَيْلَةٍ تَسَاوُلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدِي
٨ وَتَقِيمُ عَنِ أَلْمَى كَأَنَّ مُنَوَّرَا تَحُلُّ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصُ لَهُ نَدَى

(٥) حباب الماء : أمواجه أو الزبد الذي يعلو سطحه . والحيزوم : الصدر ، يريد به مقدمة السفينة . والضفير في « بها » يعود على السفن . والمفال : الذي يشترك في لعبة الفبال أو المغالقة ، وهي لعبة لصبيان العرب يكتُمون رأيا أو رملا ، ثم يخبئون فيه شيئا ، ثم يبتش المفال هذه الكومة بيد . فيقسمها قسمين ، ثم يقول للاعبين : في أي الجانبين شئأت ؟ فن أصاب ظفر ، ومن أخطأ خسر . والنسمة مأخوذة من قولهم للناسر : ظال رأيتك ، أي خاب وأخطأ وانحرف عن الصواب . والبهت : يعمس استزاج صور البحر والصحراء في أعماق الناهر .

(٦) الأحوى : الظلي له خططان من سواد وبياض ، يشبه به صاحبه . والمرد : ثمر الأراك الناضج . وينفضه : أي يهزه بقرنيه فيتساقط عليه . والشادن : الظلي الصغير الذي اقترب من الاستغناء عن أمه . والمظاهر هنا : التي يلبس عقدين أحدهما فوق الآخر . والسمة : العقد من الجواهر الكريمة . يشير بهذا إلى أن صاحبه مرفقة غنية حريصة على زينتها وحايها .

(٧) الخذل : الظبية التي خللت القطيع وانفردت عنه لتراعى صغيرها ، يشبه بها صاحبه بمد تشبه لها بالظلي الصغير في البيت السابق . والربرب هنا هو قطع الظباء . وتراعيه : تنظر إليه وتراقبه وتمد جيدها نحوه فيبدو طولها وجمالها واعتدالها . والتجيلة : الأرض المبللة اللينة الخصب التي يكثر فيها الشجر . والبربر : ثمر الأراك الذي لم يتفج . وتساوُل أي تناوَل حذف إحدى التاءين تخفيفا . وترتدى : يريد أن أخصان الأراك تهدل عليها حين تمد عنقها إليها لتتناول ثمرها فتكسوها . والعورة : مرسومة بدقة بأوعدة ، وهي من أجل ما رسم شاعر جاهلي من صور الظباء .

(٨) الأمل : الأسمر اللثام ، يريد به نعرا ، وسمة اللثة من علامات الجمال عند العرب . والمنورة : يريد به الأتوان الذي ظهر نووه ، والعرب يشبهون الأسنان به . وتخلل حر الرمل : أي نبت في وسطه ، وحر الرمل : أكرمه وأصفاه وأحسنه ألوانا . والدعص : الكشيح من الرمل . والضفير في « له » : يعود على المنور . والندي : الذي أحاط به الماء ، فهو لذلك أكثر نعارة .

- ٩ سَقَّتْهُ إِيَّاهُ الشَّمْسُ إِلَّا لِسَانَهُ أَسِفٌ ، وَلَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ ، بِإِثْمِدِ
١٠ وَوَجْهَهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِداءَهَا عَلَيْهِ نَقَى اللَوْنِ لَمْ يَتَّخِذْ

* * *

- ١١ وَإِنِّي لَأَمِضِي الهمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بَعُوجَاءَ مِرْقَالِ تَرُوحُ وَتَفْتَدِي
١٢ أُمُونٍ كَأَلْوَجِ الْإِرَانِ نَسَائِهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهَرَ بُرْجِدِ
١٣ تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ ، وَأَتَّبَعْتُ وَطِيقًا وَطِيقًا فَوْقَ مَوَرِّ مُعْبِدِ

(٩) إِيَّاهُ الشَّمْسُ : ضوءها وشعاعها . والحساء في « سقته » تعود على النفر . ومعنى سقته : أكتبته بياضا وأشر به حسنا . يريد أن نفرها أبيض ولثاتها سمر . وأسف بإثمد : أى ذر عليه الإثمد وهو الكحل ، والتعبير على التشبيه ، يقول كأن نفرها ذر عليه كحل فصبغه بصيغة سمر ، وسمرة الشفاء من علامات الجمال عند العرب . ولم تكدم عليه : أى لم تمضض عليه شيئا صلبا فيؤثر في استواء أسناتها . (١٠) كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِداءَهَا عَلَيْهِ : تصوير لجماله وصفائه وإشراقه ، يؤكد وصفه له بأنه « نقي اللون » . ولم يتخدد : لم يضطرب جلده ولم يتزلج لحيته ، أى لم تصبه غشون أو تجمعه بده بصفه بالشباب والحيوية والنضارة . والصورة في هذه الأبيات من أجمل ما عرفه الشعر الجاهلي . وإلى هنا تنهى المقدمة الطويلة .

(١١) من هنا يبدأ الشاعر وصف ناقته التي ينطلق فوقها إلى الصحراء ليمس مشكلاته في فضائها اللانهائي ، ولينفذ همومه فوق رمالها المترامية إلى ما لا نهاية . العوجاء : الناقة الضامرة . والمرقال : السريمة . وقوله « تروح وتفتدي » يريد به أنها تصل الرواح بالغدر ، أى تصل آخر النهار بأوله في سيرها دون توقف ، ومن هنا كان وصفها بالعوجاء والمرقال .

(١٢) الأمون : التي يؤمن عثارها لقوة بنيانها وتماسكها . والإران : تابوت يحملون فيه الموتى من ساداتهم وكبرائهم دون غيرهم . ونسائها : ضربتها بالمنسأة وهي العصا ، ويرى « نسائها » ، وهما بمعنى واحد . واللاحب : الطريق الواضح الذي تظهر فيه آثار المشى . والبرجد : كساء مخطط من أكسية الأعراب ، شبه آثار المشى التي في الطريق بخطوطه .

(١٣) العتاق : الكريمة الأصل . والناجيات : السريمة . يريد أنها تسبق غيرها من النوق الأصلية السريمة . والوطيف : عظم الساق ، وقوله « وأتبت وطيقا وطيقا » يريد به أنها تضع وظيف رجلها موضع وظيف يدها ، وهو مما يستحب في سير الإبل ، ولذلك يجتهدون الناقة بأنها « خرقاء اليد » صناع الرجل . يريدون أنها تدفع بوسدها بدون تفكير لموضعها ، ولكنها تقدر موضع رجلها حيث وضعت يدها . والمور : الطريق . والمعبد : المذلل الذي يهد بالسيفيه ، وظهرت فيه آثار المشى .

- ١٤ تَرَبَّعتُ القُفَّينِ في السَّوولِ تَرَبَّعِي حَدائقَ مَواليِ الأَسيرةِ أَغْيَدِ
١٥ كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبِّها لَتُكْتَنَفَنَّ حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمِدِ
١٦ على مِثْلِها أَمْضَى إِذا قال صاحبي : أَلَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْها وَأَفْتِيدي
١٧ وَجاشتْ إِلَيْه النَّفْسُ خَوْفاً، وَخالَهُ مُصابِبا وَلو أَمسى على غَيْرِ مَرَصِدِ
١٨ إِذا القومُ قالوا: مَنْ قَتَّى؟ خَلْتُ أَنِّي عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

(١٤) القف : ما ارتفع من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلا ، والفقان هنا موضع معين . وتربعت : أى دعت الربيع فيه . والسوول : جمع شائلة ، وهى الناقة التى مضى عليها بسد وضعها سبعة أشهر ، تخلف لبنها وشال ضرعها . و « فى » هنا بمعنى « مع » . والمولى : الذى أصابه الولي ، وهو المطر الثانى من أمطار السنة ، أما المطر الأول فيسمى « الرومى » . والأمرة : بطون الأردنية ، وفيها يجتمع ماء المطر أكثر من المرتفعات . والأغيد : الناهم اللين من النعمة ، صفة « لمولى الأمرة » . يصف ناقته فى مرعاها ، ويخبرها بفصل الربيع لخصبه ووفرة نباته ، ويجعلها مع صواحبها من النوق الشوائل ليكون أدعى لرعيها ، وأشد إغراء لها عليه .

(١٥) ربها : صاحبها ، والضمير يعود على القنطرة . وتكتنف : تحاط من أكتافها أى نواحيها ، والنون فيه نون التوكيد الخفيفة ، واللام لام القسم . وتشاد : ترفع . والقرد : الأجر وهو الطوب الذى يبنى به ، وهى كلمة فارسية معربة . يشبه ناقته فى ضخامتها وشدة بناها بقنطرة تبنى لرجل رومى أقسم ألا يتفرق الباقون عنها حتى يحكوا بناءها من كل جانب ، ويرفعوه بالأجر الصلب الشديد .

(١٦) الضمير فى « مثلاً » يعود على الناقة ، وفى « منها » يعود على الصحراء المفهومة من السياق . والحديث هنا يدور بين الشاعر وصاحبه وهما منطلقان فى رحلة فى أعماق الصحراء الهيدة الرهبة ، وصاحبه يعلن خوفه من الهلاك فيها ، ويشتمى لصاحبه ولنفسه النجاة منها ، وكأن طرفه يقتصر بجزأته على اختراقها ، وصبره على مشقتها .

(١٧) الضمير « إليه » يعود على صاحبه ، وخاله : أى خال نفسه . ومصابا : أى هالكا . ولو أسمى على غير مرصد : أى ولو أسمى فى موضع لا يرصده فيه عدو . والبيت استقرار فى وصف رهبة الصحراء التى يقتصر الشاعر بجزأته وصبره على اختراقها ومشقتها .

(١٨) من قى ؟ : أى من قى لهذه الصحراء ؟ هكذا يقول الشراح القدماء فى تفسير البيت ، ويربطون بينه وبين البيتين التاليين . وفى رأى أن موضعه يجب أن يكون بعدهما ، ولا صلة له بهما ، وأن حديث طرفه عن قوته ليس وفقا على اختراق الصحراء ، ولكنه حديث عام يبدأ به قطعة الفخر فى معلقته ، فهو أشد ارتباطا بحديث الفخر منه بحديث الناقة .

الجزء الأول

٢٢٧

١٩ أَحَلَّتْ عَلَيْهَا بِالْقَطِيعِ فَأَجْذَمَتْ وَقَدْ خَبَّ آلُ الْأَمْعَزِ الْمَتَوَقِّدِ

٢٠ وَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ وَلَيْدَةُ مَجَالِسِ تُرَى رَبِّهَا أَذْيَالٌ سَخِلَ مُمَدَّدِ

* * *

٢١ وَلَسْتُ بِحَلَالِ التَّلَاعِ خُفَاةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدِ

٢٢ فَإِنْ تَبَيَّنِي فِي حَلْقَةِ الْقَوْمِ تَلَقَّنِي وَإِنْ تَقْتَضِنِي فِي الْحَوَانِيتِ تَضْطَدِّ

٢٣ مَتَى تَأْتِنِي أَصْبِحُكَ كَأَسَا رَوِيَّةً وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا غَانِيًا فَاغْنِ وَازِدِّ

(١٩) القطيع : السوط ، وأحال عليها به أى أقبل عليها ضربا فى إثر ضرب . وأجذمت : أسرمت . والآل : السراب . وخب : جرى واضطرب . والأمعر : الموضع الغليظ الكثير الحصى . والمتوقد : الذى يتوقد بالحر .

(٢٠) ذالت : ماست وتبعثرت فى مشيتها ، وأصله من جرد الذيل اختيالا . والوليدة هنا : الجارية وردها . سيدها . والسعل : الثوب الأبيض . والممدد : الذى أرسلته فى الأرض وراحت تجرده وراءها . يشبه ناقته فى سيرها بهذه الجارية التى تختال فى ثيابها السابغة لتمرص مفاتها على سيدها . وإلى هنا ينتهى الشاعر من وصف ناقته الذى اخترنا من أبياته الثلاثة والثلاثين هذه الأبيات العشرة ، ليعبد بعد ذلك حديثه عن نفسه وشخصيته وآرائه فى الموت والحياة .

(٢١) التلاع : مجارى الماء التى تصب من المرتفعات إلى الوديان المنخفضة . وقوله « خفاة » يريد خفاة أن يراه ضيف فيقصده ، يفتخر بالكرم . والرقد : العطاء والمعونة . يقول إننى لا أتوازى فى الأماكن العالية عنى يطلب عطاى ومعونتى ، وإنما أنزل فى الأرض الفضاء المكشوفة لأعطى من يقصدهنى وأعين من يحتاج إلى .

(٢٢) حلقة القسوم يريد بها مجالس سادتهم التى يجتمعون فيها لإدارة الرأى فى أمورهم . والحوانيت : بيوت الخمارين ، وهى ترادف كلمة « الحانات » . يفتخر بمشاركته فى جانبى الحياة الجاد واللاهى ، فهو إذا جد الجسد شارك سادة قبيله فى إداره أمورها وتحمل تبعاتها ، وهو فى ساعات اللهو يشارك أمثاله من فتيانها مجالس شراهم ولهوهم .

(٢٣) أصبحك : من الصبح وهو شرب أول التهاو . والكأس الروية : المنزلة بالتمر . وغانميا : أى مستغنيا . يقول إن طلبت منادى وجدت عندى ما تطلبه من تمر ، وإن كنت مستغنيا عنها فأنت وشأنك تفعل ما تشاء .

- ٢٤ وإن يلتقي الحَيَّ الجميعُ تُلَاقِي إلى ذِرْوَةِ البَيْتِ الرَفِيعِ المُصَمِّدِ
٢٥ نَدَامَايَ يَبِضُّ كالنَجُومِ ، وَقَيْنَةُ تَرُوحُ عَلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَمُجَمِّدِ
٢٦ رَحِيبُ قَطَابٍ الْجَنِّبِ مِنْهَا ، رَفِيقَةُ بِحَسِّ النَّدَامَى ، بَضَّةُ الْمُتَجَرِّدِ
٢٧ إِذَا نَحْنُ قُلْنَا : أَسْتَمِعِينَا ، انْبَرَتْ لَنَا عَلَى رِسْلَهَا مَطْرُوفَةٌ لَمْ تَشْدِدِ
٢٨ وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخَمُورَ وَلَذَّتِي وَيَبِئْسَ وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتَلَدِّي

(٢٤) الجميع : المجتمعون للفاترة . والمصمد : الذي يقصده الناس في الأمور الجلية ، من المصمد وهو القصد . يفتخر بمنزلته في قومه وشرفه بينهم .

(٢٥) يشبه نداماه على الشراب بالنجوم في الحسن والوضاءة . والقينة : الجارية ، وهي هنا المغنية . بدلالة جواريات بعد ذلك . والبرد : الثوب الموشى المنقوش . والمحسد : الثوب المصبوغ بالزعفران . يصف مجلس شراب حيث اتخروا اللهو والغناء : ندامى صباح الوجوه ، وقينة تجيد فنون الإغراء ، ونحر تدور كؤومها بينهم وبينها ، ثم هو وخلاعة سيؤكدهما الشاعر في البيت التالي .

(٢٦) الجيب : الفتحة في أعلى الثوب التي يلبس منها ، وقطابه : مجتمعه حيث قطب أي جمع . والرحيب : الواسع . « وقطاب » فاعل للصفة المشبهة « رحيب » . ويروي بالإضافة إلى رحيب . « ومنها » متعلق بقطاب الجيب . يصف قينة الحانة بأنها توسع قطاب جيبها لتكشف عن صدرها ، وسيلة من وسائل الإغراء . « ورفيقة بحس الندامى » يريد أنها لا ترد أيديهم عندما يحسونها بها . وكانت القيان في العصر الجاهلي يفتقن في أكامهن فتقاً إلى أعلى الذراع حتى الإبط حتى يثخن لرواد الحانات فرصة مد أيديهم للمهن ، والبضة : البيضاء الناعمة الرخصة اللونة ، والمتجرد : جسدها المتجرد من ثيابها .

(٢٧) على رسلها : أي على مهل ورفق . والمطروفة : الفاترة الطرف . ولم تشدد : أي لم تشده ، لحذف إحدى التاءين تخفيفاً ، يصفها بأنها تنفى في غير جهد أو عناء غناء مهلاً لنا متعلقات في غير تكلف له أو تصنع فيه .

(٢٨) التشراب : الشرب الكثير . والطريف : الحديث . والمتلد : القديم . يريد ماله المكتسب وماله الموروث .

- ٢٩ إلى أن تحامتنى العشيّة كلها وأفردت لإفراد البعير المعبد
 ٣٠ رأيت بنى غبراء لا ينكروني ولا أهل هذالك الطراف الممدد
 ٣١ ألا أيهَذَا اللأيمى أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مُخلدي ؟
 ٣٢ فلأن كنت لا تستطيع دفع منبى قدغنى أبادرها بما ملكت يدي
 ٣٣ ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي

(٢٩) تحامتنى : تمنجننى وتيامدت عني . والبعير المعبد : هو البعير الذى أصابه الجرب فطلى بالقطران لعلاج ، وأبعد من الإبل السليمة حتى لا يعديها .

(٣٠) بنو غبراء هم الفقراء ، والغبراء : الأرض ، كأنهم لا يملكون إلا ترابها ، أو كأنهم لاصقون بها . والطراف : القبة تتخذ من الجلد تميزها من سائر الخيام ، ولا تكون إلا للأغنياء . والممدد : الفسيح الرحب الذى مد بالأطناب . يريد أنه شخصية معروفة في مجتمعه ، يعرفه الفقراء المحتاجون لأنهم يعطيهم ، ويعرفه الأغنياء المعروفون في مجتمعه لأنه واحد منهم . وكأنه بهذا يريد إهنياره أمام عشيرته التى تحامته وتكرت له . وهو ما صرح به في البيت السابق .

(٣١) في رواية أخرى « الزاجرى » بدلا من « اللأيمى » . و « أحضر » تروى بالنصب على إضمار « أن » ، وتروى بالرفع على إسقاطها . والوغى : الحرب . يصرح هنا بجانب من رأيه في الحياة وموقفه منها ، أو — إذا استغرنا عبارات المحدثين — « فلسفته الوجودية » : إذا كانت الحياة قانية لا خلود لها ، وإذا كان الموت هو المصير المحتوم ، فلم لا تثبت وجودنا أمام هذا الفناء المقدر علينا ؟

(٣٢) تستطيع : أى تستطيع ، حذفت تاءه تخفيفا . البيت استمرار في هذه الفلسفة الوجودية : إن كنت — يا من تلومنى على مذهبي في الحياة — لا تملك أن تردنى الموت أو أن تضمن لى الخلود ، فلا تقف في طريقى ، ودعنى أستمتع بحياتى بكل ما أملك من قوة ، بل دعنى أبادر بالاستمتاع بها من قبل أن يدركنى المصير المحتوم الذى لا مفر منه .

(٣٣) « هن من عيشة الفتى » يريد أنهن مما يستحق الإنسان أن يحرص على حياته من أجله . وجدك : أى وحياتك ، قسم يتردد كثيرا في الشعر العربى القديم . العود : جمع عائد وهو من يزوره في سره . وقيام العود كناية عن الموت . يقول : لولا ثلاث منع في الحياة تستحق أن يعيش الإنسان من أجلها لم أكن أبالى متى يأتى يومى الذى أفارق فيه هذه الحياة . وهى المنع الثلاث التى سيفصل الحديث عنها في الآيات التالية .

- ٣٤ فَنَهْنُ سَبَقِ الْعَاذِلَاتِ بِشَرِيَّةِ كَمَيْتٍ مَتَى مَا تُقَلِّ بِالْمَاءِ تَزِيدِ
 ٣٥ وَكَرَى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُجَنَّبًا كَسِيدَ الْغَضَى نَبْتَهُ الْمُتَوَرِّدِ
 ٣٦ وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالْدَّجْنُ مُعْجَبٌ بِبَهْكَنَةِ تَحْتِ الْخَبَاءِ الْمُعْمَدِ
 ٣٧ كَانَ الْبُرَيْنِ وَالْدَّمَالِيجَ صَلَّقَتْ عَلَى عُشَيْرٍ أَوْ خُرُوجٍ لَمْ يُخْضَدِ
 ٣٨ فَذَرْنِي أُرَوِّ هَامَتِي فِي حَيَاتِهَا خُفَافَةَ شُرْبٍ فِي الْحَيَاةِ مُصَرَّدِ

(٣٤) الكميت : النمر الحراء القانية . وتزيد : يزيد أن الزيد يعلوها عندما تخرج بالماء الذي يصيب فوقها . هذه أولى المنع التي يحرص على الحياة من أجلها . . النمر .

(٣٥) المضاف : الذي وقع في مأزق ضيق ، أو الذي أحبط به فلا يعرف له مخرجاً . والمجنَّب (بالجيم) ، ويروي المحنَّب (بالحاء) ، وهما الفرص في يديه أو رجليه انحناء ، وهو مما تدفع به الخيل لأنه علامة على شدتها . والسيد : الذئب . والغضى : شجر من أشجار البادية ، وذئاب الغضى عند العرب أخطب الذئاب ، لأنها تستخفي فيه وتهاجم الإنسان على غرة منه وغفلة . والمتورد : الذي يطلب ورد الماء ، أى الذى يلجئ نحوه ليرده ، صفة للذئب . ونبتة هيجته ، فى محل نصب حال من الذئب . يشبه فرسه فى هفئه وشده بذبب الغضى الذى هيجته وأثرته وهو يسعى نحو الماء وقد استبد به العطش ، فيكون شديده الضراوة . وهذه هى المتعة الثانية . . الفروسية .

(٣٦) الدجن : الغيم الذى يغطي السماء فيحجبها ، أو هو المطار الغزير . ومعجب أى يعجب من رآه . وتقصير يوم الدجن رمز للهو والمرور . والبهكنة : المرأة المليحة الخلوة التى اكتمل بها . والخباء المعمد : الذى ارتفعت عمده . وهذه هى المتعة الثالثة . . المرأة .

(٣٧) البرين : الخلائيل ، واحدتها برة . والدماليج : الأساور ، واحدتها دملج ودملوج . والعشير : شجر من أشجار البادية أبيض ناعم لين العود . والخروج : كل نبات ناعم . ولم يخضد : لم يثن ، من خضد العود إذا ثناه لكسره . يشبه الشاهر ذراعى صاحبه وساقها بالعشر والخروج فى نومتها وليتها وملامتها .

(٣٨) الهامة : طائر فى أساطير الجاهليين يخرج من جسد الميت بعد موته ويظل يحوم حول قبره فترة ثم يخفى ، ولعله تمثل أسطورة الروح . والمصدر : القليل الذى يقطع عن الظمان قبل ريه . يطلب إلى من يلومه أن يتركه يلقى ظمأ روحه إلى الشراب من قبل أن يدرك الموت ولم ينل منه فى حياته إلا القليل الذى يحال بيه ويذته قبل أن يرتوى منه .

- ٣٩ كريمٌ يروى نفسه في حياته
٤٠ أرى قبرَ نَحَامٍ بخيلٍ بماله
٤١ ترى جُثُوتَينِ مِن ترابٍ ، عليهما
٤٢ أرى الموتَ يعتامُ الكرامَ ، ويصطفي
٤٣ أرى الدهرَ كثراً ناقصاً كلَّ ليلةٍ
٤٤ لعنوكَ إن الموتَ ما أخطأ الفتي
- ستعلمُ إن مِنّا خذاً أينما الصّدى
كقبرِ غَيُوىٍّ في البطالةِ مُفسِدِ
صفائحُ صمٍّ من صفيحٍ منضدِ
عَقِيلَةٌ مالٍ الفاحشِ المتشددِ
وما تنقُصُ الأيامُ والدهرُ ينقُصُ
لَكَالطَوَلِ المرثى وثِيابُهُ باليدِ

* * *

(٣٩) الصدى : الظاء المعطشان . وفي رواية أخرى « إن متنا صدى » (على المفعولية) أى إن متنا عطشا ، وفي رواية غيرهما « إن متنا صدى أينما » (على الإضافة) والصدى هنا هو ذلك الطائر الأسطوري . يطلب الى من يلوميه على إسراره في الشراب أن يتركه يطفى ظمأ روحه الى الشراب في حياته ، لأنه ليس على يقين بما بعد الموت ، وكأنه يخشى لائمته الذى حرم نفسه من متع الحياة بأنه لن يجد بعد الحياة شيئا من هذه المتع .

(٤٠) النحام : البخيل الذى يتنحج ويترج إذا سئل ، وكأنه يعامل ويستوف في الإجابة . والفوى : الذى يتبع هواء وينساق وراء لذاته ، من التلى والغواية بمعنى الضلال . يقول إن الموت يسوى بين البخيل الذى عاش حياته حرصا على ماله بخيلا به ، وبين الكريم المصرف الذى يفسد كل ماله في لذاته وغواياته .

(٤١) الجثوة : الكومة من التراب ، يريد بها هنا القبر . والصفائح : جمع صفيحة وهى الحجارة المرصية التى يغطى بها القبر . والصم : الصلابة . والمنضد : الذى تضد فوق القبر أى وضع بعضه فوق بعض . هذه هى النهاية التى ينتهى إليها البخيل والكريم : كومتان من تراب عليهما صفائح من حجارة .

(٤٢) يعتام : يختار ويتقى ، وكذلك معنى يصطفى . والعقيلة : الشئ النفيس الذى يقع عليه الاختيار . والفاحش : الميئس الخلق . والمتشدد : الحريص على ماله ، البخيل به . والبيت تكرر وتأكيده لى البيتين السابقين .

(٤٣) فى رواية أخرى « أرى العيش » ، وفى رواية غيرهما « أرى العمر » . والبيت — على جميع رواياته — استمرار لحديث طرفة عن قضية الموت والحياة التى وقف عند كثير من جوانبها فى الأبيات السابقة .

(٤٤) « ما » فى قوله « ما أخطأ الفتي » مصدرية على تقدير « فى إخطائه الفتي » . والطول : الحبل تربط به الدابة فيطال لها فى المرعى إذا شاء صاحبها ، ويقصر لها إذا شاء . وثيابه : طرفاه لأنهما يشبهان على اليد . والبيت استمرار لحديث الموت والحياة ، يقول إن الإنسان فى يد القدر يتصرف فيه كيف يشاء ، إن شاء أمهله وإن شاء تعجل به ، ولكنه — على الحالين — لا يملك من أمر نفسه شيئا ، فهو كالدابة شدها صاحبها فى حبل طرفاه فى يده ، فهو يرتضى لها الحبل إذا أرخاه ، ولكنه لا يتركها تغلت منه ، حتى إذا شاء جذبها دون أن يكون لها رأى أو إرادة .

- ٤٥ فإلى أرائي وابن عمي مالكا متى أدن منه ينأ عني ويبعد
٤٦ يلوم ، وما أدري علام يلومني ، كما لامني في الحى قرط بن أعبد
٤٧ وأياسني من كل خير طلبته كأننا وضعناه على رمس ملحد
٤٨ على غير ذنب قلته غير أني نشت فلم اغفل حمولة معبد
٤٩ وقربت بالقربي ، وجدك إنني متى يك أمر للنكيسة أمهد
٥٠ وإن أدع ليلى أكن من حماها وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد
٥١ وإن يقدفوا بالقدح عرضك أسقيهم بكأس حياض الموت قبل التهدد

- (٤٥) من هنا ينقل طرفه إلى الشكوى من أفاعله الذين يمثلون جانباً آخر من مشكلات حياته ، بعد أن فرغ من الحديث عن مشكلته الكبرى فيها .
(٤٦) إن طرفة حائر مع أفاعله وموقفهم منه حيرته مع حياته وموقفها منه . إن الموقنين قاضيان أمامه ، لا يعرف حقيقتهما ، ولا يدرك سرهما .
(٤٧) الرمس : القبر . والملحد : الميت الذي دفن فيه . و « على » هنا بمعنى « في » . يقول لأنه ينس من كل خير عنده كأنه قدماء وهيل عليه التراب .
(٤٨) نشت : طلبت . والحمولة : الإبل المحملة بالأحمال أوهى الأجمال نفسها . ومعبد : آخر طرفة ، وكانت لها إبل اغتصبها قوم منها ، فاستعانا ابن عمها مالكا على ردها ، فنخل منها ، وهو ما يشكوه في الأبيات السابقة .
(٤٩) قربت بالقربي : أى أدلت عليه بالقراءة ، يريد ابن عمه مالكا . النكيسة : أقصى الهجود . يعتب على ابن عمه بخليعه عنه ، وتكره لصلة القرابة بينهما التي تقرب إليه بها ، مع أنه لو وقع في شدة تحتاج إلى بذل أقصى جهده لما تخل عنه ، ولأسرع إلى الوقوف معه فيها .
(٥٠) الجلى : الأمر الجليل العظيم ، مؤث الأجل ، كالعظمى والأهظم . والجهد : المشقة والشدة : والبيت تغرب نفسه ، واستمرار في عتاب ابن عمه .
(٥١) القدح : اللفظ القبيح يشتم به . والحياض : جمع حوض . وقوله « قول التهدد » يريد به أنه لا ينظر حتى يهددهم وينذرهم ، وإنما يسارع إلى قتالهم فوراً . والبيت استمرار في عتاب ابن عمه .

الجزء الأول

٢٣٣

- ٥٢ فلو كان مولاي امرءاً هو غيره لفرج كربى أولاً نظرتنى فدى
- ٥٣ ولكن مولاي امرؤ هو خاني على الشكر والتسأل أو أنا مفتدى
- ٥٤ وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
- * * *
- ٥٥ أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه خشاش كراس الحية المتوقد
- ٥٦ فآليت لا ينفك كشيحى بطانة لعضب رقيبى الشفرتين مهند
- ٥٧ حسام إذا ما قت متصراً به كفى العود منه البدء ليس بمعصد

(٥٢) المولى هنا فى البيت التالى بمعنى ابن العم . وقوله « أنظرنى غدى » أى تأنى على وأهلى ولم يتعجل باتخاذ موقف منى . يقول : لو كان ابن عمى شخصاً آخر غير مالك أوفى إلى جانبى يفرج كربى ، ويتأنى فى اتخاذ موقف منى .

(٥٣) قوله « هو خاني على الشكر والتسأل » يريد به أن ابن عمه يفرض عليه أن يتعرض لسؤال الناس وطلب معروفهم وشكرهم عليه ، وكأنه يخفقه بذلك ، أو — كما يقال — يضيق عليه الخناق ، وقد كان فى استطاعته أن يعفيه من ذلك ويحفظ عليه كرامته . وقوله « أو أنا مفتدى » يريد به أنه يفرض على ذلك أو يتركنى وحدى لأحل مشكلتى بنفسى .

(٥٤) المضاضة : وجع المصيبة . والبيت تركيز لموقف طرقة من موقف ابن عمه منه ، وارتفاع به من موقف فردى خاص إلى موقف إنسانى عام .

(٥٥) من هنا تبدأ قطعة الفخر فى المعللة . الضرب : الخفيف . الخشاش : النافذ فى الأمور ذكاه ومضاء وتصيبا . والمتوقد : الكثير الحركة .

(٥٦) آليت : أقسمت . والكشيح : الخاصرة . والعضب : السيف . يقول إنه أقسم ألا يفارق السيف جنبه . يفخر بشجاعته وبأنه دائماً على استعداد لقتال من يفكر فى ظلمه ، وأيضاً لنجدة من يستنجد به .

(٥٧) البيت استقرار فى وصف سيفه . والحسام : القاطع . وقوله « متصراً به » أى متصراً من أى ظلم يزل به . والمعصد : الردى . من السيوف الذى يستخدم فى قطع الشجر . وقوله « كفى العود منه البدء » يريد أن الضربة الأولى به تكفى عن إعادة الضرب به مرة ثانية .

- ٥٨ أُنْحَى ثِقَّةٌ لَا يَنْتَنِي عَنْ ضَرِيْبَةٍ إِذَا قِيلَ مَهْلًا قَالَ حَاجِزُهُ قَدِ
 ٥٩ إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ السِّلَاحَ وَجَدْتَنِي مَنِعًا إِذَا بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي
 ٦٠ وَبَرِّكَ هُجُودٍ قَدْ أَنْارَتْ خَفَافِي نَوَادِيهَا أَمِشِي بَعْضُكِ مَجْرَدِ
 ٦١ فَمَرَّتْ كَهْمَاءُ ذَاتُ خَفِيفٍ جُلَالَةٍ عَقِيلَةُ شَيْخٍ كَالْوَيْسِلِ يَلْتَنِدُ
 ٦٢ يَقُولُ وَقَدْ تَرَّ الْوُظَيْفُ وَسَاقَهَا : أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ آتَيْتَ بِمُؤَيَّدٍ ؟

(٥٨) البيت أيضا استمرار في وصف السيف . « أُنْحَى ثِقَّة » يريد أنه سيف يوثق به ويعلم أن إلى مضانه وقطعه . والضريبة : المضروبة . وقوله « لَا يَنْتَنِي عَنْ ضَرِيْبَةٍ » أي لا يرجع عنها ولا يرتد حتى يجهز عليها . وحاجزه : حده . وقوله « قَدْ » أي قد فرغت وانتهيت من مهنتي . يفنخر بأن سيفه مريع القطع ، إذا قيل له مهلا قال لقد انتهيت من أداء مهنتي .

(٥٩) « إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ السِّلَاحَ » : أي إذا أمرعوا إليه عند الفزع أو النجدة أو إذا نزل بهم أمر مفاجئ . وقوله « بَلَّتْ بِقَائِمِهِ يَدِي » أي ظفرت به وتمكنت منه ، وقائمه : مقبضه ، والضمير يعود على السلاح . والسلاح يذكر ويؤنث .

(٦٠) من هنا ينتقل الشاعر من الفخر بالشجاعة إلى الفخر بالكرم . البرك : الجماعة من الإبل الرافدة في مباركها . والهجود : النيام . وقوله « خَفَافِي » أي خوفها مني . والنوادي : مائدتها خوفا مني ، ويروي « نَوَادِيهَا » أي أوائلها المتقدمة . والمجرد : الذي أخرج من غنده . يصف فرح الإبل حين دخل عليها بسيفه المسلول لينتقي من بينها ناقة ينحرفها لضييفه أو لرفاقه .

(٦١) الكهماء : الضخمة المسنة . والخفيف : جلد الضرع ، يريد أنها ناقة ممثلة الضرع لأنها مرضع . والجلالة : الضخمة . وقوله « عَقِيلَةُ شَيْخٍ » يريد أنها خير ماله وأكرم ، ولعله يريد بالشيخ هنا أحد أعمامه الذين تولوا تربيته بعد موت أبيه . والويسل : العصا الثقيلة الشديدة ، يشبه هذا الشيخ بها . واليلندد : الشديد الخصومة ، صفة الشيخ .

(٦٢) تَرَّ الْوُظَيْفُ : انقطع ، والوظيف : عظام الساق والذراع . يريد أنه نحر هذه الناقة لإكراما لضييفه . والمؤيد : الأمر العظيم ، من « الأيد » وهي القوة والشدة . يقول إن همه ينكر عليه نحر هذه الناقة الغالية .

- ٦٣ وقال : أَلَا مَاذَا تَرَوْنَ بِشَارِبٍ شَدِيدٍ عَلَيْنَا بَغِيَهُ مُتَعَمِدٌ ؟
 ٦٤ وقال : ذَرُوهُ إِنَّمَا نَفَعُهَا لَهُ وَإِلَّا تَرُدُّوْا قَاصِيَ الْبَرْكِ يَزِدُّ
 ٦٥ فَظُلَّ الْإِمَاءُ يَمْتَلِئْنَ حَوَارَهَا وَيُسْعَى عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ الْمُسْرَهْدِ
 ٦٦ فَإِنْ مِتُّ فَأَنْعِنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشُقِّي عَلَى الْجِيبِ يَا ابْنَةَ مَعْبِدِ
 ٦٧ وَلَا تَجْعَلِينِي كَامْرَأٍ لَيْسَ مَهْمُهُ كَهَمِّي وَلَا يُغْنِي غَنَائِي وَمَشْهَدِي
 ٦٨ بَطِيءٍ عَنِ الْجُلِيِّ سَرِيعٍ إِلَى الْخَنَاءِ ذَلِيلٍ بِأَجْمَاعِ الرِّجَالِ مُلْهَدِ

- (٦٣) الضمير في « قال » يعود على الشيخ ، وحديثه عن طرفه ، والخطاب موجه — في أغلب الظن — إلى أهله ، وكأنه ينكر عليه سلوكه الاجتماعي وتصرفاته الطائشة ، فهو في حنيف شديد الظلم لأهله ، صاحب شراب يردد فيه ما لهم ، وكأنه مستمع على نصحه الذي وجهه إليه في البيت السابق . و « بغيه » فاعل لقوله « شديد » و « متعمد » صفة لشديد .
- (٦٤) الضمير في « قال » يعود على الشيخ أيضا ، والخطاب فيه موجه لأهله . يقول إن عمه يتس من نصحه ، ولم يجد أمامه إلا أن يترك له هذه المرة ، فهو يطلب إلى أهله أن يتركوا له هذه الناقة ، وأن يدركوا بقية الإبل النافرة قبل أن يقضى عليها باندفاعه وتهوره وسفهوه .
- (٦٥) الإمام : الجوارى . ويمتلان : يشوين على الجمر ، من « المسلة » وهى الرماد الحار . والحوار : ولد الناقة ساعة تضعه أو قبل أن تقطعه . والسديف : شرائح السنام . والمسرهدي : الناهم اللذيذ الطعم . لقد نحر طرفه للناقة وصنيرها ، ومضى الإمام يشوين لجهما وشحهما ، ويدرن على الرفاق أو على الضيوف بما لذ وطاب منهما .
- (٦٦) ابنة معبد هي بنت عمه الذي أشار إليه في أكثر من موضع من هذه القصيدة . والبيت تأكيد لإحساسه بذاته ، وحسرتة على موقف قومه منه .
- (٦٧) الهم هنا بمعنى الهمة والطموح ، أو بمعنى ما يهم به من الأمور الجليلية . وقوله « لا يغني غنائى ومشهدى » أى لا يستطيع أن يكون مثلى في قعر القبيلة أو أن يقوم مقامى في مجالها .
- (٦٨) الجلى : الأمر الجليل ، مؤنث أجل . والخنأ : الفعش في القول ، والأجماع : جمع جمع (بضم الجيم) وهو أن يقبض الرجل أصابع كفه ويشدها للذكر بها خصمه ويلصكه . والملهد : الذي أصابته اللكة أو اللكة .

- ٦٩ فلو كنتُ وغلاً في الرجال لَضَرَنِي عداوةُ ذِي الْأَصْحَابِ وَالْمُتَوَحِّدِ
 ٧٠ وَلَكِنْ نَفَى عَنِّي الْأَعَادَى بُجْرَاتِي عَلَيْهِمْ وَإِقْدَامِي وَصِدْقِي وَمُحْتَدِي
 ٧١ لَعَمْرُكَ مَا أَمْرِي عَلَى يَغْمَةِ نَهَارِي ، وَلَا لَيْلِي عَلَى بَسَمِدِ
 ٧٢ وَيَوْمَ حَبَسْتُ النَّفْسَ عِنْدَ عِرَاكِهِ حِفَافًا عَلَى عَوْرَاتِهِ وَالتَّهْدِيدِ
 ٧٣ عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الْفَتَى عِنْدَهُ الرَّدَى مَتَى تَعْتَرِكَ فِيهِ الْفَرَائِصُ تُرِيدِ

* * *

(٦٩) الرغل : الضعيف الخامل الذكر . والمتوحد : المنفرد الذي ليس معه أحد . والبيت يعكس ثقته بنفسه وإحساسه بذاته . إنه مطمئن إلى قوته ، فهو لهذا لا يخشى أحدا ، ولا يبالي بعداوة أحد ، سواء أكان منفردا وحده أم مؤيدا بجماعة تقف معه وتناصره .

(٧٠) المحتد : الأصل . والبيت استمرار في التعبير عن ثقته بنفسه وإحساسه بذاته ، وفيه أيضا إشارة إلى اعتزازه بكرم أصله ومرافقة نفسه .

(٧١) الغمة : الأمر الغامض الذي لا يتهدى إلى وجه الحق فيه . والمرمد : الدائم الطويل الذي لا نهاية له . يفتخر بأنه حامي في نصراته ، لا يقف حائرا أمام أي مشكلة تعترضه ، ولا يقضى ليله مؤرقا مفكرا فيها ، وإنما يحسمها ويقطع بال رأي فيها دون تردد .

(٧٢) حبست النفس أي صيرتها . والعراك : ازدحام القوم عند القتال . والعورات : الأفعال التي تسمى إلى سمعة الإنسان . والتهدد : يريد به تهديد الأعداء له . يفتخر هنا بشجاعته ، وبلائه في القتال ، وصبره في الحرب ، وحفاظه على حسن السمعة وطيب الأحدوث .

(٧٣) « على موطن » متعلق بالفعل « حبست » في البيت السابق . والموطن هنا يريد به ساحة القتال وميدان المعركة . وتترك : تشتبك في القتال . والفرائص : جمع فريضة وهي العضلة التي يلتصق عندها الصدر بالكتف ، وهي أول ما يرتعش من الإنسان والحيوان عند الخوف والفرع . يؤكد هنا شجاعته ، فيفتخر بقوة قلبه وثبات أعصابه في مواطن الخوف والفرع في ساحات القتال .

- ٧٤ أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيداً غداً ، ما أقرب اليوم من غد !
 ٧٥ سُبْدِي لَكَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ
 ٧٦ وَيَأْتِيكَ بِالْأَنْبَاءِ مَنْ لَمْ تَبْسُغْ لَهُ بَنَاتًا ، وَلَمْ تَضْرِبْ لَهُ وَقْتَ مَوْعِدِ

* * *

(٧٤) الأعداد : جمع عد (بالكسر) وهو الماء الجاري الذي لا يتقطع . من هنا يبدأ الشاعر مجموعة من الحكم تعكس إحساسه بالحياة يحتم بها قصيدته . إن الموت مورد لا بد أن ترده كل نفس ، وهو مورد لا يتقطع وورود الأحياء له ، فن لم يرده اليوم فسوف يرده غداً ، وما أقرب اليوم من غد !
 (٧٥) « من لم تزود » : أى من لم تبعث به فى طلبها .
 (٧٦) البنات : الزاد . وباع هنا بمعنى اشترى .

* * *

يوسف خليف

(٢)

رَأْيَةُ « هِر »

العَوْدَةُ

* * *

تعد هذه القصيدة الطويلة التي تبلغ أربعة وسبعين بيتاً رائعة طرفة الثانية بعد المعلقة ، وهى من شعره الموثق الذى صححه الرواة ، فلا يحيط بها شك فى صحة نسبتها إليه .

والقصيدة — كما يبدو من نهايتها — نُظِمَتْ بعد أن صفا الجوّين طرفة وقومه ، وزالت الجفوة التى كانت بينهما ، وانتهت القطيعة التى أفسدت علاقة القربى بينهما ، وانقضت الغشاوة التى يعترف طرفة بأنها كانت تُغشى عليه ، فتحجب الرؤية الصحيحة عنه ، وتردُّ بصره عن إدراكها على حقيقتها . لقد كان طرفة متمرداً على قومه ، فاضياً منهم ، مُقَاعِطاً لهم ، ربما بسبب موقف أعمامه منه ومن أمه بسبب طمعهم فى ميراث أبيه . وهو فى ختام هذه القصيدة يُعلن تصحيح الموقف بينه وبينهم ، ويصرّح بأن الأمور قد عادت إلى نصابها ، أو — على حد تعبيره الذى أصبح مثلاً — « قد صَابَتْ يَقْر » .

ومن اليسير أن نقسم القصيدة إلى موضوعين أساسيين :

الموضوع الأول غزل طويل بصاحبة له اسمها « هِر » ، يقف فى بدايته بأطلال ديارها التى رحلت عنها مع قومها ، ويصف زيارة طيفها له فى أحلامه

وهو يُشَقُّ طريقه في رحلة طويلة شاقة في أعماق الصحراء ، ثم يتغنى بجمالها وحسنها ، ويرسم لوحة رائعة لها . وهو موضوع يشغل من القصيدة ثمانية وعشرين بيتا ، مما يدفعنا إلى رفض أن يكون هذا القسم منها مقدمة تقليدية لها ، فهو — في الحقيقة — موضوع أساسي فيها .

والموضوع الثاني نخر عريض بقومه ، يتغنى فيه بأبجادهم ومفاهيمهم ، ويسجل شجاعتهم في ساحات الحرب ، وحكمتهم في أوقات السلم . ويقف طويلا — في أثناء هذا الفخر — أمام خيلهم ، فيصفها وصفا على قدر كبير من الغرابة اللغوية والحرص على التفاصيل يُذكرنا بوصفه المشهور لناقته في معلقته . حتى إذا ما انتهى من هذا الفخر العريض أخذ يمهّد لنهاية قصيدته بحديث يأنّص فيه الموقف بينه وبين قومه : كيف كان ؟ وكيف أصبح ؟ وينتهي منه وقد اعترف بما وقع منه في حقهم ، مستجلا فرحته وارتياحه لعودة العلاقات بينهم كما كانت ، وعودة المياه التي كدّرتها القطيعة إلى مجاريها الصافية العذبة .

والقصيدة تعدّ من أجمل قصائد الشعر الجاهلي في تعبيرها عن تجربة إنسانية فريدة مرّ بها طرف في حياته القصيرة التي مرت كسحابة من سحب الصيف العابرة ، وأيضا في تعبيرها عن تلك العلاقة الجاهلية التي تربط بين الفرد والقبيلة ، وما كانت تثيره في بعض الأحيان من مشكلات اجتماعية .

وأهم ما يميّزها هذا الأسلوب الصافي الذي ينساب في مهولة ويسر على امتداد أبياتها ، وهذه الموسيقى العذبة الرقيقة التي تترقّق من خلالها ، وهي موسيقى أتاحها بحر « الرمل » الذي اختاره لها . وهو بحر يمتاز بموسيقاه الانسيابية المهدئة التي تعكس الإحساس بغدير رقيق ينساب في رقة ووداعة بين ضفائر شجيرات من الصّفصاف متهدّلة فوق مياهه الصافية .

وتمتاز القصيدة أيضا بهذا الحرص الواضح على رسم صورها الفنية ، وهذه العناية البالغة باستكمال ألوانها وخطوطها و زيناتها الصغيرة ، ووضع اللسات الفنية الأخيرة عليها .

وهى — إلى جانب هذا كله — تعكس مشاعر شابٍ مرهق حاد الإحساس بالمرأة والطبيعة والحياة ، تتراءى من خلالها اندفاعاته الجريئة ، وحسنيته التي تكشف عن نفسها من حين إلى حين ، وإيمانه بذاته وشخصيته ووجوده . ولكنها — مع ذلك — تعكس من طرفٍ خفى إحساسه بالضيق والحيرة والقلق في مجتمع الحق فيه للقوة ، « وَمَنْ عَرَّ فِيهِ بَرْ » — كما كانوا يقولون . وما الذى يملكه طرفه — وهو الشاب الصغير الذى لم تصهره تجربة الحياة — أمام قومه الذين ينكرون عليه حقه فى الحياة إلا هذه الحيرة التي تدفعه مرة إلى رفضهم والبعد عنهم ، ومرة أخرى إلى الاعتراف بهم والعودة إليهم ؟ إنه فى النهاية لا يملك إلا « العودة » إليهم بعد أن قرروا هم « العودة » إليه ... وعفا الله عما سلف !

* * *

١ أَمْحُوتَ الْيَوْمَ أُمَّ شَاقَتِكَ هَرٍّ ؟ وَمِنْ الْحُبِّ جَنُوتٌ مُسْتَعِيرٌ

٢ لَا يَكُنْ حُبِّكَ دَاءً قَاتِلًا لَيْسَ هَذَا مِنْكَ ، مَاوِيٌّ ، يُحَقُّ

(١) يبدأ الشاعر قصيدته بمقدمة تتداخل فيها صورتان من صور المقدمات التقليدية : المقدمة

الغزلية ومقدمة الطيف . ويريد بالصعوبة هنا الرجوع عن نوازع الحب والصبا . وهر : أمم صاحبه . والمتنصر : الملتب المشتعل .

(٢) ماوى : نادى مرغم لماوية وهو اسم صاحبه ، وهى نفسها هراوى التي ذكرها فى البيت

السابق . وظاهرة تعدد أسماء المحبوبة فى القصيدة الواحدة ظاهرة مألوفة فى الشعر الجاهلي . وقوله « ليس هذا منك ماوى بجر » يريد أنه ليس تصرفا كريما منها .

- ٣ كيف أرجو حُبها من بعدما علق القلب بنصب مُستَسر ؟
 ٤ أرق العين خيال لم يقر طاف والركب بصحراء يمر
 ٥ جازت اليد إلى أرحلنا آخر الليل بيعفور خذر
 ٦ ثم زارتني ، وصحبي هُجَّع ، في خليط بين برْدٍ ونيمر
 ٧ تحلس الطرف بعين برغيز وبخدي رشا آدم غمر
 ٨ وعلى المتين منها وارد حسن الثبت أثبت مُسبكر

- (٣) النصب (بضم النون) : العناء والتعب مثل النصب (بفتح النون) ، وفي القرآن الكريم « بنصب وهزاج » (ص ٤١) . وعلق القلب به أى تعلق به . والمستسر : الكامن فى أعماق القلب .
 وقوله « كيف أرجو حُبها » يريد به — كما يقول الشراح القدماء — كيف أرجو نسيان حُبها .
 (٤) من هنا تدخل مقدمة العليف مع المقدمة الغزلية . الخيال : العليف وقوله « لم يقر » : أى لم يستقر ، يريد أنه لم يحك طويلاً . وصحراء يسر : اسم صحراء بالمنطقة الشرقية من الجزيرة العربية .
 يصف زيارة طيف صاحبه له فى أحلامه ، والقافلة منطلقاً فى أعماق هذه الصحراء .
 (٥) الضمير فى « جازت » يعود على صاحبه التى زاره خيالها واجتاز إلى الصحارى الشاسعة حتى وصل إليه . ويحدد زيارة الطيف له بآخر الليل لأنه وقت نزول القوافل لراحة . واليعفور : الغلي الذى أشرب لونه بالحجارة . والخدر : البلى . الحركة الفاتراخلطوات ، يشبه صاحبه به .
 (٦) هجج : نيام ، جمع هاجج . وقوله « فى خليط » متعلق بزارتنى ، أى خصتنى بزيارتها وأنا بين أفراد القافلة المسافرين . معنى من قبائل مختلفة . وبرد وتمر : قبيلتان . وبعض الشراح القدماء يفسرهما على أنهما ضربان من الثياب : البرد ثوب من وثنى ، والنمرة شملة من صوف ، كأنه يقول إنها زارته فى أحلامه وهو ملتف فى هذين الثوبين من برد الصحراء فى الليل .
 (٧) تحلس الطرف : تسارق النظر . والبرغز : ولد البقرة الوحشية ، يشبه عينها الجليتين الصافيتين بعينه . والرشا : ولد الضبية . والآدم : الأبيض البطن ، الأسمر الظاهر . والنمر : النمر . النافل لصغره وحداثة سنه ، يشبه خديها الأسيلين الناعمين بخديه .
 (٨) المتنان : جاتبا الظاهر . والوارد : الشعر الطويل المتسدل الذى يصل إلى أردانها كأنه يرددها . والأثيث : الغزير الملتف . والمسبكر : الطويل الممتد .

- ٩ ولما كَشَحَا مِهَاءَ مُطْفِئٍ تَقَسَّرَى بِالرَّمْلِ أَفْنَانَ الزَّهَرِ
١٠ جَابَةُ الْمِدْرَى حَذُولٌ مُغْزِلٌ تَنْفُضُ الضَّبَالَ وَأَفْنَانَ السَّمَرِ
١١ بين أَكْنَافٍ خُفَافٍ فَالْلَوَى تُحْرِفُ تَحْنُو لِرَخِصِ الظَّلْفِ حُرْ
١٢ تَحْسَبُ الطَّرْفَ عَلَيْهَا نَجْدَةً يَا لَقُومِي لِلشَّبَابِ الْمُسْبِكِ !
١٣ حيثما قَاطَظُوا بِنَجْدٍ وَشَتَا حَوْلَ ذَاتِ الْحَاذِ مِنْ ثَنِيٍّ وَقُرْ
١٤ فَالَهُ مِنْهَا عَلَى أَحْيَانِهَا صَبُوءُ الرَّاحِ بِمَلْدُوذٍ خَصِرْ

(٩) الكشح : الخصر . والمهاة : البقرة الوحشية . والمطفل : التي أنجبت صغيرها فهي تحنو عليه وتمنحه كل مشاعر الأمومة . وتقسرى : تنبثق . والأفنان : الأغصان ، جمع فن . يرسم للهواة الأم هذه اللوحة الجميلة المعبرة .

(١٠) المدرى : القرن . وجابة المدرى (تسميل الحمزة وبإثباتها) : الذي بدأ قرنها في الظهور ، يريد أنها صغيرة السن . والحذول : التي انفردت وحدها عن القطيع وتخلفت عنه . والمنزل : التي تراعى صغيرها . والضال : أشجار السدر البرى . وتنفضه : أى تنفضه بقرنها ليتساقط ثمره لترعاه . والسرير : شجر من أشجار البادية . والبيت استقرار في رسم لوحة البقرة الوحشية ، وإضافة ألوان وسخاوط جديدة إليها .

(١١) الأكناف : النواحي . وخفاف واللوى : موضعان . والمحرّف : التي دخلت في فصل الخريف . والرخص : اللين ، يصف أظلالها بأنها رخصة لأنها ما زالت صغيرة السن . والحر : الكريم . والبيت استقرار في وضع خطوط وألوان جديدة على اللوحة التي يرسمها الشاعر لهذه البقرة .

(١٢) النجدة هنا بمعنى الشدة ، والمعنى أنها — لشدة حياتها أو لفرط رقتها — تحسب رفعها طرفها للنظر أمرا شديدا هائبا . والشباب المسبكر : الشباب المكتمل التام .

(١٣) ذات الحاذ وقور : موضعان . والثنيان : الجاثبان . وقاظوا : دخلوا في قبض الصيف ، وشتوا : دخلوا في فصل الشتاء ، والضمير فيهما يعود على قومه .

(١٤) على أحياتها : أى في كل وقت ، في كل الأحيان . والراح : الخمر . والملدوذ : اللذيد . والخصر : البارد . يصف استمتاعه بها في كل مكان وفي كل زمان ، ويشبه رضاب ثمرها بثمر صافية مزججت بماء بارد لذيد . والبيت متعلق بالبيت السابق .

- ١٥ إِنْ تَنَوَّلَهُ فَقَدْ تَمَنَّهُ وَتُرِيهِ النَّجْمَ يَجْرَى بِالظُّهْرِ
١٦ ظَلٌّ فِي عَسْكَرَةٍ مِنْ حُبِّهَا وَنَاتٌ .. شَحْطَ مَزَارِ الْمَدِّكَرِ !
١٧ بَادِنٌ تَجَلُّوْا إِذَا مَا ابْتَسَمَتْ عَنْ شَتِيتٍ كَأَفَاجِ الرِّمْلِ قُصْرُ
١٨ بَدَلَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ مَنِيَّتِهِ بَرْدًا أَيْضَاصُ مَصْقُولِ الْأَشْرُ
١٩ وَإِذَا تَضَحَّكَ تُبْدِي حَبِيبًا كُرْضَابِ الْمَسْكِ بِالمَاءِ الْخَصْرِ

(١٥) قوله « إِنْ تَنَوَّلَهُ فَقَدْ تَمَنَّهُ » يريد به أنها ليست سهلة المنال ، فإذا أحطته مرة ما يطلبه منعته مرة أخرى . وهو يؤكد ذلك بالصورة التي يرسمها في الشعر الثاني : إنها لا تمتاعها عليه بحمله مشقة وعناء كأنها تريه النجوم في وقت الظهر ، كأنما يظلم نهاره ويحول ليلا تظهر فيه النجوم . . صورة من الصور الطريفة في الشعر القديم ما زالت تتردد في أمثالنا الشعبية حتى اليوم .

(١٦) العسكرة : الحيرة والشدة ، وهي كلمة فارسية ، والمساكر (جمعها) هي الأحوال التي يركب بعضها بعضا . وقوله « شَحْطَ مَزَارِ الْمَدِّكَرِ » تعجب ، يريد به « ياشحط مزار المدكر » أى ما أهده ! والشحط : البعد . والمدكر : المتذكر . يقول إنها حيرته وبعدت عنه ، وما أبعد المسافة بينهما !

(١٧) بادن : بمنزلة الجسد . والشتيت : المنفرد ، صفة للنفر . والأفاحى والأفاح : جمع أخوان ، وهو شجر عطري زهره أبيض ناصع ، يتردد في الشعر العربي القديم تشبيه الأسنان به . والفِر : البيض ، جمع أغر وغراء ، يريد أسنانها .

(١٨) الضمير في « بَدَلَتْهُ » يعود على النفر . والبرد : قطع الثلج . والأشْر : تحزير يكون في أطراف الأسنان ، وهو من سمات الجمال عند العرب ، ولذلك كانوا أحيانا يصطنعونه . والشعر الأول يشير إلى عادة شعبية كان العرب في الجاهلية يفعلونها ، وما زلنا حتى اليوم نفعل مثلها ، فكانوا إذا سقطت سن أحدهم فذفها نحو عين الشمس وهو يقول : يا شمس أعطيك سنا من عظم ، فأعطيني سنا من فضة .

(١٩) الحبيب كالحياء (بفتح الحاء) : الفقايق التي تطفو فوق الماء ، يشبه بها أسنانها . وكرضاب المسك : قطعه المفتتة ، وفي معلقة امرئ القيس « فتيت المسك » ، ومعنى الكلمتين واحد . يشبه رضاب نثرها بقطع المسك المزوجة بالماء البارد عطرا وطعما .

٢٠. صَادَفْتُهُ حَرْجَفٌ فِي تَلْعَةٍ فَسَجَا وَسَطَهُ بِلَاطٍ مُسَبِّطٍ
٢١. وَإِذَا قَامَتْ تَدَاعَى قَاصِفٌ مَالٌ مِنْ أَعْلَى كَثِيبٍ مُنْقَعِرٍ
٢٢. تَقْرُدُ الْقُرْبَحَرَّ صَادِقٍ وَعَيْكَ الْقَيْظُ إِنْ جَاءَ يَقْرُ
٢٣. لَا تَأْتِنِي، إِنَّمَا مِنْ نِسْوَةٍ رُقْدِ الصَّيْفِ مَقَالِيَتْ تَزُرُ
٢٤. جَعَوْنِي يَوْمَ زَمُوا عَيْرَهُمْ بِرَخِيمِ الصَّوْتِ مَلْثُومٍ عَطِرٍ

* * *

- (٢٠) الضمير في «صادفته» يعود على الماء الخضر في البيت السابق . والحرجف : الريح الباردة . والتلعة : مسيل الماء إلى الوادي ، أى الربوة المرتفعة التى يسيل منها الماء إلى الوادي .
ومجى : سكن واستقر . والبلاط : الحجارة المستوية الملساء . والمسبطر : السهل الممتد . والبيت لوحة جميلة يرسمها الشاعر — كما دلت في التصوير — لهذا الماء الذى يشبه به رضاب ثغر صاحبه : هذا الماء البارد ينساب من ربوة مرتفعة إلى وادٍ شكلت قاعه حجارة مستوية ملساء فاستقر عليها ، وأخذت ريح الشمال الباردة تهب عليه فتزيد من برودته .
(٢١) تداعى : تصافى واتها . والقاصف : الرمل المتداعى . والمنقعر : الذى انهار من أساسه .
يصف امتلاء جسدها وليونته وعدم تماسكه ، ويشبه برمال ناعمة تنال من أعلى كثيب إنهار من أساسه فلا يقوى على التماسك .
(٢٢) القر : البرد . وعيك القَيْظ : الحر الشديد الذى تسكن معه الريح ويأخذ بالأنفاس حتى لتكاد تختنق . يقول إنها تمنع صاحبها في حر الصيف بطراوتها ، كما تتمتع في برد الشتاء بدقتها .
(٢٣) قوله «رقد الصيف» كناية عن الحياة الناعمة الرخية التى يقوم على خدمتها فيها من يكفها . العمل ، ويتيح لمن هجته الظهيرة المسترخية في أيام الصيف . والمقاليت : جمع مقالات وهى التى لا يعيش لها ولد . والزود : جمع زور وهى القليلة الأولاد . يريد أنهن ما زلن محتفظات برشاقتن لم يذهب بها حمل ولا رضع ولا رضاعة ، وما زلن معنيات بأنفسهن لم تشغلن شواغل الأولاد ومسئولياتهم . صورة من الصور الغريبة للنادرة في الشعر العربي .
(٢٤) العير : إبل القافلة . وزموا : شدوا استعدادا للرحيل . يصف يوم الرحيل ، يوم رحلت صاحبه وقومها . والرخيم : الصوت الرقيق الناعم اللين . والمثلوم : الذى يحمل ثلثه وتقبيله ، يريد صاحبه . ومعاملة هذه الصفات معاملة المذكر على تقدير أن الموصوف كلمة «حبيب» . وإلى هنا تنتهى هذه المقدمة الغزلية الطويلة (٢٨ بيتا) التى اخترنا منها هذه الأبيات .

- ٢٥ وبِلَادِ زَمِيلِ ظِلْمَانِهَا كَالْمَخَاضِ الْجُرْبِ فِي الْيَوْمِ الْخَدِرِ
٢٦ قَدْ تَبَطَّنَتْ وَتَحْتَى جَسْرَةً تَتَّقِي الْأَرْضَ بِمَلْشُومٍ مَعْرُ
٢٧ فَمَرَى الْمَرُوءَ إِذَا مَا هَجَرَتْ عَنْ يَدَيْهَا كَالْفَرَاشِ الْمَشْفَرِ
٣٨ ذَاكَ عَصْرٌ ، وَعَدَانِي أَنِّي نَابِئِي الْعَامَ خُطُوبٌ غَيْرُ سِرِّ
٢٩ مِنْ أَمُورٍ حَدَّثَتْ أَمْثَالُهَا تَبْتَرِي هُودَ الْقَوِيَّ الْمُسْتَمِرِّ
٣٠ وَتَشْكِي النَّفْسُ مَا صَابَ بِهَا فَاصْبِرِي ، إِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ صَبْرٌ

- (٢٥) الظلمان : جمع ظلم وهو ذكر النعام . والزعل : التشيط . والمخاض : النوق الحوامل ، يشبه بها النعام ، وقد وصفها بأنها « جرب » ليكسوها لون القطران الأسود الذي يعالج به . واليوم الخدر : الذي يشتد فيه البرد أو المطر فتختفي فيه هذه النوق في خدورها ، يشبه بها قطعان النعام في اجتماعها وكثرتها . ومن هنا تبدأ قطعة الفخر في القصيدة .
- (٢٦) تبطننت : دخلت في أعماقها . والجسرة : الناقة النشيطة الجريئة على أهوال الصحراء . والمثلثم هنا يريد به خف الناقة الذي احتكت به الحجارة فأدمنته ، كأنها تلمسه وتقبله . والمر : الذي ذهب ما حوله من الشعر ، كناية عن كثرة الأسفار .
- (٢٧) المرور : الحجارة البيض . وهجرت : سارت في الهجرة وهي وقت الظهيرة . والمشفر : المتفرق . يصف شدة ناقته في سيرها ، واندفاعها في حرا الهجرة ، فتراه له حجارة الصحراء وهي تتطاير بين يديها كالفرش المتفرق في كل ناحية .
- (٢٨) ذاك عصر : أي ذلك عصر قد مضى وتولى . وعداني : أي صرفني اليوم عن مثل ذلك . وخطوب غير مر : أي أمور عظيمة ظاهرة وليست خافية على أحد .
- (٢٩) حدثت أمثالها : أي تكررت وتناهت . تبتري : تبتري بشدة وعنق . المستمر : القوى الشديد ، من المرة (بكسر الميم) وهي الشدة والقوة ، وفي القرآن الكريم « ذو مرة فاستوى » (النجم ٦) . وبرى العود هنا تصوير لقسوة هذه الخطوب وشدة وقعها عليه وتأثيرها فيه .
- (٣٠) تشكي : أي تشكو مرة بعد مرة ، وأصلها « تشكي » حذف إحدى تاءها تخفيفاً . ما صاب بها : ما نزل بها وأصابها ، وصاب وأصاب بمعنى واحد . وصبر : جمع صبور . يفنخر بنفسه وبقومه ، يفنخر بالصبر عند الشدة .

٣١ إِنْ نُصَادِفْ مُنْفِيسًا لَا تَلْقَنَا فُرَحَ الْخَيْرِ ، وَلَا تَكْبُو لِضَرِّ
 ٣٢ أَشْدُ غَابٍ ، فَإِذَا مَا فَرَّهَوَا غَيْرُ أَنْكَاسٍ وَلَا هُوجٍ هُذُرُ
 ٣٣ وَلِيَّ الْأَصْلُ الَّذِي فِي مِثْلِهِ يُصْلِحُ الْآبِرُ زَرْعَ الْمُؤْتَبِرِ
 ٣٤ طَيِّبُ الْبَاءَةِ سَهْلٌ ، وَلَهُمْ سَبِيلٌ إِنْ شُئْتَ فِي وَحْشٍ وَعَيْرِ
 ٣٥ وَهُمْ مُاهِمٌ إِذَا مَا لَيْسُوا تَسْجَ دَاوُدَ لِبَاسٍ مُحْتَضِرِ

(٣١) المنفس : الشيء الذى يتنافس الناس فيه . وفرح (بضمتين) جمع فرح بمعنى فرح (بكسر الراء) . وتكبى : نثر وتسقط . والضرب : الشدة . واليت استمرار فى الفخر ، يفتخر بأنهم أقوى من أن تتلاعب بهم الأيام فى تقلبها بين الخير والشر ، فلا الفرح يطفئهم ، ولا للضر يذهبهم .
 (٣٢) الغاب : جمع غابة . وفرهوا : أى للحرب ، يريد إذا خرجوا لها . والأنكاس : جمع تكس (بكسر النون) وهو الضعيف الهمة . والهوج : جمع أهوج وهو الأحمق . والهذر : جمع هذور وهو الكثير الكلام فى غير فائدة . يفتخر بشجاعة قومه وبرأتهم وقوتهم وثباتهم فى الحرب .
 (٣٣) الآبر : الذى يصلح النخل والزروع . والمؤتبر : الذى يستدعيه لإصلاح نخله أو زروعه . واليت تمثيل لمراقبة أصله وكرم منته . وأن المعروف لا يضيع بينهم ، وفعل الخير لا يذهب عندهم .
 سدى .

(٣٤) الباءة : الساحة والفناء . والوحش : المتوحش . والوعر (بكسر العين) كالوهر (بسكونها) : ضد السهل . يقول إن ساحتهم مهلة طيبة لمن يطلب معروفهم . ولكنها وهرة خشنة لمن يريدهم بسوء .

(٣٥) قوله « وهم ماهم » تعبير يؤدى معنى التعظيم والتفخيم والإعجاب . وتسج داود هى الدروع التى علم الله نبيه داود صنعها ، وكان العرب فى الجاهلية يعرفون ذلك ، واهلهم صرّفوه عن طريق اليهود الذين كانوا يعرفون صناعة السلاح وبيعته للعرب ، وفى القرآن الكريم فى سورة الأنبياء (الآية ٨٠) « وعلّمناه صنعة لبوس لكم لنحصنكم من بأسكم » وفى سورة سبأ (الآية ١١) « وألنا له الحديد . أن اعمل سابغات وقدر فى السرد » . والباس : شدة الحرب . والمحتضر : الحاضر .

- ٣٦ وَتَسَاقَى الْقَوْمُ كَاسًا مُرَّةً وَعَلَا الْخَيْلَ دِمَاءٌ كَالشَّقَرِ
 ٣٧ ثُمَّ زَادُوا أَنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ غُفْرٌ ذَنْبُهُمْ غَيْرُ نَجْرٍ
 ٣٨ لَا تَعِزُّ الْخُمُرُ إِنْ طَافُوا بِهَا بِسَبَاءِ الشُّوْلِ وَالْكُومِ الْبُكْرِ
 ٣٩ فَلَإِذَا مَا شَرِبُوهَا وَانْتَشَوْا وَهَبُوا كُلَّ أُمُومٍ وَطِمِزٍ
 ٤٠ ثُمَّ رَاحُوا عَبَقَ الْمِسْكِ بِهِمْ يُنَحِّفُونَ الْأَرْضَ مُدَابَّ الْأُزْرِ
 ٤١ وَرَثُوا السُّودَّ مِنْ آبَائِهِمْ ثُمَّ سَادُوا سُودَّدًا غَيْرَ زَمَرٍ

(٣٦) تساقى : أى سقى بعضهم بعضاً . والشطر الأول تمثيل لاشتداد الحرب ، واحتدام القتال ، وتساقط القتلى والجرحى من الفريقين . والشعر : شقائق النعمان ، وهو زهر أحمر يشبه الشاعر بلونه دماء المتقاتلين التى غطت أجساد الخيل .

(٣٧) غفر : جمع غفور ، ومثله نجر . يقول إن قومه يزيدون على كل هذه المفاتر والأجناد أنهم يغفرون ذنب من يخطئ . من قومهم فيهم ، ولا يأخذهم الزهوب بما يفعلون . وكأنه يقول لهم يقدرون للقرب حقها .

(٣٨) لا تمز الخمر : أى لا تمز عليهم لغلاء ثمنها . والسباء : شراء الخمر . والشول : جمع شائلة وهى الناقة التى مضى عليها من ولادتها ستة أشهر أو سبعة فشالت ضرعها أى جفت . والكوم : جمع كوما وهى الناقة العظيمة السنام . والبكر : جمع بكور وهى التى بكرت بنتاجها . يقول لهم لا يرضون على الخمر بأغلى إيلهم ، ولا تمز عليهم مهما غلا ثمنها . والبيت استمرار فى الفخر .

(٣٩) الأمون : الناقة القوية التى يؤمن غنارها . والطمر : الفرس الطويل النشيط . يقول لهم إذا شربوا وانتشوا وهبوا كرام إيلهم وعجلهم .

(٤٠) عبق المسك : عطره . ولحفون الأرض : أى يغطونها . والأزور : جمع إزار وهو الثوب . يفخر بأنهم قوم مترفون متمعون ، لانفارتهم رائحة المسك الذى يتغطون به ، وإذا مشوا جروا أهداب ثيابهم السابقة خيلاء وتبها .

(٤١) السودد : المجد والشرف والسيادة . والزمر : القليل . يفخر بأنهم سادة أمجاد أشراف ورائة واكتساباً ، سوددهم تليد وطريف .

- ٤٢ نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فبنا ينتقى
 ٤٣ حين قال الناس في مجلسهم : أقنار ذاك أم ريج قطر ؟
 ٤٤ يجفان تفتري نادينا من سيدف حين هاج الصنير
 ٤٥ كالجوابى لا تني مرقعة لفرى الأضياف أوللمحتضر
 ٤٦ ثم لا يخزن فبنا لحمها إنما يخزن لحم المدخر

(٤٢) المشتاة : زمن الشتاء والبرد ، وفيه يصبح الكرم عند البدوى له معناه ودلالته وقيمته ، ويردد كثيراً في الشعر الجاهلي افتخار البدر بالكرم في هذا الفصل الشديد القسوة على البادية . والجفلى : الدعوة العامة إلى الطعام لا يخص أحداً بعينه . ويختار : يدعو النقرى ، وهى الدعوة الخاصة إليه . والآدب : الذى يدعو الناس إلى مآدبه ، والمأدبة : الوليمة . يقتربانهم كرماء ، ولا تهمهم عامة الجميع ، لا يحرصون بها أحداً دون أحد .

(٤٣) القنار : رائحة اللحم المشوى . والقطر : خشب اللعود الذى يستخدم فى البخور . البيت استمرار فى حديث الكرم ، وطرفة فيه — على أسلوبه فى التصوير — يضيف إلى لوحته خطوطاً وألواناً جديدة . إن الناس حين تصل إلى أنوفهم رائحة الشواء الذى يعدده قومه لضيوفهم تختلط عليهم برائحة البخور لطيبها ونفاذاً ، ولشدة اشتباثهم اللحم لما هم فيه من جهد وشدة بسبب قسوة الشتاء عليهم .
 (٤٤) الجفان : جمع جفنة وهى قصعة الطعام . والنادى : مجلس القوم للسرور والحديث . والسديف : شرائح السنام . والصنير : أشد البرد . يستمر طرفة فى إضافة خطوط وألوان جديدة إلى لوحته التى يرسمها لكرم قومه .

(٤٥) الجوابى : جمع جابية وهى الحوض الضخم يجمعون فيه الماء ، من جى الماء فى الحوض أى جمعه فيه . لا تني : أى لا تزال . والمترعة : الممتلئة حتى آخرها . والقرى : إكرام الضيف . والمحتضر : النازل على الماء ، من المحاضر وهى المياه ، مفردتها محضر . والبيت استمرار فى رسم لوحة الكرم . إن جفانهم ضخمة كأنها الجوابى ، وهى معدة دائماً لضيوفهم وجيرانهم النازلين على مياههم .
 (٤٦) يخزن : يتغير طعمه ورائحته ، من نزن اللحم (من باب فرح ونصر) إذا خزنه صاحبه حتى فسد . والمدخر هنا : الذى يدخر لحم اليوم إلى غده . يقول إنهم ينهرون كل يوم ، ولا يقدمون لضيوفهم إلا اللحم الطازج .

- ٤٧ ولقد تعلم بكر أننا آفة الجزر مسايح يسر
 ٤٨ ولقد تعلم بكر أننا فاضلو الرأي ، وفي الرزع وقز
 ٤٩ يكشفون الضر عن ذى ضرهم ويبرون على الآبي المسير
 ٥٠ فضل أحلامهم عن جارهم رجب الأذرع ، بالخير أمر
 ٥١ دلق في غارة مسفوحة ولدى الباس حمة ما نفر
 ٥٢ تمسك الخيل على مكروها حين لا تمسكها إلا العبر

(٤٧) بكرهى قبيلته الكبرى . والجزر : جمع جزر ، وهو البعير الصغير ينحر عادة لطيب لحمه .
 والمسايح : أصحاب الخلق السطح السهل . والبسر : جمع يسير ويسور ، وهو الذى يشارك فى الميسر ،
 وكان الميسر فى الجاهلية على الإبل ينحرونها ويقسمونها ويضربون عليها القداح .

(٤٨) فاضلو الرأي : أى أن رأيهم يفضل آراء غيرهم . والروع : الخوف والفرع ، يريد الحرب .
 والوقر : جمع وقور . يفخر برجاعة رأيهم فى السلم ، وبرزانتهم وثباتهم فى الحرب .
 (٤٩) يبرون : يظلمون ويظهرون . والآبى : الآبى الذى يمنع على غيره فلا يقهر . والمبر : الغالب
 المنتصر . والبيت استمرار فى حديث الفخر .

(٥٠) فضل أحلامهم : أى أن حلمهم واسع يز يد على حاجة جيرانهم إليه . يريد أنهم يعرفون
 بخارهم حقه ، ولا يقابلون جهله بجهل منهم ، وإنما يقابلونه بالحلم والعفو والصفح . ورجب : جمع
 رجب ، ورجب الأذرع كناية عن سعة الصدر والتسامح . وأمر : جمع أمور ، وهو الكثير الأمر ،
 صيغة مبالغة . يفخر بأنهم حلماء متسامحون أمارون بالخير .

(٥١) الدلق : المرهون المتقدمون المدفعون ، جمع دلق . والمسفوحة : المصبوبة ، يريد
 غارة شديدة كأنها تصب على العدو صبا . يفخر بالجرأة والشجاعة ، فهم يسرعون إذا ما دعاهم داعى
 الحرب ، وإذا ما اشتدت نيرانها وحى وطيسها ثبتوا وصبروا يدفعون عن حاهم ، ويحمون حرماهم ،
 ولم يفكروا فى الفرار .

(٥٢) تمسك الخيل على مكروها : أى تثبت على ظهورها فى ساحات الحرب ، وتصبر عليها
 وتمسك بها حين يشتد القتال وينال منها الجهد حتى لا تفر .

- ٥٣ حين نادى الحى لما فزعوا ودعا الداعى وقد لجّ الذعر :
- ٥٤ أيها الفتيان في مجلسنا جردوا منها ورادا وشقرو
- ٥٥ أعوجيات طوالا شربا دُوخل الصنعة فيها والضمير
- ٥٦ من يعايب ذكور وقبح وهضبات إذا ابتل العذر
- ٥٧ جافلات فوق أعوج مجل ركبت فيها ملاطيس سمر
- ٥٨ وأنافت بهواد تلح جُدوع شذبت عنها القشر

(٥٣) الفزع هنا يريد به الخروج للحرب . والداعى هنا هو داعى الحرب . ولجّ الذعر : اشتد الخوف واستمر . واليت متصل المعنى باليت السابق وباليت التالى أيضا .

(٥٤) الوداد : جمع ورد ، والشقر : جمع أشقر ، والورد من الخليل : ما كان لونه بين الكهيت والأشقر ، والكهيت : الأحمر القاني ، والأشقر : ما تعلو بياضه حمرة . وجرّدوا منها : أى أعدوها للقتال ، وذلك بأن يلقوا عنها ما يغطى ظهورها في أوقات راحتها من أكسية ، ويضعوا بدلا منها سروج الحرب وعدة القتال .

(٥٥) أعوجيات : أصيلاات النسب ، نسبة إلى أعوج وهو غل مشهور من لحول الخيل . والشرب : جمع شازب وهو الضامر . والصنعة هنا هى العناية بها والقيام عليها . والضمير : متابعتها بالجرى حتى تتدرب عليه وتضمير . ودوخل الصنعة فيها والضمير : أى أن أصحابها اهتموا بكلا الأمرين .

(٥٦) يعايب : جمع يعيوب وهو الشديد للعدو . والوقح : جمع وقاح وهو الصلب الحافر . والهضبات : الضخام الشداد كأنها الهضاب . والمذر : جمع مذار وهو الجمام ، وابتلت العذر : أى من العرق ، كناية عن السرعة والنشاط .

(٥٧) جافلات : مسرعات . والعوج : جمع أعوج ، ويريد بها قوائمها ، وقوائم الخيل تمسح بها فيما من انحناء . والمجل : جمع مجول وهو السريع . والملاطيس : المعاول تكسر بها الصخور ، لمطاس ، يشبه بها حوافرها ، ووصفها بالسبرة للدلالة على شدتها وصلابتها .

(٥٨) أناف : أشرفت . والهراوى : جمع هاد ، والهادى : المنق . والتلع : الطويلة ، جمع أتلع . وشذبت : سويت وهذبت . والقشر : القشور . يشبه أعناق الخيل الطويلة المشرفة بمجدوع نخل شذبت قندورها فظهرت أكثر طولاً .

- ٥٩ فَمَيَّ تَرْدِي ، فَإِذَا مَا أَلْهَبَتْ طَارَ مِنْ إِمْتِهَا شَدُّ الْأُزْدِ
٦٠ كَأَثَرَاتٍ ، وَتَرَاهَا تَنْتَحِي مُسَلِّحَاتٍ إِذَا جَدَّ الْحُضْرُ
٦١ دُلِقَ الْغَارَةُ فِي إِفْرَاعِهِمْ كَرَّعَالِ الطَّيْرِ أَمْرَابًا تَمُورُ
٦٢ تَذَرُّ الْأَبْطَالَ صَرَغِي بَيْنَهَا مَا بَيْنِي مِنْهُمْ كَيْمِي مُتَعَفِّرُ

* * *

- ٦٣ قَهْدَاءَ لَيْبِي قَيْسٍ عَلَى مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ سُورُضُرٍ
٦٤ لَا يُلِحُّونَ عَلَى غَارِمِهِمْ وَعَلَى الْإِسَارِ تَيْسِيرُ الْعَسْرِ

(٥٩) تردى : تضرب الأرض بجوافرها في أثناء العدو . وألهبت (بالبناء للجهول) : دفعت إلى الإمبراع ، وحسبها أصحابها عليه ، و (بالبناء للعلوم) : أمرعت كلهيب النار . والإحما : مصدر أحمى بمعنى أشعل وأوقد . والأزرد : جمع إزار . يقول إنها تسمع فترجم الأرض بجوافرها ، فإذا ما ألهبا فرسانها نظارت ثيابهم مما اشتعل فيها من نشاط وحماة .

(٦٠) كآثرات : أى راغبات أذنانهم من شدة العدو . وتنتحى : تعض على شكائم بلحها من شدة النشاط والحوية . وجد الحضر : اشتد العدو .

(٦١) دلق الغارة : مسرعات إليها مقدمات نهسوها . ورمال الطير : قطعها وجماهاها . يشبه التحول في انطلاقتها للحرب بأسراب الطير تمر قطعاً قطعاً .

(٦٢) ما يخي : ما يزال . والكسي : البطل الشجاع . والمنعفر : الذى سقط فوق التراب بعد أن لاقى مصرعه ، من « المعفر » وهو التراب . وإلى هنا تنتهى قطعة الفخر العلويلة التى شغلت معظم أبيات القصيدة ، والى كانت موضوعها الأسامى ، ليصل طرفه بعد ذلك إلى عنان قصيدته الذى سيركز فيه موقفه النهائي من قومه .

(٦٣) بنو قيس : هم قومه ، بنو قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل . والمر والضمر (بالضم) : السراء والضراء . يقول : نفى فداء لهم فى السراء والضراء ، فى الخير والشر ، على كل حال تتقلب الحياة بالناس عليها .

(٦٤) الغارم : المدين الذى يعجز عن سداد دينه . والإيسار : الأغنياء الموسرون . يصف قومه بأنهم متعاونون فى السراء والضراء ، متكافلون اجتماعياً ، يتولى أغنيائهم تدبير أمر فقراءهم وتيسير حصرهم ، ويمهلون الغارمين منهم ، وينظر ونهم إلى ميسرة .

- ٦٥ ولقد كنتُ عليكم عاتِباً فَعَقَبْتُمْ بِذُنُوبٍ غَيْرِ مُرَّةٍ
٦٦ كنتُ فيكم كالمُغَطَّى رأسه فَانْجَلَى اليَوْمَ قِنَاعِي وَنَجَّرَ
٦٧ سَادِراً أَحْسَبُ غَيِّ رَشْدَا فَتَنَاهَيْتُ وَقَدْ صَابَتْ بِقُرْ

* * *

(٦٥) هَئِيمٌ : رَجَمْتُمْ وَعَطَفْتُمْ . وَالذُّنُوبُ : الدُّلُوكُ الْمُتَلَكَّةُ مَا . ضَرْبُهَا مِثْلُ الرُّجُوحِ قَوْمُهُ إِلَيْهِ بَعْدَ جَفْوَةٍ ، وَعَطَفَهُمْ عَلَيْهِ بَعْدَ قَطِيعَةٍ . لَقَدْ أَعَادُوا الْمِيَاهُ بَيْنَهُمَا كَمَا كَانَتْ دُونَ مَنْ مِنْهُمْ أَوْ أَدَى . لَقَدْ قَدَمُوا إِلَيْهِ هَلَاءَ تَهْفُضُ بِالرُّودِ الصَّافِي الْمَذْهَبِ الَّتِي لَا تُشْرِبُهُ مِرَاوَةٌ .

(٦٦) انْجَلَى : انْكَشَفَ . وَانْجَرَّ : جَمَعَ نَجَارٌ وَهُوَ غَطَاءُ الرَّأْسِ ، أَمَا الْقِنَاعُ فَهُوَ غَطَاءُ الْوَجْهِ . يَرْمِ صَوْتُهُ مَعْبَرَةً لِلْوَقْفِ كَمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ . وَكَأَنَّ أَصْبَحَ بَعْدَ زَوَالِ الْجَفْوَةِ وَانْتِهَاءِ الْقَطِيعَةِ . لَقَدْ كَانَ كَنَ غَطَى رَأْسَهُ بَغَطَاءٍ كَثِيفٍ يَحْجُبُ عَنْهُ الرُّؤْيَا ، وَيَرِدُ الْبَصَرُ ، ثُمَّ انْكَشَفَ عَنْهُ الْغَطَاءُ فَأَصْبَحَ يَبْصُرُ الْأُمُورَ عَلَى حَقِيقَتِهَا . وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ « فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ » (ق ٢٢) .

(٦٧) السَادِرُ : الْمُنَادِي فِي الضَّلَالِ ، الَّذِي غَشَتْ بَصَرَهُ غِشَاوَةٌ فَلَمْ يَعِدْ يَبْصُرُ وَجْهَ الْحَقِّ وَالْهُدَايَةِ . وَتَنَاهَيْتُ : أَفْصَرْتُ عَمَّا كُنْتُ فِيهِ وَرَجَعْتُ عَنْهُ . وَالْقَرَرُ : الْقَرَارُ . وَقَوْلُهُ « صَابَتْ بِقُرْ » مِثْلُ يَضْرِبُهُ الْعَرَبُ لِلْأَمْرِ إِذَا وَقَعَ مَوْقِعُهُ ، وَاسْتَقَرَّ فِي قَرَارِهِ ، أَوْ — كَمَا يُقَالُ — عَادَ إِلَى نَصَائِبِهِ . وَالْوَارِثُ فِي الْحَالِ . يَقُولُ : لَقَدْ كُنْتُ تَائِهًا فِي ضَلَالَتِي ، تَشَابَهَتْ عَلَيَّ الْأُمُورُ ، وَاسْتَخْلَطَ عَلَى الْهُدَى وَالضَّلَالِ ، ثُمَّ أَتَمَّى كُلَّ ذَلِكَ ، وَاسْتَقَرَّتْ الْأُمُورُ فِي نَصَائِبِهَا . وَالْبَيْتُ تَأْكِيدٌ لِلْفِكْرَةِ الَّتِي عَرَضَهَا الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ ، يَتِمُّ بِهِ نَصِيدُهُ .

* * *

يوسف خليف

الْمُتَمَلِّسُ

هو جرير بن عبد المسيح ، وفي رواية جرير بن يزيد بن عبد المسيح من بني ضُبَّة بن ربيعة بن نزار ، وأخواله بنو يَشْكُر ، كان مع ابن أخيه طرفة بن العبد من ندماء عمرو بن هند ملك الحيرة ، وله معهما قصة مشهورة تقول إنهما غضبا منه مرة فهجوا فكره قتلها بنفسه ، فكتب لهما كتابين إلى عامله في البحرين يأمره بقتلهما ، فلما كانا ببعض الطريق عرفا ما في كتابيهما من بعض من يعرفون القراءة . أما طرفة فلم يعبا بذلك ومضى إلى عامل البحرين فقتله ، وأما المتملس فقتل في صحيفته في نهر الحيرة وهرب إلى بني جفنة ملوك الشام .

وقد سمي المتملس لقوله في قصيدة :

فَهِذَا أَوَانُ الْعَرِضِ جُنَّ ذُبَابُهُ زَنَا يَمِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمُتَمَلِّسُ

وقد رويت الأبيات المختارة في ديوانه ، وهي تصور نظرة الجاهل إلى الموت والدعاء لليت بأن يسقى الغيث قبره .

ويعد شعر المتملس من أقدم النصوص الجاهلية لأنه من شعراء النصف الأول من القرن السادس الهجري ^(١) . ويقول للبكري عن وفاته أنه "هلك ببقرى في الجاهلية ، وكان له ابن شاعر يسمى عبد المنان ، أدرك الإسلام" ^(٢) .

(١) يرى جرونيانم أنه ولد عام ٥٠٠ — ٥٠٥ م ويرى محقق الديوان الأستاذ حسن كامل الصيرفي أن ولادته كانت عام ٥٢٥ م على وجه التقريب .

(٢) سبط اللآل ص ٣٠٢ . ويذكر محقق الديوان أن المتملس توفي عام ٥٨٠ م وإن كانت هناك مصادر أخرى تذكر أنه توفي قبل هذا التاريخ بعشرة أعوام (انظر مقدمة الديوان ص ٢٦) .

ويصور ما وصل إلينا من شعر المتلمس جانباً من حياة المناذرة وعلاقتهم
بالتبائل العربية وصراعاتها وتدخلهم في شئونها ، وتأثير ذلك على الشعر القبلي
وشعرائه . والأبيات المختارة مروية في ديوانه . (*)

* * *

- ١ خَلِيلُ إِمَامَتٍ يَوْمًا وَزُحْرِيَّتٍ مَنَآيَا كَمَا فِيمَا يُزْحِرُهُ الدَّهْرُ
- ٢ قَمْرًا عَلَى قَبْرِى ، فَقَوْمًا فَسَلَبَا وَقَوْلَا: سَقَاكَ الْغَيْثُ وَالْقَطَرُ يَا قَبْرُ
- ٣ كَانَ الَّذِي غَيَّبَتْ لَمْ يَلَهُ سَاعَةً مِنَ الدَّهْرِ ، وَالذُّنْيَا لَهَا وَرَقٌ نَضْرُ
- ٤ وَلَمْ تَسْقَهُ مِنْهَا بِعَذِيبٍ مُتَمِّعٍ بَرُودٍ ، حَمَمَتُهُ الْقَوْمَ وَجَرَاجَةً يَكْرُ
- ٥ وَلَمْ يَصْطَلِحْ فِي يَوْمٍ حَرٍّ وَقِسْرَةٍ حُمِيًّا ، فَدَبَّتْ فِي مَفَاصِلِهِ الْخُمْرُ
- ٦ وَلَمْ يَرُحِ الْعَيْسَ الْكَوَانِسَ بِالضُّحَى بِأَسْرَارٍ مَوْلىً ، أَلَدَتْهُ صُفْرُ

(*) انظر ديوان المتلمس الضبي تحقيق حسن كامل الصبي في ص ٢٥٦ .

(١) زحرت منايها كما : تأثرت وفاتها .

(٢) القطر : المطر .

(٣) كان الذي غيبت : يقصد نفسه ، كان الذي وارت التراب .

(٤) برود : بارد ويقصد نثر المرأة . والرجاجة : المرأة التي يترجج كفها ، والمعنى : ولم تسقه رجاجة بكر يعذب بمنع برود حمته القوم .

(٥) القرة : البرد . الحميا : بلوغ الخمر من شاربها أو شدة السكر .

(٦) الكوانس : جمع كائسة وهي الظباء والبقر التي تدخل الكناس وهو المسكن الذي تستكن فيه من الحمر . والعيس : الإبل البيض يحالط بياضها شقرة ، الواحد : أعيس ، والواحدة عيساء . والمولى : الذي قد أصابه مطر بعد مطر . ألدته : جمع لديد وهي نواحيه وجوانبه . والديدان : جانبها الوادي .

- ٧ لَسَّنْ بِقَوْلِ الصَّيْفِ حَتَّى كَأَنَّمَا يَأْسُنَهَا - مِنْ لَسَّ حُلْبَهَا - الصَّقْرُ
٨ وَلَمْ يَمْدَحِ الْقَرَمَ الْهَمَامُ بِكَفِّهِ لَطَائِمُ يُسْقَى مِنْ فَوَاضِلِهَا الْقَفَرُ
٩ رَمَى نَحْوَهُ فِي النَّاسِ، وَالنَّاسُ حَوْلَهُ وَذُو يُسْرَةٍ عِلْبٌ مَنَّا كِبَهُ سَعْرُ
١٠ وَمَا طُورِيَّةٌ شَدَّ الْعَسِيفَانِ أَطْرَهَا إِسَارًا وَأَطْرًا فَاسْتَوَى الْأَطْرُ وَالْأَمْرُ
١١ تَرَامِقُهُ الْمُقْلَادُ حَتَّى تَمَكَّنَتْ إِلَيْهِ طَوَالَ الْبَابِ مَرَدَهُ الْجَدْرُ
١٢ نَخَافَ ، وَقَدْ حَلَّتْ لَهُ مِنْ فُؤَادِهِ مَحَلَّ جَلِيلِ الشَّانِ قَدَّمَهُ الْأَمْرُ

(٧) اللس : أخذ الراعية الكلا بأطراف لسانها . واللس على الإطلاق : الأكل . الحلب : نبات ينبت في القيط بالقيمان وشطآن الأودية ولا تأكله الإبل وإنما تأكله الشاء والظباء . الصقر : الدبس السائل أو ما تحلب من العنب والزبيب والتمر من غير أن يعصر . والصقرا أيضا : اللبن الشديد الحموضة .
(٨) القرم : السيد المعظم . والهمام : صفة لصاحب الهمة وكذلك اسم لآل الذي تعظم همة ، وقد أطلق هذا القرب على عمرو بن هند كما جاء في بيت النابغة الذبياني مدحا له حين غزا الشام :
فداء ما تقل النعل متى إلى أعلى الذؤابة الهمام
والطائم : جمع الطيمة وهي الميراثي تحمل الطيب ويزالتجار . والقواضل : النعم العظيمة ، الواحدة : فاضلة .

(٩) العلب : الجاني الغليظ ويقصد به عمرو بن هند . مناكبه : فواحيه . السعرة : الحر أو حر النار ، والسعرا أيضا الشهوة مع الجوع . ولعله يصف نواحي الملك عمرو بن هند بأنها حارة أو أنها منية .
(١٠) المأطورية : القروس المستوية . العسيفان : الأجيران . الأطر : عطف الشيء ، تقيض على أحد طرفيه فتعوجه ، وكل شيء عطفته على شيء فقد أطرته فأطره أطرا . الأمر : الرباط يقال أمر فلان إسارا وأمر بالإسار أي بالرباط .

(١١) الرامق : الذي يفتق الباب بالمتلاق ، تقول : هو يرمقه أي يفتقه . المقلاد : المفتاح . مرده : جملة ألس . الجدر : أي الجدار .

* * *

سعيد حسني

الحارثُ بن حَلْزَة اليشكرى

هو الحارث بن حَلْزَة بن مكروه بن بُدَيْد بن عبد الله بن مالك بن عبد سعيد
ابن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر ، من قبيلة بكر بن وائل . شاعر قديم
مشهور ، ومن المقلّين ، وهو صاحب المعلّقة المشهورة : « آذنتنا بينها أسماء » .
يقال إنه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند — ملك الحيرة — ارتجالاً ، في شيء كان
بين بكر وتغلب بعد الصلح الذي تمّ بينهما بعد حروب كثيرة ، وزعم الأصمعي أنه
قالها وهو ابن مائة وخمسة وثلاثين سنة .

* * *

نظم الحارث بن حلزة قصيدته « المعلّقة » في خلاف بين قومه من بني بكر ،
وبين قوم عمرو بن كلثوم من بني تغلب ، حاول فيه ملك الحيرة عمرو بن هند أن
يوفق بينهما فأخفق . وكان عمرو بن هند يميل إلى تغلب .

ويبدأ الحارث قصيدة بوقفة قصيرة على الأطلال يمتزج فيها النسيب بتذكّر
الأماكن التي كانت تنزل بها قبيلة حبيته ، وذلك على عادة شعراء الجاهلية ،
وينتقل من ذلك إلى وصف ناقته في أبيات قليلة . وهي الناقة التي يمتطيها ليصل
إلى ملك الحيرة ولا تزيد هذه المقدمة عن خمسة عشر بيتاً ينتقل بعدها إلى موضوع
القصيدة الرئيسي وهو المفاخرة أمام بني تغلب بزعامة عمرو بن كلثوم ، وفيها مدح
لعمر بن هند وإن كان يأتي عارضا .

والقصيدة نموذج جيد للشعر القبلي :

* * *

مِنَ المَعْلَقَةِ

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | أَذَنْتُنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ | رُبَّ ثَاوٍ يَمِلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ |
| ٢ | بَعْدَ عَهْدٍ لَهَا بِبُرْقَةٍ شَمَاءُ | فَأَدَّتْ دِيَارَهَا الْخَلَصَاءُ |
| ٣ | فَالْمُحَيَّاءُ فَالْصَّفَاحُ فَأَعْلَى | ذِي فَتَاقٍ فَعَاذِبُ فَاَلْوَفَاءُ |
| ٤ | فَرِيَاضُ الْقَطَا فَاوْدِيَةُ الشَّرِّ | بُيُوبُ فَالشَّعْبَتَانِ فَالْإِبْلَاءُ |
| ٥ | لَا أَرَى مَنْ عَهْدَتْ فِيهَا فَا بَكِي | يَوْمَ دَلَمَّا وَمَا يَرُدُّ الْبَكَاءُ |
| ٦ | وَبَعِيدِكَ أَوْقَدْتُ هُنْدَ النَّارِ | رَأَخِيرًا تُلَوَّى بِهَا الْعِلَاءُ |
| ٧ | أَوْقَدْتُهَا بَيْنَ الْعَمِيقِ فَشَخْصِي | مِنْ بَعُودٍ كَمَا يُلُوحُ الضِّيَاءُ |
| ٨ | فَتَنَوَّرَتْ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ | بِحُزَاوٍ هِيَّاتَ مِنْكَ الصَّلَاءُ |

- (١) أَذَنْتُنَا : أعلبتنا . البين : الفراق . رب ثاوٍ يميل منه الثواء : رب مقيم تمل منه إقامته .
- (٢) برقة شماء : هضبة . الخلصاء : اسم مكان بالدهناء .
- (٣) محياة : أرض . الصفاح : أسماء مضارب مجتمعة . فتاق : جبل . هاذب : واد . الوفاء : أرض .
- (٤) رياض القطا : رياض بعينها يكثر فيها هذا الطائر . الشرب : جبل . الشعبتان : جبل من الزبل . الإبلاء : اسم بئر .
- (٥) دلمًا : مدله العقل ، أى ذاهب العقل .
- (٦) يقول إنه رأى هذا في آخر عهده بها توقد ناراها وترفعها لتضيء له .
- (٧) العميق : اسم مكان . شخصان : أكمة لما شعبتان . المود : الذى يتخبر به .
- (٨) حَزَاوٍ : جبل بين العموق وشخصين كما وصف . الصلاء : النار . أى ما أبعد تلك النار منك .

- ٩ غير أني قد أستمع على اله
١٠ بزُفوف كأنها هقْلَةٌ أ
١١ آنست نبأة وأفزعها القنء
١٢ فترى خلفها من الرجع والوقء
١٣ وطرافا من خلفهن طراق
١٤ أتلهى بها المواجر إذ كء
- سم إذا خف بالشوى النجاء
م رثال دويء سقفاء
أص عصرا وقد دنا الإمساء
مع منينأ كأنه إهباء
ساقطات تلوى بها الصحراء
ل ابن هم بليئة عمياء

* * *

- ١٥ وأتانا عن الأراقم أنبا
١٦ أن إخواننا الأراقم يغفلو
- ء وخطب نعتى به ونساء
ن علينا في قولهم إحقاء

(٩) الدورى : المقيم . النجاء : الانطلاق .

(١٠) زُفوف : ناقة مسرعة خفيفة ، والزفوف : عدد النعام إذا أسرع . الهقْلَة : النعامة . الرثال : فراخ النعام واحد هارل . دوية : منسوبة إلى الدوروى الأرض الواسعة . سقفاء : طويلة العنق مرتفعة .

(١١) يقول : آنست هذه النعامة نبأة وهى الصوت الخفى . والقناص : الصياد .

(١٢) يقول : ترى خلف الناقة من الرجع أى رجع قوائمها منينا وهو الغبار الدقيق الذى تثيره غوائمها . الإهباء : الغبار .

(١٣) الطراق هنا : الغبار ، أى يتساقط الغبار من خلفها فتلوى به الصحراء .

(١٤) أتلهى بها : يقصد يركبها فى وقت الهابرة وقت شدة الحر . كل ابن هم : كل من نزل به هم . البليئة : ناقة الرجل إذا مات عقلت عند رأسه ، وعكس رأسها بذنبها ، لا تأكل ولا تشرب حتى تموت ، فهى عمياء لا تنبج .

(١٥) الأراقم : أحياء من يخى تغلب وهم يحل وحنيئة وذهل بن شيبان .

(١٦) يغفلون علينا : يرتفعون علينا فى القول ويظلمونا ويحملونا ذنب غيبتنا . وقوله : فى قولهم إحقاء : أى أنهم حملوا علينا وألحوا فى مساءتنا وألصقوا بنا ما نكره .

- ١٧ يَخْلُطُونَ البرىء منا بذى الذِّدِّ سب ولا ينفع الخلى الخلاء
١٨ زعموا أن كل من ضرب العيَّ ر مَوَالٍ لنا وأنا الولاء
١٩ أجمعوا أمرهم بليلى فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
٢٠ من منادٍ ومن مجيب ومن نصِّ بهال خيلٍ خلال ذلك رُغَاء

* * *

- ٢١ أيها الناطق المرقش عنا عند عمرو وهمل لذلك بقاء
٢٢ لا نخشاك على غراتك إنا قبل ما قد وشى بنا الأعداء
٢٣ فبقينا على الشَّاة تَنَمِّي لنا حصونٌ وعزة قعساء
٢٤ قبل ما اليوم بيضت بعيون الـ ناس فيها تعيظ وإباء

(١٧) لا ينفع الخلى الخلاء ، لا ينفع البرىء من الذنب براءته منه .

(١٨) يقول : إن إخواننا الأراقم يلوموننا ويصفوننا بالباطل ، ويضيقون إلينا ذنب غيرنا ، ويطالبوننا بجناية كل من جنى عليهم من نزل صحراء أو ضرب هيرا ، ويجعلونهم موالى لنا وأبناء عمومة لنا .

(١٩) أجمعوا أمرهم : أحكموا أمرهم .

(٢٠) الرغاء : أصوات الإبل .

(٢١) المرقش هنا : يعنى عمرو بن كلثوم ، والمرقش : المزين للشيء . وعمرو : يقصد الملك

عمرو بن هند .

(٢٢) يقول : لا تحسب أننا جازعون لإغرائك الملك بنا .

(٢٣) الشَّاة : البقض والكراهية . يقول : الحصون تحول بيننا وبين شاة الناس إلانا .

القعساء : الثابتة المصمتة القوية .

(٢٤) يقول : قبل اليوم عظم شأنها على الناس حتى أصمتهم وعظمت على أبصارهم . التعيظ :

الارتقاع والامتناع .

٢٥ وكان المتنون تردى بنا أر عن جونا ينجاب عنه العماء
٢٦ مكفهرأ على الحوادث لا ترأ تسوه للدهير مؤيد صماء

* * *

(٢٥) المتنون : المنية والموت . الأرعن : الجبل . الجلون : الأسود ، وهو من الأضداد ، وأراد به هنا النهار . باب هه : ينشق عنه . العماء : النيم الرقيق .
(٢٦) مكفهرأ : يقصد الجبل . لا ترقوه : من الرزو وهو القمر من الشيء والنقصان له .
لؤيد : القوى الشديد ، يريد الدهاية . يقول إن الشدائد لا تؤثر في هذا الجبل الذي يشبه به قومه .

* * *

سيد حنفي

عمرو بن كلثوم

* * *

هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب ينتهى نسبه إلى قبيلة تغلب التي ذاع
حيتها في حرب البسوس التي دارت رحاها بينها وبين بكر ، وأرهقتها زمنًا
طويلاً .

وهو واحد من شعراء الجاهلية المشهورين ، عاصر عمرو بن هند ملك الحيرة ،
وكانت قصته معه دافعا لنظم معلقته المشهورة .

ترجم له ابن سلام وصنّفه بين طبقات الشعراء فأدرجه ضمن شعراء الطبقة
السادسة من الجاهليين ، وعرف بمكانة القبيلة المرموقة بين شعراء العصر جميعا .
وشعره المتبقي بين أيدينا قليل ، وأشهره ذيوعاً تلك المعلقة المشهورة التي
تحوّلت إلى صورة قبلية رائحة راح فيها يتغنى بانتصارات قومه ، ويعلم الناس بدورهم
من خلال تسجيل مفارحهم وتأكيد شجاعتهم في صور تخيف القبائل الأخرى
وتفزعها وترصد لتغلب مكانة لا تعادلها مكانة .

ومعروف عن هذه المعلقة أنها انتشرت بين أبناء قبيلته وتوارثها الأجيال
المختلفة حتى صارت بمثابة « النشيد القومي » فيها ، حتى « ألهتهم عن كل مَكْرَمَةٍ »
على حدّ تعبير بعض شعراء بكر حين آخذوهم على كثرة تغنيهم بها وترديدهم إياها .
وتختلف المعلقة في بعض جزئياتها عن الصورة التقليدية عند شعراء المعلقات
حيث بدأها عمرو بافتتاحية حمرية ، وتجنب فيها حديث الطلل ، متأثرا بالطابع
الحماسي والافتعال الذي سيطر عليه من جرّاء الواقعة التي دفعته إلى نظمها .

ومعروف أيضا عن دافع النظم إليها ما كان من شأن ليلي أم عمرو بن كلثوم حين نادت بأعلى صوتها وأذلاء لتغلب إثر مطلب طلبته منها هند أم عمرو بن هند — ملك الحيرة — بأن تناولها شيئا ما على المائدة ، فكانت الواقعة بمثابة تعبير أو إهانة مثلت دافعا حارا ، انطلق منه عمرو لينتقم من خلاله لكرامة المرأة العربية ممثلة في شخص أمه ، في هذا الموقف ، وهو ما سنراه ونلتهمسه تصويرا وتقريراً فيما اخترناه من أبياتها أو — بمعنى أدق — من وحداتها الفنية المتكاملة .

* * *

عبد الله التطاوى

مِنَ المعلقة

« صوت قومي »

(١) مع الصبح

- ١ ألا هُبِّي بصحنيك فاصبحينا ولا تُبقي نُحُورَ الأندرينا
- ٢ مُشعَّعة كأنَّ الحُصَّ فيها إذا ما الماءُ خالطها سَخِينَا
- ٣ تجورُ بذى اللبانة عن هَوَاهُ إذا ما ذاقها حتَّى يَلِينَا
- ٤ ترى اللِّيزَ الشَّحِيجَ إذا أُمرَّتْ عليه لما لِهٍ فيها مُهِينَا
- ٥ وإنا سوف تديرُكُنَا المنايا مقدرةً لنا ومُقدِّرينَا

(ب) مع الظعينة

- ٦ فِينِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِينَا نُخَبِّرُكَ اليَقِينَ وَنُخْبِرِينَا
- ٧ قَفِي تَسْأَلُكَ هَلْ أَحْدَثْتَ صَرَمًا لَوْ شَكَ الْبَيْنُ أَمْ خُنْتَ الْأَمِينَا

(١) الصحن : كأس الخمر أو القدر . والصبح : نحر النداء وعكسها الغبوق وهي نحر المساء . الأندرين : قرية بالشام اشتهرت بجودة خمرها ولذلك نسبت إليها الخمر فعلا لشأنها دون سواها من أنواع الخمر .
(٢) الخمر المشعة : التي رقت من المزج بالماء . الحص : الورس أو الزعفران وهو معروف بصفرته اتخذ منه مشمدا لونها للخمر . سَخِينَا يشير بها إلى ما كان يحدث من قسخين الماء قبل المزج في الشتاء وربما قصد بها السخاء في اتفاق المسال وإهانتها في سبيل شربها فهم لا يتخلون عليها بأموالهم .
(٣) تجور : تمذل وتمهل . ذواللبانة : صاحب الحاجة . عن هواه : عن حاجته . يلين عن هواه : يسكر حتى النالة . أُمرَّتْ : أديرت في مجلس الخمر على النداء . يهين المال : ينفقه مسرفا في إنفاقه بلا حساب ولا اعتزاز به إذ يتحول إلى مجرد وسيلة لا غاية .
(٤) المنايا : الأقدار أو الموت . مقدرة لنا ومقدرينا : أي أننا خلقنا للنية ورصدت لها نهاية حياتنا رسدا حتميا مقدرا لا نستطيع منه فرارا .
(٥) الظعينة : ترقيم الظعينة وهي المرأة الراحلة في هودجها مع قومها أو جمعها ظعن أو ظمائن .
(٦) الصرم : القطيعة . وشك البين : سرعة الفراق . الأمين هنا هو الشاعر لأنه حفظ سرها .

- ٨ تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ وَقَدْ أَمِنْتَ عُيُونَ الكَاشِحِينَ
 ٩ ذِرَاعِي عَيْطِلٍ أَدَمَاءَ يَنْكِي تَرَبَّعَتِ الْأَجَارِعُ وَالْمُتُونَا
 ١٠ تَذَكَّرْتُ الصَّبَا وَاشْتَقْتُ لَهَا رَأَيْتُ حُمُولَهَا أَصْلًا حُدِينَا
 ١١ وَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْتَحَرَّتْ كَأَسْيَافٍ بَأْيَدِي مُصَلِّتِينَا
 ١٢ فَمَا وَجَدْتُ كَوُجْدِي أُمَّ سَقِبٍ أَضَلَّتْهُ فَرَجَعَتِ الْحَنِينَا
 ١٣ وَلَا شِمْطَاءَ لَمْ يَتْرُكْ شَقَاها لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جَنِينَا
 ١٤ وَإِنَّ غَدًا وَإِنَّ الْيَوْمَ رَهْنٌ وَبَعْدَ غَدٍ بِمَا لَا تَعْلَمِينَا

(ج) إلى ابن هند (نفر)

- ١٥ أبا هِنْدٍ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَانْظُرْنَا نُخَبِّرَكَ الْيَقِينَا
 ١٦ بَأَنَّا نُورِدُ الرَّاياتِ بِيضًا وَنُعْبِدُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رُويْنَا

- (٨) الكاشح : المدر أو الرقيب . دخل على خلاء : بعيداً عن الرقباء والوشاة .
 (٩) عيطل : طويلة العنق . الأدماء : البيضاء . البكر : التي لم تلد من قبل .
 تربعت : رعت نبات الربيع . الأجارع : كتيبان الرمال . المتون : ما غلظ من الأرض .
 (١٠) الحمول : الإبل تحمل عليها الأثقال . أصلاً : في وقت الأصيل قبيل الغروب . حُدِينَا : ساقها الحادى أو دليل الرحلة ، فهي تحديه أو هو يحدها لأنه دليلها .
 (١١) اشتحرت : طالت وامتدت . المصلت : الشاهر سيفه . أو أخرجه من غمده استعداداً للزوال والقتال . أمرضت : ظهرت وبانت هلى امتداد النظر .
 (١٢) أم سقب : الناقة (السقب : ولدها) أضلته : أفنقته وأكثرت من البحث عنه . رجعت للحنين : ردهته حزناً على فقد ولدها وفشلها في الحصول عليه .
 (١٣) الشمطاء : المعجوز التي اشتد حزنها على فقد أبنائها . شقاها : تعبها في تربية أبنائها ورعايتهم .
 (١٤) أبو هند : عمرو بن المنذر . انظرنا : انتظرنا أو أخرنا لننظر ما يكون من أمرنا معك في قتالنا العنيف (وهو يهدده ويتوعده هنا) . اليقين هنا الحقيقة القتالية التي لا مراء فيها .
 (١٦) الرايات : الأعلام . الورد والصدر : قدوم الإبل إلى الماء ورجوعها عنه بعد الإرتواء منه وإشباع ظمئها .

- ١٧ وأيام لنا غُر طَوَالٍ عَصَيْنَا الْمَلَكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا
١٨ وَسَيِّدٍ مَعْتَرٍ قَدْ تَوَجَّوْهُ بَسَاجِ الْمُلْكِ يَجْعَى الْمُحْجَرِينَا
١٩ تَرَكْنَا الْخَيْلَ مَا كَفَّةَ عَلَيْهِ مَقْلَدَةً أَعْنَتْهَا صُفُونَا
٢٠ وَقَدْ هَرَّتْ كِلَابُ الْحَيِّ مِنَّا وَشَذَبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا
٢١ مَتَى تَنْقُضْ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا يُكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
٢٢ يَكُونُ يَفَالَمَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ وَلَهُوَّتَهَا قُضَاعَةُ أَجْمَعِينَا
٢٣ وَتَنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدُّ نَطَاعِينَ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا
٢٤ وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ نَحَرَتْ عَلَى الْأَحْقَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا
٢٥ نَدَافِعُ عَنْهُمْ الْأَعْدَاءَ قَدَمًا وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا
٢٦ نَطَاعِينَ مَا تَرَانِي النَّاسُ عَنَّا وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا

- (١٧) غُر طَوَالٍ : بيض مشهورة . أن ندين : أن نخضع أو نذل أو نطيع له أمرا خوفا منه .
(١٨) يَجْعَى : يمنع . المحجرين : الذين أُلْحِثُوا إِلَى الْمَضِيقِ وَبَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَى الْآخَرِينَ .
(١٩) مَا كَفَّةَ : مقيمة . الصافن : الفرص القائم الذي رفع إحدى قوائمه بعد نهاية القتال .
(٢٠) شَذَبْنَا : فرّقنا جمعهم وشذّبتنا شملهم . القنادة : شجرة لها شوك والتشذيب : قطع الأغصان .
من يَلِينَا : يلى حربنا ويعادينا أو يتجرّد علينا .
(٢٢) النَّفَال : قطعة من الجلد توضع تحت الرمح يسقط عليها الطحين وهي لا توضع إلا في وقت
الطحن . الأهوة : قيضة من الطحين تلقى في الرما لتدور عليها فتطحنها .
(٢٣) يَبِينُ : يظهر ويتكشف . نطاعن دونه : أى تحجبه وتدافع عنه . المجد : الشرف وطول المكافحة .
(٢٤) الْأَحْقَاضُ : الأمّعة . من يَلِينَا : من يجاورنا ويقع علينا حق حمايته والدفاع عنه .
(٢٥) قَدَمًا : قديما ، وقدا مقدما . ما حملونا : ما جنوا علينا وحملوا إناياه من ديات أو مساهدات .
(٢٦) تَرَانِي : تباعد . غُشِينَا : اقترّب بعضنا من بعض خاصة في مراحل القتال في القتال .

٢٧ بُسْمِرٍ مِنْ قَنَا الْخَطَّى لَدُنِ ذَوَابِلَ أَوْ يَبِيضَ يَعْتَلِينَا
 ٢٨ نَشَقُّ بِهَا رُؤُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا وَنُخْلِبَا الرِّقَابَ فَيَخْتَلِينَا
 ٢٩ تَخَالُ تَجَاهِمَ الْأَبْطَالِ فِيهَا وَسُوقًا بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا
 ٣٠ تَجْجُدُ رُؤُوسَهُمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَ
 ٣١ كُنْتُ سُيُوفَنَا فِيْنَا وَفِيهِمْ تَخَارِيْقُ بِأَيْدِي لَاعِينَا
 ٣٢ كُنْتُ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ خُضْبَنَ بَارِجُونَ أَوْ طَلِينَا

(د) إلى ابن هند (تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ)

٣٣ بَأَى مَشِيئَةِ عَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ تُطِيعُ بَنَى الْوُشَاةِ وَتَزْدَرِينَا
 ٣٤ بَأَى مَشِيئَةِ عَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ نَكُونُ لِنَحْلِيكُمُ فِيهَا قِطِينَا
 ٣٥ تَهْدِدُنَا وَأَوْعِدُنَا رُويْدَا مَتَى كُنَّا لَأَمَّاكَ مُقْتَوِينَا
 ٣٦ فَإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أَعِيَتْ عَلَى الْأَبْطَالِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا
 ٣٧ وَرِثْنَا نَجْدَ طَلْقَمَةَ بْنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِينَا

(٢٧) السمر من الرماح : أجودها . لَدُن : لينة . ذَوَابِل : فيها بعض اليبس . يَعْتَلِين : تملو رؤوسهم في وقت اشتداد القتال .

(٢٨) نُخْلِبَا الرقاب : أى نجعل الرقاب لها كالخشيش (الخلاء) ونجدها كما نجده الخشيش .

(٢٩) الْأَمْعَز : الأرض الصلبة كثيرة الحصى جمعها أَمَاعِز . تَخَال : ترى .

الوسوق : ج وسوق وهو الجمل أو هى جمع ساق ويقصد بها سيقان الأبطال عطفًا على جماعهم .

(٣٠) فِي غَيْرِ بَرٍّ : في غير شفقة عليهم أو رافة بهم أو خوف طيهم . يَتَّقُونَ : يدفعون عن أنفسهم .

(٣١) التَخَارِيْقُ : يشير بها إلى سيوف أصحابه وسيوف أعدائه وهو يستمد الصورة من لعبة عرفت بين شباب الجاهلية يستعيرها لتصوير الضرب المتبادل بينهم وبين أعدائهم .

(٣٤) الطلّين : المنجاورون (قطن المكان سكته وأقام به) .

(٣٥) القنوّ : خدمة الملوك بصفة خاصة رويدا : أى تمهل (صيفة تهديد) .

(٣٦) القنّاء : الأصل . أعيّت : أعجزت . تلّين : تذلل وتخضع .

- ٣٨ وَرِثْتُ مُهْلَهلاً وَالْخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْرًا نَعَمْ ذُنُرُ الذَّائِرِينَ
٣٩ وَغَتَابًا وَكُلُّهُمْ بَاجِعًا بِهِمْ فَلَمَّا تَرَأَتْ الْأَكْرَمِينَ
٤٠ وَذَا الْبُرَّةِ الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ بِهِ نُجْحَى وَنُجْحَى الْمُلْحِجِينَ
٤١ وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعَى كُلِّبَ فَأَيُّ الْمَجْدِ إِلَّا قَدْ وَلَيْنَا
٤٢ مَتَى نَعْقِذُ قَرِينَتَنَا بِحَبْلِ نُجْدُ الْوَصْلِ أَوْ نَقْصُ الْقَرِينَا
٤٣ وَنَوْجِدُ نَحْنُ أَمْنَهُمْ ذَمَارًا وَأَوْفَاهُمْ إِذَا عَقَدُوا يَمِينَا
٤٤ وَنَحْنُ الْحَاكِمُونَ إِذَا أُطْعِنَا وَنَحْنُ الْآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا
٤٥ وَنَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخَطْنَا وَكُنَّا الْأَيْمِينَ إِذَا التَّقِينَا
٤٦ فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ وَكُنَّا الْأَيْمِينَ إِذَا التَّقِينَا
٤٧ فَابُوا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا وَابْنَا بِالْمُلُوكِ مُعْصِدِنَا

(هـ) إلى بنى بكر (نخر مطلق)

- ٤٩ إِلَيْكُمْ يَا بَنَى بَكْرِ إِلَيْكُمْ أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَ
٥٠ أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كِتَابٌ يَطْعِنُ وَيَرْتَمِينَا

- (٣٨) مهلهل : كان صاحب حرب وائل أربعين سنة وهو جد عمرو بن كلثوم من قبل أمه .
زهير : جده من قبل أبيه . نعم ذنر الذائرينا : أى خير من يصبح أهلاً للفخر .
(٤٠) ذو البرة : قيل هو كعب بن زهير لأنه كان على أفعه شعر خشن فشبه بالبرة وهى الحلقة فى
أنف البعير . الملحجينا : الذين يقعون فى حمايتنا ويجب علينا الدفاع عنهم .
(٤١) ولينا : من الولاية أى صار إلينا فصرنا ولاية عليه .
(٤٢) القرينة : التى تقرن الى غيرها ، متى تقرن الى غيرها : أى متى تسابق غيرها . نجدة : تقطع .
القرينة : الناقة والجل تكون فيهما خشونة .
(٤٤) الحاكون : المانعون وأصحاب الحكم والسيادة . العازمون : الأشداء فى القتال .
(٤٦) الأيمنون : أصحاب الميمنة وهم المتقدمون فى صفوف الجيوش . أصحاب الميسرة : المتأخرون فيها .
(٤٨) آبوا : رجعوا . المعصد : المقعد أو المغفل بالأصغاد أو الأغلال . النهاب والسبايا : الغنائم .

- ٥١ علينا البيض واليَلْبُ اليماني وأسياف يقمن ويحتلينا
٥٢ علينا كُلُّ سايغة دلايص ترى فوق النجاد لها غصونا
٥٣ إذا وضعت عن الأبطال يوماً رأيت لها جلود القوم جونا
٥٤ وتحملنا غداة الرّوع جرد عرّفن لنا نقائذ واقتلينا
٥٥ ورثاهن عن آباء صديق وأورثها إذا ميتنا بنينا

(و) إلى كل القبائل

- ٥٦ وقد علم القبائل من معد إذا قُبِّبْ بأبطحها بنينا
٥٧ بأننا العاصمون بكلّ تحيل وأنا الباذلون لمجدينا
٥٨ وأنا المانعون لما يلينا إذا ما البيض زابت الجفونا
٥٩ وأنا المنعمون إذا قدرنا وأنا المهلكون إذا أئينا
٦٠ وأنا الشاربون الماء صفوا ويشرب غيرنا كدراً وطينا
٦١ ألا أبلغ بني الطماح عنا ودعينا فكيف وجد ثمونا

- (٥١) البيض : الحديد . اليلْب : الدرع . اليماني المنسوب إلى اليمن في جودة صنعه .
(٥٢) السايغة : الدرع التامة . الدلايص : التي تزل عنها السيوف . النجاد : حائل السيف .
الغصون : التكسر .
(٥٣) الجون : السود أي لسود جلودهم من صدأ الحديد لأنهم يلبسون دروعهم باستمرار .
(٥٤) الأجرد من الخيل القصير الشعر أو الكريم منها . النقائل : المختارة أو ما استنقذت من
قوم آخرين . اقلينا : أي نشأت وترت في قومنا مما يؤكد أصالتها .
(٥٦) الأبطح والبطحاء : بطن الوادي بما فيه من رمل وحصى . والبطحاء : البقعة من الأرض .
(٥٧) العاصمون : المانعون . الكعل : السنة الشديدة التي اشتد جديها وقلت خيراتها .
(٦١) الطماح ودعوى : حيوان من إباد . كيف وجدتمونا : ماذا عرفتم من أمرنا وما أذيع من
قدرتنا في الحروب . وكثرة انتصاراتنا فيها .

- ٦٢ نَزَلْتُمْ مَثَرَلِ الْأُضْيَافِ مِنَّا
٦٣ قَرِينَا كُمْ فَعَجَلْنَا قِرَاكُمُ
٦٤ عَلَى آثَارِنَا بِيضٌ كَرَامُ
٦٥ أَخَذَنَ عَلَى بُعُولَتَيْنِ عَهْدًا
٦٦ لَيْسَ سَتِيلَيْنِ أَبَدَانَا وَبِيضًا
٦٧ إِذَا مَارْحَنَ يَمْشِينَ الْهُوَيْنَا
٦٨ يَقْتَنُ جِيَادَنَا وَيُقْلَنَ لَسْمُ
٦٩ إِذَا لَمْ يَجْهَرُ فَلَا بَقِينَا
٧٠ لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَحْصَى عَلَيْهَا
٧١ إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسِ خَسْفًا
٧٢ نُسَمَّى ظَالِمِينَ وَمَا ظَلَمْنَا
٧٣ إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ
٧٤ مَلَأْنَا الْبَرْحَتَى ضَاقَ عَنَّا
٧٥ أَلَا لَا يَجْهَلُنَ أَحَدٌ عَلَيْنَا
- فَعَجَلْنَا الْقَرَى أَنْ تَشْتُمُونَا
قُبِيلَ الصَّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونًا
نُحَاذِرُ أَنْ تَفَارِقَ أَوْ تَهُونَا
إِذَا لَاقُوا فَوَارِسَ مُعَلِينَا
وَأَسْرَى فِي الْحَدِيدِ مُقَرَّنِينَ
كَمَا اضْطَرَبَتْ مَتُونُ الشَّارِبِينَ
يُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا
لشَيْءٍ بَعْدَ هُنَّ وَلَا حَيِينَا
وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا
أُبَيِّنَا أَنْ نُقَرَّ الْخَسْفَ فِينَا
وَلَكِنَّا سَنَبْدُ ظَالِمِينَ
نَخْرُ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ
وَوَظَّهَرُ الْبَحْرِ نَمْلُوهُ سَفِينَا
فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْحَاسِلِينَا

(٦٢) أَنْ تَشْتُمُونَا : أى عملنا الحرب مخافة أن تشتمونا أو يقع منكم سباب ضدنا .

(٦٣) الْقَرَى : ما يقدم الغنيم لإكراما لوفادته . المرداة : حجرة مملوءة شبه بها الكتيبة .

(٦٤) الْبِيض : بيض الحديد أو السيف ، يقصد في البيت سلب الأعداء وقد يقصد بالبيض

نساء تغلب وهن يخرجن خلف كتائب الجيش التغلبى . تهون : تذلل أو يصيبها أذى .

(٦٧) يَمْشِينَ الْهُوَيْنَا : لا يتعجلين في مشين دلالة على ترفهن ونعمتهن وكنايتهن في نفوسهم يعولن

من التغلبين . متون الشاربين : أى يتأيلن في مشين مثل السكرى في التباطؤ والتناقل .

(٦٩) الْخَسْف : الظلم والجور . نُقَرَّ الْخَسْفَ : نتقبله أو نعرف به . أَيْنَا : رفضنا بشدة .

* * *

عبد الله التطاوى

ذُو الإصْبَعِ العَدَوَانِي

هو حُرثان بن محرث بن شبث بن زهير بن معاوية سمي ذا الإصبع لأن أفعى نهشت إبهام رجله فقطعها فسمى ذا الإصبع .

وهو شاعر جاهلي قديم ، عمر دهره حتى زعم السجستاني — علي ما في زعمه من مبالغة — أنه عاش ثلاثمائة سنة . وهو فارس مذكور وحكيم كانت تحتكم إليه العرب . وكنيته أبو عدوان ، وله غارات مشهورة ووقائع كثيرة سجلتها له بعض روايات العصر الجاهلي .

وفي قصيدته النونية التي اخترناها يبدأ الشاعر بذلك الحديث الغزلي الموجز الذي افتتحها به ، ووزعه بين قلبه وصاحبته والوشاة ليدخل إلى تصوير موقفه مع ابن عمه ومنه يبدأ الفخر بنفسه وقومه ، جاعلا مفتاح شخصيته وشخصية قومه جميعا مرتبطا بتلك القدرة المطلقة التي استوفقته فيهم على أن يكونوا جبارين في الأرض لولا بقية حرص على أوامر القربى تجعلهم يكبحون جماع غيظهم ويكبتون قوتهم حتى لا يقوضوا من حولهم من الأقوام . ويسحب الشاعر على نفسه رداء القوة والعنف بنفس الدرجة ويضيف إلى فروسيته اللسانية التي تحكمها العفة وعدم الانصراف إلى الشتائم أو السباب أو الفحش في أي من صوره ، وهو يضمنى على حديثه طابع الصدق من خلال مجموعة الحكم التي يطرحها متناثرة بين الأبيات لتجمع شتاتها وتكون روابط فنية تشد ما يسبقها من المعاني إلى ما يورده منها بعدها .

وهو يمزج بين الفخر والتحدى أو ينتقل إليه في اللوحة الأخيرة التي يعلن فيها صغفه على أعدائه بشكل مباشر ، وإن كان هذا السخط يرد مصحوبا أيضا

الجزء الأول

٢٧١

بمحور متكرر على تصوير مثاليته الخلقية في علاقاته الاجتماعية يرسم من كل جزئياتها مسلكا إنسانيا يقتنع به في حياته ، ويطبقه في تعامله مع أعدائه وأصدقائه جميعا .

وعلى هذا راح الشاعر يعتمد على هذا التداخل بين الصورة والتقرير في صياغة القصيدة ، ما ارتبط منها بحديث الذات في تضخيمها وتغظيمها وسيطرتها على الأبيات ؛ أو ما تعلق منها بحديث الغير كطرف آخر تحكمه رؤيته لما ينبغي أن يسود في العلاقات الاجتماعية بوجه عام .

* * *

عبد الله التطاوى

بين الفخر والتحدى

- ١ يَأْمَنُ لِقَلْبٍ طَوِيلِ الْهَمِّ حَزُونِ أَمْسَى تَذَكُّرِيًّا أُمَّ هَارُونَ ؟
- ٢ أَمْسَى تَذَكُّرُهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَخَّطَتْ وَالْدَّهْرُ ذُو غَلْظَةٍ حِينًا وَذُولَيْنِ
- ٣ فَلِنْ يَكُنْ حُبُّهَا أَصْحَى لَنَا شَجَنًا وَأَصْبَحَ الْوَأَى مِنْهَا لَا يُؤَاتِينِي
- ٤ فَقَدْ غَنَيْنَا وَشَمِلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا أَطِيعُ رِيًّا وَرِيًّا لَا تُعَاصِينِي
- ٥ تَرِي الْوِشَاةَ فَلَا تُنْطَلِ مَقَاتِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَكُونِ
- ٦ لِي ابْنٌ عَمٌّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ مُخْتَلَفٍ فَا قَلِيلِهِ وَيَقْلِيلِي
- ٧ أَزْرَى بَنَاتُنَا شَالَتْ نَعَامَتُنَا نَخَالِنِي دُونَهُ بَلْ خَلَّتْهُ دُونِي
- ٨ يَا عَمْرُو لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصِي أَضْرِبَكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي
- ٩ لِأَبْنِ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ عَنِّي وَلَا أَنْتَ دِيَانِي فَتَحْزُونِي

- (١) يا من لقلب : صيغة تعجب تصور دهشته من أمره ، فهو يتساءل عن يستطيع ما رنته على قلبه بهذه الصفة وقد يسيطر عليه الحزن وطول الهم وتذكروا .
- (٢) يصور الدهر الذي لا يدوم على حال . وهو يتحكم في البشر بليته وغلظته حسب إرادته .
- (٣) الشجن : الحزن والهم . الوأى : الوعد . يواتيني : يتم إنجاز أو يحقق لي ويصلني .
- يصور كيف بعدت عنه تلك المرأة فلم يعد وصلها يطاوعه وقد بقيا زمانا على أحسن ما يكون عليه متحابان من وصل .
- (٤) يقلبه : يبتغيه ، ويكن في نفسه له غدرا وكرها .
- (٥) أزرى به : إذا قصر به . شالت نعائهم : إذا تفرقوا ، وتشتت شملهم .
- (٦) الهامة : الرأس وقد أخذت بعدا خاصا في مسألة القتل والتأراذ عرف أن المقتول إذا لم يدرك تأره يخرج من رأسه هامة تصوت على قبره ، اسقوني اسقوني . فإذا قتل قاتله أمسك .
- (٧) لاه ابن عمك : لله ابن عمك فأضهر الالام . لا أفضلت : أي لم تفضل . تحزوني : تتهزوني ويسومني .

١٠. وَلَا تَقُوتْ عِيَالِي يَوْمَ مَسْغَبَةٍ
 ١١. فَإِنْ تُرِدْ عَرَضَ الدُّنْيَا بَمَنْقَصَتِي
 ١٢. وَلَا يَرَى فِي غَيْرِ الصَّبْرِ مَنْقَصَةٌ
 ١٣. لَوْلَا أَوْاصِرُ قُرْبِي لَسْتَ تُحْفَظُهَا
 ١٤. إِذَنْ بَرِيئُكَ بَرِيًّا لَا انْجِبَارَ لَهُ
 ١٥. إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَأْسِي بِذِي عَلَقٍ
 ١٦. عَفٌّ يَوْوُسٌ إِذَا مَا خِفْتُ مِنْ بَلَدٍ
 ١٧. وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَذْنَى بِمُسْطَلِقٍ
 ١٨. عَنِّي إِلَيْكَ فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَةٍ
 ١٩. كُلُّ أَمْرِي رَاجِعٌ يَوْمًا لِشَيْمَتِهِ
 ٢٠. عِنْدِي خَلَائِقُ أَقْوَامٍ قَوِي حَسَبٍ
 ٢١. يَأْرُبُ ثَوْبٌ حَوَاشِيَهُ كَأَوْسَطِهِ
 وَلَا يَنْفِسُكَ فِي الْعَزَاءِ تَكْفِينِي
 فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ يَشْجِينِي
 وَمَا سِوَاهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِينِي
 وَرَهْبَةُ اللَّهِ فِي حَوَالِي يُعَادِينِي
 إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَنْفُكُ تَبْرِيئِي
 عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونٍ
 هَوْنًا فَلَسْتُ بِوَقَافٍ عَلَى الْهُونِ
 بِالْفَاحِشَاتِ ، وَلَا قَتْلِي بِمَأْمُونٍ
 تَرَعَى الْخَاضَ وَلَا رَأْيِي بِمَغْنُونٍ
 وَإِنْ تَخَالَقَ أَحْيَانًا إِلَى حِينٍ
 وَآخَرُونَ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ دُونِي
 لَا عَيْبَ فِي الثَّوْبِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ لِينٍ

(١٠) المسغبة : الحاجة والجذب . العزاء : الضيق والشدة .

(١٥) المنون : المقطوع ، أى لا أقطع فضلى عن سائلي ولا أمنعه منه .

(١٦) عف : كريم النفس لا يطلع فيما ليس له . الهون : المذلة أو الهوان أو الضعف .

(١٨) ما أمي براعية : أى ليست أمة ويقال إنه عرض به وكان ابن أمة ، أى جارية رعى الغنم .

عنى إليك : أى انصرف عني ، فقها ردع وزجر بأمره بأن يضم إليه أمره ولا يتعامل معه . فهو بنأى بنفسه عن التماور معه أو مناقشته لأنه يضيق به .

(١٩) التخليق : الافتعال في التصرف ، وإظهار الإنسان أمام الناس خلاف ما يبطن .

(٢٠) يصوران عنده ما يرضى الكرام من طيب أخلاقه ومحاسن صفاته ، مما لا يتحقق لدى

الآخرين وكان الصفات الطيبة كلها لا تلتقي إلا في شخصه .

(٢١) يرى بعض الرواة أنه قصد به السيف ، ومما ثوباً كما يسمى عند البعض حطافاً ورداء لأنه

يثوب إليه كل ذى سلاح .

- ٢٢ يوماً شَدَّدْتُ به فرغَاءَ فَاهِقَةٍ يوماً على الدَّهْرِ تَارَاتِ ثُمَارِي
- ٢٣ لِي ابْنُ هَمٍّ لَوْ أَنَّ النَّاسَ فِي كَبِدٍ لظَلَّ مُتَحَيِّزًا بِالنَّبِيلِ يَرْمِي
- ٢٤ إِنِّي أَيُّْ أَيُّْ دُوِّ مُحَافِظَةٍ وابنُ أَبِي أَيٍّْ مِنْ أَيْيِّنِ
- ٢٥ وَأَنْتُمْ مَعَشَرُ زَيْدٍ عَلَى مَائَةٍ فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ كُلًّا فَيَكِيدُونِي
- ٢٦ فَإِنَّ عَرَفْتُمْ سَبِيلَ الرُّشْدِ فَانْطَلِقُوا وَإِنْ جَهَلْتُمْ سَبِيلَ الرُّشْدِ فَاتُّونِي
- ٢٧ مَاذَا عَلَىَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي كَرَمٍ أَلَا أُحِبُّكُمْ إِذْ لَمْ يُحِبُّونِي ؟
- ٢٨ اللَّهُ يَعْلَمُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُنِي وَاللَّهُ يُخْزِيكُمْ عَنِّي وَيُخْزِينِي
- ٢٩ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَا أُحِبُّكُمْ وَلَا الْوُكُومُكُمْ أَلَا يُحِبُّونِي
- ٣٠ لَوْ تَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يَرَوْا شَارِبَكُمْ وَلَا دِمَاءَكُمْ جَمْعَاءَ تَرَوِينِي
- ٣١ قَدْ كُنْتُ أَوَايِكُمْ مَالِي وَأَمْنُكُمْ وَدَى عَلَى مُنْبَتِّ فِي الصَّدْرِ مَكْنُونِ
- ٣٢ لَا يُخْرِجُ الْكُرْهَ مَنَى خَيْرُ مَأْيَةٍ وَلَا أَلَيْنُ لِمَنْ لَا يَتَّبِعُنِي لِينِي

(٢٢) به : يقصد بالثوب . الفرغاء : ضربة واسعة الفرغ وهو القسم . الفاهقة : التي تفهى بالدم وتقبض به . يصور ضربه ذلك المجرى تارة بضربة واسعة يشد عليها ثوب .

(٢٣) الكَبِد : المشقة . محتجزا : شادا هجزته . يصور ضيق ابن عمه به حتى لم يعد يشغله شاغل إلا رشقه بناله مهما أجهد الناس من البلاء الذي يعمهم حتى يصير لكل منهم شأن يشغله عن غيره .

(٢٥) زيد : يقصد أن عددهم قد تجاوز المائة . أجمعوا : عزوا عليه . كلا : جميعا .

(٢٦) يصور شدة العداوة بينه وبينهم وكيف استحكمت ، وهي باقية وإن تغافوا بينهم وأهلك بعضهم البعض .

(٣٢) مأية من الإباء (مفعلة) . يصور إباءه وكيف أنه لا يقبل أن يعطى شيئا على قسار ورغم أنه فإذا ما أكره على الشيء لم يكن عنده إلا هذا الإباء والشموخ رغبة فيه وكرها في الخير .

٣٣ مَاذَا عَلَى إِذَا تَدْعُونِي تَرَعًا أَلَا أُجِيبُكُمْ إِذْ لَمْ تُجِيبُونِي
٣٤ يَا رَبِّ حَتَّى شَدِيدِ الشَّغْبِ ذِي جَلَبٍ دَعَوْتُهُمْ رَاهِنٌ مِنْهُمْ وَمَرْهُونٌ
٣٥ رَدَدْتُ بَاطِلَهُمْ فِي رَأْسِ قَائِلِهِمْ حَتَّى يَظْلُتُوا خُصُومًا ذَا أَفَانِينَ
٣٦ يَا عَمْرُو أَوْلَيْتَ لِي الْفَيْتَنِي يَسْرًا سَمْعًا كَرِيمًا أَجَازِي مَنْ يُجَازِينِي

(٣٣) تدعوني : تسموني . الترع : السريع إلى الشر الراغب فيه .

(٣٤) الزاهن والمرهون : الرئيس والمرؤوس . والراهن : الدائم الثابت . دماهم لمنافرات فلم
ينفضوا ولم ينبتوا سواء منهم التايغ أو المتبرع فكلمهم يحشون لقاء .

(٣٥) باطلهم : يقصد الباطل من كلامهم وكيف رده وأورد من الحجاج عليهم ما تشابهت من
أجله حججهم عنده فتعبروا واختطفوا فصاروا جميعا ذا أفانين . والأفانين ج أفنون وهي الضروب من
الكلام .

* * *

عبد الله التطاوي

عَصْرُ دَا حِيسٍ وَالْغُبْرَاءِ

الطَفِيلُ الغَنَوِي

هو طفيل بن عوف بن خُليف من قبيلة غَنى ينتهى نسبه إلى قيس عيلان من مضر، شاعر جاهلي لقبه القدماء « بالمحبر » لحسن شعره ووصفه ، كما « لقبوه بطفيل الخيل لكثرة وصفه لها وبراعته في هذا الوصف .

ماش في مطلع النصف الثاني من القرن السادس الميلادي حتى نهايته والأرجح أنه مات قبل الدعوة الإسلامية بقليل . وربما كان ذلك في سنة ٦١٠ ليلاد . كان سيدا في قومه وقائدا لفرسان قبيلته ، كما عُرف بغناه وثرائه مما ساعده على القيام بدور السفارة بين قبيلته وبين غيرها من القبائل العربية ساعيا في الصلح وحقق الدماء .

عُرف طفيل بحكته وحلمه وسداد رأيه ، كما كثر إلمامه بعلم النجوم والأنواء وما أثير حولها من قصص ، كما كان على علم واسع ببيطرة الخيل بسبب كثرة ركوبها واقتنائها .

ومن أهم الموضوعات التي وقف عندها في شعره « الوصف » ، خاصة وصف الخيل والأسلحة والإبل ، حتى جعله صاحب الأغاني أو وصف العرب للخيال ، وقد أعجب وصفه لها عبد الملك بن مروان فقال : « من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليرو شعر طفيل » . ويكثر في شعره أيضا الفخر بقبيلته كما يكثر نفخه بنفسه ، وتتراوح عنده الشخصية الفردية مع الشخصية القبلية في اتساق نفسي يرتبط بطبيعة دوره كشاعر في المجتمع القبلي . وهو واحد من رواد مدرسة الصنعة الجاهلية شأنه في ذلك شأن أوس بن حجر ، وقد صور ذلك أبو الفرج حين ذكر أن طفيلاً كان

أكبر من النابغة وليس في قيس فحل أكبر منه ، وانتهى الأصمعي إلى أن كل الشعراء قد أخذوا من طفيل حتى زهير والنابغة .

على أن هذا كله لا ينفي تأثير الشاعر بغيره من شعراء العصر الجاهلي الذين سبقوه إلى النظم سواء كان هذا التأثير عقوياً أم متعمداً ، فقد تأثر بامرئ القيس وأبي دؤاد الإيادي الذي ذاع صيته أيضاً في وصف الخيل .

وفي قصيدته اللامية التي اخترناها له يفتتحها بمقدمة غزلية تقليدية أسامها صور الغزل وما يصاحبها من مشاهد الهجر والقطيعة وتدخّل الوشاة بينه وبين صاحبه لإفساد العلاقة بينهما ، ومن الغزل ينتقل إلى رسم لوحة فنية متكاملة يبرز فيها الملاحح الكبرى التي تميز الرجل العربي وأصبحت أهلاً لفخره بنفسه وبقومه وبطبيعة الانتماء إليهم وضرورة الولاء لهم . فهو يرى في شخصه ملاحح العفة خاصة في تعامله مع نساء جيرانه وهو ما نجد له نظيراً عند غيره من شعراء الجاهلية خاصة عند حاتم الطائي وعنترة بن شداد .

واستكمالاً لهذا التصور المنشألي يصور ملاحح الكرم التي يراها ضرورة بدوية يعتز بها ويفانح بتوافرها في شخصه وفي بني قومه ، فكأنه يحرص بذلك على أن يسجل مآثر القبيلة في تفاعلها مع مآثره الخاصة ، وإن كانت الشخصية القبلية لا تزال تطغى عليه حين يصير على إكمال الصورة بمحدثه عن ارتباطه بقومه ولوائه لهم . وفي الختام يعود الشاعر إلى حديث الافتتاح مرة ثانية ، لكنه هنا يؤثر حديث الحكمة التي يعلقها بالمرأة عامة فيصور موقفه منها وعدم استسلامه لها ، كما يسجل رؤيته الخاصة لطبيعتها وحقيقة مساكنها الاجتماعي .

* * *

(تراجع ترجمته وأخباره في مقدمة ديوانه تحقيق د . محمد عبد القادر أحمد . دار الكتب الجديدة

١٩٦٨)

* * *

عبد الله البطاوي

منهج حياة

* * *

- ١ هل جبلُ شَمَاءَ قَبْلَ البَيْنِ مَوْصُولُ
- ٢ أَمْ مَا تُسَائِلُ عَنْ شَمَاءَ مَا فَعَلْتَ
- ٣ إِذْ هِيَ أَحْوَى مِنَ الرَّثَى حَاجِبُهُ
- ٤ تَرعى مِنَابِتَ وَسْمَى أَطَاعَ لَهُ
- ٥ بَانَتْ وَكَانَتْ إِذَا بَانَتْ يَكُونُ لَهَا
- ٦ إِنْ تُنْسِ قَدْ سَمِعْتَ قِيلَ الْوَشَاةُ بِنَا
- ٧ فَمَا تَجُودُ بِمَوْعِدٍ فَتَنْجِزُهُ
- ٨ فَإِنَّ قَصْرَكَ قَدِيمِي إِنْ سَأَلْتَهُمْ
- ٩ أَمْ لَيْسَ لِلصَّرْمِ عَنْ شَمَاءَ مَعْدُولُ
- ١٠ وَمَا تُحَاذِرُ مِنْ شَمَاءَ مَفْعُولُ
- ١١ وَالْعَيْنُ بِالْإِثْمِيدِ الْحَارِي مَكْحُولُ
- ١٢ بِالْخَزَعِ حَيْثُ عَصَى أَصْحَابُهُ الْفِيلُ
- ١٣ رَهْنٌ بِمَا أَحْكَمْتَ شَمَاءَ مَبْتُولُ
- ١٤ وَكُلُّ مَا نَطَقَ الْوَاشُونَ تَضْلِيلُ
- ١٥ أَمْ لَا فَيَاسُ وَإِعْرَاضُ وَتَجْمِيلُ
- ١٦ وَالْمَرْءُ مُسْتَنْبَأٌ عَنْهُ وَمَسْئُولُ

* * *

- ٩ إِنْ بَانَتْ وَكَانَتْ إِذَا بَانَتْ يَكُونُ لَهَا
- ١٠ إِنْ تُنْسِ قَدْ سَمِعْتَ قِيلَ الْوَشَاةُ بِنَا
- ١١ فَمَا تَجُودُ بِمَوْعِدٍ فَتَنْجِزُهُ
- ١٢ فَإِنَّ قَصْرَكَ قَدِيمِي إِنْ سَأَلْتَهُمْ
- ١٣ أَمْ لَيْسَ لِلصَّرْمِ عَنْ شَمَاءَ مَعْدُولُ
- ١٤ وَمَا تُحَاذِرُ مِنْ شَمَاءَ مَفْعُولُ
- ١٥ وَالْعَيْنُ بِالْإِثْمِيدِ الْحَارِي مَكْحُولُ
- ١٦ بِالْخَزَعِ حَيْثُ عَصَى أَصْحَابُهُ الْفِيلُ
- ١٧ رَهْنٌ بِمَا أَحْكَمْتَ شَمَاءَ مَبْتُولُ
- ١٨ وَكُلُّ مَا نَطَقَ الْوَاشُونَ تَضْلِيلُ
- ١٩ أَمْ لَا فَيَاسُ وَإِعْرَاضُ وَتَجْمِيلُ
- ٢٠ وَالْمَرْءُ مُسْتَنْبَأٌ عَنْهُ وَمَسْئُولُ

- (١) الحبل : الوصل ، شماء : اسم جارية . الربى : ما نتج في فصل الربيع .
- (٤) الفيل : يقصد به فيل « أبرهة » الذي عجز عن التحرك صوب البيت ، شبه به الظبي حين يرمى هذا المكان الذي يصوره .
- (٥) بما أحكمت : بما شئت ارتهنته وسيطرزت عليه وتحكمت فيه . مبتول : مقطوع .
- (٧) الإعراض : العبد والهجر والقطيعة . التجميل : التجميل والصبر والتحمل .
- (١٠) المرطى : ضرب من الجرى . السبد : طائر مثل الخطاف .
- (١١) القارح : الفرس وقد ألقي أقصى أسنانه . الغراب لخل كان لغنى . الجراء : الهجارة .
- مسح الشد : يصبب الشد صبا . يحفل : يفرح .

أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ

* * *

ينتهي نسب أوس بن حجر إلى قبيلة تميم ، القبيلة العربية الضخمة المنتشرة
البطون والعشائر ، التي كانت تنزل في منطقة الدهناء الممتدة امتدادا كبيرا بين
نجد والبحرين . وكانت منازل عشيرته — أسيد بن عمرو بن تميم — منتشرة بين
اليمامة في الجنوب الشرقي من نجد ، وبين حجر في جنوبي البحرين . وليس
من اليسير — كما هو الشأن مع كل الشعراء الجاهليين — أن نحدد تاريخ مولده ،
ولكن يغلب على الظن أنه كان في مطالع القرن السادس الميلادي : وربما كان
ذلك — كما ترجح دائرة المعارف الإسلامية — سنة ٥٣٠ . وهو — على كل
حال — من شعراء البلاط الحيرى في عصر الملك عمرو بن هند (٥٥٤ — ٥٦٩) .
وكذلك ليس من اليسير تحديد سنة وفاته ، ولكن يبدو أنه عمّر طويلا ، ففي
شعره إشارات لأحداث وقعت في أواخر القرن السادس وأوائل السابع ، ولكنه
— من غير شك — لم يدرك الإسلام ، وفي أغلب الظن أنه مات مع مطالع
القرن السابع ، وربما كان التاريخ الذي حدّده جرجي زيدان — وهو سنة ٦١٠ —
قريبا من الحقيقة .

عاش أوس حياة قبيلته كما يعيشها سائر أبنائها ، ولمع فيها شاعرا دار بشعره
في دائرة عصبيتها القبلية ، يتغنى بأجسادها ومفاخرها ، ويسجل في شعره انتصاراتها
ويهجو أعداءها وخصومها ، ويعيش معها هزائمها ووفائع ثأرها ، ويعمل من
شعره أبواقا تنفخ في روحها ، وترفع من معنوياتها . ولكنه — مع ذلك — لم

ينفصل عن حياته الخاصة ، ولم يُبلغ ذاتيته أو شخصيته ، والرواة القدماء يصفونه بأنه كان « غزلا مغرما بالنساء » . ولكن يبدو أن كثيرا من شعره الذى نظمه فى هذه « الدائرة الذاتية الفردية » قد ضاع وضاعت معه الصورة الخاصة التى كنا نتمنى أن نراها له لنستكمل بها الصورة الكاملة له .

واتصل أوس بالبلاط الحيرى فى عصر الملك عمرو بن هند ، ولكنه لم ينقطع إلى هذا البلاط كغيره من شعراء عصره الذين انقطعوا له . ومن هنا لم يكن تأثير البيئة الحضارية عميقا فى حياته أو شعره ، فعاش حياته وفنّه بدويا قحّا ، وظل شعره يدور فى الدوائر البدوية التقليدية فى موضوعاته ولقته وأسلوبه وصوره ، وظلت البيئة البدوية حية فى أعماقه تعكس آثارها على شعره . ولعل هذا هو الذى جعله يبلغ قمة الإبداع فى وصف المطر من ناحية ، وفى وصف مناظر الصيد من ناحية أخرى ، وهما موضوعان بدويان شغل بهما شعراء البادية منذ أقدم عصور الشعر العربى ، لأنهما يعكسان إحساس البدوى ببيئته الطبيعية التى ترتبط حياته ومشاعره بها ارتباطا مباشرا لا يقف دونه حجاب .

وإلى جانب هذين الموضوعين يتحدث الروايات القديمة عن علاقة ربطته بسيد من سادة بنى أسد ، فضالة بن كَلْدَة . وهى علاقة يبدو أنها استمرت طويلا ، وأنها أنتجت عددا من مدائحه فيه ، وكثيرا من عطاياها له . ولكن يبدو أن هذه المدائح ضاعت أيضا مع ماضع من شعره ، فلم تصل إلينا إلا مقطوعة واحدة فى مدح ابنة له اسمها « حَلِيمَة » وأربع قصائد ومقطوعة واحدة فى رثائه تجلّى فيها جميعا مدى وفائه وإخلاصه له .

ويُعدّ أوس رائدا من رواد مدرسة الصنعة الجاهلية التى تحول العمل الفنى على أيدي شعرائها إلى صنعة متأنية متروية فيها الجهد والعناء ونضح الجبين والتفرغ

الطويل للعمل الفني لإخراجه وفقاً لمقاييس دقيقة وأصول ثابتة وتقاليد مستقرة . وهو - في رأى الدكتور طه حسين ومن تابعه من الباحثين - رأس هذه المدرسة ، وهو - في رأى ورأى آخرين - رائدا من روادها الأوائل كان دوره فيها بعد الطفيل الغنوى الذى أراه رأس هذه المدرسة والرائد الأول لها . وربما كانت أهمية أوس تأتى - من بعض جوانبها - من صلته بزهير بن أبى سلمى فقه هذه المدرسة فى العصر الجاهلي ، فقد كان أوس زوج أمه بعد وفاة أبيه ممكنا أتاح لزهير أن يقترب منه بصورة أشد من غيره من شعراء هذه المدرسة ، وأن يكون تأثيره بمذهبه الفنى أقوى منهم . وفى رأى النقاد القدماء أن ظهور زهير أنحى قليلا من منزلة أوس ، وكذلك يردون جانبا من ذلك إلى ظهور النابغة الذبياني ، وهو أيضا من قمم هذه المدرسة . وهو رأى يتردد فى أكثر من رواية عن الراوية والناقد الكبير أبى عمرو بن العلاء ، فهو يقول مرة : « كان أوس شاعر مضر حتى أسقطه النابغة وزهير » ، ويقول مرة أخرى : « كان أوس بن حجر شاعر بنى تميم فى الجاهلية غير مدافع ، وكان فحل العرب ، فلما نشأ النابغة طائفا منه » ، وأن يكن الأصمعى يخالفه فى شطرنج حكمه ويتفق معه فى الشطر الآخر ، فيرى أن أوسا أشعر من زهير ، ولكن النابغة أشعر منه . ويضعه ابن سلام فى « طبقاته » على رأس الطبقة الثانية من فحول شعراء الجاهلية ، ولكنه يعدل ذلك تعليلا غريبيا حين يذكر أنه أنحره إليها لأنه التزم فى تقسيم طبقاته أن تكون كل طبقة من أربعة شعراء لا تتجاوزهم ، وأن الطبقة الأولى غطاها الأربعة الكبار : امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى .

* * *

يوسف خليف

(١)

رثاء عظيم

أوس بن حجر من فحول شعراء تميم في الجاهلية ، بل إن قبيلته تُفضله على
سائر شعراء العرب . يضم شعره الكثير من الحكم ووصف مكارم الأخلاق ،
كذلك كان وصافاً للحيوان والسلاح ولا سيما القوس . ويمتاز شعره بدقة المعنى
وبراعة الصياغة ، وتنسب إليه مدرسة التروى والتنقيح التي عُرفت باسم « عبيد
الشعر » ، وقد تخرج زهير بن أبي سلمى على يديه إذ كان زوج أمه .

وقد نشأت بينه وبين فضالة بن كلفة علاقة وثيقة بسبب ما حدث لأوس
حين جالت به ناقته فصَرَعه فاندقت نخذه ، فلما كان الصباح أبصر فتيات الحى
يُحْنِينَ الكُفَاةَ ، فدعا جارية منهن فقال لها : من أنت ؟ فقالت : أنا حليلة بنت
فضالة بن كلفة ، فأعطاها حجرا وقال : اذهبي إلى أبيك فقولى له : ابنُ هذا يُقرئك
السلام ويقول لك : أدركنى فإنى فى حالة عظيمة . فأتت أباهما وقصت عليه
القصة وأعطته الحجر ، فقال : يا بُنَيَّةُ لقد أتيت أباك بمدح طويل أو هجاء طويل .
ثم ذهب إلى مكان أوس فأثاه بمن يُجْبِرُ كَسْرَه ، ولم يزل مقبلا عنده ، وبنته تخدمه ،
إلى أن برأ ، فمدحه أوس بقصائد عديدة ، ورثاه بعد موته بهذه القصيدة الرائعة
التي يُظهر فيها عاطفته القوية تجاه فضالة ، ويعدّد صفاته العظيمة من كرم وشجاعة
وحزم ونجدة وذكاء ، ويركّز فى رثائه على كرمه وخاصة فى أوقات المجاعة والشدة
حين يحرص الناس على ما بأيديهم خوفاً العوز ، ويُبرز عونه للاحتياج الفقير ،
وبطولته فى ردّ هادئة المغيرين على قومه .

ولا شك أن أوسا قد أجاد في صوره الفنية إجادة بارعة ، وكان وفيها لهذا العربي الكريم الذي قدّم له يدّ العون ، ويكفيه فخرا أن يقال فيه هذه القصيدة التي تؤكد معانيها أنها قيلت في « رجل عظيم » .

* * *

- ١ ابْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَمًا ابْنُ الَّذِي تُحْذِرِينَ قَدْ وَقَمَا
- ٢ ابْنُ الَّذِي جَمَعَ السَّامَةَ وَالذَّ بَجْدَةَ وَالْحَزْمَ وَالْقُسْوَى جُمَعَا .
- ٣ الْأَلْمَى الَّذِي يَقْنُ لَكَ الظَّ مَنْ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
- ٤ وَالْمُخْلِيفَ الْمُتْلِفَ الْمُرْزَا لَمْ يَمْتَنِعْ بِضَعِيفٍ وَلَمْ يَمْتِ طَبَعَا
- ٥ وَالْحَافِظَ النَّاسَ فِي تَحْوُطٍ إِذَا لَمْ يُرْسِلُوا تَحْتَ عَائِدِ رُبَعَا
- ٦ وَازْدَحَمَتْ حَلَقَتَا الْبُطَانِ بِأَفْدٍ وَأَوَامٍ وَطَارَتْ نَفُوسُهُمْ جَزَمَا
- ٧ وَعَزَّتِ الشَّمَالُ الرِّيحَ وَقَدْ أَمْسَى كَيْسَعُ الْفَتَاةِ مُتَفِيعَا

(١) أجمل : اتحدى واعتدلى .

(٢) السامحة : الكرم . المنجدة : الشجاعة ، القوى : العقل .

(٣) الألمى : الذكى المتوقد .

(٤) المخلف : الذى يغيب الناس في وقت الشدة . المتلف : من يجود كثيرا بماله . المرزأ : الذى يهب الأموال الكثيرة ، غير حاجب ، بتناقص ثروته . لم يمتنع : لم يعش . الطبع : أسوأ الطمع .
(٥) الحافظ الناس : الذى يحفظ عليهم حياتهم بكرمه . تحوط ، من أحماه السنة المجدية . العائد : الناقة المجدية التاج . الربع : الفصيل الذى ينتج في الربيع ، وكان من عادة العرب أن يشرروا الفصال في السنة المجدية لئلا تعرض فتضرر بالأمهات . وإلى هذا يشير الشاعر .

(٦) البطان : حزام القنّب : والتقاء حلقتيه مثل يضرب لشدة وإصابة المكروه .

(٧) عزت الشمال الرياح : أى غلبتها وتلك علامة الجسدب وعدم نزول الأمطار . الكيع :

الضجيع . المنفع ، المتلف في الكساء أو الخفاف ، والشاعر يصور شدة البرد بأن الرجل لا يستطيع أن يتنام مع زوجته بسبب الإجهاد ، ويلمس الدفء في الكساء أو الخفاف .

- ٨ وَشَبَّهَ الْهَيْدَبُ الْعَبَامُ مِنْ أَلِ . أَمْقَامُ سَقْبَا مُلْبَسَا فَرَمَا
٩ وَكَانَتْ الْكَاعِبُ الْمُمنَعَةُ أَلِ . حَسَنَاءُ فِي زَادِ أَهْلِهَا سَبْعَا
١٠ أَوْدَى ، وَهَلْ تَنْفَعُ الْإِشَاحَةُ مِنْ شَيْءٍ لِمَنْ قَدْ يَحَاوِلُ الْيَدْعَا ؟
١١ لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ وَالْمُدَامَةُ وَالِ . يَفْتِيَانُ طُرًّا وَطَامِعُ طِمْعَا
١٢ وَذَاتُ هِذَمٍ عَارٍ نَوَاشِرُهَا . تَصْمِيْتُ بِالْمَاءِ تَوَلَّبَا جَدْعَا
١٣ وَالْحَى إِذْ حَازَرُوا الصَّبَاحَ وَقَدْ خَافُوا مُخِيرَا وَسَاءَرَا تَلْعَا

(٨) الهيدب من الأقوام : يعنى الذى يلبس ثيابا ممزقة . العيام : الثقيل اللسان . السقب : ولد الناقة عند ولادته ، وكذلك الفرع وهو يقصد جلد الفرع . والشاعر يشبه الرجل الملتف بالأعمال البالية بسبب شدة البرد يابن الناقة الذى يلبسونه جلدا آخر .

(٩) الكاعب : الفتاة التى نهد ثدياها . الممنعة : الحرة التى يسترها أهلها . أصبحت كالسبع فى زاد أهلها بعد أن كانت تماف طيب الطعام .

(١٠) أودى : هلك ، وهذا الفعل خبر إن فى البيت الثانى جاء متأخرا . الإشاحة : الخلد والجلد فى الأمر . البدع : الأحداث وعظام الأمور . والمعنى إن الجلد والخلد لا يفتيان عن نزول التوازل لمن يطلب عظام الأمور .

(١١) الشرب : الشاربون الذين كانوا يتادمونه على الشراب ، الطامع : يقصد به المؤمل فى كرمه وعطائه .

(١٢) الهدم : الثوب البالى ، وذات الهدم : يعنى الفقيرة البائسة . النواشر : مصب الذراع . التولب : ولد الحمار ، ويعنى به طلقها والجدع : الذى القذاء .

(١٣) الحى : يعنى قومه . يحاذرون الصباح : لأن حروب العرب كانت فى النهار ، التلع : المفير .

* * *

محمد مصطفى همدارة

(٢)

لَيْلَةٌ مَمْطُورَةٌ

* * *

المحور الأساسي الذي تدور عليه هذه القصيدة التي تبلغ سبعة وعشرين بيتاً هو وصف المطر . وهي تبدأ بمقدمة غزلية قصيرة تُشير في نفس الشاعر حديث الشباب وما فيه من طموح وشراب ، وهو حديث لا يأخذ صورة الحنين إلى ذكرياته البعيدة كما نراه عند أكثر الشعراء الجاهليين ، وإنما يأخذ صورة التفكير في الحياة والموت ، ويتحول إلى لون من التأملات في مصير الإنسان في الحياة ، يخرج منها الشاعر إلى التأمل في الطبيعة من حوله ، فيقف أمام البرق الذي نفي النوم عن عينيه يرصده ويراقبه ، ويصف السحاب الذي أخذ يتدفق بالمطر ، ويطل الوقوف أمام المطر الذي تحولت معه الصحراء إلى رياض مخضرة وأودية ثمرمة . ثم يختم قصيدته ختاماً مفاجئاً بوصف سريع لناقته ، ودعاء بالسقيا لديار سيده من بني عوف يشير في مقدمة قصيدته إلى أنه يقصده ليمدحه .

وحول القصيدة خلاف بين الرواة ، فبعضهم ينسبها إلى أوس ، وبعضهم ينسبها إلى عبيد بن الأبرص ، ولكن أسلوب القصيدة ، والعناية الواضحة بصياغتها ، والحرص على تجويدها وإحكامها ، والاهتمام بالجانب التصويري فيها ، تجعلنا نرجح نسبتها إلى أوس رأس مدرسة الصنعة الجاهلية ، وأحد روادها الأوائل . ويؤكد هذا الترجيح أن الأصمعي الثقة كان يرويها لأوس ، ووافقه على ذلك طائفة من

الجزء الأول

٢٩١

رواية الكوفة، وعلى رأسهم المفضل الضبي، ورواية الكوفة أعلم رواية الشعر العربي بالشعر القديم . وكذلك فعل الجاحظ في كتابه « الحيوان » .

* * *

- ١ وَدَّعَ لَيْسَ وَدَاعَ الصَّارِمِ اللَّاحِى إِذْ فَتَكَتْ فِي فَسَادٍ بَعْدَ إِصْلَاحٍ
- ٢ إِذْ تَسْتَبِيكَ بِمَصْقُولٍ عَوَارِضُهُ حَمِشَ اللَّثَاثِ عَذَابٍ غَيْرِ فَمْلَاحٍ
- ٣ وَقَدْ لَهَوْتُ بِمَثَلِ الرِّثْمِ آنَسِيْ تَصْبِيِ الْحَلِيمِ عَرُوبٍ غَيْرِ مِكْلَاحٍ
- ٤ كَأَنَّ غَرِيقَتَهَا بَعْدَ الْكَرَى اغْتَبَقَتْ مِنْ مَاءٍ أَصْهَبَ فِي الْحَانُوتِ نَضَّاحٍ
- ٥ أَوْ مِنْ مُعْتَقَةٍ وَرَهَاءَ نَشْوَتِهَا أَوْ مِنْ أَنَايِبِ رُمَانٍ وَتَفَاحٍ

(١) الصارم : الجراد في هجره وقطيعته . واللاحى : اللاتم . وفنتكت : لجت في الهجر وألحت في القطيعة بعد أيام الحب والوصل واللقاء ، وهو ما يصفه بأنه فساد بعد إصلاح .
(٢) العوارض : الأسنان ، يصف ثقرها . والحمشة : القليلة اللحم ، يريد أن شفاها رقيقة ، وكان ذلك من سمات الجمال عند العرب . والعذاب : العبثة الرضاب . وغير ملاح تأكيد لذلك .
(٣) الرثم : الغلي الخالص البياض . والآنسة : التي تؤنسك بمحبتها . وتصبي الحليم : أى تفنن الرجل الماقل الرزين . والعروب : الضحوك ، أو المتحبة إلى صاحبها . والمكلاخ : العابسة المقطبة الوجه .

(٤) الريقة : الريق . واغتبقت : شربت الغبوق وهى نحر المساء . والأصهب : الأشقر ، وفى رواية أخرى « أدكن » وهو الضارب إلى السواد ، وهى أدق ، لأنها صفة لازق . والحانوت : الحانة . يشبه ريقها وهى تصحون من النوم بخمر ينضح بها زق أدكن فى حانة التقي فيها ندامى الليل .

(٥) الورهاء : الشديدة القوية . والأنابيب هنا : الأعصاب . يشبه ريقها مرة أخرى بخمر معتقة قوية التأثير فى شاربيها ، كما يشبه بطعم رمان وتفاح مازالت أغصانها تحملهما ، فهما محتفظان بنضارتها وطيبهما .

- ٦ هَبْتُ تَلُومٌ وَلَيْسَتْ سَاعَةُ اللَّاحِ هَلَّا أَنْتَظَرْتُ بِهَذَا اللَّوْمِ لِصَبَاحِ
 ٧ قَاتَلَهَا اللَّهُ تَلَحَّافِي وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لِنَفْسِي لِفَسَادِي وَلِإِصْلَاحِي
 ٨ إِنْ أَشْرَبَ الْخَمْرَ أَوْ أَرَزَأَ لَهَا تَمَنَّا فَلَاحَالَةَ يَوْمًا أَنِّي صَاحِي
 ٩ وَلَا حَالَةَ مِنْ قَبْرِ بِمَحْنِيَّةٍ وَكَفَنٍ كَسْرَةِ الثُّورِ وَضَاحِ
 ١٠ دَعِ الْعُجُوزَيْنِ لَا تَسْمَعِ لِقِيلِهِمَا وَاعْتَدِ إِلَى سَيِّدٍ فِي الْحَيِّ بِحُجَّاجِ
 ١١ كَانَتِ الشَّبَابُ يُلْهِينَا وَيُعْجِبُنَا فَا وَهَبْنَا وَلَا يَغْنَا بِأَرْبَاجِ

* * *

١٢ إِنِّي أَرَقْتُ وَلَمْ تَأْرُقْ مَعِيَ صَاحِ لِمُسْتَكِفٍّ بَعِيدَ النَّوْمِ لَوَاجِ

- (٦) هبت : قامت بالليل وصحبت من نومها . ينكر على صاحبه التي تلومه على لومه أنها أزعجته بلومها في الليل ، ولم تنظر عليه حتى يصبح الصباح ، وكأنه لا يجد مبررا لهذا التعجل بالوم .
 (٧) يقول : فيم اللوم وأنا مسئول عن خيري وشرى ، عن فسادى وإصلاحى ؟
 (٨) قوله « أَرَزَأَ لَهَا تَمَنَّا » يريد ما يصيبه من خسارة في ماله بما ينفقه على الشراب .
 يقول : كل شيء إلى نهاية ، وسوف أصحو في يوم من الأيام بما أنا فيه من سكر وشراب ، فقيم التعجل بالوم ؟ ولم لا تتركنى أستمتع بشبابي قبل أن يولى ؟
 (٩) المحنية : منحى الوادى أو ما انعطفت منه . والمرأة : الظهر . والوضاح : الأبيض ، وظاهر الثور الوحشى في الصحراء العربية أبيض . يقول : فيم التعجل بالوم ، والمسوت في انتظار الجميع مصيرا محتوما لا مفر منه .

- (١٠) العجوزان : الأب والأم . والقييل : القول . والمطهر : السيد الكريم .
 (١١) يقول : إن الشباب شغلنا عن المصير المحتوم الذى ينتظرنا ، فمشنا أيامه نلهو وتلعب مفتونين به ، ولم تفكر فيما وراءه . لقد وهبنا حياتنا ، وهبنا له أيامنا ، ولم نرج من وراء ذلك شيئا . لقد ضيعنا كل شيء ، ولم نأخذ في مقابل ذلك أى شيء .
 (١٢) صاح : أى يا صاحبي ، نداء مرخم . والمستكف : المطر المنهمر . واللواح : الذى يلوح البرق فيه ويلعب من خلاله . ينكر على صاحبه أن ينام دونه ويتركه لأرقه مع البرق والمطر ، وكأنه يعجب من صاحبه أن تقلت منه هذه المنفعة الرائعة وهذا المنظر الخلاب .

- ١٣ قد نمت عني وبات البرق يسهرني كما استضاء يهودي بمصباح
١٤ يامن لبرق أبنت الليل أرقبه في عارض كضيء الصبح لمأج
١٥ دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراج
١٦ كانت ريقه لما علا شطبا أقراب أبلق ينفي الخيل رمأج
١٧ هبت جنوب بأعلاه ومال به أعجاز مزن يسح الماء دلاج
١٨ قالتج أعلاه ثم أرتج أسفله وضاق ذرها بجمل الماء منصاح
١٩ كأنما بين أعلاه وأسفله ريط منشرة أو ضوء مصباح

(١٣) يشبه لمعان البرق بمصباح اليهودي يوقده في الليل ، يقصد بطيعة الحال أحياء اليهود وهم يتعبدون بالليل في معابدهم . وهي صورة مألوفة في الشعر الجاهلي ، وإن تكن في أكثر مواضع تحدث عن رهبان النصارى ، على نحو ما نرى في معلقة امرئ القيس « أو مصابيح واهب » .
(١٤) العارض : السحاب يعترض الأفق ، أو السحاب يسبقه برق شديد اللعان . يشبه البرق وهو يومض في السحاب بنور الصباح يفسر الأفق بالضياء .

(١٥) مسف : قريب من الأرض . وهيدبه : الخيوط التي تتدل منه . والراج : جمع راحة وهي الكف . وفي رأى النقاد القدماء أن هذا البيت أحسن ما وصف به السحاب .
(١٦) ريقه : ما أشرف منه . وشطب : اسم جبل في بلاد تميم . والأقراب : جمع قرب (بفتح الجيم) وهي الخاصرة . والأبلق : الجواد في لونه سواد وبياض . والرماح : الشديد العدو . يقول إن البرق يلعب فيبدو ما أضاءه من السحاب أبيض ، ويظل الباقي أسود ، فيترأى كأنه جواد أبلق يشد في عدوه ، فيبدو بياض أقرابه ، وباقي جسمه أسود .
(١٧) الجنوب : ريح تهب من الجنوب وتأتي عادة بمطر غزير . والمزن : السحاب الأبيض . والدلاج : المحمل بالماء .

(١٨) التج : أحدث صوتا هائلا ، وهو الرعد . والمنصاح : الذي انشق بالماء . يقول إن صوت الرعد بدأ يرتفع في أعالي السحاب ، وأخذت أدانيه تهتز بالماء الذي انشقت عنه ، فأخذ ينهر في غزارة .

(١٩) الریط : جمع ریطة وهي الملاة إذا كانت من قطعة واحدة . يقول إن السحاب انشتر في السماء كأنه ملاة منشورة ، والبرق يلعب من خلاله كأنه ضوء مصباح يتوهج .

- ٢٠ يَتَرَعُّ جِلْدَ الْحَصَى أَجَشُّ مُبْتَرِكٌ كأنه فاحِصٌ أولاعِبٌ دَاحِي
- ٢١ فَمَنْ بَنَجَوْتِهِ كَنْ بِمَحْفِلِهِ والمستَكِنُ كَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاكِ
- ٢٢ كَانُ فِيهِ عِشَارًا جِلَّةٌ شُرْفَا شُعْنًا لَهَا مِيمٌ قَدْ هَمَّتْ بِإِرْشَاكِ
- ٢٣ هَذَا مَشَافِرُهَا بُحًا حَنَابِرُهَا تُزَيِّى مَرَايِعَهَا فِي مَضْجَعِ ضَاكِ
- ٢٤ فَاصْبَحَ الرَوْضُ وَالْقِيَعَانُ مُنْصَرَعَةً مِنْ بَيْنِ مُرْتَفِقٍ مِنْهَا وَمُنْطَاكِ

* * *

(٢٠) أجش : صفة للرد . والمبتريك : المبرح في عدوه . والفاحص : الذي يفحص التراب
أى يقلب وجهه وينبشه . والداحي : الذي يلعب بالمدحاة ، وهى خشبة يلعب بها صبيان العرب ،
يمرون بها على وجه الأرض فتجرف ما أمامها . يقول إن المطر يجرف كل شئ ، يمترض طريقه على وجه
الأرض .

(٢١) النجوة : ما ارتفع من الأرض . والمحفل : مستقر الماء في الأرض . والمستكن : المقيم
في بيته . والقرواح : الأرض المستوية . يقول إن المطر غطى الأرض كلها ، فمن كان في مرتفع
من الأرض أدركه الماء كمن كان في منخفض منها ، ومن كان في بيته كمن كان في الغراء .

(٢٢) المشار : النوق التى أتى على حلها عشرة أشهر . والجلسة : الإبل المسنة . والشرف :
الضخمة . والهاميم : الفزار اللبن . والإرشاح : أن يقوى فصيل الناقة ويشند ، فيشد لذلك حنين
أمه إليه . يصف الرد وما يحدثه من أصوات عالية يشبهها بأصوات نوق ضخمة تحن إلى أولادها .

(٢٣) الهدل : المسترخية . والمشافر : الشفاء . وتزجى : تسوق إلى المرعى . والمراجع :
جمع مرباع وهى الناقة تضع أول أولادها ، ويريد الشاعر هنا أولادها . والصمصح : المكان الظاهر
المستوى . والضاحي : المكشوف . يصف النوق التى شبه الرد بأصواتها بأنها تسوق صغارها نحو المرعى .

(٢٤) القيعان : جمع قاع ، وهو الوادى المظلم من الأرض . والمترفق : الماء الراكد .
والمنطاح : الماء الجارى . يقول إن الأرض اخضرت بعد المطر ، وأصبحت رياضها وأوربتها مبرمة
خصبة ، بعضها استقر فيه الماء وزكد ، وبعضها تدفق فيه وأنساب .

* * *

يوسف خليف

(٣)

مَنْظَرُ صَيْدٍ

* * *

تعد هذه القصيدة الطويلة التي تبلغ سبعة وخمسين بيتا من أروع ما وصل إلينا من وصف الصيد في الشعر الجاهلي . وهي تبدأ بمقدمة طلبية يتحدث فيها أوس عن ديار صاحبه التي تغيرت بعد رحيلها عنها ، ويستعيد ذكريات شبابه ولهوه ، ولكنه لا يطيل فيها لينتقل انتقالا مفاجئا إلى وصف ناقته القوية التي حملته في رحلة إلى أعماق الصحراء ، ويطيل في وصفها إطالة تشغل من القصيدة ستة عشر بيتا ، ثم يتخذ من تشبيهها بحمار وحشي جسرا يعبر عليه من وصفها إلى وصفه ، ليخرج بعد ذلك إلى وصف منظر من مناظر الصيد التي تتردد كثيرا في الشعر الجاهلي ، بين الصيادين الفقراء الخارجين للصيد لكسب رزقهم وردة غائلة الجوع عنهم وعن أبنائهم الجياع المنتظرين عودتهم ، وبين قطعان الحمر الوحشية المنتشرة في أعماق الصحراء ، وهي تسعى في لهيبها المحرق بحثا عن موارد المياه لتطفئ فيها ومنها ظمأها . ويطيل الشاعر في وصف هذا المنظر إطالة ملحوظة تمتد واحدا وثلاثين بيتا حتى نهاية القصيدة .

لقد ظهر الحمار في منطقة صحراوية يسوق أثنائه ويدفعها أمامه بحثا عن مورد من موارد المياه ، وأخذ يمد أذنيه وبصره يستطلع المنطقة من حوله ، ثم تذكر عينا غزيرة الماء يعرفها من قبل ، فأسرع إليها مع أثنائه . وهناك كان صياد

فقير هنزبل أعجف ضامر يتربص به في نجأ أعده لنفسه ليتوارى فيه . ويطلق الشاعر في وصف الصياد كما أطال من قبل في وصف الجمار . وينتظر الصياد الفرصة التي يظنها مواتية له حين يرد الجمار مع أنشاء المساء غافلين — في فرحتهما بالماء البارد بعد رحلة طويلة شاقة في هجر الصحراء — عن الأخطار التي تتربص بهما . وينتظر الصياد هذه الغفلة ، فيطلق سهمه نحو الجمار ، ولكن السهم يخطئ مقاتله ، فينجو ويفر هو وأنشاء . حتى إذا ما وصل إلى مأمن يطمئن إليه عادت إليه فرحته ، وعاود حياته الهادئة المطمئنة مرة أخرى .

والقصيدة تمثل أسلوب أويس وصنعتة الفنية ، وحرصه على تجويدها ، والوقوف الطويل أمام صورته يفصل فيها ، ويوفيها حقها ، ويستقصي جزئياتها وتفصيلها الدقيقة ، فهو أحد الرواد المبكرين لمدرسة الصنعة الجاهلية الذين أرسوا أصولها ، وأصلوا تقاليدها الفنية . وهي — ككل الشعر الجاهلي في دوائره البدوية الصحراوية — تتميز بغرابة لغوية ، وحوشية لفظية ، تتفقان مع بداوة الموضوع ، وبداوة معجمه اللغوي ومعجمه التصويري أيضا .

* * *

- ١ تَنَكَّرَ بَعْدِي مِنْ أُمَيْمَةٍ صَائِفُ فِرْكُ فَاعِلٍ تَوَلَّى فَاَلْمَخَالِفُ
- ٢ فَقَوَّ فَرَهَيْ فَاَلْسَلِيلُ فَعَاذِبُ مَطَافِيلُ عَوِذِ الْوَحْشِ فِيهِ عَوَاطِفُ

(١) يبدأ أرس قصيدته بهذه المقدمة الطليعية التي يتحدث فيها عن أطلال صاحبه أميمة . ومعنى تنكر تغير . والأسماء التي وردت في البيت كلها أسماء مواضع تحدد مكان هذه الأطلال ، وكلها في ديار تميم قبيلة الشاعر .

(٢) العوذ : الحديثات الشاج من الغطاء . والمطافيل : التي تنجمها أطلالها . والعواطيف : الحانيات على أطلالها . والأسماء الواردة في الشطر الأول كلها تكمّل تحديد مكان الأطلال .

الجزء الأول

٢٩٧

- ٣ فَبُطْنُ السَّلَى فَالسَّخَالُ تَعَدَّرَتْ
فَمَعْقِلَةٌ إِلَى مَطَارٍ فَوَاحِفُ
٤ كَأَنَّ جَدِيدَ الدَّارِ يُبْلِيكَ عَنْهُمْ
تَقَى الْبَيْنَ بَعْدَ عَهْدِكَ حَالِفُ
٥ بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ تَرَعَى سَخَالُهَا
فَطِيسٌ وَدَانٌ لِلْفِطَامِ وَنَاصِفُ
٦ وَقَدْ سَأَلْتُ عَنْى الْوَشَاءُ نُفِثَتْ
وَقَدْ نُشِرَتْ مِنْهَا لَدَى صَحَائِفُ
٧ كَعَهْدِكَ لِأَعْهَدُ الشَّبَابِ يُضِلُّنِى
وَلَا هَرِمَ مِمَّنْ تَوَجَّهَ دَالِفُ
٨ وَقَدْ أَتَيْتَنِى لِلْجَهْلِ يَوْمًا ، وَتَنَحَّى
ظَعَانُ لِهَوْدُهُنَّ مُسَاعِفُ
٩ نَوَاعِسُ مَا يَضْحَكُنَّ إِلَّا تَبَسُّمًا
إِلَى اللَّهِ وَقَدْ مَالَتْ مِنْ السَّوَالِفُ

* * *

(٣) تعدرت : درست وتغيرت . والأسماء المذكورة فى البيت أسماء مواضع يواصل الشاعر بها تحديد مكان الأطلال تحديدا دقيقا .

(٤) جديد الأرض : ما كان على فطرته . ويبيك عنهم : أى يخبرك عنهم . وتقى البين : البين الصادرة التى لا حثت فيها . يقول كأن جديد الأرض يحلف لك أنه ماحل بهذه الدار أحد بعد عهدك بها .

(٥) العين : البقر الوحشى . والأرام : الظباء . والسخال : أولادها الصغار . والناصف : الذى بين الفطام والدنومه .

(٦) الضمير فى « منها » يعود على الوشاة . ونشرت الصحف : أى أطلت . يقول إن الوشاة سألوها عنى ، فأخبروهم خبرى ، وعندى عن كل ما حاولوا إخفاءه صحف منشرة تكشف عن وشاياتهم وكيدهم .

(٧) الدالف : الذى يمشى متخارب الخطوات كما يمشى المقيد . ومن توجه : يريد من تقدمت به السن ، يقال توجه الشيخ إذا ولى وأدبر وكبر ، وتوجه العمر إذا تولى . يقول لصاحبه : إننى كعهدك بى ، لا للشباب يضلنى ، ولا للكبر يعقدنى ويضعفنى .

(٨) أتحنى للجهل : أميل ناحيته . ومساعف : أى يسف . ويواتينى ولايتأخر عنى . يتذكر الشاعر أيام شبابه وهو مع صاحباته له يبادلته حبا بحب ومودة بمودة .

(٩) السوالف : جمع سالفة وهى صفحة العنق من حيث يسلق القرمط إلى عظام الرقوة . وقوله « إلى اللهو » متعلق بالفعل « مالت » . واللهو هنا يراد به الأنس إلى الحديث والإعجاب به ، من طلت المرأة إلى حديثه إذا أنصت به وأعجبها . وهنا تنهى المقدمة الطللية لبدأ الشاعر بعصدا حديث الناقة والرحلة والعبيد .

- ١٠ وأدماء مثل الفحل يوما عَرَضَتْهَا
لرجل وفيها جُرأةٌ وتَقَاذُفُ
١١ وَعَنَسِ أُمُونٌ قَدْ تَعَلَّتْ مَتْنَهَا
عَلَى صِفَةٍ أَوْ لَمْ يَصِفْ لِي وَاصِفُ
١٢ كُتِبَتْ عَصَاهَا النَّقْرُ صَادِقَةُ السَّرَى
إِذَا قِيلَ لِلْحَيَّانِ : أَيْنَ تُخَالِفُ ؟
١٣ عِلَاةٌ كَنَازُ اللَّحْمِ ، مَا بَيْنَ خُفِّهَا
وَبَيْنَ مَقِيلِ الرَّحْلِ هَوْلٌ نَفَانِفُ
١٤ عِلَاةٌ مِنَ النَّوْقِ الْمَرَّاسِيلِ وَهَمَّةٌ
نَجَاةٌ عَلَيْهَا كَبْرَةٌ فَهِيَ شَارِفُ
١٥ جُمَالِيَّةٌ ، لِلرَّحْلِ فِيهَا مُقَدَّمٌ ،
أُمُونٌ ، وَمُلَقًى لِلزَّمِيلِ وَرَادِفُ
١٦ يُشَبِّهُهَا فِي كُلِّ هَضْبٍ وَرَمْلَةٍ
قَوَائِمُ عَوْجٍ مُجَمَّرَاتٌ مَقَاذِفُ

- (١٠) الأدماء : الناقة البيضاء . وقوله « مثل الفحل » يريد أنها قوية صلبة ضخمة . وعرضتها لرجل أى وضعته عليها . والتقاذف : أن تندفع الناقة في سيرها فترمى بنفسها أمام الإبل لتسبقها .
(١١) العنَس : الناقة القوية الصلبة . والأمون : الناقة الوثيقة الخلق التي يؤمن عثارها . وتعلت منها : أى استخرجت أقصى ما عندها من السرعة .
(١٢) الكميت : الحمار الذي يخالط حمرتها سواد . وعصاها النقر : أى أنها لا تحتاج لحثها على السير إلى الضرب وإنما يكفي نقرها . صادقة السرى : مجتدة في سراها تبدل فيه كل جهدها ، « أين تخالف » أى إلى أى ناحية تنج . يقول إن هذه الناقة تعرف وجهتها إذا تحير الساري في الصحراء فلم يجد إلى وجهته .
(١٣) العِلَاة : العالية المشرفة . وكناز اللحم : ممتلئة . ومقيل الرجل : موضعه على ظهرها . والنفانف : جمع نفف وهو كل مهوى بين جبلين . والصورة تأكيد لارتفاع ناقته ، فابن أخفافها وظهرها مسافات هائلة .
(١٤) المراسيل : السهولة السير ، مفردا مراسل . والهممة : الضخمة القوية . والنجاة : السريعة . والشارف : المستمة . يقول إنها صغيرة السن ، ولكنها لضخامتها تبدو كأنها ناقة مسنة .
(١٥) جمالية : تشبه الجمال في قوتها وصلابتها وضخامتها . والزميل : الرديف على الناقة الذي يركب خلف راكبها . والرادف : التابع . يصفها بأنها طويلة الظهر .
(١٦) يشبهها : يعينها على السير . والقوائم : الأرجل ، وقوائم الإبل توصف عادة بأنها عوج ، لأنها هكذا خلقت . والمجمرات : التي صلبت أخفافها واشتدت واجتمعت ، والمقاذف : جمع مقذف ومقذاف وهو مجداف السفينة . يريد أنها سريعة في حركتها منتظمة الضرب في الصحراء ، يستوى في ذلك سيرها فوق الهضاب الوعرة أو في الرمال المبهلة .

- ١٧ تَوَائِمُ أَلْفٌ تَوَالٍ لَوَاحِقُ سَوَاهٍ لَوَاهٍ مُرِيدَاتٌ خَوَانِفُ
١٨ يَزِلُ قُتُودُ الرَّحْلِ عَنْ دَائَاتِهَا كَمَا زَلَّ عَنْ رَأْسِ الشَّجِيجِ الْمَحَارِفُ
١٩ إِذَا مَارَكَبُ الْقَوْمِ زَيْلٌ بَيْنَهَا سَرَى اللَّيْلُ مِنْهَا مُسْتَكِينٌ وَصَارِفُ
٢٠ حَلَا رَأْسَهَا بَعْدَ الْهَبَابِ وَسَاحَتْ كَمَحْلُوجٍ قُطْنٍ تَرْتِمِيهِ النَّوَادِفُ
٢١ وَأُنْحَتْ كَمَا أُنْحَى الْحَالَةُ مَاتَحُ عَلَى الْبَثْرِ أَضْحَى حَوْضُهُ وَهَوَانِشُ
٢٢ يُحَالِطُ مِنْهَا لَيْبِنَهَا تَجَرِّقَةُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُقْرِفَاتِ تَجَارِفُ

(١٧) توائم ألف : أى كأن أقدامها توائم متآلفة تنهض معا وتنزل معا . وتوال لواحق : أى تنوال وتتلاحق فى انتظام وسرعة . وسواه لواه أى لينسة السير خفيفة الحركة لا تعب راكبها . والمريدات : الخفيفة فى المشى . والخوانف : جمع خنوف وهى التى تميل برأسها نحو راكبها لشدة نشاطها .
(١٨) القتود : جمع قتد وهو خشب الرجل . والدائات : الفقرات التى توجد بين كفتى الناقة . والشجيج : الذى شج رأسه . والمحارف : جمع محراف وهو المروء الذى تختبر به الجراحات وتسير به .
(١٩) زيل بينها : فرق بينها . والصارف : الذى يصرف على أنيابه ، من الصريف وهو صوت صرير الأنياب ، ويقول اللذويون إن صريف الناقة من التعب والكلال ، وصريف الجمل من الفجولة والنشاط . والمستكين : الصامت الذى لا يحدث صوتا ، عكس الصارف .

(٢٠) الهباب : النشاط . وساحت : أسرع . والنوادي : الذين يضربون القطن بالمنسدة لتنجيده . والكاف فى « كملوج » فاعل « حلا » . يصف الزبد الذى يكسر رأس الناقة عند رغبتها ، ويشبه بمحلول القطن وهو يتطاير فى الهواء عند ندفه .

(٢١) أنحت : اهتدت فى سيرها على أسرها . والحالة : بكرة الدلو . والماتح : الذى يستخرج ماء البثر فيجذب رشاء الدلو فتصوت البكرة .

(٢٢) المعجرفة فى سير الإبل : الاندفاع والتهور . والمقرفات : جمع مقرف ، وهو الذى أمه عربية وأبوه غير عربى ، عكس الهجين فهو الذى أمه أجنبية وأبوه عربى . يصف سيرها بأنه مزيج من سير لين مهل وسير متهور مندفع ، وأنها تحسن هذين الضريين من السير ، لأنها ناقة أصلية عربية الأب والأم ، وليست كالإبل التى ضربت فى عروقها دماء مختلطة .

٢٣ كَأَنَّ وَنَى خَانَتْ بِهِ مِنْ نِظَامِهَا مَعَاقِدُ فَأَرْفَضَتْ بِهِنَّ الطَّوَائِفُ
٢٤ يُنْفَرُ طَيْرُ الْمَاءِ مِنْهَا صَرِيْفُهَا صَرِيْفٌ مَحَالٍ أَفْلَقَتْهُ الْخَطَاطِيفُ

* * *

٢٥ كَأَنِّي كَسَوْتُ الرَّحْلَ أَحْقَبَ قَارِبًا لَهُ بِمُجْنُوبِ الشَّيْطَانِ مَسَاوِيفُ
٢٦ يُقَلَّبُ قَيْدُودًا كَأَن سَرَاتِهَا صَفًا مُدْهِنٌ قَدْ زَحَلَفَتْهُ الزَّحَالِفُ
٢٧ يُقَلَّبُ حَقَبَاءَ الْعَجِيزَةِ سَمَحَبًا بِهَا تَدَبُّ مِنْ زُرِّهِ وَمَنَاسِيفُ

(٢٣) الونى : اللؤؤى، جمع ونية . والمعاهد : العقود . وارفضت : تناثرت وفترقت . والطوائف : القطع التي تفرقت إليها العقود . يشبه اندفاع ناقته ومرعها بحبات لؤلؤ انقطع عقده فانفطرت تتدرج مسرعة .

(٢٤) الصريف : صوت صرير أنياب الناقة . والمحال : جمع محالة وهي بكرة الدار . والخطاطيف كالخطاطيف جمع خطاف ، وهو الخديدة المعقوفة التي تعقد بها البكرة . يقول ان صريفها الذي يشبه صريف بكرات الدلاء حين تجذبها الخطاطيف ينفر الطير التي ترد الماء لإرواء ظمئها فتفرخاثة مدهورة . وهنا يتبى وصف الناقة ليبدأ الشاعر وصف منظر من مناظر الصيد ، متخذاً من تشبيه ناقة بالجمار الوحش ، جسراً يوصله إلى وصف هذا المنظر .

(٢٥) الأحقب : الجمار الوحش في بطنه بياض . والقسارب : الذي يسرع نحو الماء ليرده . والجنوب : الجواهر . والشیطان : أهم مكان . ومساويف : مواضع يشبهها ، من السوف وهو الشم . يشبه ناقة بهذا الجمار الوحش .

(٢٦) القيدود : الأنان الطويلة . ويقلها : يوجهها يمينا وشمالا كيف يشاء . والسراة : الظاهر . والمدهن : فقرة في الجبيل يستنقع فيها الماء . والصفا : الصخر الأملس . والزحالف : جمع زحلوة وهي المكان المنحدر الأملس الذي يساعد على التزحلف وهو التزحلق . يقول إن هذا المكان المنحدر الأملس زاد من ملاسته كثرة التزحلق فوقه .

(٢٧) حقباء : أى بيضاء . والسمحج : الطويلة . والندب : جمع ندبة وهي أثر الجرح الباقى على الجلد . والزر : العض . والمناسف : جمع منسف — بكسر الميم وفتح السين أو بفتح الميم وكسر السين — وهو فم الجمار ، ويريد بها هنا آثار العض . يصور مطاردة هذا الجمار لأنثاء .

- ٢٨ وَأَخْلَقَهُ مِنْ كُلِّ وَقِطٍ وَمُدْهِنٍ نِطَافَ فَمَشْرُوبٍ يَبَابٍ وَنَاشِفُ
- ٢٩ وَحَلَّالَهَا حَتَّى إِذَا هِيَ أَحْنَقَتْ وَأَشْرَفَ فَوْقَ الْحَالِيَيْنِ الشَّرَافُ
- ٣٠ وَخَبَّ سَفَى قُرْبَانِيهِ وَتَوَقَّدَتْ عَلَيْهِ مِنَ الصَّمَانَتَيْنِ الْأَصَالُفُ
- ٣١ فَأُضْحَى بِقَارَاتِ السَّتَارِ كَأَنَّهُ رَيْبَةُ جَيْشٍ فَهُوَ ظِمَانُ خَائِفُ
- ٣٢ يَقُولُ لَهُ الرَّأَوْنُ هَذَاكَ رَاكِبُ يُؤَبِّنُ شَخْصًا فَوْقَ عَلَيَاءَ وَاقِفُ
- ٣٣ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ صَدَّ بِوَجْهِهِ كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ الْمُهُولِ حَالِفُ

- (٢٨) الوقط : حفرة في الجبل يجتمع فيها ماء المطر . والمدهن : مرشحه في البيت ٢٦ .
والنطاف : جمع نطفة وهي الماء القليل . والناشف : الذي جف ماؤه . وأخلفه : أى أخلف ظنه .
يقول ان هذا الحمار كان يبعث عن الماء فأخلف ظنه تلك المياه القليلة التي وجدها في بعض المستنقعات ،
وبعضها لم تبق فيه الا بقية ماء بعد شرب من سبقه إليه ، وبعضها جف ماؤه .
- (٢٩) حلالها : ملردها . وأحنقت : ضمرت . وأشرف : ظهر وبرز . والشراف : أطراف
الأضلاع . والتعبير كناية عن الضمور والهزال .
- (٣٠) السفى : كل شجر له شوك ، الواحدة سفاة . والقريان : مسایل الماء ، جمع قرى (بفتح فكسر
فتشدّد) . وخب : ارتفع وطال . والصمانتان : اسم موضع . والأصالف : جمع أصلف ، وهي
الأرض الصلبة الحجرية التي لا تنبت . يقول إن الوقت في الصيف ، والمكان في صحراء الصمان ، وقد توتد
الحر ، وطالت أشواك الوديان الجافة .
- (٣١) القارات : جمع قارة وهي الجبل الصغير . والستار : اسم موضع . والريبة : طليعة الجيش
التي تتقدمه لتستطلع الأخبار له .
- (٣٢) التابن هنا تلعب الأثر في الأرض ، ومنه تأييد البيت لأنه تنبع لأنارده في الدنيا . والعلياء :
المكان المرتفع . يقول إن هذا الحمار ارتقى مرتفعات هذه المنطقة وهو ظمآن خائف ، وأخذ يقلب نظره
من حوله بحثا عن مورد ماء ، فترأى كأنه طليعة جيش ترقب الطريق ، أو واقف فوق مرتفع من
الأرض يتتبع ببصره آثار شخص فوق الرمال .
- (٣٣) التهويل : لون من الطقوس الوثنية الجاهلية كان سدنة بيوت الأصنام يقومون بها إذا
أرادوا أن يستحلّفوا شخصا ، فيوقدون نارا ليحلف عليها ، ويطرحون فيها من حيث لا يشعروا
وكبريتا فتتفقع وتفرقع ، يتولون بذلك عليه ، فإن كان بريئا حلف ، وإن كان مرييا نرد
وتراجع . والمهول هو الكاهن الذي يقوم بهذا العمل .

- ٣٤ تَذَكَّرَ عَيْتًا مِنْ غَمَازَةِ مَأْوَاهَا لَهُ حَبِيبٌ تَسْتَنُّ فِيهِ الزَّخَارِفُ
 ٣٥ لَهُ تَادِيَةٌ يَهْنُزُ جَعْدُهُ كَأَنَّهُ مُخَالِطٌ أَرْجَاءِ الْعَيُونِ الْقَرَّاطِفُ
 ٣٦ فَأَوْرَدَهَا التَّقْرِيبُ وَالشَّدُّ مَنَهَلًا قَطَّاهُ مُعِيدٌ كَرَّةَ الْوَرْدِ عَاطِفُ
 ٣٧ فَلَاقَ عَلَيْهَا مِنْ صُبَّاحٍ مُدْمَرَا لِنَامُوسِهِ مِنَ الصَّفِيحِ سَقَائِفُ
 ٣٨ صَيْدٍ غَاثُرُ الْعَيْنَيْنِ شَقَقَ لَحْمَهُ سَمَائِمُ قَيْظٍ فَهَوَ أَسْوَدُ شَاسِفُ
 ٣٩ أَزْبُ ظُهُورِ السَّاعِدَيْنِ ، عِظَامُهُ عَلَى قَدِيرٍ ، شَتْنُ الْبَنَانِ ، خُنَادِفُ

(٣٤) غمازة : بئر معروفة في ديار تمسيم ، أروى عين ماء في منطقة هجر . الحبب : فقائيع الماء التي تتصاعد فوق سطحه . وتستن : تتحرك وتضطرب . والزخارف : طرائق الماء كأنها زخارف ونقوش تزييه ، وهي أيضا حشرات صغيرة ذات أربع أرجل تشبه الذباب تطير فوق الماء ، وكلتا المعنيتين يصلح للصورة التي يرسمها الشاعر لهذا الماء .

(٣٥) التاد : الثراب التدي ، وهو أيضا الجعد . والقراطيف : جمع قرطف (بفتح القاف والطاء) ، وهي القطيفة المخلطة . ومخالط أرجاء العيون حال ، والقراطيف خير كان .

(٣٦) التقريب : ضرب من عدو الخيل والجر ، وهو رفع اليدين معا ووضعهما معا . والشد : العدو السريع ، وهما منصوبان على نزع الخافض أو على الحالية ، أي أوردتها بالتقريب والشد ، أو أوردتها تقريبا وشدا . والقطا : طائر يكثر في الصحراء حول عيون الماء ، ويتردد ذكره كثيرا في الشعر القديم . يصف الشاعر هذا المثل بأن طير القطا تتردد عليه للشرب ، وتعاود الرجوع إليه مرة بعد مرة . يريد أنه منهل لا ينضب مأواه ، فهو مورد دائم للقطا .

(٣٧) صباح : اسم قبيلة كانت تنزل في هذه المنطقة . ومدمرا : يريد صيادا مدمرا يدمر ما يرميه بسهامه من الصيد ، والثاموس : البيت الذي يعده الصياد لينتهي فيه . والصفيح : الحجارة الرقاق العراض يبنى بها الصياد ناموسة . والسقائف : جمع سقيفة وهي كل خشبة مريضة أو حجر يسقف به البيت .

(٣٨) الصدى : المطشان . والسائم : الرياح الحارة ، جمع مهموم . والقَيْظُ : صميم الصيف . والشاسف : الضامر اليابس . يبدأ من هنا وصف الصياد ، والصورة التي يرسمها هنا تتردد كثيرا في الشعر العربي في وصف الصيادين الذين يحترفون الصيد ، ويحذرون منه وسيلة للرزق ورد غائلة الجوع عنهم وعن أولادهم الفقراء الجياع الذين ينتظرون عودتهم بالطعام إليهم .

(٣٩) الأزب : الكثير الشعر . وقوله « عظامه على قدر » يريد أنه نحيل وليس ضخما . وشتن البنان : خشن الأصابع غليظها . والجنادف : الجافي القصير المنبتع الجسم .

- ٤٠ أخو قُتْرَاتٍ قد تيقَّنَ أنه إذا لم يُصَبِّحْ لِحَامِنَ الْوَحْشِ خَاسِفُ
٤١ مُعَاوِدُ قَتْلِ الْهَادِيَاتِ ، شِوَاؤُهُ من اللحمِ قُصْرَى بَادِنٍ وَطَفَاطُفُ
٤٢ قِصَى مَيْتِ اللَّيْلِ لِلصَّيْدِ مُطْعَمُ لَأَنَّهُمْ غَارٍ وَبَارٍ وَرَاصِفُ
٤٣ فَيَسَّرَ مَهْمًا رَاشَهُ بِمَنَاكِبِ ظُهَارٍ لُؤَامٍ فَهَوَّ أَعْجَفُ شَارِفُ
٤٤ عَلَى ضَالَّةٍ فَرَجَ كَانَتْ نَذِيرُهَا إذا لم تُخَفِّضْهُ عَنِ الْوَحْشِ حَازِفُ
٤٥ فَأَمَهْلَهُ حَتَّى إِذَا أَنْتَ كَانَتْهُ مُعَاطَى يَدٍ مِنْ جَمَةِ الْمَاءِ خَارِفُ

- (٤٠) القترات : جمع قرة (بضم فسكون) وهي بيت الصياد . والخاسف : المهزول الجائع .
(٤١) الهاديات : السابقات من الوحش ، يريد بها هنا الأذن الوحشية . والقصرى : آخر الأضلاع مما إلى البطن ، وهي عادة تكون لينسة طرية . والبادين : السمين . والطفاطف : أطراف الأضلاع ، أو هي لحم البطن الرخص الطرى ، مفردا ططفقة (بكسر الطاءين) .
(٤٢) قصى ميت الليل : يريد أنه يبيت بعيدا عن أهله من أجل الصيد . والغارى : الذى يطلى مهامه بالغراء . والبارى : الذى يرى المهام . والراصف : الذى يشد الجسد والعصب على صدور السهام . يصف الصياد بأنه مشغول بإعداد مهامه للصيد .
(٤٣) راشه : ركب فيه الفريش الذى يتيح له الانطلاق . والمناكب : أربع ویشات تثبت فى جوانب السهم . والظهار : الظاهرة الأطراف . واللؤام : الملتصمة المتداخلة الأطراف . والشارف : السهم الدقيق الطويل . يصف فى هذا البيت وفى البيت السابق عملية إعداد المهام .
(٤٤) الضال : شجر اللسد تعمل منه السهام والقسى ، ويريد بالضالة هنا القوس . ونذيرها : صوتها . يشبه صوت القوس حين يرمى بها السهام بالعزيف .
(٤٥) الضهير الظاهر فى « أمهله » يعود على الجمار الوحشى . وأن : اختلف اللغويون فى معناها ، وربما كان أوضح الأقوال أنها بمعنى « اطمأن » ، وكأنها اختصار لها ، وهو قول أبى حبيدة ، ويرى الأصمعى أنها بمعنى « كان » . وفى رواية أخرى للبيت « حتى إذا ما كأنه » ، ويرى ابن السكيت أنها على تقدير فعل محذوف بعدها تقديره « حتى إذا ما ورد » ، أو « حتى إذا ما كان » . وقوله « معاطى يد » يريد به من مده يده ليتناول غرفة من الماء . يقول إن الصياد أهل الجمار الوحشى حتى ورد الماء . وبدا كأنه شخص يمد يده لينال منه غرفة يروى بها ظمأه .

- ٤٦ فَاَرْسَلَهُ مُسْتَقِيْنَ الظَّنَّ اَنَّهُ مُخَالِطٌ مَا تَحْتَ الشَّرَاسِيفِ جَائِفٌ
٤٧ قَرَّ النَّضْيُ لِلذَّرَاعِ وَتَحْرِيهِ وَلِثْنَيْنِ اَحْيَانَا عَنِ النَّفْسِ صَارِفٌ
٤٨ فَعَضَّ بِاِبْهَامِ الْيَمِينِ نَدَامَةً وَلَهَفَ سِرًّا اُمَّهُ وَهَوَّ لَاهِفٌ
٤٩ وَجَالَ وَلَمْ يَعْكِمْ وَشَجَّ اِلْقَاهُ بِمُنْقَطَعِ الْغَضْرَاءِ شَدُّ مُؤَالِفٌ
٥٠ تَوَاهِقَ رِجْلَاهَا يَدَيْهِ ، وَرَاسُهُ لَهَا قَتَبٌ فَوْقَ الْحَقِيبَةِ رَادِفٌ
٥١ يَصْرِفُ لِلْأَصْوَاتِ وَالرَّيْحِ هَادِيًا تَمِيمَ النَّضْيِ كَدَحَتَهُ الْمَنَاسِفُ

(٤٦) الضمير الظاهر في «أرسله» يعود على السهم . والظن هنا بمعنى اليقين . والشراسيف : أطراف الأسلحة الحادة ما يلي البطن . والجائف : الذي يصيب الجوف وينفذ فيه .

(٤٧) النضى : السهم . والحين : الموت . يقول إن السهم مر إلى جانب ذراع الحمار ونحره ، فلم يصبه ونجا من الموت .

(٤٨) عض إبهام يمينه لأن القوس في يساره . ولهف مرا أمه : أى قال في سره : يا لهف أماء ! تحسرا على إفلات الصيد منه .

(٤٩) لم يعك : لم يتفكر ، والعك : الانتظار . وإلقاه : ألقاه . وشبهها : أعانها على الجرى . والغضراء : الأرض الخصبة الخضراء . وشد مؤالف : أى جرى يجمع بينهما . يقول إن الحمار فراربا هو وأثناء التي أعانها على الجرى جرىها معه .

(٥٠) تواهق : توافق وتجارى . والقنب : خشب الرجل . والحقيبة : الرقادة التي تشد في مؤخر الرجل ، وهي قطعة تحشى تحت ليستقر في مكانه ، ويريد بها هنا «خبرة الأمان» . والرادف : الذي يركب خلف الراكب . يقول إنها انطلقت أمامه وهو يتبعها ، يداه تجاريان وجليها ، ورأسه فوق مؤخرتها .

(٥١) يصرف : يحول من جهة إلى جهة . والهادى : العنق . والتميم : الشديد . والنضى هنا معناه العظم . يصف حق الحمار بأنه شديد العظام . وكدحته : خدشته . والمناسف : مر شرحه في البيت ٢٧ . يصف ما أصاب هذا الحمار من عض الحمار الأخرى في المنافسة على المرعى أو على الإناث .

- ٥٢ ورأساً كدّن التجرّجاً بآ كائماً رمى حاجييه بالججارة قاذفُ
٥٣ كلاً منخريه سائفاً أو مُعشراً بما أنفَضَ من ماء الخياشيم راعِفُ

* * *

- (٥٢) الدن : خاية الخمر . والتجر : التجار ، جمع تاجر . والجاب : الغليظ . يصفه
ضخامة رأس هذا الحمار ، وما أصابه من جروح بسبب عض الحمر الأخرى له .
(٥٣) سائفاً : من السوف وهو النشم . ومعشراً : من التعشير وهو النهيق ، يقال عشر الحمار
إذا تابع النهيق عشر نهقات ، ووالى بين عشر ترجيمات في نهيقه . والراعف : السائل . يصور
نحاة الحمار وفرحته بها وانطلاقه بعدها .

* * *

يوسف خليف

عنترۃ بن شداد

هو عنترۃ بن شداد العبسى، وقيل : ابن عمرو بن شداد، وقيل، ابن معاوية على رواية صاحب الأغاني، كانت أمه أمة حبشية اسمها زبيبة تملكها شداد وأنجبت منه عنترۃ، لُقّب بعنترۃ « الفلحاء » لتشقّق في شفته، وكنى « بأبي المغلس » للدلالة على شجاعته وجرأته، كما كنى « بأبي المعاش » « وأبي أوفى » ولكن هاتين الكنيتين لم تشيعا كثيرا . عاش عنترۃ غير مُنسب لأب حتى بانَ بأسه، وكان من عادة العرب ألا يُحقّقوا أَوْلَاءَ الإمام بنسبهم إلا إذا بان لهم فضل يُؤثّر، وهو ما تحقّق لعنترۃ كما ورد عند أبي الفرج حين قال « وكان سبب ادعاء أبي عنترۃ إياه أن بعض أحياء العرب أغارت على بنى عبس فأصابوا منهم واستاقوا إبلا، فنبههم العبسيون فلحقوهم، فقاتلوهم عما معهم، وعنترۃ يومئذ فيهم، فقال له أبوه : تُكرّ . فقال : العبد لا يحسنُ الكرّ، إنّما يحسنُ الحِلّابَ والعَصْر . فقال : كرّ وأنت حرّ، فكّر، وهو يقول : « أنا الهجينُ عنترۃ » . وقاتل يومئذ قتالا حسنا، فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه .

عاصر عنترۃ فيمن عاصر الحطيطيّة وعمرو بن معد يكرب، وكلاهما أدرك الإسلام، وقد اختفى اسمه بعد حرب داحس والغبراء، الأمر الذي جعل صاحب « كشف الظنون » يذكر أن وفاته كانت سنة ٦١١ م .

عرف الناس عنترۃ شاعرا وفارسا حتى أصبح اسمه مادة لسيرة شعبية ذاعت شهرتها، وربما ساعدت بطوانته — بحكم ظروفه الخاصة — على ذيوع تلك

السيرة ، فلم ينته الموقف الاجتماعى عند عنتره إلى كونه شاعرا مُحباً فحسب ، بل كثرت أمامه العراقيل في سبيل ظفره بمحبوبته عبلة ، وكان أشدّ منها وقعا على نفسه تلك العراقيل الاجتماعية التى حالت دون وصوله إلى طبقة الأحرار من أبناء القبائل بسبب سواد لونه .

وهكذا تبلورت سيرة عنتره حول شاعر فارص ، وبطل حقق لنفسه السيادة بعد عبوديته ، وكانت فروسيته هى الوسيلة الناجعة في هذا الانتقال الطبقي من ناحية ، وفي فوزه بمحبوبته « عبلة » ابنة عمه مالك من ناحية أخرى .

وقد تنوعت ملامح حياته بين أطوارها المختلفة ، فغلبت عليها العبودية وسادت في دور النشأة ، وكان عليه كعبيد أن يهتم بأمور الخدمة ورعى الماشية مثله في ذلك مثل غيره من طبقة العبيد . حتى إذا كانت حروب داحس والغبراء ظهر أمامه الميدان الفسيح الذى يظهر فيه فروسيته وشجاعته خاصة بعد أن ذاع اسمه وأصبح واحدا من فرسان القبيلة المعدودين الذين يدافعون عن قبائلهم وعن وجودهم وكيانهم الخاص في نفس الوقت . وقد اختلفت الروايات حول زواج عنتره من عبلة ، فمن قائل أنه تزوّجها بدليل الخبر الذى أورده السيوطي في قولهم عنتره له « إنك ابن أنى وقد زوجتك ابنتي عبلة »^(١) ، ومن قائل أن هذا الزواج لم يتم ربما لأن الفترة الزمنية قد طالت وطال تعلق عنتره بها قبل أن ينال حريته ، وربما كان تأخره في نيل حريته سبيلا للآخرين لكي يطالب بعضهم بدها أو يتزوج منها .

والثابت في سيرة عنتره كما يؤكدنا شعره قدم علاقته بعبلة واستمرار تعلقه بها ، واتخاذها من فروسيته وسيلة إليها ووسيلة الى تجاوز طبقة العبيد في آن واحد .

* * *

عبد الله التطاوى

(١)

مختارات من المعلّقة

هل غادر الشعراء من مُتَرَدِّم ؟ أم هل عَرَفَت الدار بعد تَوَهُّم ؟

* * *

- ١ أفنى على بما علمت فأننى سهلٌ فخالقٌ إذا لم أظلم
- ٢ فإذا ظلمت فإِنَّ ظلمي باسلٌ مرٌّ مذاقته كطعم العلقم
- ٣ ولقد شربتُ من المدامة بعد ما ركّذ الهواجر بالمشوف المعلم
- ٤ بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر في الشمال مُقدّم
- ٥ فإذا شربتُ فأننى مُستهلكٌ مالى ، وعِرْضى وإقرم يكلم
- ٦ وإذا صحوت فإنا أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتسكّرى

-
- (١) المخالقة : هى المفاصلة من الخلق ، سهل فخالق : أخلاق ومربكلى لينة . البناء : هو ذكر الصفات سواء أكانت مدحا أم ذما ، ثم هم المدح كرادف لذكر الصفات .
- (٢) الباسل : الكريه . العلقم : الحنظل ، ويقال لكل مر علقم .
- (٣) المدامة : الخمر . ركود الهواجر : سكون الشمس وقت الظهيرة حين يصير كل شيء ظله . المشوف : اختلقت فيه الآراء فقليل لأنه الدينار أو الدرهم لأنه مشوف أى مجلوه ، ولكن تفسيره هنا بالكأس أرجح . المعلم هو ما عليه كتابة .
- (٤) ذات اسرة : ذات خطوط . الأزهر : ابريق من فضة أو رصاص . مقدم : عليه مصفاة يصفى بها .
- (٥) مستهلك : منفق . المرض : هو موضع المدح والذم من الرجل . لم يكلم : لم يجرح .
- (٦) صحوت : أفقت من سكرى . الندى : السخاء . الشمائل : الخصال وهى الأخلاق والصفات .

- ٧ وحليل غانية تركت مجذلا تمكو فريصته كيشدق الأظم
٨ سبقت يدأى له بعاجل ضربية ورشاش نافذة كلون العندم
٩ هلا سألت الخليل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
١٠ إذ لا أزال على رحالة ساجح نهيد ، تعاورة الكاة مكلم
١١ طورا يجرد للطعان ، وتارة يأوى إلى حصيد القسي عرمم
١٢ يُجبرك من شهيد الوقعة أنى أغشى الوغى وأعف عند المغنم
١٣ ومُدجج كره الكاة نزاله لا يُمين هربا ولا مُستسلم

- (٧) الحليل : الزوج ، ويقال للمرأة حليلة . الغانية : التي استغنت بزوجها ، أو هي المقيمة بمنزلها أو المخدرة ، وفُسرَت كذلك بأنها الشابة . مجذلا : صريحا . تمكو : تصفره . الفريصة : الموضع الذي يرتعد في الإنسان إذا خاف . الأظم : من شقت شفته العليا . يصف سعة الطعنة .
(٨) الرشاش : ما تطاير من الدم . النافذة : التي نقلت إلى الجوف . العندم : الصبغة الحمراء .
(٩) سألت الخليل : أى سألت أصحاب الخليل . إن كنت جاهلة بما لم تعلمي : معناه ألا تسألين الخليل بما لا تعلمين إن كنت جاهلة ، وفي البيت تقديم وتأخير .
(١٠) الرحالة : مرج يصنع من جلد الشاة ويستخدم للعدو الشديد بالفرس . الساجح : هو الفرس الذي يدحوي يديه دحوا . التهيد : الغليظ . تعاورة : في الأصل تعاورة ، والمراد هنا أنهم يطعنونه مرة ومرة . الكاة : جمع كى وهو الشجاع ، وصمى بذلك لأنه يقمع عدوه أو لأنه يستتر شجاعته حتى تدعو الحاجة إلى إظهارها عند الزوال فيظهرها ، أو هو التام السلاح .
(١١) يجرد : يهيا . الحصيد : الكثير . القسي : هي الأقواس . عرمم : كثير .
(١٢) الوقعة : هي الواقعة أو الالتحام ، والمراد بها مشهد من مشاهد الحرب . الوغى : الجلبة في الحرب . أعف عند المغنم : لا أستأثر بشيء من الغنيمة وحدي بل أقوم بتوزيعها على رفاقي .
(١٣) المدجج : هو من تغطى واستتر بالسلاح . الكاة : البواسل . النزال : القتال وجها لوجه . لا يُمين هربا : أى ليس مندفعاً في الفرار .

- ١٤ جَادَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلٍ طَعْنَةٍ بِمُتَقَفِّ صَدْقِ الْكُحُوبِ مَقُومٍ
١٥ بِرَحِيَّةِ الْقَرْغَيْنِ يُهْدِي جَرْمَهَا بِاللَّيْلِ مُعْتَسِ الذَّنَابِ الضُّرْمِ
١٦ فَشَكَّكَتُ بِالرَّيْحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَاءِ بِمَحْرَمٍ
١٧ فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّيَاحِ يَنْشَنُهُ مَا بَيْنَ قُلَّةٍ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ

* * *

- ١٨ لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ يَتَذَامُرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مَذْمُومٍ
١٩ يَدُوهُونَ عَنَتَرَ وَالرَّمَاحُ كَأَنَّهَا أَشْطَانُ يَتَرَفَّى لِبَانِ الْأَدْهَمِ
٢٠ مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِغُرَّةٍ وَجْهِهِ وَلِبَانِهِ حَتَّى تَسْرِبَلُ بِالسِّدَمِ

- (١٤) عاجل طعنة : عاجلته بالطنن وسبقته إليه . المتقف : هو الرمح المقوم المثذب . صدق : صلب . الكحوب : هي العقد التي توجد في الرمح .
(١٥) رحية : واسعة . الفرغ : هو ما بين العرقوتين والمقصود به هنا نخرج الدم عند الطعن ، وكان الدم حين خروجه من الجرح يشبه صب الماء من الدلو . الجرس : للصوت ، ويقصد هنا أن صوت الدم السائل من الطعنة يدل وحوش الفلاة كي تأتي لتلتهم من لقي مصره . المعتس : هو من يطلب أو يتقنى أمرا لئلا . الضرم : جمع ضرم وضارم وهو الجائع .
(١٦) شككت : شققت . الثياب : يقصد البدن أو الجسم المخفي خلف الدرع . القنا : الرماح . محرم : ممنوع . ليس الكريم على القنا بمحرم : يقصد أن الكرام هم أشد الناس حرصا على الإقصاد وأكثرهم استهجانا للقرار .
(١٧) جزر : جمع جزرة وهي الشاة أو الناقة بعد ذبحها أو نحرها . ينشئ : يقضمه قضا . قلة الرأس : أعلى الرأس . المعصم : الرسغ أو موضع السوار من الساعد .
(١٨) يتذامرون : أي يبحث بعضهم بعضا . غير مذموم : غير مذموم .
(١٩) أشطان : جمع شطن وهو جبل البئر ، وكانت البئر العميقة في العادة تتطلب حبلين للدلو . اللبان : الصدر . الأدهم : فرس عنزة .
(٢٠) غرة وجهه : أول وجهه أو مقدمته ، وفي رواية أخرى « بغرة نحره » أي هزبة حلقه . تسربل : صار كالسربال وهو القميص ، والمعنى تطلخ بدم غزير .

- ٢١ فازور من وقع الفنا بلبانه وشكا إلى يعسيرة وتحمم
 ٢٢ لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكن لو علم الكلام مكلمى
 ٢٣ والخيل تفتح الخبار عوايسا من بين شيطمة وأجرد شيطم
 ٢٤ ولقد شفى نفسى وأبرا سقمها قيل الفوارس ويك عتر أقدم
 ٢٥ ذلل ركابي حيث شئت ، مشايى قلبي ، وأخفزه بأمر مبرم

* * *

- (٢١) ازور : مال ، شكا إلى : أى أنه لو كان يعرف الشكاية لاشتكى إلى . تحمم : صوت منقطع كالنسيج ، ولكنه ليس بالصهيل .
 (٢٢) المحاورة : الجواب والمراجعة ، والمعنى هنا التخطاب بوجه عام .
 (٢٣) تفتح : تدخل راکضة بسرعة . الخبار : الأرض اللينة التى يشند فيها الركض . العوايس : أى التى حال وكلح لونها من فرط ما بذلت من جهد . شيطمة : طويلة . الأجرد : قصير الشعر .
 (٢٤) أبرأ : شفى . السقم : العلة أو المرض . ويك : تعبير عن الإعجاب .
 (٢٥) ذلل : جمع ذلول ، ويقال للابل وغيرها من الدواب ، ومعناها هنا أنها سهلة السير معتادة عليه . مشايى : يشايى ، أى لا يثيب عني بل يلازمي . أخفزه : أدفعه . مبرم : محكم .

* * *

محمد حمدى إبراهيم

(٢)

عَتَابٌ وَفَخْرٌ

* * *

قال عنترة يصف حاله ويعرض قضيته التي شغلت عليه نفسه ويذكر جور قومه وظلمهم له تلك القصيدة الدالية التي أدارها حول محورين كبيرين : أولهما ذلك الفخر الذي يسجله لنفسه ، ويُعلم به قومه ، ويصر على إظهارهم عليه واعترافهم بفضله ، حتى كاد يمتن عليهم بهذا الفضل ، وهو يقرن هذا الفخر باستنكاره موقفهم منه لمجرد سواد لونه . وهو فخر حربي في مجلته ، محكوم بطبيعة المواقف القتالية التي هيأتها الظروف أمام عنترة ليحرز ما أحرزه من تفوق على أقرانه من شعراء الجاهلية وفرسانها . وثانيهما : ذلك الحوار الذي اصطنعه ليفضح بحديث الطلل والغزل في سبيل حديث الفخر والحرب ، وهو كشاعر فارس يستغل كل المشاهد الغزلية في خدمة قضيته التي يرددها ممزوجة تارة بتلك الصور ، وتارة أخرى تأتي خالصة حيث يكرر الفخر عائداً إليه ومسيهاً فيه ، وجاعلاً منه ختام القصيدة ، يقول :

- | | | |
|---|------------------------------|--------------------------------|
| ١ | إذا فاض دمي واستهل على خدي | وجاذبني شوق على العلم السعدي |
| ٢ | أذكر قومي ظلمهم لي وبنيهم | وقلة أنصافي على القريب والبعيد |
| ٣ | بنيت لهم بالسيف مجداً مشيداً | فلما تنأى مجدهم هدموا مجدي |

(١) استهل الدمع : انصب وانسكب . العلم : الجبل . جاذبه : شده .

الجزء الأول

٣١٣

- ٤ يَبِيعُونَ لَوْنِي بِالسَّوَادِ وَإِنَّمَا
- ٥ فَوَإِذْ لَّ جِيرَانِي إِذَا غِبْتُ عَنْهُمْ
- ٦ أَنَحْسَبُ قَيْسُ أُنَى بَعْدَ طَرْدِهِمْ
- ٧ وَكَيْفَ يَحُلُّ الذَّلَّ قَلْبِي وَصَارِي
- ٨ مَتَى سُلَّ فِي كَفَى بِيَوْمِ كَرِيهِةٍ
- ٩ وَمَا الْفَقْرُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ عِمَامَتِي
- ١٠ نَدِيمِي إِمَّا غِبْتُ بَعْدَ سَكْرَةٍ
- ١١ وَلَا تَذْكُرَا لِي فَيْرَ خَيْلٍ مُغِيرَةٍ
- ١٢ فَإِنَّ غُبَارَ الصَّافِنَاتِ إِذَا عَلَا
- ١٣ وَرِيحَاتِي رُحْمِي وَكَاسَاتُ مَجْلِسِي
- ١٤ وَلِي مِنْ حُسَامِي كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الثَّرَى
- ١٥ وَلَيْسَ يَعْيبُ السَّيْفُ إِخْلَاقُ غَمْدِهِ
- ١٦ فَلَهُ دَرَى كَمْ غُبَارٍ قَطَعَتْهُ
- فِعَالَهُم بِالْحُبِّثِ أَسْوَدَ مِنْ جِلْدِي
- وَطَالَ الْمَدَى مَاذَا يَلَاقُونَ مِنْ بَعْدِي
- أَخَافُ الْأَعَادِي أَوْ أَذِلُّ مِنَ الطَّرْدِ
- إِذَا اهْتَرَقَ الْقَبْدُ يَحْفَقُ كَالرَّعْدِ
- فَلَا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمَشَايِخِ وَالْمُرْدِ
- مُكَوَّرَةِ الْأَطْرَافِ بِالصَّارِمِ الْهِنْدِي
- فَلَا تَذْكُرَا أَطْلَالَ سَلَمِي وَلَا هِنْدِ
- وَنَقَعَ غُبَارٍ حَالِكِ اللَّوْنِ مُسَوَّدِ
- نَشِئْتُ لَهُ رِيحًا أَلَدَّ مِنَ النَّدِّ
- بِحَاجِمِ سَادَاتِ حِرَاصٍ عَلَى الْمَجْدِ
- نَقُوشَ دَمٍ تُغْفِي النَّدَايَ عَنِ الْوَرْدِ
- إِذَا كَانَ فِي يَوْمِ الْوَعَى قَاطِعَ الْحَدِّ
- عَلَى ضَايِرِ الْجَنِينِ مُعْتَدِلِ الْقَدِّ

(٧) الضد هنا بمعنى الظهير أو المثل يحقق : من شدة الخوف والفرع .

(٨) المرء مفردا : أمرء وهو الشاب الذي لم تثبت لهيته وقد طر شارب .

(٩) تكوير العامة : احتداتها ، وتكويرها من معالم العزة والرياسة والسيادة في القبيلة .

(١٢) الصافن من الخيل الذي يقف على ثلاث قوائم وحافر الرابطة وقد رفعها .

نشق : شق . الند : العنبر أو الطيب بما يعرف منه من طيب الرائحة .

(١٥) أخلق غمده : بل جفته . يوم الوحى : يوم القتال .

(١٦) لله درى : صيغة تعجب يقال في المدح أى لله عمل ، ويقال في الذم بالنفي كقولك : لادر

ورك ، والدر هو العمل من خير أو شر أى قل خيرك .

الغبار : يتصد به غبار الحرب ويكنى به عن شدة القتال وكثرة الكر والفر . القد : القامة .

- ١٧ وطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبددتُ هزأماً كأَسْرَابِ القَطَاءِ إِلَى الْوَرْدِ
 ١٨ فزارةٌ قد هيَّجْتُ لَيْثَ غَابَةِ ولم تفرقوا بين الضَّلَالَةِ والرُّشْدِ
 ١٩ فقولوا لِحَصْنٍ إنَّ تعانى عداوتى يَبِيتُ على نَارٍ من الحُزْنِ والوَجْدِ

(١٧) هزأماً : مهزومة . القطاء جمع قطاة . الورد : مصدر تروده القطا للشرب منه .

(١٨) لَيْث الغابية : يقصد به هترة نفسه هنا . هيجهوه : أثاروه .

(١٩) معاناة الشيء : ملاسته ومباشرته .

عبد الله التطاوى

(٣)

بُطُولَةُ فَارِسِ

اكتملت له فروسيته في حياته القبلية بتلك المشاكل التي جلبتها عليه العلاقة التي نشأت بينه وبين ابنة عمه عبلة ، إذ كان للموقف الاجتماعي دوره في إبعاد الشاعر عن صاحبته لأنه عبد أسود غير مُنسب في قومه ، فكانت شجاعته هي المحور الذي يركز عليه ، وقبائره التي يتغنى بها . حتى يلفت إليه نظر محبوبته ويكسب ودها . وفي هذه القصيدة الدالية يركز عنتره على تصوير عواطفه نحو عبلة وما عاناه من أشجان وحزن مستغلا عناصر الطبيعة المادية في صوره المختلفة ، ويزداد حزنه حتى يصل إلى ذروته حين يعرض مشهد الوداع وموقفه في لحظة الفراق . ومن الكتابة والأسى إلى عالم نفسى أكثر رحابة واتساعا يبرز الشاعر الجانب الإيجابي المُشرق في شخصه حين يقدم إليها نفسه كفارس من أكبر فرسان عصره من خلال تلك الصور الجزئية الدقيقة التي ساعد انسجامها على اكتمال اللوحة الفنية التي تجسدت فيها مشاهد القتال بكل تفاصيلها . وكأن القصيدة — بهذا الشكل — تجمع بين محاور القوة والضعف في حياة عنتره ، فهو موزَّعٌ بين استجابته لعواطفه واستنكاره لموقف القبيلة منه وبين مشاهد القتال التي اشتد حرصه على تصويرها وكانت وسيلته إلى تجاوز طبقته ونيل حريته ، فيقول في قصيدته المعروفة « بالعقيقة » :

- ١ بين العقيق وبين بركة شهيد
- ٢ يا مترح الآرام في وادي الحمى
- ٣ في أيمن العليين درس معالم
- ٤ من كل فائنة تلفت جيدها
- ٥ يا عبل كم يسجى فؤادي بالنوى
- ٦ كيف السؤلوما سمعت حماما
- ٧ ولقد حبست الدمع لا بخلأ به
- ٨ وسألت طير الدوح كم مثلي شجا
- ٩ ناديتيه ومدامعي منهلة
- ١٠ لو كنت مثلي ما لبثت ملأوة
- ١١ رفعوا القباب على وجوه أشرقت
- ١٢ واستوكفوا ماء العيون بأعين
- طلد لعبلة مستهل المعهد
- هل فيك ذو شجن روح ويقتدى
- أوهى بها جلدي وبان تجلدي
- مرحا كسالف الغزال الأغيد
- ويروعي صوت الغراب الأسود
- ينسدين إلا كنت أول منشيد
- يوم الوداع على رؤوس المعهد
- بانينه وحينيه المتردد
- أين الخلي من الشجي المكيد
- وهفت في فطن النقا المتأود
- فيها فقيت السما في القرقد
- مكحولته بالسحر لا بالإميد

(١) العقيق : مواضع بالمدينة وباليمامة وبالطائف وبهامة وبجند وبسته مواضع أخر .

بركة شهيد يعني دارم (اسم موضع) .

(٢) الآرام ج رنم وهو الغلي . الرواح والقلو : الذهاب والمجي .

(٣) الدرس : العفاء والذوال والايحاء . المعالم : ما يستدل به . التجلد : التحمل والصبر .

أوهى : ضعف وبق وكل . الأغيد : الذي يثنى من شدة لونه .

(٤) السالف : ناحية مقدم العتي من لدن معلق للقرط إلى قلب الترقوة .

(٨) الدوح شجر ضخم ج دوحه . شجا : بكى من شدة الحزن والألم .

(١٠) الملاوة : الفترة ، البرمة . النقا : قطع رملية محدبة .

(١١) السما : كوكب نحى من نبات نعل الصغرى . القرقد : النجم الذى يهتدى به .

(١٢) استوكفوا : استعطروا . الإمد : حجر الكحل .

- ١٣ والشمس بين مَضْرَج ومَبْلَج والغصن بين مَوْشَح ومَقْلَدٍ
 ١٤ يطلعن بين سَوَالِف ومَعَاظِف وقلائد من لُؤْلُؤ وزَبَرْجَدِ
 ١٥ قالوا اللقاء غداً بِمُنْعَرِج اللوى واطول شوقِ المُسْتَهَامِ إِلَى غَدِ
 ١٦ وَتَحَالُ أَنْفَاسِي إِذَا رَدَدْتُهَا بين النُقُوشِ مَحْتِ نُقُوشِ الْمِرْدِ
 ١٧ وَتَنُوقَةٍ مَجْهُولَةٍ قَدْ خُضَّتْهَا بِسِنَانِ رُوحِ نَارِهِ لَمْ تُحْمَدِ
 ١٨ بَاكَرْتُهَا فِي فِتْنَةٍ مَهْسِيَةٍ من كُلِّ أَرْوَاحِ فِي الْكَرْبَةِ أَصِيدِ
 ١٩ وَتَرَى بِهَا الرَّايَاتِ تَخْفِقُ وَالْقَنَا وَتَرَى الْعَبَاجَ كَيْفَ يَخْرُجُ مِنْزِيدِ
 ٢٠ فَهَنَّاكَ تَنْظُرُ آلَ عَيْسٍ مَوْفِيهِ وَالخَيْلُ تَعْتُرُ بِالْوَشِيحِ الْأَمْلَدِ
 ٢١ وَبَوَارِقُ الْبَيْضِ الرِّقَاقِ لَوَامِعُ فِي عَارِضٍ مِثْلَ الْغَمَامِ الْمُرْعِدِ
 ٢٢ وَذَوَابِلُ السُّمْرِ الدَّقَاقِ كَأَنَّهَا تَحْتَ الْقَتَامِ نَجُومٌ لَيْلٍ أَسْوَدِ

(١٣) المضرج : المحمر . المبلج : النقى الطليق . الغصن : القند . مقلد : عليه فلادة وهي

العنق .

الموشح : من يرتدى الوشاح وهو أديم عريض يوضع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها .

(١٥) المنعرج : المنعطف . اللوى : ما الثوى من الرمل أو ما استرق منه .

واطول : شكوى من طول القبت إلى غد لشدة لطفته وشوقه .

(١٧) التنوقة : الصحراء لا ماء بها ولا أنيس وإن كانت ممتلئة . مجهولة : لصعوبتها وغموضها .

(١٨) الأروع : الشجاع . الكربة : الحرب . الأصيد : الذي يميل هفقه كبرا ، وهو السيد

الشريف . والأصيد : البطل الشجاع المقدام .

(١٩) العجاج : الغبار المتناثر . مزبد : يرى بالزبد وهو ما يملو الماء في اصطفاه وعنفه .

(٢٠) الوشيح : شجر الرماح . الأملد : الناعم اللين من النصوص وهو ما يستحب في الرماح .

(٢١) البيض : السيوف . العارض : السحاب الكثير ويقصد به غبار الحرب هنا .

(٢٢) الذوابل : القنا البيض . السمر : الرماح . القتام : غبار الحرب أثناء دوراتها .

- ٢٣ وحوافر الخيل العنق على الصفا
 ٢٤ باشرت موكبها وخضت غبارها
 ٢٥ وكررت والأبطال بين تصادم
 ٢٦ وفوارس الهياج بين مماع
 ٢٧ والبيض تلعب والرماح عواسل
 ٢٨ وموسد تحت التراب وغيره
 ٢٩ والحو أقتم والنجوم مضية
 ٣٠ أختت مهري تحت ظل عجا
 ٣١ رعمت أنف الحاسدين بسطوتي
- مثل الصواعق في قفار القدد
 أطفأت جمر لبيها المتوقد
 وتهاجم وتحزب وتسد
 ومدافع ومخادع ومعر يد
 والقوم بين مجدل ومقيد
 فوق التراب ين غير موسد
 والأفق مغبر العنان الأربد
 بسنان رمح ذابل ومهند
 فغدوا لها من راكعين وسجد

(٢٣) الصفا : الحجر الصلد الضخم . القدد : المكان الغليظ الصلب .

(٢٧) العاقل : الرمح إذا اشتد اهتزازه دلالة على شدة القتال . المجدل : الصريع . المقيد : الأسير .

(٢٩) العنان : السحاب يقصد التراب الذي انتشر فيه كالسحاب . الأربد : المائل إلى الغيرة

(٣٠) المهند : السيف . رعم أنفه : ألصقه بالتراب أي أذله وفهره وحطم كبريائه .

* * *

عبد الله التطاوي

(٤)

فُرُوسِيَّةٌ وَحُبٌّ

ولد عنزة لجارية حامية سبأها أبوه ، ولم يلحقه به عند ولادته ، واسم أمه زَيْبِيَّةُ الحبشية ، أما أبوه فهو شَدَّاد بن عمرو بن معاوية بن قُرَاد بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن غالب بن قَطيعة بن عيس . وكان العرب لا يلحقون بنسبهم أولاد الإماء إلا إذا بان لهم فضل . وكان سبب ادعاء أبي عنزة إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على بنى عيس فأصابوا منهم واستاقوا إبلًا ، فتبعهم العيسيون فقاتلوهم ، وعنزة يومئذ فيهم ، فقال له أبوه : كر ، فقال : العبد لا يُحسِّن الكَرَّ ، إنما يحسن الحِلَّاب والصَّر ، فقال : كُتِرَ وأنت حر ، فكروا قاتل قتالا حسنا ، فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه .

وطارت شهرة عنزة بوصفه فارسا لا يُبَارَى ، وماشقا تحاك حوله الأساطير في قصة حبه لعلبة ابنة عمه . وكان له دور كبير في حرب داحس والغبراء . ويبدو أنه مات أو قتل قبل ظهور الإسلام بسنوات قليلة .

* * *

والأبيات التي اخترناها له يبدوها بحكمة التجارب والسنين ، فيقول إن أمر الله مقدَّر على جميع عباده ، فلا سبيل للفرار منه أو الحذر ، وليس الإنسان قادرا على رد الموت أو دفع القضاء ، فإذا حُمِّ كان أمرا محتوما لا تخيب طعنته ولا تطيش ضربته . وقد هان الدهر على عنزة بسبب معرفته حقيقة ونجبرته بما تأتى به

مصائب الزمان وأحداثه . ويختم عنتره هذه المقدمة الحكيمة بقوله إن الأسود ليست كالضباع في شجاعتها وهيبتها ، كما أن كل المحاربين ليسوا مثل عنتره في شجاعته وإقدامه . ويبدأ عنتره بالفخر ببطولاته حتى إنه انتصر على غارات الزمان وكان الموت فيها متربصا به الدوائر، وحقَّق له عزُّه الجبار هذا الانتصار، حتى إنه لو ضرب بسيف عزيمته البتار ظلام الليل لانقشع وزال ، وليس أمام الشاعر غير سبيلين : إما أن يصل إلى المجد مخاطرا بنفسه أو يموت، وهو لا يهتم بما سوف يأتي به الغد لأن أحدا لم يخبرنا بما يكون في عالم الغيب المجهول ، والنذير الذي يأتي محذرا من وقوع الويل والكوارث قد يكون في الحقيقة بشير سعادة وسرور .

ولا ينسى الشاعر أن يشهد حبيبته عبلة على فروسيته و بطولته الخارقة فيطالبا بأن تشهده في أثناء المعارك وهو يطاعن ويقا تل ويشير بحوافر فرسه الغبار ، وهو يقبل على المعركة ضاحكا لوثوقه بنفسه وقدرته ، وسعيه إلى المجد مستمينا بالموت ، فإذا انقضت المعركة آب وعليه آثارها مشعث الشعر مغبر الوجه ، وهو لا يكف عن قتال أعدائه إلا حين يصرعهم ويلقى بجماجمهم في ساحة القتال لتعبت بها الرياح الجنوبية ، وبأجسادهم التي تنفضُّ عليها الطيور الكاسرة ولا ترجع عنها إلا حين ترى الوحوش وقد أتت لتنال نصيبها .

* * *

- | | | |
|---|--------------------------------|----------------------------|
| ١ | إذا كان أمر الله أمرا يُقدَّر | فكيف يفتر المرء منه ويَحذر |
| ٢ | ومن ذا يرذ الموت أو يدفع القضا | وضربه محتومة ليس تعثر |

- ٣ لقد هان عندى الدهر لما عرفتُه وإنى بما تأنى الملماتُ أخبرُ
- ٤ وليس سباع البرِّ مثلَ ضبَاعِه ولا كلُّ من خاض العجاجةَ عنثُ
- ٥ سلواصرف هذا الدهر كم شَنَّ غارةَ ففَرَّجَتْهَا والموتُ فيها مشمُرُ
- ٦ بصارمٍ عزيم لو ضربتُ بجمده دُجى الليل ولَّى وهو بالنَّجمِ يَعتُرُ
- ٧ دعونى أجد السعى فى طلب العلا فأدركَ سُولى أو أموتَ فأَعذرُ
- ٨ ولا تَحْتَشُوا مما يُقدَّر فى غد فما جاءنا من عالم الغيب مُخبرُ
- ٩ وكم من نذير قد أتاانا مخذرا فكان رسولا فى السرور يُبشِّرُ
- ١٠ قفى وانظرى يا عبلَ فعلى وعائى طعانى إذا نار العجاج المكدرُ
- ١١ ترى بطلا يلقى الفوارس ضاحكا ويرجعُ عنهم وهو أشعثُ أغبرُ
- ١٢ ولا ينثنى حتى يُخَلِّى جماجمًا تمر بها ريحُ الجنوب فتصفرُ
- ١٣ وأجساد قوم يسكنُ الطيرُ حولها إلى أن يرى وحشُ الفلاة فينفرُ

(٣) الملمات : جمع ملبة وهى حوادث الدهر ومصائبه .

(٤) العجاجة : يعنى بها الحرب .

(٥) الصرَف : الأحداث ، مشمر : نشيط دائب الحركة .

(٦) الصارم : السيف .

(٧) سُولى : غايى ومرادى .

(١٢) يَخَلِّى : يترك .

* * *

محمد مصطفى هدارة

زُهَيْر بن أبي سُلَيْمَى

هو زهير بن أبي سلمى ربعة بن رباح بن قرة بن الحارث ... أحد الثلاثة
المقدمين في الجاهلية ، وإن اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه ،
فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذبياني .

شهد له كثيرون بمكانته الشعرية ، فراه جرير شاعر الجاهلية ، وقال عمر بن
الخطاب (رضي الله عنه) لابن عباس: إنه شاعر الشعراء، وقدمه قدامة بن موسى
أيضا على سائر الشعراء، ويَجَلُّ له الأحنف بن قيس أنه أشعر الشعراء أيضا .

وربما شجع زهيراً على بلوغ تلك المكانة طبيعة البيئة التي نشأ فيها وكان من
أهم أعلامها بشامة (خاله) ، وهو شاعر مجيد ، فكان زهير وكثير من قومه
شعراء بالوراثة ، فلم تقف الشاعرية عند خاله وجدّه ، بل كان أبوه شاعرا ،
وكذلك كانت أخته سلمى ثم كان ابنه كعب وبجير شاعرين . ولا تخفى مكانة
أخته الخنساء في نظم الشعر ، وكذلك حفيده ، المضرب بن كعب بن زهير .
وقد تعددت مجالات نظم الشعر عند زهير ، وكان أكثرها حظا من فنه موضوع
المدح ، فقد نظم معلقته في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف وقد حملا دية
هرم بن ضمضم في مالهما دون أن تكون لهما مشاركة في الحروب القبلية .

وقد نأى زهير بنفسه وفنه عن محور التكسب أو طلب العطاء، ورفض أن يعيش
مأجورا من خلال شعره ، إذ يُروى أن هَرِمًا كان قد حلف ألا يمدحه زهير
إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرسا ، فاستجيا زهير بما كان
يقبل منه ، فكان إذا رآه في ملاً قال : عَمُوا صباحا غير هرم ، وخيركم استثنيت .

وكما كثر ثناء معاصريه على فنسه كثر حوار المتأخرين حول شعره ومكانته فيه ، فأثنى عليه عبد الملك بن مروان وأعجب بفننه .

وامتاز شعر زهير عن شعر عصره فكانت حجة من قدمه أنه كان أحسنهم شعرا وأبعدهم عن سخف ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ وأكثرهم مبالغة في المدح وأكثرهم أمثالا وحكما في شعره . ويبقى لزهير زعامته لمدرسة فنية متميزة في فن الشعر وضع أسسها الفنية وأصبح فيها أستاذا وراوية في آن واحد ، فقد استمد أصولها من أوس بن حجر ثم تتلمذ عليه فيها من بعده كعب ابنه ، وأخذت طريقها التاريخي عند الخطيئة وكثير عزرة وجميل بثينة وغيرهم من شعراء عصر بني أمية .

ولا تكاد مدرسة زهير تعكس مكانته في الجاهلية بقدر ما تسجل له دوره البارز في تأصيل صناعة الشعر التي أثرت في حركة الأدب ، وبها تجاوز عصره حيث ركز في فنه على الإجادة ومزاولة مهنة الفنان في دقة التنقيح ومعاودة النظر في بنية القصيدة وصورها الجزئية ، ثم اختيار المعجم اللفظي مع شدة الحرص والأناة في مفرداته وتراكيبه معا بعيدا عن الارتجال أو سرعة التعامل مع الأداة .

على أن مكانة زهير في زعامة تلك المدرسة لا يقل عنها أهمية وخطورة في الشعر العربي موقفه من فن المدح الذي كثر توجيه سهام الاتهام إليه من قبل النقاد والباحثين على أنه كان بابا واسعا من أبواب النفاق في الشعر العربي ، فقد تجاوز زهير هذا المستوى بل نقضه تماما حين أصدر فنه خالصا من منظور الصدق الفني والاجتماعي معا ، إذ اتسقت نفسه مع موضوعه وراح يترنم بهذا الموقف الحضاري الذي أعجب به حول قضية السلام ، والتغيير من شريعة الغزو التي شقت سبلها

عبر نفوس الجاهليين وأصبحت قاعدة عامة في حياتهم ، فكانت معلقته صورة من إخلاصه لقضية السلام بجمع صورها من خلال المتناقضات فراح بين صيغ التهديد والإقناع يتلمس فيه ، وراح يرسم بدقة متناهية أكثر من لوحة فنية لقضية الحرب وقضية السلام كما عاشها واقتنع بها . وفي أثناء هذا كله ينطلق من دقة استاذيته وتلمذته في مدرسته الفنية التي رأى النقاد في أصحابها « عبيداً للشعر » لكثرة ما وقروه له من الروية والأناة والتنقيح ، ورأوها عند زهير — على سبيل المبالغة — في فن الحولية التي تعكس من الروية والأناة أروع صورهما .

وتدور معلقة زهير حول مجموعة أفكار تبدو متعددة وإن كانت تجمعها وحدة شعورية وفكرية أساسها إعجابه بقضيته وممدوحه من ناحية ، واقصاؤه مع نفسه تجاه موضوعه وتفاعله مع مقدماته وخواتمه من ناحية أخرى ، ولذا يبدو إمكان توزيع لوحات المعلقة إلى حديث يقف فيه مع الطلل والظعينة ، إلى موضوع المدح ورسائله التي يوجهها إلى الأخلاف داعياً إلى السلام ومنفراً من الحرب ، إلى خاتمة حكيم يرسم منها لوحة كاملة من تقارير تكشف عن طابع حياته وخلاصة رؤيته لها وطبيعة فلسفته فيها .

* * *

عبد الله التطاوي

(١)

المُعَلِّقَة

١ - بين الطَّلَل والظَّعِينَة

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَهُ لَمْ تَكَلِّمْ | بَحْوَمانَة الدَّرَاجِ فَالْمُتَشَلِّمِ |
| ٢ | وَدَارُ لَهَا بِالرَّقَّتَيْنِ كَأَنَّهَا | مَرَا جِيعُ وَشَمِّ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ |
| ٣ | بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِيْنَ خِلْفَةً | وَأُطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْمِ |
| ٤ | وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةَ | فَلَا يَأْ عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ |
| ٥ | أَنَا فِي سَفْعًا فِي مُعْرِسِ مَرْجِلِ | وَنُؤْيَا بِكُذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَلَمَّ |
| ٦ | فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبِّعِهَا | الْأَعِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الرِّبْعُ وَاسْلَمْ |
| ٧ | تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظُعَانٍ | تَحْمَلَنَّ بِالْعِلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثَمِ ؟ |

- (١) الدمنة الآتار . الحومانة : ما يظلم من الأرض . الدراج والمتلثم : موضعان .
الوشم : نقش بالإبرة في الذراع .
- (٢) النواشر : عصب الذراع . المعصم : موضع السوار من الذراع .
- (٣) العين : بقرة الوحش . الأرام : الظباء . المجثم : المريض .
الأطلاء : ملا وهو ولد البقرة الوحشية أو الظبية .
- (٤) اللأى : الجلهد . الحجّة : السنة . التوهم : التفرس ودقة التعرف .
- (٥) الأنثى : الحجارة توضع عليها القدر . السفع : السود تحاطلها حرة . معرس الرجل : حيث أقام الرجل . النؤى : حاجز يرفع حول البيت يحميه من التراب . جذم الحوض : أصل الحوض .
هم صباحا : صيغة دعائية شائعة بين الجاهليين .
- (٦) الربيع : موضع الدار . الخليل : الصاحب أو الصديق أو الرفيق .
- (٧) الظعان : النساء الراجلات على الإبل . العلياء : موضع . جرثم : ماء لبنى أسد . تحملن : رحلن

- ٨ عَلَوْنَ بِأَمْطِ عِتَاقٍ وَكَلَّةٍ وَرَادٍ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةَ الدَّمِ
٩ وَوَرَّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلَوْنَ مَتْنَهُ عليهن دُلُّ النَّاهِمِ الْمُتَنَحِّمِ
١٠ كَأَنَّ فُتَاتِ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حُبُّ الْقَنَا لَمْ يُحِطَمْ
١١ وَفِيهِنَّ مَلْهَى لِلصَّدِيقِ وَمَنْظَرٌ أُنِيقُ لِمَعِينِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ
١٢ بَكَرْنَ بِكُورًا وَاسْتَحَرْنَ سُحُورَةً فَهُنَّ لَوَادِي الرَّسِّ كَالْبَدِ لِلْفَمِ
١٣ جَعَلْنَ الْقَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزَنَهُ وَمَنْ بِالْقَنَانِ مِنْ مَحَلٍ مُحَرَّمِ
١٤ ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ عَلَى كُلِّ قَبِيئٍ قَشِيبٍ مُقَامِ
١٥ فَلَبَّاهُ وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَاهِمَهُ وَضَعْنَ عَصَى الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

- (٨) علون بأماط : أى طرحوها على أعلى المناخ أماطاً تفرشها ثم تعطيها الطلعان أثناء الرحيل .
المشاكهة : المشابهة . الورداج ورد وهو الأحمر . الكلة : السرة .
(٩) وركن : ملن فيه . المتن : ما غلظ من الأرض وارتفع .
(١٠) العين : الصوف المصبوغ . القنا : شجر ثمره حب أحمر وفيه نقط سود . لم يحطم : أى
صحيح لأنه إذا كسر ظهر له لون غير الحمرة .
(١١) المتوسم : الناظر الذى يفرس بنظره . ملهى للصدق : بقايا جمال تستمتع النزل .
(١٢) السحرة : السحر . استحرن : خرجن فى السحر أو فى وقت البكور .
الرس : البئر وهو اسم موضع أيضا .
كاليد لقم : أى قصدن الوادى فلم يخطئته كما لا تخطئ اليد إذا قصدت لقم .
(١٣) القنات : جبل لبنى أسد . الحسل : الذى لا عهد له ولا ذمة ولا جوار .
المحرم : من له حرمة وذمة من أن يفار عليه . ظهرن : خرجن .
(١٤) السوبان : اسم راد . جزعته : قطعته أو تجاوزته .
قبنى : أراد به قنبا منسوباً إلى « بلقين » وهم حى من اليمن تغلب إليهم الرجال وربما قصة
جودة صنمته نسبة إلى فين . قشيب : جديد . مقام : الذى وسع وزيد فيه بئقتان من
جانيبه .
(١٥) زرقا جهامه : أى صاف . الجملة : مجتمع الماء .
الحاضر : من حضر الماء وأقام عليه . المتخيم : الذى اتخذ الخيمة وتأهب للاستقرار .
وضعن عصى الحاضر : أى أقن على الماء واستقروا فى هذا المكان .

ب : وقائع قضية السلام

- ١٦ سَعَى سَاعِيًا غَيْظَ بَنٍ مُرَّةً بَعْدَمَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْذِّمِّ
 ١٧ فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رَجُلًا بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمُ :
 ١٨ يَمِينًا لِنِعَمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمَبْرَمٍ
 ١٩ تَدَارَكْتُمَا عَهْسًا وَذُبْيَانًا بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمٍ
 ٢٠ وَقَدْ قُلْتُمَا : إِنْ تُدْرِكِ السَّلْمُ وَأَسْعَا بِسَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ تَسْلُمُ
 ٢١ فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا عَنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍ
 ٢٢ عَظِيمَيْنِ فِي طَلِيَا مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا وَمَنْ يَسْتَسِحَّ كَثَرًا مِنَ الْحَبْدِ يَعْظُمُ
 ٢٣ فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِ كُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالِ الْمَزْنَمِ
 ٢٤ تُعْفَى الْكُلُومُ بِالْمِثْنِ فَأَصْبَحَتْ يُنْجَمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ
 ٢٥ وَلَمْ يَسْرَبُقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مَحْجَمٍ

(١٦) غيظ بن مرة : حى من غطفان . تبزل بالدم : تشقق وتمزق بسبب الحرب .

(١٧) أقسمت بالبيت : يقصد الكعبة . جرهم : أمة قديمة كانوا أرباب البيت قبل قريش .

(١٨) السحيل والمبرم : يكتنن بهما عن شدة الأمر وسهولة ، والمبرم الخيط المزدوج المقتول والسحيل هو الخيط المفرد الضعيف .

(١٩) منشم : امرأة عطارة من نخاعة تشامم العرب يعطرها وضرب به المثل :

(٢٠) واسعا : مؤكدا . نسل : أى نسل من أمر الحرب وتزول أخطاؤها .

(٢١) على خير موطن : على خير منزلة ورتبة ومكانة . العقوق : قطعة الرحم .

(٢٢) طلياء معد : أشرافها . وأفضل القوم فيها يستنبح : يحجده مباحا . الكثر يكتنن به عن الكثرة .

يعظم : يرتفع شأنه بين قومه وترقى درجته ومكانته .

(٢٣) الإفال : صفار الإبل التى كانت تدفع فى الديارات . المزنم : الجبال المشهورة . التلاد :

المال الموروث (القديم) . والطريف : المال المستحدث (المكتسب) .

(٢٤) تعفى : تمحى . الكلام ج الكلم وهو الجرح .

(٢٥) تنجم : تدفع أقساطا . ملء محجم : أقل كمية يمكن تصورها .

ج : رسالة إلى الأحلاف

٢٦. فَنَنْ مَبْلَغُ الْأَحْلَافِ عَنِّي رِسَالَةٌ وَذِيَّانَ هَلْ أَقْسَمْتُ كُلَّ مُقْسَمٍ
٢٧. فَلَا تُكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفْسِكُمْ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتُمَ اللَّهُ يَعْلَمَ
٢٨. يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْنَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلَ فَيُنْقَمِ
٢٩. وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ
٣٠. مَتَى تَبْغُثُوهَا تَبْغُثُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضُرُّ إِذَا ضُرُّتُمْوهَا فَتَضُرُّ
٣١. فَتَمْرُكُكُمْ عَرَكُ الرَّحَا يَنْفَالِهَا وَتَلْقَحُ كِشَافًا ثُمَّ تَحْمَلُ فَتَنْقِمِ
٣٢. فَتَنْتِجُ لَكُمْ غِلْمَانًا أَشَامَ كُلِّهِمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِمْ
٣٣. فَتَنْزِلُ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدَرَاهِمِ

د : عتاب ومؤاخذه

٣٤. لَعَمْرِي لَنَنْعَمَ الْحَى جَرَّ عَلَيْهِمْ بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنٌ بْنُ ضَمْضَمٍ

(٢٦) الأحلاف : أسد وطفان وطوى .

(٢٧) لا تكتمن : لا تضمروا خلاف ما تظهرون .

(٢٩) المرجم : المظنون أو الذي لا يقوم على يقين . ذقم : جربتم .

(٣٠) تضر إذا ضرتوها : تعود إذا عودتموها ، وتشتل إذا اشتعلت نارها .

تمرككم : تهلككم وتقضى عليكم . بنفالا : أى ومعها فقال وهو الخيلدة توضع تحت الرعى إذا أدبرت ليقع عليها الدقيق .

(٣١) تلقح كشافا : أى لاتقطع عنكم ولا بد أن تدرككم . تنم : تنجب النوائم وهى كثيرة التاج .

(٣٢) غلمان أشام : أى غلمان شوم وندرشر .

أحمر عاد : ربما قصد به أحر « عود » وهو عاقرة ناقة صالح فى القصص القرآنى .

(٣٣) تنزل : تنج . القفيز والدرهم : خيرات العراق من محاصيل وأموال .

(٣٤) جر عليهم : جتى عليهم . حصين بن ضمضم : من بنى مرة اشقى على الصالح ولم يدخل فيه وعدا

على رجل من عبس فقتله .

الجزء الأول

٢٢٩

- ٣٥ وكان طوى كشعاً على مُسْتَكِنَةٍ
 ٣٦ وقال ساقِضِ حاجتي ثم أتق
 ٣٧ فشدّ ولم تفزع بيوت كثيرة
 ٣٨ لدى أسد شاكي السلاح مُقْدِف
 ٣٩ جرى متى يُظلم يعاقب بظلمه
 ٤٠ رعوأ ما رعوأ من ظمئهم ثم أوردوا
 ٤١ فقصوا منابا بينهم ثم أوردوا
 ٤٢ لعمرك ما جرت عليهم ومأحهم
 ٤٣ ولا شاركوا في القوم في دم نوفل
 ٤٤ فكلأ أراهم أصبحوا يعقلونهم
- فلا هو أبدأها ولم يتجمجم
 عدوى باليف من ورأى ملجم
 لدى حيث ألفت رحلها أم قشع
 له ليد أظفاره لم تقلم
 سبرعا وإلا يبد بالظلم يظلم
 غمارا تسيل بالرماح وبالدم
 إلى كلاً مستوبل متوخم
 دم ابن نهيك أوقتل المثلّم
 ولا وهب منهم ولا ابن الحزم
 علالة ألف بعد ألف مصم

(٣٥) طوى كشعاً : طوى أمراً في جانبه فلم يظهره . (الكش : الجنب أو الخصر) .

(٣٦) ساقِضِ حاجة : سادرك نأري . أتق عدوى بألف : أجعلهم يفرق بين عدوى .
 (ألف فارس) .

(٣٧) شد : حمل على الرجل فقتله . تفزع : تعلم بفعلته أو تساعده عليها .

بيوت : أحياء وقيائل . ألفت رحلها : اشتد خطرها واشتملت زيراتها .

(٣٨) أسد : جيش . أم قشع : الحرب . شاكي السلاح : سلاحه شائكة حادة وتامة .

أظفاره : سلاحه . الظلم : ما بين الشربتين .

(٤٠) الغار والغمر الماء الكثير . الورود : الذهاب إلى مصادر المياه وعكسه الصدر .

(٤١) قضا منابا : أيقظوها بأشغال الحرب .

أصدروا إلى كلاً : رجعوا إلى أمر مستوبل أسمى العاقبة . المتوخم (الوخيم) : الذي لا يحدد نتائجه .

(٤٢) المثلّم : اسم موضع . ابن نهيك ونوفل ورهب وابن الحزم : أسماء رجال من هبس .

(٤٤) يعقلونهم : يسهلون ربايتهم ويفرغونها . العلالة : تكرار الشيء بعد الشيء . المصم : التام .

- ٤٥ تُسَاقُ إِلَى قَوْمٍ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ صَحِيحَاتٍ مَالٍ طَالَعَاتٍ بِمَخْرَمٍ
٤٦ لَحَى حِلَالٍ بِعَصْمٍ النَّاسِ أَسْرُهُمْ إِذَا طَلَعَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمٍ
٤٧ كِرَامٍ فَلَا ذِرَ الْوَثْرِ يَدْرُكُ وَثْرَهُ لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَنَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمٍ

هـ : فلسفة حياة

- ٤٨ سَمِتُ تَكَالِيفِ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعْشُ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَاكَ يُنْشَأُ
٤٩ رَأَيْتُ الْمَنَاءَ يَخْبِطُ عَشَوَاءَ مَنْ تُصَبِّ ثَمَنُهُ وَمَنْ تُخْطِئُهُ يُعْمَرُ فِيهِمْ
٥٠ وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورِ كَثِيرَةٍ يُضَرُّ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَلْسِمٍ
٥١ وَأَعْلَمُ عِلْمُ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَيْدِ عَمِي
٥٢ وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَخْلُ بِفَضْلِهِ عَلَى أَهْلِهِ يَسْتَعْنُ عَنْهُ وَيُدْنِمُ
٥٣ وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرِضِهِ يَفْصِرُهُ وَمَنْ لَا يَتَّبِقِ الشَّمَّ يُشْتَمُ
٥٤ وَمَنْ لَمْ يَدَدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يَهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ
٥٥ وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنِيَةِ يَلْقَاهَا وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ

(٤٥) صحيفات مال : ليس بمعدة ولا مظل . بمخرم : أى طلعت عليهم الإبل من المخرم وهو الطريق الضيق في الجبل .

(٤٦) لحي حلال : كثير ، والحلال ج حلة وهى مائة بيت ، وأصل الحلة الموضع ينزل فيه القوم ، وأراد بالحي الحلال حتى الساهين بالصلاح بين عبس وذبيان .

(٤٧) لا ذر الوثر يدرك وثره : أى أنهم أحرزوا لا يستطيع أحد أن ينتصر عليهم أو يأخذ منهم ثأراً .

(٤٨) تكاليف الحياة : مناعها ومشقاتها لا أبالك : صيغة دعائية فيها الجفاء والغلظة الجاهلية .

(٥٠) متشم المير : بمنزلة ظفر الإنسان . يضرس : يضرع بضرس . يصانع : يترقى ويدارى .

(٥١) عمى : جاهل ، يصور جهله بالمستقبل وعلمه بالماضى والحاضر فقط .

(٥٥) أسباب السماء : أبوابها . أسباب المنية : وسائلها وطرقها . والمنية : الموت .

الجزء الأول

٣٣١

- ٥٦ وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْزِيمٍ
٥٧ وَمَنْ يُوَفِّ لَا يُدْتَمُّ وَمَنْ يُفِضْ قَلْبُهُ إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبِرِّ لَا يَتَجَمَّعُ
٥٨ وَمَنْ يَفْتَرِّبْ يَحْسِبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ
٥٩ وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخَفْنِي عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ
٦٠ وَمَنْ لَا يَزَلْ يَسْتَحْمِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ وَلَمْ يُغْنِهَا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يُسَامُ

(٥٦) العوالى : صدور الزجاج وأعالها مما يلي السنان . الزجاج : فى أسافل الزجاج . لهزم : السنان ، واللهزم : الحاد .

(٥٧) التجمجم : التخاذل أو التردد وترك التقدم فى الأمر . يفيض قلبه : أى يصير . مطمئن البر : خالصه .

(٥٩) الخليقة : الطيبة أو الصفة الأصلية .

(٦٠) يستحمل الناس : يحملهم أموره ويثقل عليهم من خلالها . أزيحل الناس على صيبه .

* * *

عبد الله التطاوى

(٢)

مِن مَدَائِحِ هَرَمِ

وَقَفَّةٌ بِالْأَطْلَالِ :

- ١ قِفْ بِالْدِيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ
- ٢ لَا الدَّارُ غَيْرُهَا بَعْدَى الْأَنْيَسُ وَلَا بِالْدَارِ لَوْ كَلَّمْتَ ذَا حَاجَةٍ صَمَمَ
- ٣ دَارَ لَا سَمَاءَ بِالْغَمَرِينَ مَائِلَةً كَالْوَحْيِ لَيْسَ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا أَرِمُ
- ٤ سَأَلْتُ بِهِمْ قَرَقَرَى ، بِرُكِّ بَائِثِهِمْ فَالْعَالِيَاتُ وَعَنْ أَيْسَارِهِمْ خِيمَ
- ٥ حَوْمَ السَّفِينِ فَلَمَّا حَالَ دُونَهُمْ فَيْدُ الْقُرَيَاتِ فَالْعَيْتَانُ فَالْكَرَمُ

(١) لم يعفها القدم : أى لم يدرسها الزمن . والمسمى أن من يقف على الديار يتوهم أنها كلها حافية ، أى عني طليا الزمن فليت ، ولكنه سيجد أن بعضها لم يتطرق إليه الليل . الأرواح : الرياح . الديم : جمع ديمة وهي المطر الذي يدم في سكون بلا برق ولا رعد يوما أو بعض يوم ، أو لمدة أكثر من ذلك قد تصل إلى سبعة أيام .

(٢) بعدى الأنيس : أى لم ينزلها من بعدى أنيس فيغير ما أعرف منها . لو كلمت : أى تكلمت بقدمي ما يسمع فلم يحجب .

(٣) القمران : موضعان . المسائل : المتعصب ، أو الذهاب الذي لا يرى له شخص . الوحى : الشيء المكتوب ، أو الكتاب . ما بها أرم : ما بها أحد .

(٤) سألت بهم : كثروا بها . قرقرى : موضع بهذا الاسم . برك : مكان بهذا الاسم . بائمهم : أى عن يمينهم . عن أيسارهم : على شمالهم . العاليات : مواضع مشرفة قرب برك . نخيم : اسم جبل . (٥) حوم السفين : أى أن سيرهم في البر كمسباحة السفن في الماء . فيد القرىات : موضع بهذا الاسم . العيتان والكرم : موضعان آخران .

- ٦ كَانَ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ وَعَبْرَةٌ مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَّمُ
٧ غَرِبْتُ عَلَى بَكْرَةٍ أَوْ لَوْلُو قَلِقْتُ فِي السَّلَكِ خَانَ بِهِ رَبَّاتِيهِ النَّظْمُ
٨ بَلْ قَدْ أَرَاهَا جَمِيعًا غَيْرَ مُقْوِيَةٍ السَّرُّ مِنْهَا فَوَادِي الْجَفْرِ فَالْهَيْدَمُ
٩ وَلَا لُكَّانُ وَلَا وَادِي الْغَمَارِ وَلَا شَرِقِي سَلْبِي وَلَا فَيْدُ وَلَا رِمَمُ
١٠ عَهْدِي بِهِمْ يَوْمَ بَابِ الْقَرِيَّتَيْنِ وَقَدْ زَالَ الْهَمَّالِيجُ بِالْفُرْسَانِ وَالْجُمُ
١١ فَأَسْتَبْدَلْتُ بَعْدَهَا دَارًا يَمَانِيَّةً تَرَعَى الْخَرِيفَ فَادَنَى دَارَهَا ظِلْمُ

(٦) السليل : واد بهذا الاسم ؛ وسأل بهم تعني أنهم ساروا فيه سيرا مريعا . عبرة ما هم : أي أنهم سبب بكائي وربما يقصد أنهم عبرة له وإن قرأوا . لو أنهم أمم : الأسم بين القريب والبعيد ، والمعنى أنه كان يزورهم لكنهم بعدوا .

(٧) غرب : دلو ضئمة . لؤلؤ فلق : أي لؤلؤ في سلكه لكنه فلق لم يستقر عندما انقطع الخيط . رباته : صاحبات اللؤلؤ ، وهن اللاتي يمتن بنظمه أي جعله في خيط . النظام : مفردا نظام وهو الخيط ؛ وغان النظم تعني أن النساء فعلن في اتقان عملهن فلم يستقر اللؤلؤ في مكانه على الخيط . والشاعر هنا يشبه دموعه بما يسيل من الدلو من قطرات الماء ، أو بالؤلؤ الذي انقطع من الخيط وتناثر متفرقا .

(٨) بل قد أراها : يقصد أنه يرى الأراضي التي صيرت ذكرها . مقرية : خالية مقفرة . البحر والجفر والهدم : أسماء ، لأنها كن ربما تكون أودية .

(٩) لكان : اسم لأرض ، والمعنى هنا أنها لم تكن تحل بلكان . وادي الغمار : موضع بهذا الاسم . سلبى : جبل بهذا الاسم . فيد ورم : أسماء لمواضع أو لأماكن ، ويقصد الشاعر أن جميع هذه الأماكن قد غلت من أسماء بعد هجرها .

(١٠) باب القريتين : قرية كانت لعلم وجديس في طريق مكة . زال : مال عن موضعه . الهماليج : فسرت على أنها الإبل ، لأن المسافرين كانوا يجنبون الخيل ويركبون الإبل ؛ وربما تعني الخيل ، ويقصد أنها مالت بهم لأن الخيل مردودة على الخيل كي تقيدها في السير .

(١١) استبدلت : يقصد أسماء . يمانية : ناحية اليمن . ترعى الخريف : أي ترعى تبت الخريف : ظلم : اسم لجبل .

وقفه مع هريم :

- ١٢ إن البخیل ملومٌ حیثُ کان ولـ کنّ الجـوادَ علی علایه هـرمٌ
 ١٣ هو الجوادُ الذی یُعطیک نائله عفواً ویظلم أحیاناً فیظلمُ
 ١٤ وإنّ آتاهُ خلیلٌ یومَ مسألة یقول لا غائبٌ مآلی ولا حرمٌ
 ١٥ القائدُ الخلیل منکوباً دوارها منها الشنونُ ومنها الزاهقُ الزهمُ
 ١٦ كانوا فریقین یصغون الزجاج علی قعس الكواهل فی أکتافها شمم
 ١٧ وآخرین ترى الماذی عسدتهم من نسج داود أو ما أورث إرم
 ١٨ هم یضربون حبیبك البیض إذ لیقوا لا ینکون اذا ما استلحموا وحوا

(١٢) علی علایه : علی عمره و یسره .

(١٣) عفواً : أى یعطیک ما سألته سهلاً ولایمن به علیک . یظلم أحیاناً : یطلب إلیه فی غیر موضع الطلب فیحمل ذلک لهم . ویظلم بالتشدید بمعنى یحتمل الظلم ؛ والظلم فی ألفة هو وضع الشئ فی غیر محله .

(١٤) الخلیل هنا الفقیر . مسألة : سؤال أو مطلب . الحرم : المنوع ، أى أن ماله لیس بمنوعاً .

(١٥) منکوباً دوارها : أى سببت الحجرة الخشبة فی الأرض تآکل دوارها . الشنون : وسط

بین السمین والمزیل . الزاهق : السمین . الزهم : کثیر الشحم واللحم ، وهو أسمن من الزاهق .

(١٦) یصغون الزجاج : یهثون الزجاج للطنن ، والزجاج جمع زج وهو الحديدة التى فی أسفل

الرج . قعس الكواهل : مثل معناه أن کواهلها (جمع کاهل) مشرفة کان بها حدباء وقعس : جمع أفعس وهو الأحذب . شمم : إشراف . یصف الخلیل .

(١٧) الماذی : الدروع السهلة الیة ، وكل لین یقال له ماذی . نسج داود : لأن داود کان

أول من صنع الدروع . إرم : أمة قديمة وهى عاد ، والعرب تنسب كل قديم إلی عاد . ولا یقصد الشاعر هنا أن إرم هى التى أورثت الدروع ، بل یقصد أنها دروع قديمة متوارثة .

(١٨) حبیک البیض : طرائفه . والبیض : خوذات الحديد . ینکون : یجبنون . استلحموا :

أدركوا . حوا : غضبوا .

- ١٩ ينظرُ فرسانهم أمَرَ الرئيس وقد
٢٠ يَقسِمُ ثم يُسوَّى القَسَمَ بينهم
٢١ فضَّلَه فوقَ أقوامٍ ومجَّده
٢٢ قوْدُ الجيادِ وإِصْهارُ الملوكِ وصَبْ
٢٣ يَنزِعُ إِمَّةَ أقوامٍ ذوى حَسَبِ
٢٤ ومن ضَرِبَتْهُ التَّقوى ويعصمه
٢٥ مورثُ المجدِ لا يفتالُ هِمَّتَه
٢٦ كَالِهِنْدُوَانِي لا يُخْزِيكَ مَشْهُدُه
- شدَّ السُّروجَ على أثباجها الحُزمُ
مَعْتَدِلُ الحِكمِ لا هَارٍ ولا هَشِمُ
مَالِنٌ يَنَالُوا وَإِنْ جَادُوا وَإِنْ كَرُمُوا
رَفِي مَوَاطِنَ لو كانوا بها مَسْمُومُوا
مِمَّا تُبَيِّنُ أَحْيَانًا لَهُ الطُّعْمُ
من سَيِّئِ الْعَثَرَاتِ اللهُ وَالرَّحِمُ
عن الرِّياسَةِ لا عَجْزٌ ولا سَامُ
وسطَ السُّيوفِ إذا ما تُضْرَبُ بِهِمُ

- (١٩) ينظر : ينتظر . شد السروج : يقصد شد الأضربة السروج . الأثباج : أثباج الخيل هي أرساطها . يريد أنهم أمرجوا خيلهم تأهباً لأمر رئيسهم بالقتال .
(٢٠) هار : هائر ، أى ضعيف لا عقل له . هشم : سريع الانكسار ، والمعنى أنه يعدل عند تقسيمه للفتانم بين أصحابه .
(٢١) مالن ينالوا : أى مالن ينالوه من فضله وفعله ؛ والمعنى أنه فاق الجميع بفضله وإن كان الجميع كراماً .
(٢٢) قود : قيادة : إصهار : مصاهرة ؛ والمعنى أنه نال الفضل لقيادته الجياد ومصاهرته للوك . سنوا : ملوا . فى مواطن : الإشارة هنا إلى مواطن القتال وصبره وحسن بلائه فيها .
(٢٣) إمة أقوام : حالهم الحسنة ؛ والمعنى أنه ينزع نعيم أعدائه فتصبح ملكاله . تيسر : أى الفتانم التى تهباله . الطعم : المأكول وكل ما يرزق به الإنسان ؛ وقد تعنى الخراج أو الإتاوة .
(٢٤) ضريبته : طبيعته . يعصمه : يمنعه . الرحم : أى صلة الرحم ؛ والمعنى أن هناك أمرين يعصمانه من العثرات والوقوع فى الزلل وهما الله وصلة الرحم .
(٢٥) مورث المجد : أى ليس حديث عهد بالشرف ، بل ورث المجد عن آبائه وأجداده . يفتال : يقطع همته ويجعلها تفتت . السام : الملال .
(٢٦) الهندوانى : السيف المنسوب إلى الهند . يخزيك : يذلک ويهينك . الهم : الجساعة ؛ ويقال للبطل « بهمة » لأنه لا تدرى جهة قتاله . والمعنى أن المندوح فى مضائه وحسن تصرفه للامور كالسيف الهندى عندما تتلاحم الجموع فى القتال .

* * *

محمد حمدى إبراهيم

(٣)

مِن مَدَائِحِ هَرَمٍ أَيْضًا

مِن الْأَطْلَالِ إِلَى النَّاقَةِ :

- ١ غَشِيَتْ الدِّيارَ بِالْبَقِيعِ فَتَهَمَّدِ دَوَارِسَ قَدِ أَقْوِينَ مِنْ أُمِّ مَعْبِدِ
- ٢ أَرَبَّتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ كُلَّ عَشِيَةِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا آلُ خَيْمٍ مُنْضِدِ
- ٣ وَغَيْرِ ثَلَاثٍ كَالْجَمَامِ خَوَالِدِ وَهَابٍ مُجِيلٍ هَامِدٍ مُتَلَبِّدِ
- ٤ وَقَفْتُ بِهَا رَأْدَ الضَّعَاءِ مِطْبِئِي أَسْأَلُ أَعْلَامًا بِبَيْدَاءِ قَرْدَدِ
- ٥ فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهَا لَا تَجِيبُنِي نَهَضْتُ إِلَى وَجَنَاءِ كَالْفَحْلِ جَلْعَدِ
- ٦ مَتَى مَا أَكَلَفْتُهَا مَفَازَةَ مَنَهْلٍ قُنُسْتَعَفَ أَوْ تُنْهَكَ إِلَيْهِ فَتَجَهَّدِ

- (١) غشيت : ارتدت . البقيع وشهد : موضعان بتاحية المدينة . دوارس : مهجورة بالية .
- (٢) أربت : أقامت . الأرواح : جمع ربح . خيم : جمع خيمة . منضد : بعضه فوق بعض .
- الآل : الأعواد التي تبنى عليها الخيام .
- (٣) ثلاث : يقصد الأناقي (المواقد) الثلاث ؛ شبه لونها بالجمام لأنها سود تضرب إلى الغبرة .
- خوالد : مقيات باقيات . هاب : رماد عليه هبرة أى غبرة مع طول القدم . مجيل : أى أتى عليه الحول . هامد : متلبد : هطلت عليه الأمطار حتى تلبد والتعرق بعضه ببعض .
- (٤) رأد الضعاء : وقت ارتفاع الشمس وانسلاط ضوئها ؛ والضعاء هو ارتفاع النهار الأعلى .
- قردد : ما ارتفع وظل من الأرض .
- (٥) لا تجيبني : أى أن الديار لا ترد على . وجنأ : ناقة ضخمة الرجفات . جلعد : شديدة .
- (٦) مفازة منهل : صحراء بها ماء . تستعف : تعطيك ما عندها عفوا ، أو يؤخذ صفو ما عندها (زيادة) من السير من غير كد . تنهك : أى يبالغ فى ضربها لتجهد . تجهد : تعب .

- ٧ تكفساء سفعاء الملائم حرة
٨ غدت بسلاح مثله يتقى به
٩ وسامعتين تعرف العتق فيهما
١٠ وفاظرتين تطحران قذاهما
١١ طباهما ضحاه أو خلاه خالفت
١٢ تبد الألى يأتينها من ورائها
١٣ فأنقذها من غمرة الموت أنها
١٤ وجدت فالقت بينهن وبينها
١٥ كان دماء المؤسسات بنحريها
- مسافرة مزرودة أم فرقد
ويؤمن جاش الخائف المتوقد
الى جذر مدلوك الكعوب محمد
كأنهما مكحولتان بلأثميد
إليه السباع في كناس ومرقد
وإن تتقدنها السوابق تضطد
رأت أنها إن تنظر النبل تقصد
غبارا كما فارت دواخن غرقد
أطبة صرف في قضيم مسرد

- (٧) خنساء : بقرة وحشية . سفعاء : سوداء في حرة . الملائم : المخلود . مزرودة : مذكورة .
والفرقد : ولد البقرة . يشبه ناقته بهذه البقرة الأم .
- (٨) سلاح : يقصد قرنبا . يتقى به : يحمى به من العدو . يؤمن جاش الخائف : يهدى .
المشاعر المضطربة . المتوقد : الذى اتقد جوفه من الفزع والخوف .
- (٩) سامعتين : أذنين . العتق : الكرم . جذر : أصل . مدلوك الكعوب : قرونه مدلوكة أى
مساء . والكعب هو ما بين العقدتين في القرن والقناة . محدد : أى محدد الرأس .
- (١٠) فاظرتين : عينين . تطحران : ترميان . القذى : ما يخرج من العين . الإثميد : الكحل .
(١١) طباهما : دماها . الضحاه : الرضى عند الضحى . خلاه : خلوة . إليه : يقصد إلى ولدها .
خالفت : أنت خلفه . الكناس : بيت الظلي في الشجر يستتر فيه من الحر والبرد . مرقد : منام .
- (١٢) تبد : تسبق وتغلب . يأتينها من ورائها : أى تأتى الكلاب من خلفها . السوابق : أى
الكلاب ، ما سبق منها . تضطد : أى تطعن وتعقر .
- (١٣) إن تنظر : إن تنظر . النبل : أى السهام ، وربما يقصد أصحاب النبال . تقصد : تقتل .
- (١٤) جدت : أمرعت . بينهن وبينها : أى بينها وبين الكلاب . دواخن : جمع دخان .
الفرقد : شجر له شوك ، وهو كثير الدخان .
- (١٥) المؤسسات : المخرجات بالعصيد ، وهنا يشبه الشاهر الدماء التى تطلخ بنحريها بطرائق أديم
أحمر . أطبة : سيور مفردة طبابة ، وهى قطعة من الجلد توضع على طرفي جدار القربة ليحملها السقاء .
الصرف : صيغة حمراء تصبغ بها جلود النعال . القضيم : الجسد الأبيض أو الصفيحة . المردة
الخرز في الأديم .

إلى هــرِـم :

- ١٦ إلى هــرِـم تهـجـيرها ووسـيـجـها تروـج من ليل التـمـام وتفتـدى
 ١٧ إلى هــرِـم سارت ثلاثا من اللوى فنعـم مسير الوائق المتعمد
 ١٨ سواء عليه أى حين أتيتـه أساعة نخس تـتـقـى أم بأسعد
 ١٩ أليس بضراب الكـمـاة بسيفه وفكـاكـ أغلال الأسير المقيد
 ٢٠ كليث أبى شبلين يحمى عرينه إذا هو لاقى نجدة لم يـعـود
 ٢١ وينقل على الأعداء لا يضعونه وحمال أنقال ومأوى المطرد
 ٢٢ أليس بفياض يـداه غـمـامة ثمال اليتامى فى السنين محمد
 ٢٣ كفضل جواد الخليل يسبق عفو السـد راع وإن يجهدن يجهد ويـعـد

(١٦) التهجير : السير فى الهجرة وهى نصف النهار . الوسيج : نوع من سير الإبل السريع : وأول السير الدبيب ثم العنق ثم التزبد ثم الذميل ثم المسح ثم الوسج . ليل التمام : أطول ما يكون من الليل . تروح : تخرج برواح أى خرج بالعنى ، وموعدها من زوال الشمس إلى الليل .
 (١٧) اللوى : ما انقطع من الرمل ، وهو موضع معروف حيث يلتوى الرمل وينقطع . الوائق : الذى يتق بمسيرته إليه . المتعمد : القاصد .

(١٨) سواء طله : أى لا يتشامد بشىء سواء أضاء نخس أو سعد .
 (١٩) الكمـاة : مقودها كى ، وهو المرتدى للسلح أو الشجاع المقدام : وسمى كذا لأنه يستر نفسه بالدرع أو لأنه يكى شجاعته أى يكتنمها لحين الضرورة .
 (٢٠) الشبلان : جرو الأسد . العرين : يقصد الأجمة . نجدة : قتال . لم يـعـود : لم يفر .
 (٢١) نقل : ثقيل . لا يضعونه : لا يستطيعون التخلص منه . حال أنقال : أى يتحمل من أمر هشيرة ما ينقل عليهم من تـمـات ومستوليات . المطرد : المطرد .
 (٢٢) فياض : يفيض عليهم بكرهه . غـمـامة : سحابة . ثمال اليتامى : الذى يعلم اليتامى وقت الشدة . محمد : محمود .
 (٢٣) عفو : ما جاء منه عفوا ، أى ما زاد عن حاجته . السراع : يقصد المراع من الخيل . يجهدن : يتعبن ، ويقصد هنا الخيل . يـعـد : يسبق بعيدا .

- ٢٤ تَقَى نَفْسٌ لَمْ يَكْثُرْ غَنِيمَةً بِنَهْكَ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقْلٍ
٢٥ فَلَوْ كَانَ حَمْدٌ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنْ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدٍ
٢٦ وَلَكِنْ فِيهِ بَاقِيَاتٌ وَرَائَهُ فَأُورِثَ بَنِيكَ بَعْضَهَا وَتَزُودُ
٢٧ تَزُودُ إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ فَلَمَّا وَلَوْ كَرِهَتْهُ النَّفْسُ آخِرُ مَوْعِدٍ

* * *

- (٩) لم يكثر غنيمة : أى لم يزد أمواله بظلم قرابته والاستيلاء على ماله ، ولم يكثر خزانته بما ينقصه من منافع ذوى قرابته . نهكة : انتقام . حقلا : بخيل سيء الخلق .
(١٠) يخلد الناس : أى يجعل الناس خالدين ؛ والمعنى أنه لو كان الفعل المحمود يجعل صاحبه خالداً لخلدك فلك فلم تمت ، ولكنه لا يجعل الإنسان خالداً .
(١١) باقيات : ما يذكرك به من الشرف مما ورثه عن آبائه . يقول له : أوريث بعض مكارمك ومحامدك بنيك ، وتزود ببعضها لما بعد موتك ، لأن الموت يلزمه الزاد .
(١٢) يقول : إن الموت موعد لا بد منه وإن كرهته النفس ، ولذلك ينبغي التزود له .

* * *

محمد حمدى إبراهيم

(٤)

من مدائح هـرم أيضا

مقدمة غزلية :

- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| ١ هل في تذكر أيام الصبا فند | أم هل لما فات من أيامه ردد |
| ٢ أم هل يلامن بك هاج عبرته | بالجحر إذ شفه الوجع الذي يجد |
| ٣ أوفى على شرف تشيز فازعجه | قلب إلى آل سلمى تائق كمد |
| ٤ متى ترى دارحى عهدنا بهم | حيث التقى الغور من نعان والنجد |
| ٥ لهم هوى من هوانا ما يقربنا | ماتت على قريه الأحشاء والكيد |
| ٦ لاني لما استودعنى يوم ذى فدم | راع إذا طال بالمستودع الأمد |
| ٧ إن تمس دارهم عنا مباعده | فا الأحبة إلّا هم وإن بعدوا |
| ٨ يا صاحبي أنظرا والغور دونكما | هل يبدون لنا فيما نرى الجمد |
| ٩ هيات هيات من نجد وساكنه | من قد أتى دونه البغناء والتمد |

(١) الفتد : الخطأ في القول والرأى . ردد : هودة .

(٢) شفه : أسقمه وأوجعه . الوجع : العشق الشديد . الجحر : مكان بهذا الاسم .

(٣) الشرف : المكان العالي . التشيز : المرتفع . تائق : مشتاق . كمد : يحزن .

(٤) الغور : ما هبط من الأرض . النجد : ما أشرف وارتفع من الأرض .

(٦) ذوفدم : موضع من نواحي المدينة .

(٨) الجمد : جبل في نجد .

(٩) البغناء : الأرض ذات الرمل والججارة . التمد : الماء القليل . ويرى الشراح أن البغناء

والتمد اسمان لموضعين بينهما .

هـرم وقومه :

- ١٠ إلى ابن ساسي سنان وأبنيه هيرم
١١ عوم القوادس قفى الأردمون بها
١٢ بغنية كسيوف الهند يتعشم
١٣ أقول للقوم والأنفاس قد بلغت
١٤ سيروا إلى خير قيس كلها حسبا
١٥ فاستطروا الخير من كفيه لهما
١٦ مبارك البيت ميموت ققيته
١٧ فالناس قوجان في معرفه شرع
١٨ رخب الفناء لو أن الناس كلهم
- تتجو بأفتادها عيديّة تحدد
إذا ترائى بها المغلولب الزيد
هم فكلهم ذو حاجة يقدر
دون الله غير أن لم ينقص العدد
ومنتهى من يريد المجد أوفد
بسنه يتروى منها البعد
جزل المواهب من يعطى كن يعد
فهم صادر أو قارب يرد
حلوا إليه إلى أن ينقضى الأبد

- (١٠) تنجو : تخرج . الأفتاد : خشب الرجل أو جميع أدواته . عيديّة : منسوبة إلى فحل منجب
يقال له « عيد » تسبب إليه كرام النجائب من الإبل . تحدد : تخرج بخطى واسعة .
(١١) القوادس : جمع قادس ، وهو السفينة العظيمة ، وقيل هو نوع من السفن . الأردمون :
جمع أردم وهو السلاح الحاذق الماهر . المغلولب : هو النباهات الملتف الذي بلغت شدة التفافه شأوا
عظيما ، ويقال اغلولب القوم أى كثروا . الزيد : المزيد . ويقصد الشاعر هنا أن البحر مزيد متلاطم
كثير الأمواج .
(١٢) يقدر : يشتعل ويتقد ، أى يمضى إلى تحقيق غايته بهمة لا تعرف الكلل .
(١٣) اللهما : جمع لاهة وهى اللمة المشرقة على الخلق فى أقصى سقوف الفهم .
(١٤) السيب : العطاء والمنح . البعد : البعيد أو القاصى .
(١٥) ميمون النقيبة : محمود المختبر مبارك النفس ، ينجح فيما يحاول ويظفر بما يروم .
(١٦) شرع : سواء . الصادر : الراجع عن الماء المنصرف عنه . القارب : طالب الماء .
(١٧) رخب الفناء : كناية عن الكرم . وجواب « لو » فى البيت التالى .

- ١٩ ما زال في سَيِّئه تَجِلُّ يَوْمُهُمْ
٢٠ في الناس للناس أندادٌ وليس له
٢١ لو كان يَخْلُدُ أقوامٌ بمجدهم
٢٢ أو كان يَقَعْدُ فوقَ الشمس من كرم
٢٣ قوم أبوهم سِتَانٌ حين تَنسِبهم
٢٤ إنسٌ إذا أمنوا جنٌّ إذا غَضِبُوا
٢٥ حَسَدُون على ما كان من نَعِيم
٢٦ لو يُوزَنُون عِيَاراً أو مَكَايِلَةً
- مادام في الأرض من أوتادها وتَدُ
فيهم شَيِّه ولا عِذْلٌ ولا نَدَدُ
أو ما تَقْدَم من أيامهم خَلَدُوا
قومٌ بأولهم أو مجدهم قَعَدُوا
طابوا وطاب من الأولاد ما ولدُوا
مرزُونٌ بهاليلٌ إذا جُهِدُوا
لا يَنزِع الله منهم ماله حُسَدُوا
مالوا برضوى ولم يَعِدْهم أحدٌ

(١٩) السبب : العطاء ، وأصله الماء الغزير . والسجل : الدلو الضخمة المنكئة بالماء . وأوتاد الأرض : جبالها .

(٢٠) العدل : المثيل والنظير . الندد : المثل والشبيه ، وصيغته الشائعة هي الند لا الندد .

(٢٢) الكرم هنا : مكارم الأخلاق .

(٢٤) مرزونون : كرماء . بهاليل : سادة جامعون لكل خير . جهدوا : بذلوا جهداً ومشقة . أو أصابهم حط من قلة المظروفتموا تعباً شديداً .

* * *

محمد حمدي إبراهيم

(٥)

هَجَائِيَّة

رحلة الطعائن :

- ١ بَانَ الخَلِيْطُ وَلَمْ يَأُوْا لِمَنْ تَرَكَوْا وَزَوَّدُوْكَ اِشْتِيَاقًا اَيَّةً سَلَكَوْا
- ٢ رَدُّ الْقَبِيَانُ جَمَالَ الْحَيِّ فَاحْتَمَلُوْا اِلَى الظُّهِيْرَةِ اَمْرٌ بَيْنَهُمْ لَيْكَ
- ٣ مَا اِنْ يَسْكَدُ يُخَلِّسُهُمْ لَوِجَتِهِمْ تَخَالُجُ اَلْاَمْرِ اِنْ اَلْاَمْرَ مُشْتَرِكُ
- ٤ وَعَرَّسُوْا سَاعَةً فِيْ كُتُبِ اسْمِيَّةٍ وَمِنْهُمْ بِالْقَسُوْمِيَّاتِ مُعْتَرِكُ
- ٥ يَغْشَى الْحَدَاةَ بِهِمْ حُرُّ الْكَثِيْبِ كَمَا يُغْشَى السَّفَائِنَ مَوْجُ الْجَلِيَّةِ الْعَرَكُ

- (١) بَانَ الخَلِيْطُ : اى فارقك مغالطوك فى الدار ، اى من يجاورونك . لم يَأُوْا : لم يرحلوا .
 زودوك : زادوك . اَيَّةً سَلَكَوْا : اى اَيَّةً جهة سلكوا فانت مشتاق .
- (٢) رد : اى رددن الجمال من المرحى كى يجهزها استعدادا للرحيل . القبان : جمع قبة وهى
 الامة . احتملوا الى الظهيرة : تأخرت رحلتهم الى وقت الظهيرة نظرا لاختلافهم وكثرتهم .
 ليك : مختلط .
- (٣) يخليهم : يتركهم . وجهتهم : طريقهم . تخالج الامر : الاختلاف فى الراى . مشترك :
 اى ليس امرا واحدا ، لأن كل شخص منهم له رآى .
- (٤) عرَّسوا ساعة : نزلوا ساعة . كتب اسمية : اكمة معروقة بقرب فلج . القسوميَّات :
 موضع يقع على اليمين فى طريق فلج . المعترك : مكان نزولهم ، والمعترك أصلا موضع العراك ، ويقصد
 هنا أنهم يعتركون عند موضع نزولهم .
- (٥) الحداة : من يحدون الإبل . حر الكثيب : الرمل المنبسط لا تراب فيه ، وهولن تفوص فيه .
 الأقدام . الجسة : بلجة الماء اى معظمه . العرك : البجارة أو الملاحون ، مفردا عركى ، كعريب
 وعربى . والمعنى أن حل الحداة للابل على اقتحام الرمال الصعبة مثل اقتحام البجاة بلجة البحر بالسفن .

- ٦ ثم استمروا وقالوا إن مَوَدَّكُمْ ماءً بشرق سَمَى فَيْدٍ أو رَكَكُ
٧ هل تُلَحِّقَنِي وَأَصْحَابِي بِهِمْ قُلُوصُ يَزْجِي أَوَائِلَهَا التَّبْيِيلُ وَالرَّتْكَ
٨ مَقْوَرَةٌ تَبَارَى لَا شَوَارَ لَهَا إِلَّا الْقُطُوعُ عَلَى الْأَكْوَارِ وَالْوُرْكَ
٩ وقد أَرَانِي أَمَامَ الْحَيِّ تَحْمَلُنِي خِرْدَاءُ لَا فَحْجٌ فِيهَا وَلَا صَكَّكَ
١٠ مرًا كَفَاتَا إِذَا مَا الْمَاءُ أَسْهَلَهَا حَتَّى إِذَا ضُرِبَتْ بِالسُّوِطِ تَبْتَرِّكَ
١١ كَانَهَا مِنْ قَطَا الْأَجَابِ حَانَ لَهَا وَرْدٌ وَأَفْرَدَ عَنْهَا أُخْتَهَا الشَّبَكُ
١٢ جُونِيَّةٌ كَصَاةِ الْقَسَمِ مَرْتَعُهَا بِالْمَيِّ مَا تُنْبِتُ الْقَفْعَاءَ وَالْحَسَكُ

- (٦) سلى : أحد جبل طيء وهما أجأ وصلى - فَيْد : نجد قريب من الجبلين المذكورين . رَكَك : اسم لنوع ماء في هذه الجهة . استمروا : استقام أمرهم فرأى أى ساروا .
(٧) قُلُوص : جمع قُلُوص وهى الفتية من الابل . يَزْجِي : يسوق . التَّبْيِيل : نوع من السبع تحسن الدابة فيه السير بسرعة ، مأخوذ من مشى البغال . الرَّتْكَ : مقارنة الخطى في سير الدواب .
(٨) مَقْوَرَةٌ : ضامرة . لا شَوَارَ لَهَا : لا متاع عليها ، لأن أصحابها يسرعون كى يُلْحَقُوا بِالْقَوْمِ .
الْقُطُوع : الطنافس التى على الرجل ، وهو ما يوضع على الابل . الْأَكْوَار : جمع كور وهو الرجل .
الْوُرْكَ : جمع وراك ، وهو ثوب يشد على رجل الدابة ثم يثنى ما يفضل منه كى يدخل تحت الرجل .
(٩) الْفَحْج : تباحث ما بين الفخذين وتقارب مبدؤ القدمين . وَالصَّكَّكَ : اصطكاك العرقوبين . وهما من عيوب الخيل . يَصِفُ فَرْسَهُ .
(١٠) مرًا : مرورا . كَفَاتَا : مريما . الْمَاءُ أَسْهَلَهَا : أى تنضج بالماء حينًا تهرق . تَبْتَرِّكَ : تَجْتَبِدُ فِي الْعَدُو . وهذه من صفات جِيَادِ الْخَيْلِ .
(١١) الْقَطَا : طيور . الْأَجَاب : مواضع فيها ماء متجمع . الْوَرْد : الماء المورد ، أى الذى يرد الناس . أَفْرَدَ عَنْهَا : جعلها تنفصل عنها لفرعها . الشَّبَك : حبال الصائد .
(١٢) الْجُونِيَّة : نوع من طيور القطا . حَصَاةِ الْقَسَمِ : هى حصاء يقدر بها الماء في القدح ، ويقسمون بواسطتها الماء على الشاربين عندما يكون قليلا . الْمَيِّ : ما استوى من الأرض . الْقَفْعَاء : نوع من البقول التى تبثت من تلقاء نفسها دون زراعة . الْحَسَك : بمرنوح آخر من البقول ، وهو غير الحسك الشائك لأن شوكة الحسك تقتل القطاة لو أكلتها .

- ١٣ أهوى لها أسقع الخدين مطرق
ريش القوادم لم تنصب له الشرك
١٤ لا شيء أجود منها وهي طيبة
نفسا بما سوف ينجيها وتترك
١٥ دون السماء وفوق الأرض قدرهما
عند الذنابي فلا فوت ولا درك
١٦ حتى إذا ما هوت كف الغلام لها
طارث وفي كف من ريشها بتك
١٧ ثم استمرت إلى الوادي فألحها
منه وقد طمع الأظفار والحنك
١٨ حتى استغاث بماء لا يرشاه له
من الأباطيح في حافاته البرك

رسالة هجاء :

١٩ هلا سألت بني الصيداء كلهم
بأي حبل جوار كنت أمتسك

(١٣) أهوى : هوى أو انقض عليها ، والمعنى أن مقرا أراد أن يفرمها . أسقع الخدين : السفع سواد تعلوه حرة ، وهي صفة للصقر . مطرق : أى أن ريشه مثبت على بعضه وليس منتشر . القوادم : قوادم الطير هي مقادير ريشه ، وهي عشر في كل جناح ، والقوادم تعنى التي في المقدمة أو التي نبتت قديما . الشرك : الفخاخ ؛ والمعنى أن الصقر لم يقع في الشرك ولم يؤخذ فيدل .

(١٤) أجود منها : أسرع منها . طيبة نفسا : وائقة بطيرانها وهي لذلك لا تخرج أقصى ما عندها من سرعة في الطيران ، مدخرة جهدها لوقت الحاجة . ترك : تدع بعضها من سرعتها لوقت الضرورة . والحديث هنا عن القطة .

(١٥) دون السماء : أى لم يحملها فينبغي في أجواز الفضاء ولم يصير إلى الأرض ، فهما بين الأرض والسماء . الذنابي : الذنب ؛ والمعنى أن الصقر قاربها حتى صار عند ذنبها . فلا فوت ولا درك : أى أن القطة لا تفوته ، وهو لا يدركها .

(١٦) بتك : قطع ، ومفردها بشكة . والمعنى أن سرعتها فائقة لا تمكن الغلام من الإمساك بها . (١٧) استمرت إلى الوادي : بلغت إلى الوادي لتحتفى بشجرة . الأظفار : المخالب . الحنك : المنقار .

(١٨) ماء لا يرشاه له : ماء متدفق يخرج من الأرض ويجرى على وجهها . الأباطيح : جمع أبطح وهو مسيل الماء الذي لا عمق له . البرك : طيور بيض ، وهي أيضا الضفادع .

(١٩) بنو الصيداء : قوم من بني أسد وهم رهب الحارث بن ورقاء ، وكان هذا قد أثار على إبل زهير وأخذ عبده يسارا . حبل جوار : رباط جوار ؛ والمعنى أنني كنت لا أستوثق إلا بحبل متين هو حبل قومك ، وهو عهد لهم هلكتوا حينما غدروا به . الحوار : الذمة والعهد . أمتسك : أمتسك .

- ٢٠ فلن يقولوا بجبل وإهين خلق
٢١ يا حار لا أرمين منكم بداهية
٢٢ فاردد يساراً ولا تعنف على ولا
٢٣ ولا تكونن كأقوام علمتهم
٢٤ طابت نفوسهم عن حق خصمهم
٢٥ تعلم ما لعمر الله ذا قسماً
٢٦ لئن حلت بجوفى بنى أسد
٢٧ لياتينك منى منطلق قدح
- لو كان قومك فى أسبابه هلكوا
لم يلقها سوقة قبلى ولا ملك
تمك بعرضك إن الغادر الممك
يلون ما عندهم حتى إذا نهكوا
مخافة الشر فارتدوا لما تركوا
فاقصد بذرك وانظر أين تنسلك
فى دين عمرو وحالت بيننا فذك
باق كما دنس القبطية الودك

- (٢٠) (واهين : ضعيف . خلق : عسق . فى أسبابه : السبب هو الحبل ؛ والمعنى أنه لو تمسك بالحبل الواهن هلك ، ولكن حبله متين محكم .
(٢١) حار : ترخيم حارث ، وهو الحارث بن ورقاء . سوقة : رهبة .
(٢٢) لا تمك : لا تمطل ، لأنك كلما مطلنتى أهلكت عرضك . الممك : المطول أو الماطل ، ومن كانت هذه شيمته كان غداراً .
(٢٣) يلون : يكرهون الفعل و يصعب عليهم القيام به . نهكوا : شتموا وانصب عليهم الدم والهجاء .
(٢٤) ارتدوا لما تركوا : أى رجعوا إلى الحق الذى تركوه ومنعوه ، أو ارتدوا إلى إعطاء الحق بعد تركه .
(٢٥) تعلم ما لعمر الله ذا : والمعنى اعلموا لعمر الله ذا . اقصد بذرك : أى قدر خطوك ، والذرع هو مقدار الخطوة ، والمعنى لا تشكل ما لا تعاقب منى . تنسلك : الانسلاك هو الدخول فى الأمر ؛ والمعنى لا تزج بنفسك فيما لا يعينك .
(٢٦) حلت : نزلت . جوفى : واد منيع . دين عمرو : طاعته . فذك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة بالإبل .
(٢٧) منطلق : قول . قدح : قبيح ، وأقلح أى قال قولاً قبيحاً . باق كما دنس : أى يبق عليك دفسه كما يبق فى الثوب الأبيض . القبطية : الثوب الأبيض ، وتطلق على ثياب الشام البيض ، أو هى ثياب بيض رفاق تصنع من كتان مصر .

* * *

محمد حمدى إبراهيم

المثقب العبدى

* * *

اسمه عائذ بن مُحِصَن بن وائلة بن عدى ... من شعراء الجاهلية القدماء
 زمن عمرو بن هند ، وهو أقدم من النابغة الذبياني ، وأخباره غامضة ، ولم يترجم
 له صاحب الأغانى ، على الرغم من أنه أشهر شعراء قبيلته ، كان سياحيا بارعا
 استطاع إنهاء الخصام بين المناذرة والعبديين ، وكان شاعرا مشهورا منذ نشأته
 في بيئة شعرية مرموقة ، إذ كانت لأسرته مكاتبا بين أسر قبيلة « نكرة » التي
 أنجبت أشهر شعراء العبديين .

وقد أهله ظروف اللشاة لكن يقوم بدوره السيامى فى الصلح القبلى ، ذلك
 أن صفاته الحكيمة يمكن أن ترتد — فى بعض جوانبها — إلى ما ورثه عن جده
 المصلح وأسرته العريقة فى « نكرة » ونسبه الكريم فى عبد القيس . وكما عُرِفَ
 المثقب بحكته عُرِفَ أيضا بجوده وكرمه ووفائه بالعهد. ولم يكن المثقب شاعرا
 غزلا ولم تفرد له فى الغزل قصائد خالصة وإن كثر عنده غزل المقدمات الذى
 نجد مثلا منه فى القصيدة النونية والتي نحن بصدددها والتي يبدو فيها نائرا مهددا
 بالقطيعة ومصرحا برفضه الخداع والتضليل ، وهو لا يقبل ذلك الخداع بأى
 حال من الأحوال فلو أن يده اليسرى — على حد تصويره — خاتمته لأهملها
 وقطعها وأراح نفسه منها .

وقد اهتم البعض بتعليل كلمة مثقب التي لُقِّب بها هذا الشاعر ، فذهب
 السيوطى إلى أن السبب هو بيت الشعر الذى ورد فى قصيدته النونية خاصة أن

هناك شعراء آخرون لقبوا ببیت من الشعر منهم الممزق والمرقش والمسيب ، كما أورد الدكتور طه حسين رأيا في هذه المسألة حين وقف على تحليل معاني مادة (ثقب) التي ركز منها على دلالتها على شخصية المثقب الشاعر فهو زعيم قبيلته وصاحب رأى سديد فيها ، وهو مشهور بالنسب شديد المروءة ذو فطنة وذكاء ، وجدير بمن يثقب الوصاوص والبراقع أن يلقب بالمثقب . ووطن المثقب هو البحرين حيث ولد في منازل عبد القيس ، وكانت قبيلته « نكرة » تسكن وسط « القطيف » وما حولها من قرى وأرياف .

وشان شعراء الجاهلية عامة يبدو تاريخ ميلاد المثقب مجهولا وكذلك تاريخ وفاته ، وإن كان جرجي زيدان قد زعم أن وفاته كانت سنة ٥٢٠ م ، ولكنه عاد بعد ذلك ليحدها بسنة ٥٨٧ م .

وفي نونيته يطلب في مقدمتها من صاحبه ألا تبخل عليه وأن تمتعه قبل الرحيل ، ويسألها وفاء بمهودها معه ، مسجلا أثناء ذلك قدرته على مجازاة القطيعة بمثلها . وتبدو صاحبه واعدة بمأطلة ، ومخادمة كاذبة ، مما لا يشجعه على التهالك على وصلها إن هي قطعت .

ثم يقف عند مشهد الظعن ليكشف عن طبيعة تجربة الارتجال التي عايشها واقعا حقيقيا تتطرق فيها عواطفه وانفعالاته وحماسه ، فيصور طريق الظعائن ويتتبع سيرها في جوف الصحراء ، ويفصل في تصوير مشهد النساء في هوداجهن ، ويحرص على تحديد الأماكن ليشير من خلالها إلى ذكرياته فيها ويعرض موقفه منها وارتياح نفسه إليها . ولا يكاد المشهد يكتمل حتى يقف الشاعر عند لوحة رسم فيها صورة الإبل وهي تتمايل مسرعة في سيرها تمايل السفن عبر أمواج البحار،

كما يشير في أثناء ذلك إلى الأهداج والرياءزوهى مراكب النساء أيضا وقد زينت
بأكسية فائرة ملونة ، وغطيت بكل من ستائر رقيقة لعبته فيها يد فنان ماهر .
ويتنزل الشاعر في الطعائن وغطيت ، وما يرتدين من ثياب وما يتخلين به من
ذهب لينتقل من هذا المشهد الحسى إلى عدم الاستسلام الكامل لن ، فيؤثر الرحيل
ويستعير له معشوقته الأخرى ، وهى ناقة أصيلة تسلبه همومه ، ويستبد بها إعجابه
فيصور ضخامة جسمها ، وأصالتها وسرعة سيرها ، وهى تذف بالحجارة وتصطادهم
بالحصى الغليظ فتطرده أمامها .

وفى تدرج منطقي طريف ينتهى من عرض مشهد الرحيل الحركى المتنقل إلى
تصوير طبيعة المعاناة التى ألمت بها ، من كثرة الأهوال من التعريس ليلا إلى الجهد
المستمر والإرهاق الذى تعانیه . وهنا تتداخل ذات الشاعر مع موضوعه حين
يتوحد مع ناقته فى مشهد الإرهاق والكلال فكلاهما يشكى الزمن ، وكلاهما
ينخضع له راضيا أو غير راض .

ويتخذ المثقوب من رحلته واسطة انتقال يصل بها إلى بلاط الملك عمرو
ابن هند ، فيراه — كما يرى المادحون ممدوحهم دائما — صاحب نجدة ومروءة
ولكنه لا يقف كثيرا عند هذا المدح حتى يدخل معه فى حوار أو عتاب يتميز
بالقسوة ، يريد من خلاله أن يقف على حقيقة الصداقة والعداوة ، وكأنه يصبر على
تبين حقيقة موقف الملك من قومه العبديين . وقبل الختام يحرص الشاعر على
تصوير جهل المرء بما يمكنه له القدر على عادة شعراء العصر الجاهلى ومن جاء بعدهم .

* * *

عبد الله التطاوى

(١)

مناجاةٌ وعتابٌ

- ١ أفاطمَ قبلَ بَيْنِكَ مُتَّعِبِي ومنُعِكَ ما سَأَلْتُ كَأَنَّ تَيْبِي
- ٢ فلا تَعِدِي مواعِدَ كَاذِبَاتٍ تمرُّ بها رِياحُ الصَّيْفِ دُونِي
- ٣ فلِمَ لِي لَوْ تُخَالِفُنِي شِمَالِي خلاصِكَ ما وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي
- ٤ إِذَا لَقِطْتَهَا وَلَقِيتُ بَيْنِي كذلك أَجْتَوِي مَنْ يَجْتَوِينِي
- ٥ فَسَلِّ الهمَّ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْنٍ مُدَايِرَةٍ كِمُطَرَقَةِ القُبُورِ
- ٦ بِصَادِقَةِ الوَجِيفِ كَأَنَّ هِمًّا يُبَارِيهَا وَيَأْخُذُ بِالوَضِيِّ
- ٧ كَسَاهَا تَامِكًا قَرِيدًا عَلَيْهَا سَوَادِي الرِّضِيعِ معَ اللَّجِينِ
- ٨ إِذَا قَلِقْتُ أَشَدُّهَا سِنَافًا أَمَامَ الزَّوْرِ مِنْ قَلَقِ الوَضِيِّ

(٢) رِياحُ الصَّيْفِ مشهورةٌ بفِجَارِها وصدَمِ جِدْوَاهَا . خلاصِكَ : مخالفتك . يَجْتَوِيهِ : يستنقله ويغضه .

(٥) اللَوْنُ : الشدة . المُدَايِرَةُ : الشديدة القوية . اللَّجِينِ : الحداد .

(٦) الوَجِيفُ : ضربٌ من السير السريع . يُبَارِيهَا : يسير معها . الوَضِيُّ للرجل يسارى الخزام للسر .

(٧) التامِكُ : المشرف الطويل . القَرْدُ : المتلبد . السَوَادِي : السنة الى سواد العراق . اللَّجِينِ : ما تلجئ أو تلج من ورق أو حلف .

(٨) السِّنَافُ : شريط أو حبل دقيق من المنحر الى الخزام .

الجزء الأول

٣٥١

- ٩ كَأَنَّ مَوَاقِعَ التَّفَنَّاثِ مِنْهَا مُعَرِّسَ بَايَرَكَاتِ الْيُورْدِ جُورِ
١٠ يَجِدُ تَنْفُسَ الصَّعْدَاءِ مِنْهَا قُوَى النَّسْعِ الْمَحْرَمِ ذِي الْمُتُونِ
١١ كَأَنَّ نَفْيَ مَا تَنْفِي يَدَاهَا قَذَافَ غَرِيبَةٍ بِيَدَيَّ مُعِينِ
١٢ فَالْقَيْتُ الزَّمَامَ لَهَا فَنَامَتْ لِعَادَتِهَا مِنَ السَّدَفِ الْمُسِينِ
١٣ كَأَنَّ مُنَاخَهَا مُلْقَى الْجَحَامِ عَلَى مَعْرَائِهَا وَعَلَى الْوَجِينِ
١٤ كَأَنَّ الْكُورَ وَالْأَنْسَاعَ مِنْهَا عَلَى قَرَوَاءَ مَا هِرَّةَ دِهِينِ
١٥ يَشُقُّ الْمَاءَ جُؤْجُؤَهَا وَيَعْلُو غَوَارِبَ كُلِّ ذِي حَدَبٍ بَطِينِ
١٦ قَدَّتْ قَرْدَاءَ مُنْشَقًا نَسَاهَا تَجَاسَّرَ بِالنَّخَاعِ وَبِالْوَيْسِينِ
١٧ إِذَا مَا مَقَّتْ أَرْحَلَهَا يَلِيلَ تَأَوُّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

(٩) معرس : مكان التعريس وهو النزول آخر الليل . الجون : السود ، يصور القطا .

(١٠) يجد : يقطع . الصعداء : النفس المرددة إلى الجوف . التسع : سير من الجلد . قواء : طائفة التي صفر منها . المحرم : القى دبع ولم يكن . ذو المتون : ذو القوى .

(١١) المعين : الأجير .

(١٢) السدف : الليل والسدف النهار أو الضوء . أيضا .

(١٣) المزاء : الموضع الكثير الحصى . الوجين : ما غلظ من الأرض وكان فيها ارتفاع .

(١٤) كور الرجل : خشبه وأداته . الماهرة : السابحة . القرواء : الطويلة الظهر . الدهين : المدهونة .

(١٥) الجؤجؤ : الصدر . الغوارب : الظهور ، الحدب : ارتفاع الموج . البطن : الراسع يريد الأمواج .

(١٦) القرداء : الطويلة المنطق . انشق نساها : إذا امتلأت وممتت واقتلقت اللحمتان اللتان في الفخذين فيظهر النسا بينهما . تجاسر : تمضى . سريرة جزئية . الوتين : هرق في القلب .

(١٧) أرحلها : أضع عليها الرجل . التأوه : إظهار الحزن في صوت خافت مكتوم .

- ١٨ تقول إذا درأت لها وضيني
أهذا دينه أبداً وديني
١٩ أكل الدهر حل وأرتحال
أما يبقى على وما يقيني
٢٠ فأبقى باطلاً والحد منها
كذكان الدراينة المطين
٢١ ثبثت زمامها ووضعت رجلي
ونقرة رفدت بها يميني
٢٢ فرحت بها تعارض مسيطراً
على خصايحه وعلى المتون
٢٣ إلى عمرو ومن عمرو أتني
أنى النجدات والحم الرصين
٢٤ فلما أن تكون أنى يحق
فأعرف منك غنى أو يميني
٢٥ وإلا فاطرحني واتخذني
علواً أتقيسك وتتقيني
٢٦ وما أدري إذا يمت أماً
أريد الخير أيها يليني
٢٧ أألخير الذي أنا ابتغيه
أم الشر الذي هو يبتغي

- (١٨) الوضين : يكون بمنزلة الخزام . درأته : مددته وشددت به رحلها . الدين : العادة .
(٢٠) باطل : سري وراء اللهو والنزل . جدتها : انكاسها في السير . الذكان : دكة مبنية
لجلوس عليها . الدراينة : البوابون . المطين : الذي طلى بالطين .
(٢١) النقرة : الوسادة . زمامها : الحبل الذي تقاد به . رفدت : وضعتها ومددتها .
(٢٢) المسيطر : الطريق الممتد . الطويل : تأخذ في عرضه أو تسير بإزائه .
الصحصاح : ما استوى من الأرض . المتن : ما صلب من الأرض .
(٢٣) عمرو : يقصد عمرو بن هند الملك . النجدات : الشجاعة والمروءة .
(٢٥) اطرحني : تخبني واتركني وشأني .
(٢٦) هم الأمر : اتجه إليه واتخذ فيه عذته .

* * *

عبد الله التطاوي

(٢)

مَنَاجَاةٌ وَمَذْحٌ

وفي مقدمة وجدانية أيضا يتحاور المثقَّب مع صاحبه « هند » مصورا
إصرارها على الهجر والقطيعة، وإصراره هو الآخر على الرحيل ليجد في ناقته وسيلة
عزاء تتحمل معه وعناء السفر ومشقات الطريق ، وكأنه يتفرد بركوها وتتفرد
هي أيضا بقدرتها على مثل هذا الرحيل ، ويستطرد في تصويرها وتصوير معاناته
في الرحلة مازجا بين الموقفين، فمن وصف سرعتها ينتقل إلى وصف قلة نومه
وإرهاقه بما يوازيه من شدة عطشها واستمرارها في السير .

وحين يحسن المثقَّب رحلته وصولا إلى الممدوح ينتقل فنيا إلى الموضوع حيث
يقف عند شخص النعمان فيفرده في كل صفاته ، فيراه قد تجاوز أفعال أسلافه
أو أقرانه في رقيها وعزتها ، ويكاد يركز عدسته التصويرية على المشهد الحربي
الذي يتميز به ممدوحه ، فيستطرد في وصف كتابه بكل أدواتها الحربية ، وكأنه
يبرر انتصاراته في حروبه ، وهي انتصارات لا تخلو — كما صور — من هذا
الحس الإنسان الذي يسيطر عليها ويشيع فيها ، فهو يجمع في بطولاته بين العنف
الذي تجسده سيوفه وأسلحته المختلفة ، وبين ذلك العفو المعروف عنه في موقفه من
الأسرى وفك وثاقهم بعد اطمئنانه إلى انتصاره وإحساسه بمركز قومه .

وعلى هذا النحو رسم الشاعر صورتين كبيرتين جعل إحداهما خاصة بموقفه
من غزله ورحيله ، وأخلص الثانية لممدوحه وإن كان قد ظهر من حين إلى

آخرين أبياتها معلنا عن نفسه . ليختمها بالدماء التقليدي الذي شاع في قصيدة
الملح الجاهلية . (*)

* * *

- ١ ألا إن هندا رث أميس جديدها وضئت وما كان المتاع يؤودها
- ٢ فلو أنها من قبل دامت لبانة على العهد إذ تصطادني وأصيدها
- ٣ ولكنها ممن يميظ بوده بشاشة أدنى خلة يستفيدها
- ٤ أجلك ما يدويك أن رب بلدة إذا الشمس في الأيام طال ركودها
- ٥ وصاحت صوايح النهار وأعرضت لوامع يطوى ريعها وبرودها
- ٦ قطعت بقتلاء اليبدين ذريعة يقول البلاد سؤمها ويريدها

(١) رث : أخلق وبلى من شدة قومه . جديدها : المقصود هنا جديد وصلها . الضن : البخل .
المتاع : ما يمتعه من صاحبه من وصلها . يؤودها : يثقلها ويعجزها .
(بصير صاحبته وقد آثرت القطيعة ففارقته بلا وداع ولو أرادت الوصل لفعلت لأنها لم تكن
ممنوعة) .

(٢) اللبانة : الحاجة المرتبطة بشدة الرغبة . على العهد : يقصد لبانة معهودة . يمتنى لو أنها
دامت على وصلها حيث كانت تفتنه بحاسنها وفتنها بشبابه وحيويته ، وهذه هي حاجته منها كما عهدها
من قبل .

(٣) يميظ : يميل . الود : الرصل . الخلة : الصفة الحميدة .

(٤) أى شيء يعلبك أنه رب بلدة من شأنها ما يحكيه ويدينه وقد قطعها . ركودها : ثبوتها .
(٥) الصوايح : الجنادب . اللوامع : المراب . الربط . الثياب البيض يشبه بها السراب .
(٦) الغنلاء : المفترلة الذراعين المصورتها . الذريعة : الكثيرة الأخذ من الأرض . يقول
البلاد : يطويها ويذهب بها في السير . السوم : السير السريع الدائم . البريد : شدة السير .

* * *

(*) تراجع المقتضيات بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون والاستاذ أحمد شاكر .

الجزء الأول

٣٥٥

- ٧ فَيْتُ وَبَاتَتْ كَالنَّعَامَةِ نَاقَتِي وَبَاتَتْ عَلَيْهَا صَفَتِي وَقَتُودَهَا
٨ وَأَغْضَيْتُ كَمَا أَغْضَيْتُ عَيْنِي فَعَرَّسْتُ عَلَى الثَّفَنَاتِ وَالْحِجْرَانِ هَجُودَهَا
٩ عَلَى طُرُقٍ عِنْدَ الْأَرَاكِةِ رِيَّةٍ تَوَازَى شَرِيمَ الْبَحْرِ وَهُوَ قَعِيدُهَا
١٠ كَانَ جَنِينًا عِنْدَ مَقْعَدِ غَمَزِيهَا تَرَاوَلَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَيُرِيدُهَا
١١ تَهَالُكُ مِنْهُ فِي الرَّخَاءِ تَهَالُكُ تَهَالُكَ لِأَحَدَى الْجَوْنِ حَانَ وَرُودُهَا
١٢ فَتَنَنْتُ مِنْهَا وَالْمَنَاسِمُ تَرْتَمِي بِمَعْرَاءَ شَقَى لَا يُرَدُّ عَنْوُدُهَا
١٣ وَأَيَقَنْتُ إِنِّ شَاءَ الْإِلَهِ بِأَنْتِي سَيُتْلِفُنِي أَجْلَادُهَا وَقَصِيدُهَا
١٤ فَإِنَّ أَبَا قَابُوسَ عِنْدِي بِلَاؤُهُ جَزَاءَ بُنْعَمَى لَا يَحِلُّ كُنُودُهَا

(٧) القَتود : خشب الرجل • (يَصُورُ مِيتَةً مَعَ نَاقَتِهِ وَيَدُلُّ عَلَى تَفَرُّدِهِ بِرُكُوبِ النَّاقَةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ خُافِ الطَّرِيقِ حَتَّى أَنْ رَاحَلَتِ بَقِيَتْ لَيْكَةِ مَرَحُولَةٍ هَلِيمًا صَفَتَهُ وَأَقْنَادَ رَحَلِهِ) •

(٨) الإِغْضَاءُ : كَسْرُ الْعَيْنِ • التَّعْرِيسُ : النُّزُولُ عِنْدَ الصَّبْحِ • الْمَجُودُ : النُّومُ • الْجِرَانُ : بَاطِنُ حَقِّ الْهَيْمِ •

الثَّفَنَاتُ : الرُّكْبُ وَمَا مَسَّ الْأَرْضَ مِنْهَا إِذَا بَرَكْتَ • (يَصُورُ قَلْبَهُ نَوْمَهُ حَتَّى صَارَ أَقْلَ الْقَلِيلِ) •
(٩) الْأَرَاكِةُ : مَوْضِعٌ • رِيَّةٌ : مَجْمُوعَةٌ • تَوَازَى : تَحَاذَى • شَرِيمُ الْبَحْرِ : شَاطِئُهُ أَوْ سَاحِلُهُ •
(١٠) كَانَ جَنِينًا • يَقْصِدُ هَرَا مَجْنُونًا • تَرَاوَلَهُ عَنْ نَفْسِهِ : أَيْ تَرِيدُ أَخْذَهُ • الْمَزَاوَلَةُ : الْحَافِلَةُ وَالْمَعَالِجَةُ • يُرِيدُهَا : يَقْصِدُهَا • يَصُورُ مِرْعَةَ النَّاقَةِ فِي سِيرِهَا وَكَأَنَّ هَرَا يَنْهَشُهَا فَتَزِيدُ مِنْ مَرْعَتِهَا •
(١١) التَّهَالُكُ : شِدَّةُ السَّيْرِ • فِي الرَّخَاءِ : يَعْنِي اسْتِرْخَاءَهَا فِي سِيرِهَا • الْجَوْنُ : الْقَطْلُ • (يَشْبَهُ نَاقَتَهُ بِالْفَلَاةِ حِينَ وَرَرَدَهَا وَذَلِكَ حِينَ اشْتَدَّ عَطَشُهَا فَهِيَ لَا تَأْكُلُ طَيْرَانًا) •

(١٢) تَنَنْتُ : كَفَفْتُ • الْمَنَاسِمُ : جُ مَنَسَمٌ وَهُوَ ظَفَرٌ خَلْفَ • الْمَعْرَاءُ : الْأَرْضُ الْمَلِيئَةُ بِصَفَارِ الْحَصَى • الْعِنُودُ : الْخَالَفُ فِي سِيرِهِ • وَالْعِنُودُ هُنَا الْغَيَارُ يَأْخُذُ فِي مَرَضٍ •

(١٣) أَجْلَادُهَا : جَسَدُهَا • قَصِيدُهَا : نَحْوُهَا • أَيَقَنْتُ : تَأَكَّدْتُ •

(١٤) أَبُو قَابُوسَ : كُنْيَةُ الزُّنْبَانِ • عِنْدِي بِلَاؤُهُ : اِهْتَرَأَفَ بِفَضْلِهِ • الْكُنُودُ : الْكُفُورُ •

- ١٥ رَأَيْتُ زَنَادَ الصَّالِحِينَ تَمِينَهُ قَدِيمًا كَمَا بَدَّ النُّجُومَ سَعُودُهَا
 ١٦ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ الْجِبَالَ حَصِينَةً لَجَاءَ بِأَمْرٍ أَسَ الْجِبَالَ يَقُودُهَا
 ١٧ فَإِنْ تَكُ مِنْهُ فِي عُمَانَ قَبِيلَةٌ تَوَاصَتْ بِإِجْنَابٍ وَطَالَ عُنُودُهَا
 ١٨ فَقَدْ أَدْرَكَتْهَا الْمُدْرَكَاتُ فَأَصْبَحَتْ إِلَى خَيْرٍ مِنْ تَحْتَ السَّمَاءِ وَفُودُهَا
 ١٩ إِلَى مَلِكٍ بَزَّ الْمُلُوكَ فَلَمْ يَسْعَ أَفَاعِيلُهُ حَزْمَ الْمُلُوكِ وَجُودُهَا
 ٢٠ وَأَيُّ أَنَا لَا أَبَاحَ بِقَارَةٍ يُوَازِي كُيُودَاتِ السَّمَاءِ عُمُودُهَا
 ٢١ وَجَآؤُهَا فِيهَا كَوَكَبُ الْمَوْتِ نَحْمَةٌ يَتَمَصُّ بِالْأَرْضِ الْقَضَاءُ وَثِيدُهَا
 ٢٢ لَهَا قَرْطٌ يَحْوِي النَّهَابَ كَأَنَّهُ لَوَامِسُ عَقْبَانٍ يَرُوحُ طَرِيدُهَا

(١٥) بَدَّ : سبق . السعود : نجم السعد . يرى أن فعال أسلافه قد رفعت درجته في المعجزة .

(١٦) الأمراس : الجبال . يقودها : يوجهها ويحكم فيها .

(١٧) الإجناب : المباعدة والمجانبة . العنود : المخالفة والاعتراض .

(١٨) الوفود : ج وفد وهو مأخوذ من الارتفاع ، أو وفد على الشيء بمعنى ارتفع عليه .

(يقول إن كان بعض طوائفنا قد فارقت أرضها وهاجرت إلى عمان ، وقد وصت أسلافها بإخلافهم بمجانبة عشائهم فقد ندمت بما فعلت ورجعت إليك) .

(١٩) يبرز مكانة الملك الذي يحز غيره من الملوك عن أفعاله ووفدوا دون درجته وشأنه . يَزُّ الملوك : فاقهم وتجاوزهم حزمًا وكرما .

(٢٠) يُوَازِي : يماثل ويحاذى . كُيُودَاتِ السماء : معظم السماء . عُمُودُهَا : ماسطع من غبارها .

(٢١) الجَآؤُ : الكتبة التي كثر سلاحها . الفخمة : العظيمة . الضخمة وثيدها : شدة رزها . الرُّزُّ الصوت . (يقصد أن الساكن من الأرض يكاد يتزلزل لحركتها وجليلتها) .

(٢٢) القَرْطُ : المتقدمون . يحوي : يجمع . طريد العقبان : ما تطرده العقبان . لوامسها : أجنحتها .

- ٢٣ وأمكن أطراف الأسنة والقنا
يعاسيب قود كالشنان خدودها
٢٤ تنبع من أعضاها وجلودها
تحمي وأصنت كالحمايلج سودها
٢٥ وطار قشاري الحديد كأنه
نخالة أقواع يطير حصيدها
٢٦ بكل مقضى وكل صفيحة
تتابع بعد الحارشي خدودها
٢٧ فأنعم أبنت اللعن إنك أصبحت
لديك لكثير: كهلها ووليدها
٢٨ وأطلقهم تمشي الذساء خلاهم
مفككة وسط الرحال قيودها

- (٢٣) اليعاسيب : الخليل . يعسوب الشئ : أفضله وخيره . القود : الطوال الأعناق . كالشنان
خدودها : بصور قلة اللحم في خدودها وهو مستحب في الفرس . الشن : القرية القديمة . اليعاسيب :
الكثيرة الجرى . يعاسيب قود لا تأتي خدودها : يقصد أنها لا تصرف عن جهتها ولا ترد .
(٢٤) تنبع : سال . أصنت : رجعت وعادت . الحميم : العرق . الحمايلج : قرور البقر
(٢٥) قشاري الحديد : ما تقشر منه أو تطاير عند المقارسة ، والمقارسة هي وقوع السلاح على
السلاح . في المبارزة والقتال .
الأقواع : الأماكن ليست فيها حجارة ولا حصي ، والقاع : المكان الحر الطين . يشبه ما تقشر من
الحديد من حيث الكثرة بالنهار في القاع .
(٢٦) مقصى : فرس (الفرس المقصوص الذنب) . الضفيحة : السيف .
(٢٧) أنعم : فعل أمر أي من عليهم . يقصد عفره عن الأمرى وفك وثاقهم .
أبنت اللعن : صيغة دامية أي أبنت أن تأتي من الأخلاق ما يمكن أن تلام عليه أو تلن بسببه .

* * *

عبد الله التطاوى

عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ

* * *

يُنسَبُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ إِلَى «عِبَادِ» الْحَيْرَةِ ، وَهُمْ جَمَاعَاتٌ مِنْ قَبَائِلِ شَتَّى اجْتَمَعُوا فِي الْحَيْرَةِ وَاسْتَوْطَنُوهَا وَاعْتَنَقُوا الْمَسِيحِيَّةَ ، فَلَقَّبُوا بِهَذَا الْاِسْمِ ، يَرِيدُونَ أَنَّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ فِي مَقَابِلِ الْعَرَبِ الْوَثْنِيِّينَ .

وَيَلْتَمِى نَسَبُ الشَّاعِرِ إِلَى قَبِيلَةِ تَمِيمٍ ، وَكَانَتْ إِحْدَى هَذِهِ الْقَبَائِلِ الَّتِي تَأَلَّفَتْ مِنْهَا جَمَاعَاتُ «عِبَادِ» . وَكَانَ جَدُّهُ أَيُّوبُ أَوَّلُ مَنْ نَزَلَ مِنْ أَسْرَتِهِ بِالْحَيْرَةِ ، هَرَبَ إِلَيْهَا مِنْ مَنَازِلِ قَبِيلَتِهِ بِالْيَمَامَةِ خَوْفًا مِنْ دَمِ أَصْحَابِهِ فِي قَوْمِهِ . وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَثْبُتَ مَرْكَزَهُ فِي الْحَيْرَةِ ، وَأَنْ يَصِلَ إِلَى مَكَانَةِ مَرْمُوقَةٍ عِنْدَ مَلُوكِهَا .

وُلِدَ عَدِيٌّ بِالْحَيْرَةِ ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يُوَطِّدَ صِلَتَهُ بِمَلُوكِهَا ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ دَوْرٌ فَعَالٌ فِي الْبِلَاطِ الْحَيْرِيِّ ، وَاسْتَطَاعَ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ أَنْ يَنْفِذَ إِلَى الْبِلَاطِ الْفَارْسِيِّ فِي الْمَدَائِنِ ، فَعَمِلَ كَاتِبًا وَمُتَرْجِمًا عِنْدَ كَسْرَى ، وَارْتَفَعَتْ مَكَانَتُهُ عِنْدَهُ ، فَمَعْنَاهُ فِي سَفَارَةٍ لَهُ إِلَى قَيْصَرِ الرُّومِ «تِيَارْيُوسِ الثَّانِي» بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . وَبَعْدَ عَوْدَتِهِ اسْتَأْذَنَ كَسْرَى فِي الْعَوْدَةِ إِلَى الْحَيْرَةِ ، وَهَنَّاكَ مَكثَ سَنِينَ قَضَاهَا فِي الصَّيْدِ وَاللَّهْوِ وَالشَّرَابِ ، مَعَ مِشَارَكَةِ فَعَالَةٍ فِي الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ اسْتَطَاعَ مِنْ خِلَالِهَا — بِمَا كَانَ لَهُ مِنْ نَفُوذٍ عِنْدَ كَسْرَى — أَنْ يَكُونَ سَبِيحًا فِي وِلَايَةِ النِّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ عَلَى الْحَيْرَةِ ، مِمَّا أَثَارَ عَلَيْهِ عِدَاوَةَ بَعْضِ خُصُومِهِ السِّيَاسِيِّينَ الَّذِينَ نَجَّحُوا بَعْدَ فِتْرَةٍ فِي إِثَارَةِ النِّعْمَانِ عَلَيْهِ بِدَسَائِسٍ كَادُوْهَا لَهُ مُسْتَغْلِلِينَ غِيَابَهُ عَنِ الْحَيْرَةِ عِنْدَ كَسْرَى . وَاحْتَالَ النِّعْمَانُ

حتى أعاده إلى الحيرة لِيُلْقِي به في سجين بقي فيه حتى لقي مصرعه على أيدي رجال النعمان عندما أحس أن كسرى يعمل على إطلاق سراحه . وكان ذلك حوالى سنة ٥٩٠ ليلاد .

ونخرج ابنه زيد للثأر له ، واستطاع في النهاية أن يشي بالنعمان عند كسرى وشاية انتهت به إلى أن يلقي مصرعه بأمر كسرى تحت أرجل الفيلة . ويرى المؤرخون أن هذه الحادثة كانت سببا في يوم ذى قار المشهور بين العرب والفرس .

كان عدى مثقفا ثقافة تعد بالقياس إلى شعراء عصره شيئا يستحق التسجيل ، ويذكرون عنه أنه ألف كتابا في تاريخ الروم جمع مادته في أثناء رحلته إلى قيصر ، وأن المسعودى المؤرخ المشهور اعتمد عليه في تاريخه . ويذكرون أيضا أنه كان يتقن اللغة الفارسية مما أتاح له أن يعمل مترجما لكسرى ، وأن يكون — كما يذكر صاحب الأغاني — أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى . وبسبب حياته في بلاد فارس ، واتصاله بالبلاط الفارسي ، تعلم الرمي بالثَّشَاب ، واشترك في كتيبة الأساورة الرماة ، كما تعلم لِمَبَّ الفرس بالصَّوَالِجَة على الخيل ، وعاش حياة على قدر كبير من التحضر شأن أمراء الفرس وأمراء الحيرة .

وقد تركت هذه الحياة الحضارية بصماتها على شعره سواء في لغته أو في صوره الفنية ، فلانت لغته ، وسهل أسلوبه ، ورقَّت عباراته ، ودخلتها مجموعة من الألفاظ الفارسية ، وظهرت في شعره صور فنية استمد عناصرها من الحياة الحضارية التي كان يحياها ، وإن لم يمنع هذا من أن يظهر في شعره التيار البدوى الذى كان سائدا في عصره ، والذي لم يكن بمستطيع أن ينفصل عنه . كما يظهر

في شعره اتجاهٌ إلى بعض الأوزان الخفيفة التي يقلّ ظهورها عند شعراء البادية ،
كبحر الرمل وبحر الخفيف ، ويردّ جرونهاوم انتشار بحر الرمل عند شعراء الحيرة
إلى مؤثرات فارسية أثّرت في العروض العربي ، إذ يرى أنهم استعاروا هذا البحر
من وزن بهلويّ ، ثم أدخلوا عليه تعديلات تلائم العروض العربي .

ويدور شعر عدى أساسيا حول محورين ارتبطا بظروف حياته ، ففي المرحلة
الأولى قبل سجنه يدور شعره حول وصف الطبيعة والصيد والخمر والفرح ، وفي
المرحلة الثانية يفيض شعره بالحزن والألم والشكوى والعتاب والاعتذار ، ومن
حين إلى حين نسمع حثينا إلى ذكريات الماضي السعيد .

ومن بين موضوعات المرحلة الأولى يلمع شعر الخمر الذي نظم فيه أشهر
قصائده وأطولها ، وهي « القافية » . ويرى بروكلمان أن نغمات عدى هي التي
وجهت الوليد بن يزيد إلى ابتكاراته في هذا الموضوع ، ويسجل نالينو تشابها بين
نغمات عدى ونغمات الأعشى . ونظرا لتأخر الأعشى زمنيا فلا شك في أنه تأثر
به في هذا المجال . وأما موضوعات المرحلة الثانية فيلمع فيها ذلك التفكير في مصير
الإنسان في الحياة ، وحديث الموت والفناء ، وهو تفكير انتهى به إلى دعوة
إلى الزهد في الدنيا التي لا بقاء لشيء فيها . وفي رأى نالينو أن قصائده في هذا
المجال كانت أساسا لشعر الزهد في العصور التالية ، ومثلا يحتذاه أبو العتاهية
وغیره من الشعراء المتأخرين .

* * *

يوسف خليف

(١)

من قصائد المرحلة الأولى

الخميرية المشهورة

* * *

هذه القصيدة من نتاج المرحلة الأولى في حياة الشاعر ، وهي تقع في اثنين وعشرين بيتاً ، وتدور كلها — في وحدة موضوعية دقيقة — حول الخمر التي ينفذ إليها من خلال تشبيه ثغر صاحبتة بها بعد مقدمة غزلية قصيرة يربطها بموضوع القصيدة الأساسى استهلاكها بحديث الخمر . فهو يبدؤها بعُدال يلومونه على إدمانه الشراب ، ويلومونه على حبه ، ويمضى بعد ذلك في وصف جمال صاحبتة ، حتى إذا ما وصل إلى ثغرها ، وشبهه بالخمر ، انطلق في حديث الخمر حتى نهاية القصيدة . والقصيدة من بحر الخفيف الذى كثر ظهوره عند شعراء الحيرة كما قلنا من قبل .

* * *

- ١ بكر الماذلون فى وَضَح الصبـح يح يقولون لى : ألا تستنقُ ؟
- ٢ ويلومون فيك يا ابنة عبد الله به ، والقلب عندكم موهوق
- ٣ لست أدري إذا كثروا العذل عندى أعدو يلومنى أم صديق ؟

(١) وضح الصبح : إشراقه وبياضه . وقوله « الاستنق » أى من الشراب .

(٢) الموهوق : المشدود ، من الموهق (بفتحين) وهو حبل تشد به الإبل حتى لا تند .

- ٤ أَطِيبُ الطَّيْبِ طِيبٌ أُمَّ عَلَى مِسْكٍ فَأِرْ وَعَتَبَرٌ مَفْتُوقٌ
٥ خَلَطَتْهُ بَزَنْبَقٌ وَبَيَّانٌ فَهُوَ أَحْوَى عَلَى الْيَدَيْنِ شَرِيقٌ
٦ زَانَهَا وَارِدُ الْغَدَائِرِ جَثْلٌ وَأَسِيلٌ عَلَى الْجَبِينِ أُنَيْقٌ
٧ وَشَايَا كَالْأَقْحَوَانِ عِدَابٌ لَا قِصَارَ كُسْرٍ وَلَا هَنْ رُوقٌ
٨ مُشْرِقَاتٌ تَخْلُهْنَ إِذَا مَا حَانَ مِنْ غَائِرِ النُّجُومِ خُفُوقٌ
٩ بَاكَرْتَهُنَّ قَرَقُفٌ كَدَمَ الْجَوُّ فِ تَرِيكَ الْقَدَى كَيْتٌ رَحِيقٌ

(٤) أم على : صاحبه ، ولعلها المرة الوحيدة التي يرد فيها هذا الاسم في الشعر الجاهلي . والفأر والفارة : نالحة المسك أي وعاءه . والمفتوق : الذي شق نصفين حتى تفتشر رائحته . يصف طيب صاحبه بأنه مزيج من عطر المسك والعنبر .

(٥) البان : شجر طيب الرائحة . والأحوى : الأسود الضارب إلى خضرة ، أو الأحمر الضارب إلى سواد . والشريق : المشرق الواضح . يستكمل وصف طيب صاحبه بأنها خلطت هذا المزيج من المسك والعنبر بعطور الزئبق والبان ، ويصف لونه وإشراقه على يديها .

(٦) الغدائر : الضفائر ، ووارد الغدائر : طولها . والجبل : الغزير اللين : والأسيل : المنسدل . يصف خصلي شعرها المنسدل على جبينها . وفي رواية أخرى « عبيق » بدلا من « أنيق » ، والمعيق : المطر الذي يضرع عطره .

(٧) الننايا : الأسنان . والأقحوان : زهر أبيض أوراقه مقلجة ، يشبه به الشعراء العرب الأسنان الجميلة . والكسر : المكسرة . والروق : جمع روقاء ، وهي الأسنان التي تطول ثناياها العليا على السفلى .

(٨) مشرقات : ناصعات البياض . وغار النجم إذا انحدر للغيب . وخفوق النجم : غيابه . يصف عذوبة نغمها في آخر الليل عندما تأخذ النجوم في الانحدار للغيب ، وؤذنة باقتراب الصباح . وبقية الصورة في البيت التالي .

(٩) القرقف : النحر الباردة . والقذى : ما يظهر في الشراب من شوائب ، وقوله « تريك القذى » يريد أنها صافية . والكيت : الحسراء الداكنة ، ولذلك يشبهها بلون الدم . والرحيق : المصفاة . تتخيل نثر صاحبه في آخر الليل كأن نحرها باردة بحراء صافية مصفاة قد خالطته في الصباح الباكر .

- ١٠ صَانَهَا التَّاجِرُ الْيَهُودِيُّ حَوْلَيْدُ
 ١١ ثُمَّ فَضَّ الْخَتَامَ عَنْ حَاجِبِ اللَّهِ
 ١٢ فَسَبَّاهَا مِنْهُ أَشْمُ عَزِيزُ
 ١٣ ثُمَّ نَادَوْا إِلَى الصُّبُوحِ فَقَامَتْ
 ١٤ قَدَّمَتْهُ عَلَى سُلَافٍ كَعَيْنِ اللَّهِ
 ١٥ مُرَّةٌ قَبْلَ مَرْجِهَا فَإِذَا مَا
 ١٦ وَطَفَتْ نَوْفَهَا فِقَاقِيعُ كَالِدِ
 ١٧ قَتَلَتْهُ بِسَيْبٍ أَيْضَ صَافٍ
 مِنْ فَاذَكِي مِنْ نَشْرَهَا التَّعْتِيقُ
 نَّ وَقَامَتْ لَدَى الْيَهُودِيِّ سُوقُ
 أَرِيحَى غَذَاهُ عَيْشٌ رَقِيقُ
 قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا لِابْرِيقُ
 يَكُ صَفْنَى سُلَافَهَا الرَّاوُوقُ
 مُرِجَتٌ لَدَّ طَعْمَهَا مَنْ يَذُوقُ
 يَا قَوْتَ حَمْرٍ يَزِيْنُهَا التَّصْفِيقُ
 طَيْبٌ زَانَ مَرْجَهِ التَّصْفِيقُ

- (١٠) أذكي : زاد من ذكائها وهو طيب رائحتها . والنشر : الرائحة الطيبة .
 (١١) الختام : غطاء الدن الذي أغلقوه به . والدن : زق الخمر . وقوله « قامت لدى اليهودي سوق » يعني أن اليهودي بدأ يمارس نشاطه التجاري المعروف منه منذ أقدم العصور ، وكأنما تحولت الحانة إلى سوق يمارس فيها مهارته وبراعته في شؤون البيع والشراء .
 (١٢) سبها هنا : اشتراها . والأشم : المعتز بنفسه المعتد بشخصيته . والأريحي : الكرم . وقوله « غذاه عيش رقيق » يريد أنه رجل متحضر يعيش في نعمة من العيش .
 (١٣) الصبوح : نحر الصباح . والقينة : الحاراة المغنية ، ويريد بها هنا الساقية . والإبريق كلبة فارسية معربة .
 (١٤) السلاف : الخمر الجيدة . وقوله « كعين الديك » يريد أنها صافية . والراووق : المصفاة ، وهي كلبة فارسية معربة . وقوله « صفى سلافها الراووق » يريد صفى رحيقها أو عصيرها .
 (١٥) مرّة : لذيذة الطعم ، صفة للخمر . ومرج الخمر : خلطها بالماء .
 (١٦) تصفيق الخمر : تحوّلها من إلقاء إلى إلقاء لنصفو . وفي رواية أخرى « يشرها التصفيق » أي أن التصفيق يشر هذه الفقايع التي تكسو وجه الشراب .
 (١٧) السيب : العطاء . والأبيض الصافي هو الماء . وقتل الخمر : مرجها . يقول إنهم مرجوها بالماء ، وأخذوا يحولونها من إلقاء إلى إلقاء لينزلا من تنقيتها . وفي قافية البيت إبطاء ، وهو تكرار القافية بلفظها ومعناها ، وهو عيب من عيوب القافية في الشعر العربي ، وظهور هذا العيب في الشعر الجاهلي يدل على أن هذا الشعر كان ما يزال في خطواته الأولى على الطريق الفني .

- ١٨ فوق علياء ما يرام ذراها يَلْغَبُ النَّسْرُ فَوْقَهَا وَالْأَنُوقُ
١٩ ثم كان المِزَاجُ ماءً سحاب لَا صِرَى آجِنٌ وَلَا مَطْرُوقُ
٢٠ أَسْفَلَ حُفٍّ بِالْعِضَاءِ وَأَعْلَا هُ صَفَا يُلْغَبُ الْوَعُولُ زَلُوقُ
٢١ مَسْقَطُ الظِّلِّ مَنْ تَكَنَّفَهُ الْحَقُّ فُفْ وَتَنَنِي قَذَاهُ رِيحٌ خَرِيقُ

(١٨) العليا : المكان العالي المرتفع . ويلغب : يتعب . والأنوق : العقاب ، أو جراح آخر يشبه النسر ، ويقول العرب في أمثالهم « أعز من يرض الأنوق » لأنه لا يضعه إلا في القدم العالية . يصف الماء الصافي الذي مزجت به الخمر ، ويقول إنه ماء كان يمهدا عن أيدي الناس لأنه كان فوق قة عالية لا يستطيع أحد أن يصل إليها ، حتى النسر والأنوق يتعبان في الوصول إليها .

(١٩) الصرى : الماء الراكد . والآجن : المنفير طعمه ولونه . والمطروق : الذي خوضته الإبل ولوثته . والبيت استمرار في وصف صفاء الماء الذي مزجت به الخمر .

(٢٠) العضاء : شجر شوكة من أشجار البادية . والصفا : جمع صفاة وهي الصخرة المساء . ويلغب : يتعب . والزلق : الذي تزل قدقه للقدم ولا تثبت لملاسته . والبيت استمرار آخر في وصف صفاء هذا الماء . يقول إنه في قة عالية في صخور ملس تشب الوعول في الوصول إليها ، وفي أسفل هذه القمة أشجار شائكة أحاطت به ، وشكلت حاجزا طبيعيا يحول دون اقتراب الناس منه .

(٢١) الحقف : الكتيب من الرمل يمتد فيشكل نصف دائرة . وتكنفه : أحاط به . وتنني قذاه : أي تلقى القلى بعيدا عنه . والخريق : الشديدة كأنها تحرق كل شيء . والبيت استمرار آخر في وصف صفاء الماء . يقول إن كثبان الرمال تحيط بهذا الماء من كل جانب فتعمل على حمايته ، وتلقى ظلالها فوقه فتبقى عليه برودة ، والرياح الشديدة تهب عليه ، فتبقى القلى بعيدا عنه ، فتحفظ عليه صفاءه .

* * *

يوسف خليف

(٢)

من قصائد المرحلة الثانية تأملات في سجن النعمان

* * *

هذه القصيدة من نتاج المرحلة الثانية في حياة الشاعر ، وهى تقع في خمسين بيتا ، نظمها عدى وهو في سجن النعمان بن المنذر ، وسجل فيها طائفة من تأملاته في الحياة والموت ، فالحياة لا تدوم على حال ، وكلُّ شئ فيها يتغير ويحول ، والمصير المحتوم في انتظار الجميع ، والموت هو نهاية رحلة الحياة . وهى تأملات تبدأ مباشرة بعد المقدمة التقليدية التى يتحدث فيها عن رحلة الطعائن ، ولعلها محاولة للربط بينها وبين رحلة الحياة نحو وادى الموت الذى تنتهى إليه قوافل البشر قافلة فى إثر قافلة ، وكأنه يُسقط مشاعره على هذه المقدمة فيبدؤها بحديث الوداع ، ثم ينتقل إلى الحديث عن الشيب ، وكأنه يمهده لحديث الموت بعد ذلك ، ثم يستطرد منه إلى وصف المطر انطلاقا من تشبيه اشتعال الشيب فى الرأس بتوقع البرق فى السحاب . ثم يخرج من هذه التأملات الإنسانية العامة المشتركة بين الناس جميعا إلى تأملات ذاتية فى المحنة التى يمر بها ، فيتحدث عنها وعن صبره عليها ، ويحاول أن يفلسف التجربة التى يعيشها ، حديثا يمتزج فيه الفخر بنفسه والاعتذار لللك ومدحه ، فى محاولة لاسترضائه ، وأيضا لتبرئة ساحته من شبهة لا ظل لها من الحقيقة . والقصيدة أيضا من بحر الخفيف الذى كثر ترده فى الشعر الحبرى .

* * *

- ١ أَرَوَّاحٌ مُودَعٌ أَمْ بُكُورُ لَكَ فَاعْلَمْ لِأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ
- ٢ إِنْ شُغِلَ الْمُصَابِيَاتُ مِنَ الْأَسْرِ تَارَ طَرْفُ يُضْبِي فِيهِ فُتُورُ
- ٣ زَانِهِنَّ الشُّفُوفُ يَنْضَحْنَ بِالْجَمْسِكِ وَعَيْشُ مُقَانِقٍ وَحَرِيرُ
- ٤ كُدُمِي الْعَاجِ فِي الْحَارِيبِ أَوْ كَالِ بَيْضِ فِي الرُّوضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ
- ٥ لَا تَوَاتِيكَ إِنْ مَحُوتَ وَإِنْ أَشْرَقَ فِي الْعَارِضِينَ مِنْكَ الْقَتِيرُ
- ٦ وَابْيَضَاضُ السَّوَادِ مِنْ نُذْرٍ أَلْشَرُّ، وَهَلْ بَعْدَهُ لِأُنْسٍ نَذِيرُهُ ؟

* * *

- ٧ أَيُّهَا الشَّامُتُ الْمَعِيرُ بِالْإِدْهَرِ أَنْتَ الْمَبْرَأُ الْمَوْفُورُ ؟
- ٨ أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْإِيَّامِ ؟ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَفْرُورُ
- ٩ مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونُ خَلَدَنَ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ بِجُحِيرُ ؟

(١) الرواح : الخروج في وقت المساء ، عكس البكور . ومودع : أى مودع فيه صاحبه . وحديث الشاعر في مطلع قصيدته عن الوداع ، والرحيل الذي لا يعرف موعده ، وتقلب الأحوال ، يعكس إحساسه بمحنته ، ويهدد لحديث المعير الذي سينتقل إليه بعد هذه المقدمة .

(٢) المصابيئات : المخاضات اللاتي يقبلن الأمور على غير وجوها . يقول إن شغلن الشاغل أن يوقعن الرجال في حبهن بعيون فائرة ينظرن بها من وراء الأستار التي يحتجبن خلفها .

(٣) الشفوف : الثياب الرقيقة الشفافة . والعيش المقانيق : المنعم المترف . والبيت يعكس الجو الحضارى المترف الذي كان الشاعر يعيش فيه في بيئة الحيرة المتحضرة ، وفي ظلال القصر الحيرى المترف .

(٤) البيض هنا هو نبات الكفاة . يشبه صاحباته بتمثيل العاج في محازير الكنائس ، وبأزهار نبات الكفاة المنفتحة . والبيت يعكس ظلال المسيحية التي كان الشاعر يدين بها هو وطوائف العباد في الحيرة .

(٥) العارضان : الخلدان . والقثير : الشيب أو أول ما يظهر منه .

(٦) البيت حديث عن الشيب الذي يشير إليه بـابيضاض السواد . وبعد ذلك تأتي الأبيات التي يصف فيها البرق والمطر والسحاب (١٢ بيتاً) .

(٧) الموفور : الذي توافرت له أسباب الأمن والسلامة من نوائب الدهر . من هنا يبدأ الحديث عن الموت والحياة ، وتبدأ تأملات الشاعر .

(٩) المنون : النية أو الدهر ، ومن هاتين الدالتين يجوز تذكر الكلمة وتأنيتها ، كما يجوز معاملتها معاملة المفرد ومعاملة الجمع .

الجزء الأول

٣٦٧

- ١٠ أين كسرى ، كسرى الملوك أنو
 ١١ وبنو الأصغر الملوك ، ملوك ال
 ١٢ وأخو الحضر إذ بناء ، وإذ دج
 ١٣ شاده مرمرا ، وخلاله كد
 ١٤ لم يهيه ريب المتون فباد ال
 ١٥ وتأمل رب الخورنق إذ أش
 ١٦ سره ماله وكثرة ما يمد
- شروان ، أم أين قبله سابور ؟
 روم لم يبق منهم مذكور
 له تجبى إليه والخابور
 ساء ، فالطير في ذراه وكور
 حلك منه فبايه مهجور
 عرف يوما وللهدى تفكير
 بك والبحر معرضا والسدير

(١٠) كسرى أنوشروان : أحد ملوك الفرس (٥٣١—٥٧٩) . وسابور : اسم لعدة ملوك من الفرس ، والمراد به هنا سابور ذو الأكتاف (٣١٠ — ٣٧٩) .

(١١) بنو الأصغر : لقب كان العرب يطلقونه على الروم .

(١٢) الحضر : مدينة قديمة كانت قائمة بأرض الجزيرة ما بين دجلة والفرات ، لا يعرف بالضبط مؤسسها ولا زمن تأسيسها . وقد حكمت فيها أسرة عربية لمدة ثلاثة قرون ، وأول حكامها أمير عربي سماه المؤرخون العرب « الساطرون » . وقد أحاطت بها وبحراياها أساطير كثيرة يجعلها المؤرخون العرب في كتبهم . والخابور : نهر من روافد الفرات .

(١٣) خلله : سد خلله ، وهي ما بين أحجاره . والكلس : الجير .

(١٥) الخورنق : قصر كان للنعمان بن المنذر بالحيرة ، وهي كلمة فارسية معربة أصلها « خرفكاه » أى موضع الشراب .

(١٦) البحر هنا هو نهر الفرات الذى كان قصر الخورنق قائما على ضفافه . ومعرضا : أى متسعا . والسدير : قصر آخر للنعمان في الحيرة ، وهي أيضا كلمة فارسية معربة عن « سادلى » أى ذا الشعب الثلاث . والخورنق والسدير ترد ذكرهما في الشعر الجاهلى ، ومن ذلك قول المنخل اليشكرى المشهور :

وإذا سكرت فإنى رب الخورنق والسدير

وإذا مصوت فإنى رب الشويمة والبهير

- ١٧ فارعوى قلبه، وقال : وما غب طة حتى إلى الممات يصير ؟
 ١٨ ثم بعد الفلاح والملك وال إمة وارتهم هناك القبور
 ١٩ ثم أختوا كأنهم ورق جف (م) فالوت به الصبا والدبور

* * *

- ٢٠ إن يصبني بعض الأداة فلاوا ن ضعيف ولا أكب عثور
 ٢١ غير أن الأيام يغفلون بالمر ، وفيها الميسور والمعصور
 ٢٢ فاصبر النفس للخطوب فإن (م) الدهر يدجو حيناً وحيناً ينير
 ٢٣ وأنا الناصر الحقيقة إذ أظلم لم يوم تضيق فيه الصدور
 ٢٤ يوم لا ينفع الراغ ، ولا ينفع إلا المشيع التحرير

(١٧) ارعوى قلبه : أقصر عن الجهل والباطل .

(١٨) الفلاح : البقاء . والإمة : النعمة . والحديث في هذا البيت وفي البيت التالى عن الملوك
 السابقين الذين تحدث عنهم قبل حديثه عن النعمان .

(١٩) ألوت به : ذهبت به . والصبا : ربح شرقية . والدبور : ربح غربية .

(٢٠) الأداة : الأذى اليسير . والوانى : الضعيف . والأكب : الذى يسقط على وجهه .
 والعثور : الكثير العثار .

(٢١) يقول إنه لا يضعف أمام ما يصيبه به الدهر من أذى ، وإنما يجلد ويتألم ولا ينهار ،
 ولكن ماذا يملك أمام الأيام التى من طبيعتها الفدر ، والتي تأتى أحياناً باليسر وأحياناً بالعسر ، والأمم
 فى الحالىن لها .

(٢٢) يدجو : يظلم . يقول إن الدهر لا يدوم على حال ، فن طبيعته التقلب ، فتارة يظلم وتارة
 يشرق ويضيئ .

(٢٣) الحقيقة : ما يجب على الإنسان أن يحجمه ويدافع عنه . يريد به هنا الحق .

(٢٤) الراغ : الفرار والحرب . والمشيع : الجرى . والتحرير : الحاذق الماهر المتقن لكل

شىء . يريد يوم الحرب والقتال .

- ٢٥ وتقول العدة أودى عدى وعدى بسخط رب أسير
 ٢٦ ظنة شبت فأملكها القس سم فعده ، والخبير خبير
 ٢٧ وكلانا بر يساعده بر (م) وربى ليا أتى معذور
 ٢٨ إن ربى لولا تداركه المذ لك بأهل العراق ساء العذير
 ٢٩ ملك يقسم الخزان ، والذمة (م) لة قد ردّها وكادت تبور
 ٣٠ عالم بالذى يريد ، نقي الص (م) دير ، عف ، على جثاه نحور

* * *

(٢٥) العدة : الأعداء . وأودى : هلك . والرب هنا هو الملك النعمان .
 (٢٦) الظنة : الشبهة . وشبت : اختلط الأمر فيها . وأملكها هنا بمعنى أكدها . والقسم :
 الشك . وعده : تجاوزه . هو هنا يدافع عن نفسه أمام الملك ، ويدفع التهمة التي اتهم بها ، ويعلم
 أنها مجرد شبهة اختلط الأمر فيها ، وأكدها الشك وسوء الظن ، ولكن الملك تجاوزها بتجربته وتجرّبه
 الواسعة .

(٢٧) يريد بقوله « ربى » الملك النعمان ، يحاول أن يلتمس له العذر فيما فعله به .
 (٢٨) ساء العذير : أى ساءت الحال . يمدح الملك بأنه يحسن سياسة مملكته ، فلو لا تداركه
 أمور العراق وأهله لساءت الحال .

(٢٩) الذمة : الأمان والعهد . وتبور : تهلك . والبيت استقرار فى مدح الملك ، فهو يحسن
 التصرف فى أموال الدولة ، ويقسمها بالعدل بين الناس ، وقدرد الذمة لأصحابها بعد أن كادت تضيع .
 (٣٠) الجشا : جمع جثوة بضم الجيم ، وهى تراب كان يجمع ، وتجميل عليه حجارة تخر عليها القرابين
 للأنعام . ونحور : صيغة مبالغة من النحر . والبيت استقرار آخر فى مدح الملك ، فهو يعرف أهدافه
 ويحدددها ويحرك وفق خطة واضحة أمامه ، وهو نقي الصدر ، عفيف النفس ، متدين يؤدى شعائره دينه
 ولا يقصر فيها .

* * *

يوسف خليف

(٣)

من قصائد المرحلة الثانية

سَهَامُ الدَّهْرِ

* * *

تدور الأبيات الثمانية التي تتألف منها هذه المقطوعة حول حديث المصير المحتوم الذي أكثر الشاعر الحديث عنه في هذه المرحلة الثانية من حياته ، والذي يعكس إحسانه الحاد بالحنّة التي كان يمرّ بها ، والتي اتجهت به إلى الزهد في الدنيا والتفكير في الموت . فالموت قدرٌ مقدور على الإنسان لا مفرّ منه ، وهو يقف له بالمرصاد مصوّبا إليه سهامه كأنه صياد لاقى غفلة من صيد أتيح له فقتله . والموت يقف بين الإنسان وآماله ، ولا يترك له فرصة لتحقيقها ، ومرور الأيام يقربه منه ، فكلّ يوم يمضي إنما هو في الحقيقة خطوة نحو النهاية التي يدفعنا الدهر الموكّل بنا نحوها . والأبيات من بحر الرمل الذي كثر دورانه عند شعراء الحيرة .

* * *

- ١ رَبِّ مَأْمُولٍ وَرَاحٍ أَمَلًا قد ثنّاه الدهرُ عن ذاك الأملِ
- ٢ وَفَتَى مِنْ دَوْلَةٍ مُعْجَبَةٍ سُلِبَتْ عَنْهُ ، وَلِلدَّهْرِ دُولٌ

(١) ثناء : صرفه ورده . يقول إن الدهر يقف بين الإنسان وآماله ، فرده عنها ويحول بينه وبين تحقيقها ، يستوى في ذلك من يطلب أملا فهو يسعى إليه ، ومن يعلق الناس عليه آمالهم فهم يسعون إليه .
(٢) قوله « وللدهر دول » أي أن الدهر متقلب متحول .

- ٣ كيف يرجو المرء قوتاً للردى وهو في الأسباب رهن محتبّل
 ٤ كلما خَلَفَ يوماً فضى زاده ذلك قُرباً للأجل
 ٥ فَوَقَّ الدهرُ إلينا نَبْلَه حَلَّلاً يَقْصِدُنَا بعد نَهَلْ
 ٦ فهو يرمينا ولا نُبْصِرُهُ فَعَلَ رَامَ رَامَ صَيْداً فَخْتَلْ
 ٧ رُزِقَ الصَيْدَ ولاقى غِرَّةَ فَرَمَى مُسْتَمِكِنَا ثم قَتَلَ
 ٨ فَلِذَاكَ الدهرُ مأمورٌ بنا فهو لا يَقْطُلُ إنْ شِئْ غَفَلَ

* * *

- (٣) الأسباب : الحبال ، يريد حبال الموت . والمحتبّل : الذى وقع في الحباله وهى شرك الصياد .
 يقول : كيف يرجو الإنسان النجاة من الموت وهو رهن في حباله ، واقع في حباله ؟
 (٥) فوق نبلة : أى صوته ورمى به . والعلل : الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأول ، يريد
 أن حركة الدهر في طلب الناس متواصلة لا تتوقف .
 (٦) رام صيدا : أى طلبه . وختله : خادعه ليتمكن من صيده .
 (٧) رزق الصيد : الضمير المستتر يعود على الرامى . والغرة : الفلة . يقول إن هذا الرامى أنجح له
 صيد ، ووجد غفلة منه ، فرماه مستمكنا منه فقتله . ضرب ذلك مثلاً للقدر والإيمان .
 (٨) مأمور بنا : موكل بنا ومكلف لا يقفل عنا .

* * *

يوسف خليف

(٤)

من قصائد المرحلة الثانية منهج النايا

* * *

ندور هذه المقطوعة التي تتألف من سبعة أبيات حول حديث المصير المحتوم أيضا الذي دارت حوله المقطوعة السابقة ، ولكن الشاعر ينظر إلى هذا المصير من زاوية أخرى . إنه هنا يتخذ من التاريخ موضوعا للعظة والاعتبار ، ومجالا يتحرك فيه ليضرب الأمثال على فناء الحياة الذي بدأ مع بداية الحياة ، فمنذ نُوح حتى اليوم ومنهج النايا واحد لا يختلف ، تسلكه قوافل البشر قافلة في إثر قافلة ، ولكن حركتها فوقه لا نعرف لها قانونا يضبطها ، فالمرضى يموت ، وطيبه يموت ، وكذلك يموت السليم . ولكن الموت ليس النهاية ، ف وراء الموت حياة أخرى فيها الوعد وفيها الوعيد . هكذا يصدر الشاعر عن إيمان عميق بالبعث انطلاقا من نصرانيته ، على عكس ما نراه عند غيره من الشعراء الوثنيين الذين كانت تراءى لهم فكرة البعث فوق تصورهم . والأبيات من بحر الخفيف الذي كثر تردده عند شعراء الحيرة .

* * *

- ١ أين أهل الديار من قوم نُوح ؟ ثم عاد من بعدهم وثمود ؟
- ٢ أين آباؤنا ؟ وأين بنوهم ؟ أين آباؤهم ؟ وأين الجدود ؟

(١) عاد : قوم نبي الله هود . و ثمود : قوم نبي الله صالح .

- ٣ سَلَكُوا مَنَهِجَ الْمَنَايَا فَبَادُوا وَأَرَانَا قَدْ حَانَ مِنَّا وَرُودُ
٤ بَيْنَمَا هُمْ عَلَى الْإِسْرَةِ وَالْأَذَى بِمَا أَفْضَتْ إِلَى التَّرَابِ الْخَدُودُ
٥ ثُمَّ لَمْ يَنْقِضِ الْحَدِيثُ ، وَلَكِنْ بَعْدَ ذَا الْوَعْدِ كُلِّهِ وَالْوَعْدُ
٦ وَالْأَطْبَاءُ بَعْدَهُمْ لِحَقْوِهِمْ ضَلَّ عَنْهُمْ سَعُوطُهُمْ وَاللَّدُودُ
٧ وَصَحِيحُ أَصْحَى يَعُودُ مَرِيضًا وَهُوَ أَذَى لِلْوَيْتِ تَمَنَّيَ يَعُودُ

* * *

- (٣) المنهج : الطريق . وبادوا : هلكوا .
(٤) الأنماط : البسط ، جمع نمط . وأفضت : انتهت .
(٥) الوعد : الثواب . والرعيه : العقاب . واليت يعكس إيمان الشاعر المسيحي بالبعث والحساب والثواب والعقاب .
(٦) السعوط : الدواء يصب في الأنف . واللدود : الدواء يصب في الفم .
(٧) يعود مريضاً : أى يزوره . ووضح أن معاني الأبيات هي نفسها المعاني التي تروث كثير في شعر أبي النعمان بعد ذلك .

* * *

يوسف خليف

الْمُنْخَلُ الْيَشْكُرِي

* * *

هو المنخل بن مسعود (أو ابن عبيد) بن حاصر بن ربيعة بن عمرو اليشكري .
وهو شاعر جاهل قديم . كان يشبّه بهند أخت الملك عمرو بن هند ، وكان يتم
كذلك في زوجته ، وكان نديماً للنعمان بن المنذر ، وكان النعمان دميماً أبرش
قييماً ، وكان المنخل من أجمل العرب ، وقد اتهم كذلك في « المتجرّدة » زوجة
النعمان ، ويتحدث العرب أن ابن النعمان منها كانا من المنخل ، فقتله النعمان ،
وقيل حسبته ثم غمض خبره فلم تعلم له حقيقة ، ويقال إنه دفنه حياً أو أغرقه .
والعرب تضرب به المثل ممن هلك ولم يعلم له خبر .

والقصيدة المختارة يوجه فيها الشاعر خطابه إلى العاذلة ، يريد بها أن تفارقه
إلى العراق ، وأن لا تنظر إلا إلى حسبته وكرمه ، ويصف لها جُودَه في زمان
الجدب ، وينعت لها فوارس قومه الذين يُقَرُّ عينه بهم وبالكواعب اللاتي
يعابهن ، ويجرى معهن في الهوى والغزل . ويصف لها كيف بادل إحداهن
الحب حتى لقد كان بين بعيه وناقته من ذلك ما يكون بين البشر . ثم يصف
حالي صحوه وسكره .

* * *

يَا هُنْدُ

* * *

- ١ إِنْ كُنْتَ مَازِلْتِ فِيسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحُورِي
- ٢ لَا تَسْأَلِي عَنِ جُلِّ مَا لِي وَانْظُرِي حَسْبِي وَخَيْرِي
- ٣ وَإِذَا الرِّيحُ تَكَشَّتْ بِجَوَانِبِ الْبَيْتِ الْكَبِيرِ
- ٤ أَلْفَيْتَنِي هَشَّ النَّدَى بِشَرِيحِ قِدْحِي أَوْ شَجَرِي

* * *

- ٥ وَفَوَارِسِ كَأَوَارِ حُرَّالِ نَارِ أَحْلَاسِ الذِّكْرِ
- ٦ شَدُّوا دَوَابَرَ بَيْضِهِمْ فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ
- ٧ وَاسْتَلَامُوا وَتَلَبَّيُوا لِمَنِ التَّلَبُّ لِلْغَيْرِ

(١) لا تحوري : لا ترجعي .

(٢) الخير (بكسر الخاء) : الكرم .

(٣) تكشَّت : أسرعت .

(٤) الشريح : أن تشق الخشبة نصفين فيكون أحد الشقين شريح الآخر . الشجير : قدح يكون مع القداح غريباً ، وهو المستعار الذي يقيم بفوزه . يقول : ألفتني في هذا الوقت من الشناء أضرب بقدحي وأستعير قدحا أضرب به في الميسر .

(٥) الأوار : الوجع . الأحلاس : جمع حلس وهو كل شيء ، ولي ظهر الدابة تحت المبرج ونحوه . تقول فلان من أحلاس الخيل أي يلزم ظهورها .

(٦) البيض : قلانس الحديد . دوابرها : متأخريها . القير : مسامير الدروع ، وإنما يشدون للبيض إلى الدروع خشية سقوطها .

(٧) استلاموا : لبسوا اللامعة ، وهي السلاح أو الدرع . تلبوا : لبسوا السلاح كله .

٨ وعلى الجياد المضمرا ت فوارس مثل الصقور

٩ ينخرجن من خلل الغيا ريجفن بالنعم الكثير

* * *

١٠ أقررت عيني من أولك والفوائح بالعير

١١ يرفقن في المسك الذكي (م) وصالك كدم النحير

١٢ يعكفن مثل أساودال تنوم لم تعكف لزور

١٣ ولقد دخلت على الفتا في الحدر في اليوم المطير

١٤ الكاعب الحسناء تر قل في الدمقس وفي الحوير

١٥ فدفعتها فتدافعت مثنى القطاة إلى الغدير

١٦ ولثمها فتنفست كتنفس الطي البير

١٧ قدنت وقالت يا منخذ (م) مل ما بجسمك من حرور

١٨ ماشف جسمي غير حب (م) يك فاهدني عني وسيري

١٩ وأحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري

* * *

(٩) ريجفن : يسرع ، من الوجيف وهو ضرب مريع من السير . والنعم : الإبل والشاة .

(١٠) العير : أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران . الفوائح : اللان يفتح منهن الطيب .

(١١) الصالك : اللازق ، أراد به الطيب . النحير : المنحور .

(١٢) يعكفن : يشعلن شعرهن ويصفونه . الأساود : الحيات ، جمع أسود شبه بها الصفائر .

التنوم : شجر . الزور : الباطل . يريد أنهن صفيقات لا يترين لريبة .

(١٦) البير : من « البهر » وهو ما يعثر الإنسان عند السعي الشديد والعدو من النهج وتتابع النفس .

(١٧) الحرور : الحر .

(١٨) شفه : أهزله وأضره حتى رق .

- ٢٠ يا رَبِّ يَوْمَ لِلنَّحْ (م) لِي قَدْ لَمَّ فِيهِ قَصِيرِ
 ٢١ فَاِذَا انْتَشَيْتُ فَاِنِّى رَبُّ الْخَوْرَثِى وَالسَّيْرِ
 ٢٢ وَاِذَا مَحَوْتُ فَاِنِّى رَبُّ الشَّوِيْهِ وَالْبَعْرِ
 ٢٣ وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَا مَةً بِالْقَلِيلِ وَبِالْكَثِيرِ
 ٢٤ يَا هِنْدُ مَنْ لِمُتِّمٍ يَا هِنْدُ لِلْعَانِي الْاَسِيرِ ؟

(٢١) انتشيت : سكرت . الخورق والسدير : قصران لذلك النعمان بالحيرة .

(٢٤) العاني : الأسير .

* * *

مسيد حنفي

النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي

* * *

يعد النابغة الذبياني أحد الشعراء الأربعة الكبار الذين يتفق الرواة والباحثون على أنهم أكبر شعراء العصر الجاهلي ، وأعمقهم أثرا في حركة الشعر فيه ، والثلاثة الآخرون هم امرؤ القيس وزهير والأعشى . ويضعه بعض الرواة بين أصحاب المعلقات العشر .

ويرجع نسبه إلى قبيلة ذبيان الغطفانية التي تنتمي إلى مجموعة قبائل قيس حيلان ، وكانت تنزل في شمالي نجد وشرقي يثرب ، وكان النابغة من أشرف ذبيان وبيوتاتهم الكبيرة .

والنابغة لُقِّبَ لُقْبَ به ، أما اسمه فهو زياد بن معاوية . وقد اختلفت الرواة في تعليل هذا اللقب ، فقالوا إنه لُقِّبَ به لقوله في بعض شعره « فَقَدْ نَبَّغْتُ لَنَا مِنْهُمْ شَوْوُنَ » ، وقالوا لأن موهبته الفنية لم تظهر إلا بعد أن كبر وتقدمت به السن . وفي أغلب الظن أنه لقب به لبوغه في الشعر وتفوقه فيه .

وكما هو الشأن مع أكثر شعراء الجاهلية ليس من اليسير أن نحدد تاريخ مولده ووفاته ، ولكن من المعروف أنه كان معاصرا لحرب داحس والغبراء التي دارت رحاها بين قبيلته وقبيلة عبس في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي وأوائل السابع (٥٦٨ — ٦٠٨) ، ولأن يكن من الواضح أنه لم يشهد نهايتها التي شهدها زهير ونظم فيها معلقته المشهورة . ومن هنا نستطيع أن نؤكد أنه مات قبل سنة ٦٠٨ ، وربما كان التاريخ الذي ذكره جرجي زيدان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » عن سنة وفاته — وهو سنة ٦٠٤ — قريبا إلى الواقع .

ولا نعرف كثيرا من نشأة النابغة الأولى وشبابه ، وإنما نراه — أول ما نراه —
 شاعرا كبيرا متصلا ببلاط المناذرة بالحيرة في أيام حكم النعمان بن المنذر الملقب
 بأبي قابوس (٥٨٠ — ٦٠٢) اتصالا ارتفع به إلى أن يكون الشاعر الأول
 في بلاطه بين الشعراء الكثيرين الذين كان هذا البلاط يمجج بهم . وعاش النابغة
 في ظل النعمان يمدحه ويُشيد به ، والنعمان يحزل له العطايا والصلوات ، ويبالغ
 في إكرامه وتقريبه إليه حتى أصبح من ندمائه المقربين إليه في مجالس شربه .
 ولكنه — لسبب من الأسباب — اضطُر إلى مغادرة الحيرة موليا وجهه شطر
 الملك عمرو بن الحارث الأصغر ملك الغساسنة بالشام .

وقد اختلف الرواة حول السبب الذي حمل النابغة على مغادرة الحيرة إلى الشام
 اختلافا كبيرا ، فقالوا إن ذلك يرجع إلى وشايات ودسائس حاكها منافسوه
 ليفسدوا ما بينه وبين النعمان حتى يخلوهم مكانه ، وقالوا إن ذلك يرجع إلى غضب
 النعمان عليه بسبب قصيدة وصف فيها المتجردة زوجة النعمان وصفا أثار ضيرة المُنخَل
 اليشكري الذي كان يهواها ، فسعى لدى النعمان حتى أوغر صدره عليه ، فقر النابغة
 من الحيرة قبل أن يُوقع به الملك .

ولكن المسألة — في حقيقة أمرها — ترجع إلى أسباب سياسية أكثر مما ترجع
 إلى أي سبب آخر . فقد حدث أن الملك عمرو بن الحارث ملك الغساسنة أغار على
 قبيلة ذبيان وحلفائها من بني أسد ، لأنهم تَجَرَّؤوا على بعض المناطق الحصينة التي
 كان يُقرض عليها حمايته في ديار غطفان ، ورعوها بغير إذنه . وسبى الملك كثيرا
 من نساء ذبيان وأسد ، ويقال إن إحدى بنات النابغة كانت في السبايا ، فرأى
 النابغة أن يتوسط لقومه عند الملك الغساني . ونجحت سفارة النابغة ، وعفا الملك
 عن أسرى قومه ، ورد عليهم سباياهم ، فتوالت مدائح النابغة عليه ، وتوالت عطايا

الملك على النابغة . وظل النابغة في بلاط الغساسنة حتى مات الملك ، فرأى أن يعود إلى الحيرة ولكن النعمان كان فاضبا عليه لتوجهه إلى الغساسنة ومدحهم ، فقد كانت بين الإماراتين خصومات سياسية قديمة . ولم يجد النابغة بدا من أن يعتذر إلى النعمان ، فأخذ يبحث إليه بقصائده المشهورة في الأدب العربي بالاعتذاريات ، يوضح فيها موقفه ، ويدافع عن نفسه ، ويرد على وشايات الوشاة وكيد الحاسدين . وأخيرا انتهت الجفوة ، وعاد النابغة إلى البلاط الحيري ، وظل هناك حتى مات الملك بعد قليل .

* * *

والنابغة من أكبر شعراء العصر الجاهلي ، وهو قمة شاعرة من قم مدرسة الصنعة الجاهلية . وقد بلغت منزلته الفنية بين شعراء عصره أن ارتضوه حكما بينهم في سوق عكاظ ، حيث كانت تُضرب له قبة حمراء متميزة ، ويأتيه الشعراء من شتى القبائل ليعرضوا عليه شعرهم .

وقد نظم النابغة في كل الموضوعات التي دار فيها الشعر الجاهلي ، ولكن شهرته تقوم أساسا على موضوعين : المدح والاعتذار . ويجعله النقاد المبتكر الأول لموضوع الاعتذار في الشعر العربي ، وواضع تقاليد الفنية ، كما يجعلونه الشاعر الذي ارتفع به أيضا إلى قمة الرفيعة التي بلغها في العصر الجاهلي . ويأتي بعد هذين الموضوعين موضوع الوصف ، فهو الموضوع الثالث الذي برع فيه وسجل تفوقا وامتيازاً ، ولكنه لم يكن يفرد له قصائد مستقلة ، وإنما كان يأتي عنده - كما كان يأتي عند غيره من شعراء عصره - في ثنايا قصائده . ولم يقف النابغة في وصفه عند الصحراء ومناظرها فحسب ، وإنما كان أحيانا يمدّه إلى وصف الحياة المتحضرة التي كان متصلا بها في الحيرة من ناحية ، وفي الشام من ناحية أخرى .

والناطقة — ككل شعراء مدرسة الصنعة — ينظر إلى العمل الفني على أنه صنعة يفرغ لها كما يفرغ الصانع لعمله ، يجوده ويتقنه ، ويظل عاكفا عليه يعيد فيه النظر ، ويطيل فيه التفتيش ، حتى يخرج على الصورة الدقيقة المحككة التي يريد لها ، في أناة شديدة ، وتجويد بالغ ، وحرص واضح على تهذيب عباراته ، وانتقاء ألفاظه ، وإحكام صوره . ومع أنه في لفته كسائر شعراء عصره غرابة وبداءة ، فإن اتصاله الطويل بالحياة الحضارية في الحيرة والشام أكسبه ذوقا رقيقا مرهفا في انتقاء الألفاظ لعباراته ، واختيار الأوضاع والزوايا لصوره ، كما طبع شعره في غير قليل من جوانبه بطابع حضارى ، وتشرفيه غير قليل من الأفكار والعصور المسيحية ، وبخاصة في قصائده التي نظمها في أمراء الغساسنة الذين كانوا يدينون بالمسيحية .

* * *

يوسف خليف

(١)

من المدح الحربى

* * *

ومن الصور المدحجية التى عُرف بها النابغة وعُرفت عنه ما صاغه فى تلك القصيدة البائية التى رسم فيها لوحة فنية أساسها الطابع الحربى فى شخص ممدوحه الحارث القسائى ، وعلى عادة شعراء المدح ، وهو واحد من المؤسسين لهذا الفن على سبيل الاحتراف والتكسب ، بدأ البائية بحديث بالك يشكو فيه إلى أميمة طول ليله الذى لم يعد يشف إلا عن تلك المعاناة ، وذلك الألم والحلم الذى تكاثر عليه ، حتى ضاق به ، وكأن الأمل قد انقطع إزاء انقضاء هذا الليل .

وهو ينتهى من هذا الحديث الوجدانى الذى يسقط من خلاله همومه وآلامه لينطلق إلى ممدوحه ، معترفا بفضلله ونعمته عليه ، مؤكدا هذا الاعتراف بصيغ قسمية يصل بها بين حديث الاعتراف وحديث المدح الحربى الذى يؤصل فيه للنسب ممدوحه ، وسيادته فى قومه ، مما يترتب عليه ثقته المطلقة فى انتصاره على أعدائه ، وهو انتصار لا يتأتى له إلا بقوة جيشه ، من جند يتمتعون بأصالة الانتماء التى يتمتع بها ممدوحه ، إلى خيول عربية لا يشك أحد فى أصالتها وصفوة نسبها ، إلى سيوف ورماح دقيقة الصنع كأنها لم تكن إلا لهؤلاء القوم فقط ، وهى ليست جديدة عليهم ، ولكنها عريقة النسب بنفس الصورة التى يضيفها عليهم النابغة ، وقد أثرت عراقة نسبها فى صلابتها وقوتها ، فهى موروثه عبر أيام طوال لم تشهد فى تلك السيوف عيبا

واحدا إلا ذلك التكسر الذى ينم عن شيء واحد ، هو كثرة كاترة فيمن أصيب بها من أعداء الممدوح ، وحسبها هذا التكسر أصالة ورمزا لقوتها وقوة الممدوح على السواء .

* * *

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | كَلْبَنِي لِمَ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٌ | وليلِ أَقَاسِيهِ بَطْلِي الكَوَاكِبِ |
| ٢ | تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بُمُنْقِضٍ | وليس الذى يَرْتَحَى النُّجُومَ بِآيِبِ |
| ٣ | وَصَدِيرُ أَرَاكِ اللَّيْلِ حَازِبٌ هَمَّهُ | تَضَاعَفَ فِيهِ الْحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ |
| ٤ | عَلَى لَعْمَرٍ نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ | لِوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ |
| ٥ | حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ | وَلَا عِلْمَ إِلَّا حُسْنَ ظَنٍّ بِصَاحِبِ |
| ٦ | لَئِنْ كَانَ لِلْقَبْرِينِ : قَبْرٌ يَجْلِقِ | وَقَبْرٌ بِصَيْدَاءَ الَّتِي عِنْدَ حَارِبِ |
| ٧ | وَالْحَارِثُ الْجَفْنِيُّ سَيِّدُ قَوْمِهِ | لَيَلْتَمِسَنَّ بِالْجَيْشِ دَارَ الْمُحَارِبِ |
| ٨ | وَنُفْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِنْ قِيلَ قَدْ خُزِرَتْ | كُتَابُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ |

- (١) كلبى : دعوى وازكى . ناصب : متعب ومرهق . أقاسيه : أقام منه . تطاول : زاد في طوله نتيجة الحزن والمكابدة .
- (٢) منقض : منه . يرعى النجوم : يقصد الصبح (يشبه براعى الإبل يحتمل على السير) .
- (٣) أراح : أرجع ورد . حازب : شارد أو بعيد .
- (٤) غير ذى مثنوية : يقصد يمينا صادقة لا يشوبها كذب .
- (٥) جلق : دمشق . صيداء : مدينة بالشام .
- (٦) الحارث الجفنى : هو والد الممدوح نسبة إلى آل جفنة وهم النساسة . دار المحارب : دار الخصم الذى يحاربه .
- (٧) الأشائب : ج أشابة وهم الأخلاط الذين لا يجمعهم نسب أو قرابة . دنيا : يقصد الأقربين .
- (٨) عمرون عامر : من الأزد وهم أقارب النساسة .

٩. بنو عمه دُنيا وعمرو بن عامر
١٠. إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم
١١. يصا نعنهم حتى يغرن مغارهم
١٢. تراهن خلف القوم خزا عيونها
١٣. جوائح قد أيقن أن قبيله
١٤. لمن عليهم عادة قد عرفنها
١٥. على عارقات للطعان عوايس
١٦. إذا استنزوا للطن عنهن أرقلوا
- أولئك قوم بأسهم غير كاذب
عصائب طير تهتدي بعصائب
من الضاريات بالدماء الدوارب
جلوس الشيوخ في ثياب المرائب
إذا ما التقى الجمعان أول غالب
إذا عرض الخطى فوق الكوايب
بين كلوم بين دام وجالب
إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

(٩) العصائب عصابة وهي الجماعة . تهتدي : تسير متتابعة تهتدي كل مجموعة بالأخرى التي تسير أمامها .

(١١) الضاريات : المتعدات المولعات . الدوارب : المتدربات المتبرفات .

(١٢) المرائب مرتبات وهو ثوب لونه كلون الأرب . خزا : ج خزاوه وهي ضيقة العين
أول التي تقبض أجفانها لتحديد النظر .

(١٣) جوائح : مائلات الوقوع . قبيلة : جمعه وجيشه . عرض : وضع بالعرض .

(١٤) الخطى : المنسوب إلى بلد الخط في البحرين وقد اشتهرت بصنع الرماح الجيدة . الكوايب ج

كائبة وهي الجزء الذي يقع أمام السرج من جسم الفرس .

(١٥) عارقات : خيول صابرة قادرة على تحمل طعان الأعداء . الطعان : الضرب بالرمح .

عوايس : يسد على وجهها الغضب . الكلوم : الجاروح . الجالب : اليابس الذي نشأت عليه قشرة .

(١٦) استنزوا : اضطروا إلى النزول . أرقلوا : أسروها . المصاعب : الجمال القوية الشديدة .
المنية : الموت .

- ١٧ فُهُم يَتَسَاقَوْنَ الْمَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ يَبِيضُ رِقَاقُ الْمَضَارِبِ
١٨ يَطِيرُ فِضَاضًا بَيْنَهُمْ كُلُّ قَوْنَسٍ وَيَتَّبِعُهَا مِنْهُمْ فِرَاشُ الْحَوَاجِبِ
١٩ وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
٢٠ تُورَثُنَ مِنْ أَزْمَانٍ يَوْمَ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبَنَ كُلُّ التَّجَارِبِ

(١٧) يتساقون : يسبق بعضهم بعضا ، البيض : السيوف . المضارب ج مضرب وهو حد السيف .
رقاق المضارب : يكفى بها عن حدة السيوف .

(١٨) فضاضا : متفرقا . القونس : أعلى الخوذة (البيضة) . فراش الحواجب : أراد فراش
الجمجمة وهي العظام الرقيقة في أسفل الجمجمة .

(١٩) الفلول : جمع فل وهو الكسر في حد السيف . القراع : المضاربة بالسيوف .

(٢٠) يوم حليلة : بين المنذر الثالث ملك الحيرة وبين الحارث بن جبلة ملك الغساسنة والد حليلة
التي كان يقال إنها كانت من أجهل نساء العصر الجاهلي .

* * *

عبد الله التطاوى

(٢)

المتجرّدة

* * *

قال يصف المتجرّدة، وكان في بعض دخلاته على النعمان قد فاجأته فسقط
نصيفها عنها ، فنطت وجهها بمعصمها ، فقال النابغة وكنى عنها :

- ١ أَمِنْ آلِ مِيَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُنْتَدٍ عَجْلَانِ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مَزُودٍ
- ٢ أَفَدَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رَكَابَنَا لَمَّا تَزُولُ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ
- ٣ زَعَمَ الْغَرَابُ بَأَنَّ رَحَلَتْنَا غَدًا وَبِذَلِكَ تَنْعَابُ الْغَرَابِ الْأَسْوَدِ
- ٤ لَا مَرْحَبًا بَشَدٍ وَلَا أَهْلًا بِهِ إِنْ كَانَ تَفْرِيقُ الْأُجْبَةِ فِي غَدِ
- ٥ حَانَ الرَّحِيلُ وَلَمْ تُوَدَّعْ مَهْدَدًا وَالصَّبِيحُ وَالْإِمْسَاءُ مِنْهَا مَوْعَدِي

(١) يخاطب الشاعر نفسه فيقول : أرائح أنت من آل مية أو منتد ، أى أتروح اليوم أم تغتدى غدا ، وقوله : (عجلان) من العجلة . وقوله : (ذا زاد وغير مزود) ، يريد أتروح زودت أم لم تزود ، وأراد بالزاد ما كان من تحية ورد سلام ووداع ونحو ذلك .

(٢) (أفد الترهل) : أى دنا الرحيل وقرب . (وكان قد) : أى قد زالت لقرب وقت زوالها وذنوه .

(٣) (زعم الغراب) : يعنى أن الغراب نعب فأندر بالرحيل ، وكانوا يتطيرون به ، ويسمونه حاتما ؛ لأنه يحتم عندهم بالفراق . والرحلة : الارتحال . والتعاب والتعب أن يصوت ويمد عنقه . (٥) مهدد : اسم جارية ، ويحتمل أن يريد بها (مئة) ، وقد يسمون المرأة فى أشعارهم باسمين وأكثر من ذلك ؛ اسماعا وعجازا . وقوله : (والصبح والإساء منها موعدى) ، أى لا موعد بيني وبينها يكون فيه اجتماع إلى آخر الدهر ، وكنى بالصبح والإساء عن مدة الدهر ، ولم يرد صبيحا معناها ولا إساءة مخصوصا ، وهذا كما تقول : موعد اجتماعنا الأبد ، والليل والنهار ، تريد آخر الدهر .

- ٦ في إثر غانية رمتك بسهمها فأصاب قلبك غير أن لم تقصد
٧ غنيت بذلك إذ هم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد
٨ ولقد أصاب فؤاده من حبها عن ظهر مرنانٍ بسهمٍ مُصرِد
٩ نظرت بمقلة شادنٍ مُترِبٍ أحوى أحسَّ المقلتين مُقلد
١٠ والنظم في سلكٍ يُزين نحرها ذهبٌ توقد كالشهاب الموقد

(٦) (في إثر غانية) ، أى حان الرحيل بعد أن عرضت لك هذه الجارية ورمتك بسهمها ،
أى أودعت قلبك حبها . والغانية : التى غنيت بحملها . وقوله : (غير أن لم تقصد) ، أى لم تهلك
حين رمتك فتسريح ، يقال : رماه فأقصده ، إذا قتله .

(٧) (غنيت بذلك) ، أى أقامت وعاشت بما أودعتك من حبها . (إذ هم لك جيرة) ، يريد
إذ كان حبه وحيا متجاورين في زمن الربيع ، فكانت تعرض له ، وتعطف عليه الرسائل ، وتتودد
إليه . وقوله : (بعطف رسالة) ، أى أقامت بذلك مع عطف الرسائل . والباء بدل من (مع) .
وقوله (منها) ، أراد بعطف رسالة منها .

(٨) (ولقد أصاب فؤاده) ، يريد ولقد أصاب ذلك المهم الذى رمت به من حبها بسهم
مصرِد ، أى أصابه من نفسه بسهم مصرِد نافذ . يقول : لقد أصابه هذا الأمر بأمر منك شديدا .
والمرنان : مفعول من الرنين ، وهو صوت القوس عند الرمي ، يريد رمتنا عن ظهر قوس ، يريد عند
الرمي و لشدة وترها ، وذلك أنفذ للمهم . والمصرِد : المنفذ . ويقال : صرد المهم ، وأصردته أنا ،
إذا أنفذته .

(٩) الشادن من أولاد الظباء : الذى قد شذن وقوى على المشى . والمترِب : المحبوس . فى
البيت ، الحزين . والأحوى : الذى به خططان سوداوان وكذلك الظباء . والمقلد : الذى زين بالخلى
وقلائد القزلى ، شبه بالفرزال ربه الجوارى وزينته ، بحسن عيניה وسوادهما ، وطول عنقها ، ووصف
الفرزال بما يزيد فى حسنه من جعل الخلى عليه ؛ ليكون ذلك أبلغ فى التشبيه . والأحس : الأسود .

(١٠) (والنظم فى سلك) ، يصف أنها ذات نعمة وحلى . والنظم : اسم المنظوم . والسلك :
خيط النظام . وقوله : (ذهب) تفسير للنظم . والشهاب : النار ، شبه الذهب به ، فى بريقه .

- ١١ صفراء كالسبأء أَكَلْ خَلَقُهَا كالغصن في غُلَوَانِه المتأود
١٢ والبطن ذو عَكَنٍ لطيف طَبْهُ والنحر تنفجُه بِشَدِي مُقَعَد
١٣ مَخْطُوطَةُ الْمُتَنِينِ غَيْرُ مُفَاضِيَةِ رِيَا الرَوَادِفِ بَضَّةُ الْمُتَجَرِّدِ
١٤ قَامَتْ تَرَاىَ بَيْنَ تَجَقُّى كَلَسِيَةِ كَالشَّمْسِ يَوْمَ طُلُوعِهَا بِالْأَسْعَدِ
١٥ أَوْدَرِيَّةٌ صَدْفِيَّةٌ غَوَاصُهَا بَهْجٌ مَتَّى يَرَاهَا يُهَلِّ وَيَسْجُدُ
١٦ أَوْدُمِيَّةٌ مِنْ مَرْمَرٍ مَرْفُوعَةٍ بُنِيَتْ بِأَجْرٍ يُشَادُ وَقِرْمَدُ

(١١) قوله : (صفراء) يعنى أنها تطل بالزعفران ، وتنطيب به ، وصفها بالنعمة . والسبأء : الحرية الصفراء ؛ شبهها بها لصفرة الطيب ، ولين بشرتها ولطافتها . والغلواء : ارتفاع الفصن ونماؤه . والمتأود : المتنى ؛ لطوله ونعمته ، وشبهها به لكآل طولها ونعمتها وتنشيتها .

(١٢) (والبطن ذو عكن) ، أى مهفهقة خميصة البطن ، ولو كانت مفاضة عظيمة لم يكن لها عكن . (والنحر تنفجه) ، أى تملبه وترفعه ، (و) ندى مقعد ، أى نآء على النحر أو فاهد لم يشن بعد . (١٣) قال الأصمى : (مخطوطة) ، أى ملساء الظهر غير متقبضة الجلد ؛ لأن الظهر أسرع الجسد تقبضا . والمفاضة : الواسعة البطن . (و) الريا (المثلثة) ؛ وأصله من رى الماء . والبضة : الناعمة البيضاء . والمتجرد : الجسم المجرد ، أى إذا جردتها رأيتها بضة الجسم ناعمة . والمتنان : لحمتا الظهر من يمين الفقار وشماله .

(١٤) قوله : (قامت تراهى) ، أى تعرض لنا قسما وتظاهروا . والسيف : السرا المشقوق الوسط ؛ وشبهها بالشمس لإشراقها وحسنها . وجعل طلوع الشمس بالأسعد (برج الحمل) ليكون ذلك أتم للتشبيه ، وأبلغ فى الوصف .

(١٥) الصدف : الحمار ؛ ونصب الدرة إليه . والبهج : الفرح المبرور بهذه الدرة لنفاستها . وقوله : (يهل ويسجد) ، أى يرفع صوته بالحمد لله والثناء ، ويسجد له شكرا لما وهبه منها . وشبه المرأة بالدرة فى صفاتها ورقة بشرتها .

(١٦) قوله : (أودمية من مرمر) ، الدمية : التمثال والصورة . والمرمر : الرخام . وقوله : (يشاد) ، يعنى ويرفع بالشيد ، وهو الجص . والقرمد : نزف مطبوخ مثل الآجر ؛ شبه المرأة بصورة رخام لها قاعدة رفعت عليها ؛ وذلك أصون لها ، وأبهى لمنظرها .

- ١٧ سَقَطَ الذَّصِيفُ ولم تُرَدِّ لِمَسْقَاطُهُ فتناوَلَتْهُ وَاَتَقَتْنَا بِالْيَدِ
١٨ بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَأَنَّ بِنَانَهُ عَمَّ عَلَى أَشْجَارِهِ لم يُعْقِدْ
١٩ نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لم تَقْضِهَا نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وَجْهِ الْعَوْدِ
٢٠ تَجَلَّوْا بِقَادِمَتِي حَمَامَةً أَيْكَةٍ بَرَدًا أَسَفٌ لِثَانَةٍ بِالْإِمْدِ
٢١ كَالْأَخْوَانِ غَدَاةً غَبَّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدَى

(١٧) الذصيف : نصف نمار أو نصف ثوب ؛ يصف أنه فاجأها فسقط نصيفها ، فغطت وجهها بمصباحها .

(١٨) قوله : (بمخضب رخيص) ، أى اتقتنا بمعصم مخضب أو بمصو مخضب ، معنى كفها .
والبنان : الأصابع المخضوبة . والعسم : شجر أحر الثمر ينبت في جوف السم (الشجر) أشبه شئ
بالأصابع المخضوبة . و (عم على أشجاره لم يعقد) أى هو أين مرسل غير معقود .

(١٩) يقول : نظرت إليك نظرا ضعيفا لا تقدر معه على الكلام ، أى نظرت نظرا خائفا مراقب ،
وأرادت كلامك — وهو حاجتها — فلم تقدر على ذلك ، خشية الرقباء ؛ ومثله قول الشاعر :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة محزونة ولم تتكلم

وقوله : (لم تقضها) ، معنى المرأة لم تقدر على الكلام خافة أهلها ، فهى كالسقيم الذى ينظر إلى
من يعود بطرف فاتر ضعيف ، ولا يقدر على الكلام .

(٢٠) قوله : (تجلو بقادمتي حمامة) ، يقول : إذا تبسمت كشفت عن أسنان كأنها برد ؛
لبياضها وصفائها . والقادمتان : الريشتان الثتان في مقدمتي الجناحين ؛ معنى أن في شفيتها لسا وحوه .
وهو صمرة في الشفتين ، وهما لطيفتان براقتان ؛ فشبههما بالقادمتين لذلك . وأراد بالحمامة القمرية ؛ وخص
القادمتين لأنهما أشد سوادا من سائر الريش . وقوله : (أسف لثاته) ، أى ذر الإمدد على لثاتها .

(٢١) الأخوان : نبت له نور أبيض وسطه أصفر ؛ فشبه الأسنان بياض ورقه . وقوله :
(غداة غب سمائه) ، السماء : المطر . وغب الشئ : بعده . وقوله : (جفت أعاليه) ، أى جف
ليلا فنى المطر ما عليه من الغبار ، وصفنا لونه ، ثم جف الماء من أعلاه ؛ فاشتد بياضه وحسن ،
وارتوى أصله من ذلك المطر ، فغذى أعلاه فاشتد بياضه .

- ٢٢ زَعَمَ الْهَمَامُ بَأْتٍ فَاهَا بَارِدٌ عَذِبٌ مُقْبِلُهُ شَهَى الْمَوْرِدِ
 ٢٣ زَعَمَ الْهَمَامُ - وَلَمْ أَذْقُهُ - أَنَّهُ عَذِبٌ إِذَا مَا ذُقْتُهُ قَلَتَ : أَزْدَدَ
 ٢٤ زَعَمَ الْهَمَامُ - وَلَمْ أَذْقُهُ - أَنَّهُ يُشْفَى رِيًّا رِيْقَهَا الْعَطَشُ الصِّدْيِ
 ٢٥ أَخَذَ الْعَذَارَى عِقْدَهُ فَتَنَظَّمَنَّهُ مِنْ لَوْلُؤٍ مُتَابِعٍ مُتَسَرِّدٍ
 ٢٦ لَوَ أَنَّهُ عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبْدَ الْإِلَهِ صُرُورِيَّةً مُتَعَبِّدٍ
 ٢٧ لَرَأَى لَرُؤَيْهَا وَحُسْنَ حَدِيثِهَا وَلِحَالَهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ
 ٢٨ بَتَكْلُفٍ لَوْ تَسْتَطِيعُ كَلَامَهُ لَدَنَّتْ لَهُ أَرْوَى الْهَضَابِ الصُّعْخَدِ
 ٢٩ وَبِفَاحِمٍ رَجُلٍ أَثْنَيْتُ نَبْتَهُ كَالْكَرَمِ مَالٍ عَلَى الدَّعَامِ الْمُسْنَدِ

(٢٢) قوله : (زعم الحمام) ، يعنى الثمان بن المنذر ؛ لأنه كان يصف امرأته المتجردة .
 والحمام : السيد ، سمى بذلك لأنه إذا هم بأمر أمضاء ، ويقال : سمى به لبعده منه .

(٢٤) الريا : الریح الطيبة . والصدى : الشديد العطش .

(٢٥) المتسرد : الذى يقيم بعضه بعضا ، يقال : مرد الحديث ، إذا والى بينه وتابعه ، وصف
 أنها ذات حل ونعيم ، وأن العذارى يخدمها .

(٢٦) الأشمط : الأشيب . والصرورة : اللازم لصومعته . وقيل أيضا : الصرورة هاهنا
 الذى لا يأتى النساء ، وقيل : هو الذى لم يذنب قط .

(٢٧) قوله : (لنا لرؤيتها) ، أى لو عرضت لهذا الراهب الأشيب الذى لا يعرف النساء
 لأدام النظر إليها ، ولأعرض عما هو فيه من عبادته ؛ إعجابا بها ، واستعذابا لحسن حديثها ، ولظن ذلك
 رشدا ، ولم يرفيه حرجا وإن لم يكن فيه رشد .

(٢٨) الأروى : إناث الوحول . والصعخد : الملس . صخرة صيخود ، أى لمسا . وقيل :
 الصخرة المتصبية .

(٢٩) قوله : (وبفاحم رجل) ، يعنى الشعر . والفاحم : الشديد السواد ؛ مأخوذ من
 الفحم . والأثيث : الكثير الذى ركب بعضه بعضا . والرجل : الرجل المشوط . وشبه الشعر
 فى طوله وغزاليته بالكرم المائل على الدعائم . والمسند : الذى رفيع وأسند بعضه إلى بعض . واحده
 الدعام : دعامة .

٣٠. وإذا لَمَسَتْ لَمَسَتْ أَجْمَ جَائِمًا مُتَحَيِّرًا بِمَكَانِهِ مَلَأَ الْيَدِ
 ٣١. وإذا طَعَنْتَ طَعَنْتَ فِي مُسْتَهْدِفٍ وَابِي الْحَجَسَةِ بِالْعَبِيرِ مُقَرَّمَدٍ
 ٣٢. وإذا نَزَعْتَ نَزَعْتَ عَنْ مُسْتَحْصِفٍ نَزَعَ الْحَزُورِ بِالرَّشَاءِ الْمُحْصَدِ
 ٣٣. وإذا يَعْضُّ تَشْدُهُ أَعْضَاؤُهُ عَضَّ الْكَبِيرِ مِنَ الرِّجَالِ الْأُزْدِ
 ٣٤. لا وَاوَدُّ مِنْهَا يُحَوِّرُ لِمَصْدَرٍ عَنْهَا وَلَا صَايِرُ يُحَوِّرُ لِمَوْرِدٍ

- (٣٠) الأَجْمُ : المريض في ارتفاع . والجَائِمُ : الذي اتسع موضعه ويمكن ، وأصل الجائِمُ :
 الرابض اللاصق بالأرض . وقوله : (متحيزا بمكانه) ، أى قد جاز ما حوله وبرز .
 (٣١) المستهدف : المرتفع . والعَبِيرُ : هو الزعفران . والمَقَرَّمَدُ : المطلق بالقرمَد ؛ يعنى أنه يطل
 بالزعفران كما يطل الحوض والبناء بالقرمَد . والزَابِي : المرتفع . والزَبْرَةُ : ما ارتفع من الأرض .
 (٣٢) أصل النزَع جذب الدلو من البئر ، فضربه مثلا . والمستحصف : الشديد ، الضيق ،
 والقليل البلل . وقوله : (الحزور) ، أى جذبة الدلو بالرشاء ، وهو الحبل . والمحصد : الشديد الفتل .
 والحزور هنا الغلام القوى .
 (٣٤) قوله : (لا وَاوَدُّ مِنْهَا يُحَوِّرُ لِمَصْدَرٍ) ، يقول الذى يريد هذه المرأة ، أى ينال منها
 لا يريد بذلك بدلا ، فيصدر عنها ، وكل الذى يصدر عنها لا يريد أيضا منها بدلا ، فيصدر ليريد غيرها .
 وأصل الورد والصدر فى الماء ، فضربه مثلا . ومعنى (يحور) : يرجع .

* * *

سعد درویش

(٣)

المعلقة

* * *

قال يمدح النعمان بن المنذر ، ويعتذر إليه بما بلغه عنه فيما وشى به بنو قريع

في أسر المتجرّدة :

- | | | |
|---|----------------------------|--------------------------------|
| ١ | يادارمية بالعلياء فالسند | أقوت ، وطال عليها سالف الأيد |
| ٢ | وقفت فيها أصيلاً أسألها | حيث جواباً ، وما بالربع من أحد |
| ٣ | إلا الأوارى لآياً ما أيتها | والنوى كالحوض بالظلومة الجلد |

(١) إنما قال : (يادارمية بالعلياء) توجعاً منه ؛ لأنه كان معها ، مقياً بها في مرور ونعمة ، فمن مرتبهم ، ثم انقضى ذلك ؛ فحغل يحاط بها توجعاً منه لما رأى من تغيرها ، وتذكر ما عهد منها . والعلياء : ما ارتفع من الأرض . والسند : سند الجبل ، وهو ارتفاعه حيث يستند فيه ، أى يصعد ، وإنما جعل الدار بالعلياء والسند ؛ لأنها إذا كانت في موضع مرتفع لم يضرها السيل ، ولا انهدال عليها الرمل . وقوله : (أقوت) ، أى خلت من الناس وأفقرت . والسالف : الماضي . والأيد : الدهر .

(٢) قوله : (وقفت فيها أصيلاً) ، وصف أنه مر بالدار عشياً قصيراً ، فوقف فيها وسألها عن أهلها ؛ توجعاً وتذكراً . وأصيلان : تصغير أصيل وهو العشي ؛ وإنما صغره ليدل على قصر الوقت ، وأنه لشدة حزنه وتوجعه لم يمنعه ضيق الوقت وقصره من الوقوف بالدار ، والسؤال عن أهلها . وقوله : (حيث جواباً) ، أى عيت بالجواب فلم تجبني . والربع : منزل القوم ؛ وكأنه سمى بذلك لإقامتهم فيه زمن الربيع .

(٣) الأوارى : محابس الخيل ومرابطها ، واحداً آرى . والنوى : حاجز من تراب حول الخلاء لتلا يدخله السيل . والظلومة : الأرض التي لم تمطر بها السيل فلاؤها . والجلد : الأرض الصلبة . يقول : ليس في الدار شيء ، إلا محابس الخيل ، قد خفي أثرها ؛ فلا أتيتها إلا بعد ببطء وجهد — واللاى : البطء — وليس بها أيضاً إلا النوى ، ثم شبهه بالحوض في استدارته . وإنما جعل النوى بالظلومة ؛ لأنها أرض صلبة ، والنوى والأوتاد أشد ثباتاً فيها ، وجعلها جلداً ؛ لأن الحفر فيها ليس سهلاً ، فلم يعمق النوى ، فهو أشبه له بالحوض .

- ٤ رَدْتُ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَلَبَّدَهُ ضَرَبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمِسْحَةِ فِي الثَّأْدِ
٥ خَلَّتْ سَبِيلَ أَتَى كَانَ يَحْبِسُهُ وَرَفَعَتْهُ إِلَى السَّجْفَيْنِ فَالتَّضَدِ
٦ أَمَسْتُ خَلَاءَ وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخَى عَلَى لَبَدِ

* * *

- ٧ فَعَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ وَانْمِ الْقُتُودُ عَلَى عَيْرَانَةٍ أَجْدِ

(٤) قوله : (ردت عليه أقاصيه) أى ردت الأمة على الثوى ما تباعد من ترابه وشذ منه ؛ ولثلا يصل إليهم الماء . ومعنى (لبده) سكته بشدة . والوليدة : الأمة الشابة ؛ وإنما خص الوليدة لأنها أشد ضرباً للثوى . والثأد : المكان الندى ، وهو مصدر وضع موضع الصفة .

(٥) الأتى : سبل يأتى من بلد إلى بلد ، والأتى : مجرى الماء . وقوله : (خلّت سبيل أتى) أى كنسته ونحت ما فيه من مدر وغير ذلك ؛ ولثلا يحبس الماء فيه فيفسد تراب الثوى الذى حوله . وقوله : (ورفعته إلى السجفين) أى رفعت التراب إلى السجفين ، والسجفان : ستران رقيقان يكونان فى مقدم البيت ، والتضد إلى جانبيهما ، وهو أوهيتهن وجلال تهرم ، يضد بعضها على بعض . وقوله : (ورفعته) أى بلغت بالحفر وقدمته إلى موضع السجفين . والمعنى أن الماء لما كثر وعجز الثوى عنه خافت على بيتها ، نخلت سبيله فى البيت ، ومهلت مسلكه ؛ لينفذ ويتجاوز البيت .

(٦) قوله : (أمست خلأ) أى أمست الدار خالية من أهلها لما احتملوا عنها . وقوله : (أخى عليها) أى أفسد عليها الدهر الذى أفسد على لبده وهرمه وأفناه . ولبد : آخر نسور لقمان بن حاد ، وهو النسور السابع من نسوره ، وكان قد عمر أربعمائة عام ، وهو الذى يضرب به المثل يقال : (أتى أبده على لبده) .

(٧) القنود : عيدان الرجل ، ولا واحد لها عند أكثر أهل اللغة ، وقال أبو عمرو الشيبانى : واحدها قند . والعيرانة : ناقة تشبه العير فى القوة والنشاط . والأجد : الموثقة الخلق ، وهى التى عظام فقارها عظم واحد ، يقال : بزيان مؤجد ؛ إذا كان مرصوحا بعضه إلى بعض . يقول : عد عما ترى من تفكير الدار ، وما أحدث فيها الدهر ؛ إذ أيقنت أنه لا رجعة له . (وانم القنود) ، أى حالها وارفعها على هذه الناقة ؛ وهذا لتسلو عما أنت فيه .

- ٨ مَقْدُوفَةٌ يَدْخِيسُ النَّحِضَ بَازِلُهَا لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفُ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ
٩ كَأَنَّ رَحْلِي ، وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا يَوْمَ الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحَدٍ
١٠ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ مُوشِيٌّ أَكَارِعُهُ طَاوِي الْمَصِيرِ ، كَسِيفِ الصَّبْقِ الْقَرْدِ
١١ أَسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجُوزَاءِ سَارِيَةٌ تُزْجِي الشَّمَالَ عَلَيْهِ جَامِدَ الْبَرْدِ

(٨) قوله : (مقدوفة) ، أى لعظم خلقها وتراكب لحمها ، كأنها قد رميت بالحسم رميا .
والدخيس : الكثير المتداخل . والنحض : اللحم . والقعو : الذى فيه البكرة إذا كان من خشب ،
وإن كان من حديد فهو خطاف . وبازلها : نابها حين يزل اللحم اللحم ، أى شقه وتخرج ، والصريف
صوته . والمسد : الحبل . وقيل : القعو البكرة بعينها . وذكر أهل اللغة أن الصريف فى الفحول من
النشاط ، وفى الإناث من الإعياء ، وبيت النابتة لا يمتثل إلا للنشاط ، وقد حكى عن أبي زيد أن الناقة
تصرف من النشاط والإعياء ، والفعل من النشاط والهيأج والإعياء . ونصب (صريف القعو) على
تقدير المصدر ؛ كأنه قال : بازلها يصرف صريفا مثل صريف القعو ، والرفع على تقدير : له
صريف مثل صريف القعو .

(٩) الجليل : شجر . والمستأنس : ثور يخاف الأُنيس . ومعنى (زال النهار بنا) أى انصف ،
فيقول : كأن رحلي على ثور مستأنس منفرد . وقوله : (يوم الجليل) ، أى يوم مرورنا بالجليل ،
وإنما وصف الثور بالانفراد لأن ذلك أشد لفزعه .

(١٠) قوله : (من وحش وجرة) ، أى هذا الثور من وحش هذه الفلاة ، ووجرة طرف
السي ، وهو مجتمع الوحش ، وهى ستون ميلا ، وماؤها قليل ؛ فبطون وحشها طارية لقله شربها الماء .
وقوله : (موشى أكارع) ، أى يقوامه فقط سود وخطوط . وقوله : (كسيف الصبقل) ، أى يريد
أن الثور أبيض لماع كالسيف . و(الفرد) : المنقطع القرين المنفرد بالجوذة ، وقيل : هو الذى
أفرد من غنمه ، وعند ذلك يهدو بياضه ولعانه . وقوله : (طاوى المصير) ، أى ضامر ، والمصير :
المعى ، وكفى به عن البطن ، وجمعه مصران ، وجمع مصران مصارين .

(١٢) يقال : مرى وأمرى ، إذا جاء ليلا ؛ بفتح بين اللتين ، فقال : (أمرت) ثم قال :
(سارية) فأتى بها على (سرت) . والسارية : سحابة تسير ليلا وتمطر . وقوله : (تزجى الشمال) ،
أى تسوق وتدفع على الثور مطرا فيه يرد جامد .

الجزء الأول

٣٩٥

- ١٢ فارتاع من صوت كلاب فبات له طوع الشوامت من خوف ومن صره
١٣ فبهن عليه واستمر به صمغ الكعوب بريثات من الحرد
١٤ وكان ضميران منه حيث يوزعه طعن الممارك عند المتجر النجد
١٥ شك الفريضة بالمدرى فأنقذها طعن المبيطير إذ يشفى من العضد
١٦ كأنه خارجاً من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مقتاد

(١٢) قوله : (فارتاع) ، أى فرح الثور من صوت (كلاب) ، وهو الصائد ذوالكلاب .
قوله : (طوع الشوامت) ، أى بات الثور ميت سوء من برد وجوع . والعرد : شدة البرد .
(١٣) قوله : (فبهن عليه) ، أى بث الصائد الكلاب على الثور ، وقوله : (واستمر به) ،
أى نهض بالثور قوائم صمغ الكعوب ، أى لسن برهلات المفاصل . والحرد : استرخاء فى صلب البعير
استعاره للثور ، أى ليس بقوائمه عيب .

(١٤) قوله : (وكان ضميران منه) ، ضميران اسم كلب . و (يوزعه) : يفرقه بالثور ويحضنه
على الدنومه والأخذ بمقاتله . و (الممارك) : المقاتل . والمهجر المدرك . و (النجد) : الشجاع ،
وهو من نعت (الممارك) . يقول : كان ضميران من الثور بالموضع الذى يفرقه به صاحبه ، كما تقول :
أنا لك من هذا الأمر حيث تحب . وقوله : (طعن الممارك) أى لما أغراء صاحبه به ، ودنا منه ،
طلعه طعن الممارك النجد للمهجر .

(١٥) يقول : شك الثور فريضة الكلب بالمدرى ، أى انتظمتها . و (الفريضة) : موضع
عقب الفارس ، وقيل : هى بضعة فى مرجع الكتف . و (المدرى) : القرن . و (المبيطير) : البيطار .
و (العضد) : داء ورجع فى العضد ، من ثقل حمل أو غيره . وشبه نفوذ القرن للفريضة ودخولها فيه
بطعن البيطار ، إذا داوى الإبل من العضد ، وإنما خص الفريضة لأنها مقتل .

(١٦) قوله : (كأنه خارجاً) ، أى كأن القرن فى حال خروجه من جنب صفحة الكلب إلى
الصفحة الأخرى سفود شرب نسوه ، أى تركوه حتى نضج ما فيه ، والمقتاد : موضع اشتوائهم اللحم ،
يعنى أن الثور طعن الكلب فخرج قرنه من الجنب الآخر ، ثم ذهب به ، فبقى الثور وحده ، وليس
معه أحد ، فنسبه القرن منتظماً للكلب بسفود فيه شواء قد ترك ليس غشده أحد . والفسيان فى
كلام العرب : الترك . و (شرب) : قوم يشربون ، واحدهم شارب ، مثل صاحب وجعب .

- ١٧ فَظَلَّ يَعْجَمُ أَعْلَى الرُّوقِ مُنْقَبِضًا فِي حَالِكِ اللَّوْنِ صَدِيقٌ غَيْرِ ذِي أَوْدٍ
١٨ لَمَّا رَأَى وَاشِقُّ إِقْعَاصٍ صَاحِبِهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقِيلٍ وَلَا قَوْدٍ
١٩ قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ : إِنِّي لَا أَرَى طَمَعًا وَإِنَّ مَوْلَاكَ لَمْ يَسْلَمْ وَلَمْ يَصْد
* * *
٢٠ فَتَلَكَ تُبْلَغُنِي النِّعَانُ ، لِمَنْ لَهُ فَضْلًا عَلَى النَّاسِ فِي الْأَدْنَى وَفِي الْبَعْدِ
٢١ وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشَبِّهُهُ وَلَا أَحَاشَى مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ
٢٢ إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْإِلَهُ لَهُ : قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنْ الْقَنَسِدِ

- (١٧) قوله : (فظل يعجم) ، أى ظل الكلب يوضع أعلى الروق حيث أنفذه به ، فهو يعض في حالك اللون ، يعنى القرن . والصدق : الصلب . والأود : الاخراج . وقوله : (منقبضا) ، أى قد تقبض الكلب واجتمع في القرن لما يجرد من الوجع .
- (١٨) قوله : (لَمَّا رَأَى وَاشِقُّ إِقْعَاصٍ صَاحِبِهِ) ، واشق : اسم كلب آخر . وقوله : (وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقِيلٍ وَلَا قَوْدٍ) ، ضرب هذا مثلا ، يعنى أن صاحبه قتل — وهو ضمران — فلم يقتل به ولم يود . والعقل : غرم الدية . والقود : قتل النفس بالنفس .
- (١٩) قوله : (قَالَتْ لَهُ النَّفْسُ) ، أى حدثت واشقا نفسه باليأس من الثور أو من صاحبه . والمولى : الصاحب ، قتلت كلايه فلم يسلم ولم يصد .
- (٢٠) قوله : (فَتَلَكَ تُبْلَغُنِي النِّعَانُ) ، أى تلك الناقة التى تشبه هذا الثور فى قوته ونشاطه تبغنى النعمان ، وهو اسم الملك . وقوله : (فِي الْأَدْنَى وَفِي الْبَعْدِ) ، أى فى القريب والبعيد .
- (٢١) قوله : (وَلَا أَرَى فَاعِلًا) ، أى لا أرى أحدا يفعل فعلا كريما يشبهه فى فعله . وقوله : (وَلَا أَحَاشَى) ، أى لا أستثنى .
- (٢٢) قوله : (إِلَّا سُلَيْمَانَ) استثناء من القوم المنفى هتتم شبه النعمان . وقوله : (فَاحْدُدْهَا) ، أى امنعها . و(القند) : الخطأ فى القول والفعل وغير ذلك .

الجزء الأول

٣٩٧

- ٢٣ وَخَيْسَ الْجَنِّ ؛ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ يَنْبُونَ تَدْمَرُ بِالصَّفْحَاجِ وَالْعَمَدِ
 ٢٤ قَمْنٌ أَطَاعَكَ فَانْقَعَهُ بِطَاعَتِهِ كَمَا أَطَاعَكَ ، وَأَدَّلَّهُ عَلَى الرَّشْدِ
 ٢٥ وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقِبَةً تَنْهَى الظُّلُومَ وَلَا تَقْعُدْ عَلَى ضَمَدٍ
 ٢٦ إِلَّا لِلْمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ سَبَقَ الْجَوَادُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ
 ٢٧ أَعْطَى لِفَارِهِةٍ حُلِيَّ تَوَابِعُهَا مِنْ الْمَوَاهِبِ لَا تُعْطَى عَلَى نَكِدٍ
 ٢٨ الْوَاهِبُ الْمَائَةِ الْمَعْكَاءَ زَيْنَهَا سَعْدَانُ تَوْضِحَ فِي أَوْبَارِهَا اللَّبَدُ

(٢٣) قوله : (وخيس الجن) ، أى ذلهم ، ومنه سمي السجن نخيسا . و (الصفحاج) : حجارة كالصفائح مراض . و (تدمر) : مدينة بالشام ، فيها بناء لسليان بن داود ، عليهما السلام . و (العمدة) : أساطين الرخام ، وهى السوارى .

(٢٤) الرشد : الرشدة ؛ كما يقال : بجئل وبجئل ، وشغل وشغل .

(٢٥) الضمد : الذل والنفذ والحقد ، وقيل : هو الظلم .

(٢٦) حكى عن الأصمعي أنه قال : (إلالمك) ، أى إلا لرجل فى مثل حالك أو من فضلك عليه ؛ كفضل السابق على المصلى ، أى ليس بينك وبينه فى الفضل إلا يسير ، بمقدار ما بين السابق والمصلى من التحليل . ومعنى استولى عليه : قلبه . والأمد : الغاية التى يجرى إليها . أراد النابغة حض النعمان على أن يقعد عنه ، ولا يضمر له حقدا ؛ لأنه ليس مثله ولا قريبا منه .

(٢٧) الفارحة : الناقة الكريمة ، أو العطية الحسنة . و (توابعها) : ما تبعها من المطايا . و (نكدها) : الضيق والعسر ، ويروى : (لا تعطى على حسد) ، أى لا تعطى ونفسك تنبذ العطية وترقب فيها .

(٢٨) قوله : (الواهب المائة المعكاء) ، يعنى أنه يهب المائة من الإبل ، والمعكاء : السمان الشداد ، وهو اسم لا يثنى ولا يجمع . والسعدان : نبت من أنجع ما ترعاه الإبل ، ومنه قيل : (مرعى ولا كالسعدان) . وتوضح : موضع بالحلى ، وكانت إبل الملوك ترعاه ؛ فلذلك ذكره . وقوله : (فى أوبارها اللبد) ، يريد أنها إبل سائمة مهملة فى المرعى ، لا تستعمل ظهورها ، فأوبارها متلبدة لذلك . واللبد : جمع لبدة ، التقدير يريد أوبارها ذات اللبد .

- ٢٩ والأَدمَ قد خَيَّستُ فُتلاً مرافقها مَشْدُودَةً بِرِحالِ الحِيرةِ الجُدِّ
٣٠ والرا كضاتِ ذُبُولِ الرِّيطِ فانقها بَرْدُ المَواجِرِ كالغزلانِ بالجرَدِ
٣١ والخيلَ تَمزُجُ غَرَباً في أَعينها كالطيرِ تَجُوبُ مِنَ الشَّوْبِ بوبِدى البَرَدِ

* * *

- ٣٢ احْكُمْ حَكْمَ فِئاةِ الحِىِّ إِذا نَظَرْتُ إِلى حَمائمِ شِراعٍ وارِدِ التَّمَدِّ
٣٣ يَحْفُفُهُ جَانِباً نَيْقٍ وَتُتَبَّعُهُ مِثْلَ الرِجاجةِ لَمْ تُكْجَلْ مِنَ الرَّمَدِ

(٢٩) الأَدمَ من الإبل : البيض ، ومن النساء : السمر . ومعنى (خيست) : ذلت بالركوب .
والقتل : التي بانت مرافقها عن آباطها . والحيرة : مدينة النعمان .

(٣٠) قوله : (والرا كضات ذبُول الريط) ، يعنى الجسوارى يركضن بأرجلهن ماخر الريط ؛
لسبب طين ، وتبخرن فيه . والريط : الملاحف البيض . ومعنى (فانقها) : نعم عيشها . وقوله :
(برد المَواجِر) ، أى هى فى المَواجِر فى موضع بارد ؛ فلا يؤذيها وهج الشمس . والجسرد : أرض
جرداء لا شجر فيها ولا نبات ؛ وإنما خصه لأن الغزلان إذا كانت به بدت محاسنها للناسر ، ولم يحجبها
عنه شئ .

(٣١) يقول : هو يهب المائة الممكاة ، ويهب الرا كضات ، ويهب الخيل . وقوله : (تمزج) ،
أى تسرع فى سيرها . والغرب : الحسدة والنشاط . وشبه الخيل فى سرعتها بطير أصابها مطر شديد فيه
برد ؛ فهى تنجو وتسرع إلى مواضع تقيها من المطر والبرد . والشوبوب : دفعة المطر وشدة .

(٣٢) قوله : (احْكُم) ، أى كن حكماً فى أمرك ، مصيباً فى رأى ، ولا تقبل من سعى
إليك ؛ كفتاة الحى إذا أصابت ووضعت الأمر موضعه ، ولم يرد الحكم فى القضاء . والتَّمَدِّ : الماء
القليل . والشراع : القاصدة إلى الماء . حكى أن فتاة الحى هى زرقاء البمامة .

(٣٣) قوله : (يحففه جانباً نيق) ، أى يحيط به من جانبيه . والنيق : الجبل . وقوله :
(وتبَّعه مثل الرجاجة) ، أى عينا صافية كصفاء الرجاجة . ومعنى قوله : (لم تكجل من الرمء) ،
أى لم يصبها رمء فتكجل ، ويحتمل أن يريد أنها كملت بغير رمء ؛ لزيئة أو نحوه .

الجزء الأول

٣٩٩

- ٣٤ قالت : أَلَا تَبَيَّنَ هَذَا الْجَمَامُ لَنَا إِلَى حَامَتِنَا وَنَصْفِهِ فَقَسِدِ
٣٥ فَخَسِبُوهُ فَأَلْفَوْهُ كَمَا حَسِبَتْ تَسْعًا وَتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ
٣٦ فَكَلَّكَ مَائَةٌ فِيهَا حَامَتُهَا وَأُسْرَعَتْ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ
٣٧ فَلَا لَعْمُرُ الَّذِي مَسَحَتْ كَعْبَتَهُ وَمَا هُرِيقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
٣٨ وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ يَمْسَحُهَا رَكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ
٣٩ مَا قُلْتُ مِنْ سَيِّئٍ مِمَّا أُتَيْتُ بِهِ إِذَا فَلَا رَفْعَ سَوْطِي إِلَى يَدِي
٤٠ إِلَّا مَقَالَةً أَقْوَامٍ شَقِيتُ بِهَا كَانَتْ مَقَالَتُهُمْ قَرَعًا عَلَى الْكَيْدِ

(٣٤) قوله : (فقد) ، أى حسبي ، موضعه من الإعراب الرفع على المبتدأ .

(٣٥) يقول : حسبوا القطا وضجروا إليه نصفه ، فألفوه تسعا وتسعين ، كما حسبت .

(٣٦) قوله : (وأسرعت حسبة) ، أى أسرعت في حساب القطا مع طسيرانه وتراكمه ، فكان ذلك تحكما هذه ؛ إذ صدقت في عدده على هذه الحال . والحسبة — بالكسر — مثل الجلسة والركبة ، وهى هيئة الفعل . والحسبة — بالفتح — المرة الواحدة .

(٣٧) قوله : (مسحت كعبته) ، أى أتيت بيته وطقت به ، والكعبة : كل بيت مربع ، وبه سميت الكعبة . والأنصاب : حجارة كانوا يلجئون عليها الذبايح لألهتهم . والجسد : الدم اللازق (اللاصق) .

(٣٨) العائذات : التى عاذت بالحرم . والشاعر يقسم بالله الذى أمن الطيور العائذة بالحرم أن تهاج أو تصاد . ونصب (الطير) على البدل من العائذات ؛ لأنها مفعولة بالمؤمن . و (الغيل) : الشجر الملتف ، وكذلك (السعد) . وقوله : (يمسحها) ، أى يبرون عليها ، لا يهيجها أحد ولا ينفرها .

(٣٩) قوله : (ما قلت من سيئ) جواب قوله : (فلا لعمر الذى مسحت كعبته) . وقوله : (فلا رفعت سوطى إلى يدي) ، يقول : إذا نزلت يدي حتى لا أطيق رفع السوط .

(٤٠) قوله : (إلا مقالة أقوام) ، نصبها على الاستثناء المنقطع ، والمعنى : ما قلت شيئا مما أتوك به عنى ، لكنهم قالوا مقالة شقيت بها عندك . وقوله : (قرعا على الكبد) ، أى اشتدت على مقالتي ، فكأنها قرعت كبدى بذلك .

- ٤١ أَنِّيئْتُ أَن أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَوَّارَ عَلَى زَائِرٍ مِنَ الْأَسَدِ
٤٢ مَهْلًا فِدَاءَ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ وَمَا أَثْمَرُ مِنْ مَالٍ وَمَنْ وَلَدَ
٤٣ لَا تَقْدَفَنِي بُرْكَينَ لَا كِفَاءَ لَهُ وَإِنْ تَأْتَفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ
٤٤ فَا الْفَرَاتُ إِذَا هَبَّ الرِّيحُ لَهُ تَرْمِي غَوَارِبُهُ الْعِيبِينَ بِالزَّبْدِ
٤٥ يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُسْتَرَجٍ لِحِبِّ فِيهِ رُكَامٌ مِنَ الْيَبُوتِ وَالْخَضَدِ
٤٦ يَظُلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَّاحُ مُعْتَصِمًا بِالْخَيْزُرَانَةِ بَعْدَ الْأَيْنِ وَالنَّجْدِ

(٤١) أبو قابوس هو النعمان بن المنذر . ومعنى (أوعدني) هددني . وزار الأسد وزميره :
صوته ووعيده . يقول : وعيد النعمان لا تستقر معه نفسى ولا تطمئن ؛ هيبة له ، كما لا تطلق ولا تسكن
على زفير الأسد .

(٤٢) قوله : (مهلاً فداء لك) ، أى تبت فى أمرى ولا تعجل على . وقوله : (وما أثمر
من مال) ، أى أكثر وأصلح ، يقال : ثمراته ماله ، أى كثره .

(٤٣) قوله : (لا تقذفنى بركن لا كفاء له) أى لا ترمينى بنفسك ؛ فإنه لا مثل لك ، وإنما
ذكر الركن كناية عن الشدة والقوة . وقوله : (تأففك) ، أى اجتمعوا حولك ، مثل الأتافي ،
متعاونين على . و(الرفد) : أن يترافد عليه أعداؤه الذين رشوا به ، أى يتعاونون عليه .

(٤٤) قوله : (فا الفرات) ، يقول : ليس هذا النهر بأجود منك . والغوارب :
الأمواج ، وغارب كل جسم : ما ارتفع منه وهلا . وعبرا النهر : جانباه . والزبد : ما يطرحه
النهر ، إذا جاش مائه ، واضطربت أمواجه .

(٤٥) قوله : (يمدده كل واد) ، أى يزيد فيه ويقويه . والمسترج : المخلو . والحبب :
المصوت ؛ لشدة جربه وقوة سيله . والركام : ما تراكم بعضه على بعض ، أى تراكب . واليَبُوت
والخضد : يَبْنان ، وقيل : اليَبُوت شجر الخروب ، وقيل : الخضد : كل ما تكسر من الشجر وغيره .
(٤٦) قوله : (يظل من خوفه) ، أى من مخوف الفرات ؛ لاضطراب أمواجه ،
وشدة هوله . والمعتصم : المستمسك . والخيزرانة ها هنا : سكان السفينة . والأين : الإعياء .
والنجد : المرق والكرج .

الجزء الأول

٤٠١

- ٤٧ يوماً بأجود منه سيب نافلة ولا يحول عطاء اليوم دون غد
 ٤٨ هذا الثناء فإن تسمع به حسناً فلم أعرض - أبيت اللعن - بالصفد
 ٤٩ ها إن ذى عذرة إلا تكن نفعته فإن صاحبهما مشارك النكد

- (٤٧) قوله : (يوماً بأجود منه) متصل بقوله : (فإلّا) . والسبب : العطاء .
 والنافلة : الفضل ، وكل شيء ليس بواجب فهو نافلة ؛ وإنما خص النافلة لبإلغ في المدح ، لأنه
 إذا أكثر من غير الواجب فهو أجدر أن يكثر من الواجب . وقوله : (دون غد) ، أى إذا
 أهلك اليوم لم يمنعه ذلك من إعطائك غدا عطية أخرى .
 (٤٨) قوله : (أبيت اللعن) ، هى تحية كانوا يحيون بها الملوك ، ومعناه : أبيت أن تأخذ
 من الأمور ما تدم به . والصفد : العطاء . فعله : أصفدته إصفاداً ، والصفد الاسم . وقوله :
 (فلم أعرض) ، أى لم أمدحك ؛ تعرضاً لمعرفتك ، لكن احتذاراً إليك ، وإقراراً بفضلك .
 (٤٩) قوله : (ها إن ذى عذرة) ، أى هذه معذرة إليك . والنكد : العسر .

* * *

سعد درویش

(٤)

اعتذارية

* * *

قال يمدح النعمان ويعتذر إليه :

- ١ أَنَانِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنَا لَمْ تُنَنِي
 - ٢ فَيْتُ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَوَشَنِي
 - ٣ حَلَقْتُ فَلَمْ أَتُرِكَ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً
 - ٤ لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلَغْتَ عَنِّي خِيَانَةً
 - ٥ وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا إِلَى جَانِبُ
 - ٦ مَلُوكُ وَإِخْوَانُ إِذَا مَا أَتَيْتُهُمْ
- وتلك التي أَهَمَّتْ مِنْهَا وَأَنْصَبُ
هَرَّاسًا بِهِ يُعَلِّي فِرَاشِي وَيُقَشِّبُ
وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلرَّءِ مَذْهَبُ
لَمِيلُكَ الْوَاشِي أَغْشَى وَأَكْذَبُ
مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ

(١) قوله : (أَبَيْتَ اللَّعْنَ) ، أى أبيت أن تأتي أمرا تلحق علي . وقوله : (وتلك التي أَهَمَّتْ مِنْهَا وَأَنْصَبُ) ، أى تلك العلامة جعلتني ذا هم وذا نصب ، أى ذا عنا . ومشقة .
(٢) العائدات : الزائرات في المرض . الهراس : الشوك . يقشِب : يجدد ويتعاهد بالشوك .
(٣) الريبة : الشك . وقوله : (وراء الله) ، أى ليس بعد البين بالله — عز وجل —
للرء مذهب .

(٤) قوله : (لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلَغْتَ عَنِّي خِيَانَةً) ، أى لئن بلغت عني أني أخون ودك وأكفر نعمتك ؛ فالقدي بلغك ذلك ، ووشتي به إليك أغش وأكذب . والواشي : النمام الذي يزين كذبه عندك ، وأصله من الوشي .

(٥) قوله : (لِي جَانِبُ مِنَ الْأَرْضِ) ، أى متسع وتمكن ؛ وإنما يصف ذهابه إلى النعاسة ومنزله فيهم . والمستراد : الإقبال والإدبار . والمذهب : موضع الذهاب . وإنما يصف بهذا أسعة حاله وتمكنها .

(٦) قوله : (مَلُوكُ وَإِخْوَانُ) ، يعنى النعاسة ، وكان قد حل بهم حين فر من النعمان فأكرموه وقرّبوا منزله .

- ٧ كَفَعْلَكَ فِي قَوْمِ أَرَاكَ اصْطَفَيْنَهُمْ فَلَمْ تَرْهُمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنَبُوا
٨ فَلَا تَتْرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنِّي إِلَى النَّاسِ مَطْلٌ بِهِ الْقَارُ أَجْرُبُ
٩ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةَ تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَّبُ
١٠ فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَاكِبُ
١١ وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُزْهُ عَلَى شَعَثٍ ، أَيْ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ ؟
١٢ فَإِنَّ أَكْ مَظْلُومًا فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ وَإِنْ تَكُ ذَا عُنْبٍ فَشُكْلُكَ يُعْتَبُ

(٧) أى فعلت فى القصاص ما أوجب لهم مدحى وثنائى ، كما فعلت أنت فى قوم اصطفتهم وأحسنت إليهم ، فنبئنى ألا ترائى مذنباً فى شكر ذلك لهم ، كما لا ترى من اصطفته فيشكره مذنباً فى شكره لك .

(٨) أى لا تدعنى كأنى بعير أجرب قد طلى بالقار ، وهو القطران ، يطاماه الناس ويطردونه من إبلهم ، ولئلا يعديها بحريه ، وإنما يريد أنه إن لم يعف عنه تحامته العرب ولم تجره ، خوفاً من النعمان . وقوله : (كأننى إلى الناس) ، أى كأننى فى الناس . وقوله : (مطلى به القار) ، أى مطلى بالقار فقلب .

(٩) السورة : المزة الرفيعة . وقوله : (يتذبذب) ، أى يضطرب ، وإنما يريد أن ساقط الملوكة دون منزلته .

(١٠) قوله : (فإنك شمس والملوك كواكب) ، يعنى أن منزلته من الملوك كمنزلة الشمس من الكواكب ، فإذا ذكر ونشرت ما أثره لم يذكر غيره .

(١١) قوله : (لا تلمزه) ، أى لا تصلح من أمره وتجمعه . والشعث : الفساد والنفوق . والمهذب : المنقى من العيوب . يقول للنعمان : إن لم تصبر للأخ والصديق على خصلة غير مرضية تكون فيه لم تبق لنفسك أخا .

(١٢) قوله : (وإن تك ذا عُنْبٍ) ، أى ذا رضا ورجوع إلى ما أحب من عفوك فنلك يعتب ؟ يقال : عتب الرجل إذا شخط ، والاسم منه العتب والعتاب . واعتب إذا رضى ، والاسم العتبى والمصدر الإعتاب .

* * *

سعد درویش

(٥)

اعتذارية أخرى

* * *

وقال من قصيدة أخرى يمدح فيها النعمان ويعتذر إليه :

- ١ وَعَيْدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَنَا نِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ
- ٢ فَبِتْ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَبْلَةً مِنَ الرُّقِيشِ فِي أُنْيَايَا السَّمِّ نَاقِع
- ٣ يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لَحْلَى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِع
- ٤ تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ مَمِّهَا تُطَلِّقُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُرَاجِع

- (١) قوله : (في غير كُنْهِهِ) : في غير حقيقته . أى لم أكن بلغت ما ينضب على فيه ، ويوعده من أجله . و(راكس) : واد . و(الضواجع) : جمع ضاجة ، وهى منحنى الوادى ومنعطفه .
- (٢) قوله : (ساورتني) ، أى واثبتني . والضبلية : حية دقيقة قد آتت عليها سنون كثيرة ، فقل لحما ، واشتد سمها . والرقيش : التى فيها نقط ، سواد وبهاض . وناقع : ثابت .
- (٣) قوله : (يسهد من ليل التمام) ، أى يمنع النوم ، وليل التمام : أطول ليل إلى الشتاء ، وليل التمام أيضا : الذى يطول على من قاماء وإن قصر . والسليم : الممدوخ ، سمى بذلك على التفاؤل له بالسلامة ، كما سميت الفسلة المهلكة مفازة على التفاؤل للقوم بالقوز والنجاة . وقوله : (لحلى النساء في يديه قعاقع) قال أبو عمرو وغيره : كان العرب يفعلون بالدينغ ذلك لئلا ينام فيدب السم فيه . والقعاقع : الحركة والصوت .
- (٤) قوله : (تنازرها الراقون من سوء ممها) أى أنذر بعضهم بعضا ، لأنها لا تحبب راقيا ، لشدها . وقوله : (تطلقه طورا) ، أى تخفف عنه مرة ، ومرة تشد عليه ، وكذلك حال الدينغ .

- ٥ أتانى - أبَيَّتَ اللَّعْنَ - أَنْكَ لَمُتْنِي وتلك التى تَسْتَكُّ منها المِسامِعُ
٦ مَقَالَةٌ أَنْ قَدْ قَلَّتْ سَوْفَ أَنَالَهُ وذلك من تِلْقَاءِ مِثْلِكَ رَائِعٌ
٧ لَعَمْرِي وما عَمَرِي عَلَى بَيِّنٍ لقد نَطَقْتُ بَطْلًا عَلَى الْأَفَارِيعِ
٨ أَفَارِيعُ عَوْفٍ لَا أَحَاوِلُ غَيْرَهَا وَجُوهٌ قُرُودٍ تَبْتَنِي مَنْ تُجَادِعُ
٩ أَتَاكَ امْرُؤٌ مُسْتَبِطٌ لِي بِغَضَّةٍ لَهُ مِنْ عَدُوٍّ مِثْلَ ذَلِكَ شَافِعٍ
١٠ أَتَاكَ بِقَوْلٍ هَلْهَلِ النَّسِجِ كَاذِبٍ وَلَمْ يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعٍ

(٥) قوله : (وتلك التى تستك منها المِسامِعُ) ، أى تلك المِسلامة التى آتتْ هُناك أصمّت مِسامعى . ومعنى (تستك) ، أى تشد وتضيق فلا تسمع ، وواحد المِسامِعِ مِسمع ، وهو الأذن .

(٦) قوله : (مَقَالَةٌ) بيان لقوله : (أَنْكَ لَمُتْنِي) ، ويدل منه ، ويجوز نصبها ورفعها . وقوله : (وذلك) إشارة إلى معنى الجملة ، كأنه قال : وذلك القول رائع من تلقاء مثلك .

(٧) قوله : (لَعَمْرِي) ، قال بعضهم : لعمري ، والمعروف أن معناه البقاع ، وإنما حلف بها لأنها يمين كثرت في الاستعمال ، وليس قصده أن يقسم ببقائه . البطل والباطل بمعنى واحد . وأراد بالأفاريع بنى قريع بن عوف ، وهم من بنى تميم ، وكانوا قد وشوا به إلى النعمان ، وذكروا أنه يصف في شعره المتجردة .

(٨) قوله : (لَا أَحَاوِلُ غَيْرَهَا) أى لا أريد هجاء غيرهم . ومعنى : (تُجَادِعُ) تشاتم ، وإنما استعاره من جدع الأنف ، ونصب (وجوه قُرود) على الِذَمِّ ، ويجوز رفعها على القطع .

(٩) قوله : (مُسْتَبِطٌ لِي بِغَضَّةٍ) أى مضمرها . وقوله : (مِثْلَ ذَلِكَ) ، أى مثل ذلك الرجل المستبطن . والشافِعُ : المعين ، وأصله من الشافع ، وهو الثاني .

(١٠) قوله : (هَلْهَلِ النَّسِجِ) ، أى أتاك بقول ضعيف باطل ، بمنزلة الثوب المهلهل ، وهو الذى نسج ونخف ولم يحكم . وقوله (كَاذِبٍ) ، أى مكذوب فيه . والناصع : الواضح البين ، وأصل الناصع : الغالض الياض .

- ١١ أناك بقول لم أكن لأقوله ولو كُليت في ساعدى الجوامع
١٢ حلفت فلم أترك لنفسك ريبه وهل يأتمن ذو إمة وهو طائع
١٣ بمصطحيات من لصاب وثيرة يزرن إلا لا سيرهن التدافع
١٤ سماءا تبارى الريح خوصا عيونها لمن رذايا بالطريق ودائع
١٥ عليهن شعث عايدون لمجيهم فهن كأطراف الحنى خواضع

(١١) قوله : (ولو كُليت في ساعدى الجوامع) ، أى لو كنت مجنوناً حتى أشهد بالحديد ما قلت ما بلغنى . وقوله : (كُليت) ، أى جمعت وشدت ؛ من الكيل وهو القيد . والجوامع : الأطلال ، والواحدة جامعة .

(١٢) الريبة : الشك . والأمة والإمة : الدين والطريقة المستقيمة . يقول : حلفت فلم أترك لنفسك شكاً في صدق ، وحلفت وأنا لك طائع ذو دين واستقامة .

(١٣) قوله : (بمصطحيات) ، يعنى الإبل ؛ وإنما أقسم بها لأنها تصطحب في السير إلى الحج ، ففعلها لذلك وأقسم بها . ولساف وثيرة : موضعان في بلاد بني تميم . وإلال : جبل عن يمين الحاج إذا وقت بعرة . وقيل لإلال جبل عرفة نفسه . وقوله : (سيرهن التدافع) ، أى أنهن يتراجعن في السير ويتدافعن لمرعتهن وشدة سيرهن .

(١٤) السماء : طيور تشبه المائى ، شديدة الطيران ، شبه الإبل بها في سرعتها ، ونصبها على الحال من الضمير (يزرن) ، أى : يزرن إلا لا معرطات مثل السماء في السرعة . وقوله : (تبارى الريح) ، أى تعارضها لمرعتها ، وقوله : (خوصا عيونها) أى غائرة العيون من الجهد والعناء ، ونصبه على الحال من الضمير الذى (تبارى) . والمعنى أنها تبارى الريح في حال جهدها وغور عينيها ، ويقال : إن غور عين الناقة من صفات الكرم ، و(خوصا) على هذا من نعت السماء لاحتال من الضمير . والرذايا : الساقطة . و(ودائع) : قد استودعت الطريق ، أى تركت فيه لإهباتها .

(١٥) قوله (عليهن شعث) ، أى متغيرون من السفر . وقوله : (كأطراف الحنى) ، يريد أنها ضامرة دقيقة من شدة السير والجهد معوجة ، والحنى : القنى ، واحداً حنية ؛ سميت بذلك لأنها معطوفة الطرفين . وقوله : (خواضع) أى خواضع من الجهد .

الجزء الأول

٤٠٧

- ١٦ لَكَلَّفَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وَتَرَكْتَهُ كَذِي الْعُرْيُكُوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَائِعٌ
١٧ فَإِنْ كُنْتُ لَأَذُو الضَّغْنِ عَنِّي مَكْذِبٌ وَلَا حِلْفِي عَلَى الْبَرَاءَةِ نَافِعٌ
١٨ وَلَا أَنَا مَأْمُونٌ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ وَأَنْتَ بِأَمْرٍ لَا حِمْلَ لَاقِعٌ
١٩ فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلْتُ أُنْثَى عَنْكَ وَاسِعٌ
٢٠ خَطَاطِيفُ مُجَنَّ فِي حَبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدِي إِلَيْكَ نَوَازِعُ
٢١ أَتَوَعَّدُ عَبْدًا لَمْ يَخُنْكَ أَمَانَةٌ وَتَرَكُ عَبْدًا ظَالِمًا وَهُوَ ضَالِعٌ

(١٦) قوله : (لكلفني) جواب لقوله : (حلفت) . المر : داء . يصيب الإبل ، فإذا أرادوا أن يعالجوه كورا بعيرا آخر صحبها ؛ فبإذن ذلك البعير . هكذا حكى من فصحاء العرب من حمل منهم الرواة . وكان أبو عبيدة يقول : هذا لا يكون ، وإنما هذا مثل ، أي أخذني بذنب غيري ، وهذا كما قال الناس : يشرب عجلان ويسكر ميسرة (ولم يكونا شخصين موجودين) . وكذلك قول الشاعر : « كالنور يضرب لما عافت البقر » ، فقد قال فيه أبو عبيدة : إنما هذا مثل ، وهذا لا يكون ، وحكى غيره أنه يضرب ليتقدم إلى الماء ، فإذا أرادته البقر تقدمت معه فشربت .

(١٧) الضغن : الحقد والعداوة .

(١٨) قوله : (ولا أنا مأمون) متعلق بقوله : (فإن كنت لأذو الضغن) ، وليس بمستأنف ، (١٩) قوله : (فإنك كالليل) ، أي أنا في قبضتك حيث كنت وإن بعدت عنك ، فأنك كالليل الذي يدركني ويشملني بظلامه أينما وجهت . والمتأى : الموضع الذي يتأوى فيه ، أي يتقاعد . (٢٠) الخطاطيف : جمع خطاف . والمجن : جمع أجن وهو الموج . وقوله : (نوازع) ، أي جواذب ، ويقال : نزع من البئر دلوا أو دلوين ، إذا جذبتهما . يقول : ضاقت الدنيا على فكأن في بئر ، فأنا أهر بالخطاطيف إليك وأجذب ، وهذا مثل ضربه لقوة سلطانه . (٢١) قوله : (أتوعد عبدا) من الوعيد . وقوله : (ضالع) ، أي مائل عن الحق جائر ، ويروى : (ظالم) بالفاء ، وهو أيضا الجائر المذنب .

٢٢ وَأَنْتَ رَبِّعُ نَعِيشِ النَّاسِ سِيدهُ وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ الْمُنْيَةُ قَاطِعُ
٢٣ أَبِي اللَّهِ إِلَّا عَدْلَهُ وَوَفَاءَهُ فَلَا التَّكْرُمَ مَعْرُوفٌ وَلَا الْعُرْفُ ضَائِعُ
٢٤ وَتُسْقَى إِذَا مَا شِئْتَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ بَزُورَاءَ فِي حَافَاتِهَا الْمِسْكُ كَانِعُ

- (٢٢) السيب : العطاء . يقول : أنت سيب لأوليائك تمنعهم ، وسيف على أعدائك تهلكهم .
(٢٣) قوله : (أبي الله إلا عدله ووفاءه) ، يحتمل أن تكون الهاء من قوله (عدله ووفاءه)
عائدة على اسم الله جل وعز ، أى أبي الله إلا أن يعدل بين عباده ، وبنى لهم بما وعدهم وأوعدهم
به . ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على النعمان ، أى أبي الله إلا أن يعدل النعمان وبنى .
(٢٤) قوله : (وتسقى إذا ما شئت غير مصرد) ، هو في مذهب الهداء وليس بخبر .
وقوله : (غير مصرد) ، أى غير مقلل ، وقيل : غير ممنوع ولا مقطوع عليك . والمصرد :
شرب دون الرى . ويرى : (غير مصرد) يكسر الزاء ، اسم فاعل : أى غير مقلل للشرب
ولا قاطع له . ونصب (غير) في الرواية الأولى على المفعول الثاني للفعل (تسقى) ، والتقدير :
وتسقى شرباً غير مصرد ، ونصبها في الرواية الثانية على الحال من الضمير في (تسقى) ، أى تسقى
وأنت غير مقلل للشرب . والزوراء : كأس مستطيلة من فضة . وحافاتها : نواحيها . والكانع :
الذاتى بعضه من بعض .

* * *

سجل درویش

الأسود بن يعقرب

* * *

شاعر جاهل مشهور ، لقب أغشى نهشل حيث كُفَّ بصره عندما أحن ،
كان ينادم النعمان بن المنذر ، وكان أخوه حطائط وابنه الجراح شاعرين .
كُنِيَ بأبي نهشل وأبي الجراح ، وآه أبو الفرج شاعرا مقلدا من متقدمي
فصحاء الجاهلية ، وسجّله ابن سلام ضمن شعراء الطبقة الخامسة من فحول الجاهلية
وأعجب من فنه الشعري بقصيدة طويلة ألحقها بأجود الشعر الجاهلي .

وفي قصيدته الدالية يبدو الشاعر حزينا منذ مطلعها حيث نام الخلى ليترك له
السهر والأرق وقد سيطرت عليه المموم وسدت عليه مسالك حياته وكأنها قد
تحالفت عليه مع المنية التي راحت تهدده أينما اتجه .

وهو لا يكاد يصمد أمام ظاهرة الفناء على هذا النحو إلا من خلال ما يجده
من وسائل العزاء حين يبكي « آل محرق » وغيرهم من أصحاب القصور العريقة
وكيف تركوها واستسلموا للزمن ولم يبق أمامهم إلا الانهزام والانسحاب اعترافا
بسطوته مما يجعل من وسائله هو الآخر أن يسلك نفس السبيل .

ومع لام الواقع التي يصورها مجسدة من خلال الآثار البالية ، وأطلال
الأقوام ، تعود به ذاكرته الفاعلة وخياله إلى الماضي ، ليلتقط من مشاهد ما كانت
تنعم به حياتهم من خيرات أسعدتهم ، ورفعت مكاتهم بين بقية الأقوام وميزت
حضارتهم عن غيرها من الحضارات .

ويتخذ الشاعر من صور الماضي حين يسندھا إلى هؤلاء ومن صور
حاضرهم وقد سيطر علیها البلى ، يتخذ منها جميعا — على تناقضها — معادلا
موضوعيا يسقط من خلاله آلامه النفسية الحزينة التي التمس لها ما يوازئها ويسهل
لھا مهمة الغزاء والتسلی عن ضغوط الحياة وكثرة همومها .

ومن هنا راح يطرح صور الماضي والحاضر في حياته كما عاشها بعد أن أطمأن
إلى تصويرها من « خلال المعادل الموضوعی » وكأنه استطاع بهذا الشكل أن
يظمن إلى طبيعة المقارنة من ناحية ، ومن ناحية أخرى استطاع أن يهدأ إلى هذا
« المعادل » الذي اتخذھ وسيلة لتخفيف أحزانه وآلامه .

وعلى هذا طالت صورة الماضي وتعددت جزئياتھا كما تعددت صور الحاضر ،
والتقى في خياله الشيب والشباب من خلال ذاته كما التقيا من خلال الأقوام التي
اتخذھا « معادلا موضوعيا » يتحاور معه ومن خلاله . مسجلا موقفه من
الحياة والأحياء .

* * *

عبد الله التطاوى

ذكريات وعزاء

* * *

- ١ نام الخليلُ وما أحسُّ رقادِي والهمُّ مُحْتَضِرٌ لَدَيَّ وَسَادِي
- ٢ مِنْ غيرِ ما سَقَمَ وَلَكِنْ شَفَّيَ هَمٌّ أَرَأَهُ قَدْ أَصَابَ فَوَادِي
- ٣ وَمِنَ الْحَوَادِثِ لَا أَبَالِكَ أَنِّي ضَرَبْتُ عَلَى الْأَرْضِ بِالْأَسْدَادِ
- ٤ لَا أَهْتَدِي فِيهَا لِمَوْضِعِ تَلْعَةٍ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَبَيْنَ أَرْضِ مُرَادِ
- ٥ وَلَقَدْ عَلِمْتُ سَوَى الَّذِي نَبَأَنِي أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ
- ٦ إِنْ الْمَنِيَّةَ وَالْحَتُوفَ كَلَّاهُمَا يُوفِي الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادِي
- ٧ لَنْ يَرْضِيَا مِنِّي وَفَاءَ رَهِينَةٍ مِنْ دُونِ نَفْسِي طَارِفِي وَتِلَادِي

- (١) الخلل : الذي تعجبته المصوم تركته هادئاً خالياً منها . لا يحسه : لا يمانيه ولا يجد له أثراً أمامه .
- (٢) من غير ما سقم : بصور مبرره ومبده دون علة واضحة . شفه الوجع : بمعنى أرقعه وأهزله أو أذا به من كثرة ما سيطر عليه .
- (٣) الأسداد : السدود (ج سد) (بصور معاناته وقد غمضت أمامه الأمور فلم يعد يهتدي إلى جهة واضحة وكان المسالك كلها قد سدت أمامه) .
- (٤) أرض مراد : يقصد بها بلاد اليمن . التلعة وجمعها تلاع المناطق المنخفضة في الأودية .
- (٥) ذو الأعواد : جد أكرم بن صيفي من بني أسد بن عمرو بن تميم عرف واحد من المعمرين ومن كرام أهل زمانه .
- (بصور عزته وفقلة الموت عنه دون بقية الناس ، فلو كان ثمة إنسان يعيش فليكن ذا الأعواد هذا الذي يتحدث عنه) .
- (٦) السواد : الشخص . المخارم : الطرق الضيقة بين الجبال مفرداً مخرم .
- (٧) لن يرضيا : يقصد المنية والحنوف . التالذ : الموروث . والطريف : المكتسب أو الجديد .

- ٨ ماذا أُؤْمِلُ بعد آل مُحَرِّقٍ تركوا منازلهم ، وبعد إِيَادٍ ؟
 ٩ أهل الخَوَرَنَقِ والسَّديرِ وبارقٍ والقَصْرَدِي الشُّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادٍ
 ١٠ أرضًا تَخِيرُهَا لِطِيبِ مَقِيلِهَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ أُمِّ دُوَادٍ
 ١١ جرت الرياح على محلِّ ديارهم فكأنَّما كانوا على مِيعَادٍ
 ١٢ ولقد غنوا فيها بأنعم عَيْشَةٍ في ظلِّ مَلِكٍ تَابَتِ الْأَوْتَادُ
 ١٣ نزلوا بأنْقَرَةٍ يسيلُ عليهمُ ماءُ الْغُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادٍ
 ١٤ فإذا النعمِ وكلُّ ما يُلَهِي بِهِ يومًا يصير إلى بَلَى وَنَفَادٍ
 ١٥ في آلِ غَرْفٍ لَوَبَّيْتِ لِي الْأُمَى لوجدت فيهم: لِسُوءَةِ الْعُدَادِ
 ١٦ ما بعد زَيْدٍ في فَتَاةٍ فَرَّقُوا قَتَلًا وَفَقِيًّا بعد حُسْنِ تَأْدَى ؟

(٨) الآل : الأهل . تركوا منازلهم : حلت منهم مالكمهم وديارهم . (يضخم الشاعر حزنه حين يفقد الأمل بعد زوال ملوك الأرض ويراهم عثلين في آل عمرو بن هند رآل إياد) .

(٩) الخورنق : نهر في أرض الكوفة ، وقيل هو اسم القصر للنبان . ومثله قصر السدير . بارق : ماء بالعراق . سنداد : نهريين الحيرة والأبلة .

(١٠) كعب بن مامة الإيادي : واحد من الأجواد الثلاثة . ابن أم دؤاد : يقصد به أبا دؤاد الإيادي الشاعر المعروف .

(١٢) غنوا : أقاموا . المغنى : المنزل . ثابت الأوتاد : راسخ الأسس .

(١٣) أنقرة : موضع يظهر الكوفة أسفل الخورنق نزلته إياد في زمن قديم .

(١٤) يستجيع مشهد النعم الذي ساد عندهم حتى حلت بهم الكوارث التي شغلتهم عنه وصرفتهم عنه ليلاقوا المذلة والزوال .

(١٥) الأمى : الأمثال . غرف : هو مالك الأصغر بن حنظلة بن مالك الأكبر .

العداد : من بعد أسلافًا شريفة . ليجعلها موضع افتخاره .

(١٦) زيد : قبيلة . بعد حسن تأدى : أى بعد تمكثهم وأخذهم آلات النزول وعدده .

- ١٧ فتخيروا الأرض الفضاء لِمَزْهِمٍ ويزيدُ رافدُهُمْ على الرِّفَادِ
١٨ إِمَّا تَرَبَّنِي قَدْ بَلَيْتُ وَغَاضَنِي مَا نِيلَ مِنْ بَصْرِي وَمِنْ أَجْلَادِي
١٩ وَعَصِمْتُ أَصْحَابَ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا وَأَطَعْتُ عَاذِلَتِي وَلَانَ قِيَادِي
٢٠ فَلَقَدْ أَرَوْحُ عَلَى التَّجَارِ مُرَجَّلًا مَذِلًا بِمَا لَيْتَا أَجْيَادِي
٢١ وَلَقَدْ لَهَوْتُ وَلِلشَّبَابِ لَذَاذَةٌ بِسُلَافَةٍ مُزِجَتْ بِمَاءِ غَوَادِي
٢٢ مِنْ تَحْرِذِي نَطْفٍ أَغْنَى مُنْطَقَ وَافَى بِهَا لِدِرَاهِمِ الإِجْتِنَادِ
٢٣ يَسْعَى بِهَا ذُو تَوَمَّتَيْنِ مَشْمَرٍ قَنَاتُ أَنَامِلِهِ مِنَ الْفِرْصَادِ
٢٤ وَالْبَيْضُ تَمْشِي كَالْبُدُورِ وَكَالْدُمَى وَنَوَاعِمُ يَمْشِينَ بِالْأَرْفَادِ
٢٥ وَالْبَيْضُ يَرْمِيَنَّ الْقُلُوبَ كَأَنهَا أَذْحَى بَيْنَ صَرِيمَةٍ وَجَمَادِ
٢٦ يَنْطَقْنَ مَعْرُوفًا وَهَنَ نَوَاعِمُ بَيْضُ الْوُجُوهِ رَقِيقَةُ الْأَكْبَادِ

- (١٧) الفضاء : الواسعة . الرند : العطاء والهباء .
(١٨) بليت : بلغني الشيب ، فذير منى ماقتى من جسمى وأقصنى الكثير من نور بصري .
(١٩) القياد : الزمام . لان : سهل . العاذل : اللام .
(٢٠) التجار : بيوت الخمارين . مرجل : رجل شعره ومنظفه ويضفره .
(٢١) السلافة : الخمر ، وقيل هى خالص الشراب . لذاذة الشباب أو بشاشته : طلافة الوجه .
(٢٢) النطف : الفرطة . ذوقطف : يقصد بائع الخمر من العجم ، منطق : فى وسطه منطقة
(٢٣) التومتان : اللؤلؤتان ، يصور ساقيا من المحبوس . قنات : احمرت . يشبه حمرة لون
الشراب بحمرة لون الفرصاد .
(٢٤) الدى : الصور . النواعم : من ذوات النعمة . الأرفاد : العطايا والهباء .
(٢٥) الأدحى : الموضع الذى تدحوره النعامة لثبيض فيه . فهو يشبه النساء ببيض النعام .
الصريمة : ما انصرف من الرمل : الجهاد : ما صلب من الأرض .
(٢٦) بيض الوجوه : خاليات من العيوب والمسائى . الرقة : النعمة وخفض العيش . ورقة
الكبد : وفور الحظ من الرحمة والاحسان إلى الناس .

- ٢٧ ينطقن مخفوض الحديث تهاماً
٢٨ ولقد غدوت لمازب متعذراً
٢٩ جادت سواريه وأزرت ثيابه
٣٠ بالجوف الأمرات حول مقامير
٣١ بمشمر عتد جهيز شدة
٣٢ يشوي لنا الوحد المدل بحضره
٣٣ ولقد تلوت الظاعنين بمسرة
٣٤ عيرانية سد الربيع خصاصها
٣٥ فإذا ، وذلك لا مهاة لذكره
- فبلعن ماحولن غير تنادى
أخوى المذانب مؤنيق الرواد
نفأ من الصفراء والزباد
فيضارج فقصبمة الطراد
قيد الأوايد والرهان جواد
بشريح بين الشد والإيراد
أجد مهاجرة السقاب جماد
ما يستبين بها مقل قراد
والدهر يعقب صالحاً بفساد

- (٢٧) يصور ما يستمن به من حياء ونجل فمن يخفضن أصواتهن إذا تكلمن فوصلن إلى ما يردن دون رفع أصواتهن دلالة على نعمتين أيضاً .
- (٢٨) المازب : المتنعي ، والمازب : الكلا . متناذر : يتناذره الناس للتعرف منه .
المذانب : مسايل المياه ، الأخوى : شديد الخضرة ، بصور التبت في المذانب .
المؤني : المعجب . الرواد : الذين يدورون في طلب المرضى .
- (٢٩) الصفراء : الزباد : ضربان من العشب . أزود : حاون . : النفا : نبات له زهرة بيضاء .
- (٣٠) الطراد : القناص . الجو : المنطقة من الأرض المبللة .
- (٣١) المشمر : الفرس الطويل القوائم . العتد : الذي عنده عدة للجرى . الجهيز : الكثير .
الأوايد : الوحش من الخيل أو البقر . قيد الأوايد : يقيد الوحش فلا يفوته .
الرهان : ما يدور في السباق . الجواد : الكثير العدر .
- (٣٢) الوحد : الثور أو الحمار الذي ليس له من جنسه نظير حيث يفوق قطراه .
المدل : شديد الفخر والمباهاة . الحضرة : العدو . الشريح : الخلط . الإيراد : أشد الشدة .
- (٣٣) تلامهم : تبعهم . الأجد : المروثة الخلق . السقب : ولد الناقة . الجداد : القوية .
- (٣٤) العيرانية : أنثى الحمار تشبه به في صلابتها وقوتها وسرعته . الخصاصة : الجوع . سد الربيع : خصاصها : أمتها الربيع بعد الهزال .
- (٣٥) لامهاة : لابقاء . يصور ما اقتنع به من شأن الدهر حيث لا يتبع الصلاح إلا بالفساد والتغير بالشر ، والبقاء بالنفاق .

* * *

عبد الله التطاوى

سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ

* * *

هو سلامة بن جندل بن عمرو بن حبيد بن الحارث ، شاعر جاهلي قديم ،
ويظن بعض الباحثين المحدثين أن تكون وفاته بين سنة ٦٠٢ وسنة ٦١٠ ويرجح
لويس شيخوخة سنة ٦٠٨ تاريخاً لوفاته . كان من فرسان العرب المشهورين ،
عرف بجودة وصفه للخيال ومن جيد شعره فيها هذه القصيدة التي بدأها بأسفه
على شبابه ويعبر فيها عن رغبته في العودة السريعة إلى هذا الشباب ، ويصور وجود
قبيلته مفتخراً بها ، ومفتخراً بجوده أيضاً ، كما يبرز اعترازه بقومه في حالتي السلم
والحرب ، ومن قومه ينتقل إلى تصوير بني معد وإهمامهم بقومه ، ثم يعود مرة
ثانية فيفخر بهم وخاصة الفرسان منهم ، ويركز في فخره على الحسب ونجدة
المحتاج في سنوات الجذب والصبر على الشدائد .

وتظل المقدمة هذه القصيدة أهميتها الخاصة ، حيث تجمع بين حديث الشيب
وحديث الشباب ، وإن كانت مقدمة مريضة قليلة التفاصيل تدور حول ضياع
الشباب وانسحابه أمام الشيب في حياة الشاعر ، وتقف عند تصوير طبيعة
الصراع الذي يدور بين ماضيه وحاضره ، وهو صراع ينتهي بانتصار الشيب ،
إذ لا يبقى للشاعر إلا التحسر على الذكريات ومعها بقية آمنيات في عودتها ، وهي
آمنيات تخرج صاحبها من هذا الجلو النفسي الحزين قبل أن يفاجئه المصير المحتوم
الذي يترصده .

* * *

راجع القصيدة في ديوان سلامة بن جندل رواية الأصمعي وأبي عمرو الشيباني تحقيق الدكتور
نفر الدين قباوة ، وفي ديوان المفضليات : المفضلية (٢٢) .

أَوْدَى الشَّابُّ

* * *

- ١ أَوْدَى الشَّابُّ حَمِيداً ذُو التَّعَاجِبِ أَوْدَى وَذَلِكَ شَأْوٌ قَرِيرٌ مَطْلُوبٌ
- ٢ وَلَى حَيْثِيّاً وَهَذَا الشَّيْبُ يَطْلُبُهُ لَوْ كَانَ يُدْرِكُهُ رَكْضُ الْيَعَاقِبِ
- ٣ أَوْدَى الشَّابُّ الَّذِي جَمَدُ عَوَاقِبِهِ فِيهِ نَلْدٌ ، وَلَا لَذَاتٌ لِلشَّيْبِ
- ٤ يَوْمَانِ : يَوْمٌ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ وَيَوْمٌ سَيْرٍ إِلَى الْأَهْدَاءِ تَأْوِيْبِ
- ٥ وَالْعَادِيَّاتِ أَسَاسِي الدِّمَاءِ بِهَا كَأَنَّ أَعْنَاقَهَا أَنْصَابٌ تَرْجِيْبِ
- ٦ مِنْ كُلِّ حَتٍّ إِذَا مَا ابْتَلَّ مُلْبَدُهُ ضَافِي السَّيْبِ أَسِيلُ الْخُلْدِ يَعْجُوبِ
- ٧ لَيْسَ بِأَسْفَى وَلَا أَقْنَى وَلَا سَخِيلِ يُعْطَى دَوَاءٌ قَفِي السَّكْنِ مَرْبُوبِ

- (١) شَأْوٌ قَرِيرٌ مَطْلُوبٌ : سبق لا يسهل إدراكه . أَوْدَى الشيء بمعنى هلك وزال .
- (٢) الْيَعَاقِبِ : ذكور الخيل . يقول : لو كان ركض اليعاقب يدرك الشاب لطلبته .
- (٣) التَّأْوِيْبِ : الرجوع ، ومن معانيه الإيعان في السير السريع . الْأَنْدِيَّةُ : المجالس حيث ملتحق القوم .
- (٤) الْعَادِيَّاتِ : الخيل . الْأَسَاسِي : الدم المراق ، أو ألوان الدم . الْأَنْصَابُ : الحجارة تنصبه لهم الذئج عليها . التَّرجيب : أن تميل النخلة في أحد شقيها فيؤق بجحارة فتدغم بها من الشق المائل .
- (٥) الْحَتُّ : القى لا يجارى . مُلْبَدُهُ : موضع لبده ، محزمه : موضع حزامه . مَعْدَرُهُ : موضع عذاره . السَّيْبُ : شعر الذنب وشعر الناصية . أَسِيلُ : مهبل طويل . يَعْجُوبُ : كثير الجري ، ومنها أيضاً كرم الأصل والنسب .
- (٦) الْقَتْنَا : حدة في الأنف ، وهو مذموم في الخيل . الْأَسْفَى : خفيف شعر الناصية والذنب وهو السفا . سَفَلٌ : مهزول . الْفَقْيُ : الذي يسقى اللبن ويؤثر به دون أهل البيت . الْأَقْنَى : السيل يأتي من بلد مطر إلى بلد غير مطر يشبه به تدفق فرسه في الجرى . الشَّؤْبُوبُ : الدفعة من المطر . الشَّدُّ : العدو .

- ٨ في كل قائمة منه إذا اندفعت منه أساو كفرغ الدلو أثعوب
٩ كأنه يرفئ نام من غنم
١٠ تم الدسيع إلى هاد له يتبع
١١ تظاهر التي فيه فهو محتفل
١٢ يحاضر الجون مخضراً جحافلها
١٣ كم من فقير بماذن الله قد جبرت
١٤ ما يقدم في الهيجا إذا كرهت
١٥ همت معد بنا هما فتنها
١٦ بالمشرف ومصقول أسننها
- منه أساو كفرغ الدلو أثعوب
مستنفر في سواد الليل مذؤوب
في جؤجؤ كدالك الطيب مخضوب
يعطي أساهي من جري وتقريب
ويسبق الألف عقوا غير مضروب
وذى غنى بواته دار محروب
عند الطعان ويخفى كل مكروب
عنا طعان وضرب غير تذيب
صم العوامل، صدقات الأنايب

- (٨) الأساو : الدفات من الجرى . فرغ الدلو : لإزالة الماء منها . أثعوب : سائل متدفع .
(٩) اليرفئ : الراعى الجافى .
(١٠) الدسيع : العنق . يتبع : طول العنق . هادى الشيء : أوله ، والهادى : العنق .
جؤجؤه : صدره . المداك : الصلاة ، أراد أنه أملت .
(١١) التي : الشحم . تظاهر التي : أى ركب بعضه بعضاً . جرى : عدو شديد . التقريب ،
ضرب من الميردون الجرى . أساهى : ضروب من الجرى .
(١٢) الجون : حر ألوانها . مخضراً جحافلها : من أكل الرطب أو عشب الربيع الرطب .
(١٣) بواه : أنزله . جبرت : أغتته ولبت شعثه . محروب : سلوب .
(١٥) همت بنا : أرادت بنا سوءاً . نهنها : كفها . ضرب غير تذيب : ليس ضميماً تذيبهم
به عنا ، ولكنه ضرب قاتل .
(١٦) مصقول أسننها : محدة . صم : مفرداها أصم وهو غير الأجوف . المشرفة : السيوف
منسوبة إلى قري المشارف بالشام . عامل الرمح : الثلث الذى إلى السنان . الأنايب : الكعوب .

- ١٧ يَجْلُو أَسْتَهَا فَيَبْأَنُ عَادِيَةً لَا مُقْرِفِينَ وَلَا سُودَ جَعَايِبَ
 ١٨ سَوَى النَّقَافِ قَنَاهَا فَهِيَ مُحْكَمَةٌ قَلِيلَةُ الزَّيْغِ مِنْ سَنٍّ وَتَرْكِيبِ
 ١٩ كَانَهَا بِأَكْفِ الْقَوْمِ إِذْ لَحِقُوا مَوَاتِجُ الْبُئْرِ أَوْ أَشْطَانُ مَطْلُوبِ
 ٢٠ كَلَا الْفَرِيقَيْنِ: أَعْلَاهُمْ وَأَسْفَلُهُمْ شَيْخٌ بَارِمًا حَسَا غَيْرُ التَّكَاذِيبِ
 ٢١ إِنِّي وَجَدْتُ بَنِي سَعِيدٍ يُفَضِّلُهُمْ كُلُّ شَهَابٍ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُضْطُوبِ
 ٢٢ إِلَى تَيْمِيمٍ، حُمَاةِ الثَّغْرِ، نَسَبُهُمْ وَكُلُّ ذِي حَسَبٍ فِي النَّاسِ مَنَسُوبِ
 ٢٣ قَوْمٌ إِذَا صَرَحَتْ تَحَلَّى بِيَوْمِهِمْ عِزُّ الدَّلِيلِ وَمَأْوَى كُلِّ قُرْضُوبِ
 ٢٤ يُنَجِّبُهُمْ مِنْ دَوَاهِي الشَّرِّ إِنْ أَزَمَتْ صَبْرٌ عَلَيْهِمَا وَقَبْضٌ غَيْرُ مُحْسُوبِ
 ٢٥ كُنَّا نَحُلُّ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ بِكُلِّ وَادٍ حَطِيبٍ الْبَطْنُ مَجْدُوبِ

(١٧) المقرف : الذي تكون أمه عربية وأبوه غير عربي . والهجين : الذي يكون أبوه عربياً وأمه من غير العرب . الميل . الذين يحملون عن مرجهم ولا يشتنون عليه (الزيغ) . يجلو الأسته : يكشف عنها الصدا . العادية : الحاملة الذين يمدون في الحرب ويحملون . الجعابيب : الصفاف القصار الذين لا خير عندهم أروهم الأدنياء من الرجال .

(١٨) النقاف : خشبة يقوم بها القنا . الزيغ : الاعرجاج . السن : التعديد .

(١٩) المواتج : البكرات التي يمنح عليها . الشطن : الحبل المطلوب : ماء معروف ، ومطلوب : يرلبنى كلاب .

(٢٠) التكذاب : الرخ يكذب صاحبه في الجملة .

(٢٢) الثغر : أن يكون الوادي خصيب البطن مخلوقاً فينجا ماء الناس فيرهاه أهل العز .

(٢٣) صرحت : بينت ، أى لم يكن فيها مطر ولا غيم . الكحل : السنة الشديدة المجذبة .

القراضية : الموص ، ويقال أهل الفقر والحاجة . والقرضوب الصعلوك الفقير .

(٢٤) أزمت : اشتدت . القبض : العدد الكثير .

(٢٥) المجذوب : المذموم المعيب . الشامية : ريح الشمال من الشام وتتميز بشدة برودتها . حطيب :

كثير الحطب .

الجزء الأول

٤١٩

- ٢٦ شَيْبَ الْمَبَارِكِ مَدْرُوسٍ مَدَايِعُهُ هَابِي الْمَرَاحِ قَلِيلِ الْوَدَقِ مَوْظُوبِ
 ٢٧ كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فِرْعُ كَانَ الصَّرَاحُ لَهُ قَرَعَ الظَّنَابِيْبِ
 ٢٨ وَشَدَّ كَوْرٍ عَلَى وَجَنَاءَ نَاجِيَةٍ وَشَدَّ لِبْدًى عَلَى جَرْدَاءَ سُرْحُوبِ
 ٢٩ يُقَالُ : تَحْبِسُهَا أَدْنَى لِمَرَّتَمَهَا وَلَوْ تَعَادَى بِبَكٍّ كُلَّ مَحْلُوبِ
 ٣٠ حَتَّى تَرَكْنَا وَمَا تُثْنَى ظِعَامُنُنَا يَاخُذْنَ بَيْنَ سَوَادِ الْخَطِّ فَالْلُوبِ

- (٢٦) المبارك جمع مبارك وهو جانب الوادي حيث تترك الإبل لأنها لا تترك في مجرى الماء .
 الودق : المطر . قليل الودق : لم يصبه المطر . مدروس مدافعه : أى أن أوديته التي كانت يكون بها
 النبت قد درست أى دقت ووطئت وأكل نباتها « والهابي : الغمار » والمراخ : التراب (هاب المراح
 أى متفخ الغراب لا يتمرغ فيه بعير وقد ترك لخوضه) مَوْظُوب : وَاظْبُوا عليه حتى أكل ما فيه .
 (٢٧) المارخ : من الأصدقاء ومعناها المستغيث أو المغيث . قَرَعَ الظَّنَابِيْبِ : يَكْنَى بِهِ عَنْ الْعِزْمِ
 عَلَى الْغَوْتِ وَتَفْرِغِ ظَنَابِيْبِ الْخَلِيلِ بِالسَّيَاطِ لِرُكُضِ إِلَى الْعَدُوِّ . وَالظَّنْبُوبِ : السَّاقُ .
 (٢٨) وَالْبَدِ : مَا يَوْضَعُ تَحْتَ السَّرِجِ عَلَى ظَهْرِ الْفَرَسِ . سُرْحُوبِ : فَرَسٌ طَوِيلَةٌ ، وَجَنَاءُ :
 خَافَةٌ غَلِيظَةٌ . نَاجِيَةٌ : سَرِيْعَةٌ . الْكَوْرُ : الرَّجُلُ .
 (٢٩) الْبَكُّ : قَلَّةُ الْبَنِّ ثَنَى : تَرَدَّدَ الْخَطُّ : مَوْضِعُ .
 (٣٠) اللَّوْبُ جَمْعُ لَابَةٍ وَلُوبٍ . وَهِيَ الْحَرَّةُ .

* * *

عبد الله البطاوى

الأخنس بن شهاب التغلبي

* * *

شاعر جاهلي قديم ، وواحد من فرسان قبيلة تغلب المعدودين ، عرف بأنه « فارس العصا » ، وذاعت مكانته في الشعر قبل الإسلام بدهر ، وكان ابنه بُكَيْرُ ابن الأخنس بن شهاب شاعرا إسلاميا . وموضوع القصيدة يدور حول نفر الشاعر بنفسه وببني قومه ، وهي تبدأ — كالعادة — بوصف ديار صاحبه حيث يقف على أطلالها باكيا ناعثا ما انتشر فيها من حيوانات الصحراء بعد رحيلها ، فيلفت نظره فيها مشهد النعام بصفة خاصة ، ثم يقف بعد ذلك عند عرض ذكريات شبابه فيصورها من خلال عرض موقفه النفسي تجاهها .

ويسجل الشاعر في القصيدة كثيرا من مواطن العرب والأماكن التي أقاموا فيها ، وهو يستغل هذا التسجيل في هدفه من موضوع القصيدة إذ يقف عند التغليبين ليثبت لهم موطنهم العام الذي يمتد في أنحاء الجزيرة ، وهم ليسوا كغيرهم من ضعاف القبائل التي تلتزم بدورها وأماكنها ، وإنما ينتشرون في الأرض بحكم قوتهم وسيطرتهم على غيرهم من القبائل ، فهم يسرون في الصحراء خلف سُبُل الحياة من أمطار وأعشاب لا يخشون أحدا ولا يعترض سبيلهم عدوٌ ، بل يحسون العزة في أنفسهم ، وهم يسعدون بحماية خيلهم لهم وهي ترود حول بيوتهم جيئة وذهابا ، وكأنها ترفض الحبس أو الاستقوار هي الأخرى ، ومن الخيل ينتقل

الأخنس إلى تصوير فرسان قومه أبطالاً تلتقى في عناصرهم الشجاعة ، لا تراهم
إلا في مواقف القتال ومقارعة الأبطال صراعا من أجل سيادتهم ونشر رايهم
دائما بين القبائل .

* * *

(تراجع المفضليات بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون والأستاذ أحمد شاكر)

عبد الله التطاوى

سِيَادَةُ مُطْلَقَةٌ

* * *

- ١ لَابِنَةُ حِطَّانَ بْنِ عَوْفٍ مَنَازِلُ كَمَا رَقَّشَ الْعُنُونَانِ فِي الرَّقِّ كَاتِبُ
- ٢ ظَلَمْتُ بِهَا أُعْرَى وَأَشْعَرُ سَخْنَةً كَمَا اعْتَادَ تَحْمُومًا يَخْبِرُ صَالِبُ
- ٣ تَظَلُّ بِهَا رُبْدُ النَّعَامِ كَأَنَّهَا إِمَاءٌ تُزَجِّي بِالْعَشِيِّ حَوَاطِبُ
- ٤ خَلِيلَايَ : هَوَجَاءُ النَّجَاءِ شِمْلَةً وَذُو شُطْبٍ لَا يَجْتَوِيهِ الْمُصَاحِبُ
- ٥ وَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا وَالْفَوَاةُ صَحَابَتِي أَوْلَيْكَ خُلَصَانِي الَّذِينَ أَصَاحِبُ
- ٦ رَفِيقًا لِمَنْ أَعْيَا وَقُلْدَ حَبْلَهُ وَحَاذِرَ جَرَاهُ الصِّدِّيقُ الْأَقَارِبُ

- (١) يلجأ الشاعر إلى التشبيه ليصور ما بقي من آثار الديار بعد دروسها إذ بقي بعضها وعفت كثير من معالمها، وصارت أشبه ببقايا الكتابة في الرق . العنوان : العلامة . الترفيش : التحسين والتزيين .
- (٢) أعْرَى : من العُرَاء . وهي الرعدة المصاحبة للحى أو الرعدة المرتبطة بها . وقد خص «خبير» لأن سماها أشد الحى . وهو يلجأ إلى التصوير أيضا فيعرض وقع ما أصابه من الوقوف على الديار وما بان من دروسها فكان أشد عما اعتاد بالمحموم بخير . الصالب : الحى المصحوبة بالصداع .
- (٣) الربداء : النعام ، والربداء : غيرة تضرب إلى السواد وتشير إلى اللون القاتم . وهو يشبه النعام وقد عرفت بأنها أنقر الوحوش في سكوتها في مرعاها ورفقتها في مشيها ينغمها بأدماة تساق محتطبات مثقلات بما جمعت من الخطب وقد أصابهن التعب والإرهاق في هودتهن بالعشى إلى الحى .
- (٤) الهوجاء : التي تركب رأسها في السير . النجاء : السرعة . الشملة : السرعة الخفيفة .
- الشطب : على هيئة الخطوط في السيف . الاجتناء : الاستئصال والكرامة . المصاحب : صاحب السيف . فهو لصراسته وثقلته لا يكرهه من كان له .
- (٥) الفواة : الجبان وأصحاب الضلالة والفساد من الناس . خلصاني : صفوتى وأصدقائى .
- (٦) رفيقا لمن أعيا : يقصد من أتمب هذا له . قلد حبله : أى ألقى زمامه على غاربه بعد اليأس من إصلاحه وتقويمه ، فترك في سومه لا يقاد ولا يساق . جراه : جريته أوجنائه .

- ٧ فَادَيْتُ عَنِّي مَا اسْتَعَرْتُ مِنَ الصَّبَا
٨ لِكُلِّ أَنَاثٍ مِنْ مَعَدِّ عِمَارَةٍ
٩ لِكَيْزِلَهَا الْبَحْرَانِ وَالسَّيْفُ كُلُّهُ
١٠ تَطَايَرُ عَنْ أَتْعَازِ حَوْشٍ كَانَتْهَا
١١ وَبَكَرَتْهَا ظَهْرُ الْعِرَاقِ وَإِنْ تَشَأْ
١٢ وَصَارَتْ تَنِيمٌ بَيْنَ قَفِّ وَرَمْلَةٍ
١٣ وَكَلْبٌ لَهَا خَبَتْ قَرْمَلَةٌ عَاجِلُ
١٤ وَغَسَّانُ حَتَّى عِزُّهُمْ فِي سِوَاهُمْ
- وَاللَّيْلِ عِنْدِي الْيَوْمَ رَاجِعٌ وَكَاسِبُ
عَرُوضٍ إِلَيْهَا يَلْجَأُونَ وَجَانِبُ
وَلِنْ يَأْتِيهَا بَاسٌ مِنَ الْهِنْدِ كَارِبُ
جَهَامٌ أَرَاقَ مَاءٍ قَهْوٍ وَآثِبُ
يُحِلُّ دُونَهَا مِنَ الْيَمَامَةِ حَاجِبُ
لَهَا مِنْ حِبَالٍ مُنْتَأَى وَمَذَاهِبُ
إِلَى الْحَرَّةِ الرَّجْلَاءِ حَيْثُ تُحَارِبُ
يُجَالِدُ عَنْهُمْ مِقْنَبٌ وَكَتَائِبُ

- (٧) سلكت سبيل الهداية والرشاد ، فليلال متى حافظ رد ما كان عليه من الغواية والضلال .
- (٨) العماره : الحى العظيم وقيل أنها البطن من القبيلة . العروض : الحى العظيم الكبير والطريق فى عرض الجبل وعروض الجبل شعبة من الجبل .
- وهو يصور لكل طائفة من طوائف معد جهة يأدون إليها وهضبة عز يشحنون بها .
- (٩) السيف : ضفة الهر . الكرب : شدة الأمر وكربت الجبل أى سدوت فتلها .
- (١٠) الحوش : إبل حوشية . يصورهم فى سباقهم فى الشر والحرب وهم أصحاب إبل لا نخل لهم قى دعوا إلى الحرب أجا بوا مراعا .
- (١١) يصور الشاعر الحاجب من أهل اليمامة . فيقول إن تشا تجعل بينها وبين اليمامة مانعا .
- (١٢) القف : ما غلظ من الأرض وخشن وصلب الحبال : حبال الرمل . المنتأى : البعيد (من النأى) .
- (١٣) خبت : منازل لكلب . الحرة الرجلاء : الغليظة الصلبة .
- (١٤) غسان : ماء ، ويقال أنه سقى ولد يحنه غسان بماء نزله فن شرب هذا الماء سقى غسانيا .
- وامم الماء غسان . المقنب : الجماعه . يصورهم ملوكا قليلين وكانت الروم توليهم وتماتل عنهم فمزهم فى غيرهم ، وإنما كانوا نزولا مع قوم من العرب .

- ١٥ وَهَرَاءُ حَتَّى قَدْ عَلِمْنَا مَكَانَهُمْ لَمْ شَرَكْ حَوْلَ الرِّصَافَةِ لَا حِبْ
 ١٦ وَغَارَتْ إِيَادُ فِي السَّوَادِ وَدُونَهَا بَرَّازِيقُ، تَبْتَغِي مَنْ تَضَارِبُ
 ١٧ وَلَحْمُ مُلُوكِ النَّاسِ يُجْبَى إِلَيْهِمْ إِذَا قَالَ مِنْهُمْ قَائِلٌ فَهَوَ وَاجِبُ
 ١٨ وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا حِمَّازَ بَارِضَنَا مَعَ الْغَيْثِ مَا نُلْقَى وَمَنْ هُوَ غَالِبُ
 ١٩ تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ حَوْلَ بُيُوتِنَا كَهَمَزَى الْجِحَازِ أَعْجَزَتْهَا الزَّرَائِبُ
 ٢٠ فَيُغَبِّقْنَ أَحْلَابًا وَيُصْبِحْنَ مِثْلَهَا فَهِنَّ مِنَ التَّمَدَّاءِ قُبُ شَوَازِبُ
 ٢١ فَوَارِسُهَا مِنْ تَقْلِبِ ابْنَةِ وَاثِلٍ حِمَاةٌ كَمَا لَيْسَ فِيهَا أَشَائِبُ

- (١٥) الشرك : الموارد والآثار ويقصد به موردهم من ناحية الرصافة ، وهو موطن هشام بن عبد الملك . الاحب : الواضح . المذل : المعبد يصورهم مجاورين له آتئين أعداءهم .
 مكانهم : ديارهم ومحلهم وربما قصد مكانهم المعنوية في العز والإباء والشرف .
 (١٦) غارت : دخلت . البرازيق : جماعات المواكب يصورهم يتحاطون الناس من أهل الحضر ويشاركونهم في قراهم ومزاقهم ويطلبون من يجاذبهم لحصصهم على القتال والدفاع .
 (١٧) يصور سيطرتهم ونفاذ أمرهم من خلال مكاتبتهم كلوك يتبعهم الناس ويخضعون لهم ويقفون عند أمرهم ونهيهم . خاضعين مطيعين .
 (١٨) مع الغيث ما تلقى : يصور رحيلهم إلى كل بلد وقع فيه المطر وتقلعهم المستمر ، لينثروا سيطرتهم على أهله ، فهم لا يخشون أحدا مطلقا .
 (١٩) الزرائب : حظائر الغنم . الرائدات : المختلقات في جوانب البيوت لا مجالس لها .
 يصور رائدات الخيل وهمزة الجحاز وكيف ضاقت عنها الزرائب لكثرتها ، فهي تختلف كيف شاءت لكونها مخلقة لا يخافون عليها طامع أو سلب سالب .
 (٢٠) التمداء : من العدو . القب : الضوامر الخواصر . الشواذب : الضوامر . الأحلاب : يريد بها حبات العدو .
 (٢١) حماة : يذرون عن حوامهم ويدفعون عنه أعداءهم . الأشائب : الأخلاط من الناس .

- ٢٢ هُمُ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدَّمَاءِ سَبَابُ
- ٢٣ بِجَاوَاءَ يَنْفَى وَرُدُّهَا سَرَاعَتُهَا كَأَنَّ وَضِيحَ الْبَيْضِ فِيهَا الْكَوَاكِبُ
- ٢٤ وَإِنْ قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَضْلُهَا خُطَاؤُنَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ نُضَارِبُ
- ٢٥ فَلِلَّهِ قَوْمٌ مِثْلُ قَوْمِي سُوقَةٌ إِذَا اجْتَمَعَتْ عِنْدَ الْمُلُوكِ الْعَصَائِبُ
- ٢٦ أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ وَتَقْصُرُ عَمَّا يَفْعَلُونَ الذَّرَائِبُ
- ٢٧ أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارِبُوا قَيْدَ خَلِيلِهِمْ وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبُ

(٢٢) الكبش : سيد القوم وحاميهم ورئيسهم . وقد يقصد به المتقدمون من الجيش . السباب : الطرائق . (مفردا سببية) .

(٢٣) الجأواء : الكتبة التي كثرت دورعها وعنادها وطال أمدها في الفوز . الويض : البريق . السراعان : يقصد تصويرهم في إسراعهم ومبادرتهم إلى حياض الموت . وضوح البيض : ما وضع منه وظهر .

(٢٥) السوقة : من هم دون السادة . العصائب : الجماعات .

(٢٦) الذرائب : المتقدمون . الذائب : المتأخرون . بصورهم متقدمين عند السلاطين وبقية الناس تبع لهم . وهم ينتظرون فصلهم في قضايهم ، ويتجزهم حاجاتهم وحاجات الآخرين . ويزيد من تعميق الصورة بتصوير السادة ، وإن عزوا في أفقهم إلا أنهم يعجزون تماما عن بلوغ مكانهم أو حتى التطلع إلى شأوهم .

(٢٧) يصور إياهم وكيف تركوها تسرب حيث شاءت ، وهم لا يفعلون معها كما يفعل الآخرون من قيدها ، فهم يتقنون من قدرتها وقدرتهم على حمايتها فيتركوها ترعى أينما سارت .

* * *

عبد الله التطاوى

الشَّنْفَرَى

* * *

شاعر من الصعاليك ، يختلف الرواة اختلافا كبيرا حول اسمه ولقبه ونسبه . وأخبار نشأته الأولى غامضة إلى درجة بعيدة ، ولكننا من خلال هذا الاختلاف ، ومن وراء هذا الغموض ، نستطيع أن نقول إنه من قبيلة الأزديين ، وإن الشنفرى لقب أطلق عليه ، وإن أباه كان في موضع من قومه ، ولكنه كان في قلة من المال ، وإن أمه كانت سبية ، ومن هنا جاء هذا اللقب الذى يدل لغويا على غلظ الشفتين ، وراثته عن أمه التى كانت — فى أغلب الظن — من أصل زنجى . ويرجع ذلك ما يذكره الرواة من أنه كان من « أغربة العرب » ، أبناء الإمام السود الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم .

نشأ الشنفرى فى قبيلته كما ينشأ أولاد الإمام تحت وطأة العنصرية العربية الجاهلية من أب عربى أنجبه ثم لم يعترف به . ثم فى ظروف لم يتفق الرواة عليها انتقل إلى قبيلة فهم التى كانت تنزل فى جبال الحجاز الوعرة جنوبى مكة ، وهى قبيلة فقيرة متمردة مشهورة بكثرة لصوصها وقطاع الطرق فيها . وهناك اتصل بتأبط شرا أحد حُتاة الصعاليك فى هذه المنطقة ، فوجد فيه تلميذا ممتازا ، فلحقه دروس الصعلكة الأولى حتى صار لا يقام لسبيله . ومضى الاثنان فى الطريق الصعب الذى اختاره الصعاليك لأنفسهم . ورأى الشنفرى أن فرصة الانتقام من قبيلته التى تخلت عنه ذات يوم ، وألقت به فى قبيلة غريبة ، قد سمحت له ،

فأخذ يصب عليها كل غزواته ، ووهب حياته للانتقام منها ، وآلى على نفسه أن يقتل منها مائة رجل .

وركب الشنفري الموجة العالية العاتية ، وانطلق مع صعاليك العرب يثيرون الفرع في أرجاء الصحراء ، يغيرون وينهبون ويسلبون ، ويهاجمون أغنياء القبائل ، ويقطعون طرق القوافل التجارية التي تسيل بها شعاب هذه المنطقة المواجهة بالنشاط الاقتصادي ، ولا يترددون عن قتل من يمترض طريقهم ، رافعين راية الترد على المجتمع القبلي وما تعارف عليه من نظم اجتماعية واقتصادية . وأعانه على ذلك حقد أسود على المجتمع المتمصب للجنس الأبيض ، وإيمان قوى يصل إلى درجة الهوس بالحركة التي يعمل من خلالها ، وجرأة متطرفة تصل إلى حد التهور والإستهانة بالحياة ، ثم سرعة غير هادية في العدو ضربت بها الأمثال .

وعاش الشنفري حياة تختلط فيها الحقيقة بالخيال ، والواقع بالأسطورة ، ويذكر الرواة أنه وفي بعهد الذي أخذه على نفسه ، فقتل تسعة وتسعين رجلا من قبيلته . ثم كانت النهاية ، فاحتالوا عليه ، وقبضوا عليه بمساعدة أحد عدائهم المشهورين — أسيد بن جابر — ثم قتلوه ، وفصلوا رأسه عن جسده ، وألقوا به في الصحراء . ويشاء القدر أن يمر به رجل منهم ، فيضرب جمجمته بقدمه ، فتدخل فيها مشظية منها ، فيموت ويتم القتل مائة ، وفاء من القدر بالعهد الذي قطعه الشنفري على نفسه .

* * *

وشعر الشنفري الذي وصل إلينا قليل ، وكأنما ضاع أكثره في تشرده في أعماق الصحراء . ويدور القسم الأكبر منه حول هذا الصراع الرهيب بينه وبين قومه ، والجزء الباقي حول أحاديث تصعلكه وفقره وتشرده وغاراته وتمرده على

المجتمع الذي انفصل عنه منذ وقت مبكر من حياته . ولكن من أعماق هذه الموسيقى الرهيبة العنيفة التي تُطلقها أبواقُ الحقد والانتقام ، ينطلق نغم رقيق هادئ في مقدمته الطويلة التي يستهل بها تائيته المفضّلية « أَلَا أَمْ عَمْرُو أَرْمَعْتُ فَاسْتَقَلَّتِ » ، يرسم صورة رائعة ممتازة لزوجته الحيّة المثالية ، صورة نادرة في الشعر الجاهلي لا نكاد نظفر فيه بصورة تماثلها .

ومن أروع ما نُسب إليه لاميته المشهورة الدائمة الصيت المعروفة بلامية العرب ، وإن يكن كثير من الرواة القدماء والباحثين المحدثين يشكون في صحة نسبتها إليه ، ولكن القضية ما تزال موضع خلاف كبير وجدل شديد بين الباحثين .

وأخصّ ما يميز أسلوبَ الشنفرى الفنى تلك الحشونة اللفظية التي تمثل اللغة البدوية الجاهلية أصدق تمثيل ، ثم تلك الصلابة التعبيرية التي تجعل أسلوبه أسلوباً محكماً قوياً لا رخاوة فيه انعكاساً لقوة شخصيته ، وقسوة الحياة التي يحياها . هذا إلى جانب ما يمتاز به من صدق التعبير عن الواقع ، والصراحة التي لا حدود لها في النقل عن الحياة .

* * *

يوسف خليف

(١)

التائية المفضلية

* * *

كان الشنفرى قد أخذ أسيرا فدأ في بنى سَلامان بن مُقْرِج وهو غلام صغير،
 فنشأ فيهم ، فلما أساءوا إليه وعلم بأمره غضب ، وتوعدهم أن يقتل منهم مائة
 رجل ، فقتل تسعة وتسعين ، وكان ممن قتل منهم رجل يقال له حرام بن جابر ،
 قتله بمنى حين أخبر أنه قاتل أبيه ، وأشار إلى مقتله في البيت ٢٨ من هذه القصيدة .
 بدأ الشنفرى قصيدته بالغزل والتشبيب ، وأبدع في وصف مشية صاحبه
 والتنويه بحاسنها ، ثم نعت قوته وشدة بأسه ، وذوّه بصديقه تأبط شرا ، ووصف
 السيف ، ثم أشار إلى نأره من قاتل أبيه ، ونفر باستهائنه بالحياة ، ومجازاته الخير
 والشر بمثلها .

* * *

- ١ ألا أم عمرو أجمعت فاستقلت وما ودّعت جيرانها إذ تولّت
- ٢ وقد سبقتنا أم عمرو بأمرها وكانت بأعناق المطى أظلت
- ٣ بعينى ما أمست فبات فأصبح ففقت أمورا فاستقلت فولّت

(١) أجمعت : عزت أمرها . استقلت : ارتحلت .

(٢) سبقتنا بأمرها : استبدت واستأثرت به . وكانت بأعناق المطى أظلت : أى بغنائنا بالإبل

حتى أظلتنا بها

(٣) بعينى : يأسف أن يرى رجليها ولا حيلة له معه .

- ٤ فواكبدا على أميمة بعدما
٥ فباجارتني وأنت غير مليمة
٦ لقد أعجبتني لا سقوطا قناعها
٧ تبيت بعيد النوم تهدى غبوقها
٨ تحل بمنجاة من اللوم بدتها
٩ كان لها في الأرض نسيا تقصه
١٠ أميمة لا يُخزى تشاها حليلها
١١ إذا هو أمسي أب قرة عينه
١٢ فدقت وجلت واسبركت وأكملت
١٣ فبتنا كأن البيت حجر فوقنا
١٤ بريحية من بطن حلية نورث
- طِيعْتُ، فَبَهِمَا نَعْمَةَ الْعَيْشِ زَلَّتْ
إِذَا ذُكِرْتُ، وَلَا بِذَاتِ تَقَلَّتْ
إِذَا مَا مَشْتُ، وَلَا بِذَاتِ تَلَقَّتْ
لِحَارَتِهَا إِذَا الْمَدِيَّةُ قَلَّتْ
إِذَا مَا بَيَوْتُ بِالْمَدْمَةِ حُلَّتْ
عَلَى أَمَّهَا، وَإِنْ تَكَلَّمْتَ تَبَلَّتْ
إِذَا ذَكَرَ النِّسْوَانُ عَقَّتْ وَجَلَّتْ
مَأَبَ السَّعِيدِ لَمْ يَسْأَلْ أَيْنَ ظَلَّتْ
فَلَوْ جُسْنَ إِنْسَانٍ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتْ
بَرِيحَانَةٍ رِيحَتْ عِشَاءً وَطُلَّتْ
لَهَا أَرْجٌ، مَا حَوْلَهَا غَيْرُ مُسْنِتٍ
- * * *

(٤) زلت : ذهبت .

(٥) مليمة : من قولهم « ألام » إذا أوى ما يلام عليه . تقلت : تهنّفت .

(٦) يقول : لا يسقط قناعها لشدة حياثها ، ولا تكثر التلفت فإنه من فعل أهل الرية .

(٧) الغبوق : ما يشرب بالعشى . تهديه لجارتها : أى تؤثرها به لكرها . إذا الهدية قلت : أى فى وقت الجلب .

(٨) المنجاة : مفعلة من النجوة وهى الارتفاع . يريد أنها بعيدة عن اللوم .

(٩) النسي : الشئ المفقود المنسى . تبلت : تنقطع فى كلاهما ولا تطيله .

(١٠) الثنا : ما أخبرت به عن شخص من حسن أو سيء ، يقال : ثنا الحديث والخبر : حدث به وأشاعه . حليلها : زوجها .

(١١) أب : رجع . لم يسأل أين ظلت : لأنها لم تهرج بدتها . قال الأصمى : هذه الأبيات أحسن ما قيل فى خمر النساء وغفّن .

(١٢) اسبركت : طالت وامتدت .

(١٣) حجر : أحيط . ريحت : أصابها ريح بخاءت بنسيمها . طلت : أصابها الطل وهو الندى .

(١٤) حلية : واد بهامة . الأرج : توهج الريح وتفرقها فى كل جانب ، المسنت : المجذب .

- ١٥ وباضعة حُمِر القسي بعثتها ومن يَفْزُ يغنم مرة ويسمّت
١٦ خرجنا من الوادي الذي بين مشعل وبين الجباهيات أنشأت سربتي
١٧ أمشي على الأرض التي لن تضرنني لأنني قوما أو أصادف حمتي
١٨ أمشي على أين الغزاة وبعدها يقربني منها رواحي وغدوتي
١٩ وأم عيال قد شهدت تقوتهم إذا أطعمتهم أو تحت وأقلت
٢٠ تخاف علينا العيل إن هي أكثر ونحن جياع، أي آل تألت !
٢١ وما إن بها ضن بما في وعائها ولكنها من خيفة الجوع ابقيت
٢٢ مصمكة لا يقصر الستر دونها ولا ترجيى للبيت إن لم تبيت

- (١٥) الباضعة : القاطعة ، يعني قوما غزاة . حمر القسي : غز واهرة بعد مرة فاحرت قسمهم الشمس والمطر . بعثها : غزوت بها . يسمت : من قولهم « شتمه الله » أي خيبه الله ، « وأنشأت » بكسر الشين وتخفيف الميم : الخلية .
(١٦) مشعل وأجيا : موضعان . السربة : الجماعة . وأنشأت سربتي : أي أظهرتهم من مكان بعيد . يصف بعد مذهبه في الأرض طلبا للقيمة .
(١٧) لن تضرنني : لن أخاف أحدا بها . لأنني : يقال نكي العدو ينكيه نكاية أي أصاب منه . الحمة : المنية .
(١٨) أمشي : إشارة إلى غزوه على وجليه شأن أكثر الصماليك . على أين الغزاة : على ما يصيبني من تعب الغزوة .
(١٩) أراد بأم عيال تأبط شرا لأنهم حين غزوا جعلوا زادهم إليه . أو تحت : أعطت قليلا مثل أقلت . كان تأبط شرا يقرر على رفاقه خوفا من أن تطول الغزوة فيموتوا جوعا .
(٢٠) العيل والعيلة : الفقر . أي آل تألت : أي سياسة ساست .
(٢١) الضن : البخل .
(٢٢) مصمكة : صاحبة صماليك . لا يقصر الستر دونها : لا تنفلي أمرها . ولا ترجيى للبيت إن لم تبيت : أي لا ترجيى أن تكون مقيمة إلا إذا أرادت ذلك .

- ٢٣ لها وَفْصَةٌ فيها ثلاثون سَيْحَفًا إذا آنستُ أُولَى العَدَى أَفْشَعَتْ
 ٢٤ وتَأْتَى العَدَى بارزا نصفُ ساقها تجول كَعَيْرِ العانةِ المُتَلَقَّتِ
 ٢٥ إذا فَرَزَعُوا طَارَتْ بأَبْيَضَ صَارم ورامتُ بما في جَفَرها ثم سَلَّتْ
 ٢٦ حسامُ كلونِ الملحِ صَافٍ حَدِيدُهُ جُرَّازُ كَأَقْطَاعِ النَدِيرِ المُنْعَتِ
 ٢٧ تراها كأَذْنَابِ الحَسِيلِ صَوَادِرا وقد نَهَلَتْ من الدماءِ وَعَلَتْ
 ٢٨ قَتَلْنَا قَتِيلًا مُهْدِيًا مُبْلَدَ جَارِ مَنَى وَسَطَ الجَجِيجِ المَصَوْتِ
 ٢٩ جَزِينَا سَلامَانَ بنَ مُفَرِّجِ قَرَضَها بما قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ وَأَزَلَّتْ
 ٣٠ وَهَيْئَتِي بِي قَوْمٍ وما إِنْ هَتَأَتْهُمْ وَأَصْبَحْتُ فِي قَوْمٍ وَلَيْسُوا بِمُنْتَقِي
 ٣١ شَفِينَا بَعِيدَ اللَّهِ بَعْضَ غَلِيلِنَا وَعُوفَ لَدَى المَعْدَى أَوَّانَ اسْتَهَلَّتْ

* * *

- (٢٣) الوفصة : جمعة السهام . السيف : السهم . افشعت : تهبأت للهجوم .
 (٢٤) بارزا نصف ساقها : يريد أنه مشرجاد . العير : حمار الوحش . العانة : المقطع من حمار الوحش ، وإنما شبه بعير العانة لأن الحمار أغبر ما يكون ، فهو يتلفت إلى الخيل يطردها عن أثنائه .
 (٢٥) الأبيض : السيف . الصارم : القاطع . الجفر : كثافة السهام . يعنى أنه يرى بما في كثائته ثم يحارب بسيفه .
 (٢٦) الجراز : السيف القاطع . أقطع : جمع قطع يكسر وسكون كالتقطعة ، والمراد بأقطع الندير أجزاء الماء يضر بها الهواء فتقطع ويبدو بريقها . المنعت : مبالغة من التمت وهو الوصف بالحسن .
 (٢٧) الحسيل : جمع حسيلة وهي أولاد البقر . شبه السيوف بأذنان الحسيل إذا رأته أمهاتها حركت أذنانها . النهل والعلل : أول الشرب وآخره ، وهو هنا للسيوف .
 (٢٨) مهديا : محرما ساق الهدى . مبلد : محرم لبد رأسه وهو أن يجعل في رأسه شيئا من الصمغ ليتلبد شعره . يريد : قتلنا محرما برجل محرم . جار منى : أى عند الجمار . المصوت : الملبى . ومن المعروف أن روى الجمار والطلبية كانت من شعائر الحج في الجاهلية .
 (٢٩) سلامان بن مفرج : هم الذين أسروه فداء . أزلت : قدمت .
 (٣٠) يريد : هنى . بنو سلامان حين أخذوني في الفدية وما انتفعوا بي . ليسوا بمنتي : أى ليس هؤلاء القوم ممن أحب وأتمنى .
 (٣١) عبد الله وعوف : من بنى سلامان . المعدى : موضع العدو ، والمراد ساحة القتال . أوان استهلت : في الوقت الذى ارتفعت فيه الأصوات للحرب .

- ٣٢ إذا ما أتتني ميتتي لم أبالها ولم تذرْ خالاتي الدموعَ وعَمَّتِي
 ٣٣ ولو لم أَرِمْ في أهل بيتي قاعدا إذن جاءني بين العمودين حُمَّتِي
 ٣٤ ألا لا تُعَذِّبْنِي إن تشكَّيتُ ، خُلَّتِي شفاني بأعلى ذى البريقين عَدَوَّتِي
 ٣٥ وإني لحلو إن أريدتْ حلاوتي ومُرٌّ إذا نفُسُ العزوفِ استمرتْ
 ٣٦ أبى لما آبى سريعُ مَبَأتِي إلى كلِّ نفسٍ تتحى في مَسَرَّتِي

* * *

- (٣٢) لم أرم : لم أريح . العمودان : لعله أراد عمودي الخباء . حتى : منيتي .
 (٣٤) الخلة : الخليل . ذوالبريقين : موضع . عدوت : المرة من العدو . يريد أن مرعة عدوه
 سلاح يشتقى به كرا وفرا .
 (٣٥) العزوف : المنصرف عن الشيء . استمرت : من الممرارة . يقول : أنا مهمل لمن ساهلتني ،
 مر على من عاداني .
 (٣٦) المباءة : الرجوع . تتحى في مسرتي : تقصد إلى ما يسرني .

* * *

سيد حنفي

(٢)

المَرْقَبَة

* * *

يكثُر في شعر الصعاليك حديثهم عن « المَرَّاقِبِ » ، وهى المرتفعات العالية التى كانوا يصعدون إليها ليتربصوا فوقها بضحاياهم ، ويرقبوا الفرصة السانحة لمهاجمتهم . وهى أحاديث تشكّل موضوعاً متميّزاً من موضوعات شعرهم يصح أن نطلق عليه « شعر المَرَّاقِبِ » ، ولا يكاد شعر أى شاعر منهم يخلو من حديث عنها . وهو موضوع يبدو فى موقع طبيعى فى شعرهم لارتباطه بواقع حياتهم التى تعتمد على التربص والتربص والمباغلة ، وهى العناصر التى تشكّل « التكتيك » الهجومى فى حركتهم القتالية .

وفى هذه الأبيات يرسم الشنفرى صورة للمَرْقَبَة التى صعد إليها لمراقبة الطريق من فوقها ، فهى مَرْقَبَة مرتفعة يعجز غيره عن ارتقاها ، وقد صعد إليها وقد اقترب الليل بظلامه الذى يساعده على التخفى ، وانتظر فوقها يتربص بضحية تلوع له على الطريق الذى تُشرف عليه ، وليس معه إلا سلاحه وثيابه البالية . وفوقها وعلى امتداد الوقت الذى قضاه فى التربص راح يستعيد بعض ذكريات تصعلكه وتشرده ، مفتخراً بجرأته على اقتحام الصحراء الرهيبة ، والتوغل فى وديانها الموحشة حيث لا أثر للحياة إلا الأسود الضارية والجن المعردة فى أعماق المجهول .

* * *

- ١ ومَرْقَبَةٍ عَيْطَاءٍ يَقْصُرُ دُونَهَا
 - ٢ نَمِيْتُ إِلَى أَمْلَى ذُرَاهَا وَقَدْ دَنَا
 - ٣ فَيِثُّ عَلَى حَدِّ الذَّرَاعَيْنِ مُحْدَبًا
 - ٤ قَلِيلٌ جَهَازِي غَيْرَ نَعْلَيْنِ أَصْحَقَتْ
 - ٥ وَمِلْحَفَةٍ دَرَسٍ، وَجَرْدٍ مُلَاءَةٍ
 - ٦ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مَهْنَدٌ
- أخوال الضرورة الرجل الخفيف المشفّ
من الليل مُلْتَفٌ الحديقة أَسْدَفُ
كما يَتَطَقَّى الأرقش المتخفف
صُدُورهما مَحْصُورَةٌ لَا تُخْصَفُ
إذا أَتَهَتْ من جانب لَا تَكْغَفُ
يَجْدُ لأطرافِ السواعدِ مِقْطَفُ

(١) العيطاء : العالية المرتفعة ، أو الألية المنمنمة . وأخوال الضرورة : الصياد معه كلاب ضراها للصيد ، ويحتمل أن يكون المعنى الرجل يستخفى عن الناس ، من ضرا يضرب بمعنى استخفى . والرجل : الرجل ، عكس الراكب . والمشف : النجيل . وفي رواية أخرى « ومَرْقَبَةٍ عَقَاء » و « الخفى الخفف » .

(٢) نَمِيْتُ : صعدت . والأسدف : المظلم ، من السدفة وهي اختلاط الضوء والظلام . ويريد بقوله « ملتف الحديقة » تمثيل الليل المظلم بالأشجار الملتفة المتكاثفة . يقول إنه صعد إلى هذه المرقبة العالية مع دخول المساء ، وقد أخذ الظلام المختلط بالنور يتكاثف ويحجب الأرض .

(٣) مُحْدَبًا : منحنيًا ، من أحذب إذا انحنى . ينطوى : يلتف . والأرقش : الثعبان . والمتخفف : المتكسر الذي قد اخل بعضه في بعض . وفي رواية أخرى « أحديا » و « الأرقم المتخطف » .
(٤) الجهاز : المتاع . وأصْحَقَتْ : بليت . ومَحْصُورَةٌ : دقيقة الوسط ، حال من « صدورهما » . ولا تخفف : لا تقبل الخرز لشدة قدمها وبلاها وتمزقها . يصف نعليه بأنهما قديمتان باليتان لا تقبلان خروا ولا ترقيا .

(٥) المِلْحَفَةُ : ما يلبس فوق الثياب من دثار البرد ونحوه . والدرس : الفارسة البالية . والجرد : الثوب الخلق البالي . وأنجمت : تفتت ، وفي رواية أخرى « أنهجت » أي بليت . ولا تكفف : أصلها لا تشكف أي أنها تستعصى على الترقيع . ويروي الشطر الأول في رواية أخرى « وضنية جرد وأخلاق ربطة » ، والمعنى على الرايتين واحد . والبيتان نقل صادق عن واقع الحياة التي يعيشها هؤلاء الصعاليك الفقراء .

(٦) الأبيض : السيف . ورفعه على تقدير « ومعى أبيض » ، والمهند : الحديد الصنع ، نسبة إلى الهند التي كانت مصدرا من مصادر السلاح عند العرب الجاهليين . ويجد : قاطع شديد القطع ، وكذلك مقطف .

- ٧ وصفراء من نبع أبي ظهيرة ترن كإرناش الشجى وتهنئ
٨ إذا طال فيها النزغ تأبى بعجسها وترى بدرويسا بهن فتقذف
٩ كأن حفيف الببل من فوق عجمها عواذب نحل أخطأ الغار مطنف

* * *

- ١٠ نأت أم قيس المربعين كليهما وتحذر أن ينأى بها المتصيف
١١ وإنك لو تدرين أن رب مشرب تخوف كداء البطن أوهو أخوف

(٧) الصفراء : القوس ، وفي رواية أخرى « وحرء » ، والمرب يصفون القوس بأنها صفراء . إذا كانت جديدة ، وحرء إذا كانت قديمة مستعملة لكثرة تعرضها للشمس . والنبع : شجر تنخذ منه الأقواس والرماح . والأبى : المستعصى على الكسر . والظهيرة : القوة المتينة . والإرناش : الإهوال . والشجى : الحزين . يشبه صوت قوسه حين يشد وترها لارى بأنين الشجى أفتتله همومه وأحزانه . (٨) النزغ : شد وتر القوس عند الرى . والعجس : مقبض القوس ، مثلثة العين . والذروان : الطرقات . والضمير في « بهن » يعود على السهام المفهومة من السياق .

(٩) العواذب : الضالة التي أخطأت طريقها ، من عزب البعير إذا ضل . والمعانف : الذى يعلو الطنف وهو رأس الجبل . يشبه حفيف السهام حين تنطلق من القوس بصوت نحل ضل طريقه نحو الغار الذى اتخذه يتناله فوق قمة جبل ، فهو يبحث عن منفذ إلى داخله في حركة دائبة ودوى متصل .

(١٠) أم قيس : صاحبه ، وفي أغلب الظن أنها زوجته ، بدلالة سياق الأبيات ، وأكثر حديث الشعراء الصعاليك عن زوجاتهم . وحلف التثوين في « أم قيس » للضرورة ، أوله عامل الكلتيين مما معاملة الامم الواحد ، فنتحه من الصرف للعلمية والتأنيث . والمربع : منزل القبيلة في الربيع ، ويريد بالمربعين مآزلها في الربيع والشتاء ، من باب التغليب . والمتصيف : مكان تزولها في الصيف . يقول إن زوجته مثله لا يستقر بها مكان . وعبرة البيت تشرب بأنها غير راضية عن هذا الاضطراب في حياتها ، وكأنها تنكر عليه حياته الفلقة التي لا تعرف الاستقرار .

(١١) يصف مكان الماء الذى يرد بأنه يمسد في أعماق الصحراء المجهولة الخيفة حيث لا يمر أحد على الوصول إليه ، ويشبه الخوف الذى يكثف بالخوف من داء البطن ، وهى صورة تعكس ما يدور في نفوس هؤلاء الصعاليك الذين كانوا يفزعون بأنهم ضامرو البطون ، قد نشرت أضلاعهم ، والتصقت أمماؤهم ، لشدة صبرهم على الجوع ، وإيثارهم فيهم بالزاد ، فن الطيحي أن يكون أشد ما يخشونه أمراض البطن التي يصاب بها الأغنياء المتخمون ، ولا تعد بالنسبة لهم أتها ما صارها بالتنكر لرسالتهم وخيانة لمبادئهم .

- ١٢ وردت بمأنور يمانٍ وضالة تخيّرتها مما أريش وأرصف
١٣ أركبها في كلٍّ أحمر غائر وأقذف منهن الذي هو مقرف
١٤ وتابعت فيه البرى حتى تركته يزف إذا أنفذته ويؤفرف
١٥ بكفى منها للبخيس عراضة إذا بعث خلا ماله متعرف

* * *

- ١٦ ووادٍ بعيد العمق ضنك جماعه بواطنه للجن والأسد مآلف

(١٢) المأنور : السيف . واليمانى : نسبة إلى اليمن ، وكانت مصدرا آخر من مصادر السلاح عند عرب الجاهلية . والضالة : السهام . وراش السهم : ركب عليه ريشا ليكون أسرع في انطلاقه . ووصفه : شد على رأس فصلة عقدة من الوتر ليكون أشد تشبثا له . وفى رواية أخرى للبيت « بمأنور ونبل وضالة » .

(١٣) الأحمر هنا السهم . والغائر : الذى اختلطت حمرة بالشبه . وفى رواية أخرى « عار » بمعنى شديد . والمقرف هنا : المغيب المقيم أو الذى ليس أصيلا . والضمير فى « منهن » للسهام . يقول إنه يركب من سهامه الجيد الشديد ، ويستغنى عما يفلن فيه حيا أو ما يكون عنده موضع اتهام فى أصلاته . وفى رواية أخرى « وأنسج للولدان ما هو مقرف » .

(١٤) يزف : يسبح فى الفضاء كما يفعل الطائر . ويؤفرف : يحدث صوتا كهو صوت الريح فى لثبات الجفاف . وفى رواية أخرى « إذا أنزفته » ، وأظنها تحريفا .

(١٥) العراضة : الهدية . والخلس : الصديق . وماله متعرف : أى لا أستطيع أن أعرف على حقيقة أمره . وفى رواية أخرى « ماله متخوف » . يقول إننى أعد هذه السهام القاتلة هدية لمن أبغضه من يلتوى على ، ويخون عهدي ، فأبغضه غير آسف عليه .

(١٦) الضنك : الضيق . وجماع الشئ : جمعه أو مجموعه . يقول إن هذا الوادى بعيد فى أعماق الصحراء ، تلتقى عنده مجموعة من الأودية الضيقة ، وتتخذ الجن والأسود مكانا تآلفه وتأوى إليه .

١٧ تعسفتُ منه بعدما سَقَطَ الندى غماليْلَ يَخشى غيلها المتعسِفُ
١٨ ولاني إذا خامَ الجبانُ عن الردى فلي حيثُ يخشى أن يجاوزَ مخشِفُ

* * *

(١٧) تعسف : سار على غير هدى . والغماليل : الروابي . والنيل : الشجر الكثيف المتلف .
يفتخر بأنه استطاع بجرأته أن يحترق هذا الوادي .

(١٨) خام : ضعف وجبن . والمخشف : المدخل . وفي رواية أخرى « مخفف » من خفف
الطريق إذا ذقه وقطعه . يفتخر بجرأته على اقترام المهالك التي يراجع منها الجبناء .

* * *

يوسف خليف

(٣)

وَصِيَّةُ الصُّعْلُوكِ

* * *

في اللحظات الأخيرة من حياة الشنفري ، وقد أوشك السراج أن تطفئ آخر ومضة منه ، وخصومه ملتفون حوله بعد أن وقع في أسرهم ، والشماتة ملء عيونهم ، والحد الذي ظل دفيناً في صدورهم طيلة حياته ينطلق كالسارد من القمقم الذي طال حبسه فيه ، سالوه أين يدفنون جسده بعد مقتله . ولم يقبل الشنفري أن يعطيهم الفرصة لمزيد من الشماتة ، ولم يرخص لنفسه أن تضعف أمامهم ، ولم يُبدي حرصاً على الحياة أو تشبهاً بها ، فقال هذه الأبيات مستهيناً بالحياة وبالموت أيضاً . وما الذي يبكي عليه ؟ وما الذي ينتظره بعد الموت ؟ إن حياته بعد الموت لن تكون خيراً من حياته قبله ، وإن جرائره التي ارتكبها في حياته ستظل تطارده بعد موته . وفي هذه اللحظات — وهو على البرزخ الفاصل بين شاطئ الحياة وشاطئ الموت — لم ينس رفاق تشرده ، وحش الصحراء الذين اتخذ منهم في حياته رفاقاً له يأنس إليهم ويطمئن لهم ويثق فيهم . ومن بينهم تطل عليه صورة الضبج الجائعة ، فيوصي بجسده بعد موته وليمة لها تسد به جوعها ، وكأنه يريد ألا يودع الحياة إلا بعد أن يقدم آخر وجبة يملكها لآخر جائع تراءى صورته أمام عينيه اللتين يوشك الموت أن يلقى عليهما غطاءه الأبدي ، إيماناً برسالة الصعلوك التي عاش حياته لها ، ولا يتردد في أن يقدمها قرباناً على مذبح هذا الإيمان .

* * *

- ١ لا تقبروني إن قبري مُحَرَّم عليكم، ولكن أئشري أم عامر
- ٢ إذا احتملوا رأسي وفي الرأس أكثرى وغودر عند الملتقى قم سائري
- ٣ هنالك لا أرجو حياة تُسرّني تبيس الليالي مُسلّا بالجرائر

* * *

(١) أم عامر : كنية الضج عند العرب .

(٢) وفي الرأس أكثرى : يريد أن الرأس أهم ما في جسم الإنسان ، فإذا احتمله قاتلوه ومضوا به إعلاناً عن معرعة فافيسة سائر الجسد ؟ وفي رواية أخرى « احتلت » والضمير فيها يعود على الضج .

(٣) تبيس الليالي : أبد الدهر . ومسلّا بالجرائر : مسلها لها ، مرهوناً بها ، مستولاً عنها . وفي رواية أخرى « مير الليالي » أي طول الليالي .

* * *

يوسف خليف

تَابُطٌ شَرًّا

* * *

شاعر من أشهر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ينتهى نسبه إلى قبيلة
فهم التي كانت تنزل في منطقة الحجاز الجبلية ، والتي كانت معروفة بكثرة اصوصها
واسمه ثابت بن جابر ، وهو يصرح بهذا الاسم في قافيته المشهورة « يا عيْدُ مالِكَ
مِنْ شَوْقٍ وَإِيرَاقٍ » ، وأما تابط شرًا فهو لقب عُرف به . وتختلف الروايات
حول الظروف التي أحاطت بهذا اللقب ، فمن قائل إنه تابط سيفًا ونحرج به فلما
سئلت أمه عنه قالت : « تابط شرًا ونحرج » . ومن قائل إنه عاد إلى أمه وقد
تابط جرابًا به مجموعة من الأفاعى صاهاها ، فقال نسوة من الحى لأمه : « لقد تابط
شرًا » . ومن قائل إنه رأى كدشًا في الصحراء فحمله تحت إبطه ، حتى إذا
ما اقترب من الحى تبين له أنها الغول ، فقال له قومه : « لقد تابطت شرًا » .
ومن قائل إنه لقي الغول في ليلة مظلمة ، فاعترضت طريقه ، فلم يزل بها حتى
قتلها ، ثم حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه ، فقالوا له : « لقد تابطت
شرًا » . ومن قائل إنه لُقِبَ به لبيدٍ من الشعر قاله يصف فيه نفسه بأنه تابط
شرًا ثم انطلق في غزواته :

تَابُطٌ شَرًّا ثُمَّ رَاحَ أَوْ اغْتَدَى يُوَائِمُ غُنْمًا أَوْ يُشِيفُ عَلَى ذَحَلٍ^(١)

وفي ظنى أن هذه الرواية هي أقرب الروايات إلى الحقيقة ، وما سواها أوهام
من الرواة تعكس الجو الأسطوري الغامض الذى عاش فيه هذا الشاعر ، وأن

(١) يوائم : يوافق . ويشيف عليه : يشرف . والذحل . النار .

شهرته بهذا اللقب ليست إلا تعبيرا شعبيا عن حياة الشر التي كان يجيها، والتي كان مجتمعه يستشعر أمامها جواً من الرهبة والفرع وتوقع الشر منه كلما ظهر فيه . وهي — على كل حال — ليست ضربية على تلك الألقاب العجيبة التي لُقِّبَ بها إخوته الأربعة الآخرون : رَيْشُ يَلْقَبُ ، ورَيْشُ تَسِيرُ ، وَكَعْبُ جُدِرُ ، ولا بَوَاكِ لَه ، وهي الألقاب تعكس صورة لهوان المنزللة الاجتماعية لأسرته .

وتأبط شرا من تلك الطائفة من العبيد التي كان المجتمع الجاهلي يطلق عليها « الأعرية » ، وهم أولاد آباء من العرب من أمهات من الإماء السود سرى إليهم السواد من أمهاتهم ، وكانوا يمدون حركة الصعلكة الجاهلية بأعداد كبيرة من الصعاليك المتمردين على العبودية ، تعبيرا عن موقف الرفض والاحتجاج من طبقة العبيد على هذا المجتمع المؤمن بعنصرية جنسية متأصلة في دمايته .

وهب تأبط شرا حياته لحركة الصعلكة الجاهلية ، وماش في أعماق الشعب العربي أسطورة شعبية تترج فيها الحقيقة بالخيال ، ويختلط فيها الواقع بالوهم ، وتلتحم فيها شخصية العبد الأسود المتمرد ، النائر على وضعه الاجتماعي ، الطامح إلى حقه في الحرية والمساواة ، بشخصية قاطع الطريق الرهيب الذي لا يرى إلا الغزو والغارة والسلب والنهب وسفك الدماء طريقا للحياة ، وأيضا للانتقام من الحياة .

وتأبط شرا هو أحد العدائين المشهورين بين العرب الذين صَرَبُوا بهم المثل في سرعة العدو ، وقد وصفوه بأنه « كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين » ، وأنه كان يسبق الظباء ويسبق الخيل . ومن أعماق هذه الميزة التي كان يمتاز بها كان قَسَمَهُ المفضل « والذي أعدو بطيره » ، تأكيداً للصلة التي تربط بينه وبينها في السرعة ، وكأنه يريد أن يقول إنه يعدو بأجنحتها . وتتردد في أخباره أحاديث كثيرة عن لقاءه القسول في ليالى الصحراء المظلمة الموحشة ، وما يدور بينه وبينها من صراع ينتهي دائماً بقتلها .

عاش تأبط شرا حياته كلها فزعا رهيبا في مجتمعه ، يتردد حوله جو أسطوري غامض يثير الرعب في نفوس كل من يسوقه قدره إلى طريقه ، حتى لقي مصرعه في بعض غاراته على يد غلام تربص به ثم رماه بسهم اخترق قلبه فأرداه صريعا ، ثم ألقوا به في الصحراء وخلقوه وراءهم . وتذهب الأسطورة إلى أن جسده « لم يأكل منه سبغ ولا طائر إلا مات » ، وكأنما قد تحول إلى سم زعاف ليواصل بعد موته رسالته الرهيبة القاتلة التي عاش حياته لها ، وكأنها ترجمة شعبية لأبيات من شعره تغني بها في حياته ، يتنبأ فيها بمصرعه ، وبأنه سيكون وليمة لضواري السباع وجوارح الطير ، ولكنها وليمة مسمومة قاتلة ، لهما مكره :

ولقد علمت لتعدون (م) على شتم كالحساكل
ياكلن أوصالا ولح ما كالشكاعي غير جاذل
ياطير كلن ، فإنسى سم لكن وذو دغاول^(١)

(١) الشتم : جمع شتم وهو الأمد العبوس . والحساكل : جمع حساكل وهو ما تطاير من شر الحديده المحمى . والشكاعي : ما دق من النبات ، ويقال للهزول كأنه عود الشكاعي ، والجاذل : ما عظم من أصول الشجر ، يريد أن جسده نجف ضامر غير ممين . والدغاول : الدواهي ، يريد أن لجه قاتل .

* * *

يوسف خليف

(١)

القافية المفضّلة

* * *

تأبط شرا هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عديّ بن كعب بن حرب بن تميم
ابن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر . وسى « تأبط شرا » لأنه تأبط
سيفا ونرج ، فقبل لأمه : أين هو ؟ فقالت : تأبط شرا ونرج . وهى الرواية
المشهورة عن تسميته بذلك . وكان أحد صعاليك العرب المشهورين ، قرينا
للشنفرى وعمرو بن براق ، وكانوا ثلاثهم من العدائين الذين يعدون على أرجلهم
فلا يدركهم الطلب ؛ بل كانوا أعدى العدائين فى العرب ، ويؤمنون أن الخيل
ما كانت تلحقهم .

وهناك دراسات جيدة عن الشعراء الصعاليك^(١) يمكن الرجوع إليها لمعرفة
طبيعة هؤلاء الشعراء وقيمة شعرهم .

يصف الشاعر فى هذه القصيدة المختارة الطيف ، ويذكر حادث هروبه
من قبيلة بجيلة حين أُرصدوا له كميناً على ماء ، فأخذوه وكتفوه بوتر ، ثم دبر
حيلة بارعة هو وعمرو بن براق والشنفرى ، تمكن بها الثلاثة من النجاة صدوا على
الأقدام . والقصيدة فيها تصوير جيد لقوة جريه وشدة عدوه ، ثم وصف للرجل

(١) انظر الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى للدكتور يوسف خليل ط دار المعارف .

* * *

السيد الذي يركن إليه ، ثم نخر بتجشمه الأخطار ، وإشادة بكرمه ، منددا بمن يلومه على إنفاق ماله . والقصيدة مروية بالمفضليات أول قصيدة منها .

* * *

- ١ يا عيبدُ مالك من شوق وإيراق ومَرَّ طَيفٌ على الأهوالِ طَراقٍ
- ٢ يسرى على الأبن والحيات مُحتفيا نفمى فداؤك من سارٍ على ساقٍ
- ٣ إني إذا خُلَّةٌ ضُدتْ يَنائِلها وأمسكتُ بضعيف الوصل أحذاقٍ
- ٤ نجوتُ منها تَجائى من بَجيَلَةٍ إذ أَلقيتُ ليلَةَ خَبِتِ الرَّهْطِ أرواقٍ
- ٥ ليلَةَ صاحوا وأغرَوا بى سِراعُهُم بِالعَيْكَتَيْنِ لَدَى مَعْدَى ابنِ بَراقٍ
- ٦ كَأَنَّمَا حَثَّحُوا حُصًّا قِوَادِمُهُ أَوَّامٌ خَشِيفٌ بِذِي شَتِّ وَطَباقٍ

(١) العبد : ما اعتاد من حزن وشوق . الإيراق : مصدر « آرقه » من الأرق . طراق : يقصد أنه يطرق ليلا في موضع البعد والحاجة .

(٢) يسرى : يسير ليلا . الأبن : نوع من الحيات أو هو الإعياء . محتفيا : حافيا .

(٣) الخُلَّة : الصداقة . النَّائِل : ما ينال - ضعيف الوصل : بجعل ضعيف . الأحذاق : المنقطع .

(٤) بَجيَلَةٍ : القبيلة التي أسرته . الخبت : اللين من الأرض . الرَّهْطُ هنا : اسم موضع . أَلقيتُ أرواق : استغرقت مجهودى في العذر .

(٥) العَيْكَتَانِ : موضع . معدى : مصدر ميبى أو ادم مكان . ابن براق : هو عمرو مملوك من أصدقاء تابط شرا وكان معه والشنفرى ليلة هروبه من بَجيَلَةٍ .

(٦) حَثَّحُوا : حركوا من الحث . الحص : جمع أحص وهو ما تثار ويشه وتكسر ويعنى بذلك الظالم وهو ذكر النعام . القوادم : ما دلى الرأس من ريش الخنازير . التلشف : ولد الظليسة . الشت وطباق : بتان طيبا المرعى يضميران راعيهما ويشدان لهما .

- ٧ لا شئَ أسرعُ مني ليس ذا عُدْرٍ وذا جناحٍ يحنِّبُ الرِّيدَ خَفَّاقٍ
٨ حتى نَجوتُ ولنا يَنْزَعُوا سلبِي يواله من قَيْضِ الشَّدِّ غَيْدَاقٍ

* * *

- ٩ ولا أقول إذا ما خُطِلَ صرمتُ يا ويح نفسي من شوقٍ وإشفاقٍ
١٠ لكننا عَوَّلِي إن كنتُ ذا عَوَّلٍ على بصيرٍ يكسِبُ الحميدَ سَبَاقٍ
١١ سَبَاقٍ فَيَا بَاتِ جَمْدٍ في عَشِيرَتِهِ مُرَجِّعِ الصَّوْتِ هَذَا بينَ أَرْفَاقٍ
١٢ عَارِي الظَّنَّابِيبِ، مُتَمَدِّ نَوَاشِرُهُ مِدْلَاجِ أَذْهَمَ وَاهِي الْمَسَاءِ غَسَاقٍ
١٣ حَمَالِ أَلَوِيَّةٍ، شَهَادِ أَنْدِيَّةٍ قَوَالِ مُحْكَمَةٍ، جَوَابِ آفَاقٍ
١٤ فذاك همِّي وغزوي أسْتغِيثُ بِهِ إذا اسْتغَيْتُ بِضَافِي الرَّاسِ نَعَاقٍ

- (٧) العُدْر: جمع عُدرة وهي ما أقبل من شعر الناصية على وجه الفرس . الريد: قسة الجبل .
يقول: لا شئَ أسرع مني إلا الفرس وإلا الطائر الخارج الذي يأوي إلى قسة الجبل .
(٨) السلب: ما يسلب في الحرب . الواله: الذاهب العقل . الشد القبيض: الجري السريع .
الغيداق: الكبير الواسع، من الغلق وهو المطر الكثير .
(٩) صرمت: قطعت .
(١٠) العول: بفتح العين وكسرهما وفتح الواو: مصدر من العويل . بدأ في وصف الرجل
الكامل يبيّن فقد صداقته أو الذي يموت عليه .
(١١) مرجع الصوت: يصبح آمرا ناهيا لأنه رئيس القوم . الأرفاق: الرفاق .
(١٢) الظنابيب: جمع ظنوب وهو حرف عظم الساق، يجعلها عارية لها لها، والعرب تمدح الهزال
وتهجو السمن . النواشر: عروق ظاهر الذراع . مدلاج: كثير السفر في الليل . الأذهم: الليل .
واهى المساء: مطر شديد أو حجارة لا تمسك ماءها . الغساق: الشديد الظلمة .
(١٣) المحكمة: الكلمة الفاصلة . جواب آفاق: صاحب أسفار وغزو .
(١٤) غزوى: مقصدي من الغزو . ضافي الرأس: كثير الشعر، نفاق ونعاق بمعنى واحد .

١٥ كالحَنِيفِ حَدَّاهُ النَّامُونُ قُلْتُ لَهُ : ذُو ثَلَاثَيْنِ وَذُو بَيْتَيْنِ وَأَرْبَاقِ

* * *

١٦ وَقُلَّةٍ كَسِنَانِ الرُّحْ بارِزَةٍ ضَخِيَّانَةٍ فِي شُهُورِ الصَّيْفِ مَحْرَاقِ

١٧ بَادَرْتُ قُنَّتَهَا صَحْبِي وَمَا كَسَلُوا حَتَّى تَمَيَّتَ إِلَيْهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ

١٨ لَا شَيْءَ فِي رَيْدِهَا إِلَّا نَعَامُهَا مِنْهَا هَزِيمٌ وَمِنْهَا قَائِمٌ بَاقِ

١٩ بِشَرْتَةِ خَلْقِ يُوقَى الْبَنَانُ بِهَا شَدَدْتُ فِيهَا سَرِيحًا بَعْدَ إِطْرَاقِ

* * *

٢٠ بَلْ مَنْ لِعَذَالَةٍ خَذَالَةٍ أَشْبِ حَرَّقَ بِاللُّومِ جِلْدِي أَيْ تَحْرَاقِ

٢١ يَقُولُ أَهْلَكَتَ مَالًا لَوْ قَنَعْتَ بِهِ مِنْ تَوْبٍ صَدَقَ وَمِنْ بَزٍّ وَأَعْلَاقِ

(١٥) الحُفَافُ : يا أوج من الرمل . حدَّاهُ النامون : أى صلبوه بدومهم إياه وصعودهم عليه . والنَّامُونُ من « نَمَى » أى صعد وارتفع . الثَّلَاةُ : القطعة من الغنم . البَيْتُ : أولاد الشاة . الأَرْبَاقُ : جمع « رِبْق » بكسر فسكون هو حبل يجعل كالحلقة يشد به صغار الغنم ثلاثرضع . شبه تلبذ شعر الراعى النعاق بالحُفَافِ الذى لبده النامون عليه . ثم يقول له : أنت ذو ثلثين مالك ولحرب ؟ يحقره بذلك ويريد أن يستغيث بمن وصف من قبل إذا استغاث غيره بمثل هذا الراعى .

(١٦) القُلَّةُ : أعلى الجبل . ضَخِيَّانَةٌ : بارزة للشمس . مَحْرَاقُ : تحرق من فيها .

(١٧) تَمَيَّتَ إِلَيْهَا : ارتفعت .

(١٨) الرِّيدُ : أعلى الجبل . النَعَامَةُ : خشبات يأوى إليها الربيضة أو الراصد وتكون فى أعلى الجبل . هَزِيمٌ : منكسر .

(١٩) بِشَرْتَةِ خَلْقٍ : بنعل ممزقة . المَرِيحُ : السُّيُورُ تشد بها النعل . الإِطْرَاقُ : أن يجعل تحت النعل مثلها .

(٢٠) الْعَذَالَةُ : الكثرة العذل . الْخَذَالَةُ : الكثرة خذلان صاحبها . الْأَشْبُ : المعترض .

(٢١) تَوْبٌ صَدَقَ : مقابل توب سوء ، يعنى به الجيد . الْبَزُّ : الملابس أو السلاح . الْأَعْلَاقُ : كرائم الأموال ، يريد أنه يأمره بالبخل وإمساك ماله .

٢٢ عاذلتني إن بعض اللوم مَعَفَّةٌ وهل متاعٌ وإن أبقيته باقٍ
 ٢٣ إني زعيمٌ لئن لم تركوا عَذْلِي أن يسأل الحى عن أهل آفاقٍ
 ٢٤ أن يسأل القوم عن أهل معرفةٍ فلا يُخبرهم عن ثابتٍ لاقٍ
 ٢٥ سَدَّدْ خَلَائِكَ من مالٍ تُجْمَعُهُ حتى تلاقى الذى كلُّ امرئٍ لاقٍ
 ٢٦ لَتَقْرَعَنَّ عَلَى السِّنِّ من نَدَمٍ إذا تذكَّرتَ يوما بعض أخلاقٍ

(٢٢) معفة : عفف .

(٢٣) زعيم : كفيل وضمين .

(٢٤) ثابت : هو تأبط شرا .

(٢٥) الخلال : جمع خلة وهي الحاجة والفقر . ويجوز أن يكون هذا البيت بعد البيت « ٢١ »
 ليكون من تحريض العاذلة له أن يسد بماله فقره حتى يلقى الموت . ويؤيد ذلك رواية ابن قتيبة في
 الشعر والشعراء .

(٢٦) لتقرعن ، خطاب للرجل العاذلة موجه من تأبط شرا .

* * *

مسيد حنفي

(٢)

أَيْفُ الْوَحْشِ

* * *

يقولون إن تأبط شرا خطب امرأة من هذيل ، فحذرنا قومها من أن تقبله زوجها لها ، لأنه يعيش حياته مغامرا يحمل رأسه على كفيته ، وأنه معرض للموت في كل لحظة ، وإن هي إلا غارة قريية حتى يلقي مصرعه وتذوق مرارة الترميل بعده . فقال هذه الأبيات التي يرسم فيها صورة حياته تستمد خطوطها من الواقع الذي يعيشه مسعلوكا مغامرا متشرّدا في أعماق الصحراء حتى ألفتته وحوشها ، وفزعا رهيبا لطبقة المآلة الأغنياء من أصحاب الإبل ، ويسجل في نهايتها أنه لا يخشى الموت لأنه يدرك أنه المصير المحتوم الذي لا مفر منه ، وأن القتل هو النهاية التي لا بد أن ينتهي إليها كل مغامر مثله وهب حياته لهذا الصراع المساح الذي يعيش في أعماقه هو ورفاقه الصعاليك .

* * *

- ١ وقالوا لها : لا تشكّجيه فإنه لأوّل نعل أن يلاقى بجمعا
- ٢ فلم ترمي رأي فتيلًا وحاذرت تأيّمها من لابس الليل أروعا

(١) لا تشكّجيه : لا تزوجه . ولأوّل نعل : أى أنه معرض للقتل لأوّل ضربة نعل . وجمعا : أى جمعا من أعدائه تجمعوا للقائه .

(٢) الرأى الفتيل : الضعيف . والتأيم : الترميل . ولايس الليل : أى أنه من « أبناء الليل » الذين يتخذون منه مسرحا لمغامراتهم . والأروع : الشجاع .

- ٣ قليل غرار النوم أكبر هممه دم النار أو يلقي كيباً مقنماً
 ٤ قليل ادخار الزاد إلا تعلقة فقد نثر الشر مؤف والتصق المعى
 ٥ بيت بمغنى الوحش حتى ألقته ويصبح لا يحصى لها الدهر مرتعاً
 ٦ أين قتي لا صيد وحش يهيمه فلو صاغت إنسا لصاغت معاً
 ٧ ولكن أرباب المخاض يشقهم إذا افتقدوه أورأوه مشيعاً
 ٨ وإنى — ولا علم — لأعلم أنى سألنى سنان الموت يرشق أضلعاً

(٣) غرار النوم : أى النوم الخفيف . والكى : البطل فى كامل سلاحه . والمقنع : المظم .
 يصف نفسه بأنه قليل النوم لأنه مشغول بمركة النار من مجتمعه التى وهب حياته لها كما وهب لها رفاقه
 الصالحين ، وفى شعر عمرو بن رافة رفيقه فى أكثر غزواته :

ألم تعلم أن الصالحين نومه قليل إذا نام الخليل المسالم

(٤) التعلقة : الاكتفاء بما يتغل به من أقل الزاد ، وفشرو برز . والشرسوف : الطرف الأيمن من
 الضلع مما إلى البطن . والمضى : مفرد الأمام . يقول إنه ضامر نحيل لقلة ما يقيه لنفسه من طعام لأنه
 يؤثره من الفقراء الجاهل به .

(٥) المغنى : المقام أى حيث تقيم الوحش فى أعماق الصحراء . وقوله « لا يحصى لها الدهر
 مرتعاً » يريد به أنه لا يمنعها من الرعى فهى لا تخاف منه . وقد أخطأ محققو كتاب الأغاني فى شرح
 البيت (٢١/ ١٤٦ طبعة الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣) .

(٦) البيت استمر فى الصورة التى رسمها فى البيت السابق ، يقول إن الوحش ألقته واطمأنت إليه ،
 وأدركت أنه لم يزل معها فى مراعيها لصيدها ، فأنست إليه حتى لو أنها صاغت أحداً من البشر لصاغت .

(٧) أرباب المخاض : أصحاب النوق العشار . ويشقهم : يؤرقهم ويسبب لهم العناء والمشقة
 فى المحافظة على إبلهم . وقوله « إذا افتقدوه أورأوه مشيعاً » يعنى أنهم يخشونه فى غيابه وحضوره ، وأنه
 فزع دائم لهم . والشيع : الذى معه أصحابه . وفى رواية أخرى « يشقهم » أى يهزهم ويكدهم عيشهم .
 وفيها « إذا افتقدوه واحداً أمشيما » أى إذا تبعوا أثره فرادى أو جماعات ، أو تبعوا أثره وحيداً
 أو مع رفاقه .

(٨) ولا علم : أى أنى لا أعلم الغيب ولا أدرى متى يحين أجل . يرشق أضلعاً : أى يرمى ضلوعه ،
 كناية عن الموت . وفى رواية أخرى « وإنى وإن عمرت » ، وفيها « يرق أضلعاً » يريد أن سنان
 الموت مصقول مجلولامع ، فهو دائماً مهياً للعمل .

- ٩ على غيرة أو جبهة من مكائير أطال يزال الموت حتى تَسْعَسَا
١٠ وكنتُ أظن الموت في الحى أو أرى ألدُّ وأكوى أو أموت مُقْتَعَا
١١ ولستُ أبيتُ الدهر إلا على فتى أسلبه أو أذمرُ السرب أجمعا
١٢ ومن يَضِرُّ الأبطال لا بدُّ أنه سيلقى بهم من مصرع الموتِ مصرعا

* * *

(٩) المكائر : الذى يكثر بفارائنه ، أى كثير الفارات ، يريد نفسه . وتسعس : فنى وذهب . يؤكد أن الموت سيلقاه على حين غرة منه وفضلة عنه ، أو سيلقاه مواجهة صريحة ، ولا يرى فى ذلك غرابة لأنه وهب حياته للوث ، وعاش عمره فى صراع معه ، حتى انتهت حياته ، وأدركه الفناء .
(١٠) ألد : أخاصم ، من اللد وهو الخصومة العنيدة التى لا تلبث ولا ترجع إلى الحق ، وقد قرأها محققو الأغاني «ألد» بالذال ، وأظنه خطأ . وأكوى : أهدوعدوا شديداً ، من كوى (كرضى) بمعنى جرى جرياً شديداً ، وقد ضبطها محققو الأغاني بضم الهجمة والبناء للجھول ، وشرحوها بمعنى أزيد ، وأظنه خطأ أيضاً . وقد ترتب على الخطأين خطأ فى فهمهم معنى البيت . والمعنى — عندى — أنه يقول : إننى أرى الموت الحقيقى فى البقاء فى الحى ذليلاً ، لا فى الخروج للفارة والعدو المتصل حتى الموت فى ساحة الكفاح بطلا مسلحاً فى سبيل مبادئ وأهداف . إنه لا يريد أن ينتظر أجله وهو قانع بحياة الذل والهوان على هامش القتيلة ، وإنما يريد أن يخرج إليه للقاء فى ساحة الكفاح المسلح من أجل الحرية والكرامة ، وما مات من مات فى سبيل مبادئه وأهدافه .

(١١) يقول إنه لا يهدأ ولا يستقر حتى يحقق أهدافه فى النزو والفارة إلى الأفراد والجماعات للسلب والنهب وقطع الطريق . وخطأ ما ذهب إليه محققو الأغاني فى شرح البيت من أنه يقضى حياته « بين سيد وقنص » ، لأنه يتعارض مع جو الأبيات ، ويتناقض مع ما تقدمه فى بدايتها من حديث عن إلفه الوحش وعدم خوفها منه ، وأنه لا يفرزها فى مراتبها .

(١٢) يقول إن من يجعل حياته صراعاً مستمراً لا بد أن يلقى فى ساحة الصراع مصرعاً من مصارع الموت المتعددة . « ومن » فى البيت موصولة لا شرطية . وفى رواية أخرى للبيت « ومن يفر بالأعداء » وتكون « من » هنا شرطية لا موصولة ، وهى رواية جيدة .

* * *

يوسف خليف

(٣)

رَفِيقُ الْغُولِ

* * *

في شعر تأبط شرا أكثر من قصيدة يتحدث فيها عن لقاءه الغول في ليالى الصحراء الموحشة ، وما يدور بينه وبينها من صراع . وهى صورة — وإن تكن مغلفة بجو أسطورى غامض — تصور ما كان يحيله الوهم لذلك الصعلوك المغامر المنتشر البعيد الآفاق في الليالى المظلمة بين أرجاء الصحراء الرهيبة ، حيث تتجسم الرؤى أشباحا خفيفة ، وتختلط الأصوات التى تترامى من هنا ومن هناك في معزوفة غامضة رهيبة . ومع ذلك فقد يكون ما يقصده تأبط شرا من الغيلان تلك الفصيلة من الحيوان المعروفة باسم « الغورلا » ، وكانت معروفة في بعض المناطق الجنوبية من اليمن ، وفي « القاموس المحيط » أن من معانيها « دابة رأته العرب وعرفتة وقتلتها تأبط شرا » . ولكن هذا — على كل حال — لا ينبغي أن صورتها عنده بحاطة بهذا الإطار الأسطورى الذى نراه واضحاً في كل أحاديثه عنها .

وفي هذه القصيدة نرى صورة من هذه الأحاديث ؛ يصور فيها لقاءه لها ، بعد أن يمهّد لذلك بالحديث عن الليل المظلم الذى ظهرت له فيه ، وهو في طريقه إلى بعض مغامراته في أعماق الصحراء ، ثم يصفها ، ويسجل ما دار بينه وبينها ، ثم ينتهى الموقف — كما ينتهى عنده دائماً — بقتلها .

* * *

- ١ تقول سليمى لبحاراتها : أرى ثابتاً يَفَنّا حَقَّلاً
- ٢ لها الويلُ ! ما وجدتُ ثابتاً أَلَفَّ اليدين ولا زُملاً
- ٣ ولا رَعشَ الساق عند الحِرَاءِ إذا بادَرَ الحملةَ الهَيَّضَلا
- ٤ يفوتُ الجيادَ بتقريبه ويكسو هواديها القَسَطَلا

* * *

- ٥ وأدهمَ قد جُبْتُ جليابه كما اجتنبتِ الكاعبُ الخيَعلَا
- ٦ إلى أن حَدا الصبحُ أثناءً ومزقَ جليابه الأثيلا
- ٧ على شيمٍ نارٍ تنورُها فَبْتُ لها مذبِرا مَقِيلا

(١) سليمى : زوجته . وثابت هو تابط شرا . واليفن : الشيخ الكبير . والحوقل : الذى يقارب من خطواته إعاءة وضعفا . والمطلع يدل على أن القصيدة نظمت فى أنشادات حياته ، وأن حديث القول كان ذكرى من ذكرياته .

(٢) أَلَفَّ اليدين : كناية من الشيخوخة والضعف . والزمل : الضعيف المتخاذل .
(٣) رَعشَ الساق : يثقل اليدين كناية عن الشيخوخة والضعف . والجِراء : الجرى ، مصدر من مصادر «جرى» . والحملة : الكرة فى القتال . والهَيَّضُ : الجماعة المتسلحة الكثيرة العدد .
(٤) التقريب : ضرب من العدو . والحوادى : الأعناق . والقسطل : الفجار ، يصف نفسه بسرعة العدو ، وأنه يستطيع أن يسبق الخيل فيكسوها عنها المتقدمة بالنار الذى يشيره بقدميه عند العدو .
(٥) الأدهم : الأسود ، يريد الليل . سببت : قطعت . وجلياب الليل : ظلامه . واجتنابت : لبست . والكاعب : الفتاة التى تهدئ ديارها . والخيل : ثوب تلبسه المرأة كالقميص ، أو هو قميص بلا كمين . يصور كيف شق ظلمات الليل التى تلف الصحراء بلباسها السرد .

(٦) حَدا : ساق . والضمير فى «أثناء» يعود على الليل ، وأثناء الليل : طبقات ظلماته المتكاثفة بعضها فوق بعض . والإليل : الشديد السواد . يصف ظهور الصباح ، وكيف أخذ يسوق ظلام الليل أمامه ، ويمزق ثيابه السود التى توشح الصحراء .

(٧) الشيم : النظير بعيد . وتنورتها : أبصرتها . يقول إنه رأى نارا تراءت له من بعيد ، فبات يتربص بأهلها ليأخذهم على غرة حين تسبح له الفرصة .

- ٨ فأصبحتُ والنولُ لي جارةُ فيا جارتا أنتِ ما أهولا !
 ٩ وطالبتها بضمها فالتوت بوجهٍ تقولُ فاستغولا
 ١٠ فقلت لها : يا انظري كي ترى فولتُ فكنتُ لها أغولا
 ١١ فطار بيقحف ابنه الجن ذو سفاسق قد أخلق المحملا
 ١٢ إذا كل أمهيه بالصف فدد، ولم أريه صيقلا
 ١٣ عظامه تقير لها خلنا ن من ورق الطلع لم تنزلا

(٨) في رواية أخرى :

فأصبحت النول لي جارة فيا جارتا لك ما أهولا

وفي رواية غيرها « ما أهولا » .

(٩) البضع : الجماع . وقوله « بوجه تقول فاستغولا » يريد به أنه تشكّل أشكالا قبيحة مخيفة .
 وفي رواية أخرى « ... فالتوت على وحاولت أن أفعل » .

(١٠) يا انظري : نداء والمنادى مخدوف تقديره « يا هذه » ، ومثل هذا الأسلوب شائع في الشعر العربي القديم . وكنت لها أهولا : أي أنه كان أشد وحشية منها . يذكر في هذا البيت أنه أفلح في خداعها ، فأدارت وجهها ومضت ، فانقض عليها في وحشية أشد من وحشيتها .

(١١) القحف : العظم الذي فوق الدماغ . وذو سفاسق : يريد السيف ، والسفاسق : طرائفه التي تظهر عليه لشدة صقله . وأخلق : أهلك . والمحمل : علاقة السيف . يذكر هنا أنه قتلها بضربة من سيفه المصقول الذي لا يفارقه فوق رأسها فطار به .

(١٢) أمهى السيف : أحده . والصفا : الصخر . والصيقل : من يصقل السيف ويحدها .
 يقول في واقعية صريحة إنه يجد سيفه إذا كل على الصخور ولا يدفع به إلى صيقل ليحده له .

(١٣) العظام : دوية من فصيلة الزواحف كسنام أبرص تعيش في الصحراء . والطلع : شجر عظام من شجر البادية . صورة غريبة رسمها تأبط شرا للنول تراهى معها كأنها حيوان أسطوري من مصور ما قبل التاريخ .

١٤ فَمَنْ سَأَلَ : أَيْنَ ثَوْتُ جَارِقِي ؟ فَإِنَّ لَهَا بِاللَّوِي مِثْلًا

١٥ وَكَنْتُ إِذَا مَا هَمَمْتُ اعْتَزَمْتُ وَأَحْرِي إِذَا قُلْتُ أُنْ أُنْ أُنْ

* * *

(١٤) اللوى : ما النوى من كسبان الرمال . يذكر أنه قتل القول وجعل من الرمال قبرا لها . وفي رواية أخرى « فن كان يسأل عن جارقي » .

(١٥) اعترمت : صممت . وفي رواية أخرى « فعلت » بدلا من « اعترمت » .

* * *

يوسف خليف

عَصْرُ ذِي قَارِ

دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ

* * *

هو دريد بن الصمة — واسم الصمة معاوية — بن الحارث بن معاوية بن بكر
ابن علقمة بن جداعة بن غَزِيَّة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن . وأمه
ريحانة بنت معدى كرب ، أخت عمرو بن معدى كرب .

ودريد شاعر فحل من شعراء الجاهلية ، فضله الأصمعي على النابغة الذبياني
في بعض شعره ، وجعله ابن سلام أول الشعراء الفرسان ، فهو أحد الشجعان
المشهورين وذوى الرأى في الجاهلية . وكان سيد بنى جُشَم وفارسهم وقائدهم .
وكان مظفراً في حروبه ، ويقال إنه غزا نحو مائة غزوة لم يخفق في واحدة منها .
وأدرك الإسلام ولم يسلم . قال خاله عمرو بن معدى كرب — وهو فارس من
فرسان الجاهلية والإسلام — « لو طفت بظعينة أحياء العرب ما خفت عليها ،
ما لم ألقى عبيداً وحُرِّها » ، يعنى بالعبد بنى : عنترة بن شداد والسُّلَيْك بن السُّلَيْك
وهو من الصعاليك ، وبالحرين : دريد بن الصمة وربيعة بن مُكَّدم .

ودريد أحد المعمرين من الرجال والشعراء حتى لقد بالغ بعض الرواة فوصل
بعمره إلى مائتين من السنين .

والقصيدة المختارة يرثى فيها دريد أخاه عبد الله بن الصمة . وذلك أنه كان
قد نرج هو وأخوه فأغاروا على قطقان ، فأصابا إبلا عظيمة فاستاقاها ، فلما كانا
ببعض الطريق نزل عبد الله بن الصمة ليسترىح ويقسم المال بين أصحابه ، فنهاه

دريد خشية المتابعة . فبينما هما كذلك إذ رأيا غيرة ، وإذا فرسان قبيلة فزارة تتبعهما ، وقُتِلَ عبد الله بمكان يقال له اللوى وجرح دريد .

وقد بدأ مريثته لأخيه بنسيب بلائم الرثاء وهو خُلف الحبيبة وفراقها له ، ثم أعرب عن فداحة رزئه ، وذكر ما كان من نصيحته وإنذاره قومه بأعدائهم وعصيانهم أمره ، ثم تناول مقتل أخيه وولده لذلك ، ووصف أخاه بالشجاعة والجلود والمضاء والصبر وحزم الشيوخ ، وذكر أن مما هوّن وجده عليه أن دريدا كان لا يكذب له أمرا ولا يقضّ عليه بما يملك . ثم صبور مصرع أخيه وجرحه عند ذلك ، وذكر أنه لم يتركه دون أن يناضل عنه أصدق نضال . ثم نفخ بشجاعة نفسه ، ونعت فرسه في ينين أو جرفيهما وجمع كثيرا .

* * *

رثاء بطل

* * *

- ١ أرثُ جديْدُ الحَبْلِ من أمِّ معبدٍ بعاقبةٍ وأخْلَفَتْ كُلَّ مَوْصِدٍ
- ٢ وبانتُ ولم أحمِدْ لِيكَ جِوَارَهَا ولم تَرْجُ فِينَا رَدَّةَ الْيَوْمِ أَوْقِدِ
- ٣ أَعَاذِلَ إِنْ الرُّزَى فِي مِثْلِ خَالِدٍ وَلَا رُزَى فِيمَا أَهْلَكَ الْمَرْءَ عَنْ يَدِ

(١) أرث : أخلق وبل . عاقبة : بآخرة .

(٢) بانت : فارقت . الردة : الرجوع . وفي الأغاني : أن أم معبد التي ذكرها دريد في شعره كانت امرأة ، وسين رأته شديد الجوع على أخيه حاتبة في ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته فطلقها .

(٣) خالد : هو إما أخوه خالد بن العصة الذي قتل بنو الحرث بن الحرث بن كعب ، وإما عمه خالد بن الحرث الذي قتل بنو أسحس وهم بطن من شنوءة . يقول : أن الرزء إنما هو في فقد الرجال وليس في إهلاك المسال .

الجزء الأول

٤٦١

- ٤ وقلت لعراض وأصحاب عارض
٥ علانية : ظنوا بالثني مدجج
٦ أمرتهم أمري بمنعرج اللوى
٧ فلما عصوني كنت منهم وقد أرى
٨ وما أنا إلا من غزيرة إن غوت
٩ وإن تعقب الأيام والدهر تعابوا
١٠ تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً
١١ وإن يك عبيد الله خلى مكانه
- ورسط بنى السوداء والقوم شهدي
سراهم في الفارسي المبرد
فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
غوايتهم وأننى غير مهتد
غويت وإن ترشد غزيرة أرشد
بنى قارب أنا غضاب بمعبد
فقلت أعبد الله ذلكم الردى ؟
فما كان وقافاً ولا طائش اليد

(٤) عراض : قوم من بنى جشم كان دريد قد نهاهم من النزول حيث نزلوا فعصوه . ورسط بنى السوداء منهم . شهدي : شهوى .

(٥) علانية : أى قلت لهم علانية . ظنوا : أيقنوا . أو معناه : ما ظنكم بالثني مدجج . المدجج : الثام السلاح . سراهم : أمرتهم . ورثمازهم : الفارسي : الدرع الذى يصنع فى فارس . المبرد : المحكم النسيج أو دقيق الثقب .

(٦) منعرج اللوى : موضع كانت به الوقعة التى قتل فيها أخوه عبد الله بن الصمة .

(٧) يقول : إنهم رغم عصيانهم لأمره فقد رافقهم على رأيهم حتى لا يكون بينهم خلاف مع عليه بأن رأيه هو الأصوب . وقد جعل أبو هلال العسكى فى ديوان المعاني هذا البيت « أبلغ ما قيل فى مساعدة الرجل أخاه وأجوده » .

(٨) غزيرة (بفتح الغين وكسر الزاى) أحد أجداد دريد بن الصمة « غزيرة بن جشم » .

(٩) تعقب الأيام : تمر وتأتى أعقابها . ومع هذا : يقصد به أخاه عبد الله .

(١٠) الردى : الهالك ، من الردى وهو الملاك .

(١١) خلى مكانه : يقصد أنه مات . الوقاف : المحجم عن القتال .

- ١٢ ولا بَرَمًا إذا الرياح تَنَافَحَتْ يَرْطِبُ الْعِضَاهِ وَالضَّرِيعِ الْمُعْضِدِ
١٣ كَيْشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ مَا فِيهِ صَبُورٌ عَلَى الْعِزَاءِ طَلَّاعُ أَنْجِدِ
١٤ رَيْسُ حُرُوبٍ لَا يَزَالُ رَيْبُثَةً مُشِيحًا عَلَى مُحَقَّقِيفِ الصُّلْبِ مُلِيدِ
١٥ صَبُورٌ عَلَى رُزْءِ الْمَصَائِبِ حَافِظُ مِنْ الْيَوْمِ أَدْبَارَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ
١٦ صَبًا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ : ابْعِدِ
١٧ وَهَوْنٌ وَجَدَى أَنْتَى لَمْ أَقْلُ لَهُ كَذِبَتَ ، وَلَمْ أَتَحَلَّ بِمَا مَلَكَتْ يَدَى
١٨ وَكَنْتُ كَأَنِّي وَاقْتُ بِمُصَدِّرٍ يَمْشِي بِأَكْنَافِ الْحَبِيبِ قَمَحِدِ

(١٢) البرم : بفتح الزاء : الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر . تنافحت : تقابلت فى المهب وذلك إذا اشتد هبوبها . العضاه : ما غظم من شجر الشوك وطال وامتد شوكه ، الواحدة عضاهة . الضريع : نبت بالحجاز له شوك كبار . المضد : يقال « ضد الشجرة » إذا نثر ورقها لإبله ، أو قطع فروعها بالمضد .

(١٣) الكيش : الماضى العزم فى اتخاذ قراراته ، وأما فى السرعة إلى الإزار على المجاز . وفى اللسان « رجل كيش الإزار : مشمره » . العزاء : الشدة . طلاع أنجد : ركاب لصعاب الأمور .

(١٤) الرَيْبَةُ : العليقة ، وهو الذى ينظر للقوم لئلا يدهمهم مدور ، ولا يكون إلا على جبل . المشيح : الجلاء المحقوق : الموج . الملبد : الفرس شد عليه لبد السرج .

(١٥) رواية الجماسة والأغانى لصدر البيت « قليل التشكى للمصيبات حافظ » والمعنى : أنه لا يتألم للنواب تزل بساحته ، وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس فى غده .

(١٦) صبا : من الصبوة وهى الفتوة والهور .

(١٧) ليس القصد أنه لم يقل له كذبت فقط ، وإنما المراد أنه لم يحقه أدنى جفاء .

(١٨) المصدر : السابق من التحليل . الأكتاف : النواحي . الحبيب : رواية الحبيب تصغير

« جب » موضع . محتد : موضع .

- ١٩ غداة دعاني والراح ينشئه
كوقع الصياصي في النسيج الممدد
٢٠ وكنت كذات البوريمت فأقبلت
إلى جذم من مسك سقي مجلد
٢١ فطاعت عنه الخيل حتى تبددت
وحتى ملاني حالك اللون أسود
٢٢ طعان امرئ أمي أخاه بنفسه
وأعلم أن المرء غير محمد
٢٣ وهون وجدى أنما هو فارط
أماي ، وأنى وارد اليوم أو غد
٢٤ وغارة بين اليوم والليل فلتة
تداركتها ركضا يسيد عمرد
٢٥ سليم الشطا عبل الشوى شنج النسا
طويل القرا نهيد أسيل المقلد

(١٩) ينشئه : يتناوله . الصياصي : جمع « صيصية » بكسر الصادين وفتح الياء الثانية مخففة وهي شوكة الحائك التي يسوى بها السداة والحممة . يريد أن أخاه دعاه والراح تتناوله ولها خشخشة ووقع كوقع صياصي الحائك في ثوب أو فميج .

(٢٠) البو : ولد الناقة يذبح ويحشى جلده تبنا لتعطف عليه أمه وتراه فتدرك اللبن ولا يتقطع . ويست : فرقت . الجذم : بكسر الجيم وفتح الدال : جمع جذمة بسكون الدال وهي القطعة . المسك : بفتح الميم : الجلد . السقب : ولد الناقة . المجلد : المسلوخ .

(٢١) أسود ، يضم الدال : لقواء . ويقصد بحالك اللون غبار الحركة .

(٢٢) الفارط : المتقدم السابق .

(٢٤) اليوم : النهار فقط . فلتة : كان للعرب في الجاهلية ساعة يقال لها الفلتة يغيرون فيها . وهي آخر ساعة من آخر يوم من أيام جمادى الآخرة ، يغيرون تلك الساعة وإن كان هلال رجب قد طلع تلك الساعة من آخر جمادى الآخرة ما لم تغب الشمس . السيد : الذئب . العمرد : الطويل . شبه فرسه بالذئب .

(٢٥) الشطا : أحد عظام الذراع . عبل الشوى : غليظ القوائم . النسا : قال الأصمعي « عرق يخرج من الورك فيسحبطن الفخذين ثم يمر بالعروق حتى يبلغ الحافر » . الشنج : المتقبض ، وهو مدح له لأنه إذا تقبض نساء لم تسترخ رجلاه . القرا : الظهر . النهدي : الجسم المشرف . الأسيل : الطويل . الأملس المستوى . المقلد : موضع القلادة .

٢٦ وينجُ منه صرة القوم مصدقا وطول السرى درى عَضِب مَهْد

* * *

(٢٦) صرة القوم : ضيقتهم وصراخهم • المصدق بفتح الميم والذال : مصدر ميمي ، أى صدق الجرى • والمصدق أيضا الجلد والصلابة • يعنى : أنه إذا صاح به القوم ظهر منه الجدى الجرى لإغاثتهم • السرى : السير بالليل • العضب : السيف القاطع • ودريه : تلائمه وإثرائه كأنه منسوب إلى الدر لصفائه وقائه •

* * *

مسيل حنفي

سَاعِدَةُ بَن جُوَيَّة

* * *

ساعدة بن جوية أحد شعراء قبيلة هذيل ، ويعد مع أبي ذؤيب الهذلي - وهو شاعر مخضرم - من أشعر شعراء هذه القبيلة ، وكان أبو ذؤيب راوية لساعدة . وهو يتحدث في هذا الجزء من القصيدة عن صيد الوعول والبقر الوحشي - بعد أن يبدأها بالشكوى من الشيب والهرم والضعف الذي يعتري كبار السن .

* * *

تأملات في الشيب والموت

- ١ يا ليت شعري ألا منجى من الهرم
 - ٢ . والشيب داء نجيس لا دواء له
 - ٣ وستان ليس يقاض نومة أبدا
 - ٤ في منكيته وفي الأضلاب واهنة
 - ٥ إن تأتته في نهار الصيف لا تره
 - ٦ حتى يقال وراء البيت منبذاً :
- أم هل على العيش بعد الشيب من ندم ؟
 للوء كان صحبها صائب القحيم
 لولا غداة يسير الناس لم يقسم
 وفي مفاصله غمز من العسم
 إلا يجع ما يصلى من الجحيم
 قم لا أبالك سار الناس فأحترم

(٢) النجيس والناجس : هو الذي لا يكاد يبرأ منه من الأدواء . صائب القحيم : أى أنه إذا اقتحم في أمر أصاب وقعد في اقتحامه .

(٣) يقول : لا تراه أبداً إلا كأنه وستان مسترخ كأنه نائم من الضعف وليس يتنام .

(٤) العسم : اليبس ، يريد أن مفاصله قد يبتس . والواهنة : الوجع .

(٥) ما يصلى : ما يصطلى به في الشتاء . الجحيم : جمع بحمة ، وهى حر النار .

(٦) المعنى : حتى يقال له وهو وراء البيت والدار يتحدث نفسه : قم فقد سار الحى فأحترم : أى شد وسطك .

٧ فقام تُرْعِدُ كَفَاهُ بِحَجْنِهِ قد عادَ رَهْبًا رَذِيًّا طَائِشَ الْقَدَمِ

* * *

٨ تالله يبقى على الأيام ذو حَيْدٍ أدقَّ صَلُودٌ من الأوهالِ ذو خَدَمِ

٩ يَأْوِي إلى مُشَمِّخَاتٍ مُصَعَّدَةٍ شَمَّ يَمُوتُ فروعُ القانِ والنَّشَمِ

١٠ من فوقه شَعَفٌ قَرٌّ وَأَسْفَلُهُ جِيٌّ تَنْطَقُ بِالظُّلْيَانِ وَالْعَتَمِ

١١ مَوَكَّلٌ بِسُدُوفِ الصَّوْمِ يَنْظُرُهَا من المغاربِ مُحْطُوفُ الحَشَا زَرِمٌ

١٢ حتَّى أُتِيحَ لَهُ رَامٌ مُجْدَلَةٌ جَشٌّ وَبَيْضٌ نَوَاحِيْنُ كَالسَّجَمِ

١٣ فَظَلَّ يَرْقُبُهُ حتَّى إِذَا دَمَسَتْ ذَاتَ الْعِشَاءِ بِأَسْدَافٍ مِنَ النِّعَمِ

(٧) أى قام بحجته الذى يتوكأ عليه وكفاه ترتعدان . الرهب : الرقيق والضعيف . الرذى : المعنى المطروح .

(٨) الحيد فى القرن . وقرن ذر حيد أى ذراً نابيب ملتوية . الأدق : الذى فى قرنه دق وهو الحذب وهو الذى تحنى قرناه إلى ظهره . الصلود : الذى يصلد برجله أى يضرب بها على الصخرة فتسمع لها صوتاً . ذر خدم : أى أعصم ، والأعصم من الوعول ما فى يديه بياض أو فى إحداهما .

(٩) مشمخرات : مرتفعات . القان والنشم : شجرتان تتخذ منهما القسي العربية .

(١٠) شعف الجبال : رؤوسها . قر : بارد . جى : جمع جبة وهى منافع الماء . الظليان والعم : شجرتان .

(١١) السدوف : الشخوص . الصوم : شجر على شكل الإنسان . يرقب : يخشى أن يكون ناساً . محطوف الحشا : فزع . المغارب : كل مكان يتوارى فيه . الزرم : يقال أزرمه : إذا قطع عليه البول أو الحاجة قبل أن يتمه ، أو هو الذى لا يثبت فى مكان . وقوله موكل : كأنه وكل بها يفرق أن تكون ناساً . وفى البيت إقواء .

(١٢) المجدلة : القوس . الجش : القضيبي الخفيف . البيض : السهام . السجم : شجر له ورق مثل ورق الزيتون ، يريد أن نصال السهام تشبه هذا الورق .

(١٣) دمست : التبتت . وذات العشاء : أى ساعة العشاء . أسداف : جمع سدف (بفتحين) وهو الظلمة . النعم : اختلاط الظلمة بالضوء .

الجزء الأول

٤٦٧

- ١٤ ثم ينشوش إذا آد النهار له بعد الترقب من نيم ومن كتم
١٥ دلى يديه له سيرا فالزمه نقاحة غير إنباء ولا شرم
١٦ فراغ منه يجنب الريد ثم كبا على فضى خلال الصدر منحنطيم
* * *
١٧ ولا صوار مذرأة مناسجها مثل الفريد الذى يجرى من النظم
١٨ ظلت صوافن بالأرزان صادية فى ماحق من نهار الصيف محتمم
١٩ قد أوييت كل ماء فهى طارية مهما تصب أفقا من بارق تشم
٢٠ حتى شأها كليل موهنا عمل باتت طرابا وبات الليل لم يغم
٢١ كأن ما يتجلى عن غواربه بعد الهدوء تمشى النار فى الضرم

- (١٤) ينوش : يتناول . آد النهار : مال لزوال . النيم والكتم : شجرتان .
(١٥) دلى يديه : رماه بسهامه . نقاحة : تنفخ بالدم . غير إنباء : يقول : لم ينب سهمه حين رماه . ولا شرم : أى لم يشرم ، أى لم يصب جلده فيشقّه ولكنه قد حرق من الشق الآخر .
(١٦) يقول : راغ منه بناحية ريد الجبل روضة ثم عثر والمهم فيه . النضى : مهم بغير ريش . خلال الصدر : أى دخل بين أطباق الضلوع .
(١٧) الصوار : قطيع البقر . ومنسج الهداية ما بين مغرز العنق إلى منقطع الحارك فى الصلب . يقول كأن مناسجها ذريت بالمندى أى ضربتها الريح كما يندى الشعر بالمندى . مثل الفريد : أى كأنها فريد من فضة فى بياضها . النظم : جمع نظام وهو الخيط الذى ينظم فيه العقد .
(١٨) الصوافن : القائمة على ثلاث قوائم ثمانية سنبك يدها الرابعة . الأرزان : الأمكنة الصلبة . واحدا رزن . الصادى : الذابل .
(١٩) أوييت كل ماء : منعت كل ماء . طارية : ضامرة . تشم : تقدر أين موقعه .
(٢٠) شأها : شاقها فاشتات . كليل : برق ضعيف . موهنا : بعد وهن من الليل . باتت طرابا : يقصد البقر . بات الليل لم يغم : أى بات البرق يبرق ليلته .
(٢١) يتجلى : يظهر . عن غواربه : أى عن أعاليه ويقصد السحاب . الضرم : ما دق من الحطب ليس بالجزل ولا بالغليظ .

- ٢٢ حيرانُ يركبُ أصلاهُ أسافِلُهُ
يُخْفِي جَدِيدَ تَرَابِ الأَرْضِ مِنْهَزِمُ
٢٣ فَأَسَادَتْ دَجَلًا تُخْفِي لِمَوْعِيهِ
لَمْ تَنْتَشِبْ بِوُعُوثِ الأَرْضِ وَالظُّلَمِ
٢٤ حَتَّى إِذَا مَا تَجَلَّى لَيْلُهَا فِزَعَتْ
مِنْ فَارِيسٍ وَحَلِيفِ الغَرَبِ مُتَسِّمِ
٢٥ فَأَقْتَنَهَا فِي فِضَاءِ الأَرْضِ يَا فِرُّهَا
وَأَفْخَرَتْ عَنْ قِفَائِي ذَاتَ مُعْتَصِمِ
٢٦ أَتَخْفَى عَلَيْهَا شُرَاعِيًا فَعَادِرُهَا
لَدَى المَزَاحِفِ تَلَى فِي نُضُوحِ دَمِ
٢٧ فَكَانَ حَقًّا بِمَقْدَارٍ وَأَدْرَكُهَا
طَوْلُ النِّهَارِ وَلَيْلٌ غَيْرُ مُنْصَرِمِ
٢٨ هَلْ أَقْتَنَى حَدَثَانُ الدَّهْرِ مِنْ أَنَسِ
كَانُوا بِمَعِيطَ لَا وَخِيشَ وَلَا قَزَمِ
٢٩ كِيدًا وَجَعًا بِآنَاسٍ كَأَنَّهُمْ
أَفْنَادُ كَبِيبِ ذَاتِ الشَّتِّ وَالْخَزَمِ

(٢٢) يقول : هذا السحاب حيران لا يأخذ جهة واحدة • منهزم : متفجر بالمياه •

(٢٣) الإسناد : سير الليل • الدج : الليل كله • تخفي لموقعه : أحيث ليبتها لتبلغ ذلك المكار • لم تنتشب : لم تحتبس ولم يتعبها الوعث والظلمة •

(٢٤) الغرب : غرب كل شيء • حده • والحليف : السنان أى الحديد • ملتئم : مشتبّه غير مختلف • وهو من صفة قناة الريح • وقوله : حليف الغرب : أى حديد الحد •

(٢٥) اقتنأ : اشتق بها • يأفرها : يزيروها نزوا • القفاف : غلط في الأرض لا تجرى فيه الخيل • يقول : فلما أصبحت عن القفاف أدركتها الخيل •

(٢٦) أنحى عليها : حمل عليها • شرعيا : رجحا طويلا • تلى : تركه تليلا أى صريحا • وقوله لدى المراحف : أى عند المراحف •

(٢٧) فكان حقا بمقدار : أى فكان ما أصابها بمقدار •

(٢٨) « هل اقتنى حدثان الدهر من أنس » جواب مطلع القصيدة : « ياليت شعري ألا منجى من الهرم » ، أى هل اقتنى الموت أحدا • يقول : لو كان الزمان يقتنى أحدا أبق هذا الوحش • معيط : موضع ببلاد هذيل • الوحش : الأندال • القزم : القام •

(٢٩) أناس : جمع أنس وهم الكثير • الفند (بكسر فسكون) : الأنف من الجبل • كيبك : جبل • يقول لو كانت لهم كتائب وجيوش كأنها أفناد جبيل لأدركهم الموت • الشت : شجر طيبه الريح من الطعام يدبغ به • والخزم : شجر يؤخذ قشره فتقتل منه الحبال •

* * *

سميد حنفي

عبدُ يَغُوث بن وقَّاص الحارثي

* * *

هو ربيعة بن كعب الأرت بن ربيعة بن كعب بن الحارث من شعراء الجاهلية وفرسائها ، كان سيدا في قومه بني الحارث بن كعب ، وكان قائدهم في يوم الكلاب الثاني إلى بني تميم ، وفي ذلك اليوم أسر ثم قُتل .

من أهل بيت عريق في الشعر في الجاهلية والإسلام منهم البجلاج الحارثي وهو طفيل بن يزيد بن عبد يغوث ومُسَهر بن يزيد بن عبد يغوث وهو فارس شاعر ، وهو الذي طعن عامر بن الطفيل فأذهب عينه يوم « قَيْفَ الرِّيح » ، ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُلَبة بن ربيعة بن الحارث وكان فارسا شاعرا صنعوا ، أخذ في دم ، فحبس بالمدينة ، ثم قُتل صبيرا .

وخلاصة ما فصله صاحب الأغاني في روايته أن هذه القصيدة من شعر عبد يغوث قد قيلت في يوم الكلاب الثاني وهو اليوم الذي جمع فيه قومه وغزوا بني تميم ، فظفرت به بنو تميم وأسروه وقتل يومئذ .

وقصيدته الياثية التي نحن بصددتها تُعدُّ فريدة في موضوعها وإن كانت ظروفها قد هيئت لكثير من الجاهليين ، ولكن يبدو أن هذا الشاعر كان

(١) يراجع نسب الشاعر ومزله في قومه وشاعريته وشعره في يوم الكلاب وحديث يوم الكلاب

في كتاب الأغاني ، الجزء السادس عشر ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

أكثرهم حساسيةً برزت في قدرته على اختيار شريحة من تلك الظروف ليسيطر عليها ويصورها تفصيلاً على هذا النحو .

وقع عبد يغوث أسيراً وكان قائداً لقومه مذحج ، وأراد أن يفدى نفسه فأبت بنو تميم إلا أن تقتله بالنعمان بن جساس ، ولم يكن عبد يغوث قاتله ، ولكن تيميا قالت : قُتِلَ فارسنا ولم يُقتل لكم فارس مشهور . وكانوا قد شدوا لسانه حتى لا يستطيع أن يهجوهم ، فلما يئس من الفرار من القتل طلب إليهم أن يطلقوا لسانه ليذم أصحابه وينوح على نفسه ، وأن يقتلوه قتلة كريمة ، فأجابوه وسقوه الخمر ، وقطعوه له عرقاً يقال له الأَحْل ، وتركوه يتزف حتى مات .

وعلى هذا نظم قصيدته في تلك التجربة القاسية التي عاشها بما فيها من مرارة ، وقد أشدها حين جُهِزَ للقتل ، فبدأها رافضاً لوم صاحبيه ، وناهياً إياهما عن هذا اللوم الذي لا ينفعه شيئاً ، وهو يأسى من تصور انقطاع أمله في لقاء أصحابه ، فيبلغهم استحالة هذا اللقاء ، حتى إذا ما تذكر قومه بدا هاجياً لهم ، يلومهم على هزيمتهم ومسجلاً موقفه بينهم ، فلو أراد النجاة لنفسه لفرّ هارباً ، ولكنه ظل ثابتاً قوياً حريصاً على أن يحمي ذماره . ومن تسجيل حقيقة موقفه إلى عرض واقعه الأليم راح الشاعر يحكى في قصة حزينه ما حدث له من الأسر وشدّ لسانه وما لقيه من مخزية نساء تميم منه . وهو لا يكاد يستسلم لآلامه ، فقد آثر أن يمزجها بشيء من مفاحره ركز فيها على عرض شجاعته وكرمه وبراعته في القتال ، وشهامته في مواقف الجحد ، ولكنه نخر يشوبه حزنه وألمه خاصة حين يتذكر ما كان له من لذة في ما ضيه القريب .

(تراجع القصيدة في الأغاني - ١٦ ص ٢٢٢ ، وفي ديوان المفضليات تحت رقم ٣٠ بمحققة الأستاذين : عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر) .

* * *

عبد الله التطاوى

تَجْرِيبَةُ قَاسِيَةٍ

* * *

- ١ أَلَا تَلُوْمَانِي كَفَى اللُّؤْمُ مَا بَيَا وَمَا لَكُمَا فِي اللُّؤْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا
- ٢ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعُهَا قَلِيلٌ وَمَا لَوِي أَيْ مِنْ شِمَالِيَا
- ٣ فَيَارَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ نَدَامَايَ مِنْ تَجَرَّانَ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا
- ٤ أَبَا كَرْبٍ وَالْأَيَّهَمَيْنِ كَلِمَتَا وَقِيَسًا بَأَعْلَى حَضَرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا
- ٥ جَزَى اللَّهُ قَوْمِي بِالْكَلَابِ مَلَامَةً صَرِيحُهُمُ وَالْآخِرِينَ الْمَوَالِيَا
- ٦ وَلَوْ شِئْتُ نَجَّيْتَنِي مِنَ الْخَيْلِ نَهْدَةً تَرَى خَلْفَهَا الْحَوَّ الْحَيَادَ تَوَالِيَا
- ٧ وَلَكِنِّي أَخِي ذِمَارَ أَبِيكُمْ وَكَانَ الرَّمَاحُ يَخْتِطِفَنَ الْمُحَامِيَا
- ٨ أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِلسَعَةٍ : أَمَشَرْتُمِ أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيَا

(٢) الشمال جمعها شمائل ، والشمال : الخلق .

(٣) عرض : أتى العروض وهو موضع يقال أنه مكة والمدينة وما حولهما ، وعرضت : أى أتيت .

العروض أو مررت بها .

(٤) أبو كرب : هو بشر بن طلقة بن الحارث . الأيهان : هما الأسود بن طلقة بن الحارث .

والعاقب وهو عهد المسيح بن الأبيض .

(٥) الكلاب : يوم الكلاب الثاني ، كلاب أهل اليمن وتيمم ، وفيه أمر عهد يفتوت .

صريحهم : الصريح الخالص النسب . الموالي : الخلقاء .

(٦) ألهدة : المرتفعة . الحوة : الخضرة ، والأحوى : المائل إلى الاخضرار .

(٧) الذمار : الحمى الذى يجب على الانسان حمايته .

(٨) النسعة : صير منسوج من الجلد وقد شد به لسانه حقيقة .

- ٩ أمَشرَ تَيمَ قَدَ مَدَكُتُم فَاسَيجُوا
١٠ فَإِن تَقْتُلُونِي تَقْتُلُوا بَنِي سَيِّدَا
١١ أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَن لَسْتُ سَامِعًا
١٢ وَتَضَعُكَ مِنِّي شَيْخَةً عَهْشِمِيَّةً
١٣ وَظَلَّ نِسَاءُ الْحَيِّ حَوَالِي رُكْدًا
١٤ وَقَدْ عَلِمَتْ عِمْرَى مُلَيْكَةً أَنِّي
١٥ وَقَدْ كُنْتُ نَحَارًا جَزُورٍ وَمُعْمِلٍ
١٦ وَأَنَحَرُ لِلشَّرِبِ الْكَرَامِ مَطِيطِي
١٧ وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَعَهَا الْقَنَا
١٨ وَعَادِيَةَ سَوْمِ الْجَرَادِ وَزَعْتَهَا
١٩ كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلُ
٢٠ وَلَمْ أَسْبَأْ الرُّقَّ الرُّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلُ
- فَإِن أَخَاكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوَائِيَا
وإن تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا
نَشِيدَ الرَّعَاءِ الْمُعْزِينَ الْمُتَالِيَا
كَأَن لَمْ تَرَى قَبْلِي أُسِيرًا يَمَانِيَا
يَرَاوِدُنْ مِنِّي مَا تُرِيدُ نِسَائِيَا
أَنَا اللَّيْتُ مَعْدُوًّا عَلَى وَعَادِيَا
مَطِيٍّ وَأَمْضَى حَيْثُ لَأَحَى مَا ضِيَا
وَأَصْدَعُ بَيْنَ الْقَيْتَيْنِ رَدَائِيَا
لَيْقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَاءِ بَنَائِيَا
بَكْنِي وَقَدْ أَتَحُوا إِلَى الْعَوَالِيَا
لِخَيْلِي كَرَى نَفْسِي عَنْ رِجَالِيَا
لَأَيْسَارِ صَدِيقٍ : أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا

(٩) أصبحوا : سهلوا إلى الأمر . أخاكم : يقصد النعمان بن حسان . البواء : القتل والثأر ، والبواء : السواء أو الظهير .

(١٠) تحربوني : تسلبوني وتغلبوني ، وتركونني بلا علة ولا نصير .

(١١) المعزب : الذي يتخلى بإبله . المتالي : التي تتبعها أولادها ، المفرد متلية .

(١٢) عهشمية : نسبة إلى « عبد شمس » إذ يقال في النسبة إليها « عهشمي » .

(١٦) الشرب : جمع شارب . يصدع : يشق . القينة : المغنية خاصة من الإماء .

(١٧) شمعها : نقرها . اللبق : الخدق والرفق . تنفس : توسع .

(١٨) العادية : القوم يركضون . سوم الجراد : انتشاره في المرحى ، الرعاء : الرعاة . أنحوا الزماح : أمالوها وقصدوا بها . العالية من الرخ : أهلاء . وزعتها : كلفتها وامتعتها . أنحوا إلى : وجهوا إلى .

(٢٠) يسبأ الرق : يشتره للشرب لالبيع . السباء : شراء الخمر . الروي : المتلى . الأيسار : الذين يضربون القداح (مفرداها يامر) .

* * *

عيد الله التطاوي

الحارث بن وَعَلَةَ الجَرْمِيُّ

* * *

الحارث وأبوه وعلة شاعران قحطانيان قضاعيان ، من بني جرم بن ربان ابن عمران بن قضاعة . وهما جاهليان ، وإذا صح أن يوم يوم الكلاب الثاني قد وقع بعد الإسلام ترتب على ذلك إدراك الحارث وأبيه الإسلام فكانا مخضرمين . والقصيدة التي نحن بصدددها جاهلية في نطمها ومحتواها ، وقد قيل إنها لوعلة ابن عبد الله بن الحارث في يوم الكلاب الثاني ، وقد حضره فنجأ على رجله شداً وقد عقر به ، وقيل أيضاً أنها لعابن بن الحصين أحد بني قدامة بن جرم . والصحيح نسبها للحارث بن وعلة الجرمي عند أكثر الرواة .

وهي قصيدة تبدو فيها من ملامح الغوابة ما يفخر به الشاعر من هروب قومه ، ونجاتهم من المعركة ، على غير عادة شعراء العصر الجاهلي ، وهي ترد بلا مقدمات إلا ما يشير إلى سرعة عدوه ، وما يتناسب معه بعد هذا من ذكر المواضع ، والاستطراد في الصور التي تلائم سرعته كما صنع في صورة العقاب .

وفيها أيضاً يبدو حرص الشاعر على ذكر أسماء القبائل ، وأكثر ما يكون تركيزه على سرعة جريه وهربه بخافة الأسر أو أن يقع فريسة في يد أعدائه . وهو يسجل حرصه على صلوات ذوى القربى ويظهر فيها فارساً بطلاً على الرغم من فراره الذي أشار إليه في الأبيات الثلاثة الأولى . كما أشار إلى نداء قيس آل مقاعس في البيتين السادس والسابع ، ومقاعس هو الحارث بن كعب بن سعد ، وقد سمع الصوت وعلة الجرمي وكان صاحب لواء أهل اليمن يومئذ ، فطرعه ، وكان أول منهزم

من قومه ، وحملت عليهم سعد والرباب فهزموهم ، ولما أكرت تميم القتل في أهل اليمن أمرهم قيس بن عاصم بالكف عن القتل ، وأن يحزوا عراقيبهم ، وكان وعلة يبرر فراره إذا كان الموقف بمثل هذه الخطورة .

ثم إن وعلة لحق به رجل من بني نهد اسمه سليط بن قتب ، فقال له الهندي : أردفتني خلفك فإني أخوف القتل ، فأراد أن يردفه كما أشار إلى ذلك في البيتين التاسع والعاشر من القصيدة . (*)

* * *

فَرَارٌ وَافْتِخَارٌ

- ١ فِدَى لَكَ رَجُلٌ أُمِّيٌّ وَخَالَتِي خِدَاةَ الْكَلَابِ إِذْ تُحِزُّ الدَّوَابِرُ
- ٢ تَجَوُّتْ نَجَاءً لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ كَأَنِّي عَقَابٌ عِنْدَ تَيْمَنٍ كَاسِرُ
- ٣ لَهَا نَاهِضٌ فِي الْوَكْرِ قَدْ مَهَّدَتْ لَهُ كَمَا مَهَّدَتْ لِلْبَعْلِ حَسَنَاءُ عَاقِرُ
- ٤ خُدَّارِيَّةٌ سَفْعَاءُ لَبَدَ رِيثِهَا مِنَ الطَّلِّ يَوْمٌ ذُو أَهَاضِيبٍ مَاطِرُ

(١) فدى : صيغة دعامية انتبج بها الأبيات . يحز الدوابر : يقطع أصله وجذوره .

(٢) تيمن : من بلاد اليمن . النجاء : يمدو يقصر وهو العدو السريع . الكاسر : للذكر والمؤنث .

ويبدو أن الشاعر يوم هربه كان يزل مرة فيعود ويركب فرسه حيناً آخر ، ولذلك قال فدى لك قاصداً الهدم . لرجليه .

(٤) السفعاء : من السفعة وهو السواد يضرب إلى الحمرة . الخدارية : التي يضرب لونها إلى السواد

أيضا . الأهاضيب : دفعات المطر . يشبه سرعته في عدوه بسرعة طيران عقاب أمرعت في طيرانها حين أصابها المطر فازدادت مرهتها أملاً في النجاة منه .

(*) تراجع المفضليات بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون والأستاذ أحمد شاكر .

- ٥ كَأَنَّا وَقَدْ حَالَتْ حُدُودُ دُونَنَا نَعَامٌ تَلَّاهُ فَارِسٌ مُتَوَاتِرٌ
٦ فَمَنْ يَكُ يَرْجُو فِي تَمِيمٍ هَوَادَّةً فَلَيْسَ لِحَرْمٍ فِي تَمِيمٍ أَوَاصِرٌ
٧ وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَدْعُو مَقَاعِسًا تَطَالَعْنِي مِنْ ثُغْرَةِ النَّحْرِ جَائِرٌ
٨ فَإِنْ أَسْتَطِيعَ لَا تَلْتَمِيسُ بِي مَقَاعِيسٌ وَلَا يَرِنِي مَبْدَاهُمُ وَالْمَحَاضِرُ
٩ وَلَا تَكُ لِي حِدَادَةٌ مُضْرِبَةٌ إِذَا مَا غَدَتِ قُوتَ الْعِيَالِ تَبَادِرُ
١٠ يَقُولُ لِي الْهِنْدِيُّ: هَلْ أَنْتَ مُرْدِي؟ وَكَيْفَ رِدَائُ الْفَلِّ أَمْ كُ عَابِرُ
١١ يُذَكِّرُنِي بِالرَّحِمِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ كَانَ فِي نَهْدٍ وَجَرَمٍ تَدَابِرُ
١٢ وَلَمَّا رَأَيْتُ الْخَيْلَ تَتَرَى أَثَانِجًا عَلِمْتُ بِأَنَّ الْيَوْمَ أَحْمَسُ فَاجِرُ

(٥) حُدُودٌ : موضع . يشبه أنفهم في مشهد الحرب بالنعام المتواتر حين يخاف فارساً ينلوه .

(٦) الهوادة : الرفق والركة واللين . الأواصر : المواطف (مفرداها أصرة) .

(٧) الجائر : الخريز ذي الجوف عند الخلا . (قيل يقصد النخلة) وهو يصور بذلك حال المنهزم إذا خاف القتل جاءه النخلة . تطالعني : طلع منى وارتفع من شدة الفزع والخوف . ثغرة النحر : الهزبة التي على الصدر .

(٨) المحاضر : ج محضر ، يصور شجاعته وكيف لا ينوى عدواً أو هرباً خشافة الوقوع في الأمر ، لذا يراء منهم من بدا ومن حضر .

(٩) الحداد : البواب . قوت العيال تبادر : أى إذا غدت فإنما همها قوت عيالها ، فكيف تكون حالى إذا كان من أمرنى هذه حاله من الضيق .

(١٠) الفل : المنهزم (والفل أصلاً الكسر) ، العابر : العيرى . وحوازه مع الهندي قبل أن يعترفه .

(١٢) تترى : يتبع بعضها بعضاً ، تتوالى . أثانج : جماعات . الأحس : الشديد .

* * *

عبد الله التطاوى

حاتم الطائي

* * *

حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، ويكنى حاتم أبا سقانة وأبا عدى ،
كنى بذلك بابنته سقانة وهى أكبر ولده ، وبابنه عدى .

أمه غنيّة بنت عفيف ، وكانت ذات يسار ، وكانت من أكثر الناس سخاءً
وأقراهم للضيف ، وكانت لا تُلقي شيئا تملكه ، وبلغ من سخائها أن حجّر عليها
إخوتها .

وكانت ابنته سقانة من أجود نساء العرب أيضا ، أما حاتم فكان من شعرائهم
الكبار وكان جوادا يشبه شعره جوده ، ويصدق قوله فعله ، فلم يكن يأكل إلا إذا
وجد من يأكل معه .

وقد أطلق حاتم قومه من أسر الحارث بن عمرو ، كما أقام مكان أسير في قيده
وأطلقه بعد أن مكث مكانه .

ويقال إن ماوية زوجته قد حدثت كثيرا عن عجائب حاتم ، ولذا كثر توجيه
خطابه إليها في افتتاحيات قصائده . ويروى صاحب الأغاني أن فزارة غزت طيئًا
وعليهم حصين بن حذيفة ، ونحرجت طيء في طلب القوم فلحق حاتم رجلا من
بدر قطعنه ثم مضى ، فقال : إن مر بك أحد فقل له : أنا أسير حاتم ، فربّه
أبو حنبل ، فقال : من أنت ؟ ، قال : أنا أسير حاتم ، فقال له : إنه يقتلك ،
فإن زعمت لحاتم أولمّن سألك أنى أمرتك ، ثم صرت في يدي خليت سبيلك ،

فلما رجعوا قال حاتم : يا أبا حنبل خلّ سبيل أسيرى ، فقال أبو حنبل : أنا
أسرته فقال حاتم : قد رضيت بقوله ، فقال : أسرنى أبو حنبل فقال حاتم :
إن أباك الجسّون لم يكُ غادرا ألا من بدر أتتك الغوائلُ

وقد ضربت الأمثال بكرم حاتم في جاهلية العرب وما بعدها ، وقد وصفته
ابنته بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه « كان يَفُكُّ العاني ، ويحیی الذمار ،
ويقرى الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفتحى
السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط » . وقد رد النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذه
صفة المؤمن ، وقال : إن أباه كان يحب مكارم الأخلاق ، وهو حكم يؤكد
سلامة المسلك الاجتماعى الذى سلكه حاتم متصفا مع نفسه ومع مجتمعه
وعقده القبلى .

والتقصيدة كغيرها من شعر حاتم تصور طبيعة هذا المسلك وتروم الصورة
المثالية للرجل العربى ، وهى تحكى شخصه ، وتصور ما اقتنع به فى فلسفة حياته
الخاصة ، وبما حفلت به من اعتزاز بالسخاء والبذل والعفة والوفاء وحماية الجار
والصدق فى القول والفعل معا .

* * *

عبد الله النطاوى

(تراجع ترجمته وأخباره فى ديوانه بتحقيق الدكتور عادل مایان) .

(١)

رُؤْيَةُ حَاتِمِيَّةَ

- ١ سَلِيَ الْأَقْوَامَ بِمَاوَى عَنِّي وَإِنْ لَمْ تَسْأَلِهِمْ فَاسْأَلْنِي
- ٢ يُخْبِرُكَ الْمُعَاشِرُ وَالْمُصَافِي وَذُو الرِّحْمِ الَّذِي قَدْ يَجْتَنِدُنِي
- ٣ بَأَنِّي لَا يَهْرُ الْكَلْبُ ضَيْفِي وَلَا تُقْضَى نَجْيُ الْقَوْمِ دُونِي
- ٤ وَلَا أَهْلُ مِنْ فَتَحَ بِمَنْعٍ إِذَا نَابَتْ نَوَائِبُ تَعْتَرِينِي
- ٥ وَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ إِزَاءَ طَيِّئٍ وَتَأْبَى طَيِّئٌ أَنْ تَسْتَطِيعَنِي
- ٦ وَمَا مِنْ شَيْئِي شَتْمُ ابْنِ عَمِيٍّ وَمَا أَنَا مُخْلِفٌ مَنْ يَرْتَجِبُنِي
- ٧ سَأَمْنَعُهُ عَلَى الْعَلَاتِ حَتَّى أَرَى مَاوِيَّ إِلَّا يَسْتَكِينِي

(٢) المشير : القريب ، والصديق ، والزوج . صفي الإنسان : أخوه الذي يضافه الإخاء .
يجتدني : يسألني الجدا وهو العطاء .

(٣) هرب الكلب : صوته دون نباحه ، ومعنى لا يهر الكلب ضيفه أنه لا يذبح الطراق لأنه تودهم
لكثرة غشيانهم لبيت صاحبه . لا تقضى نجى القوم دوني : أي لا يتناجون في أمر من أمورهم دون
أن أشهدهم معهم .

(٤) الفتح : الخير والكرم والفضل وحسن الذكر والسمة الطيبة والشهرة . النابسة : المصيبة .
تعتريه : تصيبه .

(٥) إزاء طيئ : القائم بأمرها . تستطيني : أي يجتدني وطئها ذليلاً أو حقير المحاكة .

(٦) الشيمة : الطيبة والصفة الخلق ، مخلف : مخيب ظنه . يرتجبن : يطمع في كرم وجداء .

(٧) على العلات : أي على كل حال ، يستكيني : يضيق بي أو يشكوني .

- ٨ إِذَا أَنَا لَمْ أَرِ ابْنَ الْعَمِّ فَوْقَ فَلَانِي لَا أَرَى ابْنَ الْعَمِّ دُونِي
 ٩ وَمِنْ تَكْرِمٍ يَجُورُ عَلَى قَوْمِي وَأَيُّ الدَّهْرِ ذُو لَمْ تَحْسُدُونِي
 ١٠ وَكَلِمَةٍ حَاسِدٍ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ سَمِعْتُ فَقُلْتُ : مُرِّي فَأَنْفُذْنِي
 ١١ وَعَابُوهَا عَلَى فَلَمْ تَعَيِّنِي وَلَمْ يَعْرِقْ لَهَا يَوْمًا جَيْشِي
 ١٢ وَذِي وَجْهَيْنِ يَلْقَانِي طَلِيقًا وَلَيْسَ إِذَا تَغَيَّبَ يَأْتِسِينِي
 ١٣ نَظَرْتُ بَيْنَهُ فَكَفَفْتُ عَنْهُ عَافِظَةً عَلَى حَسَبِي وَدِينِي
 ١٤ فَلَوْ مَنِينِي إِذَا لَمْ أَقْرِ ضَيْفِي وَأُكْرِمَ مُكْرِمِي وَأَهْنِ مُهَيِّنِي

(٩) يَجُورُ : يَظْلِمُ وَيَتَسَفَّ . ذُر : أُمٌّ مَوْصُولٌ بِمَعْنَى الَّذِي فِي لَفْظِهِ طَائِفَةٌ خَاصَّةٌ وَتُسَمَّى « ذُرٌّ » الطَّائِفَةُ .

(١٠) تَنْقُذُهُ : تَجِدُهُ وَيُخَلِّصُهُ .

(١٢) ذُرَّ الْوَجْهَيْنِ : الْمُنَافِقُ الَّذِي يَبْدُو خِلَافَ مَا يَبْطِنُ . طَلِيقًا : طَلَقَ الْوَجْهَ وَطَلِيقُهُ إِذَا كَانَ مُشْرِقُهُ ضَاحِكُهُ . يَأْتِسِينِي : يَخْتَلِفُنِي فِي أَسْوَةِ يَتَنَدَّى بِي (إِذَا غَبَثَ عَنْ ذِي الْوَجْهَيْنِ وَغَابَ عَنِّي لَا يَقْصُرُ فِي انْتِقَاصِي وَذِي) .

(١٣) الْحَسَبُ : مَا ثَرَّ الْأَبَاءُ وَالْأَجْدَادُ . مِقْيَاسُ الْأَصَالَةِ بِحُكْمِ مِرَافَةِ الْإِتِّمَاءِ إِلَيْهِمْ . دِينِي : عَادَتِي وَخُلُقِي .

* * *

عبد الله التطاوى

(٢)

تأصيلُ الرؤية الحاتمية

* * *

هذه القصيدة الرائية تدور في جملتها حول تأصيل صفة الكرم التي مدت من المعالم الأساسية الكبرى في العقد الاجتماعي للقبيلة ، وهي هنا تحتل موقعا هاما يختلف في طبيعته النوعية عن قصائد المدح التي تنتهى — في معظمها — إلى قدر من المبالغة في تضييخ صور المدوحين بما فيها من زيف أو افتعال .

ويظهر حاتم في هذه القصيدة متسقا على نفسه ، مقتنعا بما هو بصده من تقرير أو تصوير ، متفقا مع القبيلة في طبيعة المسلك ، مختلفا مع لائمه الذين درجوا على مهاجمة إسرافه وإنفاقه في سبيل الكرم ، يقول مفلسا موقفه ومصورا أبعاد علاقاته الاجتماعية من خلال حسه القبلي والغبيي معا ، ومن خلال تجربة حياته مع قومه وما تعلقة به نفسه من حس حضارى يتجاوز به خشونة الجاهلية ومسلك شباب العصر ، وقد قال مؤصلا مسلكه ومعتزا به قصيدته الرائية هذه .

* * *

- | | |
|---|---|
| ١ أماوى قَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالْهَجْرُ | وَقَدْ عَذَّرْتَنِي فِي طِلَالَيْكُمُ الْعَذْرُ |
| ٢ أماوى إِنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحُ | وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ |
| ٣ أماوى إِمَّا مَانِعٌ قَبَيْنٌ | وَأِمَّا عَطَاءٌ لَا يُنْهِنُهُ الزَّحْرُ |

(١) الطلاب : طلب صاحبته وسعيه باحثا عنها ، حريصا على الحصول عليها .

العذر : هنا الأعداء . « وهي المبررات التي يراها مانعا لاستمرار سعيه بحثا عن ماويه » .

- ٤ أماوى لى لا أقول لسائل
 ٥ أماوى ما يغنى الثراء عن الفسى
 ٦ إذا أنا دلانى الذين أحبهم
 ٧ وراحوا عجالا ينفضون أكفهم
 ٨ أماوى إن يصبح صدائى بقرعة
 ٩ ترى أن ما أهلك لم يك ضررى
 ١٠ أماوى لى رب واحد أمه
 ١١ وقد علم الأقوام لو أن حاتم
 ١٢ وأنى لا ألو بمال صديعة
 ١٣ يفك به العاني ويؤكل طيبا
 ١٤ ولا أظلم ابن العم إن كان إخوى
 ١٥ غنيما زمانا بالتصملك والنسى
- إذا جاء يوما : حل في مالنا نزر
 إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
 للحدوة زلج جوانبها غبر
 يقولون : قد دى أنا ملنا الحفر
 من الأرض لا ماء لدى ولا نحر :
 وأن يدى مما بخلت به صفر
 أحرث فلا قتل عليه ولا أسر
 أراد ثراء المال كان له وفر
 فأوله زاد وآخره دخر
 وما إن نعيه الفداح ولا النحر
 شهودا، وقد أودى بإخوانه الدهر
 كما الدهر في أيامه العمر والمسر

(٥) حشرجت : يقصد حشرجة الروح عنه الموت .

(٦) الملاحدة : القبر وهو الرمس أيضا أو الصير . الزلج : المساء التي لا تثبت فيها القدم .
 الفرج أغبر والقبراء هي التي غيرها التراب .

(٧) دى : أسال الدماء من أيديهم نتيجة كثرة الحفر .

(١٠) واحد أمه : وحيدها . الذي يفتقد العصبية القلبية ويصبح في حاجة إلى الحماية .

(١١) الوفر : المال الكثير الذي يشهد القبائل بوجوده لديه ولدى قومه منذ القدم .

(١٣) العاني : الأسير والمهد . صفر : خالية فارغة . نعيه : تغنيه . سهام الميسر .

(١٥) التصملك هنا بمعنى الفقر .

- ١٦ لَيْسَنَا صُرُوفُ الدَّهْرِ لَيْتًا وَغِلْظَةً وَكَلَّا سَقَانَاهُ بِكَاسِيهِمَا الدَّهْرُ
١٧ فَا زَادَنَا بَقِيًّا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غِنَانَا وَلَا أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ
١٨ فَقَدْ مَا عَصَبَتْ الْعَازِلَاتُ وَسُلْطَتْ عَلَى مُصْطَفَى مَالِي أَنَا مِلَّ الْعَشْرِ
١٩ وَمَا ضَرَّ جَارًا يَا ابْنَةَ الْعَمِّ فَأَعْلَمِي يُجَاوِرُنِي إِلَّا يَكُونْ لَهُ سِتْرُ
٢٠ بَعِينِي عَنْ جَارَاتٍ قَوِيَّ غَفْلَةٍ وَفِي السَّمْعِ مِنِّي عَنْ حَدِيثِهِمْ وَقَرُّ

(١٧) البنى : الظلم أو العدوان . أزرى : أهان وأذل .

(١٨) العاذلات : من بليت على كرمه ويعذله عليه ويؤاخذه على الإسراف فيه .

(٢٠) الوقر : ثقل السمع . والغفلة هنا غرض النظر عمدا عما يمكن أن يراه .

* * *

عبد الله التطاوى

عُرْوَة بن الورد

* * *

يلتقى نسبه إلى قبيلة عَيسَ الدائعة الصيت التي كانت تنزل في الشمال الغربي من نجد الممتد حتى منطقة يثرب . وكانت قبيلته تنشاءم بأبيه لأنه هو الذي أوقع الحرب بينها وبين فزارة في أيام داحس والغبراء . وأما أمه فكانت من قبيلة أقل شرقاً من قبيلة أبيه ، وهي قبيلة نَهْد ، ومن هنا كان عروة دائم السخط على الصلة التي ربطت بين أبيه وأمه ، وكان لا يفتأ يهجو أخواله هجاء مرا . وكان أبوه يسيء معاملته وهو صغير ، ويؤثر أخاه الأكبر عليه . وهكذا نشأ عروة في ظروف نفسية معقدة اتجهت به بعد ذلك إلى التمرد على أوضاع مجتمعه الاجتماعية والاقتصادية ، والإحساس بالظلم الذي تعاني منه الطبقة المستضعفة في هذا المجتمع من الفقراء والعبيد ، وانتهت به إلى زعامة جماعات من الصعاليك التفت حوله ، وانطلقت معه خلف الأغنياء ، وخاصة البخلاء منهم ، يسلبون وينهبون ، وبوزعون ما يفتنونه بينهم بالتساوي ، ويشركون معهم في الغنيمة الفقراء الضعاف والمرضى الذين عجزوا عن الخروج معهم ، في محاولة ثورية عنيفة لتحقيق صورة من العدالة الاجتماعية ، ولون من التوازن الاقتصادي ، في مجتمعهم الذي اختلفت في نظره مقاييسه الاجتماعية ، واضطربت موازينه الاقتصادية . وقد عرّف هؤلاء المستضعفون في الأرض في عروة هذه النزعة الإنسانية التي تعمل من أجلهم ، واعترفوا بزعامته لهم ، ولقبوه « أبا الصعاليك » ، ومضى هو — من ناحيته — يحاول أن يكون عند حسن ظنهم بهذه « الأبوة » ، فلم يكن يؤثر

نفسه بشيء عليهم ، وإنما عاش صعلوكا فقيرا مثلهم ، وكان يحلو له دائما أن يسميهم « عياله » .

وأساس فلسفة عمرو الثورية أن الغزو والإغارة للسلب والنهب السبيل الوحيد لتحقيق أهدافه التي تتلخص في استرداد ما آمن بأنه حق له ولصعاليكه من أموال الأغنياء ، وبخاصة البغلاء ، لإعادة توزيعه بالعدل والتساوى على الفقراء ، حتى يتساوى الجميع في ميزان العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي . ولكنه لا يريد من وراء ذلك أن يتساووا في الفقر ، وإنما يريد أن يتساووا في قدر معقول من الحياة المادية التي تضمن لهم قدرا مشتركا من الحقوق والواجبات .

* * *

وشعر عمرو يمتاز بسهولة اللفظ ووضوح المعنى ، إذا قسناه بشعراء عصره ، فهو يخلو من تلك الألفاظ الغريبة الوعرة التي تنتشر في شعرهم ، كما يخلو من ذلك التركيز في عرض المعنى الذي كان سمة من سمات الشعر الجاهلي ، والذي كان يفتح الباب أمام كثير من الاحتمالات والتأويلات . وهي ظواهر تبدو طبيعية في شعر عمرو ، لأنها — في حقيقة أمرها — انعكاس لإحساسه بأنه يقوم في حركة الصعلكة بدور الداعية المذهبي أو الزعيم الشعبي الذي يحرص على استمالة الجماهير إليه وإقناعهم بدعوته . ومن هنا تميز أسلوبه بهذه « الشعبية » التي تظهر في أكثر قصائده .

ويدور شعر عمرو حول الدعوة إلى مذهبه ، والحديث عن آرائه الاجتماعية والاقتصادية ، وأهداف حركته التي يعمل لها ، ووصف مغامراته هو وصعاليكه من أجل تحقيقها . وتحمل مشكلة الفقر والغنى حيزا ملحوظا في شعره ، وهي

ظاهرة طبيعية لأن هذه المشكلة الاقتصادية كانت هي المحور الأساسى الذى دارت حوله فلسفته فى حركة الصعاليك الجاهليين . ومن الطبيعى أيضا أن يخلو شعره من تلك الموضوعات التقليدية التى دار فيها الشعر الجاهلى ، وشُغل بها الشعراء الجاهليون سواء منهم شعراء القبائل أو الشعراء الذاتيون ، حتى المقدمات التقليدية فقد تخلص منها ، واستبدل بها مقدمات فروسية تدور حول « حواء الخالدة » التى كانت محور كل المقدمات فى الشعر العربى ، ولكنها ليست حواء المحبوبة التى نعرفها عند الشعراء ، وإنما هى حواء المحبة الحريصة على فارسها التى تدعوه دائما إلى المحافظة على حياته ، إن لم يكن من أجل نفسه فمن أجلها هى ، والتى يقف أمامها دائما مغامرا بحياته مستهينا بها من أجل توفير قَدر من الحياة الكريمة لها ولأطفالها من أولئك المستضعفين فى الأرض الذين نرجع هو ورفاقه من أجلهم .

* * *

عاش عروة حياته كلها يعمل لتحقيق أهدافه وإرساء مبادئه وتأصيل فلسفته الصعلكية فى نفوس أصحابه ، ولم يكف عن الحركة المتصلة حتى آخر يوم من حياته ، حيث لقي مصرعه فى بعض غاراته على يد رجل من طُهبة . ويذكر بعض الباحثين المحدثين (اسكندر أبكار يوس فى روضة الأدب فى طبقات شعراء العرب) أنه عُمِّرَ حتى بلغ ثمانين سنة ، وليس فى الروايات القديمة ما يؤيد ذلك . وليس من اليسير تحديد تاريخ وفاته ولا مولده ، شأنه فى ذلك شأن سائر الشعراء الجاهليين ، ولكن يظن الزركلى فى « الأعلام » أن وفاته كانت سنة ٥٩٤ للميلاد قبل ظهور الإسلام بسنوات قليلة ، وهو تحديد لا يقوم عليه دليل .

* * *

يوسف خليف

(١)

صُعْلُوكٌ . . وَصُعْلُوكٌ

* * *

عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لُدَيْم بن عَوْذ بن غالب بن قَطِيعَة بن عَبَس بن بَيْض بن رَيْث بن غطفان، شاعر جاهلي، وقاص من فرسان العرب ، وصُعْلُوك من صُعَالِيكها المُقْسِدِينَ الأَجْوَاد . كان يُدعى « عروة الصُعَالِيك » لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاش ولا مَغْزَى . ولم تكن العلاقة بين عروة وأخواله من بني نَهْد من قُضَاعَة جيدة ، ولذلك فقد هجّاهم هجاء مراراً وكان دائم السخط على تلك الصلابة التي ربطت بين أبيه العباسي وأمه النهدية .

والقصيدة المختارة يوجّه فيها عروة الخطاب إلى امرأته سلمى ، وكانت تلومه على الخطار بنفسه ، وإدماثة الغزوات والغارات في أحياء العرب، فردّ عليها قولها بأنه إنما ينبغي بذلك المجد وجمع المال لها ليكفيها بعد موته . ثم يرمي سياسة للصُعَالِيك ، فهو لا يُرضيه الصُعْلُوكُ الخامل الذي لا يسعى لالتماس المال ، وإنما يريد أن يكون غازياً جريئاً يخشاه الناس في المخضر والمغيّب لا يأمنون غزوه . ثم يمتدح سياسته التي جرى عليها بأنه يريد أن يكنى قبيلتي « مُتَمِّم » و « زَيْد » ويستدّ حاجتهما ، ويعلن أنه سيواصل الغارات مترعماً لأصحابه لكي يُشبع رغبة الجود والبذل الذي أخذ نفسه به .

* * *

الجزء الأول

٤٨٧

- ١ أَقْلَى عَلَى اللّوْمِ يَا ابْنَةَ مُنْذِرٍ وَنَامِي، فَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النّوْمَ فَاسْمَحِي
- ٢ ذَرِينِي وَتَغِيْبِي أُمَّ حَسَّانَ إِنِّي بِهَا قَبْلَ أَنْ لَا أَمْلِكَ الْبَيْعَ مَشْتَرِي
- ٣ أَحَادِيثَ تَبَقَى وَالْفَتَى غَيْرُ خَالِدٍ إِذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً تَحْتَ صَيْرٍ
- ٤ تُجَاوِبُ أَحْجَارَ الْكِنَاسِ وَتَشْتَكِي إِلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ تَرَاهُ وَمُنْكَرٍ
- ٥ ذَرِينِي أَطُوفُ فِي الْبِلَادِ أَعْلَى أَخْلِيكَ أَوْ أَغْنِيكَ عَنْ سُوءٍ مُحَضَّرٍ
- ٦ فَإِنْ فَازَ مَسْهُمٌ لِلْبَيْتَةِ لَمْ أَكُنْ جَزُوعًا، وَهَلْ عَنْ ذَاكَ مِنْ مَتَأَخَّرٍ ؟
- ٧ وَإِنْ فَازَ سَهْمِي كَفَّكُمْ عَنْ مَقَاهِدٍ لَكُمْ خَلْفَ أَدْبَارِ الْبُيُوتِ وَمَنْظَرٍ
- ٨ تَقُولُ : لَكَ الْوَيْلَاتُ هَلْ أَنْتَ تَارِكٌ ضُبُوءًا بِرَجُلٍ تَارَةً وَبِمَنْسِيرٍ ؟

- (١) ابنة منذر : امرأته ، وهي سلمي التي سبها من كنانة وأعتقها وأولدها أولاده .
- (٢) أم حسان : كنية امرأته سلمي . يقول : ذريني أشتري وأبقي بمالي مجدا وذكرا في حياتي ، ذريني أبادرها قبل أن يحول الموت يليني ويذهب فلا أملك شراء .
- (٣) الهامة : كانت العرب تعتقد أن روح القتييل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة فتصبح هند قبره وتقول : اسقوني اسقوني ، فإذا أدرك بثأره طارت . الصير : القبر .
- (٤) الكناس : موضع . يريد أن الهامة إذا صوتت أجابها أحجار الكناس بالصدي ، فهي تصوت في كل حال إذا رأت من تعرف أو من تنكر .
- (٥) النخلة : الطلاق . كنى بها عن مقاله . أغنيك أي أصيب حاجتي من الغزو فأغنيك عن أن تحضري محضرا سينا وهي المسألة .
- (٦، ٧) يجعل من مهام الميسر مثاله في مقارنة الموت . وفوز المسهم : خروجه أولا . أدبار البيوت : ظهور البيوت بعيدا عن صدورها حيث يجلس السادة .
- (٨) الضبوء : الضبوق بالأرض والاستتار ليختل الصيد . الرجل : (يفتح الراي وسكون الجيم) : الرجال الذين يفرون على أرجلهم . المنسر : الجماعة من الخيل بين الثلاثين إلى الأربعين ، وإتاما سمي مقسرا لأنه مثل منسر الطائر يختلس اختلاسا ثم يرجع . تقول له : هل أنت تارك أن تغزو مرة يقوم على أرجلهم ومرة يفرسان على خيلهم ؟

- ٩ ومُسْتَنْثِيَتْ فِي مَالِكِ الْعَامِ إِنِّي أَرَاكَ عَلَى أَقْتَادِ صِرْمَاءَ مُذَكِّرٍ
 ١٠ بِخُفُوجٍ بِهَا لِلصَّالِحِينَ مَزَلَةٌ نَحْوُفٍ رَدَاها أَنْ تَصْبِيكَ فَاحْذِرِ
 ١١ أَبِي الْخَفَضِ مَنْ يَشَاكَ مِنْ ذِي قُرَابَةٍ وَمَنْ كُلُّ سُودَاءِ الْمَعَاصِمِ تَعْتَرِي
 ١٢ وَمُسْتَنْهِيٌّ زَيْدٌ أَبُوهُ فَلَا أَرَى لَهُ مَدَقَعًا ، فَاقْنِي حَيَاءِكَ وَاصْبِرِي

* * *

- ١٣ لِحَى اللَّهِ صَعْلُوكَا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ مَضَى فِي الْمَشَاشِ آلَفًا كُلَّ حَجَزَرٍ
 ١٤ يُعَدُّ الْغِنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاحًا مِنْ صَدِيقِي مُبْسَرٍ

- (٩) الأفتاد : جمع قند وهي أخشاب الرجل . الصرماء : القليلة اللبن . المذكر : التي تلد الذكور من الإبل وهي مما يكره العرب . تقول : هل أنت مستثبت هذا العام في مالك ، فإنى أخاف عليك إذا خرجت إلى هذا الفزوان لا ترجع . وجعل من هذه الناقة مثلاً للداحية والشر .
 (١٠) فحوج : تنفجج الناس وهي من صفة هذه الناقة التي يشام بها . للصالحون : الرجال الذين يطلبون معالي الأمور أو ذور المعروف . مزلة : تزل بأهلها .
 (١١) الخفض : الدعة ولين العيش . سوداء المعاصم : من جهدت من الجذب والهزال أو من شدة الجوع والبرد وحضور النيران للاصطلاء . يقول : أبى الذي تريد من الخفض والدعة ، ودفعني إلى طلب المنعم في الغارات من يطرقك من ذى قرابة ومن يأتي إليك من الفقراء .
 (١٢) المستهى : طالب المن . بكسر الهاء وهو العطاء . زيدة أبوه : يش رجلان من قومه يجبهه وإياه زيد وهو جد هرو . يقول : إن مما يحمله على الذارة خوفاً أن يطرقه قريبه فلا يجد عنده ما كان عوده من صلة ، ولا يستطيع رده لقرايته . فاقني حياءك : احفظيه وأمسكه عليك .
 (١٣) لحاء الله : فيه ولعته . المشاش : رؤوس العظام القينة التي يمكن مضغها . المجزور : موضع الجزر والتبج .
 (١٤) الميسر (بكسر السين) : الذي سهل ولادة إبله وخنمه ولم يعطب منها شيء . يريد أن هذا الصعلوك إذا ملا بطنه يمد نفسه غنياً ولم يبال بمد ذلك بالفزور والفارة .

- ١٥ قليل التماس المال إلا لنفسه
 ١٦ ينام عشاء ثم يصبح قاعدا
 ١٧ يمين نساء الحى ما يستعنه
 ١٨ ولله صعلوك صفيحة وجهه
 ١٩ مطلا على أعدائه يزجرونه
 ٢٠ وإن بعدوا لا يأمنون اقترابه
 ٢١ فذلك إن تلقى المنية تلقها

* * *

- ٢٢ أهلك معتم وزيد ولم أقم
 ٢٣ سيقزع بعد اليأس من لا يخافنا
 على قلب يوما ولى نفس مخبط ؟
 كواسع فى أخرى السوام المنقر

(١٥) العريش : خيمة من خشب أوجريد . المحجور : الساقط . يقول : إذا شيع هذا الصعلوك الحامل الدليل وملا بطنه ألقى نفسه كأنه عرش قد انهار .

(١٦) يقصد أنه ليس صاحب غارة أو غزو ، ولكنه حامل كسول متخاذل .

(١٧) الطليح والمخسر : الذى أهدى وكل وتعب .

(١٨) صفيحة الوجه : بشرة جلده . القابس : الذى يقبس النار أى يأخذها . المنور : المضى .

(١٩) مطلا على أعدائه : مشرقا عليهم ، يفزروهم أبدا فهو دائما متربص بهم . يزجرونه : يصيحون به كما يزجر القدح إذا ضرب . المنيع : قدح مستعار مربع الخروج والقوز ، يستعار فيضرب ثم يرد إلى صاحبه . المشهر : المشهور .

(٢٠) يقصد أن أعداءه لا يأمنون من غزوه ، فهم ينتظرونه فى كل ساعة كما ينتظر أهل الغائب غائبيهم .

(٢٢) معتم وزيد ، بطنان من عبس . التذب (بفتحين) : الخطر . يقول : أهلك فى حياتى هؤلاء ولم أقم نادبا لنفسي فأخاطر حتى أغنيهم ولى نفس أخاطر بها دونهم .

(٢٣) كواسع : خيل تطرد لابل تكسها فى آناوها . السوام : الإبل السائمة . آخرها : آخرها . المنقر : المذخور .

- ٢٤ نَطَاعِنُ عَنْهَا أَوَّلَ الْقُصُومِ بِالْقَنَّا وَيَبِيضُ خِقَافٌ وَقَمْعُهُنَّ مُشْمَرٌ
٢٥ وَيَوْمًا عَلَى غَارَاتِ نَجِيدٍ وَأَهْلِهِ وَيَوْمًا بِأَرْضِ ذَاتِ شَتٍّ وَعَصْرٍ هَرٍ
٢٦ يَتَأَقْلَنَ بِالشَّمِطِ الْكَرَامِ أَوَّلَى النِّهْيِ تَقَابَ الْجَازِ فِي السَّرِيحِ الْمُسِيرِ
٢٧ يُرْمِجُ عَلَى اللَّيْلِ أَضْيَافَ مَاجِدٍ كَرِيمٍ ، وَمَالِي سَارِحًا مَالُ مُقْتَرِ

* * *

- (٢٤) البيض : السيوف • « مشمر » بالرفع خبر « وقمعهن » وفيه إقواء ، وفي رواية أخرى « ذات لون مشمر » وعليها فليس فيه إقواء •
(٢٥) الشت والعصر : نومان من أشجار الجبال •
(٢٦) المناقلة : حسن نقل القوائم في سرعة السير • الشمط : جمع أشمط وهو الذي خالط سرادشعره بياض ، أراد بهم الفرسان ذوي السن والتجربة • النقاب : جمع نقب وهو الطريق الضيق في الجبل • السريح : السيور تشد بها النعال • المسير : الذي جعل سيورا • غنى بالسريح المسير نعال الخيل •
(٢٧) يرمج : يرد • ماجد يقصد نفسه • مالى : إبل • المقتر : الفقير المقل •

* * *

سيد حنفي

(٢)

حوارٌ حول البُخل والكُرم

* * *

في هذه القصيدة القصيرة يرسم عروة صورة لكُرمه الذي عُرف به حتى قُورن بحاتم الطائي المثل الأعلى للكُرم عند العرب ، فقد قال عنه الخليفة الأموي عبدالملك ابن مروان : « مَنْ زعم أن حاتمًا أُمِّحُ الناس فقد ظَلَمَ عروة بن الورد » . وكأسلوبه في أكثر قصائده بدير حوارا بينه وبين زوجته ، فهي تنكر عليه كُرمه ، وهو يدافع عنه ، ويبين مذهبه فيه ، ويعلن أنه لا يرضى لنفسه أن يبيت شعبان وجارهُ جائع ، ولكنه — انطلاقًا من زعامته لحركة الصعاليك ، وإحساسه بأنه داعيتهم المذهبي — لا يرضى « لأبنائه » الصعاليك أن يعيشوا حياتهم حالةً على الأغنياء ، ينتظرون فضلةً عطائهم وإحسانهم عليهم ، وإنما يريد لهم أن يخرجوا مطالبين بحقوقهم على مجتمعهم ، ويعلمنا صيحة عاليةً مدويةً توقظهم من نومهم الذليل خلف أديار البيوت في انتظار ما يجودون عليهم به : أيها الصعاليك ، إما أن تتألوا حقكم وإما أن تموتوا في سبيله ، وحسبكم — هل الحالين — إحساسكم بالحرية والكرامة .

* * *

- ١ أفي نابٍ منَحَناها فقيراً له يَطْنَابُ طُنْبٌ مُصِيتٌ
- ٢ وَفَضْلَةٍ سَمْنَةٍ ذَهَبَتْ إِلَيْهِ وَأَكْثَرَ حَقِّهِ مَا لَا يَقْوَتْ
- ٣ تَبَيَّتْ عَلَى الْمَرَافِقِ أُمٌّ وَهَبٍ - وَقَدْ نَامَ الْعَيُونُ - لَهَا كَتَيْتٌ ؟
- ٤ فَإِنَّ حَمِيَّتَنَا أَبَدًا حَرَامٌ وَلَيْسَ لِحَارٍ مَزَلْنَا حَمِيَّتُ
- ٥ وَرُبَّتْ شُبُعَةٌ آثَرَتْ فِيهَا بَدَأَ جَاءَتْ تَعْبِيرُهَا هَتَيْتُ
- ٦ يَقُولُ : الْحَقُّ مَطْلَبُهُ جَمِيلٌ وَقَدْ طَلَبُوا إِلَيْكَ فَلَمْ يَقْبِتُوا

(١) الناب : الناقة الكبيرة السن . والطناب : جمع طنب وهو الحبل تشد به الخيمة . والمصيت : الذي يسمع صوته . والشطر الثاني رمز لصلة الجوار التي تجمع بينه وبين الفقير ، والتي تفرض عليه حقوقاً لا يملك أن ينكرها . ووصف طنب هذا الجار بأنه مصيت تصوير لنداء جاره الفقير له ، ورفع صوته ليشره بوجوده إلى جواره ، وبأن له عليه حقاً ، وكأن إعلان عن نفسه وعن حقه عليه . يقول إنه أعطاه ناقة مسنة ، ولعلها كل ما كان يملكه .

(٢) يقوت : يكفى لمجرد قوته الذي يحفظ عليه حياته ، يريد أن حق جاره عليه أكثر من أن يكون لمجرد القوت ، وأن مانعه له أقل مما يجب له عليه . لقد أعطاه بقية سمن كانت عنده ، وآثره على نفسه بها وهو في حاجة إليها .

(٣) الكتيت : صوت يحش في الصدر من شدة الفيط كصوت ظيان القدر . وأم وهب : زوجته . يتساءل : أفي هذا العطاء اليسير ما يجعل زوجته تبني ليلها ساهرة وقد أسندت رأسها إلى مرفقها وهي تميز من الفيط ؟

(٤) الحبيت : طعام كان العرب يعدونه من سقاء ورب وسمين ، والرب ما يتبقى من الثمرة بعد عصرها . يقول إن طعامي حرام على لا أقربيه مادام جاري جائعاً لا طعام عنده .

(٥) الشبعة : ما يشر المرء بالشبع من أقل قدر من الطعام . وتعبير : من عار الشيء يعوره ويعيره إذا أخذه وذهب به . والعتيت : الإكثار من الكلام . يقول إنه يؤثر على نفسه بما عنده من طعام مهما يكن قليلاً كل من يتردد عليه في طلبه ليأخذه ويذهب به ليسد به رمقه .

(٦) لم يقبتوا : لم ينالوا قوتهم ، من أفاته إذا أعطاه قوته . يصور هنا إيمانه بحق هؤلاء الفقراء الجوع الذين يقصدونه للسؤال ، ولكنه يعلن أنه فقير مثلهم لا يملك ما يرد غائلة الجوع عنهم .

- ٧ فقلتُ له : أَلَا اخي وَأَنْتَ حُرٌّ سَتَشْعُ في حَيَاتِكَ أَوْ تَمُوتُ
٨ إِذَا مَا فَاتَنِي لَمْ أَسْتَقِلَّهُ حَيَاتِي ، وَالْمَلَأَمُ لَا تَقُوتُ
٩ وَقَدْ عَلِمْتُ سُلَيْمَى أَنَّ رَأْيِي وَرَأَى الْبَخِيلَ مُخْتَلَفٌ شَتِيتُ
١٠ وَأَنِّي لَا يُرِينِي الْبَخِيلَ رَأْيِي سَوَاءٌ إِنْ عَظِشْتُ وَإِنْ رَوَيْتُ
١١ وَأَنِّي حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي حَوَالِي اللَّبِّ ذُو رَأْيٍ زَمَيْتُ
١٢ وَأُكْفَى مَا عَلِمْتُ بِفَضْلِ عِلْمٍ وَأَسْأَلُ ذَا الْيَبَانِ إِذَا عَمِيتُ

(٧) ينكر على هؤلاء الفقراء الذين يعتمدون على السؤال والإلحاح عليه أن يسلكوا هذا السبيل الدليل ، ويهيب بهم أن يعيشوا أحراراً كرماء على نفوسهم ، وأن يتزعموا حقهم من الأغنياء بالقوة ، فلما أن يشبعوا ولما أن يموتوا في سبيل حريتهم وكرامتهم .

(٨) إذا فاتني : أى الحق . ولم أستقله : أى لم أقدر على رده . والملأَم : جمع ملأمة . يقول إذا فاتني الوفاء بحق الفقراء على ، ندمت طول حياتي على ضياع هذه الفرصة من بين يدي ، وإن أنجو في هذه الحالة من لوم من يلومني على ذلك ، وكأنه يشر إلى حرصه على ألا يفعل شيئاً يلام عليه ، فكل حرصه على أن يكسب ذكراً حسناً يتردد على السنة الناس .

(٩) سليمان هو أم وهب التي ذكرها في بداية قصيدته ، وهي زوجته . ينكر عليها اعتراضها على كرمه ، وهي تعرف موقفه من قضية الكرم والبخل ، فرأيه ورأى البخل مختلفان اختلافاً بعيداً ، وبينه وبين البخل علاقة مققودة .

(١٠) روى : ضد عطش . والعطش والرى هنا زمران الفقير والفقر . والبيت استقرار في بيان موقفه من القضية التي شغلت زوجته ، فهو كريم على الحاليين : كريم في غناه وكريم في فقره .

(١١) العوالي : الرماح ، واشتجارها اختلاطها في أثناء القتال . والحوالي (بفتح الحاء) وضعها وتشديد الياء : التشديد الاحتيال ، وتخفيف التشديد هنا من أجل الوزن . والزيمت : الوقور . يفنخر بشجاعته ، وسمة حيلته ، وسداد رأيه ، وبعده عن النزق والعليش .

(١٢) يصف نفسه بأن خبير بالحياة ، وأنه يعرف من شؤونها ما يهديه إليه عقله ، وما يرشده إليه قلبه ، ولكنه — مع ذلك — لا يتردد في أن يستشير من عنده علم ما لا يعرفه إذا اشبهت عليه الأمور ، وعييت عليه المشكلات ، وتاهت منه سبل الهداية . إنه يصرف الحياة ، ولكن علم الحياة لا ينتهي . إن الحياة خبرة شخصية ، ولكنها أيضاً استفادة من خبرة الآخرين .

* * *

يوسف خليف

(٣)

دَعْوَةٌ نظريّة وتطبيقات عمليّة

* * *

في هذه الأبيات يجدد عروة بعض أهداف حركته ، ويعلمها صبيحة مدويّة صريحة يوجّهها إلى رفاقه الصعاليك : إن عدوكم الأول إنما هم أولئك الأغنياء البخلاء الذين مدّت الحياة لهم أسباب الثراء ، ولكنهم بخلوا بها ، وتكرّوا لحقوق مجتمعهم طيهم ، وحرّموا حقكم المشروع في أن تنالوا مثلهم نصيبكم في الحياة ، فشّدوا عزائمكم ، وشمروا عن سواعدكم ، وأنخذوا من القوة سبيلاً لا تراعى حقكم منهم ، فالحق للقوة ، والضعيف ضائع حقّه في هذا المجتمع ، فاتهزوا أيام شبابكم ، ولا تنتظروا حتى تحل بكم أيام الشيخوخة والضعف ، واجمعوا فرسانكم وربّاجتكم ، وأحكموا خططكم ، تحقّقوا أهدافكم أو تموتوا في سبيلها ، فالموت خير من حياة الذل والفقر والجوع والهزال .

* * *

- ١ أليس ورائي أن أدب على العصا فيشمت أعدائي ويسأمني أهلي
- ٢ رهينة قعر البيت كلّ عشية يطيف بي الولدان أهديج كالرأل

(١) أليس ورائي : أي وراء فعودي حتى الشيخوخة ، ويجوز أن تكون « ورائي » بمعنى « أمامي » على التضاد ، أي أمامي إن امتدت الحياة وسلمت من الموت . والديب على العصا رمز للشيخوخة المتقدمة . وفي رواية أخرى « فيأمن أعدائي » .

(٢) أهديج : من الهدج والهدجان وهو اضطراب الخطى من الكبر ، هديج يهدج . والرأل : ولد النعام . وفي رواية أخرى « يلاعبي الولدان » . يصف في البيتين مأسوف تنول إليه حاله حين تتقدم به السن ويعجز عن الغزو والغارة ، وكأنه يحمس نفسه — وأيضاً رفاقه — على استغلال أيام الشباب في العمل والكفاح .

- ٣ أقيموا بني لُبَيٍّ صدورَ ركابكم فكلُّ منايا النفس خيرٌ من الهزل
٤ فلأنكم لن تَبْلُغُوا كُلَّ هَمَّتِي ولا أَرَبِي حتى تَرَوْا مَنِيَّتَ النَّخْلِ
٥ فلو كُنْتُ مَثْلُوحُ الْفُؤَادِ إِذَا بَدَتْ بلادُ الأعَادَى لا أُمِرُّ ولا أُحِلُّ
٦ رَجَعْتُ عَلَى حَرْسَيْنِ إِذْ قَالَ مَا لِيكَ هَلَكْتُ، وهل يُلْحَى عَلَى بُعِيَّةٍ مِثْلِي ؟
٧ لعلَّ انْطِلَاقِي فِي الْبِلَادِ وَرِحْلَتِي وَشَدَى حِيَازِيمِ الْمَطِيَّةِ بِالرَّحْلِ
٨ سِيدَفْعِي يَوْمًا إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ يُدَافِعُ عَنْهَا بِالْعُقُوقِ وَبِالْبُخْلِ

(٣) بنو لُبَيٍّ : حتى من الفقراء ، أو لهم ومن لعياله الفقراء ، كما كان يسمنهم . والهزل : الهزال . وإقامة صدور الركاب كناية عن الاستعداد للتفريق للغزو والغارة . وفي رواية أخرى « صدور مطيكم فإن منايا القوم » ؛ وفي رواية غيرها « فكلُّ منايا القوم » . يقول لرفاته الصامليك : استعدوا للكفاح فالمت خير من حياة الفقر والجوع والهزال .

(٤) منبت النخل هي منطقة يثرب وما يجاورها من شمالي الجزيرة العربية ، وهي المنطقة التي تركز فيها نشاط عمرو وصامليكه . وفي رواية أخرى « منبت الأثل » وهي جبال الحجاز ، والأثل شجر ضخيم ينبت في الجبال .

(٥) مَثْلُوحُ الْفُؤَادِ : ليس في قلبه حرارة ولا حماسة ، كناية عن ضعف الهمة وذهن المزمنة . ولا أُمِرُّ ولا أُحِلُّ : أي لا أضرب ولا أنفع ، لا شر عندي ولا خير .

(٦) الحرسان : جبالان . ومالك هو مالك بن حمار القزاري وكان قد حذر عواقب مقاماته : وطلب إليه أن يرجع عنها ليقم معه في دياره عند هذين الجبلين . ويلحى : يلام . ومعنى البيتين أنه لو كان ضعيف الهمة ، بارد القلب ، لا يضر ولا ينفع ، سلبا في حياته ، لرجع عن انطلاقه نحو بلاد أعدائه ، ولاستجاب إلى نصيح مالك له وعاد منه إلى بلاده ، ولكنه رجل مؤمن برسائه ، مصمم على أمدائه ، فهل يلام على ذلك ؟

(٧) الحيازيم : جوارب الصدور، جمع حيزوم . وفي رواية أخرى « ارتيادي » . وبُعِيَّةٌ : وفي رواية غيرها « رحلي » أي احتيالي .

(٨) الهجمة : القطيع من الإبل فوق الأربعين إلى غير عدد محدد ، أو ما بين السبعين إلى المائة . ومعنى البيتين أنه يتنى أن تدفنه مقاماته في أرجاء الصحراء إلى بعض الأغنياء البخلاء الذين تنكروا لحقوق مجتمهم عليهم ، وعقوا إخوانهم في الإنسانية من الفقراء المحرومين .

- ٩ قَلِيلٌ تَوَالِيهَا وَطَالِبٌ وَتَرَاهَا إِذَا صَحَّتْ فِيهَا بِالْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ
١٠ إِذَا مَا هَبَطْنَا مَنَهَلًا فِي خُوفَةٍ بَعَثْنَا رَبِيئًا فِي الْمَرَابِي كَالْجَذَلِ
١١ يُقَلِّبُ فِي الْأَرْضِ الْقَضَاءِ بِطَرَفِهِ وَهَنْ مُنَاخَاتٍ وَمِرْجَلُنَا يَغْلِي

* * *

(٩) قليل تواليها : أى أن من يقبها ليخلصها من أيدي الصعاليك قليل عددهم لا يخشى أمرهم .
والوتر : الثأر . والرجل : الرحالة الذين يزورون على أرجلهم ، عكس الفرسان الذين يزورون على الخيل .
(١٠) التهل : مورد الماء . والخوفة : الأرض التي يخافها من ينزلها . والربي : الخاوس
يراقب لهم الطريق . والمرابي : أما كن المراقبة ، وهى المراقب التي يردد ذكرها في شعر الصعاليك
جمع مربياً ومرباة . والجذل : جذع الشجرة . يصور نفسه قائداً حذراً يمد لكل أمر عدته ،
ويحسب لكل خطوة حسابها ، فإذا ما انتهت الغارة ، وأخذ رفاقه الصعاليك طريق العودة بثنائهم ،
وزلوا عند بعض المياه لينحروا مما نهبوه ، رينالوا حظهم من الطعام والراحة ، بعث ربيئاً منهم فوق
مرقبة عالية ؛ يراقب لهم الطريق حتى لا يفجأهم هدوهم غافلون ، فيقف فوقها ثابتاً منتصباً
لا يبرح مكانه كأنه شجرة أصلها ثابت في الأرض .

(١١) الضمير « هن » يورد على الإبل التي تنهب الصعاليك ، والمفهومة من سياق الآيات .
يصف نهاية الغزوة وقد نزل الصعاليك بغنائهم ، والربي يرى بيصره في كل اتجاه على امتداد الفضاء
من حوله ، والإبل التي نهبها مناخات إلى جزائرهم ، ومرجل الطعام يغلي باللحم الذي نهجوه وفرضوا
لإعدادهم فوق الثاؤ ل طعامهم .

* * *

يوسف خليف

(٤)

صُورٌ إنسانيةٌ من فلسفته

* * *

الغنى والفقر

* * *

يسجل عروة في هذه الأبيات القليلة خلاصة رأيه في قضية الفقر والغنى ،
وهي القضية التي كانت المحور الأساسى الذى دارت حوله فلسفته الاقتصادية .
وهو فيها لا يطيل ولا يفصل ، وإنما يحدد رؤوس المسائل الكبرى التى تقوم
عليها هذه القضية . ومع أن القضية قضية فكرية في المقام الأول ، فإنه لا يُنفل
الجانب العاطفى فيها الذى نراه في تلك اللسان المؤثرة التى تخاطب الوجدان ،
وتحاول استثارة مشاعر الجماهير بهذا النغم البسيط الفطرى الذى تمتزج فيه
السخرية بالحسرة ، والتهكم بالألم ، والذى يصدر عن القلب ليتجه مباشرة وفي
غير التواء إلى القلب . فالفقر شر للناس ، وأحققرهم عندهم ، وأهونهم عليهم
مهما يكن له من فضل ، يخافه أهله ، وتزدريه زوجته ، حتى الصغير يستطيع
أن يذله . أما الغنى فهما يفعل يقبل منه ، ومهما يخطئ يغفر له ، فالغنى رب
يغفر الذنوب جميعا ، وكأنه يقول للناس : هذا هو مجتمعكم العجيب ، يحتقر
الفقير لا لشيء إلا لأنه فقير ، ويقدر الغنى لا لشيء إلا لأنه غنى ، ولا يهتم
إلا بالمظاهر المادية ، أما جواهر النفس الكامن خلف هذه المظاهر فأمر
وراء اهتمامه ، فإذا أتم فاعلون ؟ . ولعل هذه البساطة الفطرية التى نلهمها

في عرض الشاعر لأفكاره ذلك العرض السهل الذي لا يشير جدلا ولا يقبل معارضة ، والذي ينفذ إلى النفس من أقرب السبل ، والذي يصح أن نطلق عليه « عرضا شعبيا » ، هو الذي جعل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يطلب إلى معلم أولاده ألا يرويه هذه القصيدة ، ويقول له : « إن هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم » .

* * *

- ١ ذَرَيْنِي لِلْغَنَى أَسْعَى ، فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
- ٢ وَأَدْنَاهُمْ وَأَهْوَاهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنِّ أَمْسَى لَهُ حَسْبٌ وَخَيْرُ
- ٣ يُبَاعِدُهُ الْقَرِيبُ ، وَتَزْدَرِيهِ حَلِيتُهُ ، وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
- ٤ وَيُلْقِي ذُو الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فُؤَادُ لَاقِيهِ يَطِيرُ
- ٥ قَلِيلٌ ذَنْبُهُ ، وَالذَّنْبُ جَسَمٌ ، وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ

* * *

- (١) في رواية أخرى « دحني » بدلا من « ذري » .
- (٢) في رواية « وأحقهم » بدلا من « وأدناهم » . وفي رواية أخرى « وأبدهم » . وفي الشطر الثاني في رواية أخرى « كرم » بدلا من « حسب » . والخير بالكسر : الكرم .
- (٣) في رواية أخرى « ويقهره » بدلا من « وينهره » .
- (٤) في رواية أخرى « ويلقي » بالقاء والبناء للجهول . وفي رواية غيرها « وتلقي ذو الغنى » بالقاء والبناء للعلوم . وفي رواية « فؤاد صاحبه » .

* * *

يوسف خليف

القَطَطُ السَّمَان

* * *

ترسم هذه المقطوعة القصيرة صورة للنزعة الإنسانية التي كانت تملأ على عروة أرجاء نفسه ، أو — اذا استعربنا المصطلح الحديث — صورة لنزعة اشتراكية مبكرة خالصة من تعقيدات المذهب وعقلانية الفلسفة ، فهو يوازن فيها بين نفسه وبين رجل من الأغنياء البخلاء ، أو — كما يقال الآن — بينه وبين واحد من « القَطَطُ السَّمَان » الذين أنخمهم النني والبخل ، والذين أكلوا حقوق مجتمعهم عليهم فاكتسب أجسامهم شحاً ولحماً ، ويعلن — في اعتزازه بموقفه — أنه نفور بهزاله لأنه يؤثر غيره من الفقراء الجياع على نفسه ، بل إنه — في الحقيقة — يقسم جسمه في جسومهم ، فهو لا يعيش لنفسه وإنما يعيش لهم .

* * *

- ١ إلى امرؤ عافي إنائي شُرْكَةٌ وَأَنْتَ امرؤ عافي إنائك واحدٌ
- ٢ أنهزأ مني أن سَمِنتَ وأن ترى بحسبي مَسَّ الحقِّ، والحقُّ جاهدٌ ؟
- ٣ أقسمُ جسَـمِي في جسوم كثيرةٍ وأحسو قَرَّاحَ الماءِ، والماءُ باردٌ

(١) العافي : الضيف وكل طالب فضل أو رزق ، والمقصود بعافي الإناء من يقصده من الضيوف أو من الفقراء المحتاجين . يقول إن إفاك لنفسك وحدك ، وأما إنائي فلأنه شركة لكل من يقصده .
(٢) الحق هنا هو حق مجتمعه عليه . والحق جاهد أي أنه يجهد ويتعبه ويرهقه . وفي رواية أخرى « وقد ترى بوجهي شحوب الحق » .

(٣) قراح الماء : يريد الماء الخالص الذي لم يخالطه اللبن . والماء البارد : ومنز للشئ الذي تشته فيه حاجة الإنسان إلى الطعام . يقول إنه في ليالي الشتاء الباردة حيث تشتد حاجة الإنسان إلى الطعام يكفئ هو بالماء الخالص ويؤثر غيره من الفقراء الجياع بطعامه . وفي رواية أخرى « أفرق جسَـمِي » .

* * *

يوسف خليف

تَصَمِّمُ وَإِصْرَارُ

في هذه المقطوعة يدير عروة حواراً بينه وبين زوجته — كما هو الحال في كثير من شعره — يحدد لها فيه هدفاً آخر من أهداف حركته ، ويعرض جانباً آخر من جوانب نزعتة الإنسانية . إنه مصممٌ على المغامرة ، وإنه لا يخشى الموت من ورائها ، فقد يدرك الموت وهو مقيم بين أهله ، لأن الموت هو المصير المحتوم الذي لا مفر منه . وهو يفعل ذلك لا من أجل مطلب شخصي له ، وإنما من أجل حقوق الفقراء المحتاجين المستضعفين في الأرض عليه . إنه من أجلهم يبذل كل ما جمعه من مال ، وكل ما حققه من غنى في مغامراته ، وإنه لن يتوقف في منتصف الطريق ، ولن يقنع بأنصاف الحلول ، فالهدف واضح أمامه ، ولن يشيئه شيء عنه ، فإما أن يحققه ، وإما أن يرضى نفسه بالمحاولة ، وحسبه — في هذه الحالة — أن يجد لنفسه عذراً عن إخفاقه في تحقيقه ، « ومُبْلِغُ نَفْسٍ هُدْرَهَا مِثْلُ مُنْجِجٍ » — كما يقول في قصيدة أخرى .

- ١ أَرَى أُمَّ حَسَانَ الْغَدَاةَ تَلُومُنِي تَخَوَّفُنِي الْأَعْدَاءَ ، وَالنَفْسُ أَخَوْفُ
- ٢ تَقُولُ سُلَيْمَى : لَوْ أَقْبَتَ لَسَرْنَا وَلَمْ تَدْرِ أُنَى الْمَقَامِ أَطَوْفُ

(١) أم حسان : زوجته . وقوله « والنفس أخوف » يريد به أنه يدرك مدى الخطر الذي يتعرض له في مغامراته ، ولا يجهل أنه مقدم على مخاطرة هو أشد خوفاً منها ، ولكنه — مع ذلك — مصمم عليها .

(٢) يقول إن زوجته تنفريه بالبقاء إلى جانبها لتحقيق لها السعادة بإقامته معها ، ولكن غاب عنها أنه بخروجه وتطوافه في الأرض إنما يعمل على استقراره بعد ذلك عندما تتحقق أهدافه ويتم رسالته .

- ٣ لعل الذى خَوَّفَتْنَا مِنْ ورائنا يُصَادِفُهُ فى أهله المتخاف
- ٤ إذا قلتُ: قد جاء الفنى، حال دُونَه أبو صبيبة يشكو المفاقر أعجف
- ٥ له خلة لا يدخل الحق دُونَهَا كريم أصابته خطوب تجرف
- ٦ فإني لستأف البلادِ سريرة فمبلغُ نفسِ عذرها أو مطوف
- ٧ رأيتُ بنى لُبْنَى عليهم غضاضة بيوتهم وسط الحُلُول التَّكَنُف

(٣) المتخلف: المقيم مع أهله الذى تخلف عن مشاركة رفاته فى النزول. ومن ورائنا: أى من وراء خروجننا للنزول والغارة. وفى رواية أخرى « من أماننا » - يقول إن الموت الذى تخزّنه منه زوجته فى غزواته قد يصادفه وهو مقيم معها، فقيم الخوف إذن؟

(٤) المفاقر: جمع مفقرة وهى الفقر. وأعجف: هزبل جف عوده من الفقر والجوع والحاجة. يقول إن إحساسه بسوء ليته أمام الفقراء الجياع المهزولين الذين يكسحون لسهة رفق أبنائهم الصغار، يجعله لا يبقى لنفسه شيئاً مما يقننه فى غزواته من أموال تمكنه لتحقيق له الفنى. إنه قادر على أن يكون غنياً، ولكن إيمانه بمذهبه الاشتراكي ونزعة الإنسانية يحول دون ذلك، وهو — مع ذلك — لا بأسف على مال جمعه ثم أفقعه فى سبيل مبدئه.

(٥) الخلة: الفقر والحاجة. وقوله « لا يدخل الحق دُونَهَا » يعنى أن مجنمه تنكر لحقوقه المشروعة عليه فلم يقف معه ليدفع عنه فقره وحاجته. وتجرف: أى ترف ماله وتذهب به ولا تبقى منه شيئاً، وكأنه يقول — كما نقول الآن — إنه هزير قوم ذل. وفى رواية أخرى « حوادث تجرف ».

(٦) مثاف: أى أطلع المسافات البعيدة. والسرية: جماعة الخيل ما بين العشرين إلى الثلاثين. يقول إنه لن يكف عن مغامراته مع فرسان الصعاليك لتحقيق أهداف حركته الإنسانية النبيلة حتى يتم له تحقيقها، أو يحول الظروف القاهرة دون ذلك فيجد نفسه عذراً فى التوقف الاضطرارى.

(٧) بنو لُبْنَى: حى من الفقراء، أو لعاههم رمز لمن كان يسميهم « عياله » من الفقراء. والغضاضة: الذلة التى تدفعهم إلى أن يقضوا من أعضائهم حياء من الناس، ورد فعل لإحساسهم بالهوان. والحلول: الأحياء المقيمة فى منازلها، ويريد بها قبائلهم. والتكنف: الزلزل فى أكتاف من الشجر لأنهم ليست لهم بيوت يقيمون بها. وأكتاف الشجر: المواضع التى يكتنفها الشجر ويحيط بها، وكأنها ما نطلق عليه فى الريف المصرى « الأخصاص ». يهتم الأبيات بهذه الصورة المؤهبة لفئة مطحونة — كما يقال الآن — من مجنمه.

يوسف خليل

حقوق المجتمع

* * *

في هذه المقطوعة القصيرة يرسم عروة صورة لجانب آخر من نزعته الإنسانية التي وهب حياته لتحقيقها ، ويحدد هدفا آخر من أهداف حركته الاجتماعية . إنه يريد أن ينطلق في آفاق الأرض الواسعة بحثا عن الغنى الذي استأثرت به لنفسها طبقا المآلة لتحكم به في توجيه حياة المجتمع كيف تشاء ، وليكون بين يديها وسيلة لتحقيق مراكر قوة لها فيه ، ولتفرض نفسها عليه وتصبح اليد العليا فيه . ولكنه لا يطلب الغنى لشيء من ذلك ، وإنما يطلبه ليكون عنصرا مؤثرا في حياته الاجتماعية ، وعاملا لتحقيق أهدافه الإنسانية التي يعمل لها ، من الوفاء بحقوق مجتمعه عليه ، والدفاع عن سلامته الاجتماعية ، ونصرة الضعفاء والمظلومين والمُعذَّبين من إخوانه في الإنسانية . وهو يبدأ هذا كله بمحديث مع زوجته التي تحاول أن ترده عن مغامراته خوفا منها على حياته ، وهي صورة نراها تتردد كثيرا في مطالع قصائد الصعاليك ومقطوعاتهم .

* * *

١ دعيني أطوف في البلاد لعني أفيد غني فيه لذي الحق يحمل

(١) فيه لذي الحق يحمل : أي فيه ما يحمل عن أصحاب الحقوق أعباءهم ، ويسر لهم الحصول على حقوقهم المشروعة .

- ٢ اليس عظيماً أن تِلْمَ مُلَيَّةٌ وليس طينياً في الحقوق مُعَوَّلٌ ؟
٣ فإن نحن لم نَمَلِكْ دفاعاً بجَاحِدٍ تِلْمَ به الأيامُ فالسوءُ أَجْمَلُ

(٢) الملة : الأمر الشديد ينزل بالإنسان . والمعول : مصدر ميمي من حول عليه بمعنى اعتمد .
يسفكر أن يقف من مشكلات مجتمعه وحقوق أبنائه المستروعة موقفاً سليماً . إنه يريد أن يكون عاملاً
إيجابياً فيه ، يخوض أعماق مشكلاته ، ولا يقف على هامشها متفرجاً لا رأى له .
(٣) يقول إن الموت خير له من أن يقف هذا الموقف السلبي ، وإذا كنا نقف عاجزين عن
المشاركة في الدفاع عن حقوقنا فإلى قيمة الحياة ؟

* * *

يوسف خليف

(٥)

تُرَاثُ الصُّعْلُوكِ

* * *

في هذه المقطوعة القصيرة التي تقع في ثلاثة أبيات يسجل عروة ما سوف يخلفه من بعده لمن ينتظرون ميراثه . وما الذي يخلفه صعلوكٌ عاش فقيرا ، ومات فقيرا ، ووزع ما بين حياته وموته كل ما غنمه من غاراته وغزواته التي ضحى في سبيلها بحياته على رفاقه الصعاليك من شاركوه فيها ، ومن لم يشاركوه لضعفهم ومرضهم ؟ إنها أسلحته ، وهي الشيء الوحيد الذي حرص عليه طول حياته ، وضمن به على غيره من الناس . إنها درعه ومغفره وسيفه ورمحه وجواده ، ثم لا شيء غير ذلك .

* * *

- ١ وَذِي أَمَلٍ يَرْجُو تُرَاثِي ، وَإِنَّ مَا يَصِيرُ لَهُ مِنْهُ غَدًا لَقَلِيلُ
- ٢ وَمَا لِي مَالٌ غَيْرَ دِرْعٍ ، وَمَغْفَرٍ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلُ
- ٣ وَأَسْمَرُ خَطَى الْقَنَاةِ مُثَقَفٌ وَأَجْرَدُ عَرِيَانُ السَّرَاةِ طَوِيلُ

(٢) المغفر : زرد ينسج ويلبس تحت غطاء الرأس في أثناء القتال ، والرفع في إعرابه للمطف على محل « درع » وهو الرفع ، لأن المعنى « وما لي إلا درع ومغفر » ، أو يكون في الأبيات إقواء .
والأبيض : السيف .
(٣) الأسمر : الريح . وخطى القناة : نسبة إلى إنليم الخلط بالبحرين ، وكان مشهورا بصناعة الرماح .
والمتقف : الذي صقله صانعه وسوى كعوبه . والأجرد : الحصان . والسراة : الظاهر . وعريان السراة : ليس على ظهره سرج ، ومزا لفقر الشاعر .

* * *

يوسف خليف

بِشْر بن أبي خَازِم

* * *

بِشْر بن أبي خازم شاعر جاهلي من بني أسد ، عاش في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي قبيل ظهور الإسلام .

وأبرز ما في حياته وشعره اشتراكه في وقائع قومه بني أسد ، ونفى بصورة خاصة يومى الدَّسَّار والحَقَّار ، فنراه يصور المعارك تصويراً دقيقاً ، ويشيد بذكر أبطال قومه ، ويفخر بشجاعته وفروسيته ، ويهجو الأعداء .

وقد وضعه محمد بن سلام الجعفي في الطبقة الثانية من فحول شعراء الجاهلية مع أوس بن حجر ، وكعب بن زهير ، والحطيئة ، واختار له المفضل الضبي أربع قصائد في المفضليات دلالة على تقدمه عنده ، ووضع صاحب « جمهرة أشعار العرب » قصيدة لبشر في المَجْمَعَات التي تلى المعلقات أهمية في رأيه ، واختار له هبة الله بن الشَّجَرى ست قصائد في ديوانه ، كما اختار له محمد بن المبارك صاحب « منتهى الطلب من أشعار العرب » تسع قصائد .

وقد كانت نهاية بشر بن أبي خازم نهاية درامية حين أغار في جماعة من قومه على الأبناء من بني صَعَصَعة بن معاوية ، فلما كانوا بموضع يقال له الرَّذَّة من بلاد قيس ، مرَّ بِشْرُ بَغْلَام من بني وائلة من الأبناء تختلف المصادر في اسمه ، فأراد بشر أن يأسر الغلام ، فرماه بسهم أصابه بالقرب من قلبه ، فاعتنق بِشْرُ فرسه وهو جريح ، وأخذ الغلام فاوثقه ، فلما جنَّ الليل تيقَّن بشر أنه ميت ، فأطلق الغلام

الوائلي من وثاقه ، وقال له : أَعْلِمَ قَوْمَكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ بِشْرًا . ثم اجتمع أصحابه إليه فسألوه الوصية ، فقال هذه القصيدة التي يرثي فيها نفسه مخاطباً ابنة له اسمها عُمَيْرَة يبدو أنها كانت لاتزال صغيرة تمنى نفسها بعودة أبيها الفارس البطل وهو يتحمل إليها - كما عودها من قبل - الغنائم والأسلاب ، وهو يتخيل قلقها لغيابه ، وتعرفها أخباره من القوافل الآتية من أرض المعركة ، وهي لن تلبث إلا قليلاً حتى تعرف نبأ موته على يد الغلام الوائلي ، وتلك نهاية كلِّ شيء . ونراه يفخر في تلك المروية بشجاعته وصلابته ، ويبدي أسفه على تلك النهاية العاجلة التي لم تمكنه من أعداء آخرين كان يريد النيل منهم .

* * *

مَوْتُ بَطَلٍ

* * *

- ١ أسألتُ عُمَيْرَةَ عن أبيها خلال الجيش تعرّف الرّكّابا
- ٢ تُؤمّل أن أووب لها ينهب ولم تعلم بأنّ السهم صابا
- ٣ فلان أباك قد لاق غلاما من الأبناء يلتهب التهايا
- ٤ وإن الوائلي أصاب قلبي بسهم لم يكن يكتمى لفأبا
- ٥ فرجى الخير وانتظري إيابي إذا ما القارظ العنزي آبا

(١) تعرّف : تسأل عن خبره . الركاب : الإبل التي تحمل القوم ويريد بها القوم أنفسهم .

(٢) النهب : الغنيمة . صاب : أصاب .

(٣) الأبناء : بنو صمصمة بن معاوية إلا عامر بن صمصمة يدعون الأبناء وهم : وائلة ، ومرة ، ومازن ، وغاضرة ، وسلول . يلتهب التهايا : يثرق غضبا .

(٤) القاب : الريش الرديء يكسى به السهم فلا يذهب بعيدا ولا يصيب .

(٥) القارظ : الذي يجنى القرظ وهو شجر يدنع بورقه وثمره ، وكان رجل من عزة نرج يطلب القرظ فات ولم يرجع فأضحي مثلاً لليأس من العودة .

الجزء الأول

٥٠٧

- ٦ فن يك سائلا عن بيتٍ بِشِير
٧ قَوَى في مُلْحَدٍ لَا بُدَّ مِنْهُ
٨ رَهينَ بِلَى، وَكُلَّ قَتَى سَبِيلَ
٩ مَضَى قَصْدَ السَّبِيلِ وَكُلَّ حَى
١٠ فَإِنْ أَهْلِكَ عُمَيْرٌ قُرْبَ زَحْفِ
١١ صَمُوتٍ لَهُ لَا لَيْسَهُ بِزَحْفِ
١٢ عَلَى رَيْدِ قَوَائِمُهُ إِذَا مَا
١٣ شَدِيدِ الْأَمْرِ يَحْمِلُ أَرْحِيًا
١٤ صَبُورًا عِنْدَ مُخْتَلَفِ الْعَوَالِي
١٥ وَطَالَ تَشَاوُرُ الْأَبْطَالِ فِيهَا
- فَإِنَّ لَهُ بِجَنَبِ الرَّذَى بَابَا
كَفَى بِالْمَوْتِ نَأْيًا وَاعْتِرَابَا
فَأَذْرَى الدَّمْعَ وَاتَّجِبَى اتِّحَابَا
إِذَا يُدْعَى لِمَيْتِهِ أَجَابَا
يُشَبِّهُ نَقْعَهُ عَدُوًّا ضَرَابَا
كَمَا لَقَتْ شَامِيَةً مَحَابَا
شَأْنَهُ الْخَيْلُ يَنْسَرِبُ انْسِرَابَا
أَخَانَتُهُ إِذَا الْحَدَثَانُ نَابَا
إِذَا مَا الْحَرْبُ أُبْرِزَتْ الْكَعَابَا
وَأَبْدَتْ نَاجِدًا مِنْهَا وَنَابَا

(٦) البيت هنا بمعنى القبر . الرده : موضع في بلاد قيس وصل إليه الشاعر وهو يوجد بنفسه .

(٧) الملحد : القبر . النأى : البعد .

(٨) أذرى : اسكبى .

(٩) قصد السبيل ، الطريق المستقيم الواضح .

(١٠) الزحف : المقاتلون . النقع : الفهار الذى يثيره الخيل فى أثناء القتال عندما تجرى .

(١١) صموت : نهضت . الشامية : بقصد الريح الآتية من الشام .

(١٢) ريد قوائمه : أى فرس خفيف القوائم فى أثناء العدو ، شأته : سبقته . ينسرب :

يشند فى عدوه .

(١٣) الأمر : الخلق والبيان . الأرحى : الكريم الذى يرتاح لعمل الخير . الحدثان : مصائب

الزمان . ناب : وقع .

(١٤) العوالى : الرياح . مختلف : يعنى حركة الرياح عند الطعن يمينا ويسارا وصعودا وهبوطا .

الكعاب : الفتاة التى كعب عليها أى نهد وبرز . أبرزت : أخرجت من السر لشدة الحرب .

(١٥) التشاير : الصراع والاشتباك ، الناجد : أقصى الضروس ، وظهور التواجد والأنياب كناية

عن هول الحرب .

- ١٦ فَمَسْرٌ عَلَى أَنْ عَجَلَ الْمَنَايَا وَلَمَّا أَلْقَى كَعْبًا أَوْ كِلَابًا
١٧ وَلَمَّا أَلْقَى خِيَلًا مِنْ تُمَيْرٍ تَضِبُّ لِقَائِهَا تَرْجُو النَّهَابَا
١٨ وَلَمَّا تَلَبَّسَ خَيْلٌ بِخَيْلٍ فَيَطْمِنُوا وَيَضْطَرُّوا اضْطِرَابَا
١٩ يَا لِلنَّاسِ إِنْ فَنَاءَ قَوْمِي أَبَتْ بِثِقَافِهَا إِلَّا انْقِلَابَا
٢٠ هُمْ جَدَعُوا الْأَنُوفَ فَأَوْعِيُوها وَهُمْ تَرَكُوا بَنِي مَعْدٍ يَسَابَا

(١٦) عجل المنايا : جاء الموت متعجلاً . كعب و كلاب : من أحياء بني عامر ، وكان بين بني أسد قوم الشاعر وبين بني عامر حروب متصلة .

(١٧) تُمَيْرٍ : من أحياء بني عامر . القنات : جمع لثة وهي منارؤ الأسنان ويريد بها الأقواء . وضبت اللثة : تحلب ريقها ، ويضرب مثلاً للثمن الحريص على الأمر ، وهو هنا يصف الخليل بشدة شهورتها للقاء ويعني أصحابها . النهاب : جمع نهب وهي الغنيمة .

(١٨) تلبس : تختلط . خيل بخيل : يقصد المقاتلين . يطمنون : يقاتلون بالرمح . يضطربون : يقاتلون بالسيوف .

(١٩) الثقاف : آلة من خشب فيها ثقب تسوى بها الرماح . يصف قومه بالصلابة .
(٢٠) جدعوا : صدعوا ، أوعيوها : استأصلوها . بنو سعد : سعد بن زيد مناة من أحياء تميم وحلفاء بني عامر . اليباب : الخراب .

محمد مصطفى هدارة

قيس بن الخطيم

* * *

أبو يزيد قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة ، فقيس من الأوس ومن بني ظفر خاصة ، فهو من شعراء المدينة . وقد قُتل جده عدي ثم قُتل أبوه الخطيم قبل أن يدرك بشار عدي ، وكان قيس حين قتل أبوه الخطيم صغيراً ، والذي قتل جده رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقال له مالك ، والذي قتل أباه رجل من عبد القيس ممن يسكن حجر . وخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بشار أبيه وجده فيهلك ، فعمدت إلى كومة من تراب عند باب دارهم فوضعت عليها أحجاراً ، وجعلت تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجدك . فلما اشتد ساعده غيره أحد أصحابه بتركة نار أبيه وجده ، فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض وفباه بين يديه ، وقال لأمه : أخبريني من قتل أبي وجدى ، قالت : ما تأكل يموت الناس وهذا قبراهما بالفناء ، فقال : والله لتخبريني من قتلهما أولاً تحاملن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري . فأخبرته الحقيقة وطلبت منه أن يستعين بجنداش بن زهير لأن قاتل جده من قومه ، فذهب إليه ودله على قاتل جده فقتله قيس ، ثم صحب جنداش قيساً ليدله على قاتل أبيه . ومكثه من إدراك ناره ، فقد طعن قيس غريمه بالحربة في خاصرته فأنفذهما من الجانب الآخر حتى مات مكانه .

وأدرك قيس الإسلام ولم يسلم، وقُتِل قبل الهجرة، قُتِل الخزرج. وكان من أحسن الناس وجهاً، بل إنه ممن كانوا يتعممون مخافة النساء على أنفسهم من جمالهم.

* * *

وشعر قيس يأتي في المرتبة الأولى من بين أشعار أهل المدينة، بل يفضلته بعض العلماء على شعر حسان بن ثابت، وكان حسان بن ثابت نفسه يقول: إننا إذا تافرتنا العربُ فأردنا أن نخرج الحَبِرات (برود يمنية موشاة مخططة ويعنى بها روائع الشعر) من شعرنا أنيننا بشعر قيس بن الخطيم. ويقول الشريف المرتضى في أماليه: وقد قال الناس في الطيف والخيال فأكثرُوا، وقد سبق في ذلك قيسُ بن الخطيم إلى معنى كلِّ الناس فيه عيالٌ عليه.

وهو يبدأ قصيدته التي تقدمها بالنسيب وكان متقدماً فيه، فيشبه بليلي ويذكر حسنهما وصفاء بشرتهما وأنها فارقتة فلا يستطيع لقاءها، ثم يفخر بتأثيره في النساء وأنه كثيراً ما استمال الغانيات، ويفخر في الوقت ذاته بأخلاقه العربية القويمة، فهو لا يستميل قلب قريبة له كامرأة الابن أو الأخ أو قلب جارة يحفظ عليها حياءها.

كذلك يفخر — كمعادة الجاهلي — بشربه الخمر للدلالة على فتوته، ويشير إلى كرمه في حال الصبحو والسكر.

ثم يبدأ في الحديث عن الموضوع الأصلي في القصيدة وهو إدراكه النار من قاتل أبيه وجده، وصور تقمته على قاتل أبيه خاصة بهذا التصوير الأخاذ للطعنة التي قتل بها ابن عبد القيس، حتى إن الأوامي اللائي تعودن على مناظر الجراح البشعة لم يستطعن النظر في جرح هذا الرجل لبشاعته.

وبعد أن نغفر قيس بإدراكه النار نغفر بشجاعته في المعارك ، وبذله النفس
رخيصة لإدراك المجد ، وبين أنه سوف يلقي الموت حين يأتيه هائثا مطمئنا بعد
إدراكه النار ، ونغفر بقومه من الأوس وبدورهم العظيم في يوم بُعث .

* * *

إدراكُ نَار

* * *

- ١ تَذَكَّرَ لَيْلَى حَسَنَهَا وَصَفَاءَهَا وَبَانَتْ فَاَمْسَى مَا يَنَالُ لِقَاءَهَا
- ٢ وَمِثْلِكَ قَدْ أَصْبَيْتُ لَيْسَتْ يَكْنَى وَلَا جَارَةٌ أَفْضَتْ إِلَى حَيَاءَهَا
- ٣ إِذَا مَا اصْطَبَحْتُ أَرْبَعًا خَطَّ مِثْرِي وَأَتَّبَعْتُ دَلْوِي فِي السَّخَاءِ رِشَاءَهَا
- ٤ نَارَتْ عَدِيًّا وَالْخَطِيمَ فَلَمْ أَضْغَ وَلَايَةَ أَشْيَاءٍ جُعِلَتْ لِزَاءَهَا
- ٥ صَرَبْتُ بِذِي الزَّرِينِ رِبْقَةَ مَالِكٍ فَأَبْتُ بِنَفْسِي قَدْ أَصْبَيْتُ شِفَاءَهَا
- ٦ وَسَاخَنِي فِيهَا ابْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ خَدَّاشُ قَادِي نِعْمَةٍ وَأَفَاءَهَا

(١) بانَتْ : فارقت وبعدت .

(٢) أصبیت : استملت ، الكنة : امرأة الابن أو الأخ ، أفضت إلى حياءها : رفعت الستر بيني وبينها .

(٣) اصطبحت : شربت الخمر في وقت الصباح ، أربعا : يعنى كثر ومارا أربعا ، خط مِثْرِي : جرت ثوبي من الخيلاء ، السخاء : الكرم ، أتبع الدلو وشاءها : مثل يضرب لمن يقضى معظم الحاجة ويبقى منها بقية ، ويعنى الشاعر هنا أنه يقوم بواجب الكرم في حال الصغر ويسميه في حال السكر .

(٤) عدى هو جلد الشاعر ، والخطيم أبوه ، نارت : أدركت نأرها ، ولاية الشئ : القيام عليه ، جعلت ليزاءها : جعلت القيم بها .

(٥) ذو الزرين : اسم سيف ، وزر السيف حده ، ربة : يريد موضع الربة من عنقه .

(٦) ساخنى : تابعنى ، خدّاش : هو الشاعر المشهور خدّاش بن زهير بن بنى عامر بن صعصعة وقد ساعد قيسا في الأخذ بأرأيه وجاهه ، أدى : أعاد نعمة أخذت منهم ، أفاءها : جعلها فينا أى غنيمه ، أو أربحها .

- ٧ طَعَنَتْ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرَةً لَهَا نَقْدٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءُهَا
- ٨ مَلَكَتُ بِهَا كَفَى فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا يَرَى قَائِمًا مِنْ خَلْفِهَا مَا وَرَاءُهَا
- ٩ يَهُسُّونَ عَلَى أَنْفٍ تَرُدُّ بِرَاحَتِهَا عَيُونَ الْأَوَاسِي إِذْ حَمَدَتْ بِلَاءُهَا
- ١٠ وَكُنْتُ أَمْرًا لَا أَسْمِعُ الدَّهْرَ سُبَّةً أُمَسَّبُ بِهَا إِلَّا كَشَفْتُ غِطَاءُهَا
- ١١ وَإِنِّي فِي الْحَرْبِ الضُّرُوسُ مُوَكَّلٌ بِإِقْدَامِ نَفْسٍ مَا أُرِيدُ بَقَاءُهَا
- ١٢ إِذَا سَقِمْتُ نَفْسِي إِلَى ذِي عِدَاوَةٍ فَإِنِّي بِنَصْلِ السَّيْفِ بَاغٍ دَوَاءُهَا
- ١٣ مَتَى يَأْتِ هَذَا الْمَوْتُ لَا تَبْقَ حَاجَةٌ لِنَفْسِي إِلَّا قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءُهَا
- ١٤ وَكَانَتْ نَجْمًا فِي الْخَلْقِ مَا لَمْ أَثُرْ بِهَا فَأَبْتُ بِنَفْسٍ قَدْ أَصَبْتُ دَوَاءُهَا

- (٧) ابن عبد القيس رجل من قبيلة عبد القيس كان الخطيم قد قتل أباه فأخذ ثأره منه، وهو نفسه الذي ثأرته قيس، لها نقد: أي نقدت، الشعاع بالضم: حمرة الدم، وإذا جعلت الشعاع بالفتح: كان معناها انتشار الدم، أضاءها: أبصر ما وراءها لاتساع الطعنة وعمقها.
- (٨) ملكت: شددت، أنهرت: أجريت الدم، ومعنى البيت: شددت بهذه الطعنة كفى ووصفت ثوقها، حتى يرى القائم من دونها الشيء الذي وراءها.
- (٩) الأواسي: النساء المداويات للجراح، وهن يرددن عيونهن عن هذه الطعنة لفظاعتها، وبلاءها: شدتها ولفظاعتها.
- (١٠) سبة: عار ومنقصة، كشف غطاءها: منعهما بإزالتها.
- (١١) الضروس: الشديدة، الإقدام: الشجاعة وبذل النفس، ما أريد بقاها: يريد أنه ليس حريصا على الحياة.
- (١٢) سقمت: مرضت وهي هنا بمعنى كرهت، ويطلب دواءها بنصل السيف أي بقتل عدوه الذي يبغيضه.
- (١٣) قضيت قضاها: شفيت كل ما بنفسى من رغبات ويمنى ثأره.
- (١٤) الشجا: النقص والحزن، لم أثربها: لم أحتملها وأقض ثأرى. أبت: عدت بعد قضا الثأر.

- ١٥ وقد جَرَبَتْ مِنِّي لَدَى كُلِّ مَاقِطٍ دُحَى إِذَا مَا الْحَرْبُ أَلْقَتْ رِذَاءَهَا
 ١٦ وَإِنَّا إِذَا مَا مُنْمَتُوا الْحَرْبِ بَلَّحُوا نُقِيمُ بِأَسْبَادِ الْعَرِينِ لَوَاءَهَا
 ١٧ وَنُلْقِيهَا مَبْسُورَةَ ضَرْزَنِيةَ بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نُنِزِّلَ لِبَاءَهَا
 ١٨ وَإِنَّا مَتَعْنَا فِي بُعَاثٍ نِسَاءَنَا وَمَا مَتَعَتْ مِ الْمُخْزِيَاتِ نِسَاءَهَا

(١٥) المَاقِطُ : المَازِقُ وخاصة في الحرب ، دُحَى : اسمُ قبيلة ، أَلْقَتْ رِذَاءَهَا : تجردت ، كناية عن شدة الحرب -

(١٦) عَمَرُوا الْحَرْبَ : الذين يستدوونها ، يُقَالُ : مَرِيتُ النَّافَةَ إِذَا مَسَحْتَ ضَرْعَهَا لَنْدَرٍ ، بَلَّحُوا : أَهْبُوا ، الْأَسْبَادُ : جمع سيد (يكمر السدين وسكون الباء) وهو الذئب والداحية ، وهو يعني هنا بِأَسْبَادِ الْعَرِينِ : الأسود من فرسان قبيلته .

(١٧) مَبْسُورَةُ : من يسر الفعل النافعة أى ضربها على غير شهوة منها ، الضَرْزَنِية : العاصية ، وهو يعني قوتهم العظيمة في القتال وسيادتهم على أعدائهم .

(١٨) يوم بُعَاثٍ من أيام العرب المشهورة في الجاهلية وكان بين الأوس والخزرج -

* * *

محمد مصطفي هدارة

الحَادِرَة

الحَادِرَة هُوَ قُطْبَة بن أَوْس بن مَحْصَن ، من بَنِي ثَعْلَبَة بن سَعْد بن ذُبْيَان ثم من غُطَفَان بن سَعْد ، وَيُنَسَّب إِلَى غُطَفَان أَوْ إِلَى ذُبْيَان ، وَكَانَتْ مَنَازِل قَوْمِهِ فِي الْحِجَاز .

هَاشِ الحَادِرَة فِي آخِرِ الْعَصْرِ الْجَاهِلِي قَرِيبَا مِنَ الْإِسْلَام ، وَرَبَّمَا أَدْرَكَ الْإِسْلَام وَلَكِنَّهُ لَمْ يُسْلِم . وَقَدْ جَعَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ فِي الطَّبَقَةِ الثَّاسِعَةِ مِنْ خَوَلِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ . وَأَهَمُّ أَغْرَاضِ شِعْرِ الْحَادِرَةِ الْغَزْلُ وَقَدْ اشتهر بِمَحَبَّتِهِ سُمَيَّةُ ، وَكَذَلِكَ الْمُهْجَاءُ . وَيَمْتَازُ شِعْرُهُ بِسِيَاحَةِ اللَّفْظِ وَإِحْكَامِ السِّبْكِ ، وَلَوْلَا قَلَّةُ شِعْرِهِ الَّذِي وَصَلَ إِلَى عَلَمَائِنَا الْأَقْدَمِينَ لَقُدِّمَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ .

وَقَدْ بَدَأَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي اخْتَرَاهَا بِالتَّغْزِيلِ فِي مَحَبَّتِهِ سُمَيَّةَ الَّتِي قَطَعَتْ حَبْلَ الْوَدِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ وَابْتَعَدَتْ عَنْهُ ، وَعَرَّضَتْ أَحْدَاثَ صَرَفَتِهِ عَنْ زِيَارَتِهَا ، وَشُغِلَ كُلُّ مَنْهَا عَنْ الْآخَرِ ، وَتَمَنَّى لَوْ أُتْبِعَ لَهُ أَنْ يَرَاهَا فِي يَوْمِ الدُّوَارِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهُ لَنْ يَرَاهَا بَعْدَ رَحِيلِهَا . وَحِينَ يَصِلُ إِلَى هَذَا الْيَأْسِ يَقُولُ لَهَا : اذْهَبِي عَنِّي فَإِنَّا رَجُلٌ أَصِيلٌ ذُو حَسَبٍ ، وَيَأْخُذُ فِي تَعْدَادِ صِفَاتِهِ السَّامِيَةِ النَّبِيلَةِ ، وَهِيَ لَا تَنْطَبِقُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ ، بَلْ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مِثْلُ عَرَبِيَّةٍ عَلِيَا يَفْخَرُ بِهَا الْإِنْسَانُ الْعَرَبِيُّ ، وَتَنْحَصِرُ فِي الْبَعْدِ عَنِ الْقَوَاحِشِ ، وَالتَّزَامِ الْعَفَةِ ، وَتَجْتَنِبُ الْعَيْبَ ، وَالصَّبْرَ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْمَكْرُوهِ ، وَالتَّجَمُّلَ عِنْدَ الرِّزِيئَةِ ، وَالكَرَمَ فِي وَقْتِ الشَّدَةِ ، وَتَقْدِيمَ الْعَوْنِ لِلضَّعِيفِ ، وَنَجْدَةَ الْمَلْهُوفِ ، وَالشَّجَاعَةَ الْفَائِقَةَ فِي وَقْتِ الْقِتَالِ .

مَثَلٌ عَرَبِيَّةٌ عَلِيَا

* * *

- ١ أَمَسْتُ سُمَيْةً صَرَمْتُ حَبْلِي وَنَأْتُ وَخَالَفَ شَكْلَهَا شَكْلِي
- ٢ وَعَدَا الْعَوَادِي عَنْ زِيَارَتِهَا إِلَّا تَلَاقَيْنَا عَلَى شُقْلِي
- ٣ وَرَجَاهُمْ يَوْمَ الدَّوَارِ كَمَا يَرْجُو الْمَقَامُ نَيْلَ الْخَصْلِي
- ٤ وَلَقَدْ عَرَفْتُ لَنْ نَأْتُ وَتَبَاعَدْتُ إِلَّا تُلَاقِيهَا سِنِي الْحَسْلِي
- ٥ فَبِئْسَ إِلَيْكَ فَإِنِّي رَجَلٌ لَمْ يُخْزِنِي حَسْبِي وَلَا أَصْلِي
- ٦ أَدْعُ الْفَوَاحِشُ أَنْ أَسْبَ بِهَا وَشَرِيكُهَا فَكَلَيْهَا أَقْلِي
- ٧ وَوَجَدْتُ آبَائِي لَهُمْ خُلُقٌ عَفَّ الشَّائِلِ غَيْرُ ذِي دَخْلِي
- ٨ لَوْ تَصَدَّقِينَ لَقُلْتُ إِنَّهُمْ صَبَرُوا عَلَى النَّجَدَاتِ وَالْأَزْلِي
- ٩ وَعَلَى الرِّزْيَةِ مِنْ تَقْوَمِهِمْ وَتَلَاتِلِ اللَّزْبَاتِ وَالْقَتْلِي

(١) صرمت حبلى : قطعت وصالى .

(٢) عدا العوادي : صرمت الصوارف .

(٣) الدوار : نسك كان لأهل الجاهلية يطوفون حوله . والمعنى رجا أن يلقاهم يوم الدوار حين يطوفون بالنسك . الخصل : الاتفاق على شيء معلوم في القمار .

(٤) الحسل : الضب الصغير ، وفي المثل : لا آتيك سن الحسل ، أى أبدا لأن سنه لا تسقط أبدا حتى يموت .

(٥) فبئس إليك : تباعدى عني .

(٦) أقل : أكره .

(٧) الدخل : العيب .

(٨) النجدة : القتال والشدة . الأزل : الضيق .

(٩) الرزية : المصاب في النفس والمال . التلائل : الزلازل . الزبات : الأزمات الشديدة والجوع .

- ١٠ هَلَسَات إِذَا هُمُ احْتَمَلُوا فَتَحَوَّلُوا لِحَيْطِيَّةٍ مَحَلٍ
 ١١ يُعْمِي الرِّءَاءَ بِهَا مَسَارِحَهُمْ وَجَفَّتْ مِرَاتِعُهَا عَنِ الْبُزْلِ
 ١٢ إِذْ لَا يُدْتَسَّنَا الشِّتَاءُ وَلَا نَطَأُ الضَّعِيفَ إِرَادَةَ الْأَكْلِ
 ١٣ وَيَنْقَسُونَ عَنِ الْمُضَافِ إِذَا نَظَرَ الْقَوَارِئُ عَوْدَةَ الرَّجْلِ
 ١٤ الْمُقْبِلِينَ تُحَوِّرُ خَيْلَهُمْ حَدَّ الرِّمَاحِ وَغَبِيَّةَ النَّبْلِ

(١٠) احتملوا : رحلوا . انعطفت : الأرض بين أرضين مطيرتين وقد أخطأها المطر .
 المحل : الجذب .

(١١) يعمي الرءاء بها مسارحهم : لا يجدون بها مسرحاً أى مرضى لإيلامهم لشدة جدها . البزل :
 الإيل .

(١٢) بدتتنا : شتتنا لأنهم لا يبتلون فيه على المحتاج .

(١٣) المضاف : اللابى . الرجل : الرحالة .

(١٤) الغيبة : الدفعة الشديدة من المطر ، وهى هنا الدفعة الشديدة من البال في وقت الحرب .

* * *

محمد مصطفى هدارة

الأعشى

* * *

يعد الأعشى أحد الشعراء الأربعة الكبار الذين أجمع الرواة والنقاد على أنهم أكبر شعراء العصر الجاهلي ، والثلاثة الآخرون هم امرؤ القيس وزهير والنابعة . ويضعه بعض الرواة بين أصحاب المعلقات العشر .

ويرجع نسب الأعشى إلى قبيلة بكر بن وائل التي دارت بينها وبين أختها تغلب حرب اليُسوس المشهورة في بداية العصر الجاهلي الأدبي . وكانت بكر تنزل في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية على امتداد ما بين وادي الفرات واليمامة في الجنوب الشرقي من نجد . وينتسب الأعشى إلى قيس بن ثعلبة ، أحد الفروع التي تفرعت إليها قبيلة بكر الكبيرة ، وكانت قيس تنزل في إقليم اليمامة . وقد ظهر فيها شعراء كثيرون معروفون قاموا بدور ملحوظ في حركة الشعر في العصر الجاهلي ، كالمرقش الأكبر والمرقش الأصغر والمتلمس وابن أخنسه طرفة الشاعر المعروف صاحب المعلقة المشهورة .

والأعشى لَقَبُ أُقْبَ به لضعف بصره ، ولهذا يُكْنَى أحياناً بأبي بصير . أما اسمه فهو ميمون بن قيس .

وليس بين أيدينا شيء واضح عن نشأة الأعشى الأولى وشبابه ، شأنه في ذلك شأن أكثر الشعراء الجاهليين . وكل ما نعرفه عن هذه المرحلة المبكرة من حياته أنه وُلِدَ بقرية من قرى اليمامة اسمها « مَتْفُوحَة » ، في تاريخ لم يحدده الرواة ، ولكنه — بدون شك — كان في أواخر العصر الجاهلي ، فمن الثابت أنه أدرك

الإسلام ، وفكر في اعتناقه ، وشدّ رحاله نحو المدينة المنورة ليلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم إسلامه ، لولا أن قریشا صدته عنه ، فعاد أدراجه إلى ديار قومه حيث لقي مصرعه بعد أن نفرت به ناقته فأردته صريعا وهو على مشارف الجحامة ، وفي مسقط رأسه بقرية متفوحة وورى مثواه الأخير . ويذكر الرواة أن فتيان قومه كانوا يقصدون قبره هناك حيث يشربون الخمر ويصبون عليه نصيبه منها مشاركة منهم في شرابهم . ومن هنا ربما كان التاريخ الذي يذكره جرجي زيدان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » لسنة وفاته — وهو سنة ٦٢٩ لليلاد — قريبا من الواقع ، وهو تاريخ يوافق السنة السادسة للهجرة .

وفي ضوء ما بين أيدينا من أخباره وشعره يبدو الأعشى كأنه كان دائما على سفر ، فهو كثير التنقل والرحلة بين أرجاء الجزيرة العربية ، بل إننا نراه يمدّ رحلاته إلى الحيرة والعراق واليمن وحضرموت ، بل يذهب بعض الرواة إلى أن رحلاته امتدت إلى بلاد فارس والشام وأيضاً إلى بلاد الحبشة ، مستشهدين على ذلك بقوله في بعض شعره :

وقد طُفْتُ لَلِآفَاقِهِ عَمَّانَ فَمَصَّ فَأُورِشَلِيمَ
أَتَيْتُ النَّجَاشِيَّ فِي أَرْضِهِ وَأَرْضَ النَّبِيطِ وَأَرْضَ الْعَجَمِ
فَتَجَرَّانَ فَالْمُرَّوْ مِنْ حَمِيرٍ فَأَيَّ مَرَامٍ لَهُ لَمْ أَرَمْ
وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ فَأُوفِيتُ هَمِيَّ وَحِينَا أَهْمُ

ولم تكن رحلات الأعشى هذه من أجل الرحلة ، وإنما كانت من أجل الملوك والسادة والأشراف الذين كان يقصدهم لمدحهم ونيل عطاياهم وجوائزهم . ولهذا يجعله الرواة القدماء أحد الذين غصّ الشعرُ منهم ، لأنه اتخذ منه وسيلة للسؤال .

ولهذا أيضا يجعله الباحثون المحدثون أهم شاعر حوّل المدح في الشعر الجاهلي إلى احتراف خالص من أجل التكسب والعيش . وهو بهذا يعد نقطة تحول ضخمة في تاريخ شعر المدح ، ومعلما بارزا في حركة الشعر الجاهلي وتطوره .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن الأعشى كان نصرانيا ، ويميل بروكلمان في كتابه « تاريخ الأدب العربي » إلى ذلك ، ولكنه يراه قليل التعمق في النصرانية . وأما الدكتور شوق ضيف في كتابه « العصر الجاهلي » إلى أنه كان وثنيا مفرقا في وثنيته ، وأما العناصر النصرانية التي تظهر في شعره فربما جاءت من راويته النصراني يحيى بن ممي . وفي رأيه أنه كان وثنيا ، وأن هذه العناصر تسربت إلى شعره من تطوافه الواسع في أرجاء الجزيرة العربية وما حوطاه وتردده على البيئات المسيحية في اليمن والشام والحيرة .

وحياة الأعشى الخلقية صورة أخرى من حياة امرئ القيس في خلاسته ومجونه ، بل لعله أشد فجورا وتهكما منه ، ففي شعره أحاديث كثيرة عن طائفة من الجوارى والقيان اللاتي كان يتردد عليهن ، ويتصل بهن ، ويصف ما يدور بينه وبينهن . ومن بين هذه الأحاديث تتردد اعترافات صريحة عن علاقات غير مشروعة مع طائفة من بنات الهوى من أصحاب « الرايات الخمر » اللاتي كن يتاجرن في أعراضهن في بعض القرى العربية وفي البلاد الأجنبية التي كان يرحل إليها . وفي شعره أيضا إلحاح على ذكر الميسر ، وإلحاح أشد على ذكر الخمر ، والتصريح بشربها ، ووصف ما يدور في مجالسها من عريضة وتهتك . وهو لهذا يعد أهم شاعر جاهلي شغل بالحديث عن الخمر ، واستطاع أن ينمض بوصفها نهضة تجعله يقترب اقترابا واضحا من ذوق الشعراء العباسيين الذين تخصصوا للخمر

كأبي نَؤاس وأضرابه . وقديماً جعله النقاد العرب أشعر الشعراء إذا طَرِبَ ، يريدون بذلك أنه أشعر شعراء الجاهلية حين يصف النحر .

ومن أهم ما يلاحظ على أسلوب الأهشي في شعره سهولة ألفاظه بالنسبة إلى شعراء عصره . ومن الواضح أن هذه السهولة أثر للحياة المتحضرة التي كان كثير التردد عليها والاتصال بها . وهو في هذا التأثر الحضارى يفوق النابتة بمراحل بعيدة . والسهولة في شعره لا تقف عند لفته فحسب ، ولكنها تمتد أيضاً إلى معانيه وأفكاره . وأهم من هذا كله أنها تمتد إلى موسيقاه العروضية ، فهو كثير التنويع فيها مع ميل إلى الأوزان القصيرة والمجزوءة في طائفة من قصائده . وقد أضفى ذلك على شعره طابعاً موسيقياً لفت أنظار الرواة القدماء فأطلقوا عليه « صنّاجة العرب » ، اعترافاً منهم بهذه الطاقة الموسيقية الضخمة التي كان يمتاز بها ، والتي استطاع أن يوفرها لكل ما نظمه من شعر .

ولاحظ النقاد عليه أيضاً ولوعه بالألفاظ الأجنبية ، وخاصة الفارسية ، التي كان يُكثر منها في شعره . وهي ظاهرة جاءت — بطبيعة الحال — نتيجة لتردده المتصل على البلاد الأجنبية التي كان يتردد على ملوكها وأمراءها من أجل بيع شعره في أسواق المدح الرائجة بها ، لينفق ما يجمعه منها على نحره ولهوه ولذته . وقد حاول المرزبانى في كتابه « الموشح » أن يخرج بسببها من دائرة الفحول ، ولكن أكثر الرواة والنقاد القدماء على أنه واحد من أولئك الأربعة الكبار الذين يعدون خول الشعراء في العصر الجاهلي .

* * *

يوسف خليف

(١)

المُعَلِّقَة

* * *

يجعل بعض الرواة هذه القصيدة بين القصائد الثلاث التي ضموها للمعلقات السبع التي اختارها حماد الراوية من روائع الشعر الجاهلي . وهي تبدأ بمقدمة غزلية في صاحبة له اسمها « هُريرة » يقال إنها كانت من القيان المغنيات . ولعل هذا هو الذي طَبَعَ غزله فيها بطابع حمى صريح يركز تركيزا واضحاً على جمالها الجسدي ، وينتهي — في صراحه مكشوفة — بإعلان خلاعته وفتكه ومخالسته الأزواج من أجل الوصول إلى زوجاتهم . ثم ينتقل بعد هذا إلى وصف مجلس شراب مع رفاق له في إحدى الحانات التي تحترف بيع الخمر ، وما دار فيه من شرب ولهو وغناء وموسيقا . ثم يخرج من هذا الجو اللامهي بين حانات الخمر وجواربها وسقاتها إلى الصحراء ليصف رحلة فيها في ليلة ممطرة بات يرقب فيها البرق والسحاب والمطر ، ويتتبع مواقع السيل وهو يتدفق في أرجاء الصحراء من موضع إلى موضع . ثم ينتقل إلى القسم الأخير من المعلقة ، فيوجه تهديداً إلى بعض أعداء قبيلته الذين كانوا يوقعون بينها وبين القبائل الأخرى ، ويحاولون إشعال نيران الفتنة بينها وبينهم . ويختتم المعلقة بفخر قبلي عريض يفتخر فيه بشجاعة قومه وبطولاتهم ، وخبرتهم بفنون القتال ، وقدرتهم على انتزاع النصر من بين أنياب أعدائهم ، والإطاحة بأبطالهم أشلاءً متناثرة فوق أسنة الرماح .

وهذه المعلقة — كأكثر قصائد الأعشى — طويلة ، فهي تقع في أربعة وستين بيتا ، تشغل المقدمة الغزلية منها أربعة وعشرين بيتا ، وهو امتداد يجعلنا نخرجها من أن تكون مقدمة تقليدية إلى أن تكون قسما أساسيا من أقسام القصيدة . وهي — ككل شعر الأعشى — غنية بأنغامها الموسيقية التي استطاع الأعشى بأذنه الشديدة الحساسية أن يراوح فيها بين الرقة والنغمة والنغم الراقص في حديث الحب والخمر ، وبين العنف والشدة والنغم النائر الصاخب في وصف المطر والسيل وحديث الهجاء والتهديد والفخر ، فحقق لها ذلك التوازن الصوتي الرائع الذي كان الأعشى خير من يُحسّنه بين شعراء العصر الجاهلي .

* * *

- ١ وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ وهل تُطِيقُ وَدَاعَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ؟
- ٢ غُرَاءُ فُرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الْهُوَيْنَى كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحِلُ
- ٣ كَأَنْ مِشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ لَارَيْثٌ وَلَا عَجَلُ
- ٤ تَسْمَعُ لِلْعَلَى وَسَوَاسَا إِذَا انْصَرَفَتْ كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عَشِيرُكُ زَيْلُ

- (١) هُرَيْرَة : اسم صاحبه ، ويقال إنها كانت قبيلة من الجوارى المغنيات اللاتي كان الأعشى على صلة بهن . يبدأ الشاعر قصيدته بهذه المقدمة الغزلية التي يستهلها بحديث الرحيل والوداع .
- (٢) الْغُرَاءُ : البيضاء الجليين . وَالْفُرْعَاءُ : الطويلة الشعر . وَالْعَوَارِضُ : الأسنان . وَالْوَجِي : الفرس يمشي متأنيا بسبب حنى أصاب حافره . وَالْوَحِلُ : الذي يمشي في الوحل ، فهو يتحرك في حذر شديد . يصف صاحبه بأنها لا تسرع في مشيتها ، وكان الدرب يرون في ذلك مظهرا من مظاهر الأثوثة الناعمة الرقيقة . يقول إن جسمها الممثل ، يحمل خطواتها بطيئة متقاربة .
- (٣) الرِّيثُ : البطء . وَالْعَجَلُ : الإسراع . يصف خطواتها بأنها وسط بين الإبطاء والإسراع ، ويشبها بحركة السحابة في أنسيابها الهادئ الرقيق .
- (٤) الْوَسَاسُ : صوت خشخشة الحلي . وَالْمَشْرِقُ : شجيرة صغيرة تخرج أكاما تضم حبا صغيرا إذا جف وحركته الريح أحدث صوتا كالتخشخشة . وَالزَّجَلُ : الذي يرفع صوته بالغناء . يشبها الشاعر صوت حلي صاحبه بصوت هذا الحب حين تحركه الريح ، ويصف هذا الصوت بأنه غناء يردده صاحبه ويرفع صوته به .

- ٥ ليست كمن يكره الجيران طاعتها ولا تراها ليسر الجار تختسل
٦ يكاد يصرعها لولا تسددها إذا تقوم إلى جاراتها الكسل
٧ إذا تلاعب قرنا ساعة فسرت واهتر منها ذنوب المتن والكفل
٨ صفر الوشاح وملء الدرع بهكنة إذا تأتى يكاد الخضر ينخزل
٩ نعم الضجيع خداة الدجن يصرعها للذة المسر لا جاف ولا تفل
١٠ هر كولة فنى ذرم مرافقها كأن أنحصها بالشوك متعل
١١ إذا تقوم يضرع المسك أصورة والزنيق الورد من أردانها شيل

(٥) تختل : تسترق السمع . يصف صاحبه بجمال الخلق والخلق ، فهي جميلة تسم من ينظر إليها ، وهي كريمة الخلق لا تنصت على أسرار جيرانها .

(٦) لولا تسددها : لولا تماسكها . يقول إن خصرها الضامر النحيل يكاد لتقل أردافها ينقطع كلما همت بالقيام لولا أنها تماسك وتعامل على نفسها .

(٧) القرن : القرن . وفرت : ضعفت وتهاكت . والمتن : الظهر ، وذنوب المتن : لحمه المنزل . والكفل : الأرداف . يصفها بأنها أنثى ضعيفة بهالككة ، لينة اللحم ، مثقلة الجسد .

(٨) الوشاح : حزام مريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين كتفها وخصرها ، وصفر الوشاح أى ضامرة الخضر . والدرع : القميص ، وملء الدرع أى مثقلة الجسد . والهكنة : الشابة الغضة . وتأتى : أصلها تأتي ، أى تنهى القيام . وينخزل : يتنى حتى يكاد ينقطع .

(٩) الدجن : النجم : يريد اليوم البارد المطر . والجاف : الغليظ . والتفل : الكرية الرائحة الذى لا يطيب . يقول إنها نسم الأنثى التى يمتساها الرجل الذى يحسن معاملة المرأة لمتعة ولذته فى أيام الشتاء الباردة .

(١٠) الهر كولة : المثقلة الوركين . والفنى : الفتية الشباب المنعمة . ودرم مرافقها أى ملفوفة الساقين والذراعين . والأحص : باطن القدم . وقوله « كأن أنحصها بالشوك متعل » يريد أنها متقاربة الخطى .

(١١) يضرع : يشتر ويفوح عطره . والأصورة : جمع صوار وهو دماء المسك ، وهي كلبة فارسية . والورد : الأحمر ، ويقال إن أجود الزنيق ما كان لونه ضارباً إلى الخمر . وفى رواية أخرى « والعنبر الورد » . والأردان : أطراف الأكام ، مفردا ردن . وشمل : شامل منتشر . يصف طيب رائحتها التى تنشر منها ومن ثيابها فضلاً كل ما حوّلها برائحة المسك والعنبر والزنيق .

- ١٢ ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسيل هطل
١٣ يضاحك الشمس منها كوكب تشرق مؤزر بعيم التبت مكنهل
١٤ يوما بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
١٥ علقت عرضا ، وعلقت رجلا غيري ، وعلق أخرى غيرها الرجل
١٦ وعلقت فتاة ما يحاولها ومن بنى عمها ميت بها وهل
١٧ وعلقتني أخيري ما تلائمني فاجتمع الحب ، حب كله تيل
١٨ فكلنا مغرم يهذي بصاحبه ناء ودان ومحبول ومحتل

(١٢) الحزن : الأرض المرتفعة ؛ ورياضها أحسن وأجود من رياض الوهاد المنخفضة . والمسيل المطر الذي يسقط فوقها وتهطل مياهه .

(١٣) الكوكب هنا الزهر . والشرق : الريان المنلى ماء ، ونضارة . ومؤزر : ملف . والعيم : التام النضج . والمكنهل : الذي اكتمل طوله إلى غايته وظهرت أزهاره . وقوله « يضاحك الشمس » أى يدور معها حيث دارت .

(١٤) النشر : الرائحة الطيبة . والأصل ، جمع أصيل وهو وقت المساء من العصر إلى العشاء . برسم الشاعر في هذه الأبيات الثلاثة منظرا لهذه الروضة الخضراء التي تنتشر فيها الأزهار المعطرة ليشبه بها طيب رائحة صاحبه .

(١٥) علقتها : أى أحبتها . وعرضا : أى على غير عمد ، وإنما كانت مصادفة .

(١٦) ما يحاولها : أى لا يريد لها ولا يظلمها . والوهل : الداهب العقل . وفي رواية أخرى « نخل » .

(١٧) أخيري : أى فتاة أخرى صغيرة . والتبل : الداهب العقل أيضا . يقول إن هذا الحب المتشابك كله جنون في جنون . ووضح أن الأبيات الثلاثة كلها تهريج في تهريج ، وعبت من الأعشى كأنه هب السكارى وعريدة المخمورين .

(١٨) المحبول : الذى وقع في حباله الصياد وهو الشرك الذى ينصبه للصيد . والمحتل : هو الصياد الذى ينصب الحباله . يقول إن المسألة كلها محاولات للصيد ونصب الشباك . وفي رواية أخرى يخطئها الأصمعي ويرفضها « نخبول ونخبيل » بالخاء في الكلمتين .

- ١٩ صَدَّتْ هَرِيرَةٌ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا جَهْلًا بِأَمِّ خَلِيدٍ! حَبَلٌ مِّنْ تَصِلُ ؟
 ٢٠ أُنْ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرَبَهُ رَيْبُ الْمُنُونِ ، وَدَهْرٌ مُّقْنِدٌ خَيْلُ ؟
 ٢١ قَالَتْ هَرِيرَةٌ لِّمَا جِئْتُ زَائِرَهَا : وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ !!
 ٢٢ إِمَّا تَرَيْنَا حَفَاةً لَا نِعَالَ لَنَا إِنَّا كَذَلِكَ مَا نَحْفَى وَنَقْتَعِلُ
 ٢٣ وَقَدْ أَخَالَسَ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَتُهُ وَقَدْ يُحَافِظُ مِنِّي ثُمَّ مَا يَسْئَلُ
 ٢٤ وَقَدْ أَقْوَدَ الصَّبَا يَوْمًا فَيَقْبَعُنِي وَقَدْ بُصَاحِبُنِي ذُو الشَّرَةِ الْغَزَلُ

* * *

(١٩) أم خلود هي هريرة . وقوله « جهلاً بأم خلود » تعجب من جهلها لشأنه ، يريد أن صدها عنه كان جهلاً منها . وقوله « حبل من تصل ؟ » يعني أى حبل تصله إذا لم تصلنا ؟ وأى رجل تحبه إذا لم تحبنا ؟ .

(٢٠) الأعشى : الذى لا يبصر بالليل . ربيب المنون : خشية الموت . والمفتد : المقصد ، روى بها البيت فى رواية أخرى . والحبل : القاسد . وقوله « أن رأت » تقديره « أمن أن رأت » ، أى أمن أجل أنها رأت .

(٢١) تعبيرات نسائية خالصة يحكيها فى الشطر الثانى ، وكان الأعشى — كاهن القيس من قبله — يجيد حكاية لغة النساء . وقد قال النقاد القدماء عن هذا البيت إنه أخذت بيت قائمه للعرب .

(٢٢) « ما » فى الشطر الثانى زائدة للتوكيد . يقول إن هذه سبيل فى الحياة المنقضية التى لا تستقر على حال ، أجارها فى قلبها ولا أبالى بشئ .

(٢٣) يث : ينجو ، والماضى منه وآل ، ومنها الموثل . وفى رواية أخرى « وقد أراقب » . والبيت تصوير لاحتياجه واحتماله من أجل الوصول إلى معشوقاته المتزوجات فى غفلة من أزواجهن الذين لا يقدرون على النجاة من فتكه وديبه مهما يبالتوا فى الحذر منه .

(٢٤) الشره : الحدة والنشاط ، ويريد بلوى الشره أمثاله من الظلماء الذين يتطلقون خلف لذتهم فى اندفاع لا يهدأ ، وخدة لا يفتقر نشاطها . وفى رواية أخرى « ذو الشارة » ، والشارة : الهيئة الحسنه ، يريد الشباب الجميل المتأنق الساعى خلف الحب والغزل .

- ٢٥ وقد غدوتُ إلى الخانوتِ يَتَبَعْنِي شَاوٍ مِشَلٍّ شَلُولٍ شَلْشَلٍ شِلُولٍ
 ٢٦ في فِتْنَةٍ كَسِيفٍ الهند قد علموا أَنْ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ
 ٢٧ نازِعَتُهُمْ قُضِبَ الرِّيحَانِ مَتَكُشَا وَقَهْوَةَ مُزَّةٍ رَاوَوْقُهَا خِضَلُ
 ٢٨ لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا ، وَهِيَ رَاهَنَةٌ ، إِلَّا بَهَاتٍ ، وَإِنْ عَلَوْا وَإِنْ نَهَلُوا
 ٢٩ يَسْعَى بِهَا ذُو زُجَاجَاتٍ ، لَهُ نَطْفٌ مُقَصَّصٌ أَسْفَلَ السَّرْبَالِ مُعْتَمِلُ
 ٣٠ ومستجيبٌ تَحَالُ الصَّنَجِ يُسْمِعُهُ إِذَا تُرْجِعَ فِيهِ الْقَيْنَةُ الْفُضْلُ

- (٢٥) الخانوت : الحانة ، والشاوى : الذى يشوى اللحم . والمشل والشلول والشلشل والشول كلها ألفاظ مشتركة في حروفها ومعانيها ، وهى تدل على الخفة والحركة والنشاط . وفي رواية أخرى « شَاوٍ مِشَلٍّ شَلُولٍ شَلْشَلٍ شِلُولٍ » . من هنا يبدأ الأهشى حديث النمر .
- (٢٦) يصف وفاته الذين غدا معهم إلى الحانة بأنهم فتيان في نضرة الشباب وروماتهم وقوة هزيمته وحدة نشاطه ، وهذا ما يدل عليه تشبيههم لهم بالسيف . وأنهم حاربون على الاستمتاع بالحياة حتى النهاية ، ما دامت النهاية محتومة لا مفر منها .
- (٢٧) نازعتهم : أى تبادلت معهم . والقهوة : النمر . والمزّة : التى فيها حرازة . والراووق : المصفاة . والفضل : الدائم الندى .
- (٢٨) الراهنة : التى أعدت لهم ، فهى دائما رهن إشارتهم وتحت طلبهم . وقوله « إِلَّا بَهَاتٍ » يريد به قولهم للساقى « هات » . يقول إنهم لا يكادون يفيقون من سكرهم حتى يطالبوا الساقى بالخمر . وإن علوا وإن نهلوا أى وإن شربوا مرة بعد مرة ، وأفراطوا في شربهم ، من العال وهو الشرب مرة بعد مرة ، والهل وهو أول الشرب .
- (٢٩) النطف : أفراط المؤثو الصافي ، مفرداها نطفة بفتح النون والطاء ، وفيها لغة أخرى بضم النون وفتح الطاء في الجمع والمفرد . ومقلص : مشمر . والسربال : القديص . وتقليص السربال كناية عن النشاط والحركة . ومعتمل : أى دائب الحركة والنشاط . يصف الساقى الذى يدور عليهم بزجاجات النمر .
- (٣٠) المستجيب هنا هو العود كأن الصنج دعاء فاستجاب له . والصنج : « الصاجات » . والقينة : الجارية ، ويريد بها هنا المغنية . والفضل : التى تلبس ثوبا واحدا لا يكاد يستر جسدها . وترجع : أى تردد العزف عليه .

٣١ والسَّاحِبَاتِ ذِيُولَ الرِّبْطِ آوَنَةً والرافلاتِ على أعجازها العِجَلُ
٣٢ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَوْمٌ قَدْ لُحُوتُ بِهِ وفي التجارب طولُ اللّهُو والغَزَلُ

* * *

٣٣ وبلدةٍ مثلَ ظَهَرِ الثُّرَيْسِ مَوْحِشَةٍ للجنِّ بالليلِ في حَافَاتِهَا زَجَلُ
٣٤ لَا يَتَنَمَّى لَهَا بِالْقَيْظِ يَرْكَبُهَا إلا الذين لهم فيا أتوا مَهَلُ
٣٥ جاوزَتْهَا بِطَلِيحِ جَسْرَةٍ سُرُجٍ في مِرْفَقِهَا إِذَا اسْتَعْرَضَتْهَا قَتَلُ
٣٦ بل هل ترى عَارِضًا قَدِيتُ أَرْمُقُهُ كأنما البرقُ في حَافَاتِهِ شَمَلُ

(٣١) الرِيط : الثياب الرقيقة : جمع رِيطَة . وفي رواية أخرى « ذِيُولُ الْخَز » وهو الحرير .
والرافلات : اللاتي يجرون ثيابهن الطويلة في زهو وعيلاء ودلال . والعجل : جمع عَجَلَة وهي قرية الماء ،
يشبه أردافهن الثقيلة المثلثة بها .

(٣٢) يقول : هذه هي حياتي ، وهذه هي خلاصة تجربتي فيها : اللّهُو والغَزَل . وهذا البيت
يحتم هذا القسم الإلهي من معلقته ، أو هذا الجانب من جوانب تجربته في الحياة ، ليلبدأ الحديث عن
الجانب الجاد منها ، وهو الرحلة في الصحراء ، تعبيراً عن جانب آخر من جوانب الفنون الجاهلية .

(٣٣) مثل ظهر الثريس في عورتها وعشوتها وعدم استوائها . والوجل : الغناء .
(٣٤) ينمى : يصعد ويرتفع . والقَيْظ : شدة الحر . والمهل : الاستعداد للامر قبل الإقدام
عليه . يقول إن هذه البلدة الوعرة الموحشة لا يستطيع أحد أن يرتفع إليها إلا الذين لهم خبرة وهواية
ومعرفة بوسائل الاستعداد لها .

(٣٥) الطليح : الناقة التي أعيهاها السفر وأرقتها الرحلة . والجسرة : الجريئة الماسية في طريقها
دون تردد أو توقف . والسرّج : اللينة السيرة التي تنساب فوق الرمال في غير مشقة أو تعثر . والفنل :
تياعد مرفق الناقة عن جنتيها ، وهي صفة محمودة في الإبل لأنها تمنعها عن الحركة اللينة المربعة . يصيب
فاقته التي ركبها في اختراجه هذه الصحراء الوعرة الرهيبة .

(٣٦) ينتقل هنا إلى وصف البرق الذي لاح له في ليل الصحراء في أثناء رحلته . العارض : السحابة
تعرض الأفق . وأرمقه : أنظر إليه وأناأله . وفي رواية أخرى « أَرْقِبُهُ » . يشبه البرق وهو يلعب
في حافات السحاب بشعل النار التي تنوهج في الظلام .

- ٣٧ له رِدَافٌ وَجَوْزٌ مُفَامٌ عَمِلَ مِنْطَقٌ بِسَجَالِ الْمَاءِ مُتَّصِلٌ
٣٨ لم يُنْهِنِي اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أَرْقُبُهُ وَلَا اللَّذَاذَةُ مِنْ كَأْسٍ وَلَا شُغْلٌ
٣٩ فقلتُ لِلشَّرْبِ فِي دُرْنَا وَقَدْ بَلَوا: شَبِعُوا، وَكَيْفَ يَشْبِى الشَّارِبُ الثَّمْلُ ؟
٤٠ قالوا: نُمَارِقُ بَطْنَ الْخَالِ جَادَهُمَا فَالْعَسْجَدِيَّةُ فَالْأَبْلَاءُ فَالرَّجُلُ
٤١ فَالسَّفْعُ يُجْرَى فَيُخْزِرُ فُرْقَتَهُ حَتَّى تَدَافِعَ مِنْهُ الرُّبُوفُ فَالْجَبَلُ
٤٢ حَتَّى تَحْمَلَ مِنْهُ الْمَاءَ تَكْلِفَةً رَوْضُ الْقَطَا فَكَثِيبُ الْقَيْبَةِ السَّهْلُ
٤٣ يَسْقِي دِيَارًا لَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ غَرَضًا زُورًا تَجَانَفَ عَنْهَا الْقُودُ وَالرَّسَلُ

* * *

- (٢٧) الرِّدَافُ : سحاب يتقدم من خلف سحاب كأنه رديف له . والجَوْزُ : الوسط . والمُفَامُ : العظيم الواسع . والعمل : الدائم البريق . والسَجَالُ : جمع سَجَل وهو الدُّنْلُو الكبيرة . ومنطَقٌ بِسَجَالِهِ الماء أى أن الماء يحيط به من كل جانب .
- (٢٨) البيت يعكس فتنته بالطبيعة التي لم يشغله عنها لونه ولا لذته .
- (٣٩) الشَّرْبُ : ندائى الشراب . ودُرْنَا : اسم مكان بأرض اليمامة . وشَبِعُوا : أى انظروا إلى البرق وقدرُوا أين يسقط مطره . والثَّمْلُ : السكران .
- (٤٠) جَادَهُمَا : أى سَقَاهُمَا . والأَسْمَاءُ المذكورة في البيت كلها أسماء مواضع .
- (٤١) تَدَافِعَ مِنْهُ : فاض منه ، والضَمِيرُ في « مِنْهُ » يعود على السيل . والأَسْمَاءُ المذكورة في البيت كلها أسماء مواضع أيضا . وهو في البيتين يحدد أسماء المواضع في المنطقة الواسعة الممتدة بينها التي أصابها السيل .
- (٤٢) الأَسْمَاءُ المذكورة في الشطر الثانى أسماء مواضع أيضا . وتحمل تكلفة : أى تحمل ما لا يطابق لإلا على مشقة ، وهى منصوبة على الحال . يقول إن هذه المواضع تحملت من السيل مياه غزيرة لا تتكاد تطيقها . وفي رواية أخرى « حَتَّى تَضْمَنَ عَنْهُ الْمَاءُ » .
- (٤٣) الغَرَضُ : الهدف ، يقول إن هذه الديار أصبحت هدفا للأُمطار التي أصابتها . وزُورًا : أى انزوعها الناس لعزلة أهلها ومنبتهم . وتَجَانَفَ : تجنب وتباعد . والقُودُ : الخيل . والرَّسَلُ : الإبل . يريد أنهم أعزاء لا يجسر أحد على غزوهم ، ولذلك تجنببت أرضهم خوفاً من الغزاة وإيلافهم . وهذا البيت ينتهى القسم الثانى من المعلقة .

- ٤٤ أبلغ يزيد بنى شيبان مألكتة : أبا ثبيت أما تنفسك تأنكل ؟
 ٤٥ ألسمت متنيا عن تحت أثلتنا ؟ ولست ضائرها ما أطت الإيل
 ٤٦ كناطح صخرة يوما ليقلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
 ٤٧ تُغرى بنا رهط مسعود وإخوته عند اللقاء فتردى ثم تستل
 ٤٨ لا تقعدن وقد أكلتها حطبا تعود من شرها يوما وتبتل
 ٤٩ إني لعمري الذى حطت مناسمها تخدى ويسبق إليها الباقى الغيل

(٤٤) من هنا يبدأ القسم الثالث من المعلقة ، وهو الهجاء الذى يصبه على يزيد بنى شيبان ، والوعيد الذى يوجهه إليه . المألكتة : الرسالة . وأبو ثبيت كنية يزيد . وتأنكل : تأكل نفسك من الفيظ ، من اشكل الرجل إذا غضب وهاج وكأنه يأكل بعضه بعضا .

(٤٥) الأثلة : شجرة الأثل ، ضربها مثلا لعزة قومه وهراقة أهلهم وثبات مجدهم . وأطت الإيل : أنت تعبا أرحمتنا ، يريد مدى الدهر . ويريد بنحت الأثلة : التشهير بهم ، ومحاولة الإساءة إليهم ، والتهوين من شأنهم .

(٤٦) الوعل : تيس الجبل . وفي رواية أخرى « ليونها » .

(٤٧) تردى : تهلك ، من الردى وهو الهلاك . وتمزل : أى تعزل القتال . يقول له إنك توقع بيننا وبين القبائل ، وتشير بيران الفتنة المدمرة المهلكة ، حتى إذا ما اغتمعت اعزلت القتال وتركت القبائل تتقاتل .

(٤٨) أكلتها : أجبتها . وتبتل أى تدعوا الله بأن ينجيك من شرها . والبيت تأكيد لمعنى البيت السابق : لإشغال الفتنة ثم التهرب منها .

(٤٩) حطت : أسرع ، ويرى الأصمعي أن هذه الرواية لا معنى لها هنا ، وأن صوابها « شطت » (بالضاد) أى هيجت التراب بمناسمها ، وهى أطراف أخفافها . وتخدى : تسير سيرا شديدا فيه اضطراب لشدة . والباقر : البقر ، أو وجمع البقر . الغيل : جمع غيل (يقبح فسكون) وهو الكثير . وفي رواية أخرى « حطت مناسمها له وسبق إليه الباقر العئل » ، والعئل (بضتين) : الجماعة الكبيرة . يقم بالإيل التى تحمل الحجيج إلى الكعبة وهم يسوقون أماهم الهدى قطعانا كبيرة من البقر .

٥٠. لئن قَتَلْتُمْ عَمِيداً لَمْ يَكُنْ صَدَدًا لَنَقْتُلَنَّ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمْتَشِلُ
٥١. لَا تَنْتَهَوْنَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطِيطٍ كَالطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَيْتُ وَالْقَتْلُ
٥٢. حَتَّى يَظْلَ عَمِيدُ الْقَوْمِ مُرْتَفِقًا يَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنْهُ نَسْوَةٌ عَجُلُ
٥٣. أَصَابَهُ هُنْدَوَانِي فَأَقْصَدَهُ أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ مَعْتَدِلُ
٥٤. كَلَّا ، زَعَمْتُمْ بَأَنَّا لَا نَقَاتِلُكُمْ إِنَّا لَا مِثَالَكُمْ يَا قَوْمَنَا قَتْلُ
٥٥. نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْحِنُوِ ضَاحِيَةٌ جَنَبِيْ فُطَيْمَةَ لَا مِيلَ وَلَا عَزْلُ

(٥٠) العميد : السيد الذي يعتمد عليه . ولم يكن صددا : أى لم يكن مماثلا أو نظيرا لمن قتلناه منكم . ونمتل : نقتل الأمثل فالأمثل . يتوعدهم بالنار والانتقام .

(٥١) كالطعن : أى مثل الطعن فاعل للفعل « ينهى » . يهلك فيه : أى يذهب فيه لاتساعه . والقتل : جمع قَتِيل . يتوعدهم بطعنات تصيبهم بجراح غائرة يذهب فيها الزيت والفئائل التي تتخذ للملاجه .

(٥٢) مرتفقا : متكئا على مرفقيه لسقوطه على أرض المعركة . والراح : جمع راحة وهى بطن الكف . والعجل : جمع عجول وهى الشكى الخريضة . يصف نهاية المعركة وقد سقط سيد القبيلة على الأرض ، ولحق رجالها مصارعهم ، ولم يبق إلا نساؤها الشكالى يحاولن الدفاع عن سيدنها وحمايته . ويحتمل أن يكون المعنى أن سيد القوم قد قتل وسقط صريعا ، ونساء القبيلة يدفنن عنه أن تطأه أقدام المقاتلين .

(٥٣) الهندوانى : السيف . وأقصده : أصابه . والذابل من الرماح : الصلب المقوم . والخط : مدينة على ساحل الخليج بالبحرين كانت مشهورة بصناعة الرماح .

(٥٤) كَلَّا : أداة ردع وزجر . وقتل : جمع قَتول ، صيغة مبالغة . يفتخر بشجاعة قومه ، ويزجر خصومهم عن أن يظنوا فيهم ضعفا أو تخاذلا .

(٥٥) يوم الحنو : يوم من أيام قبيلته التي انتصرت فيها . وضاحية : علانية ، يقال قتل هذا الشيء ضاحية . فطيمة : اسم مكان . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لا يثبت فى القتال . والعزل : جمع أعزل ، وهو الذى لا يحمل سلاحا فيضطر إلى اعتزال الحرب .

الجزء الأول

٥٣١

٥٦ قالوا: الطَّرادُ، فقلنا: تلكَ عادتناُ أو تنزلون فإننا معشرٌ نُزِلُ

٥٧ قد تخضبُ العيرُ في مكنونِ فائلهِ وقد يشيطُ على أرواحنا البطلُ

* * *

(٥٦) الطراد: المطاردة بالرمح . وتنزلون : أى تنزلون عن ظهور الخيل للجافة بالسيوف .
وفي رواية أخرى للشر الأول « إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا » .

(٥٧) العير: الحمار الوحشى . والفائل : عرق يجرى من الجوف إلى الفخذ ، ويشيط :
يهلك ، أو يرقع صريحا على أسنة الرماح . وافتخاره فى الشر الأول بإصابة العير فى مكنون فائله ومن
تخربتهم ومهارتهم فى إصابة المقاتل ، وهى المراضع القائمة فى جسم الإنسان .

* * *

يوسف خليف

(٢)

لامية عكاظ

* * *

تعد هذه اللامية الطويلة التي تبلغ خمسة وسبعين بيتا من روائع شعر الأعشى ،
ويضعها بعض الرواة بين المعلقات العشر بدلا من لاميتها الأخرى المشهورة « ودَّعْ
هَريرة » ، ويقولون إنها القصيدة التي أنشدتها بين يدي النابغة في سوق عكاظ ،
فأعجبته وحكم بتفضيلها على قصيدة حسان بن ثابت ، مما أثار اعتراضه وغضبه .
وموضوع القصيدة الأساسى المدح ، مدح الأسود بن المنذر أحد أمراء الحيرة .
وهي تبدأ بمقدمة الأطلال التقليدية التي يقف بها الشاعر وقد تقدمت به السن ،
فينكر وقوفه بها وسؤاله الذي لا ترده عليه . ثم يمضى إلى حديث صاحبته ورحلتها ،
وبعد ما بينه وبينها من صحراء مترامية الأطراف بعيدة الآفاق ، ويستعيد ذكراها
البعيدة ، ويتغنى بجبالها ، ثم يعود فيتذكر شبيهه الذي باعد بينه وبين لهو الشباب ،
فينصرف عن ذكرياته إلى الصحراء يصف رحلته فيها وراحلته التي حملته ، ويشبهها
ببحار وحشى ، ثم ينتقل — على جسمه أقامه من حديث يوجهه إلى ناقلته — إلى
مدحه فيطيل في مدحه إطالة ملحوظة تمتد تسعة وثلاثين بيتا حتى نهاية القصيدة ،
يمدحه فينوّه بأصله العريق ، وسجاياه الحميدة ، وعطاياه الكثيرة ، ويصف جيشه
وقوته وعدته وعتاده ، ويسجل بعض انتصاراته ، ثم يختم مدحه بدعاء له ولأسرته
بدوام النصر ودوام الخلود .

والقصيدة — كدأخ الأعشى الطويلة — تمتاز بالفخامة والضخامة والجزالة والإطالة الملحوظة في وصف الناقة وفي حديث المدح ، وهما — مع حديث النحر — يمثلان المحاور الثلاثة الأساسية التي يدور حولها أكثر شعر الأعشى : النحر والناقة والمدح. وشعره في هذه الموضوعات الثلاثة يعكس صورة دقيقة للدور الكبير الذي قام به الأعشى في حركة الشعر في العصر الجاهلي ، والذي ارتقى به — عن جدارة — إلى تلك القمة الشاخنة التي احتلها بين شعراء الجاهلية الأربعة الكبار .

والقصيدة — ككل شعر الأعشى — غنية بالنغم الموسيقي الذي يحرص فيه على الملاءمة الصوتية بين الألفاظ والمعاني ، وتحقيق أكبر قدر من الانسجام بين الشكل والمضمون . ويظهر فيها ذلك الحس الحضاري الموهف في اختيار عناصر الصورة — وبخاصة في مجال المدح ومجال النحر — وفي ظهور بعض الألفاظ الأجنبية الفارسية في بنائها اللغوي .

* * *

- ١ ما بكاء الكبير بالأطلال ؟ وسؤال ؟ فهل تردُّ سؤال ؟
- ٢ دمنة قفرة تعاورها الصبي بف بريحين من صبا وشمال
- ٣ لات هنا ذكرى جبيرة أو من جاء منها بطائف الأهوال

(٢) تعاورها الصبي : أي تبادل عليها مرة بريح الصبا الشرقية ، ومرة بريح الشمال . والبيت يذكرنا ببيت امرئ القيس المشهور :

فتوضح فالمفراة لم يعف رسمها لما نسجت من جنوب وشمال

(٣) لات بمعنى ليس ، وأصلها « لا » والهاء فيها تاء التأنيث ، وهنا (بالتشديد) : لغة في هنا ، ومعنى هذا التعبير ليس الآن وقت ذكرها . وجبيرة : أمم صاحبته . والطائف : الطيف ، وأضافه إلى الأهوال لأنه اخترق أهوال الصحراء في زيارته له . وهو يذكرنا بقول تأبط شرا في مطلع قافيته المفضلية : « ومر طيف على الأهوال طراق » .

- ٤ حَلَّ أَهْلِي بَطْنَ الْغَمَيْسِ قَبَادَوْ لِي ، وَحَلَّتْ عَلْوِيَّةٌ بِالسَّخَالِ
٥ تَرْتَبِي السَّفْحَ فَالْكُثِيبَ فَذَا قَا رِي فَرَوْضَ الْقَطَا فذَاتَ الرَّثَالِ
٦ رُبَّ تَرْقٍ مِنْ دُونَهَا يُخْرِسُ السَّفَا رَ ، وَيَمِيلُ يُفْضِي إِلَى أَمْبَالِ
٧ وَسِقَاءٍ يُوَكِّي عَلَى تَأَقِّي الْمَلِّ ، وَسَسِيرٍ ، وَمُسْتَقَى أَوْشَالِ
٨ وَادَّلَاجٍ بَعْدَ الْمَنَامِ ، وَتَهْجِي رِ ، وَقُفٍّ وَسَبَسِيبٍ وَرَمَالِ
٩ وَقَلِيبٍ أَجْنٍ كَأَنَّ مِنَ الرَّيِّ شِشَ بَارِجَائِهِ لُقُوطَ نِصَالِ

(٤) علوية : أى فى مآلة نجد ، حال من «حلت» . والأسماء المذكورة فى البيت أسماء مواضع ، وكذلك الأسماء المذكورة فى البيت التالى . يذكر فى البيتين منازل أهله ومنازل أهلها ، ليوكد تباعد ديارهما ، وكأنه يقول ما جدوى البكاء وما جدوى الذكريات بعد أن باعدت الحياة بيننا ؟

(٦) الخرق : الصحراء المترامية الأطراف كأن الرياح تخرقها . والضمير فى «دونها» يعود على صاحبتها . والسفر : المسافرون . وضمير الفاعل فى «يخرس» يعود على الخرق ، وقوله «يخرس السفر» كناية عن اتساع هذه الصحراء ، وامتداد طرقها ، وما يعانيه المسافرون من جهد فى اختراقها ، حتى تقطع حبال الأحاديث بينهم . والميل : المسافة البعيدة . يوكد مرة أخرى بعد ما بينه وبين صاحبتها ، وتباعد ما بين دياره وديارها .

(٧) السقاء : قرية الماء . ويوكي : يربط ، من الوكاء وهو ما يشبه به عنق السقاء . والتأق : الامتلاء . وتأقى الماء : أى نهاية امتلاء السقاء بالماء . والأوشال : المياه القليلة فوق سطح الأرض ، مفردة وشل (بفتحين) . يستمر الشاعر فى تأكيد بعد المسافة بينه وبين صاحبتها وتباعد ما بين ديارهما . المسافة بعيدة تحتاج من المسافرين إلى ملء قريهم بالماء حتى نهايتها وربطها حتى لا يتسرب منها الماء ، وتحتاج إلى سير طويل شاق ، واستقاء للماء من الأوشال المنتشرة على امتداد الطريق .

(٨) الإدلاج : السير طول الليل . والتهجير : السير فى الهجرة وهى وقت الظهيرة . والقف : الأرض اللطيفة الموعرة . والسبسب : الأرض المستوية الممتدة مسافات طويلة .

(٩) القلب : الهر . والأجن : الذى تغير مآؤه لونا وطعما . والقوط : ما يلتقط مما تناثر على الأرض ، جمع لقط (بفتحين) . يشبه ريش الطيور المتناثر حول الماء الذى تجتمع حوله لإطعام غلمانها من طيب الصحراء بقطع النصال المتناثرة فوق الأرض . وصورة تناثر ريش الطير حول مآهل المياه البعيدة فى أعماق الصحراء تزداد كثيرا فى الشعر العربى القديم ، وهذه الطير عادة هى القملأ لأنها أصغر الطير على جو الصحراء وأبعدها طيارا وإبهادا فى الصحراء .

- ١٠ فلئن شطبي المزار لقد أغـ . يدو قليب الموم ناعم بالـ
١١ إذ هي الهم والحديث ، وإذ تـ . يصي إلى الأمير ذا الأقوالـ
١٢ ظبية من ظباء وجرّة آدمـ . تـسف الكبات تحت الهدالـ
١٣ حرة طفلة الأنايل ترتب (م) . محاماً تكفه يخلالـ
١٤ وكان السموط عكفها السد . لك عطفي جنداء أم غزالـ
١٥ وكان النمر العتيق من الإسفند . يط ممزوجة بماء زلالـ
١٦ باكرتها الأغراب في سينة النو . مع فتجري خلال شوك السبالـ

(١٠) يستعيد الشاعر هنا ذكريات ماضيه مع صاحبه قبل بعدها عنه .

(١١) الهم : الشاغل الذي يشغله . « والى » أى من أجل . والأمير : يريد به ولي أمرها ، وهو

— فى أغلب الفن — زوجها . وذكر المرأة المتزوجة يتردد كثيرا فى غزل الأعراس .

(١٢) وجرّة : منطقة فى الجزيرة العربية مشهورة بظباها ، يتردد ذكرها كثيرا فى الشعر القديم .

والأدماء : البيضاء . والكبات : ثمر الأراك . والهدال : النصوص المتهللة . يشبه صاحبه بهذه الظبية فى وضع من أجل أوضاعها ، وهى تمد عنقها فى ظلال شجر الأراك لتناول ثمره .

(١٣) الطفلة : الناعمة اللينة . وترتب : معنى يه وتنبه . والسحام : السواد ، يريد شمورها الأسود . والخلال : المشط ، لأنه يتخلل الشعر . وتكفه : تجمعه وتضمه .

(١٤) السموط : العقود ، جمع سمط . وعكفها : ثناها فالتفت حوله . والجنداء : الطويلة

العتق . واختار للصورة الظبية الأم لأنها حين ترفع رأسها لتطعن على صغيرها يبدو جيدها الطويل فى أجل أوضاعه .

(١٥) الإسفند : كلمة فارسية معربة ويراد بها أجود أنواع الخمر المتخذة من أجود العنب .

(١٦) الأغراب : جمع غرب (بفتح فسكون) ، وهى الكأس أو جام الفضة ، ويجوز أن يكون

معناها كثرة الريق . والسبال : ثبات صرارى له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه اللبن ، والعرب يشبهون به الأسنان فى بياضها وصفائها . يصف عذوبة ثمر صاحبه وطيب ريقه ، ويتخيل أن نحرها مستقة ممزوجة بالماء العذب خالطته فهى تجمرى بين أسنانها الجميلة البيضاء الصافية ، ويتخير لذلك وقت الصباح الباكر ، وهى بين البقطة والنوم ، وكأنه يقول إنها فى هذا الوقت الذى تتغير فيه الأقواء تكون أطيب رائحة وألذ طعما .

١٧ فاذهبي ما إليك ، أدركني الحلد م ، عداني عن ذكركم أشغالي

* * *

١٨ وعسير أدماء حاديرة العي بن خنوف عيرانية شملال

١٩ من سرة الهجان صلبها العض (م) ورعى الحمى وطول الحبال

٢٠ لم تعطف على حوار ، ولم يق طع عبيد عروقها من نحل

٢١ قد تعللتها على نكظ المي بط ، وقد خب لامعات الآل

٢٢ فوق ديمومة تنول بالسف سر قفار إلا من الآجال

(١٧) ما إليك : أى ما سبيل إليك . وعداني : صرفى . يقول لها : لقد انتهى عهد الشباب والنصاب ، وأدركنى الشيب والتعقل ، وشغلنى عن ذكرك شواغل الحياة . وإلى هنا تنهى مقدمة القصيدة ، ليبدأ حديث الرحلة والناقة والصيد .

(١٨) العسير : الناقة ترفع ذنبها فى عدوها أو الناقة لم تحمل فى عامها . والأدماء : البيضاء ، ويقول القنويون إن الأدمة فى الإبل والظباء البيضاء ، وفى الإنسان السمرة . وحادرة العين : صلبة العين . والخنوف : النسيطة التى تميل برأسها نحو راحها . والعيرانة : التى تشبه العير وهو الجمار الوحشى . والشملال : السريعة .

(١٩) من سرة الهجان : أى من خيار الإبل الكريمة . والعض (بالضم) : حلف الإبل . والحبال : عدم الحمل . يقول إنها ناقة من أكرم الإبل قوى عودها وشدها علفها الجيسد ، ورعىا فى حى القبيلة كيف تشاء ، وعدم حملها .

(٢٠) الحوار : ولد الناقة أول ولادته . ولم تعطف : أصلها لم تتعطف ، حذف إحدى التاءين تخفيفاً . وعبيد : تصغير عبيد . والنحل : داء يصيب قوائم الإبل . والبيت استمرار فى تصوير قوة هذه الناقة ونشاطها وفنائها .

(٢١) تعللتها : استخرجت أقصى ما عندها من السير . والنكظ : الجهد وشدة الحال فى السفر . والميظ : البعد . وقوله « على نكظ الميظ » : أى على شدة البعد . ونخب : ارتفع أو أسرع ، والكلبة هنا تحتل المعنيين . والآل : السراب .

(٢٢) الديمومة : الصبراء المامية الأطراف ، وتنول : أصلها تنول ، حذف إحدى التاءين تخفيفاً ، بمعنى تفضل وتهلك . والآجال : قطعان البقر الوحشى ، جمع لجل .

- ٢٣ وإذا ما الضلال خيف وكان الـ ورد نخساً يَرْجُونَهُ عن لَيْالٍ
 ٢٤ واستَحْتِ الْمُغْشِيُونَ مِنَ الْقَوِ م ، وكان النطاف ما في العزالي
 ٢٥ مَرَحَتْ حُرَّةٌ كَقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ (٢) تَقْرِى الهَجِيرَ بِالْإِرْقَالِ
 ٢٦ تَقَطَّعَ الْأَمْعَزَ الْمُكْوَكَبَ وَخَدًا يَنْوِجُ مَسْرِعَةَ الْإِفْصَالِ
 ٢٧ غَتَرِيْسٌ تَعْدُو إِذَا مَسَّهَا السُّو ط كَعْدُو الْمُصْطَلِ الْجَوَالِ

(٢٣) الورد: ورود الإبل الماء للشرب، وعكسه الصدر وهو رجوعها عنه بعد الشرب. والخمس: ورود الإبل الماء بعد خمسة أيام من إعطاشها، والعرب يفعلون ذلك أحياناً عندما يشح الماء. يصف الصحراء بأنها مرقامية الآفاق، متشابهة المعالم، يحشى فيها الضلال، وأنها مفرقة قليلة الماء، لا تشرب فيها الإبل إلا كل خمس ليال.

(٢٤) المغيرون: الذين يغيرون رواحلهم ويستبدلون بها غيرها عند إحسانها بالنمب. والنطاف: جمع نطفة وهي بقية الماء. والعزالي: قرب الماء، مفرداً عزلاء. يصف بعد الرحلة ومشقتها وقلة الماء بين أيدي المسافرين.

(٢٥) مرحت حرة: أى أسرع متعلقة لا يقف في طريقها شيء، والضمير فيها يعود على الناقة. ووجه الشبه في تشبيه ناقته بقنطرة الرومي العلو والضخامة، وهو تشبيه سبقه إليه طريقة في معلقته:

كقنطرة الرومي أقسم ربيها لتكنفن حتى تشاد بقمرمد

وتقري: تقطع وتشق. والهجير: الهجرة عندما يشتد الحر في الصحراء في وقت الظهيرة. والإرقال: الإبراع، وهو ضرب من عدو الإبل.

(٢٦) الأمعز: الأرض الفليطة الوعرة. والمكوكب: المتوقد من الحر. والوخد: ضرب من السير السريع الراسع الخطوات. والنواجى: القوائم، جمع ناجية. والإفصال: المبالغة في السرعة والاندفاع في السير والإبعاد فيه.

(٢٧) الغتريس: الصلبة القوية المتينة البنيان. والمصلصل الجوال: يريد به الحمار الوحشى. المصلصل: الذى ين صوته لشدة تهيقه. والجسوال: الدائب الحركة الذى لا يستقر فى مكان. يشبه ناقته بحمار من حمار الوحش.

- ٢٨ لآحه الصيف والصبأ وإشفا قٌ على صَعْدَةٍ كَقَمُوسِ الضَّالِّ
 ٢٩ مُلْبِيعٍ لَاعَةِ الْفَسَادِ إِلَى بَحِّ شِيشَ فَلَاهُ عَنْهَا فَيُبْسُ الْفَالِ
 ٣٠ ذُو أَذَاةٍ عَلَى الْخَلِيطِ ، خَبِيثُ الْ سَفْسِ ، يَرْمِي مَرَّافَهُ بِالنَّسَالِ
 ٣١ غَادَرِ الْحَشِّ فِي الْغُبَارِ ، وَصَدَا هَا حَثِيثًا لِصُورَةِ الْأَذْحَالِ
 ٣٢ ذَاكَ شَبَّهْتُ نَاقِي عَنْ يَمِينِ الْ رَّغْنِ يَمَدَّ الْكَلَالِ وَالْإِعْمَالِ
 ٣٣ وَتَرَاهَا تَشْكُو إِلَى ، وَقَدْ آ لَتْ طَلِيحًا تُحْدِي صُدُورَ النَّعَالِ

(٢٨) لآحه : فière وأضمهره . والصبال : المصاولة ، يريد مصاولة غيره من الجمر الوحشية .
 والصعدة : الأتان . والضال : شجير من أشجار البادية يتخذون منه القسي .

(٢٩) الملعب : الحامل ، من ألمعت إذا رفعت ذنبها ليعلم أنها قد لقحت . واللاعة : الجوزع .
 وفلاه : أبده وعزله : يقول إن هذه الأتان ملقاة القلب إلى صغيرها الذي أبده عنها زوجها ليخلو
 له الجو معها ، أولأنه يفارطها منه ، وكلتا الصورتين تتردد في الشعر القديم .

(٣٠) الخليط : قطع الجمر الملتصق في هذه المنطقة . المرائخ : المكان الذي يتمرغ فيه . والتصال :
 ما تساقط من شمره أثناء تمرغه . ووصف الجمار بأنه « خبيث النفس » لأنه عزل عن أثناء صغيرها
 وزكها تصان أسفها عليه وحزنها ولوعتها . ووصفه بأنه « ذو أذاة على الخليط » لأنه لا يكف عن
 مصاولة غيره من الجمر ، وعرضه لها ، ليطردها بعيدا عن أثناء التي يريد أن يستأثر بها لنفسه .

(٣١) عداها : طاردها وأبعدها . والصورة : حجر يكون علامة في الطريق ، أو ما يلاحظ من
 الأرض وارتفع . والأدحال : جمع دحل (يفتح فسكون) وهو ثقب ضيق أعلاه ، متسع أسفله ، يسمح
 بالمشي فيه ، أو هو حفرة في الأرض تتجمع فيها المياه .

(٣٢) الرغن : التواء البارز في جنب الجبل . والكلال : التعب والإعياء . والإعمال : السير
 السريع . يشبه ناقته في قوتها وصلابتها وتحملها مشاق الرحلة بهذا الجمر الوحشي ، ويقول - في شيء من
 المبالغة - إنها تشبه لاق في حالة نشاطها ، ولكن في حالة تعبها وإرهاقها وإعيائها .

(٣٣) آلت : تحولت . وطيحا : متعبة مرهقة . « وتحذى صدور النعال » أي أنهم البسوها
 أخفافا من الجلد تحمي أقدامها من وعرة الأرض وطول الرحلة . وكان العرب يفعلون ذلك بإباهيم في
 أسفارهم الطويلة .

- ٣٤ نَقَبَ الخُفَّ للسرَى ، فَتَرَى الاز سَاعَ مِنْ حِلِّ سَاعَةٍ وَارْتِحَالِ
 ٣٥ أَثَرْتُ فِي جَنَاجِنِ كِلَارَايَةِ ال حَيَّتِ عُولِينَ فَوْقَ عُوْجِ رِسَالِ
 ٣٦ لَا تَشْكُنِي إِلَى مِنْ أَلَمِ النَّسَةِ جِ ، وَلَا مِنْ حَفَى وَلَا مِنْ كَلَالِ
 ٣٧ لَا تَشْكُنِي إِلَى ، وَانْتَجَعِي الْأَشَدَّ وَدَ أَهْلَ النَّدَى وَأَهْلَ الْفَعَالِ

* * *

- ٣٨ فَزَعُ تَبِعَ يَهْتَرُ فِي غُصْنِ الْمَجْدِ ، غَزِيرُ النَّدَى ، شَدِيدُ الْحَالِ
 ٣٩ عِنْدَهُ الْحَزْمُ وَالتَّقَى وَأَسَا الصَّدَّ جِ ، وَحَمَلُ الْمُضْلِجِ الْأَثْقَالِ
 ٤٠ وَصَلَاتُ الْأَرْحَامِ ، قَدْ عَلِمَ النَّاسُ ، وَفَكَ الْأَسْرَى مِنَ الْأَغْلَالِ

(٣٤) نقب الخف : تشققه وتآكله لكثرة السير ووجوه الأرض ، وهو مفعول به للفعل « تشكو »
 في البيت السابق . والأنساع : جمع نسع (بكسر فسكون) وهو حزام تشد به الأحمال فوق ظهور الإبل .
 والحل : النزول ، عكس الارتحال .

(٣٥) الجناجين : عظام الصدر . والإران : التابوت يوضع فيه الميت ، والنشيبه في الصلابة
 والقوة ، وهو تشبيه ورد في ملحقة طسرفة « أ.ون كألواح الإران » . وهولين : ارتفعين . والعوج :
 صفة للقوائم . والرسال : السهلة السير . والضمير في « أثرت » يعود على الأنساع في البيت السابق ،
 يقول إن هذه الإنساع لكثرة ما شددت وحلت مع النزول والارتحال أثرت في عظام صدور الناقة القوية .
 (٣٦) لا تشكى : أى لا تشكى ، خففت إحدى التائين ، والخطاب للناقة تمهيدا لعبور الشاعر من
 حديث الرحلة إلى حديث المدح الذى سيبدأ مع البيت التالى .

(٣٧) الأسود بن المنذر الغنمى من سادة النساسنة الذين كان الأهلى يتردد عليهم لمدهم .
 والندى : الكرم . والفعال (بالفتح) : مسأثر الطيبة .

(٣٨) النبع : شجر تتخذ منه القمى ، يضربون به المثل في الصلابة والاستواء . والحوال : القوة .
 (٣٩) التقى هنا يفهمه الجاهل يراد به الحذر والانتقاء . والأسا : الهدأ . والصدع : الشق .
 يريد أنه يعمل على إصلاح ما بين الناس من تصدع . وفى الديوان « الصرع » وهو تحريف .
 والمضلع : الذى يرهق الضلوع ، ويريد بمضلع الأثقال الأعباء الثقيلة التى يقصدها الناس لتخفيفها عنهم .

- ٤١ وهوان النفس العزيزة للذكور إذا ما التقت صدور العوالى
 ٤٢ وعطاء إذا سألت إذا العذرة كانت عطية البغال
 ٤٣ ووفاء إذا أبرت ، فما غر (م) ت حبال وصلتها بحبال
 ٤٤ أريحي صلت يظل له القو م ركوذا قيامهم للهلل
 ٤٥ إن يعاقب يكن غراما ، وإن يغيط جزيلا فإنه لا يبالى
 ٤٦ يهب الجلالة الجراح كاليس نتاب تحنو لدردي أطفال
 ٤٧ والبغايا يركضن أكسية الإض سريح والشرعي ذ الأذيال

- (٤١) العوالى : الرماح ، والنقاء صدورها كناية عن الحرب . ومعنى البيت أن هذا المدح لا يبالى بما يصيبه في غمرات الحرب من أجل حرصه على الذكر الطيب والسمة الحسنة .
 (٤٢) العذرة : الاعتذار . يقول إنه يعطى إذا سئل ، في الوقت الذى يكون فيه الاعتذار هو عطاء البغلاء .
 (٤٣) غرت : ضعف . يقول إنه وفى لمن يستجيبه ، لا يتخلى عنه ، ولا تنقطع حبال العهد التى وصلها بحباله .
 (٤٤) الأريحي : الكريم الذى يرتاح للكرم . والصلت : الماضى إلى هدفه فى غير تردد . والركود : الذين لا يتحركون . يمدحه بالكرم الذى يصدر عن نفس راضية ، والعزيمة الماضية التى لا تتردد ، ويصف وقوف الناس له فى صمت وخشوع كقيامهم للهلل يرقبون ظهوره .
 (٤٥) الفرام هنا بمعنى الهلاك والعذاب والشر الدائم . وفى القرآن الكريم فى صفة جهنم « إن هذا ما كان غراما » (الفرقان ٦٥) .
 (٤٦) الجسله : الإبل الكبيرة . والجراح : الضغام . والبستان : النخل ، فارسي معرب . والدردي : الصغار . يمدحه بأنه يعطى النوق الضغام ومعها فصلاتها الصغار .
 (٤٧) البغايا هنا بمعنى الجواري والإماء . ويركضن هنا بمعنى يجرون وراءهن . والإضريح : الحرير الأصفر . والشرعي : الحرير الأحمر . يمدحه بأنه يعطى أيضا الجوارى الجميلات المختلات فى ثياب الحرير السابغة الملونة .

- ٤٨ وجياداً كأنها قُضِب الشو حط تعدو بشكّة الأبطال
٤٩ والمكّا كيك والصّحاف من الفضة (٢) -ية والضّامزات تحت الرّجال
٥٠ ربّ حى أشقامهم آخر الدهر ، وحى سقامهم يسجال
٥١ فأرى من عصاك أصبح مخذو لا ، وكعب الذى يطعمك على
٥٢ أنت خير من ألف ألف من القو م إذا ما كبت وجوه الرّجال
٥٣ جُنْدُكَ التّالّد العتيق من ال سادات أهل القباب والآكال
٥٤ غير ميل ولا عواير في الهيد جبا ولا عزّل ولا أكفّال

- (٤٨) الشوحط : شجر صراوى تتخذ منه القسي كشجر النبع . والشكة : السلاح . يدهه بأنه يعطى فوق هذا كله الخيل القوية الصلبة التى هيئت للقتال .
(٤٩) المكّا كيك : جمع مكوك وهو طاس يشربون به . والصّحاف : الأطباق جمع صفة . والضّامزات : النوق الوديمة التى لا ترغو ولا تجتر .
(٥٠) السجال : جمع سجيل (يقش فسكون) وهو الدلو المقلبة . يريد أنه يشق قوما ويسعد آخرين . وقوله « آخر الدهر » يعنى حتى آخر الدهر .
(٥١) « وكعب الذى يطعمك مال » : كناية عن الرقة . يريد أنه يخفض من عصاه ، ويرفع من أطعاه .
(٥٢) كبت الوجوه : اغبرت وتغيرت من الخوف والفرع .
(٥٣) التالّد : القديم . والعتيق : الأصيل ، وأهل القباب كناية عن الشرف والعبادة . والآكال : قطائع كان الملوك فى الجاهلية يعطونها للأشراف .
(٥٤) الميل : جمع أميل وهو الذى لا يثبت هل ظهر جواده لقلة خبرته بركوب الخيل . والعواير : جمع عوار (بالشد يد) وهو الجبان الذى لا يستطيع أن يحى موقعه . والعزل : جمع أعزل وهو الذى لا يحمل سلاحا . والأكفّال : جمع كفّل (بكسر فسكون) وهو الذى يكون فى آخر صفوف المقاتلين بلهته .

- ٥٥ ودروع من نسج داوود في الحر ب وسوق يحلن فوق الجمال
٥٦ لم يسرن للصدقي ، ولكن لقتال العدو يوم القتال
٥٧ كل طام يقود خيلاً إلى خيل دافاً غداة غب الصقال
٥٨ هو دأن الرباب إذ كرهوا ال (م) مدن دراً كما بغزوة وصيال
٥٩ ثم أسقاهم على نفد العبد يش فاروى ذنوب رفد محال
٦٠ نخمة يلجأ المضاف إليها ورعاً موصولة برعال
٦١ تخرج الشيخ من يديه وتلوي بلون المعزاة المعزال

(٥٥) داود النبي الذي عليه الله صناعة الدروع من الحديد ، كما ورد في القرآن الكريم « وعلناه مصفعة لبوس لكم لتهصنكم من بأسكم » (الأنبياء ٨٠) ، يريد أنها دروع جيدة الصنع من خير الدروع ، والوسوق : الأحمال ، جمع وسق (يفتح فسكون) وهو الحمل .

(٥٧) دافاً : متدفقة بعضها في إثر بعض . والصقال : التأديب بالعصا ، وغب الصقال : أي ما بعده .

(٥٨) الرباب : مجموعة من القبائل كانت تنزل في شرق الجزيرة . ودانها : أذلها وأجبرها على الطاعة . والدين : الطاعة . ودراكا : أي متتابعة متلاحقة .

(٥٩) الذنوب : الدلو المملوء ماء . والرفد : العطاء . والمحال : المصبوب ، من أحال عليه الماء إذا أفرقه عليه وصبه . ضرب ذلك مثلاً للبرت الذي أنزله مدوحه بأعدائه .

(٦٠) نخمة : صفة لكثيفة ، أي كثيفة ضخمة كبيرة . والمضاف : الذي أحيط به في الحرب فلم يعرف سبيلاً للنجاة أو ملجأً يلجأ إليه . والرعال : جماعات الخيل ، جمع رعلة (يفتح فسكون) . نصف جيش المدوح وكتائبه وفرسانه ، وأنه يحمي من يستجير به ويلجأ إليه .

(٦١) تلوي : تذهب . والبلون : الناقة ذات اللبن . والمعزاة : الراعي الذي يبعد في المرعى بإبله . والمعزال : الذي يتأى عن الناس ويعزله ولا يخاطبهم . يقول إن كتائب المدوح تذهل الشيخ عن يديه ، وتشرذم الإبل التي أبعدها راعيها في أعماق الصحراء ، وأعزل الناس في آفاقها البعيدة النائية .

- ٦٢ رَبُّ رِفْدَ هَرَقَتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعَشَرِ أَقْتَالِ
٦٣ وَشِيُوخَ حَرْبَى بِسَطْنَى أَرِيكَ وَنَسَاءِ كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِي
٦٤ وَشَرِيكَينَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَا لِي ، وَكَانَا مُحَاَلِفِي إِبْرَاهِيمَ
٦٥ قَسَمًا الطَّارِفَ التَّلِيدَ مِنَ الْغَدِّ سَمَ ، فَأَبَا كَلَامَهَا ذُو مَالِ
٦٦ لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكُمْ ، ثُمَّ لَا زِلْ سَتَ لَهْمُ خَالِدًا خُلُودَ الْجِبَالِ

* * *

- (٦٢) الرِّفْدُ : القُدْح الضَّعِيفُ - وَهَرَاقَهُ : أَرَاقَهُ وَصَبَهُ . وَهَرَاقَةُ الرِّفْدِ كِتَابَةٌ عَنِ الْمَوْتِ الَّتِي
صَبَهُ مَدْرُوحَةً عَلَى أَعْدَائِهِ . وَالْأَقْتَالُ : جَمْعُ قَتْلٍ (بِكْسَرٍ فَسَكُونٌ) وَهُوَ الْمَدْرُ الْمُطَالِبُ بِأَرْوِهِ .
(٦٣) حَرْبَى : جَمْعُ حَرْبٍ وَهُوَ مَنْ حَرَّبَ بِأَلِهِ أَيْ حَلَبَهُ وَجَرَمَ مِنْهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ . وَأَرِيكَ : مَوْضِعٌ
وَالسَّعَالِي : جَمْعُ سَعْلَةٍ وَهِيَ أَنْثَى الْفُولِ .
(٦٤) يَرِيدُ بِالشَّرِيكََيْنِ جُنْدَيْنِ مِنْ جُنُودِهِ اشْتَرَاكَ فِي الْغَنِيمَةِ الضَّخْمَةِ الَّتِي غَنَاهَا ، فَاسْتَفْتَاهَا بِمَدِّ
حَقِيرٍ .
(٦٥) الطَّارِفُ : الْجَدِيدُ الْمُتَعَدِّثُ . وَالْطَّلِيدُ : الْقَدِيمُ الْمُوَرَّثُ . يَرِيدُ أَنْ هَذِهِ الْغَنَائِمُ كَانَتْ
قَدِيمَةً مُوَرَّثَةً عِنْدَ أَصْحَابِهَا ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ جَدِيدَةً مُسْتَعْدَةً عِنْدَ مَنْ غَنَاهَا .
(٦٦) لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكُمْ : دَعَاءٌ لِقَوْمِ الْمَدْرُوحِ بِدَوَامِ النَّصْرِ . وَالضَّمِيرُ فِي « لَهْمُ » يَمُرُّ عَلَيْهِمْ ،
يَدْعُو لِمَدْرُوحِهِ بِأَنْ يَبْقَى لِقَوْمِهِ خَالِدًا فِيهِمْ خُلُودَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَةِ الثَّابِتَةِ .

* * *

يوسف خليف

(٣)

صُورَةٌ مِنْ غَزَلِيَّاتِهِ

* * *

تقع هذه القصيدة في سبعة وأربعين بيتاً ، وهي تنقسم إلى قسمين : القسم الأول وهو أطولهما ، إذ يمتد أربعة وثلاثين بيتاً ، يحكى الأعشى فيه قصة مغامرة من مغامراته الماسجنة مع فتاة صغيرة يصفها بأنها « غريبة » ، بعث إليها رسولا بارعا ظل يحتال عليها حتى استجابت لرغبته ، فزارها وقضى معها ليلة ممتعة كان ختامها الخمر والغناء مما يرجح أن تكون هذه الفتاة قينةً من قيان الحانات .

وفي القسم الثاني الذى لا يتجاوز ثلاثة عشر بيتاً يتحدث عن رحلة له في الصحراء على ناقه شبيطة طوّت شعابها مسرعة عائدة به إلى قومه ، فيرسم صورة لحياتهم ، ويتحدث عن عييدهم وقبايهم وأصنامهم ، ثم تكون النهاية — كما كانت في القسم الأول — عودةً خاطفة إلى حديث الخمر .

والقصيدة — ككل شعر الأعشى — مَوَاجَة بأنغامها الموسيقية التى كان يجيد اختيارها وتوزيعها بحيث تتلاءم مع موضوعات قصائده ، والتى كان يوفر لها قيا صوتية رنانة سواء من حيث ألفاظها أو من حيث أوزانها وقوافيها . وهى قيم كانت تتيحها له أذنه الحساسة المرفهة بالحرش الكلمات ، وموسيقا الأوزان العروضية . وقد اختار الأعشى لهذه القصيدة التى تحكى قصة عابثة مع مُراهقة صغيرة من فتيات الحانات ذلك الوزن الراقص المرح ، مجزوء الكامل ، كما اختار

لهذا ذلك الروى الخفيف المنطلق المنحدر بالهاء الممدودة وحرف التأسيس الممدود قبلها، قترأت ألف التأسيس وألف الإطلاق كأنهما دقات « ضابط الإيقاع » التى تحدد تقاسيم النغم ، وتضبط توزيعات اللحن .

* * *

- | | | |
|---|-----------------------------------|--------------------------------|
| ١ | أَوْصَلْتَ صَرْمَ الْحَيْلِ مِنْ | سَلَمَى لَطُولِ جَنَابِهَا |
| ٢ | وَرَجَعْتَ بَعْدَ الشَّيْبِ تَبَّ | بَغَى وَدَّهَا بِطَلَابِهَا |
| ٣ | أَقْصِرْ ، فَلَاكَ طَالِمَا | أَوْضَعْتَ فِي إِعْجَابِهَا |
| ٤ | وَلَقَدْ غَبِثْتُ الْكَاعِبَا | تَ أَحْظُ مِنْ تَخَيُّبِهَا |
| ٥ | وَآخِرُونَ غَفَلَةَ قَوْمِهَا | يَمْشُونَ حَوْلَ قَبَائِبِهَا |
| ٦ | حَدَرًا عَلَيْهَا أَنْ تُرَى | أَوْ أَنْ يُطَافَ بِبَائِبِهَا |
| ٧ | فَبَعَثْتُ جَنِيًّا لَنَا | يَأْتِي بِرَجْعِ جَوَابِهَا |
| ٨ | فَمَشَى وَلَمْ يَخْشَ الْإِنْيَدِ | مَنْ فَزَارَهَا وَخَلَّابِهَا |
| ٩ | عَضْبُ اللِّسَانِ مُتَقَنَّ | فَقَطَّنَ لِمَا يُعْنَى بِهَا |

- (١) الصرم : القطيعة . وصرم الحيل كناية عن الهجر . والجَنَاب : الاجتناب .
 (٢) طَلَابِهَا : السعى خلفها . يقول إنه بعد الشيب رجع إلى تصابيها ، فعاد يسعى خلفها ويطلبها .
 (٣) أقصر : أى ارجع عن غيك . وأوضعت : أى أسرعت وألححت ورأها .
 (٤) غبثت : خدعت . وأحظ : أى أنال حظى ، والتخاب : الخسار . يقول إنه طالما خدع الجميلات ، ونال حظه منهن بخداعه . وهو يبدأ من هنا قصة مغامرته المأجنة .
 (٥) حدرا عليها : مفعول لأجله متعلق بالفعل « يمشون » فى البيت السابق .
 (٦) الجنى هنا يريد به الرسول الماكر الخبيث الذى أرسله إليها لتصرف له موعدا لزيارتها .
 و يعود إليه بمجواب رسالته . يصفه بأنه شيطان رجيم .
 (٧) العضب : السيف الحاد القاطع ، ويريد بعضب اللسان أنه قوى الحجّة ، قادر على إقناعها وحسم الجدل معها . ومتقن : شديد الحذق والدراية . وفطن لما يعنى بها : أى أنه يعرف بطلته ما يعنىها ويشغلها .

- ١٠ صَنِعَ يَلِينِ حَدِيثُهَا فَدَنَتْ عُرَى أَسْبَابِهَا
- ١١ قَالَتْ : قَضَيْتَ قَضِيَّةً عَدَلًا لَنَا يُرْضَى بِهَا
- ١٢ فَأَرَادَهَا كَيْفَ الدُّخُو لُ ، وَكَيْفَ مَا يُتَّقَى بِهَا
- ١٣ فِي قُبَّةِ حَمْرَاءَ زَيْدٍ (م) نَهَا ائْتِلَاقُ طِبَابِهَا
- ١٤ وَدَنَا تَسْمَعُهُ إِلَى مَا قَالَ إِذَا أَوْصَى بِهَا :
- ١٥ إِنَّ الْفَتَاةَ صَغِيرَةً غَيْرُ ، فَلَا يُسَدَّى بِهَا
- ١٦ وَاعْلَمْ بِأَنِّي لَمْ أَكْذِبْ (م) مِثْلَهَا بِصَعَابِهَا
- ١٧ إِنِّي أَخَافُ الصَّرْمَ مِنْهَا أَوْ شَحِيجَ غُرَابِهَا
- ١٨ فَدَخَلْتُ إِذَا نَامَ الرَّقِيبُ بُبُ ، فَبِتُّ دُونَ ثِيَابِهَا

(١٠) الصنع ؛ الخيوط الواسع الخبرة بصنعه . والعري : جمع عروة ، ويريد بقوله « دنت عري أسبابها » أنها استجابت له ، وتقارب ما بينهما ، وتم الاتفاق .

(١١) يقول إنها ائتمنت بمنطق هذا الرسول ، ورضيت بحكمه العادل في القضية التي جاء من أجلها .

(١٢) يبدأ هنا الحديث معها عن تفاصيل الزيادة والإعداد لها : كيف يدخل إليها ؟ وكيف يظفر بها ؟

(١٣) القبة الحمراء إشارة إلى أنها بيت من بيوت بنات الحسوى . والطباب : شارات عريضة كانت توضع على واجهات هذه البيوت .

(١٤) عاد الرسول إليه يحمل أنباء هذه الفتاة ، وأخذ يوصيه بما يراه بشأنها .

(١٥) فلا يسدى بها : أى لا يتصل بها ، من أسدى الثوب إذا مد غيوطه للاحم بينها وبين الخيوط التي تعترضها ، ومنه السدى (بفتح السين والذال) والهمة (بضم اللام) وهي الخيوط الرأسية والأفقية التي ينسج منها الثوب . هذه هي بداية الوصية .

(١٦) يقول له — استمرارا في وصيته — إن هذه الفتاة ليست مهلة المنال .

(١٧) الصرم : المجر والقطيعة . وشحيج الغراب : صوته ، كناية عن الفراق .

(١٨) من هنا يبدأ الأعشى مغامرة المساجنة مع الفتاة .

- ١٩ حتى إذا ما استترسلت من شدة ليلها
٢٠ قسمتها قسمين كل (٢) موجه يرى بها
٢١ فذلت جيد غيرة ولمست بطن حقاها
٢٢ كالخفة الصفراء صا لك غيرها بملابها
٢٣ وإذا لنا تأمورة مرفوعة لشرابها
٢٤ وتظل تجرى بيننا ومقدم يسقى بها
٢٥ هزج طيبه التومتا ن إذا نساء عداها

* * *

(١٩) استرسلت من شدة : أى استسلمت بعد هناد ، واسترخت أعصابها بعد أن كانت مشدودة متوترة . والملاب : الملاعبة .

(٢٠) يرسم صورة للهوى بها . وقوله « كل موجه يرى بها » يريد به أنها كانت مستسلمة له بوجهها أى وجهة يريدها منها .

(٢١) الحجاب : حزام تعلق به المرأة حليها وتشدّه في وسطها .

(٢٢) الخفة الصفراء يريد بها حقبة الطيب ، وهى صفراء إما لأنها من الذهب ، وإما لأن الطيب صبغها بلونه . وصاك : التصق . والعير والملاب : نوعان من الطيب ، العير أخلط من الطوب ، والملاب هو الزعفران . يشبه هذه الفناء بحقة الطيب التى اختلطت فيها أنواع من الطيوب المختلفة .

(٢٣) التأمورة : أصلها التأمورة سهل همزها ليزيد من أفسابية موسيقا البيت ، وهى وعاء تحفظ فيه الخمر لتكون معدة للشراب عند كل طلب .

(٢٤) المقدم : الذى وضع القدم على فمه ، والفسدام : قطعة من القماش كان سقاة الخمر القروس يشدون على أفواههم عند سقى الخمر حرصا منهم على نقائها وعدم تلوثها . يقول إن هذه الجارية تجرى بيننا والخمر ، ومعها ساق فارسي نظيف يسمى بها .

(٢٥) هزج : أى مغن يترنم بفنائه وهو يطوف طيبم بالشراب والتومتان : مثنى تومة وهى اللوازة أو القرط فيه حبة كبيرة من اللؤلؤ . هنا ينهى الأعشى من رسم هذه اللوحة الحضارية لمجلس الشراب ، ليبدأ رسم لوحته البدوية للصحراء .

- ٢٦ وَدَيْقَةٍ شَهْبَاءَ رُدِّ (م) يَ أَنكُمَا بِسَرَابِهَا
 ٢٧ رَكَدَتْ عَلَيْهَا يَوْمَهَا شَمْسٌ يَحْرُ شَهَابِهَا
 ٢٨ حَتَّى إِذَا مَا أُوقِدَتْ فَالْجَمْرُ مِثْلُ تُرَابِهَا
 ٢٩ كَلَّفَتْ عَائِسَةَ أُمُو نَا فِي نَشَاطِ هَبَابِهَا
 ٣٠ أَكَلَتْهَا بَعْدَ الْمِرَا ج ، فَآلَ مِنْ أَصْلَابِهَا
 ٣١ فَشَكَّتْ إِلَى كَلَالِهَا وَالْجَهْدَ مِنْ لِمَاتِهَا
 ٣٢ وَكَأَنَّهَا مَجْمُومٌ خَيْهَ بَرَّ بَلَّ مِنْ أَوْصَابِهَا

(٢٦) الرديقة : الصحراء الشديدة الحر . والشهباء : المجذبة الخالية من النبات . والأكم : الأكام وهي التلال المرتفعة . وردى : ألبس ، يصف المراب كأنه ثياب لبستها آكام الصحراء .
 (٢٧) ركدت : سكنت وأقامت دون حراك . وشهاب الشمس : يريد به شذلة فارها الساطعة المتقدة . يقول إن الشمس أقامت فوق هذه الصحراء ساكنة لا تتحرك ، وراحت ترميها بشهب من نارها الحامية .

(٢٨) أوقدت : يريد الصحراء التي يشبه برابها تشبيها مقلوبا الجمر المتوقد .

(٢٩) العائسة : الناقة الصلبة القوية القادرة على مشقات الرحلة والسفر . والأمون : الأمونة التي لا يخشى عثارها . والهباب : السرعة .

(٣٠) أكلتها : أتعبتها وأرهقتها . والمراح : النشاط والخفة . وآل : يريد آل لهما أي ذهب من مشقة الرحلة فضمرت . والأصلاب : فقرات الظهر . يقول إنه أدهق ناقته في رحلته حتى هزلت وضمرت ، وهي منورة تتردد كثيرا في وصف الرحلة في الشعر العربي القديم .

(٣١) الكلال : التعب والإرهاق . والجهد : المشقة . والإتباب : الإرهاق ، مصدر أتعب .

(٣٢) خبير : مدينة في شمال يثرب كان اليهود ينزلون بها في العصر الجاهلي ، وكانت معروفة بانتشار الحمى فيها ، ولعلها هي الملايا ، حتى ضرب بها العرب المثل فقالوا « حتى خبير » . وبلى : شفى . والأوصاب : الأوجاع .

الجزء الأول

٥٤٩

- ٣٣ لِعَبْتِ بِهِ الْحَمَى مِيلِي . وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهَا
٣٤ وَرَدَتْ عَلَى سَعْدِ بْنِ قَيْدٍ . مِمَّنْ نَاقَتِي ، وَلَمَّا بَهَا
٣٥ فَلَإِذَا عَيْبِدُ عُكَّفَ . مُسَكُّ عَلَى أَنْصَابِهَا
٣٦ وَجَمِيعُ ثَغْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ . يَدُ بَعْدُ حَوْلَ قِيَابِهَا
٣٧ مِنْ شُرْبِهَا الْمُرَّاءَ مَا أَسَدَ . تَبَطَّنْتُ مِنْ لِإِشْرَابِهَا
٣٨ وَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ . لَدَا حَسَبِهَا وَأَرَى بَهَا

* * *

(٣٣) لعبت به الحمى : أى ظلت تعاوده مرة بعد أخرى وكأنها تلعب به . ولعل في هذا ما يريح أنها اللاريا .

(٣٤) قوس بن ثعلبة هم قوم الأعشى ، وسعد بن قيس فرع من فروعها بدلالة قوله « ولما بها » فالضمير فيها يعود على القبيلة . يريد أن هذه الرحلة كانت من أجل العودة إلى قبيلته ولما بها من نحر جيدة ، وهى النحر التى سيصبح بها فى نهاية قصيدته . وفى كثير من شعر الأعشى ترتبط الرحلة بطلب النحر والسعى وراءها .

(٣٥) عكف : عاكفون . وسك : محبسون على خدمتها . والأنصاب : الحجارة المنصوبة أمام بيوت الأصنام لتذبح عليها القرابين . يقول إنهم وثنيون متمسكون بوثنياتهم ، وإنهم حبسوا عبيدهم على خدمة أصنامهم وبيوتها .
(٣٦) الضمير فى « قياها » يعود على الأنصاب ، ويريد بها بيوت الأصنام . وهو يؤكد هنا مرة أخرى أنهم قوم متمسكون بدينهم .

(٣٧) المرء : النحر اللذيذة الطعم . واستبطن الأمر : وقف على دحيته . وإشربها : أى حبه لها ، من أشرب قلبه حبا إذا تفلغل فى شغفه حتى أصبحت كأنها قطعة منه . يقول إنه أدرك من النحر الخفى الذى جعله يتعلق بشربها من شرب قومه نحرهم اللذيذة . والبيت يشير أيضا إلى جودة نحرهم .

(٣٨) حسبا : أحرقها . وأرى بها : أى أرى الناس بها العذاب والهلاك . يقول إن الله ساطط عليها النار لتحرقها ، ولتكون سببا فى عذاب الناس وهلاكهم . والبيت يكس تيمنا وإصراره على شربها ، وكأنه يقول إنه لن يكف عن شربها حتى بعد أن علم سرها ، فهو راض بها وبعبادها .

* * *

يوسف خليف

(٤)

صُورَةٌ مِنْ نَحْمَرِيَّاتِهِ

* * *

يتجه الأعشى بهذه القصيدة إلى أحد ممدوحيه من سادات العرب الذين كان ينتجمعهم للعطاء ، ولكنه لا يديرها حول المدح ، ولا يمثل المدحُ قسماً متميزاً فيها ، وإنما تدور حول الموضوعين اللذين لا يميلُ الأعشى الحديث ههنا : المرأة والخمر . ومن هنا تنقسم القصيدة إلى قسمين أساسيين : غزل في إحدى صاحباته « هند » يشغل اثني عشر بيتاً منها ، يتغنى فيه بحالها وبجبه لها دون الانحدار إلى سفوح الجنس التي نراه في أكثر شعره دائماً الانحدار إليها . والقسم الثاني حديث عن الخمر ، ووصف لمجلس من مجالسها التي كان مشغولاً بها أيضاً في أكثر شعره ، وهو حديث يشغل من القصيدة عشرة أبيات ، يصل بعدها إلى ممدوحه ليوجه إليه في خمسة أبيات تحية سريعة خاطفة ، ينوه فيها بعطاياه الكثيرة التي وهبها له ، وبها يختم قصيدته .

والقصيدة — ككل شعر الأعشى — تمتاز بالأناقة اللفظية ، والرقّة الحضارية ، وسهولة اللغة ، وظهور بعض الألفاظ الفارسية فيها ، وتخيّل بنغم موسيقى راقص يتلاءم مع جوها العام ، ويحقق لها بحر الرمل الرقيق الذي اختاره لها ، وحرف النون الساكنة الذي اختاره رويّاً لها ، والذي يُشيع في قوافيها رنيناً عالياً يتردد بانتظام في نهاية كلّ بيت من أبياتها ، ليضبط إيقاعها الموسيقي الرنان .

* * *

- ١ خالط القلب همومٌ وحزنٌ
- ٢ فهو مشغوفٌ بهنيدٍ هائمٌ
- ٣ يلبسُ طيبَ أردانها
- ٤ وهي إن تقعدَ نقاً من عاجٍ
- ٥ ينتهي منها الوشاحان إلى
- ٦ خلقت هندٌ لقلبي فتنةً
- ٧ لا أراها في خلاء مرةً
- ٨ ثم أرسلتُ إليها أني
- وأذكرُ بعدَ ما كانَ اطمأنُّ
- يرعوى حيناً ، وأحياناً يحنُّ
- رخصةَ الأطرافِ كالرَّمِ الأَعْنُ
- وإذا قامتَ نيباً كالشطنِ
- حبلةً ، وهي بمن كالرسنِ
- هكذا تعرضُ للناسِ الفتنِ
- وهي في ذاك حياءَ لم تُزَنُ
- مُنذرٌ عذري فرديهِ بأن

(٢) يرعوى : يرجع عن غيه وضلاله .

(٣) الأردن : الأكام . والرخصة : الهبة الناعمة . والرَّم : الطي الخالص البياض . والأفن :

الرخيم الصوت .

(٤) النقا : الكتيب . وعاج : منطقة رملية يتردد ذكرها كثيراً في الشعر القديم ينسبون إليها أهل الغلاء . والنياف : الطويلة المشوقة القوام . والشطن : الحبل . يصف نقل أردافها ورشاقة خصرها ، فهي إن تقعد تراءت كأنها كتيب من الرمال الناعمة ، وإذا قامت تراءت كأنها حبل مفتول .

(٥) الحبلة : نوع من الحلي يعلق في القلائد . والمتن : الظهر . والرسن : الحبل . يصف رشاقة خصرها ، واعتدال قوامها ، وحرصها على أناقبتها وزينتها .

(٧) قوله « لا أراها في خلاء مرة » يريد به أنها تنأى بنفسها عن مواطن الريب والشبهات . ولم تن : أي لم تنهم بأي رية أو شبهة . صورة غير مألوفة في غزل الأعشى الذي يشيع فيه عادة جو صريح مكشوف من الخلاعة والمجون والتهتك .

(٨) قوله « مَنذرٌ عذري » يعني أنه مقدم عذره إليها لتصفح عنه . والمُنذر في « رديهِ » يعود على الرسول الذي يشير إليه في الشطر الأول ، أو على كلمة « عذري » ، أي أقبلي عذري ورديهِ إلى بالمراقبة . وقوله « بأن » اختصار لما يريد منها ، أي رديهِ بأن توافقي على زيارتك ، وتصلي ما انقطع بيننا من أسباب المودة .

- ٩ وَبَدَرْتُ الْقِسْلَ أَنْ حَيَّيْتُهَا ثُمَّ أَنْشَأْتُ أَفْدَى وَأَهْنُ
١٠ وَأَرْجِيهَا وَأَخْشَى دُعَمَهَا مِثْلَ مَا يَقَعُ بِالْقَوْدِ السَّنَنِ
١١ رَبُّ يَوْمٍ قَدْ تَجُودِينَ لَنَا بَعْطَا يَا لَمْ تُكَدِّرْهَا الْمِسْنَنِ
١٢ أَنْتِ، سَلَمَى، هَمْ نَفْسِي فَادْكُرِي سَلَمَ، لَا يُوجَدُ لِلنَّفْسِ ثَمَنُ

* * *

- ١٣ وَعَلَالٍ وَظِلَالٍ بَارِدٍ وَقِيلِيجِ الْمِسْكِ وَالشَّاهِسْقَرَنِ
١٤ وَطِلَاءٍ خُسْرَوَانِي إِذَا ذَاقَهُ الشَّبِخُ تَغْنَى وَارْبَحْنُ
١٥ وَطَنَائِيرٍ حَسَانِ صَوْتِهَا عِنْدَ صَنِيجِ كُلِّهَا مُسَّرُّنُ
١٦ وَإِذَا الْمُسْمِعُ أَفْنَى صَوْتَهُ عَزَفَ الصَّنِيجُ فَنَادَى صَوْتَوْنُ

(٩) أفدى : أى أقول لها إني فداؤك . وأهن : أصلها « أهني » وعمل هزتها ، أى أتمنى لها حياة هنيئة ناعمة . ويحتمل أن تكون « أهن » (يفتح الهمزة وكسر الهاء) بمعنى أبكى ، من هن يمن (على وزن من يمن) إذا هن وبكى .

(١٠) القود : الخليل . والسَّنن هنا يريد به حسن رعاية الخليل وسياستها . يقول إنه أخذ يرضأها في رفق وحلو وسياسة حتى لا يثير خوفها منه ، كما يفعل الفارس بفروسه حتى لا تنفر منه .

(١١) سلمى هنا هى هند التى يذكرها في بداية القصيدة . وتمدد أسماء المحبوبات في الشعر العربي القديم ظاهرة مألوفة ، فكلهن حواء . وسلم في الشطر الثاني ترخيم لسلمى .

(١٢) العلالي : جمع عليّة وهى الغرفة العالية يفضلونها لشراهم لطيب هوائها . والفليج : المفتت . والشاهسقرن : الريحان ، كلمة فارسية . يبدأ الأعشى من هنا القسم الثاني من قصيدته في وصف مجلس من مجالس الشراب ، ويذكر هنا أن هذا المجلس كان في غرفة عالية غليظة تنتشر فيها الزهور والعطور .

(١٤) الطلاء : الخمر . والخمروانى : نسبة إلى خسرو أنوشروان أحد ملوك الفرس . واربحن : اهز وتمائل .

(١٥) الطنائير : جمع طنبور وهو آلة موسيقية تشبه المود أو الجيتار . والصنيج : « الصاجات » . وأرن : أحدث ريتنا موسيقيا .

(١٦) المسع : المفسى : وأفن صوته : انتهى من غناؤه . والون : آلة موسيقية تشبه الصنج .

- ١٧ وإذا ما غُضَّ من صوتيهما وأطاع اللحن غَنَّا نَا مُغْنٍ
 ١٨ وإذا الدُّنَّ شَرِبْنَا صَفْوَهْ أَمُرُوا عَمْرًا فَنَاجَوْهْ يَدَنَ
 ١٩ بِمَتَالِيفَ أَهَانُوا مَا لَمْ لَمْ لَفْنَاءِ وَلِغَيْبِ وَأَذْنِ
 ٢٠ فَتَرَى إِبْرَيْقَهُمْ مُسْتَرَعِفَا بِشَمُولِ صُقُقْتُ مِنْ مَاءِ شَنْ
 ٢١ غُدْوَهْ حَتَّى يَمِيلُوا أَصْلًا مَثَلًا مَيْلَ بِأَصْحَابِ الْوَسْنِ
 ٢٢ ثُمَّ رَاحُوا مَغْرِبَ الشَّمْسِ إِلَى قُطْفِ الْمَشَى قَلِيلَاتِ الْحَزْنِ

* * *

- (١٧) غَض : أى خفض . والضبير فى صوتيهما يعود على الصنج والون . وأطاع اللحن : أى سمع اللحن الموسيقى بقناء الملقى .
- (١٨) الدن : زق الخمر العظيم . وصفوه : نخره المافية . وعمررو : هو الساقى الذى كان يقدم لهم الشراب . ودن الثانية : الصوت الذى لا يفهم كالدندنة ، يريد بها مهمة السكارى حين تعقد الخمر السنتهم .
- (١٩) المتاليف : جمع متلاف وهو الكريم الذى يتلف ماله . وأهانوا ما لهم : أقصوه ولم يحافظوا عليه . والأذن : المناع .
- (٢٠) مسترعفا : أى دفاغا بالخمر . والشمول : الخمر الباردة . وتصفيق الخمر : مزجها بالماء . والشن : القرية البالية لكثرة استعمالها فهى ترشح فيبرد مائها .
- (٢١) غدوة : أى صباحا . والأصل : جمع أصيل . والوسن : النوم الخفيف . يقول إنهم ظلوا فى شراب وفتاء وموسيقا من الصباح حتى الأصيل .
- (٢٢) القطف : جمع قطوف وهى المرأة التى تقارب من خطواتها ، وهى صفة محمودة كان العرب يحبونها من النساء . والحزن : الحزن ، يريد أنهم مررحت يشرن البهجة من حوثن . يقول إنهم مع دخول المساء بدأوا ألوان لحوهم ، فصاروا إلى هؤلاء النساء الجليات يقضون الليل معهن . وهذا ينتهى القسم الثانى من القصيدة .

- ٢٣ عَدَّ هذا في قريض غيره واذكُرْنِ في الشَّعْرِ دَهْقَانَ الْيَمَنِ
٢٤ بأبي الأشعث قيس ، إنه يشتري الحمد بمنفوس الثمن
٢٥ جثته يوما فأذني مجلبي وحبائي يلجوج في السنن
٢٦ ومائنين عشار ، كلها آركات في بريم وحضن
٢٧ وغللام قائم ذي عدوة وذلول جصرة مثل القدن

* * *

- (٢٣) عد هذا : أى أترك هذا الحديث إلى حديث غيره ، وهو أسلوب من أساليب الانتقال في القصيدة الجاهلية من موضوع إلى موضوع . والدهقان : رئيس الإقليم ، كلمة فارسية ، ويريد به قيس بن معد يكرب الذى يبدأ من هنا مدحه ، والذي يصرح باسمه في البيت التالى .
(٢٤) منفوس الثمن : أى الثمن الغالى النفيس الذى يحسده الناس عليه .
(٢٥) الجوج : الفرس التى تلج في سيرها أى تسرع . والسنن : الطريق .
(٢٦) العشار : النوق الخوامل . والآركات : التى ترمى شجر الأراك . وبريم وحضن : موضعان في بلاد اليمن .

- (٢٧) « وغللام قائم ذي عدوة » يريد غلاما قائما على خدمته ، رهنا لإشارته ، لا يتأخر عن تلبية مطالبه ، بل يعدو لها عدوا . والذلول : الناقة الطيعة يعتمدون عليها في أسفارهم ورحلاتهم . والجصرة : الجريئة على السير في الصحراء . والقدن : القصر ، يريد أنها ضخمة قوية البنية موثقة الخلق .

* * *

يوسف خليف

(٥)

نَصْرُ ذِي قَارَ

* * *

يفتخر الأعشى في هذه القصيدة بالنصر الذي أحرزته قبيلته « بكر » على الفرس ومن شايهم من القبائل العربية في يوم ذي قار . وهي تبدأ بمقدمة تبدو غريبة بين المقدمات المألوفة في الشعر الجاهلي ، فهي مزيج غير متوازن من حديث سريع لا حرارة فيه ولا عاطفة عن رحيل هُريرة ووداعها ، ثم انتقال مفاجئ إلى حديث آخر لاصلة له بهريرة ، يدور حول وصية لأبيه يوصي فيها بنيه بكرام الضيف وحقوق الجار وقاتل الفرس . ثم ينتقل بعد ذلك إلى نصر ذي قار ، فيفتخر به ، ويرسم صورة منصفّة للمركة التي انتصرت فيها قبيلته ، ويأسف لتخاذل القبائل العربية الأخرى عن الاشتراك معها في القتال ، ويعلن أنها لو وقفت إلى جانبها لأحرز العربُ نصراً مؤزراً حاسماً على الفرس ، ولكنها — مع ذلك — استطاعت وحدها أن تسجل — لأول مرة في التاريخ — نصراً عربياً على الدولة الفارسية .

* * *

- ١ . كَانَتْ وَصَاةٌ وَحَاجَاتٌ لَنَا كَفَّفُ لَوْ أَنَّ صَاحِبَكَ إِذْ نَادَيْتَهُمْ وَقَفُوا
- ٢ . عَلَى هُرِيرَةٍ إِذْ قَامَتْ تُودِّعُنَا وَقَدْ آتَى مِنْ إِطَارٍ دُونَهَا شَرَفُ

(١) كانت هنا تامة لا تعمل عمل كان الناقصة . والكفف : الكفاف وهو ما أغناك من الناس وكففك عنهم . كأنه يقول لم يعد لي في الحياة ما أحرص عليه إلا هذه الوصية التي أوصاني بها أبي ، وإلا هذه المطالب البسيرة التي أسمى وراءها في الحياة لتغني عن الناس .

(٢) هل هُريرة : متعلق بوقفوا في البيت السابق . والشرف هنا المرتفع من الأرض . وإطار الشيء : كل ما يحيط به . يقول إن هُريرة رحلت ، وحال بيني وبينها على اتساع المنطقة التي تشق طريقها فيها مرتفع من الأرض يجيها هي .

- ٣ أَحْسِبُ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا وَقَفَتْ وَقَدْ تُزِيلُ الْحَبِيبَ النَّيَّةُ الْقَذْفُ
٤ إِنْ الْأَعَزُّ أَبَانَا كَانَ قَالَ لَنَا : أَوْصِيكُمْ بِثَلَاثٍ ، إِنْخِي تَلْفُ
٥ الضَّيْفَ ، أَوْصِيكُمْ بِالضَّيْفِ ، إِنَّ لَهُ حَقًّا عَلَى فَأُعْطِيهِ وَأَعْتَرِفُ
٦ وَالْحَارَ ، أَوْصِيكُمْ بِالْحَارِ ، إِنَّ لَهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يَنْتِيهِ فَيَنْصَرِفُ
٧ وَقَاتِلُوا الْقَوْمَ ، إِنَّ الْقَتْلَ مَكْرُمَةٌ إِذَا تَلَوَّى بِكَفِّ الْمُعْصِمِ الْعُرْفُ

* * *

- ٨ إِنْ الرَّبَابُ وَحِيًّا مِنْ بَنَى أَسَدَ مِنْهُمْ يَبْقِيَرُ وَمِنْهُمْ سَارِبٌ سَلَفُ
٩ قَدْ صَادَفُوا عُصْبَةً مِنَّا وَسَيِّدَنَا كُلُّ يَوْمٍ قُنْيَانًا وَيَطَّرِفُ

(٣) الخلعة : الصديقة المحبوبة . والنية : النوى والبدن . والقذف : البعده التي تقذف بها .
إلى مكان بعيد .

(٤) تلف : هالك . يقول إنها وصية أو صاهم بها حين أحسن اقتراب أجله .

(٥) أعترف : أى أعتز به ولا أنكره ... هذه هي الوصية الأولى .

(٦) ينتيه فنصرف : أى يدفعه إلى الانتقال إلى منزل آخر ... وهذه هي الوصية الثانية .

(٧) العرف : حرف الفرس . والمعصم : الذى يمسك به خوفا من سقوطه عن ظهره لشدة عدوه .
والقوم هنا يريد بهم — كما يدل سياق القصيدة — الفرس الذين كانوا يفرضون نفوذهم على هذه
المنطقة الشرقية من جزيرة العرب . والبيت يعكس مشاعر الضيق بهذا النفوذ الأجنبي الذى كان كل
جبل يورثه لجبل الذى يأتى بعده حتى يتم تحرير المنطقة العربية منه ... وهذه هي الوصية الثالثة .

(٨) الرباب وبنو أسد من القبائل العربية التى انضمت إلى الجيش القارمى تحارب معه . والبقيرة :
القتيل الذى بقربطه . والسارِب : الحارب . والسلف : الذاهب على وجهه فرارا من المعركة .

(٩) القنيان : ما يقتنيه المرء ويجمعه ، يريد به الغنائم . ويَطَّرِفُ : يهيب ما هو طريف من غنائم
المعركة .

- ١٠ قلنا: الصِّلَاحَ، فقالوا: لا نُصَاحُكُمْ
أهل النبوكِ وعيرِ فوقها الحَصَفُ
١١ لستَ بعير — وبديتَ الله — مائة
إلا عليها دروعُ القومِ والزَّغْفُ
١٢ لما التقينا كَشَفْنَا عن جَاحِنا
ليَعْلَمُوا أَننا بَكَرٌ فينصرفوا
١٣ قالوا: البقيةَ، والهندى يَحْصِدُهُمْ
ولا بقيةَ إلا السيفُ فانكشَفُوا
١٤ هل سَرَّ حَنَقَ أَنْ القومِ صالَحَهُمْ
أبو شُرَيْحٍ ولم يُوجَدْ له خَلْفٌ ؟
١٥ قد آبَ جارتَها الحِسناءَ قِيَمَها
رَكْضًا، وآبَ إليها الشُّكْلُ والتَّلَفُ

* * *

- (١٠) الصِّلَاحُ : الصِّلَح . والنبوك : التلال الصغيرة ، مفردا نبكة يجرىك الباء وسكونها .
والعير : الإبل التي تستعذب في التجارة . والحصف : جمع خصفة وهي قفة تعمل من الخوص لوضع الثمر
فيها . يقول إنهم عرضوا عليهم الصِّلَحَ فرفضوا ، وديرهم بأنهم سكان رهاد منخفضة وتجارتهم .
(١١) المائة : التي تترك في مملكة دلي . والزغف : الدروع المحكمة السلاسل . يقول لهم
مؤكدًا قوله بالقسم بالكعبة إنهم ليسوا أصحاب إبل أعدت للتجارة وحمل البضائع ، ولكنهم أصحاب إبل
أهدت للحرب وحمل السلاح .
(١٢) يبدأ من هنا وصف المعركة ، فيقول إنهم كَشَفُوا عن رؤوسهم ليعرف العدو أنهم قبيلة
بكر أبناء عمومتهم وجيرانهم في المنطقة ، ويعرفوا أنهم حرب مثلهم فيرجعوا عن قتالهم .
(١٣) قالوا البقية : أى توسلوا إلينا أن نبقى عليهم ولا نستأصلهم . والهندى : السيف . ومعنى
الشر الثاني أننا لم نمنع إلى توسلهم ، واستمرت سبوقنا تحصدهم حتى تمت هزيمتهم وانكشفت
صفوفهم .
(١٤) أبو شريح : سيد من سادة القبائل العربية التي كانت تحارب مع الفرس . وحنق :
زوجته . والقوم هنا الفرس . يتساءل في سخرية : هل مرزوجة هذا السيد انضمامه إلى الفرس بعد أن
لقى مصرعه في المعركة ولم يختلف من بعده خلقا له ؟
(١٥) القيم : الزوج . وجارتها منصوب على نزع التانيض . أى آب زوج هذه الجارة إليها وهو
يعدو قرارا من المعركة ، أما حنق فقد آب إليها الشُّكْل والتَّلَف . وهنا ينتهي الأعمى من وصف
المعركة التي دارت بين قومه والقبائل العربية الموالية للفرس ، لينتقل بعد ذلك إلى وصف المعركة الفاصلة
مع الجيش الفارسي .

- ١٦ وَجُنْدُ كَسْرَى غَدَاةَ الْحِنُوصِ صَبَّحَهُمْ مَنَاغِطَارِيفُ تُزْجِي الْمَوْتَ فَاَنْصَرَفُوا
١٧ بِحَاجَجٍ وَبَنُو مُلْكٍ غَطَّارِفَةٌ مِنْ الْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا النُّطْفُ
١٨ إِذَا أَمَالُوا إِلَى النَّشَابِ أَيْدِيَهُمْ مِلْنَا بِبَيْضِ فِظْلِ الْهَامِ يُخْتَطَفُ
١٩ وَخَيْلٌ بِكِرٍ فَتَنْفُكُ تَطْحَنُهُمْ حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ الْيَوْمُ يَنْتَصِفُ
٢٠ لَقُوا مُلَمَّسَةً شَبَاءَ يَفْدُمُهَا لِلْمَوْتِ لَا مَاجِزَ فِيهَا وَلَا خَرِيفُ
٢١ فِيهَا فَوَارِسُ مَجُودٍ لِقَاؤُهُمْ مِثْلُ الْأُسْنَةِ لَا مِيلٌ وَلَا كُشْفُ

(١٦) الحنوف أصل معناه اللغوى منحني الوادى ، ويريد به هنا حنودى قار الذى دارت فيه رعى الحركة . والنطاريف : السادة ، جمع نظريف .

(١٧) الحجاج : السادة ، جمع جججج وججاج . والغطارفة : جمع آخر لنطاريف . والنطف : اللؤلؤ ، جمع نطفة ، يصف الفرس بأنهم كانوا يلبسون أقراطا من اللؤلؤ .

(١٨) النشاب : النبال . والبيض : السيوف . والهام : الرؤوس . وفى رواية أخرى « يقتطف » . يصف حركة القتال ، فالفرس يعتمدون على النبال يرمون بها من بعيد ، والعرب يقدمون عليهم بسيوفهم التى تختطف رؤوسهم وتقطفها .

(١٩) تطحنهم : تدوسهم وتندق عظامهم وتمزق أجسادهم ، كأنها رعى دائرة لا تنفك تطحنهم طحنا .

(٢٠) المللمة : الكتيفة التى صفت صفوفها متراصة متماسكة . والشبهاء : التى يختلط فيها البياض بالسواد ، بياض السيوف بسواد الرماح . والخرف : الضعيف العقل ، الفاسد رأى . يصف الكتيفة العربية — كتيبة قومه — وقائدها ، فهى كتيبة ضخمة تامة السلاح يتقدمها قائد شجاع سديد رأى قادر على إدارة الحركة بشجاعته وحكمته ودقة تخطيطه لها .

(٢١) الميل : جمع أميل وهو من لا يستطيع أن يثبت على ظهر جواده لقلة خبرته بالفروسية ، أو هو المجرد من أسلحة الهجوم . والكشف : جمع أكشف وهو المجرد من أسلحة الدفاع . يصف فرسان قومه بأنهم فرسان يجيدون الفروسية ، مسلحون تسليحا كاملا ، وأنهم قادرون على حسم المعركة كالأسنة الحادة المسنونة .

٢٢ يَبِضُّ الْوَجُوهَ فِدَاةَ الرُّوحِ تَحْسِبُهُمْ جَنَّاتٍ عَيْنٍ عَلَيْهَا الْبَيْضُ وَالزَّغْفُ
٢٣ لو أن كلَّ معدٍّ كان شارِكنا في يوم ذى قارَ ما أخطأهم الشُّرفُ

* * *

(٢٢) يبض الوجوه: كناية عن كرم الأمل، ودلالة على أن وجوههم لا تتغير عندما تشتد المركة ويستخدم القتال. والروح: القزع، يريد الحرب. والجنان: الجن، جمع جان. والعين: عين الماء، وكان العرب يعتقدون أن الجن تخرج أحيانا من عيون الماء. والبيض: جمع بيضة وهي خيوة المقاتل. والزغف: الدويح المحكمة السلاسل.

(٢٣) كل معد: أى كل القبائل العربية، ومعد هو معد بن عدنان أبو العرب الشماليين. يأسف على تخاذل بعض القبائل العربية عن الوقوف مع قبيلته في هذه الحرب، ولو أنهم كانوا شاركهم القتال في هذا اليوم الحاسم لثأروا شرفا كبيرا في معركة الكرامة والحرية وتحرير الأرض العربية من الغزو الأجنبي.

* * *

يوسف خليف

أمية بن أبي الصلت

* * *

وُلِدَ أميةُ بنُ أبي الصلت في بيت يجمع بين العز والشرف ، ويتميز بحب الأدب والشعر . وكان أبوه أبو الصلت بن أبي ربيعة سيدا في قومه ، وأمه هي ربيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وهي من شريقات قريش . ويقال إن أباه كان شاعرا يُنسب إليه شيء مما يُنسب إلى أمية نفسه .

ولكننا لا نعلم متى ولد ، ولا كيف نشأ وتدرج ، كما أننا لا نعلم علم اليقين متى وكيف مات ، ولا سيما أن كتب الأدب والتاريخ على خلاف في خبر وفاته . ولكن يمكن أن نستنبط بعض الحقائق عن حياته من شعره . ذلك أن أول ما نلاحظه في شعره ، أن ثمة اختلافا شاسعا بين شعره في شبابه وشعره عندما بلغ الكهولة والشيخوخة . ففي الشباب نرى في شعره زينب ولبيئتي ، كما يزخر بالاندفاع والفخر والتبجح أحيانا ، أما في سني الكهولة والشيخوخة فيجتاح شعره إلى وداعة الروح ، وروحانية المتعبد المتوحد ، ووصيف ما وراء الطبيعة المادية المأمومة .

ولا بد أن يكون أمية قد عانى كثيرا من التدرج في مراحل حياته وتجاربه وثقافته حتى بلغ هذا الحد من الحكمة والتصوف . وهذا يدل على أنه كان من المعمرين . كذلك فإن كتاب الأدب والسيرة والتاريخ قد أجمعوا على أنه كان يطمح إلى النبوة التي لا يُحتمل أن يطمع فيها شاب يريد أن ينهل من متع الحياة

الجزء الأول

٥٦١

أولا . وكان انتظار أمية للنبوة وطعمه فيها قد شاع قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بفترة وجيزة .

ولم يتفق الرواة على سنة وفاته ، لكنها تراوحت بين السنة الثانية للهجرة في أعقاب غزوة بدر وبين السنة الثامنة أو التاسعة . ولكن قد نجد في غياب أمية عن وصف أحداث الجزيرة منذ معركة بدر في السنة الثانية دليلا على أن لم يعيش إلى ما بعد هذه السنة التي قال فيها قصيدته في رثاء قتلى قريش في هذه المعركة . وعلى هذا الأساس يمكن تقدير ميلاده بين سنة ٥٣٤ وسنة ٥٤٤ م ووفاته حوالي ٦٢٤ م ، أى أن عمره تراوح بين ثمانين وتسعين سنة .

* * *

وإذا كنا لا نعرف شيئا عن نسائه وشبابه ، فإن شعره يَنمُّ عن شباب قتي لم يكن ماجنا ، كالذى نراه عند طرفة بن العبد وامرئ القيس مثلا ، ومع ذلك فهو يقاسى من مكابدة شوقه وهواه بليلى وديار ليلى ثم زينب ولبنى . ولسنا متأكدين إذا كانت هذه الأسماء أو هذه الشخصيات حقيقية ، لكنها تم — في حقيقة أمرها — عن أثر ضئيل لحجون الشباب ، نتيجة لتعففه منذ أن كان حدثا صغيرا . وكان شعره في شبابه مزيجا من الغزل والمدح والاندفاع والفخر ، ثم الحكمة والتصوف في كهولته وشيخوخته . بل إنه لبس المسوح وتعبّد ، وصَدَفَ عما كان في عصره من عادات جاهلية كالأوثان والخمر ، وطلّب الدّين ودارس أهل الكتاب لدرجة أنه طمع في النبوة .

أما عن حياته العملية فقد اشتهر بين الباحثين المحدثين بأنه ذلك التاجر الذى يعمل بين الشام واليمن . وهذا تناقض عجيب بين حياة التجارة بكل مهارتها وماديتها البحتة وبين الشعر الذى نجده فيه رجلا يهيم بخياله بين الأنبياء والملائكة ،

وتجيش خواطره بأنباء من خلا من الأمم . ولعل هذا التناقض يفسر لنا عدم نجاحه في التجارة بدليل أنه لم يكن واسع الثراء ، ولو كان ثريا فعلا لما أقدم على المديح في شعره ، ولما سعى إلى التكسب عن هذا السبيل وإراقة ماء وجهه .

أما عن عقيدته فكان ينتمى إلى من أسَمُوا « بالحنفاء » الذين تركوا مفاصد الجاهلية قبيل الاسلام ، ونبذوا عبادة الأصنام ، واتجهوا إلى التوحيد الخالص ، وبخنا عن دين إبراهيم . كذلك اتصل بثقافة الأديان التي كانت تحيط به ، وإن كانت جميع الروايات قد أجمعت على عدم إسلامه بعد بزوغ فجر الإسلام ، وهو ما هبط بقيمته عند الرواة .

* * *

لكن شعر أمية لا تكاد قصيدة من قصائده الدينية تخلو من معاني التوحيد ، أو ذكر الحساب والقيامة ، أو ذكر الأنبياء والرسل . ثم إن شعره يكاد ينحصر بمناظر الطبيعة ، وما فيها من مخلوقات تدل على حكمة الله وقدرته ، ففي السماء يرى الشمس والقمر ، والأفلاك والنجوم ، وفي الأرض يرى الحرث والنبات ، والعيون والأنهار ، والطيور والحيوان ، بالإضافة إلى صور كثيرة ومتابعة لما وراء الطبيعة . ولكن المشكلة الكبرى في شعر أمية أن أكثر شعره الديني متمم بالوضع والانتحال بصورة جعلت كثيرا من الباحثين يشكون فيه كله . ولكن ليس من الطبيعي أن نرفضه كله ، وبخاصة لأن شهرة أمية إنما قامت أولا وأخيرا على هذه النزعة الدينية في حياته وفي شعره على السواء .

وكانت شخصيته متقلبة حائرة بين واقعته ونفسه . لكن شخصيته بكل ما فيها من عبقرية وشاعرية كانت نتاجا لعناصر متعددة عملت على تكوينها وبلورتها . وفي مقدمة هذه العناصر بيئة أمية ، وما أحيط به من بيت شاعري ، ثم ما حظي

به من ثقافة ، وما قام به من رحلات داخل الجزيرة وخارجها ، ثم ما كان من أحداث تولدت عنها نهضة فكرية واجتماعية قبل الإسلام . وقد تركت الطائف التي عاش فيها بصمات واضحة في شعره ، وهي المدينة الجميلة التي تشبه الفردوس الأرضي . وكان أمية قد فُطر على التأمل فيما حوله من عجائب الطبيعة ، ومن هنا كان تفاعل عبقرية الشاعر بعبقرية المكان .

* * *

وهناك أخبار كثيرة حول وفاة أمية ، وكلها أقرب إلى الأسطورة منها إلى الواقع ، ولذلك فنحن لا نسلم بها على علانها ، فقد كانت نتيجة طبيعية لشخصية هذا المتأله الجاهلي المحير المتقلب الذي جعل منه الرواة بطلا من أبطال الأساطير .

* * *

نبيل راغب

(١)

الطُوفَانُ

* * *

في هذه القصيدة يقدم أمية بن أبي الصلت صورة فنية رائعة تجسد قصة
نوح والطوفان :

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | بَرَئَ اللهُ الأَجَلَ المَرَّةَ نُوحًا | جَرَاءَ السِّرِّ لَيْسَ لَهُ كِذَابُ |
| ٢ | بِمَا حَمَلَتْ سَفِينَتُهُ وَأَنْجَحَتْ | غَدَاةَ أَنَاهُمُ المَوْتُ القَلَابُ |
| ٣ | وَفِيهَا مِنْ أَرْوَمَتِهِ عُرَاةٌ | لَدَيْهِ ، لَا الظَّمَاءُ وَلَا السَّغَابُ |
| ٤ | وَإِذْ هُمْ لَا لَبُوسَ لَهُمْ تَقِيهِمْ | وَإِذْ صَخْرُ السَّلَامِ لَهُمْ رِطَابُ |
| ٥ | عَشِيَّةَ أُرْسِلَ الطُّوفَانُ تَجْرِي | وَفَاضَ المَاءُ لَيْسَ لَهُ حِرَابُ |
| ٦ | عَلَى أَمْوَاجٍ أَخْضَرَ ذِي حَيِّكَ | كَأَنَّ سَعَارَ زَانِحِهِ المِضَابُ |

(١) الكذاب : مصدر كالكذب .

(٢) القلاب : داء يصيب قلب البعير فيموت من يومه ، وهو هنا : الموت الأكيد المحقق .

(٣) الأرومة ، الأصل . والسقاب : الجبياع . وقوله « لا الظماء ولا السقاب » حذف الخبر ،
فكانه قال : لا الظماء ولا السقاب بحاجة إلى وصف حالهم لأنه معروف متوقع .

(٤) اللبوس : الثياب . السلام : الحجارة ، المقرد سلمة (بفتح فكسر) ، والعرب ترمم أن الحجارة
كانت رطبة لينة في قديم الزمن .

(٥) الحراب : جوف البئر من أهلها إلى أسفلها . يريد أن الماء لم تكن له حدود محدده لكثرة
واسعاه . وقوله « تجري » يريد السفينة المفهومة من السياق .

(٦) الحيك : مفرد حايكة ، وهي ما يرى على الماء من طرائق إذا مرت به الريح . والسعار :
في الأصل حرائق النار ، ثم استعاره لشدة الموج .

- ٧ بَايَةَ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةَ الدِّيكِ الْغُرَابُ
٨ وَأُرْسِلَتْ الْحَمَامَةُ بَعْدَ مَسِيحٍ تَدِلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ
٩ تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا وَغَايَتُهَا مِنَ الْمَاءِ الْعُيَابُ
١٠ بَغَاءَتِ بَعْدَمَا رَكَضَتْ بِقَطْفِ عَلَيْهِ الشَّاطُ وَالطَّيْنُ الْكُبَابُ
١١ فَلَمَّا قَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوَّافًا كَمَا عَقَدَ السَّحَابُ
١٢ إِذَا مَاتَتْ تُورِّثُهُ بَنِيهَا وَإِنْ تُقَتِّلُ فَلَيْسَ لَهَا اسْتِغْلَابُ
١٣ كَذَى الْأَفْقَى تَرْبِيَهَا لَدَيْهِ وَذَى الْجِنِّيَّ أَرْسَلَهَا تُسَابُ

(٧) الآية : العلامة . ويقول ألاحظ : « في كثير من الروايات من أحاديث العرب أن الديك كان نديماً للغراب ، وأنهما شربا الخمر عند الخمار ، ولم يعطياه شيئاً ، وذهب الغراب ليأتيه بالثمن حين شربا ، وذهبن الديك ، نفاس به ، فيبقى محبوساً » . ومعنى خاص غدر .

(٨) تدل على المهالك : أى تتجراً عليها . وفي رواية أخرى « تزل » أى تزلزل .

(٩) عياب الماء : أوله ومعظمه ، والمعنى أنها إذا بلغت أول الماء بلغت بذلك الشاطئ . واليايسة وهو ما تبحث عنه . والتمس الشيء وتلبسه : طلبه . والعين هنا : الناحية ، وأراد بها ناحية لأماء فيها .

(١٠) ركض الطائر : أسرع في طيرانه ، والقطف : ما قطف من ثمار وسواها . والشاط : الطين الأسود المنقش . والكباب : الطين اللازب .

(١١) قرسوا الآيات : تثبتوا منها وتأكدوا . والسحاب : القلادة .

(١٢) الاستغلاب : الاختلاس .

(١٣) ذو الأفقى : لعله يريد به آدم عليه السلام . وربها : ربها . والأفقى : الحية التي كلم لإبليس آدم من جوفها . وذو الجنى : إبليس . وسابت الحية وأنسابت : جرت ، وأراد بذلك زحفها على الأرض . يشير إلى أسطورة الحية التي مسخت على صورتها بعد أن كانت في هيئة الجمل عقاباً لها على استجابتها لإبليس .

- ١٤ فلاربُ المنيّة يَأْمَنُهَا ولا الجنيّ أصبح يُسْتَتَابُ
١٥ بإذن الله فاشتدّت قَواهُم على مَلَكَيْنِ وَهِيَ لَهُمُ وِثَابُ
١٦ وفيها مِنْ عِبَادِ الله قَوْمٌ مَلَائِكُ ذُلُّوا وَهُمْ صِعَابُ

* * *

(١٥) الوِثَابُ : الفراش ، وهي هنا المقامد ، يعني أن السماء مقامد لللائكة .

* * *

نيل راغب

(٢)

صُورٌ مِنَ الْقَصَصِ الدِّينِيِّ

* * *

في هذه القصيدة يقدم أمية بن أبي الصلت مفهومه للخلق ممزوجا بطائفة من القصص الديني كقصص فرعون وقصة ثمود ، ويبدو أن القصيدة كانت في الأصل طويلة ، وضاعت ، ولم تصل إلينا منها إلا هذه القطع المنفرقة .
المجدُّ لله :

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | تَجَدُّوا اللَّهَ فَهُوَ لِلْجِدِّ أَهْلٌ | رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْعَى قَدِيرًا |
| ٢ | ذَلِكَ الْمُنْشَى الْجِمَارَةَ وَالْمَوْ | تَى وَأَحْيَاهُمْ وَكَانَ قَدِيرًا |
| ٣ | بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ | سَ وَسَوَى فَوْقَ السَّمَاءِ سِيرًا |
| ٤ | شَرَجَمًا لَا يَنَالُهُ بَصَرُ الْعِي | نِ تَرَى دُونَهُ الْمَلَائِكَةُ صُورًا |
| ٥ | هُوَ أَبَدَى مِنْ كُلِّ مَا يَأْتُرُ النَّاسَ | مَنْ أَمَائِلَ بِأَقْبَاتٍ سُفُورًا |
| ٦ | خَلَقَ النَّخْلَ مُصْبِدَاتٍ تَرَاهَا | تَقْصِفُ الْيَابِسَاتِ وَالْيَخْضُورًا |

- (١) المجد هنا : الثناء والتعظيم ، ومجده : عظمه وأثنى عليه .
(٢) المنشى : الخلق أو الباط . وأحياهم : الضمير للوق . والمعنى إما أنه أحياهم قبل موتهم ، وإما أنه سيحييهم بعد موتهم ، وبذلك يكون قد عبر بالماضي عن المستقبل .
(٣) البناء الأعلى : السماء . وسبق الناس : تقدمهم فلم يستطيعوا بناء ما يجاريه ارتفاعا . والسير : العرش ، يريد عرش الله .
(٤) الشرجع : العالى المنيف ، يريد مربر العرش . والصور : مقردها أصورا ، وهو المسائل المتق .
(٥) أثر الحديث يأثره (بضم الثاء وكسرهما) : نقله وحدث به . والأمائيل : مقردها أمثولة ، وهو ما يتمثل به من الأقوال السائرة بين الناس . وسفورا : ظاهرة لا يحجب عليها .
(٦) مصعدات : مرتفعات . وتقصف : هنا : تلتق . واليخضر : الأخضر .

- ٧ والتماسيح والثيائل والإيد (٢) لى شتى والريم واليعفور
٨ وصوارا من النواشط عيناً ونعاماً خواضباً وحجيراً
٩ وأسوداً عوادياً وفؤولا وذئاباً والوحش والحزيراً
١٠ وديوكاً تدعو الغراب إصلح وإوزين أخرجت وصقورا
غرق فرعون :

- ١١ ولفرعون إذ تشاق له الماء ، فهلا لله كان شكورا
١٢ قال : إني أنا الحجير على النسا س ولا رب لى على حجيرا
١٣ فعاه الإله من درجات ناميات ، ولم يكن مقهورا
١٤ سلب الذكر فى الحياة جزاء وأراه العذاب والتدمير
١٥ وتداعى عليهم البحر حتى صار موجاً وراءه مستطيراً

(٧) الثيائل : مفردا ثيئل ، وهو الذكر المسن من الوحول . والإيد : مفردا أيد (بفتح فكسر وتشديد) ، وهو ذكر الأوعال . والريم والريم : الظبي الخالص البياض . واليعفور ، (بفتح الياء وضمة) : الظبي الذى لونه كلون العفر ، وهو التراب .
(٨) الصوار (بكسر الصاد وضمة) : القطيع من البقر الوحش . والنواشط : التى تخرج من أرض إلى أرض للرعى ، والعين : مفردا عيناء ، وهى الواسعة العين ، يريد البقر الوحش . والخواضب : مفردا خاضب ، وهو من النعام ما كان آخر الساقين .
(٩) الإوزين : مفردا إوزة وهو من قادر الجمع . وأشار فى صدر البيت الى أسطورة شرب الديك والغراب عند الخمار .

- (١١) تشاق : انشق واقترج . ولفرعون : متعلقان بمحذوف : « انظر لفرعون » .
(١٢) الدرجات : مفردا درجة : وهى المنزلة . وناميات : عاليات .
(١٤) الذكر : المراد به الذكر الحسن . والضمير فى « لم يكن » لله تعالى .
(١٥) تداعى عليهم : أقبل من كل جانب كأنما يدعو بعضه بعضاً . والضمير فى « عليهم » يعود على فرعون وجنوده . والمستطير : المنتشر .

١٦ فدما الله دعوة لايها بعد طغيانه فصار مشيرا
تيه بني اسرائيل :

١٧ فرأى الله أنهم يمضج لا يذى مززع ولا معمورا
١٨ فسأها عليهم غاديات ومري مزنهم خلأيا وخورا
١٩ عسلا ناطفا وماء فوراتا وحلييا ذا بهجة مثورا
آل فرعون :

٢٠ أرسل الذر والجراد عليهم وسدينا فاهلكتهم ومورا
٢١ ذكر الذر إنه يفعل الشر وإن الجراد كان ثورا
٢٢ ركب بيضة البيات عليهم لم يحسوا منها سواها نذيرا

(١٦) لايها : لا يظفر من دعوته بخير . والمشير : الملوح باليد .

(١٧) المضج : مكان الضياع ، وأراد به الصحراء التي تاهوا فيها . والمزج : مصدر ممي من
زج : أى ليس بلى زرع والمعمور : الأهل بالسكان . والضمير في « أنهم » يعود على بني اسرائيل .
(١٨) نسأها : الها . للسحاب أر النجوم ، أى ساقها عليهم . والغاديات : مفردا غادية ،
وهي السحابة . ومري الناقة : مسح ضرعها لتدر . والمزن : مفردا مزنة ، وهي السحابة ذات المطر .
والخلأيا : مفردا خلأية ، وهي الناقة التي خلأت للحليب لكرمها وغزارة لبنها . والخوارة : الناقة أو الشاة
الغزيرة اللبن .

(١٩) الشير والثيرة : اللبن الذي ظهر زبده وتحبب ، ومنه « المثلثور » بنفس المعنى . الناطف :
القاطر . والفرات : أشد الماء عذرية .

(٢٠) السنين : مفردا سنة ، وهي عند الإطلاق السنة الهجرية . والمور : التراب تنيره الرياح .
وضمير الجمع في البيت يعود على آل فرعون .

(٢١) الثبور : الهلاك .

(٢٢) البيضة هنا : الشدة . والبيات : الامم من قولهم بيت للقسوم ، اذا أوقع بهم ليلا
وأخذهم بفتنة .

نُموذ والنَّاقة :

- ٢٣ كَنُموذ التي تَفَتَّكَت اللَّدي من عَيْتاً وأَمَّ سَقَبٍ عَقِيْرا
 ٢٤ نَاقَةُ لِلإلهِ تَسْرَحُ في الأَر ض وتَنَابُ حَول ماءٍ مَدِيرا
 ٢٥ فَأَتَاها أَحْمِرُ كَأَنَّى السَّهم سم بِعَضْبٍ فَقَالَ كَوْنِي عَقِيْرا
 ٢٦ فَأَبَتْ العُرْقُوبَ والسَّاقَ مِنْها ومَضَى في صَمِيمِهِ مَكْسُورا
 ٢٧ فَرَأَى السَّقْبُ أُمَّهُ فَارَقَتْهُ بَعْدَ إِنْفِ حَنِئَةٍ وَظَلُّوْرا
 ٢٨ فَأَتَى مَخْزَرَةً قَامَ عَلَيْها صَعْقَةٌ في السَّمَاءِ تَعْلُو الصُّخُورا
 ٢٩ فَرَقَا رَغْوَةً فَكَانَتْ عَلَيْهِم رَغْوَةُ السَّقْبِ دُمُورًا تَدْمِيْرا

- (٢٣) تَفَتَّكَتْ هُنَا بِمَعْنَى فَتَكَتْ . وَالْعَقَى . مَجَاوِزَةُ الْحَدِّ فِي التَّكْبَرِ وَالْمَعْصِيَةِ . وَالسَّقْبُ : وَلَدُ النَّاقَةِ .
- (٢٤) مَرَحَتِ الْمَاشِيَةَ : خَرَجَتْ إِلَى الْمَرْعى . وَتَنَابَهَ : تَقَصَّدَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . وَالْمَدِيرُ : الْمَدِيرُ ، وَهُوَ الْحَوْضُ يَسُدُّ مَا بَيْنَ مَجَارِيهِ بِالطِّينِ .
- (٢٥) أَحْمِرُ : تَصْغِيرُ أَحْمَرٍ ، وَهُوَ لَقَبُ قَدَارِ بْنِ سَالِفٍ حَافِرِ النَّاقَةِ . كَأَنَّى السَّهْمِ : أَيُّ سَرِيعِ كَالسَّهْمِ . وَالْعَضْبُ : السِّيفُ الْقَاطِعُ .
- (٢٦) بَنُو أَبِيهِ : فَطَعَهُ قِطْعًا مُسْتَأْصِلًا . وَالْعُرْقُوبُ : مَنْ رَجَلَ الْهَدَايَةَ بِمَنْزِلَةِ الرِّكْبَةِ فِي يَدَيْهَا ، وَهُوَ الْعَصْبُ الَّذِي يَضُمُّ مِلْتَقَ الرَّظْفَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ . وَالصَّمِيمُ : الْعَظْمُ الَّذِي يَهْ قَوَامُ الْعَصْوِ ، كَصَمِيمِ الْوُظُفِ وَصَمِيمِ السَّاقِ .
- (٢٧) الْإِنْفِ كَالْأَلْفَةِ : الصَّدَاقَةُ وَالْمُزَانَسَةُ . وَنَاقَةُ حَنِئَةٍ : حَانِيَّةٌ ، وَهِيَ الْبُرَّةُ بَوْلُهَا . وَالظُّلُورُ : النَّاقَةُ الْمُلَازِمَةُ لَوْلُهَا .
- (٢٨) قَامَ : وَقَفَ . الصَّعْقَةُ : الصَّاعِقَةُ .
- (٢٩) رَغَا الْبَعِيرُ : صَوْتٌ ، وَالرَّغْوَةُ : الْمَرَّةُ مِنَ الرِّقَاءِ .

٣٠. فَأَصِيدُوا إِلَّا الذَّرِيعَةَ فَاتَتْ من جَوَارِيهِمْ وَكَانَتْ جُرُورًا
٣١. سِنْفَةً أُرْسِلَتْ تُخَبِّرُ عَنْهُمْ أَهْلَ قَرْجٍ بِهَا قَدَ امْسَوْا تُغُورًا
٣٢. فَسَقَوْهَا بَعْدَ الْحَدِيثِ فَاتَتْ فَاتَتْ رِيْهَا فَوَاتَتْ حَفِيرًا

* * *

- (٣٠) فاتت : نجت . والجرور ، هنا : المعاندة ، من قولهم يحمل جرور ، وهو الذى لا يتقاد ولا يكاد يتبع صاحبه . والذريعة : امرأة من ثمود يقال إنها هى التى نجت من العذاب الذى نزل بها .
(٣١) السفنة : وعا . كل ثمر ، وأراد ذلك على التشبيه . وقرج : سوق وادى القرى ، وقبل هذه القرية كان هلاك عاد . وغمورا : متفرقين جافلين .
(٣٢) الحفير : القبر . يشير هنا إلى نهاية الذريعة بعد نجاتها من العذاب ، إذ يقال إنها سقيت بعد أن حدثوها بأخبار العذاب ثم راها مسموما فاتت .

* * *

نبيل راغب

(٣)

أصحاب الفيل

* * *

في هذه القصيدة يبلور أمية بن أبي الصلت مفهومه للخلق والكون، ويتحدث عن قدرة الله كما رأى مثلاً لها في قصة أصحاب الفيل :

- ١ إِنْ آيَاتِ رَبِّنَا لَمُنَّاتٌ مَا يُمَارِى فِينِ إِلَّا الْكُفُورُ
- ٢ خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلٌّ مُسْتَيْنٌّ حِسَابُهُ مَقْدُورٌ
- ٣ ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارُ رَبُّ رَحِيمٍ بِمَهَاةٍ شُعَاعُهَا مَنْشُورٌ
- ٤ حَبَسَ الْفِيلَ بِالْمُغَمَّسِ حَتَّى ظِلٌّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورٌ
- ٥ لَازِمًا حَلَقَةَ الْجِرَانِ كَمَا قُطَّ (م) رَمَنَ صَخْرٍ كَبْكَبٍ مَحْدُورٌ

(١) الثَّابِت : المضي . و يمارى : يجادل أو يشك .

(٢) المستين : الواضح الظاهر . المقدور : المقدَّر المحسوب بحساب دقيق .

(٣) المهابة : الشمس . والمنشور : المنتشر .

(٤) المغمس : موضع في طريق الطائف قرب عرفات رُبض فيه الفيل حين جاء به أبرهة ، ومات فيه أبو رغال ، وقبره يرحم هناك ، وكان أبو رغال دليل صاحب الفيل إلى مكة . وحبا : برك فلم يتحرك . والعقر : أن تقطع إحدى قوائم البعير قبل تحرره كيلا يشرد عند النحر .

(٥) الجران : باطن العقب ، فإذا برك البعير ومدى عنقه على الأرض ، قيل ألقى جرانه بالأرض . وقطر : ألقى من علو على قطره ، أى جانبه . وكبكب : جبل بمكة خلف عرفات . والمحدور : الذي ألقى من علو إلى أسفل ، وأراد « حجرا محدورا » فأقام الصفة مكان الموصوف بعد حذفه .

- ٦ حوله من ملوك كندة أبطأ لملايث في الحروب صقور
٧ خلفوه ثم ابدعوا جميعاً كلهم عظم ساقه مكسور
٨ كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفية بسور

- (٦) الملايث : الأشداء ، مفردا ملاث (يفتح الميم) أو ملوث (بكسرهما) .
(٧) ابدعوا : تفرقوا . وفي رواية أخرى « غادره وقد تولوا سراها » .
(٨) البور : الفاسد الحال الذي لا خيري فيه . وفي رواية أخرى « زور » ، والزور : الكذب أو الباطل . ودين الحنيفية : دين إبراهيم عليه السلام .

نبيل راغب

(٤)

مَوْعِظَةٌ دِينِيَّةٌ

* * *

في هذه القصيدة يبرز لنا أمية بن أبي الصلت مفهومه للحياة والموت والجنة والنار ، وفيها يركز على الجانب الأخلاقي والوعظي . وتتردد في بعض أبياتها بعض الصور والعبارات القرآنية ، وكأنها منقولة عن القرآن نقلا ، مما يرجح أن تكون هذه الأبيات منقولة على أمية بعد الإسلام .

- | | |
|--|---|
| ١ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ ، وَالْقُلُوبُ إِلَى الدِّ | لَهُو ، وَحُبُّ الْحَيَاةِ سَائِقُهَا |
| ٢ بَاتَتْ هُمُومِي تَسْرِي طَوَارِقُهَا | أَكُفُّ قَيْسِي وَالدمْعُ سَائِقُهَا |
| ٣ مِمَّا أَتَانِي مِنَ الْيَقِينِ وَلَمْ | أَوْتِ بَرَاءَةً يَقْصُ نَاطِقُهَا |
| ٤ مَا رَغْبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ | عَاشَتْ طَوِيلًا فَالْمَوْتُ لَاحِقُهَا |
| ٥ يَقُودُهَا قَائِدٌ إِلَيْهِ وَيَحْسُدُ | دُودُهَا حَيْثَا إِلَيْهِ قَائِدُهَا |
| ٦ قَدْ أَتَيْتُ أَنَّهَا تَعُودُ كَمَا | كَانَ بَدِئًا بِالْأَمْسِ خَالِقُهَا |
| ٧ وَأَنْ مَا جَمَعَتْ وَأَعْجَبَهَا | مِنْ عَيْشِهَا مَرَّةً مُفَارِقُهَا |

- (١) الوعد : يوم القيامة . و « إلى اللهو » : متعلقان بخبر محذوف ، والتقدير : والقلوب ماضية إلى اللهو .
 (٢) للطوارق : مفرد طاوقة ، وهي التي تأتي ليلا .
 (٣) اليقين : المراد به العلم بالبعث والحساب . والبراءة : المراد بها البراءة ، أي لم يعط براءة تخفف من همومه ، لأنه واحد من الناس ، وعليه ما عليهم يوم الحساب .
 (٤) قوله « كما كان بديا بالأمس خالقها » أي كما كان قد خلقها الله من قبيل الموت .
 وفي القرآن الكريم « كما بدأكم تعودون » (الأعراف ٢٩) ، وفيه أيضا « كما بدأنا أول خلق نعيده » (الأنبياء ١٠٤) .

الجزء الأول

٥٧٥

- ٨ يُوشِكُ مَنْ قَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَاتِهِ يُوَاقِعُهَا
٩ مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا الْمَوْتُ كَأْسٌ وَالْمَرَّةُ ذَائِقُهَا
١٠ تَعَاهَدَتْ هَذِهِ الْقُلُوبُ إِذَا هَمَّتْ بِخَيْرٍ عَاقَتْ عَوَاقِفُهَا
١١ وَصَدَّهَا لِلشَّعَاءِ عَنْ طَلَبِهَا جَنَّةُ دُنْيَا الْإِلَهِ مَاحِقُهَا
١٢ عَبْدٌ دَعَا نَفْسَهُ فَعَاتَبَهَا يَعْلَمُ أَنَّ الْبَصِيرَ رَاقِبُهَا
١٣ أُمٌّ مَنْ تَلْغَى عَلَيْهِ وَاقِدَةُ النَّارِ سَارَ مُحِيطٌ بِهِمْ سَرَادِقُهَا
١٤ أُمٌّ أُسْكِنَ الْجَنَّةَ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ أَبْرَارَ مَصْفُوفَةِ تَمَارِقِهَا
١٥ لَا يَسْتَوِي الْمَسْتَرِلَانِ ثُمَّ وَلَا اللَّهُ أَعْمَالُ لَا تَسْتَوِي طَرَائِقُهَا

(٨) « في بعض غراته » أى في بعض غفلاته هنا .

(٩) مات عبطة : مات شابا .

(١٠) تعاهدت : تحالفت وتعاهدت ، يريد أن ذلك أصبح عادة لها . وعاقبت عواقفها :

أى وفقت العقبات في طريقها .

(١١) بحق الشيء : أبطله وبخاه .

(١٢) الرامق : فاعل من رمقه ببصره ، إذا أتبعه بصره ينظر إليه ويراقبه .

(١٣) المرادق : ما أحاط بالبناء ونحوه . وخبر « من » مخنوف ، والتقدير : أم من يهترق بالنار

ويحيط به العذاب كمن يسكن الجنة ؟ وفي القرآن الكريم « إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها »

(الكهف ٢٩) .

(١٤) النمرقة : الوسادة والجمع تمارق . وفي القرآن الكريم « وتمارق مصفوفة » (الغاشية ١٥) .

(١٥) المنزلان : الجنة والنار . والطرائق : الطرق ، مفردا طريقته .

١٦ هما فريقان : فرقة تدخل الـ جنة حفت بهم حداثتها

١٧ وفرقة منهم قد أدخلت الـ (م) سار فساءتهم مرافقها

* * *

(١٦) حفت : أحاطت . وفي البيت — على هذه الرواية — كسر في الوزن ، وربما يصحح
وزنه أن تستبدل بكلمة « هما » بكلمة « بل » .

(١٧) يروي البيهقي ١٦ ، ١٧ رواية أخرى :

هما فريقان : فاض دخل الـ الجنة حفت به حداثتها

وفرقة في الجحيم مع فرق الشب طاب يسقى بها مرافقها

وهي رواية جيدة ، وإن يكن بها نفس الكسر العروضي .

* * *

نبيل راغب

القسم الثاني

كتاب النشر

(١)

الخطابة

* * *

(أ) الخطابة الاجتماعية

* * *

(١) إصلاح مَرْتَدِ الْخَيْرِ بَيْنَ سُبَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ وَمَيْثَمِ بْنِ مَثُوبٍ :^(*)

كَانَ مَرْتَدُ الْخَيْرِ بْنِ يَنْكَفَ قَيْلًا ، وَكَانَ حَدِيًّا عَلَى عَشِيرَتِهِ ، مَحِبًّا لِصِلَاحِهِمْ ،
وَكَانَ سُبَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَمَيْثَمُ بْنُ مَثُوبٍ بْنُ ذِي رُصَيْنٍ تَنَازَعَا الشَّرَفَ حَتَّى تَشَاحَنَا ،
وَخِيفَ أَنْ يَقَعَ بَيْنَ حَيِيهِمَا شَرٌّ ، فَيَتَفَانِي جَذْمَاهُمَا ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا مَرْتَدُ ،
فَأَحْضَرَهُمَا لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ لَهُمَا :

إِنَّ التَّخَبُّطَ وَامْتِطَاءَ الْمَهْجَاجِ^(٢) ، وَاسْتَحْقَابَ الْجَبَاحِ^(٣) ، سَيَقْفُكَا عَلَى شَفَا هَوَاةٍ^(٦) ،
فِي تَوَرِدِهَا بَوَارُ الْأَصِيلَةِ^(٤) ، وَانْقِطَاعُ الْوَسِيلَةِ^(٥) ، فَتَلَايَا أَمْرًا كَمَا قَبْلَ انْتِكَاثِ الْعَهْدِ ،
وَالْمَحْلَالِ الْعَقْدِ ، وَتَشْنِثِ الْأُلْفَةِ^(٧) ، وَتَبَايِنِ السُّهْمَةِ ، وَأَنْتَمَا فِي فُسْطَةٍ رَافِهِةٍ ، وَقَدَمِ

(*) الأما إلى ١ / ٧٣ .

(١) الجذم : الأصل .

(٢) الهجاج : تمسك الإنسان برأيه والتعصب له .

(٣) استحقب الشيء أي جعله في حقيقته .

(٤) الأصيلة : الأصل .

(٥) التورد : الإشراف على الماء .

(٦) السهبة : القرابة .

(٧) الانتكاث : الانقراض .

واطدة، والمودة مثرية، والبُغْيَا مُعْرِضَةٌ^(١)، فقد عرِقتُم أنباءَ مَنْ كان قبلكم من العرب،
مَنْ عَصَى النَّصِيحَ، وخالف الرشيد، وأصغى إلى التقاطع، ورأيتُم ما آلت إليه
عواقبُ سوءِ مَعِيهِمْ^(٢)، وكيف كان صيُورُ أُمُورِهِمْ^(٣)، فَتَلَّافُوا الْقُرْحَةَ قَبْلَ تَفَاقُمِ^(٤)
الشَّيْءِ، واستفحالِ الداءِ، وإِعْوَاذِ الدَّوَاءِ، فإنه إذا سَفِكَتِ الدَّمَاءُ، استحكمت
الشَّحْنَاءُ^(٥)، وإذا استحكمت الشَّحْنَاءُ تَقْضَبَتْ عُرَى الْإِبْقَاءِ، وَتَبِيلُ الْبَلَاءِ.

فقال سُبَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ :

أيها الملك، إِنْ مَدَاوَةَ بَنِي الْعَلَلَاتِ^(٦)، لَا تُبْرِئُهَا الْأَسَاةُ^(٧)، وَلَا تُشْفِيهَا الرُّفَاةُ،
وَلَا تَسْتَقِيلُ بِهَا الْكُفَّاءُ، وَالْحَسَدُ الْكَامِنُ، هو الدَّاءُ الْبَاطِنُ، وقد علم بنو أَيْمَنَ
هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ رَدُّهُ إِذَا رَهَبُوا^(٨)، وَغَيَّبَتْ إِذَا أُجْدِبُوا، وَعَضَّدَتْ إِذَا حَارَبُوا، وَمَفَزَعَتْ
إِذَا نُكِبُوا، وَأَنَا وَإِيَّاهُمْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

إِذَا مَا عَلَوْا قَالُوا أَبُونَا وَأُمَّنَّا وَلَيْسَ لَهُمْ عَالَيْنَ أُمُّ وَلَا أَبُ

(١) معرضة : ممكنة ، أى أمكنت من ناحيتها .

(٢) صيُور : عاقبة .

(٣) القرحة : الجرح .

(٤) الشئ : الإفساد والجراح والقتل ونحوه .

(٥) تقضبت : تقطعت .

(٦) العلة : القرحة ، وبنو العلات هم بنو أمهات شتى من رجل واحد .

(٧) الأساة : الأطباء جمع آس .

(٨) رده : عون وحمية .

فقال ميثم بن مَثُوب :

أيها الملك ، إن مَنْ تَقَسَّ على ابن أخيه الزَّحامة ، وجَدَّبه في المقامة ^(٢) ،
واستكثر له قليل الكرامة ^(٣) ، كان قَرِفاً بالملامة ، ومُؤنباً على ترك الاستقامة ، وإنا
واققه ما نَعْتَدُ لهم بَيْدٍ إلا وقد نالهم منّا كِفَاؤُها ، ولا نَدُكُّ لهم حَسَنَةً إلا وقد
تَطَّلَعْنَا إليهم جَزَاؤُها ، ولا يَتَفَيَّأُ لهم علينا ظِلُّ نِعْمَةٍ إلا وقد قُوِّلُوا بِشَرِّها ^(٤) ،
ونحن بنو خَلِيلٍ مَقْرَمٍ ^(٥) ، لم تَقْعُدْ بنا الأمهات ولا بهم ، ولم تَتَرَعَّنَا أعرافُ السَّوءِ
ولا إياهم . فَعَلَّامٌ مَطَّ الحسدود ، ونَزَرُ العيَون ^(٦) والجُحيف ^(٧) والتَّصَعَّر ^(٧) ، والبَّأؤُ
والتَّكْبُرُ ؟ أَلِكَثْرَةِ عدد ، أم لِفَضْلِ جَلَدٍ ، أم لَطُولِ مُعْتَقِدٍ ^(٨) ، وإنا وإياهم لَكَا
قال الأول :

لَا إِبْنَ عَمِّكَ ، لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ عَنِّي ، وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي ^(٩)
ومقاطع الأمور ثلاثة : حَرْبٌ مَيِّرَةٌ ^(١٠) ، أَوْ سَلْمٌ قَرِيرَةٌ ، أَوْ مَدَاجَاةٌ وَغَفِيرَةٌ ^(١١) .

(١) جدبه : عابه .

(٢) المقامة : المجلس .

(٣) قرفا : خليفا .

(٤) شرواها : مثلها .

(٥) مكرم : سيد .

(٦) نزر العيون : النظر بمؤثر العين .

(٧) الجحيف : التكبر وكذلك البأؤ .

(٨) اعتقد مالا أوضيعة : اقتناهما .

(٩) الديان : القائم بالأمر . تخزونى : تسوسنى .

(١٠) ميرة : مهلكة .

(١١) مداجاة وغفيرة : مساترة وغفران .

فقال مرثد الخخير :

لَا تُنْشِطُوا عَقْلَ الشَّوَارِدِ ، وَلَا تُلْقُوا الْعُونَ الْقَوَاعِدَ ، وَلَا تُؤَرِّثُوا نِيرَانَ
الْأَحْقَادِ ، ففِيهَا الْمُتَلَفَةُ الْمُسْتَأْصَلَةُ ، وَالْجَائِحَةُ وَالْأَلِيلَةُ ، وَعَفْوًا بِالْحِلْمِ ، أَبْلَادُ^(٥)
الْكَلَمِ ، وَأَنْيَبُوا إِلَى السَّبِيلِ الْأَرْشَدِ ، وَالْمَنْهَجِ الْأَقْصَدِ ، فَإِنْ الْحَرْبُ تُقْبِلُ بِزُرُجِ^(٦)
الْغُرُورِ ، وَتُذِيرُ بِالْوَيْلِ وَالشُّبُورِ . ثُمَّ قَالَ :

أَلَا هَلْ أَتَى الْأَقْوَامَ بِذُلٍّ نَصِيبُهُ	حَبِثَتْ بِهَا مِنْ سُبُحَةٍ وَمِيمًا
وَقَاتِ اعْلَمُوا أَنَّ التَّدَابُرَ غَادَرَتْ	عَوَاقِبُهُ لِلذِّلِّ وَالْقُلُّ جُرْهُمَا
فَلَا تَقْدَحَا زَنْدَ الْعَقُوقِ وَأَبْقِيَا	عَلَى الْعِزَّةِ الْقَعَسَاءِ أَنْ تَهْدَمَا
وَلَا تَجْنِيَا حَرْبًا تَجْرُ عَلَيْهِمَا	عَوَاقِبُهَا يَوْمًا مِنَ الشَّرِّ أَشَامًا
فَإِنْ جُنَاةَ الْحَرْبِ لِلْحَيْنِ عُرْضَةٌ	تَفُوقُهُمْ مِنْهَا الذُّعَافُ الْمُقْشَمُ ^(٧)
حَذَارٍ فَلَا تَسْتَنْبِثُوهَا ، فَإِنَّهَا	تَفَادِرُذَا الْأَنْفِ الْأَشْمُ مَكْشَمًا ^(٨)

(١) أنشط المقدمة : حلها . والعقل : جمع عقول وهو الحبل .

(٢) العون : جمع حوان وهو الثيب . يقال لحرب حوان إذا كان قوتل فيها مرة بعد مرة .

(٣) تؤرثوا : تذكروا وتعلموا .

(٤) الجائحة : المستأصلة . الأليلة : النكل .

(٥) أبلاد : آثار جمع بلد .

(٦) الزرج : السحاب الذي تسفره الرياح .

(٧) تفوقهم : تسقيهم الفواق : وهو ما بين الحلبتين . الذعاف : اللحم . المقشم : المخلوط .

(٨) لا تستنبثوها : لا تخرجوا نبيثتها وهو ما يخرج من البئر إذا حفرت . يريد : لا تثيروا

الحرب . مكشما : مقطوعا .

فقالا : لا ، أيها الملك ، بل تقبل نصحتك ، ونطيع أمرك ، ونطفيء النائرة ،^(١)
ونحل الضغائن ، ونشوب إلى السلم .

* * *

(٢) ما تخاطب به المنذر بن النعمان الأكبر وعامر بن جوين
الطائي :

وقد عامر بن جوين الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر جد النعمان بن المنذر ،
وذلك بعد انقضاء ملك كندة ، ورجوع الملك إلى نخم ، وكان عامر بن جوين
قد أجاز امرأ القيس بن حُجْرًا أيام كان مقيمًا بأرض طيء بين الجبلين أجا وسلمى ،
وقال قصيدته التي يقول فيها :

هنالك لا أعطى مليكا ضلالةً ولا سوقةً حتى يشوب ابن مندله^(٢)
وكان المنذر ضغنًا عليه ، فلما دخل عليه قال له : يا عام ، أساء مشوى آثويته^(٣)
ربك وثوبك ، حين حاولت إصبياء طلتته^(٤) ، ومخالفته إلى عشيرته ، أما والله لو كنت
كريمًا لآثويته مكرمًا موقرًا ، ولجأ بئته مسلمًا . فقال له : أبيت اللعن ، لقد^(٥)
علمت أبناء أدد إني لأعزها جارا ، وأكرمها جوارا ، وأمنعها دارا . ولقد أقام^(٦)

(١) النائرة : العداوة والشحناء .

(٢) ابن مندله : رجل من سادات العرب ، يقال أنه استاق مال حبر بن الحارث والده امرئ
القيس وأخذ امرأته « هند الهنود » وهرب بها إلى الشام ، غير أن حبرا استطاع أن يناله ويقتله
ويقتل امرأته أيضا .

(٣) ثوى المكان وبه : نزل ، وأنواء : أضافه . والثوى هنا : الضيف .

(٤) الطلة : العجوز ، وصبا الرجل : مال إلى الجهل والفتنة ، وأصبته المرأة : والمراد حاولت
رد هذه السالف إليه .

(٥) أبيت اللعن : تحية جماعية أى أبيت أن أتاقى ما تظن به .

(٦) أبناء أدد : هم قبائل مذحج وطيء والأشعر .

وأفرا ، وزال شاكرا : فقال له المنذر : يا عام ، وإنك لتخال هَضَبَاتَ أَجَا ذات
 الْوَبَارِ ، وَأَفْنِيَاتِ سَلَمَى ذاتِ الْأَغْفَارِ ، مَا نَعَاتِكَ مِنَ الْمَجَرِّ الْحَرَّارِ ، ذِي الْعَدَدِ
 الْكُثَارِ وَالْحُصْنِ وَالْمَهَارِ ، وَالرَّامِحِ الْحَرَّارِ ، وَكُلِّ مَاضِي الْغَرَارِ ، يَبِيدُ كُلَّ
 مِسْعَرٍ كَرِيمٍ النَّجَارِ ؟ قَالَ عَامِرٌ : أُبَيَّتَ اللَّعْنُ ، إِنْ بَيْنَ تِلْكَ الْمُضَيَّاتِ
 وَالرَّعَانِ ، وَالشَّعَابِ وَالْمُضْدَانِ ، لَفَتَانَا أَبْطَالَا ، وَكَهْمُولَا أَزْوَالَا ، يَضْرِبُونَ
 الْقَوَانِسَ ، وَيَسْتَرْزِلُونَ الْفَوَارِسَ ، بِالرَّامِحِ الْمَدَاعِيسِ ، لَمْ يَتَّبِعُوا الرِّعَاءَ ، وَلَمْ تُرَشِّحْهُمْ
 الْإِمَاءُ ، فَقَالَ الْمَلِكُ : يَا عَامِ ، لَوْ قَدْ تَجَاوَبْتَ الْخَيْلَ فِي تِلْكَ الشَّعَابِ صَهِيلَا ،
 كَانَتْ الْأَصْوَاتُ قَعْقَعَةً وَصَلِيلَا ، وَقَفَرَ الْمَوْتُ ، وَأَعْجَزَ الْقَوْتُ ، فَتَقَارَشَتْ

- (١) الْوَبَارُ : شجرة حامضة شائكة .
- (٢) الْأَغْفَارُ : جمع غفر ، والفقر بالتحريك : صفار الكلاب .
- (٣) الْمَجَرُّ : الجيش العظيم .
- (٤) الْحُصْنُ : جمع حصان ، والمهر : جمع مهر وهو ولد الفرس .
- (٥) الْحَرَّارُ وَالْأَحْرَارُ : جمع حر وهو خيار كل شيء .
- (٦) الْغَرَارُ : حد الرمح والمهم والسيف .
- (٧) يُقَالُ : مِسْعَرٌ حَرْبٌ أَيْ مَوْقِدٌ نَارُهَا كَأَنَّهُ آلَةٌ لِإِيقَادِ الْحَرْبِ . وَالنَّجَارُ : الْأَصْلُ .
- (٨) الزَّمَانُ : جمع زمن (كشمس) وهو أنف يتقدم الجبل .
- (٩) الْمُضْدَانُ : جمع مصد وهو الهضبة العالية .
- (١٠) أَزْوَالُ : جمع زول وهو الشجاع .
- (١١) الْقَوَانِسُ : جمع قونس (كجفندر) والقونوس والقونوس : أهل بيضة الحديد .
- (١٢) الْمَدَاعِيسُ : جمع مدعس وهو الرمح الذي لا ينثني .
- (١٣) الرِّعَاءُ ، هُمُ الرِّعَاءُ : جمع راع .
- (١٤) التَّرْشِيعُ : التربيعة .
- (١٥) الْقَعْقَعَةُ : صوت السلاح .
- (١٦) قَفَرَ الْمَوْتُ قَاهُ : فتنه .

(١) الرماح ، وحى السلاح ، لَتَسَاقَى قَوْمُكَ كَأَسَا لاصحو بعدها ، فقال : مهلا أبيت
 اللعن : إن شرابنا وبيل ، وَحَدَّثَنَا أَلَيْلٌ ، وَمَعَجَمَنَا صَلِيبٌ ، وَلِقَاءَنَا مَهِيْبٌ .
 فقال له : يا عام ، إنه لقليلٌ بقاء الصخرة الصَّراء ، على وَقَعِ المَلَاطِيسُ ، فقال :
 أبيت اللعن ، إن صَفَاتِنَا عِبْرُ المَرَادِيسِ ، فقال : لَا وَفِظَن قَوْمِكَ مِنْ سِتَةِ الغفلة ،
 ثم لَا عَقِيبَهُمْ بعدها رعدة لَا يَهْبُ راقدها ، وَلَا يَسْتَبْقِظُ هَاجِدُهَا ، فقال له عامر :
 إِن الْبَغْيَ أَبَادَ عَمْرًا ، وَصَرَعَ نُجُورًا ، وَكَانَا أَعَزَّ مِنْكَ سُلْطَانًا ، وَأَعْظَمَ شَانًا ، وَإِنْ
 لَقِينَا لَمْ تَلَقِ أَنْكَاسًا وَلَا أَغْسَاسًا ، فَهَبْشِ وَضَائِعَكَ وَصَنَائِعَكَ ، وَهَلُمَّ إِذَا بَدَأَ لَكَ ،
 فنحن الأئى قَسَطُوا عَلَى الْأَمْلَاقِ قَبْلَكَ . ثم أتى راحلته فركبها وأتسأ يقول :

(١) تقارشت الرماح : تداخات في الحرب .

(٢) أليل : محدد ، الله تأليلا ، حدده .

(٣) المعجم : العود الصلب .

(٤) الصخرة الصراء ؛ السماء .

(٥) الملطس : (كنبز) ، والملطاس : المورل الغليظ لكسر الحجارة .

(٦) الصفاة : الحجر الصلب الضخم . والمراديس : جمع مرداس وهو شئ صلب عريض تدك به الأرض . ومعنى العبارة أن صفاتنا تحتل ذلك المراديس فلا نخطم تحتها . كناية عن شدتهم وصلابتهم .

(٧) عمرو : يقصد عمرو بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة .

(٨) حجرين الحادث : والد امرئ القيس .

(٩) الأنكاس : جمع نكس وهو الضميف . والأغساس : جمع غس بالضم وهو الضميف أيضا .

(١٠) هبش : جمع . الوضائع : جمع وضعية وهي أثقال القوم وما يأخذها السلطان من الخراج والعشور . والصنائع : جمع صنعة . يقال هو صنعة فلان إذا إصطنعه وأدبه . والمعنى : فتجهز للحرب ، واجمع الأموال اللازمة لذلك ، واحشد رجالك المدربين على القتال .

(١) تُزِيدُ عَلَى تَحْمِزِ الثَّقَافِ تَصَبُّبًا	تَعْلَمُ - أَيْتَ اللَّعْنِ - أَنْ قَنَاتَنَا
(٢) رَوَيْدُكَ بَرْقًا، لَا أَبَا لَكَ، خُلْبًا	أَتَوَعِدُنَا بِالْحَرْبِ؟ أَمْ لَكَ هَابِلٌ
(٣) وَحَامَتِ رِجَالُ الْغَوْثِ دُونِي تَحْدُبًا	إِذَا خَطَرْتُ دُونِي جَدِيلُهُ بِالْقَنَا
(٤) تَسُوقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَنْحَرَجَ أَكْهَبًا	أَيْتُ الَّتِي تَهْوَى، وَأَعْطَيْتُكَ الَّتِي
(٥) رِجَالًا يُذِيلُونَ الْحَدِيدَ الْمُعْقِرَا	فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَارَنَا فَأَتِ تَعْتَرِفْ
(٦) رَأَيْتُ لَمْ يَجْمَعَا كَثِيفًا وَكَوْكَبًا	وَالنَّاسُ لَوْ أَبْصَرْتَهُمْ فِي مَجَالِهِمْ
(٧) وَمَلَّهِيَ بِأَكْنَافِ السَّيْدِيرِ وَمَشْرِبَا	وَذَكَرَكَ الْعَيْشَ الرَّخِيَّ جَلَادُهُمْ
(٨) تُحَكِّمُ فِيكَ الزَّاعِيَّ الْمُحْرَبَا	فَاقْضِ عَلَى غَيْظٍ وَلَا تَرْمِ الَّتِي

* * *

(٣) من خطب العرب أمام كسرى مفاخرين بأنفسهم وبألسنتهم :
قال أكتهم بن صيفي :

إِنْ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءَ أَمَالِيهَا ، وَأَعْلَى الرِّجَالِ مَلُوكُهَا ، وَأَفْضَلَ الْمُلُوكِ أَعْمَهَا
تَقَعًا ، وَخَيْرَ الْأَزْمَنَةِ أَخْصَبُهَا ، وَأَفْضَلَ الْخُطْبَاءِ أَصْدَقُهَا ، الصَّدْقُ مَنَاجَاةٌ ،

- (١) الثَّقَافُ : آلهة كانت تسمى بها الرماح .
- (٢) هَيْلَةُ أُمِّهِ : فَقْدَتُهُ . الْبَرْقُ الْخَلْبُ : الْمَطْمَعُ الْخُلْفُ .
- (٣) خَطَرُ الرَّجُلِ سَيْفُهُ وَرُمَحُهُ ، رَفَعَهُ مِرَّةً وَوَضَعَهُ أُخْرَى . وَجَدِيلَةُ الْغَوْثِ فِرْعَانُ مِنْ قَبِيلَةِ طِيٍّ . وَتَحْدُبُ عَلَيْهِ : تَهْتَطِفُ بِهِ .
- (٤) الْخُرْجُ (كَسْبٌ) لَوْنَانٌ مِنْ بَيَاضٍ وَسَوَادٍ . وَالْكَهْمَةُ : الدَّهْمَةُ أَوِ السَّوَادُ .
- (٥) أَزْدَارُهُ : زَارُهُ . أَذَالَ الثُّوبَ : أَطَالَهُ . الْحَدِيدُ : الدَّرُوعُ . شَيْءٌ مُعْقَرٌ : أَيْ مُعْوَجٌ مُعْطُوفٌ ، يُرِيدُ أَنَّهَا دُرُوعٌ مُزْرُودَةٌ .
- (٦) الْكَوْكَبَةُ : الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ أَوِ الْخَبِيلُ .
- (٧) السَّيْدِيرُ وَالْخُورَنَقُ : قَصْرَانِ بَنَاهُمَا الْمَلِكُ الذَّنْمَانُ الْأَكْبَرُ بِالْحِيرَةِ ..
- (٨) الرِّجْ الزَّاعِي : هُوَ الَّذِي إِذَا هَزَّ كَأَنَّهُ يَجْرِي فِي بَعْضِ اللَّيْلِ . وَالْمُحْرَبُ : الْمُحَدَّدُ .

والكذب مهواة^(١) ، والشرب لحاجة^(٢) ، والحزم مر كَب صَعْب ، والعجز مر كَب وَطِيء ، آفة الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عَصَمَةٌ ، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعي ، من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من خافه البريء ، المرء يعجز لا المحالة^(٣) ، أفضل الأولاد البررة ، خير الأعوان من لم يرأ بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته ، يكفيك من الزاد ما بلغك المحل ، حسبك من شر مماعه ، الصمت حكم وقليل فاعله^(٤) ، البلاغة الإيجاز ، من شدد نقر ، ومن تراخى تألف .

فتعجب كسرى من كلامه وقال : ويحك يا أكنم ما أحكمك وأوثق كلامك ! لولا وضعك كلامك في غير موضعه . قال أكنم : الصدق ينبيء عنك لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكنم : رب قول ، أهدد من صول .

ثم قال حاجب بن زرارة التميمي :

وَرَى زَنْدُكَ^(٥) ، وَعَلَتْ يَدُكَ ، وَهَيْبَ سُلْطَانُكَ ، إِنْ الْعَرَبَ أُمَةٌ قَدْ ظَلَمْتَ أَكْبَادَهَا ، وَاسْتَحْصَدْتَ مِرَّتَهَا^(٦) ، وَمُنِعْتَ دِرَّتَهَا^(٧) ، وَهِيَ لَكَ وَامِقَةٌ مَا تَأَلَّفَهَا ،

(١) الحاجة : تماحك التخصيص وتماديها .

(٢) الهالة : الحيلة .

(٣) الحكم : الحكمة (وآتياء الحكم صهيًا) .

(٤) الموج : الزحمة ، والويل : العذاب .

(٥) ورى الزند : شروج لئارمنه ، وهو حجران يحك أحدهما بالآخر .

(٦) استحصد الحبل : استحكم شدة .

(٧) الدرة : اللين .

مُسْتَرَسِلَةً مَا لَيْتَهَا ، سَامِعَةً مَا سَاحَتْهَا ، وَهِيَ الْعَلَقَمُ مَرَّارَةً ، وَالصَّبَابُ غَضَاضَةً ^(١) ،
وَالْعَسَلُ حَلَاوَةً ، وَالْمَاءُ الزَّلَالُ سَلَاسَةً ، نَحْنُ وَفُودُهَا إِلَيْكَ ، وَالسِّتْمُ لَدَيْكَ ،
ذِمَّتُنَا مَحْفُوظَةٌ ، وَأَحْسَابُنَا مَمْنُوعَةٌ ، وَعِشَائِرُنَا فِينَا سَامِعَةٌ مُطِيعَةٌ ، إِنْ نُوْبُ لَكَ
عَامِلِينَ خَيْرًا ، فَلَكَ بِذَلِكَ عَمُومٌ مَحْمَدِيْنَا ، وَإِنْ نَذَمْنَا فَلَمْ يُخَصَّ بِالذَّمِّ دُونَهَا .

وقال الحارث بن عباد البكري :

دَامَتْ لَكَ الْمَلَكَةُ بِاسْتِكَالٍ حَزِيلٍ حَظَّهَا ، وَعُلُوِّ سَنَائِهَا ، مِنْ طَالٍ رِشَاؤُهُ كَثُرَ ^(٢)
مَتْنَعُهُ ، وَمِنْ ذَهَبٍ مَالُهُ قَلَّ مَتْنَعُهُ ، تَنَاقُلُ الْأَقَاوِيلِ يُعَرِّفُ اللَّبَّ ، وَهَذَا مَقَامُ ^(٣)
سُيُوجِفٍ بِمَا يَنْطِقُ بِهِ الرَّكْبُ ، وَتَعْرِفُ بِهِ كُنْهَ حَالِهِ الْعَجْمِ وَالْعَرَبِ ، وَنَحْنُ
جِيرَانُكَ الْأَدْنَوْنَ ، وَأَعْوَانُكَ الْمَعِينُونَ ، خِيُولُنَا بِحِمَّةٍ ، وَجِيوشُنَا بِخِمَّةٍ ، إِنْ
اسْتَنْجَدْتَنَا فَنُغِيرُ رِيضَ ^(٤) ، وَإِنْ اسْتَطَرَقْتَنَا فَنُغِيرُ جُحْضَ ^(٥) ، وَإِنْ طَلَبْتَنَا فَنُغِيرُ غَمَضَ ^(٦) ،
لَا تَنْتَفِي لُدُغِيرٍ ، وَلَا تَنْتَكِرْ لُدْغِيرٍ ، رَمَاحُنَا طَوَالٍ ، وَأَعْمَارُنَا قِصَارَ .

قال كسرى : أَنْفُسُ عَزِيزَةٍ ، وَأَمَةٌ ضَعِيفَةٍ . قال الحارث : أَيُّهَا الْمَلِكُ ،
وَأَنَا بِكَ لَضَعِيفٌ عِزَّةً ، أَوْ لَضَعِيفٌ مِرَّةً .

(١) الصَّبَابُ : شَجَرٌ مَر .

(٢) الرِّشَاءُ : الْحَبِيلُ .

(٣) الْمَتْنَعُ : تَرْجُ الْمَاءِ مِنَ الْبَيْتِ .

(٤) وَجْفُ الْبَعِيرِ وَالْفَرَسِ إِذَا عَدَا ، وَأَوْجَفْتُهُ : أَعْدَيْتُهُ .

(٥) رَجُلٌ رِيضٌ عَنْ الْحَاجَاتِ لَا يَتَهَضُّ فِيهَا .

(٦) اسْتَطَرَقَهُ لَخْلَا : طَلَبَهُ مِنْهُ لِيَضْرِبَ فِي إِلَهٍ ، هَذَا هُوَ الْأَمَلُ ، وَالْمُرَادُ اسْتَعْنَتْ بِتَا .

(٧) أَجْهَضْتُ النَّاقَةَ وَالْمَرْأَةَ وَلَدَهَا : أَسْقَطْتُ نَاقِسَ الْخَلْقِ .

(٨) غَيْرُ غَمَضٍ : غَيْرُ نَاقِمِينَ مِنْ نَصْرَتِكَ .

قال كسرى : لو قُصِرَ عُمرُكَ ، لم تستول على لسانك تَفْسُكَ . قال الحارث :
أيها الملك ، إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتيبة مَغْرَرًا بنفسه على الموت ،
فهى مَنِيَّةٌ استقبلها ، وِجَنَانٌ استدبرها ، والعرب تعلم أنى أجهت الحرب قُدَمًا ،
وأحبسها وهى تَصَرَّفُ بها ، حتى إذا جاشت نَارُها ، وسَعَرَت لظاها ، وكشفت
عن ساقها ، جعلتُ مقادها رَمْحى ، وبرقها سِيفى ، وورعها زِميرى ، ولم أقصّر
عن خوض خَضَخَاضِها ، حتى أنغمس فى غَمَرَاتِ لَحِيحِها ، وأكون فلِكَا لفرسانى^(١)
إلى مَجْبُوحَةٍ كَبِشِها ، فاستَطَرَّها دَمًا ، وأترك حُماتها جَزَرَ السَّيَّاحِ وكلَّ نَسِيرٍ قَشَعَمِ^(٢) .
قال كسرى لمن حضره من العرب أكذلك هو ؟ قالوا : فعاله أنطق من
لسانه . قال كسرى : ما رأيت كالיום وفدا أحشد ، ولا شهودا أوفد .

وقال خالد بن جعفر الكلابى :

أحضر الله الملك إسماعدا ، وأرشده إرشادا ، إن لِكُلِّ منطقٍ فُرْصَةً ، ولكل حاجةٍ
غُصَّةٌ ، وعِىُّ المنطق أشدُّ من عِىِّ السُّكُوتِ ، وعِثَارُ القَوْلِ أنكَأ^(٣) من عِثَارِ الوَعْتِ^(٤) ،
وما فُرْصَةُ المنطقِ عندنا إلا بما تهوى ، وغُصَّةُ المنطقِ بما لا نهوى غير مُستَسَاغَةٍ ،
وتركى ما أعلم من نفسى ، ويعلم من سمعى أننى له مطيق ، أحبُّ إلىَّ من تكلفى

(١) الخَضَخَاضُ : نفض أسود رقيق تنأيه الإبل الجرب . والخَضَخَاضُ : كثير الماء .

(٢) الكَبِشُ : سيد القوم رقائدهم .

(٣) جزرا : أى قطعا .

(٤) القَشَعَمُ : المَسَن .

(٥) نَكَأَ المدرونكاه نكاية : قتل وجرح ، وأنكَأَ : أشد نكاية ونهزا .

(٦) الوَعْتُ : المكان السهل الدهس تنبيب فيه الأقدام .

ما اتَّخَوْفُ وَيَتَّخَوْفُ مِنِّي ، وقد أوفدنا إليك ملكنا النعمان ، وهو من خير الأعوان ،
ونعم حاملُ المعروف والإحسان ، أُنْفُسُنَا بالطاعةِ لك بِأَخِيعةٍ^(١) ، ورقابنا بالنصيحةِ
خاضعةٌ ، وأيدينا لك بالوفاء رهينة .

قال كسرى : نطقت بعقل ، وسمرت بِفَضْلٍ ، وطوت بِنُبُلٍ .

وقال علقمة بن علاثة العامري :

نَهَجْتَ^(٢) لَكَ سَبِيلُ الرِّشَادِ ، وخضعتُ لك رِقَابُ العِبَادِ ، إن للأقويل مناهج ،
وللآراء مَوَالِجَ^(٣) ، وللعويص مخارج ، وخير القول أَصْدُقُهُ ، وأفضلُ الطَّلَبِ أَنْجَحُهُ ،
إِنا وإن كانت المحبة أحضرتنا ، والوفادة قَرَّبَتْنَا ، فليس من حَضَرَ مِنَّا بأفضلَ مِن
عَرَبِ عَنكَ ، بل لو قِسَّتْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، وعلمت منهم ما علمنا ، لوجدتَ له
في آثائه دنيا ، أندادا وأكفاء ، كلهم إلى الفضل مَسُوبٌ ، وبالشرف والسُّودُودِ
موصوف ، وبالرأى الفاضل والأدب النافذ معروف ، يحمي حماه ، ويروى نداماه ،
ويذود أعداه ، لا تخمد ناره ، ولا يَحْتَرِزُ مِنْهُ جَارُهُ . أيها الملك : من يَبُلُّ العرب
يعرف فضلهم ، قاصِطِنِعِ العرب ، فإنها الجبالُ الرواسي عِزًّا ، والبحورُ الزواهر
طُمِيًّا^(٤) ، والنجوم الزواهر شرفا ، والحصى عددا ، فإن تعرّف لهم فضلهم يُعْزُوكَ ،
وإن تستصرخهم^(٥) لا يَخْذُلُوكَ .

(١) يخضع بالحق : أقربه وخضع له .

(٢) نهجت : وضعت .

(٣) موالج : مداخل جمع موالج .

(٤) طميا : طمى الماء بطنى طميا : علا .

(٥) تستصرخهم : تستنجد بهم .

الجزء الأول

٥٩١

قال كسرى ، وخشى أن يأتى منه كلام يحمله على السخط به : حسبك ، أبلغت وأحسنت .

وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

إنما المرء وأصغريه : قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجعة^(١) الارتداد ، وغفوة الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة ، فأجئنا طاعتنا بلفظك ، واكتنظم بادرنا بجهلك ، وألن لنا كنفك تسلس لك قيادنا ، فإنا أناس لم يؤقس صفاتنا قراع منابر^(٢) من أراد لنا قضمًا ، ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضمًا .

* * *

(٤) خطباء العرب تُعزى سلامة ذا فائس في ابن له مات :

خطبة الملبب بن صوف :

أيها الملك ، إن الدنيا تجود لتسلب ، وتُعطي لتأخذ ، وتجمع لتشتت ، وتُحلى ليتميم ، وتزرع الأحران في القلوب ، بما تفجأ به من استرداد الموهوب ، وكل مصيبة تحطأتك جلال^(٣) ، ما لم تدن الأجل ، وتقطع الأمل . وإن حادثنا ألم بك ، فاستبد بأفلك^(٤) ، وصفح عن أكثرك ، لمن أجل النعم عليك ، وقد تناهت إليك

(١) النجعة : طلب الكلأ في موضعه .

(٢) اجنبد : اجتذب .

(٣) الرقس وانتشار الجرب في البدن . والثوبيس : الإجراب .

(٤) الصفاة : الجبر الأملس .

(٥) منابر : جمع منقار ، وهو حديدة كالقلم ينقر بها .

(٦) الجلل : العظام والحفر ، واللفظ هنا بالمعنى الثاني .

(٧) استبد : البدة بالضم : النصيب ، واستبد به : جعله نصيبه .

أنبياء من رُزى فَصَبِرَ وَأُصِيبَ فَأَغْتَفَرَ ، إذا كان شَوَى^(١) فيما يَرْتَقِبُ وَيُحْدَرُ ،
فاستشعر اليأس مما فات ، إذا كان ارتجاعه مُتَمَتِّعًا ، ومرامه مُسْتَصْعَبًا ، فلهيء
ما ضربت الأُمى ، وفزع أولى الألباب إلى حسن العزاء .

خطبة جَعَادَةَ بن أفلح :

أيها الملك ، لا تُشعِرْ قلبك الجزع على ما فات ، فَيَغْفَلَ^(٢) ذَهْنُكَ عن الاستعداد .
لما يَأْتِي ، وَنَاضِلْ عَوَارِضَ الْحَزَنِ بِالْأَنْفَةِ^(٣) عَنْ مُضَاهَاةِ أَفْعَالِ أَهْلِ وَهَى الْعُقُولِ ،
فإن العزاء لِحُزْمَاءِ الرِّجَالِ ، وَالْجَزَعُ لِرَبَّاتِ الْجِمَالِ^(٤) ، ولو كان الجزع يَرُدُّ فائِئًا ،
أَوْ يُجِي تَالِفًا ، لكان فعلا دينيًا ، فكيف وهو مُجَانِبٌ لِأَخْلَاقِ ذَوِي الْأَلْبَابِ .
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ عما يَتَهافت فيه الأَرْدَلُونَ ، وَصُنْ قَدْرَكَ عما يركبه
المُخْسِمُونَ ، وَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ أَنْ طَعْمَكَ فِيمَا اسْتَبَدَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، ضِلَّةٌ كَأَحْلَامِ
النِّسَامِ .

* * *

(٥) أَكْثَمُ بن صَيْفِيٍّ يَعْزِي ملك الحيرة عمرو بن هند عن أخيه :
إن أهل هذه الدار سَفَرٌ لَا يَحْلُونَ عقد الرِّحال إلا في غيرها ، وقد أُنَاكَ ما ليس
بمردودٍ عنك ، وارتحل عنك ما ليس برافع إليك ، وأقام معك من سِيْظُنْ^(٥) عنك

(١) الشوى : الهين اليسير ورذال المال .

(٢) مضاهاة : مشاكلة .

(٣) وهى : ضعف .

(٤) الجمال : جمع بحلة (بفتحين) وهى القبة ، وموضع يزين بالسُتُور والثياب العروس .

(٥) يظن : يرحل .

ويدمك . واعلم أن الدنيا ثلاثة أيام : فأمس عظة ، وشاهد عدل ، بفحسك
بنفسه ، وأبق لك وطيك حكته ، واليوم غنيمة ، وصديق أذاك ولم تأته ،
طالت عليك غيبته ، وستسرع عنك رحلته ، وغد لا تدرى من أهله ، وسيأتيك
إن وجدك . فما أحسن الشكر للنعم ، والتسليم للقادر ، وقد مضت لنا أصول نحن
فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها ؟ وأعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف
منها ، وخير من الخير مُعْطِيه ، وشر من الشر فاعله .

* * *

(٦) خطبة أبي طالب في زواج الرسول صلى الله عليه وسلم
بالسيدة خديجة :

الحمد لله الذى جعلنا من زرع ابراهيم ، وذرية اسماعيل ، وجعل لنا بلدا
حراما ، وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن محمد بن عبد الله
ابن أمى من لا يوازن به قى من قريش إلا رجح عليه : برا وقضلا ، وكما وعقلا ،
ومجدا ونُبلا ، وإن كان في المال قل ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مُسْتَرْجَعَة .
وله في خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق
فَعَلَى .

* * *

(٧) خطبة هانىء بن قبيصة الشيباني يحرض قومه يوم ذى قار :
يا معشر بكر ، هالك معذور ، خير من تاج قور ، إن الحذر لا يُنجي من القدر ،
وإن الصبر من أسباب الظفر ، والمنية ولا الدنية ، استقبال الموت خير من
استدباره ، الطعن في ثغر النحور ، أكرم منه في الانتجاز والظهور ، يا آل بكر ، فاتلوا
فما لنا يا من بد .

* * *

(ب) الخطابة الدينية وسجع الكهان

* * *

(١) قُسُّ بن ساعدة الإيادي يَحْطُبُ في سوق عُكَاظ :

أيها الناس : اسمعوا وعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو
آت آت ، ليلٌ داج^(١) ، ونهارٌ مساج^(٢) ، وسماءٌ ذاتُ أبراج ، ونجومٌ تزهر ، وبحار
تزهر ، وجبالٌ مرساة^(٣) ، وأرضٌ مدحاة ، وأنهارٌ مجراه ، وإن في السماء لخبرا ،
وإن في الأرض ليعبرا ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا فأقاموا ، أم
تركوا فناموا ؟ يُقَسِّمُ قُسٌّ بالله قسما لا إثم فيه : إن لله ديناً هو أرضى له ، وأفضل
من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكرا .

* * *

(٢) الكاهن الخزاعي ينقر هاشم بن عبد مناف على أمية بن

عبد شمس :

وَلِيَّ هَاشِمٍ بَعْدَ أَبِيهِ عَبْدُ مَنْفَافٍ مَا كَانَ إِلَيْهِ مِنَ السَّقَايَةِ وَالرَّفَادَةِ ، فَخَسَدَهُ
أُمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنْفَافٍ عَلَى رِئَاسَتِهِ وَإِطْعَامِهِ ، وَكَانَ ذَا مَالٍ ، فَتَكَلَّفَ
أَنْ يَصْنَعَ صُنَيْعَ هَاشِمٍ ، فَمَجَّزَ عَنْهُ ، فَشَمَّتَتْ بِهِ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَغَضِبَ وَنَالَ
مِنْ هَاشِمٍ ، وَدَعَاهُ إِلَى الْمَنَافَرَةِ ، فَكَرِهَ هَاشِمٌ ذَلِكَ لِسَنِّهِ وَقَدْرِهِ ، فَلَمْ تَدْعُهُ قُرَيْشٌ

(١) داج : مظلم .

(٢) مساج : مضى ، متلائي .

(٣) مرساة : أى مبسوطة ، وإنما قال مدحاة لمرعاة السجع .

حتى نأفوه على نحسين ناقة سود الحديق ينحرها ببطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين ، قرضى بذلك أمية ، وجعللا بينهما الكاهن الخزاعي ومنزله بعسفان^(١) ، وكان مع أمية همهمة بن عبد العزى الفهري ، وكانت ابنته عند أمية . فقال الكاهن : والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر ، من منجد وقائر ، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر ، أول منه وآخر ، وأبو همهمة بذلك خاير .

فقضى لهاشم بالقلبة ، وأخذ هاشم الإبل ، فنحرها وأطعمها ، وغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين . فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

* * *

(٣) عوف بن ربيعة الأسدي يتكهن بمقتل حجر بن الحارث :

كان حجر بن الحارث (أبو امرئ القيس) ملك بني أسد ، وكان له عليهم إناوة كل سنة لما يحتاج إليه ، فبقى كذلك دهرا ، ثم بعث إليهم من ينجي ذلك منهم ، وحجر يومئذ بتهامة ، فطردوا رسله وضربوهم ، فبلغ ذلك حجرا ، فسار إليهم ، فأخذ سرواتهم وخيارهم ، وجعل يقتلهم بالعصا (فسموا عبيد العصا) وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وحبس جماعة من أشrafهم ، منهم عبيد بن الأبرص الشاعر ، فقال شعرا يستعطفه فيه ، ومنه قوله :

أنت المليك عليهم
وهم العبيد إلى القيامة

فرق لهم وعفا عنهم ، وردهم إلى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة ، تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي ، فقال لهم :

(١) موضع على مرحلتين من مكة .

يا عبادي ، قالوا : ليسك ربنا ، فقال : ^(١) مَنِ الْمَلِكُ الصَّهْبُ ، الغلابُ غير
 المغْلَبِ ، في الإبل كأنها الرِّبِّ ^(٢) ، لا يُقْلِقُ رَأْسَهُ الصَّخَبُ ، هذا دمه يَنْثَعِبُ ^(٣) ،
 وهو غدا أولُ من يُسْتَلَبُ . قالوا : ومن هو رَبَّنَا ؟ قال : ^(٤) اولا تَجْبِشُ نَفْسُ
 جاشية ، لأخبرتكم أنه مُجْر ضاحية ^(٥) .
 فركبوا كلَّ صعب وذلول ، حتى بلغوا عسكر مُجْر ، فهجموا عليه في قُبته
 فقتلوه .

* * *

(ح) الوصايا والأمثال

* * *

(١) وصية زهير بن جناب الكلبي لبنيه :

يا بَنِي : قد كبرت سني ، وبلغت حرساً من دهرى ، فأحكمتني التجارب ،
 والأمور تجربة واختبار ، فاحفظوا عني ما أقول وعوهِ ، إياكم والخدور عند
 المصائب ، والتواكل عند التوائب ، فإن ذلك داعية للغم ، وشماتة للعدو ، وسوء
 ظن بالرب . وإياكم أن تكونوا بالأحداث مُغْتَرِّين ، ولها آمين ، ومنها سآخرين ،
 فإنه ما سخر قوم قط إلا ابتُلُوا ، ولكن توقّعوها ، فإنما الإنسان في الدنيا غرض ^(٦)
 تتأوره الرماة ، فمُقَصِّر دونه ، ومُجَاوِز لموضعده ، وواقع عن يمينه وشماله ، ثم لا بد
 أنه مُصِيبُهُ .

* * *

(١) الصلح : الشديد الصلب .

(٢) الرب : القطيع من بقر الوحش . (٣) ينثعب : يتفجر .

(٤) جاشت النفس وتجبشت : ارتفعت من حزن أو فزع .

(٥) ضاحية : حلانية .

(٦) الحرس من الدهر : الطويل . (٧) الغرض : الهدف .

(٢) وصية حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري لبني بدر :

اسمعوا مني ما أوصيكم به : لا يتكل آخركم على أوليكم ، فإنما يدرك الآخر ما أدركه الأول ، وأنكحوا الكفء الغريب ، فإنه عز حادث ، وإذا حضركم أمران فخذوا بخيرهما صدرا ، فإن كل مورد مغروف ، واصحبوا قومكم بأجل أخلاقكم ، ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه ، فإن الخلاف يزيى الرئيس المطاع ، وإذا حادثتم قاربوا^(١) ثم قولوا الصدق ، فإنه لا خير في الكذب ، وصونوا الخيل فلانها حصون الرجال ، وأطيلوا الرماح فلانها قرون الخيل ، وأعزوا الكبير بالكبير ، فإنني بذلك كنت أغلب الناس ، ولا تغزوا إلا بالعيون ، ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح ، وأعطوا على حسب المال ، وأعجلوا الضيف بالقرى ، فإن خيره أعجله ، واتقوا فضيحات البنى وفلتات المزاح ، ولا تجيروا على الملوك ، فإن أيديهم أطول من أيديكم .

* * *

(٣) وصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم إياس :

لما تحملت أم إياس إلى زوجها قالت لها أمها :

أى بُنية : إن الوصية لو تركت لفضل أدب ، تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للنافل ، ومعونة للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزواج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها ، كنت أغنى الناس عنه ، ولكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

(١) ربيع الحبيل : فله من أربع طاقات ، والمعنى تمهلوا أو أحكموا القول .

أى بنية : إنك فارقت الجَوْ الذي منه خرجت ، وخَلَقْتَ العُشَّ الذي فيه
دَرَجَتِ ، إلى وَكِيرٍ لم تعرفه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فأصبح يملكه عليك رقيبا ومليكا ،
فكوني له أمة يُكَنَّى لك عبدا وشيكا .

يا بنية : أحملى عنى عشر خصال تكن لك ذُنُرا وذِكْرا : الصَّحْبَةُ بالقناعة ،
والمعاشرَةُ بحسن السمع والطاعة ، والتمهُّدُ لموقع عَيْنِهِ ، والتَّقَدُّدُ لموضع أنْفِهِ ، فلا
تقع عَيْنُهُ مِنْكَ على قبيح ، ولا يَشُمُّ مِنْكَ إِلَّا أَطْيَبَ رِيحٍ ، والكُفْلُ أحسنُ الحُسْنِ ،
والماءُ أَطْيَبُ الطَّيْبِ المفقود ، والتمهُّدُ لوقت طعامه ، والهدْوَعُ عنه عند منامه ،
فإن حرارة الجوع مَلْهِيَةٌ ، وتنغيصُ النوم مَغْضَبَةٌ ، والاحتفاظُ بينته وماله ،
والإرعاءُ على نفسه وحَشَمُهُ وعياله ، فإن الاحتفاظُ بالمال حسنُ التقدير ، والإرعاءُ
على العيال والحشم جميلُ حَسَنِ التدبير ، ولا تُفْشِ لَهُ سرا ، ولا تُعْصِي لَهُ أمرا ،
فإنك إن أَفْشَيْتَ سَرَّهُ ، لم تَأْمَنِ قَدْرَهُ ، وإن عَصَيْتَ أَمْرَهُ ، أَوْغَرْتَ صَدْرَهُ ،
ثم اتَّقِ من ذلك الفَرْحَ إن كان تَرَحًّا ، والإِكْتِثَابَ عنده إن كان فِرْحًا ، فإن
الحَصْلَةَ الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشدَّ ما تكونين له
إعظاما ، يكن أشدَّ ما يكون لك إكراما ، وأشدَّ ما تكونين له موافقة ، يكن
أطول ما تكونين له مُرَافَقَةً ، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تُؤْثِرَ رضا
على رضاك ، وهواه على هواك ، فيما أَحْبَبْتَ وكرهت ، والله يَخِيرُ لَكَ .

* * *

(٤) وصية لأَكْثَمَ بنِ صَيْفِي :

كتب النعمان بن حَمِيصَةَ البسارقى إلى أَكْثَمَ بنِ صَيْفِي : « مَثَلُ لَنَا مَثَلا

نأخذ به » فقال :

قد حلبت الدهر^(١) أشطره ، فعرفت حلوه ومره ، حين عرفت فذرفت ، إن
أمامي ما لا أسامى . رب سامع بخبري لم يسمع بعذري . كل زمان لمن فيه .
في كل يوم ما يُكره ، كل ذي نصرة سيخذل . تباروا فإن البريئى عليه العدد .
وكفوا ألسنتكم فإن مقلّ الرجل بين فكيه . إن قول الحق لم يدع لى صديقا .
لا ينفع من الجزع التّبيّ ، ولا ينفع مما هو واقع التّوقى . ستساق إلى ما أنت لاق .
في طلب المعالى يكون العناء . الاقتصاد فى السعى أبقي للجمام . من لم يأس على
ما فاته ودّع بدنه ، ومن قنع بما هو فيه قوت عينه . التّقدم قبل التّندّم . أصبح
عند رأس الأمر أحبّ إلى من أن أصبح عند ذّنيه . لم يهلك من مالك ما وعظّلك .
ويل لعالم أمر من جاهله . يتشابه الأمر إذا أقبل ، فإذا أدبر عرفه الكيس
والأحمق . الوحشة ذهاب الأعلام . البطر عند الرجاء حُقق والعجز عند البلاء أفن .
لا تغضبوا من السير فرما جنى الكثير . لا تُجيبوا فيما لم تُسألوا عنه ، ولا تضحكوا
مما لا يضحك منه . حيلة من لا حيلة له الصبر . كونوا جميعا فإن الجمع ظالب .
تثبّثوا ولا تسارعوا فإن أحمز الفريقين الرّكين . ربّ عجلة تمّ ريشا . ادريعوا
الليل واتخذوه جملا ، فإن الليل أخفى للويل . ولا جماعة لمن اختلف . تشاءوا
فى الديار ولا تباغضوا ، فلانه من يجتمع يتقعقع عمدته^(٢) ، الزّموا النّساء المهابة .
نعم لمو الغرة المنزل^(٣) . إن تعيش ترما لم تره . قد أقصر صامت . المكثّر كطاب

(١) اللّاقة شطران : قادمان وآخران ، فكل خلف من أخلاها شطره . والمعنى أنه اخذ
شطرى الدهر خبره وشره .
(٢) تققعق : اضطرب وتحرك .
(٣) الغرة : الشريفة .

تَيْل . من أَكْثَرَ اسْقَط . لا تَجْعَلُوا سِرًّا إِلَى أَمَةٍ . لا تَفَرُّوا فِي الْقِبَائِلِ فَإِنْ
 الْغَرِيبَ بِكُلِّ مَكَانٍ مَظْلُومٍ . عَاقِدُوا الثَّرْوَةَ وَإِيَّاكُمْ وَالْوَشَائِظَ^(١) فَإِنْ مَعَ الْقِلَّةِ الدَّلَّةُ .
 لَوْ سُمِّتِ الْعَارِيَةُ قَالَتْ أَبْنَى لِأَهْلِ ذُلًّا . الرَّسُولُ مُبْلَغٌ غَيْرُ مَلُومٍ . مَنْ فَسَدَتْ
 بَطَانَتُهُ غَضَّ بِالْمَاءِ . أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً . الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعُهُ . إِنْ الْمَسْأَلَةُ
 مِنْ أَوْعَفِ الْمَسْكِنَةِ ، قَدْ تَجَمَّعَ الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلْ بِشَدِيدِيهَا . لَمْ يَجْرُ سَالِكُ الْقَصْدِ ،
 وَلَمْ يَغْمَ قَاصِدُ الْحَقِّ . مَنْ شَدَّدَ نَفْرَ ، وَمَنْ تَرَانَى تَأَلَّفَ . أَوْفَى الْقَوْلِ أَوْجَرُهُ .
 أَصَوْبُ الْأُمُورِ تَرَكُ الْفَضُولِ . التَّنْفِيرُ مِفْتَاحُ الْبُؤْسِ . التَّوَانِي وَالْعِجْزُ يَنْتَبِجَانِ
 الْهَلَكَةَ ، لِكُلِّ شَيْءٍ ضَرَاوَةٌ . أَحْوَجُ النَّاسِ إِلَى الْغِنَى مَنْ لَا يَصِلُحُهُ إِلَّا الْغِنَى ،
 وَهُمْ الْمُلُوكُ . حُبُّ الْمَدْحِ رَأْسُ الضِّيَاعِ . رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُبْلَغُ .
 لَا تَكْرَهُ سُخْطَ مَنْ رِضَاهُ الْجَحْورُ . مَعَاجِلَةُ الْعَفَافِ مَشَقَّةٌ فَتَعُوذُ بِالصَّبْرِ .
 اقْصِرْ لِسَانَكَ عَلَى الْخَيْرِ وَأَخِرِ الْغَضَبَ فَإِنَّ الْقُدْرَةَ مِنْ وَرَائِكَ . مَنْ قَدَّرَ أَرْزَمَ . أَمْرُ
 أَعْمَالِ الْمُقْتَدِرِينَ الْإِتْقَامُ . جَازٍ بِالْحَسَنَةِ وَلَا تُكَافِي بِالسَّيِّئَةِ . أَغْنَى النَّاسَ عَنْ
 الْحَقْدِ مَنْ عَظَّمَ عَنْ الْمَجَازَةِ . مَنْ حَسَدَ مِنْ دُونِهِ قَلَّ مَذْرُوءُهُ ، مَنْ جَعَلَ لِحَسَنِ الظَّنِّ
 نَصِيبًا رَوْحَ عَنِ قَلْبِهِ . عَيَّ الصَّمْتُ أَحْمَدَ مِنْ عَيِّ الْمَنْطِقِ . النَّاسُ رِجْلَانِ مُحْتَرِسٌ
 وَمُحْتَرَسٌ مِنْهُ . كَثِيرُ النَّصِيحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظَّنَّةِ . مَنْ أَلَحَّ فِي الْمَسْأَلَةِ أَهْرَمَ . خَيْرُ
 السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الْحَاجَةَ . الصَّمْتُ يُكْسِبُ الْمَهَبَةَ . لَنْ يَغْلِبَ الْكَذْبُ شَيْئًا إِلَّا غَلَبَ
 عَلَيْهِ الصِّدْقُ . الْقَلْبُ قَدْ يُتَمُّ وَإِنْ صَدَقَ اللِّسَانُ . الْإِنْتِقَابُ عَنْ النَّاسِ مَكْسَبَةٌ
 لِلْعُدَاوَةِ ، وَتَقْرِيبُهُمْ مَكْسَبَةٌ لِقَرِينِ السَّوِّ ، فَكُنْ مِنَ النَّاسِ بَيْنَ الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ ،
 فَإِنَّ خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا^(٢) ، فُسُؤْلَةُ^(٣) الْوُزَرَاءِ أَضَرُّ مِنْ بُغْضِ الْأَعْدَاءِ . خَيْرُ الْقُرْنَاءِ

(١) الوشائظ : يقال هم وشيظة في قومهم أى حشودهم .

(٢) فسل فسل أي رذل لامرودة له . والوزراء : جمع وزير وهو النصير والظهير .

الجزء الأول

٦٠١

المرأة الصالحة، وعند الخوف حسن العمل . من لم يكن له من نفسه زاجر لم يكن له من غيره واعظ وتمكن منه عدوه على أسوأ عمله . لن يهلك امرؤ حتى يملأ الناس عتيد فعله، ويشتد على قومه، ويعجب بما ظهر من مروءته، ويعتز بقومه، والأمر يأتيه من فوقه . ليس للفتال من حسن الثناء نصيب، لا نماء مع العدم . العي أن تتكلم فوق ما تسد به حاجتك، لا ينبغي لعاقل أن يثق بإخاء من تضطره إلى إخوانه حاجة، أقل الناس راحة الحقوق . من تعد الذنب لا تحمل رحمته دون حقوقه، فإن الأدب رفيق، والرفق يمين .

* * *

(٢)

الرسائل

* * *

(١) كتاب التحالف بين عبد المطلب بن هاشم وبين نخاعة :

باسمك اللهم ، هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجال عمر بن ربيعة من نخاعة : تحالفوا على التناصر والمواساة ، مابل بحر صوفة^(١) ، حلفا جامعا غير مفرق ، الأشياخ على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب ، وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد ، لا يلتقص ولا ينكث ، ما أشرقت شمس على ثبير ، وحش بفلاة بعير ، وما أقام الأخشبان ، واعتمر بمكة إنسان ، حلف أبدا لطول أمد ، يزيده طلوع الشمس شدا ، وظلام الليل

(١) صوف البحر : نبات بحري على شكل الصوف وقد يقصد به الإسفنج .

(٢) الأخشبان : جبلان قربان من مكة .

مدا ، وأن عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال نخزامة متكاثرون متظاهرون متعاونون . فعلى عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب ، وعلى نخزامة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق أو غرب ، أو حزن أو سهل ، وجعلوا الله على ذلك كفيلا ، وكفى بالله جبيلا .

* * *

(٢) كتاب أكرم بن صيفي إلى طي :

روى أبو الفضل الميداني في مجمع الأمثال أن أكرم بن صيفي كتب إلى طي يقول :

أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم ، وإياكم ونكاح الحقاء ، فإن نكاحها غررٌ وولدها ضياع ، وطبيكم بالخيل فأكرموها ، فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها ، فإن فيها ثمن الكريمة ورقوة الدم ، وبالبانها يتحف الكبير ويغذى الصغير ، ولو أن الإبل كلفت الطحن لطحنت . ولن يهلك امرؤ عرف قدره ، والعدم عدم العقل لا عدم المال ، ولرجل خير من ألف رجل . ومن عتب على الدهر طالت معتبته ، ومن رضى بالقسم طابت معيشته . وآفة الرأي الهوى ، والعادة أملك ، والحاجة مع المحبة خير من البغض مع الغنى . والدين دُول : فما كان لك أذاك على ضيفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك ، والحسد داء ليس له دواء ، والشماتة تُعقب ، ومن يَريوما يربه . قيل الرماء ثمل الكنان (٤) .

(١) يريد مهرها .

(٢) رقا الدم : جف وسكن . والرقوة كعبور : ما يوضع على الجرح ليتوقف من النزف .

(٣) القسم : القدر .

(٤) الرماء : مصدر راءى . والكنان : جمع كنانة وهي جمعة السهام .

الندامة مع السَّفاهة . دُعاة العقل الحلم . خَيْرُ الْأُمُورِ مَغَبَّةُ الصَّبْرِ . بقاء المودة مدل
 التعاهد . من يَزُرْ غِيَابًا يَزِدْ حُبًّا . التَّغْرِيرُ مِفْتَاحُ الْبُؤْسِ . من التَّوَانِي والعِجْزِ تَجِبَتْ
 الْمَلَكَةُ . لكلِّ شَيْءٍ ضَرَاوَةٌ ^(١) فَضَرَّ لِسَانُكَ بِالْخَيْرِ . عِيُّ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنْ عِيِّ
 الْمَنْطِقِ : الْحَزْمُ حِفْظُ مَا كُتِفَتْ وَتَرْكُ مَا كُفِيَتْ . كَثِيرُ التَّنَصُّحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ
 الظَّنَّةِ . مَنْ أَلْحَفَ فِي الْمَسْأَلَةِ نُقِلَ . مَنْ سَأَلَ فَوْقَ حَقِّهِ اسْتَحَقَّ الْحَرَمَانَ . الرِّفْقُ يُنْمِئُ ،
 وَالْحَرْقُ شَوْمٌ . خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الْحَاجَةَ . خَيْرُ الْعَفْوِ مَا كَانَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ .

(١) الضراوة : التمرود .

* * *

سيد حنفي

وَبَعْدُ

فهذه هي المجموعة الأولى من « الروائع » تقدّمها وتقدّم معها هذا التصوّر الجديد لحركة الشعر في العصر الجاهلي على امتداد عصور أدبية ثلاثة شهدت ثلاث مدارس فنية . ولسنا ندعى أننا وضعنا الصورة النهائية لحركة هذا الشعر ، أو أننا حدّدنا خطوات منهج مثالي لدراسة تطوره الفني ، وإنما كل ما نملكه أن نقول إنها محاولة ، وكل ما نتمناه أن نكون قد وُفّقنا فيها ، وأن نرى بعد ذلك دراسة للشعر الجاهلي على أساس هذا التصوّر الجديد .

ولم تبق لنا بعد ذلك إلا كلمتان : كلمة تصحيح ، وكلمة توضيح .

أما الكلمة الأولى فتصحيح لموضع الشاعر أبي ذؤاد الإبادي من شعراء عصر البسوس ، فوضعه الصحيح تاريخياً قبل امرئ القيس . والرواة يذكرون أن امرأ القيس كان يروي شعره ، ويتوكأ عليه ، وأنه أخذ عنه وصف الخيل . وهو — على كل حال — من شعراء عصر المنذرين ماء السماء أمير الحيرة (٥١٢ — ٥٥٤) ، والعدو التقليدي لإمارة كندة من عصر حُجّر أبي امرئ القيس .

وأما الكلمة الأخرى فتوضيح لموقفنا من النصوص الجاهلية للشعراء المخضرمين ، فقد رأينا أن نوجّلها إلى المجموعة الثانية من هذه « الروائع » التي سنقردها للعصر الإسلامي الذي ينتهي — في تقسيمنا — بقيام الدولة الأموية ،

وذلك حتى لا تتوزع صورتهم الفنية بين المجموعتين ، ولا ينقطع خط حركتهم الفنية بينهما . ومن أجل ذلك لم تقف — مثلاً — عند لبس مع أنه من ألمع شعراء العصر الجاهلي ، ولا عند معلقته وهي من أروع قصائد الشعر الجاهلي .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

عن اللجنة
يوسف خليف

الفهرس

* * *

صفحة	مقدمة
٥	
٩	مدخل إلى الروائع : الحياة الأدبية في العصر الجاهلي
	القسم الأول
	كتاب الشعر
٦٧	
	عصر البسوس
٦٩	
٧١	المهازل
٧٤	١) بكائية
٧٧	٢) الداهية
٨٥	٣) صور من التهديد
٨٧	جيلة البكرية
٨٨	بين شقي الرحي
٩٣	امرؤ القيس
٩٨	١) من المعلقة
١٠٧	٢) صورة مثالية لجواد الصيد
١١٥	٣) متع ما بعد الصبا

صفحة	
١١٧	(٤) ذكريات بعيدة
١٢٦	(٥) الرحلة إلى قيصر
١٣٤	(٦) نهاية المطاف
١٣٧	عمرو بن قبيصة
١٣٩	(١) يوم الرحيل ورحلة الوداع
١٤٣	(٢) مجلس شراب ورحلة صيد
١٤٩	(٣) طعنة فير طائشة
١٥٢	(٤) المصير المحتوم
١٥٥	عبيد بن الأبرص
١٥٨	(١) من المعلقة
١٦٢	(٢) إنذار إلى امرئ القيس
١٦٦	(٣) إنذار إلى زوجته
١٧٢	علقمة بن عبدة
١٧٣	الميمية المختارة
١٨١	السموأل بن عادياء
١٨٣	مواطن الفخر
١٨٦	أبو دؤاد الإيادي
١٨٦	رحلة صيد
١٨٨	لقيط بن يعمر الإيادي
١٩٠	إنذار ونصح

١٩٥	المرقش الأكبر
١٩٨	صورة من الصحراء
٢٠١	المرقش الأصغر
٢٠٣	إلى فاطمة
٢٠٦	ثعلبة بن صعيد
٢٠٧	(١) رائية عمرة
٢١٠	(٢) عتاد الحرب
٢١٣	المسيب بن علس
٢١٥	تيار الفرات
٢١٨	طرفة بن العبد
٢٢١	(١) من المعلقة
٢٣٨	(٢) رائية هر : العودة
٢٥٣	المنامس
٢٥٤	وصية
٢٥٦	الحارث بن حلزة
٢٥٧	من المعلقة
٢٦١	عمرو بن كلثوم
٢٦٣	من المعلقة : صوت قومي
٢٧٠	ذو الإصبع العدواني
٢٧٢	بين الفخر والتحدى

صفحة

عصر داحس والغبراء

٢٧٧

- | | |
|-----|-----------------------|
| ٢٧٩ | الطفيل الغنوى |
| ٢٨١ | منهج حياة |
| ٢٨٤ | أوس بن حجر |
| ٢٨٧ | (١) رثاء عظيم |
| ٢٩٠ | (٢) ليلة ممطرة |
| ٢٩٥ | (٣) منظر صيد |
| ٣٠٦ | عنزة بن شداد |
| ٣٠٨ | (١) من المعلقة |
| ٣١٢ | (٢) عتاب ونفر |
| ٣١٥ | (٣) بطولة فارس |
| ٣١٩ | (٤) فروسية وحب |
| ٣٢٢ | زهير بن أبى سلمى |
| ٣٢٥ | (١) المعلقة |
| ٣٣٢ | (٢) من مدائح هرم |
| ٣٣٦ | (٣) من مدائح هرم أيضا |
| ٣٤٠ | (٤) من مدائح هرم أيضا |
| ٣٤٣ | (٥) هجائية |

صفحة	
٢٤٧	المنقب العبدى
٣٥٠	(١) مناجاة وعتاب
٣٥٣	(٢) مناجاة ومدح
٣٥٨	عدى بن زيد
٣٦١	(١) النخريّة المشهورة
٣٦٥	(٢) تأملات في سجن النعمان
٣٧٠	(٣) سهام الدهر
٣٧٢	(٤) منهج المنايا
٣٧٤	المنخل اليشكرى
٣٧٥	يا هند
٣٧٨	النايفة الذبياني
٣٨٢	(١) من المدح الحربى
٣٨٦	(٢) المتجرّدة
٣٩٢	(٣) المعلقة
٤٠٢	(٤) اعتذارية
٤٠٤	(٥) اعتذارية أخرى
٤٠٩	الأسود بن يعفر
٤١١	ذكريات وعزاء
٤١٥	سلامة بن جندل
٤١٦	أودى الشباب

صفحة	
٤٢٠	الأخنس بن شهاب
٤٢٢	صيادة مطلقة
٤٢٦	الشنفري
٤٢٩	(١) التائية المفضلية
٤٣٤	(٢) المرقبة
٤٣٩	(٣) وصية الصعلوك
٤٤١	تأبط شرا
٤٤٤	(١) القافية المفضلية
٤٤٩	(٢) أليف الوحش
٤٥٢	(٣) رفيق الغسول

عصر ذى قار

٤٥٧

٤٥٩	دريد بن الصمة
٤٦٠	رثاء بطل
٤٦٥	ماعدة بن جؤية
٤٦٥	تأملات فى الشيب والموت
٤٦٩	عبد يغوث بن وقاص الحارثى
٤٧١	تجربة فاسية
٤٧٣	الحارث بن وعلة الجرمى
٤٧٤	فرار وافتخار

صفحة	
٣٧٦	حاتم الطائي
٤٧٨	(١) رؤية حاتمية
٤٨٠	(٢) تأصيل الرؤية الحاتمية
٤٨٣	عروة بن الورد
٤٨٦	(١) صعلوك ٠٠ وصعلوك
٤٩١	(٢) حوار حول البخل والكرم
٤٩٤	(٣) دعوة نظرية وتطبيق عملي
٤٩٧	(٤) صور إنسانية من فلسفته
٥٠٤	(٥) تراث الصعلوك
٥٠٥	بشر بن أبي خازم
٥٠٦	موت بطل
٥٠٩	قيس بن الخطيم
٥١١	إدراك ثار
٥١٤	الحادرة
٥١٥	مثل عربية عليا
٥١٧	الأعشى
٥٢٢	(١) المعلقة
٥٣٢	(٢) لامية عكاظ
٥٤٤	(٣) صورة من غزلياته
٥٥٠	(٤) صورة من نحرياته
٥٥٥	(٥) نصرذى قار

صفحة	
٥٦٠	أمية بن أبي الصلت
٥٦٤	(١) الطوفان
٥٦٧	(٢) صور من القصص الديني
٥٧٢	(٣) أصحاب الفيل
٥٧٤	(٤) موعظة دينية

القسم الثاني كتاب النثر

٥٧٧

٥٧٩	(١) الخطابة
٥٧٩	(١) الخطابة الاجتماعية
٥٧٩	(١) إصلاح مرثد الخير
٥٨٣	(٢) المنذر بن النعمان وعامر بن جوين
٥٨٦	(٣) من خطب العرب أمام كسرى
٥٩١	(٤) خطباء العرب تعزى سلامة ذا فائس
٥٩٢	(٥) أكرم بن صيفى يعزى عمرو بن هند
٥٩٣	(٦) خطبة أبي طالب فى زواج الرسول (ص)
٥٩٣	(٧) خطبة هانىء الشيبانى فى يوم ذى قار
٥٩٤	(ب) الخطابة الدينية ويصيح الكهان
٥٩٤	(١) قس بن ساعدة فى سوق عكاظ
٥٩٤	(٢) الكاهن الخزاعى
٥٩٥	(٣) عوف بن ربيعة الأسدى

صفحة	
٥٩٦	(ح) الوصايا والأمثال
٥٩٦	(١) وصية زهير بن جناب الكلبي لابنيه
٥٩٧	(٢) وصية حصن بن حذيفة لبنى بدر
٥٩٧	(٣) وصية أمامة بنت الحارث لابنتها
٥٩٨	(٤) وصية لأكرم بن صيفي
٦٠١	(٢) الرسائل
٦٠١	(١) كتاب التحالف بين عبد المطلب ونخاعة
٦٠٢	(٢) كتاب أكرم بن صيفي إلى طيء
٦٠٥	وبعد

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٣/٣٥٠٣

الترقيم الدولي ISBN 977-01-0185-0

مطبعة دار الكتب ٣٠٠٠/١٩٨٢/٢٨٤٦
